بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا فتحدى بأقصر سورة من سوره مصاقع الخطباء من العرب العرباء فلم يجد به قديرا وأفحم من تصدى لمعارضته من فصحاء عدنان وبلغاء قحطان حتى حسبوا أنهم سحروا تسحيرا ثم بين للناس ما نزل إليهم حسبما عن لهم من مصالحهم ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب تذكيرا فكشف قناع الانغلاق عن آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات هن رموز الخطاب تأويلا وتفسيرا وأبرز غوامض الحقائق ولطائف الدقائق ليتجلى لهم خفايا الملك والملكوت وخبايا القدس والجبروت ليتفكروا فيها تفكيرا ومهد لهم قواعد الأحكام وأوضاعها من نصوص الآيات وألماعها ليذهب عنهم الرجس ويطهرهم تطهيرا فمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد فهو في الدارين حميد وسعيد ومن لم يرفع إليه رأسه وأطفأ نبراسه يعش ذميما ويصلى سعيرا فيا واجب الوجود ويا فائض الجود ويا غاية كل مقصود صل عليه صلاة توازي غناءه وتجازي عناءه وعلى من أعانه وقرر تبيانه تقريرا وأفض علينا من بركاتهم واسلك بنا مسالك كراماتهم وسلم عليهم وعلينا تسليما كثيرا **وبعد** فإن أعظم العلوم مقدارا وأرفعها شرفا ومنارا علم التفسير الذي هو رئيس العلوم الدينية ورأسها ومبنى قواعد الشرع وأساسها لا يليق لتعاطيه والتصدي للتكلم فيه إلا من برع في العلوم الدينية كلها أصولها وفروعها وفاق في الصناعات العربية والفنون الأدبية بأنواعها ولطالما أحدث نفسي بأن أصنف في هذا الفن كتابا يحتوي على صفوة ما بلغني من عظماء الصحابة وعلماء التابعين ومن دونهم من السلف الصالحين وينطوي على نكت بارعة ولطائف رائعة استنبطتها أنا ومن قبلي من أفاضل المتأخرين وأماثل المحققين ويعرب عن وجوه القراءات المشهورة المعزية إلى الأئمة الثمانية المشهورين والشواذ المروية عن القراء المعتبرين إلا أن قصور بضاعتي يثبطني عن الإقدام ويمنعني عن الانتصاب في هذا المقام حتى سنح لي بعد الاستخارة ما صمم به عزمي على الشروع فيما أردته والإتيان بما قصدته ناويا أن أسميه بعد أن أتممته بأنوار التنزيل وأسرار التأويل فها أنا الآن أشرع وبحسن توفيقه أقول وهو الموفق لكل خير والمعطي لكل سؤل

سورة فاتحة الكتاب

وتسمى أم القرآن لأنها مفتتحه ومبدؤه فكأنها أصله ومنشؤه ولذلك تسمى أساسا أو لأنها تشتمل على ما فيه من الثناء

المسمى لانه يتألف من اصوات مقطعة غير قارة ويختلف باختلاف الامم والاعصار ويتعدد تارة ويتحد
اخرى والمسمى لا يكون كذلك وان اريد به ذات الشيء فهو المسمى لكنه لم يشتهر بهذا المعنى وقوله تعالى تبارك اسم ربك وسبح اسم
ربك المراد به اللفظ لانه كما يجب تنزيه ذاته وصفاته عن النقائص يجب تنزيه الالفاظ الموضوعة لها عن الرفث وسوء الادب او
الاسم فيه مقحم كما في قول الشاعر الى الحول ثم اسم السلام عليكما وان اريد به الصفة كما هو رأي الشيخ ابي الحسن الاشعري انقسم انقسام
الصفة عنده الى ما هو نفس المسمى والى ما هو غيره والى ما ليس هو ولا غيره وانما قال بسم الله ولم يقل بالله لان التبرك والاستعانة بذكر
اسمه او للفرق بين اليمين والتيمن ولم تكتب الالف على ما هو وضع الخط لكثرة الاستعمال وطولت الباء عوضا عنها والله اصله اله فحذفت
الهمزة وعوض عنها الالف واللام ولذلك قيل يا الله بالقطع الا انه يختص بالمعبود بالحق والاله في الاصل يقع على كل معبود
بحق او باطل ثم غلب على المعبود بحق واشتقاقه من اله الهة والوهة والوهية بمعنى عبد ومنه تأله واستأله وقيل من اله اذا تحير لان العقول تتحير
في معرفته او من الهت الى فلان اي سكنت اليه لان القلوب تطمئن بذكره والارواح تسكن الى
معرفته او من اله اذا فزع من امر نزل عليه وآلهه غيره اجاره اذ العائذ يفزع اليه وهو يجيره حقيقة او بزعمه او من
اله الفصيل اذا ولع بامه اذ العباد مولعون بالتضرع اليه في الشدائد او من وله اذا تحير وتخبط عقله
وكان اصله ولاه فقلبت الواو همزة لاستثقال الكسرة عليها استثقال الضم في وجوه فقيل اله كاعاء و
اشاح ويرده الجمع على آلهة دون اولهة وقيل اصله لاه مصدر لاه يليه ليها ولاها اذا احتجب وارتفع لانه سبحانه وتعالى
محجوب عن ادراك الابصار ومرتفع على كل شيء وعما لا يليق به ويشهد له قول الشاعر كحلفة من ابي رباح
وقيل علم لذاته المخصوصة لانه يوصف ولا يوصف به ولانه لا بد له من اسم تجري عليه صفاته ولا يصلح له مما يطلق عليه
سواه ولانه لو كان وصفا لم يكن قول لا اله الا الله توحيدا مثل لا اله الا الرحمن فانه لا يمنع الشركة والاظهر انه وصف في
اصله لكنه لما غلب عليه بحيث لا يستعمل في غيره وصار كالعلم مثل الثريا والصعق اجري مجراه في اجراء
الاوصاف عليه وامتناع الوصف به وعدم تطرق احتمال الشركة اليه لان ذاته من حيث هو بلا اعتبار امر آخر حقيقي او غيره غير معقول
للبشر فلا يمكن ان يدل عليه بلفظ ولانه لو دل على مجرد ذاته المخصوص لما افاد ظاهر قوله تعالى وهو الله في السموات
معنى صحيحا ولان معنى الاشتقاق هو كون احد اللفظين مشاركا للآخر في المعنى والتركيب وهو حاصل بينه وبين الاصول المذكورة
وقيل اصله لاها بالسريانية فعرب بحذف الالف الاخيرة وادخال اللام عليه وتفخيم لامه اذا انفتح ما قبله او انضم سنة وقيل
مطلقا وحذف الفه لحن تفسد به الصلوة ولا ينعقد به صريح اليمين وقد جاء لضرورة الشعر الا لا بارك الله في سهيل
اذا ما الله بارك في الرجال الرحمن الرحيم اسمان بنيا للمبالغة من رحم كالغضبان من غضب والعليم من علم والرحمة في
اللغة رقة القلب وانعطاف يقتضي التفضل والاحسان ومنه الرحم لانعطافها على ما فيها واسماء الله تعالى انما تؤخذ باعتبار
الغايات التي هي افعال دون المبادي التي تكون انفعالات والرحمن ابلغ من الرحيم لان زيادة البناء تدل على زيادة المعنى كما في قطع وقطّع وكبار وكبّار
وذلك انما يؤخذ تارة باعتبار الكمية واخرى باعتبار الكيفية فعلى الاول قيل يا رحمن الدنيا لانه يعم المؤمن والكافر ورحيم الآخرة لانه يخص
المؤمن وعلى الثاني قيل يا رحمن الدنيا والآخرة ورحيم الدنيا لان النعم الاخروية كلها جسام واما النعم الدنيوية فجليلة وحقيرة وانما قدم

والمالك هو المتصرف في الأعيان المملوكة كيف شاء من الملك والملك هو المتصرف بالأمر والنهي في المأمورين من الملك وقرئ
ملك بالتخفيف وملك بلفظ الفعل ومالكا بالنصب على المدح أو الحال ومالك بالرفع منونا ومضافا على أنه خبر مبتدأ محذوف
وملك مضافا بالرفع والنصب ويوم الدين يوم الجزاء ومنه كما تدين تدان وبيت الحماسة ولم يبق سوى العدوان دناهم كما دانوا
أضاف اسم الفاعل إلى الظرف إجراء له مجرى المفعول به على الاتساع كقولهم يا سارق الليلة أهل الدار ومعناه مالك الأمور يوم الدين على
طريقة ونادى أصحاب الجنة أو له الملك في هذا اليوم على وجه الاستمرار لتكون الإضافة حقيقية معدة لوقوعه صفة للمعرفة وقيل
الدين الشريعة وقيل الطاعة والمعنى يوم جزاء الدين وتخصيص اليوم بالإضافة إما لتعظيمه أو لتفرده بنفوذ الأمر فيه
وإجراء هذه الأوصاف على الله من كونه موجدا للعالمين ربا لهم منعما عليهم بالنعم كلها ظاهرها وباطنها عاجلها وآجلها مالكا
للأمور يوم الثواب والعقاب للدلالة على أنه الحقيق بالحمد لا أحد أحق به منه بل لا يستحقه على الحقيقة سواه فإن ترتب الحكم على
الوصف يشعر بعليته له وللإشعار من طريق المفهوم على أن من لم يتصف بتلك الصفات لا يستأهل لأن يحمد فضلا عن أن يعبد فيكون دليلا
على ما بعده فالوصف الأول لبيان ما هو الموجب للحمد وهو الإيجاد والتربية والثاني والثالث للدلالة على أنه متفضل بذلك مختار فيه
ليس يصدر منه لإيجاب بالذات أو وجوب عليه قضية لسوابق الأعمال حتى يستحق به الحمد والرابع لتحقيق الاختصاص فإنه
مما لا يقبل الشركة فيه وتضمين الوعد للحامدين والوعيد للمعرضين إياك نعبد وإياك نستعين ثم إنه لما ذكر الحقيق
بالحمد ووصف بصفات عظام تميز بها عن سائر الذوات وتعلق العلم بمعلوم معين خوطب بذلك أي يا من هذا
شأنه نخصك بالعبادة والاستعانة ليكون أدل على الاختصاص وللترقي من البرهان إلى العيان والانتقال من الغيبة إلى
الشهود فكأن المعلوم صار عيانا والمعقول مشاهدا والغيبة حضورا بنى أول الكلام على ما هو مبادي حال العارف من الذكر و
الفكر والتأمل في أسمائه والنظر في آلائه والاستدلال بصنائعه على عظيم شأنه وباهر سلطانه ثم قفى بما هو منتهى أمره و
هو أن يخوض لجة الوصول ويصير من أهل المشاهدة فيراه عيانا ويناجيه شفاها اللهم اجعلنا من الواصلين إلى
العين دون السامعين للأثر ومن عادة العرب التفنن في الكلام والعدول من أسلوب إلى آخر تطرية له وتنشيطا للسامع
فيعدل من الخطاب إلى الغيبة ومن الغيبة إلى التكلم وبالعكس كقوله تعالى حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم وقوله والله
الذي أرسل الرياح فتثير سحابا فسقناه وقول امرئ القيس تطاول ليلك بالأثمد + ونام الخلي ولم ترقد + وبات وباتت
له ليلة + كليلة ذي العائر الأرمد + وذلك من نبأ جاءني + وخبرته عن أبي الأسود + وإيا ضمير منفصل وما يلحقه من الياء
والكاف والهاء حروف زيدت لبيان التكلم والخطاب والغيبة لا محل لها من الإعراب كالتاء في أنت والكاف في أرأيتك وقال الخليل
مضاف إليها واحتج بما حكاه عن بعض العرب إذا بلغ الرجل الستين فإياه وإيا الشواب وهو شاذ لا يعمل عليه وقيل هي الضمائر و
إيا عمدة فإنها لما فصلت عن العوامل تعذر النطق بها مفردة فضم إليها إيا لتستقل به وقيل الضمير هو المجموع وقرئ إياك بفتح
الهمزة وهياك بقلبها هاء والعبادة أقصى غاية الخضوع والتذلل ومنه طريق معبد أي مذلل وثوب ذو عبدة إذا كان في غاية الصفاقة
ولذلك لا تستعمل إلا في الخضوع لله تعالى والاستعانة طلب المعونة وهي إما ضرورية أو غيرها والضرورية ما لا يتأتى الفعل دونه
كاقتدار الفاعل وتصوره وحصول آلة ومادة يفعل بها فيها وعند استجماعها يوصف الرجل بالاستطاعة ويصح أن يكلف بالفعل

ارباب السلوك وقرأ ابن كثير برواية قنبل ورويس عن يعقوب بالاصل وحمزة بالاشمام والباقون بالصاد وهو لغة قريش
والثابت في الامام وجمعه سرط ككتب وهو كالطريق في التذكير والتانيث والمستقيم المستوي والمراد به طريق الحق وقيل هو
ملة الاسلام صراط الذين انعمت عليهم بدل من الاول بدل الكل وهو في حكم تكرير العامل من حيث انه المقصود بالنسبة
وفائدته التوكيد والتنصيص على ان طريق المسلمين هو المشهود عليه بالاستقامة على آكد وجه وابلغه لانه جعل كالتفسير
والبيان له فكانه من البين الذي لا خفاء فيه ان الطريق المستقيم ما يكون طريق المؤمنين وقيل الذين انعمت عليهم
الانبياء وقيل اصحاب موسى وعيسى عليهما السلام قبل التحريف والنسخ وقرئ صراط من انعمت عليهم والانعام ايصال النعمة
وهي في الاصل الحالة التي يستلذها الانسان فاطلقت لما يستلذه من النعمة وهي اللين ونعم الله وان كانت لا تحصى كما قال
وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها تنحصر في جنسين دنيوي واخروي والاول قسمان موهبي وكسبي والموهبي قسمان روحاني كنفخ الروح
فيه واشراقه بالعقل وما يتبعه من القوى كالفهم والفكر والنطق وجسماني كتخليق البدن والقوى الحالة فيه والهيئات
العارضة له من الصحة وكمال الاعضاء والكسبي تزكية النفس عن الرذائل وتحليتها بالاخلاق السنية والملكات الفاضلة
وتزيين البدن بالهيئات المطبوعة والحلى المستحسنة وحصول الجاه والمال والثاني ان يغفر له ما فرط منه ويرضى عنه ويبوئه
في اعلى عليين مع الملائكة المقربين ابد الآبدين والمراد هو القسم الاخير وما يكون وصلة الى نيله من القسم الآخر
فان ما عدا ذلك يشترك فيه المؤمن والكافر غير المغضوب عليهم ولا الضالين بدل من الذين على معنى ان المنعم عليهم
هم الذين سلموا من الغضب والضلال او صفة له مبينة او مقيدة على معنى انهم جمعوا بين النعمة المطلقة وهي نعمة الايمان وبين
السلامة من الغضب والضلال وذلك انما يصح باحد تأويلين اجراء الموصول مجرى النكرة اذا لم يقصد به معهود
كالمحلى في قوله ولقد امر على اللئيم يسبني وقولهم اني لامر على الرجل مثلك
فيكرمني او جعل غير معرفة بالاضافة لانه اضيف الى ما له ضد واحد وهو المنعم عليهم فيتعين تعين الحركة من
غير السكون وعن ابن كثير نصبه على الحال من الضمير المجرور والعامل انعمت او باضمار اعني او بالاستثناء ان فسر النعم
بما يعم القبيلين والغضب ثوران النفس ارادة الانتقام فاذا اسند الى الله تعالى اريد به المنتهى والغاية على ما مر وعليهم في محل الرفع
لانه نائب مناب الفاعل بخلاف الاول ولا مزيدة لتأكيد ما في غير من معنى النفي فكانه قال لا المغضوب عليهم ولا الضالين ولذلك جاز
انا زيدا غير ضارب كما جاز انا زيدا لا ضارب وان امتنع انا زيدا مثل ضارب وقرئ وغير الضالين والضلال العدول عن الطريق
السوي عمدا او خطأ وله عرض عريض والتفاوت ما بين ادناه واقصاه كثير قيل المغضوب عليهم اليهود لقوله تعالى فيهم من لعنه الله وغضب
عليه والضالين النصارى لقوله تعالى قد ضلوا من قبل واضلوا كثيرا وقد روي مرفوعا ويتجه ان يقال المغضوب عليهم العصاة والضالين
الجاهلون بالله لان المنعم عليه من وفق للجمع بين معرفة الحق لذاته والخير للعمل به وكان المقابل له من اختل احدى قوتيه العاقلة والعاملة
والمخل بالعمل فاسق مغضوب عليه لقوله تعالى في القاتل عمدا وغضب الله عليه والمخل بالعلم جاهل ضال لقوله تعالى فماذا بعد
الحق الا الضلال وقرئ ولا الضألين بالهمزة على لغة من جد في الهرب من التقاء الساكنين آمين اسم الفعل الذي هو استجب
وعن ابن عباس رضي الله عنهما سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن معناه فقال افعل بني على الفتح كأين لالتقاء الساكنين وجاء

الثمانية المجموعة في أجدت طبقك أربعة يجمعها أقطك ومن البواقي الرخوة عشرة يجمعها حمس على نصره ومن المطبقة التي هي الصاد والطاء
والضاد والظاء نصفها ومن البواقي المنفتحة نصفها ومن القلقلة وهي حروف تضطرب عند خروجها ويجمعها قد طبج نصفها
الأقل لقلتها ومن اللينتين الياء لأنها أقل ثقلا ومن المستعلية وهي التي يتصعد الصوت بها في الحنك الأعلى وهي
سبعة القاف والصاد والطاء والخاء والغين والضاد والظاء نصفها الأقل ومن البواقي المنخفضة نصفها ومن حروف البدل
وهي أحد عشر على ما ذكره سيبويه واختاره ابن جني ويجمعها أجد طويت منها الستة الشائعة التي يجمعها أهطمين وقد زاد
بعضهم سبعة أخرى وهي اللام في أصيلال والصاد والزاء في صراط وزراط والفاء في أجدف والعين في أعن والثاء في
ثروغ الدلو والباء في باسمك حتى صارت ثمانية عشر وقد ذكر منها تسعة الستة المذكورة واللام والصاد والعين ومما يدغم
في مثله ولا يدغم في المقارب وهي خمسة عشر الهمزة والهاء والعين والصاد والطاء والميم والياء والخاء والغين والضاد والظاء والشين
والزاي والفاء والواو نصفها الأقل ومما يدغم فيهما وهي الثلاثة عشر الباقية نصفها الأكثر الحاء والقاف والكاف والراء والسين واللام والنون لما
في الإدغام من الخفة والفصاحة ومن الأربعة التي لا تدغم فيما يقاربها ويدغم فيها مقاربها وهي الميم والراء والشين والفاء نصفها ولما
كانت الحروف الذلقية التي يعتمد عليها بذلق اللسان وهي ستة يجمعها رب منفل والحلقية التي هي الحاء والخاء والعين والغين والهاء والهمزة
كثيرة الوقوع في الكلام ذكر ثلثيها ولما كانت أبنية المزيد لا تتجاوز عن السباعية ذكر من الزوائد العشرة التي يجمعها اليوم تنساه سبعة أحرف منها
تنبيها على ذلك ولو استقريت الكلم وتراكيبها وجدت الحروف المتروكة من كل جنس مكثورة بالمذكورة ثم إنه ذكرها مفردة وثنائية
وثلاثية ورباعية وخماسية إيذانا بأن المتحدى به مركب من كلماتهم التي أصولها كلمات مفردة ومركبة من حرفين فصاعدا إلى الخمسة وذكر
ثلاث مفردات في ثلاث سور لأنها توجد في الأقسام الثلاثة الاسم والفعل والحرف وأربع ثنائيات لأنها تكون في الحرف بلا حذف كبل وفي الفعل
بحذف كقل وفي الاسم بغير حذف كمن وبه كدم في تسع سور لوقوعها في كل واحد من الأقسام الثلاثة على ثلاثة أوجه ففي الأسماء
من وإذ وذو وفي الأفعال قل وبع وخف وفي الحروف إن ومن ومذ على لغة من جر بها وثلاث ثلاثيات لمجيئها في الأقسام الثلاثة في
ثلاث عشرة سورة تنبيها على أن أصول الأبنية المستعملة ثلاثة عشر عشرة منها للأسماء وثلاثة للأفعال ورباعيتين وخماسيتين تنبيها على أن كل
منهما أصلا كجعفر وسفرجل وملحقا ككوثر وجحنفل ولعلها فرقت على السور ولم تعد بأجمعها في أول القرآن لهذه النكتة
مع ما فيه من إعادة التحدي وتكرير التنبيه والمبالغة فيه والمعنى أن هذا المتحدى به مؤلف من جنس هذه الحروف والمؤلف منها كذا وقيل هي
أسماء السور وعليه إطباق الأكثر سميت بها إشعارا بأنها كلمات معروفة التركيب فلو لم تكن وحيا من الله تعالى لم تتساقط مقدرتهم دون معارضتها واستدل
عليه بأنها لو لم تكن مفهمة كان الخطاب بها كالخطاب بالمهمل والتكلم بالزنجي مع العربي ولم يكن القرآن بأسره بيانا وهدى ولما أمكن التحدي به وإن كانت
مفهمة فإما أن يراد بها السور التي هي مستهلها على أنها ألقابها أو غير ذلك والثاني باطل لأنه إما أن يكون المراد ما وضعت له في لغة العرب وظاهر أنه
ليس كذلك أو غيره وهو باطل لأن القرآن نزل على لغتهم لقوله تعالى بلسان عربي مبين فلا يحمل على ما ليس في لغتهم لا يقال لم لا يجوز أن تكون مزيدة للتنبيه والدلالة
على انقطاع كلام واستئناف آخر كما قاله قطرب أو إشارة إلى كلمات هي منها اقتصرت عليها اقتصار الشاعر في قوله قلت لها قفي فقالت قاف كما روي
عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال الألف آلاء الله واللام لطفه والميم ملكه وعنه أن الر وحم ون مجموعها الرحمن وعنه أن الم معناه أنا
الله أعلم ونحو ذلك في سائر الفواتح وعنه أن الألف من الله واللام من جبريل والميم من محمد أي القرآن منزل من الله بلسان جبريل على محمد عليه السلام

بالم او السوره لتنكير الكتاب فانه خبر او صفته ... هو من الكتاب فكون صفه و
المراد به الكتاب الموعود انزاله بقوله تعالى انا سنلقي عليك قولا ثقيلا او في الكتب المتقدمة و
هو مصدر سمي به المفعول للمبالغة او فعال بني للمفعول كاللباس ثم اطلق على المنظوم عبارة قبل ان تكتب
لانه مما يكتب واصل الكتب الجمع ومنه الكتيبة لا ريب فيه معناه انه لوضوحه وسطوع برهانه بحيث لا يرتاب
العاقل بعد النظر الصحيح في كونه وحيا بالغا حد الاعجاز لا ان احدا لا يرتاب فيه الا ترى الى قوله تعالى وان كنتم
في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله فانه ما ابعد الريب عنهم بل عرفهم الطريق المزيح له وهو
ان يجتهدوا في معارضة نجم من نجومه ويبذلوا فيها غاية جهدهم حتى اذا عجزوا عنها تحقق لهم ان ليس
فيها مجال للشبهة ولا مدخل للريبة وقيل معناه لا ريب فيه للمتقين وهدى حال من الضمير المجرور
والعامل فيه الظرف الواقع صفة للمنفي والريب في الاصل مصدر رابني الشيء اذا حصل فيك الريبة و
هي قلق النفس واضطرابها سمي به الشك لانه يقلق النفس ويزيل الطمانينة وفي الحديث دع ما يريبك الى
ما لا يريبك فان الشك ريبة والصدق طمانينة ومنه ريب الزمان لنوائبه هدى للمتقين يهديهم الى
الحق والهدى في الاصل مصدر كالسرى والبكى وهو الدلالة الموصلة الى البغية لانه جعل مقابل الضلال
في قوله تعالى لعلى هدى او في ضلال مبين ولانه لا يقال مهدي الا لمن اهتدى الى المطلوب واختصاصه
بالمتقين لانهم المهتدون به والمنتفعون بنصه وان كانت دلالته عامة لكل ناظر من مسلم وكافر
وبهذا الاعتبار قال هدى للناس ولانه لا ينتفع بالتامل فيه الا من صقل العقل واستعمله في تدبر الآيات
والنظر في المعجزات وتعرف النبوات لانه كالغذاء الصالح لحفظ الصحة فانه لا يجلب نفعا ما لم تكن الصحة
حاصلة واليه اشار بقوله تعالى وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا
ولا يقدح ما فيه من المجمل والمتشابه في كونه هدى لما لم ينفك عن بيان تعين المراد منه والمتقي اسم فاعل
من قولهم وقاه فاتقى والوقاية فرط الصيانة وهو في عرف الشرع اسم لمن يقي نفسه عما يضره في الآخرة و
له ثلاث مراتب الاولى التوقي عن العذاب المخلد بالتبري عن الشرك وعليه قوله تعالى والزمهم كلمة
التقوى والثانية التجنب عن كل ما يؤثم من فعل او ترك حتى الصغائر عند قوم وهو المتعارف
باسم التقوى في الشرع وهو المعني بقوله تعالى ولو ان اهل القرى آمنوا واتقوا والثالثة ان يتنزه عما يشغل
سره عن الحق ويتبتل اليه بشراشره وهو التقوى الحقيقي المطلوب بقوله اتقوا الله حق تقاته وقد فسر قوله هدى
للمتقين على الاوجه الثلاثة واعلم ان الآية تحتمل اوجها من الاعراب ان يكون الم مبتدا على انه اسم للقرآن او السورة
او مقدر بالمؤلف منها وذلك خبره وان كان اخص من المؤلف مطلقا والاصل ان الاخص لا يحمل على الاعم لان المراد به
المؤلف الكامل في تاليفه البالغ اقصى درجات الفصاحة ومراتب البلاغة والكتاب صفة ذلك وان يكون
الم خبر مبتدا محذوف وذلك خبرا ثانيا او بدلا والكتاب صفته ولا ريب في المشهور مبني لتضمنه معنى

ثانيه من ايهام التجدد وحسن دخول الهمزة وام عليه لتقرير معنى الاستواء وتاكيده فانهما جردتا عن معنى الاستفهام
لمجرد الاستواء كما جردت حروف النداء عن الطلب لمجرد التخصيص في قولهم اللهم اغفر لنا ايتها العصابة والانذار
التخويف اريد به التخويف من عقاب الله وانما اقتصر عليه دون البشارة لانه اوقع في القلب واشد تاثيرا في النفس من
حيث ان دفع الضرر اهم من جلب النفع فاذا لم ينفع فيهم كانت البشارة بعدم النفع اولى وقرئ ءانذرتهم بتحقيق
الهمزتين وتخفيف الثانية بين بين وقلبها الفا وهو لحن لان المتحركة لا تقلب ولانه يؤدي الى
جمع الساكنين على غير حده وبتوسيط الف بينهما محققتين وبتوسيطها والثانية بين بين وبحذف
الاستفهامية وبحذفها والقاء حركتها على الساكن قبلها لا يؤمنون جملة مفسرة لاجمال ما قبلها
فيما فيه الاستواء فلا محل لها او حال مؤكدة او بدل عنه او خبر ان والجملة قبلها اعتراض بما هو
علة الحكم والآية مما احتج به من جوز تكليف ما لا يطاق فانه سبحانه اخبر عنهم بانهم لا يؤمنون وامرهم
بالايمان فلو آمنوا انقلب خبره كذبا وشمل ايمانهم الايمان بانهم لا يؤمنون فيجتمع الضدان والحق ان
التكليف بالممتنع لذاته وان جاز عقلا من حيث ان الاحكام لا تستدعي غرضا سيما الامتثال لكنه غير
واقع للاستقراء والاخبار بوقوع الشيء او عدمه لا ينفي القدرة عليه كاخباره تعالى عما يفعله هو او العبد
باختياره وفائدة الانذار بعد العلم بانه لا ينجع الزام الحجة وحيازة رسول الله صلعم فضل الابلاغ ولذلك قال
سواء عليهم ولم يقل سواء عليك كما قال لعبدة الاصنام سواء عليكم ادعوتموهم ام انتم صامتون وفي الآية
اخبار بالغيب على ما هو به ان اريد بالموصول اشخاص باعيانهم فهي من المعجزات ختم الله على قلوبهم
وعلى سمعهم وعلى ابصارهم غشاوة تعليل للحكم السابق وبيان ما يقتضيه والختم الكتم سمي به الاستيثاق
من الشيء بضرب الخاتم عليه لانه كتم له والبلوغ آخره نظرا الى انه آخر فعل يفعل في احرازه والغشاوة فعالة من غشاه اذا
غطاه بنيت لما يشتمل على الشيء كالعصابة والعمامة ولا ختم ولا تغشية على الحقيقة وانما المراد بهما ان يحدث
في نفوسهم هيئة تمرنهم على استحباب الكفر والمعاصي واستقباح الايمان والطاعات بسبب غيهم وانهماكهم في التقليد
واعراضهم عن النظر الصحيح فتجعل قلوبهم بحيث لا ينفذ فيها الحق واسماعهم تعاف استماعه فتصير كانها
مستوثق منها بالختم وابصارهم لا تجتلي الآيات المنصوبة في الانفس والآفاق كما تجتليها اعين المستبصرين
فتصير كانها غطي عليها وحيل بينها وبين الابصار وسماه على الاستعارة ختما وتغشية او مثل قلوبهم ومشاعرهم
المأوفة بها باشياء ضرب حجاب بينها وبين الاستنفاع بها ختما وتغطية وقد عبر عن احداث هذه الهيئة
بالطبع في قوله تعالى اولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وابصارهم وبالاغفال في قوله تعالى و
لا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا وبالاقساء في قوله تعالى وجعلنا قلوبهم قاسية وهي من حيث
ان الممكنات باسرها مستندة الى الله تعالى واقعة بقدرته اسندت اليه ومن حيث انها مسببة مما اقترفوه
بدليل قوله تعالى بل طبع الله عليها بكفرهم وقوله تعالى ذلك بانهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم وردت الآية

لما فيه من ايهام التجدد وحسن دخول الهمزة وام عليه لتقرير معنى الاستواء وتاكيده فانهما جردتا عن معنى الاستفهام
لمجرد الاستواء كما جردت حروف النداء عن الطلب لمجرد التخصيص في قولهم اللهم اغفر لنا ايتها العصابة والانذار
التخويف اريد به التخويف من عقاب الله وانما اقتصر عليه دون البشارة لانه اوقع في القلب واشد تاثيرا في النفس من
حيث ان دفع الضرر اهم من جلب النفع فاذا لم ينفع فيهم كانت البشارة بعدم النفع اولى وقرئ ءانذرتهم بتحقيق
الهمزتين وتخفيف الثانية بين بين وقلبها الفا وهو لحن لان المتحركة لا تقلب ولانه يؤدي الى
جمع الساكنين على غير حده وبتوسيط الف بينهما محققتين وبتوسيطها والثانية بين بين وبحذف
الاستفهامية وبحذفها والقاء حركتها على الساكن قبلها لا يؤمنون جملة مفسرة لاجمال ما قبلها
فيما فيه الاستواء فلا محل لها او حال مؤكدة او بدل عنه او خبر ان والجملة قبلها اعتراض بما هو
علة الحكم والآية مما احتج به من جوز تكليف ما لا يطاق فانه سبحانه اخبر عنهم بانهم لا يؤمنون وامرهم
بالايمان فلو آمنوا انقلب خبره كذبا وشمل ايمانهم الايمان بانهم لا يؤمنون فيجتمع الضدان والحق ان
التكليف بالممتنع لذاته وان جاز عقلا من حيث ان الاحكام لا تستدعي غرضا سيما الامتثال لكنه غير
واقع للاستقراء والاخبار بوقوع الشيء او عدمه لا ينفي القدرة عليه كاخباره تعالى عما يفعله هو او العبد
باختياره وفائدة الانذار بعد العلم بانه لا ينجع الزام الحجة وحيازة رسول الله صلعم فضل الابلاغ ولذلك قال
سواء عليهم ولم يقل سواء عليك كما قال لعبدة الاصنام سواء عليكم ادعوتموهم ام انتم صامتون وفي الآية
اخبار بالغيب على ما هو به ان اريد بالموصول اشخاص باعيانهم فهي من المعجزات ختم الله على قلوبهم
وعلى سمعهم وعلى ابصارهم غشاوة تعليل للحكم السابق وبيان ما يقتضيه والختم الكتم سمي به الاستيثاق
من الشيء بضرب الخاتم عليه لانه كتم له والبلوغ آخره نظرا الى انه آخر فعل يفعل في احرازه والغشاوة فعالة من غشاه اذا
غطاه بنيت لما يشتمل على الشيء كالعصابة والعمامة ولا ختم ولا تغشية على الحقيقة وانما المراد بهما ان يحدث
في نفوسهم هيئة تمرنهم على استحباب الكفر والمعاصي واستقباح الايمان والطاعات بسبب غيهم وانهماكهم في التقليد
واعراضهم عن النظر الصحيح فتجعل قلوبهم بحيث لا ينفذ فيها الحق واسماعهم تعاف استماعه فتصير كانها
مستوثق منها بالختم وابصارهم لا تجتلي الآيات المنصوبة في الانفس والآفاق كما تجتليها اعين المستبصرين
فتصير كانها غطي عليها وحيل بينها وبين الابصار وسماه على الاستعارة ختما وتغشية او مثل قلوبهم ومشاعرهم
المؤوفة باشياء ضرب حجاب بينها وبين الاستنفاع بها ختما وتغطية وقد عبر عن احداث هذه الهيئة
بالطبع في قوله تعالى اولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وابصارهم وبالاغفال في قوله تعالى و
لا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا وبالاقساء في قوله تعالى وجعلنا قلوبهم قاسية وهي من حيث
ان الممكنات باسرها مستندة الى الله تعالى واقعة بقدرته اسندت اليه ومن حيث انها مسببة مما اقترفوه
بدليل قوله تعالى بل طبع الله عليها بكفرهم وقوله تعالى ذلك بانهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم وردت الآية

الضعيف فكما ان الحقير دون الصغير والعظيم فوق الكبير ومعنى التوصيف به انه اذا قيس بسائر ما يجانسه
قصر عنه جميعه وحقر بالاضافة اليه ومعنى التنكير في الآية ان على ابصارهم غشاوة ليس مما يتعارفه الناس
وهو التعامي عن الآيات ولهم من الآلام العظام نوع عظيم لا يعلم كنهه الا الله ﴿ومن الناس من يقول آمنا بالله و
باليوم الآخر﴾ لما افتتح سبحانه بشرح حال الكتاب العظيم وساق لبيانه ذكر المؤمنين الذين اخلصوا دينهم لله وواطأت
فيه قلوبهم ألسنتهم وثنى باضدادهم الذين محضوا الكفر ظاهرا وباطنا ولم يلتفتوا لفتة رأسا ثلث بالقسم
الثالث المذبذب بين القسمين وهم الذين آمنوا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم تكميلا للتقسيم وهم
اخبث الكفرة وابغضهم الى الله لانهم موهوا الكفر وخلطوا به خداعا واستهزاء ولذلك طول في بيان
خبثهم وجهلهم واستهزأ بهم وتهكم بافعالهم وسجل على عمههم وطغيانهم وضرب لهم الامثال وانزل فيهم ان المنافقين في
الدرك الاسفل من النار وقصتهم عن آخرها معطوفة على قصة المصرين والناس اصله اناس لقولهم انسان وانس واناسي فحذفت
الهمزة حذفها في لوقة وعوض عنها حرف التعريف ولذلك لا يكاد يجمع بينهما وقوله ان المنايا يطلعن على الاناس الآمنينا
شاذ وهو اسم جمع كرجال اذ لم يثبت فعال في ابنية الجمع ماخوذ من انس لانهم يستأنسون بامثالهم او آنس لانهم
ظاهرون مبصرون ولذلك سموا بشرا كما سمي الجن جنا لاجتنانهم واللام فيه للجنس ومن موصوفة اذ لا عهد فكأنه قال
ومن الناس ناس يقولون او للعهد والمعهود هم الذين كفروا ومن موصولة مراد بها ابن ابي واصحابه ونظراؤه فانهم
من حيث انهم صمموا على النفاق دخلوا في عداد الكفار المختوم على قلوبهم واختصاصهم بزيادة زادوها على الكفر
لا يأبى دخولهم تحت هذا الجنس فان الاجناس انما تتنوع بزيادات يختلف فيها ابعاضها فعلى هذا تكون الآية تقسيما للقسم
الثاني واختصاص الايمان بالله وباليوم الآخر بالذكر تخصيص لما هو المقصود الاعظم من الايمان وادعاء بانهم حازوا
الايمان من جانبيه واحاطوا بقطريه وايذان بانهم منافقون فيما يظنون انهم مخلصون فيه فكيف بما يقصدون به النفاق
لان القوم كانوا يهودا وكانوا يؤمنون بالله وباليوم الآخر ايمانا كلا ايمان لاعتقادهم التشبيه واتخاذ الولد و
ان الجنة لا يدخلها غيرهم وان النار لن تمسهم الا اياما معدودة وغيرها ويرون المؤمنين انهم آمنوا مثل
ايمانهم وبيان لتضاعف خبثهم وافراطهم في كفرهم لان ما قالوه لو صدر عنهم لا على وجه الخداع والنفاق و
عقيدتهم عقيدتهم لم يكن ايمانا فكيف وقد قالوه تمويها على المسلمين وتهكما بهم وفي تكرير الباء ادعاء الايمان بكل
واحد على الاصالة والاستحكام والقول هو التلفظ بما يفيد ويقال بمعنى المقول وللمعنى المتصور في النفس المعبر
عنه باللفظ وللرأي والمذهب مجازا والمراد باليوم الآخر من وقت الحشر الى ما لا ينتهي او الى ان يدخل اهل الجنة
الجنة واهل النار النار لانه آخر الاوقات المحدودة ﴿وما هم بمؤمنين﴾ انكار ما ادعوه ونفي ما انتحلوا اثباته وكان
اصله وما آمنوا ليطابق قولهم في التصريح بشأن الفعل دون الفاعل لكنه عكس تأكيدا ومبالغة في التكذيب
لان اخراج ذواتهم من عداد المؤمنين ابلغ من نفي الايمان عنهم في ماضي الزمان ولذلك اكد النفي بالباء واطلق
الايمان على معنى انهم ليسوا من الايمان في شيء ويحتمل ان يقيد بما قيدوا به لانه جوابه والآية تدل على ان من ادعى

لانها مانعة عن نيل الفضائل او مؤدية الى زوال الحيوة الحقيقية الابدية والاية تحتملهما فان قلوبهم كانت
متألمة تحرقا على ما فات عنهم من الرياسة وحسدا على ما يرون من ثبات امر الرسول صلى الله عليه وسلم
واستعلاء شانه يوما فيوما وزاد الله غمهم بما زاد في اعلاء امره واشادة ذكره ونفوسهم كانت مؤفة
بالكفر وسوء الاعتقاد ومعاداة النبي صلى الله عليه وسلم ونحوها فزاد الله ذلك بالطبع او بازدياد
التكاليف وتكرير الوحي وتضاعف النصر وكان اسناد الزيادة الى الله تعالى من حيث انه مسبب من فعله
واسنادها الى السورة في قوله تعالى فزادتهم رجسا لكونها سببا ويحتمل ان يراد بالمرض ما تداخل قلوبهم
من الجبن والخور حين شاهدوا شوكة المسلمين وامداد الله لهم بالملائكة وقذف الرعب في قلوبهم و
بزيادته تضعيفه بما زاد لرسوله صلى الله عليه وسلم نصرة على الاعداء وتبسطا في البلاد ولهم عذاب
اليم اي مؤلم يقال الم فهو اليم كوجع فهو وجيع وصف به العذاب للمبالغة كقوله تحية بينهم ضرب وجيع
على طريقة قولهم جد جده بما كانوا يكذبون قراها عاصم وحمزة والكسائي والمعنى بسبب كذبهم او ببدله جزاء لهم وهو
قولهم آمنا وقرا الباقون يكذبون من كذبه لانهم كانوا يكذبون الرسول بقلوبهم واذا خلوا الى شياطينهم او من
كذب الذي هو للمبالغة او التكثير مثل بين الشيء وموتت البهائم او من كذب الوحشي اذا جرى شوطا ووقف لينظر ما
وراءه فان المنافق متحير متردد والكذب هو الخبر عن الشيء على خلاف ما هو به وهو حرام كله لانه علل به استحقاق العذاب
حيث رتب عليه وما روي ان ابراهيم عليه السلام كذب ثلث كذبات فالمراد التعريض ولكن لما شابه الكذب في صورته
سمي به واذا قيل لهم لا تفسدوا في الارض عطف على يكذبون او يقول وما روي عن سلمان ان اهل هذه الاية لم ياتوا
بعد فلعله اراد به ان اهله ليس الذين كانوا فقط بل وسيكون من بعد من حاله حالهم لان الاية متصلة بما قبلها
بالضمير الذي فيها والفساد خروج الشيء عن الاعتدال والصلاح ضده وكلاهما يعمان كل ضار ونافع وكان من
فسادهم في الارض هيج الحروب والفتن بمخادعة المسلمين وممالاة الكفار عليهم بافشاء الاسرار اليهم فان
ذلك يؤدي الى فساد ما في الارض من الناس والدواب والحرث ومنه اظهار المعاصي والاهانة بالدين
فان الاخلال بالشرائع والاعراض عنها مما يوجب الهرج والمرج ويخل بنظام العالم والقائل هو الله تعالى او الرسول
او بعض المؤمنين وقرا الكسائي وهشام قيل باشمام الضم الاول قالوا انما نحن مصلحون جواب لاذا ورد
للناصح على سبيل المبالغة والمعنى انه لا يصح مخاطبتنا بذلك فان شاننا ليس الا الاصلاح وان حالنا متمحضة عن
شوائب الفساد لان انما يفيد قصر ما دخله على ما بعده مثل انما زيد منطلق وانما ينطلق زيد وانما قالوا ذلك لانهم
تصوروا الفساد بصورة الصلاح لما في قلوبهم من المرض كما قال تعالى افمن زين له سوء عمله فرآه حسنا الا
انهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون رد لما ادعوه ابلغ رد للاستيناف به وتصديره بحرفي التاكيد الا المنبهة على
تحقق ما بعدها فان همزة الاستفهام التي للانكار اذا دخلت على النفي افادت تحقيقا ونظيره اليس ذلك
بقادر ولذلك لا تكاد تقع الجملة بعدها الا مصدرة بما يتلقى به القسم واختها اما التي هي من طلائع القسم

اى فى الدين والاعتقاد خاطبوا المؤمنين بالجملة الفعلية والشياطين بالجملة الاسمية المؤكدة بان لانهم قصدوا بالاولى
دعوى احداث الايمان وبالثانية تحقيق ثباتهم على ما كانوا عليه ولانه لم يكن لهم باعث من عقيدة وصدق
رغبة فيما خاطبوا به المؤمنين ولا توقع رواج ادعاء الكمال فى الايمان على المؤمنين من المهاجرين والانصار بخلاف ما
قالوا مع الكفار انما نحن مستهزؤن تأكيد لما قبله لان المستهزئ بالشئ المستخف به مصر على خلافه او بدل منه
لان من حقر الاسلام فقد عظم الكفر او استيناف فكان الشياطين قالوا لهم لما قالوا انا معكم ان صح ذلك فما لكم توافقون
المؤمنين وتدعون الايمان فاجابوا بذلك والاستهزاء السخرية والاستخفاف يقال هزأت واستهزأت بمعنى كاجبت و
استجبت واصله الخفة من الهزء وهو القتل السريع يقال هزأ فلان اذا مات على مكانه وناقته تهزأ به اى تسرع وتخف
الله يستهزئ بهم يجازيهم على استهزائهم سمى جزاء الاستهزاء باسمه كما سمى جزاء السيئة سيئة اما لمقابلة اللفظ باللفظ او لكونه
مماثلا له فى القدر او يرجع وبال الاستهزاء عليهم فيكون كالمستهزئ بهم او ينزل بهم الحقارة والهوان الذى هو لازم الاستهزاء
والغرض منه او يعاملهم معاملة المستهزئ اما فى الدنيا فباجراء احكام المسلمين عليهم واستدراجهم بالامهال و
الزيادة فى النعمة على التمادى فى الطغيان واما فى الاخرة فبان يفتح لهم وهم فى النار بابا الى الجنة فيسرعون نحوه
فاذا صاروا اليه سد عليهم الباب وذلك قوله تعالى فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون وانما استؤنف به
ولم يعطف ليدل على ان الله تعالى تولى مجازاتهم ولم يحوج المؤمنين ان يعارضوهم وان استهزاءهم لا يؤبه به فى
مقابلة ما يفعل الله بهم ولعله لم يقل الله مستهزئ بهم ليطابق قولهم ايماء بان الاستهزاء يحدث حالا فحالا ويتجدد
حينا فحينا وهكذا كانت نكايات الله فيهم كما قال اولا يرون انهم يفتنون فى كل عام مرة او مرتين ويمدهم فى
طغيانهم يعمهون من مد الجيش وامده اذا زاده وقواه ومنه مددت السراج والارض اذا اصلحتهما بالزيت والسماد
لا من المد فى العمر فانه يعدى باللام كاملى له ويدل عليه قراءة ابن كثير ويمدهم والمعتزلة لما تعذر عليهم اجراء الكلام على ظاهره
قالوا لما منعهم الله الطافه التى يمنحها المؤمنين وخذلهم بسبب كفرهم واصرارهم وسدهم طرق التوفيق على انفسهم فتزايدت بسببه
قلوبهم رينا وظلمة تزايد قلوب المؤمنين انشراحا ونورا او مكن الشيطان من اغوائهم فزادهم طغيانا اسند ذلك الى الله
اسناد الفعل الى المسبب واضاف الطغيان اليهم لئلا يتوهم ان اسناد الفعل اليه على الحقيقة ومصداق ذلك انه لما
اسند المد الى الشياطين اطلق الغى وقال واخوانهم يمدونهم فى الغى وقيل اصله يمد لهم بمعنى يملى لهم ويمد فى اعمارهم كى ينتبهوا و
يطيعوا فما زادوا الا طغيانا وعمها فحذفت اللام وعدى الفعل بنفسه كما فى قوله تعالى واختار موسى قومه او التقدير يمدهم
استصلاحا وهم مع ذلك يعمهون فى طغيانهم والطغيان بالضم والكسر كلقيان ولقيان تجاوز الحد فى العتو والغلو فى
الكفر واصله تجاوز الشئ عن مكانه قال تعالى انا لما طغى الماء حملناكم والعمه فى البصيرة كالعمى فى البصر وهو التحير فى
الامر يقال رجل عامه وعمه وارض عمهاء لا منار بها قال اعمى الهدى بالجاهلين العمه اولئك الذين اشتروا الضلالة
بالهدى اختاروها عليه واستبدلوها به واصله بذل الثمن لتحصيل ما يطلب من الاعيان فان كان احد
العوضين ناضا تعين من حيث انه لا يطلب لعينه ان يكون ثمنا وبذله اشتراء والا فاى العوضين تصورته بصورة الثمن

مستوقد كانت ناره او بتلك من جملة التمثيل على سبيل البيان والضمير على الوجهين للمنافقين و
الجواب محذوف كما في قوله تعالى فلما ذهبوا به للايجاز فامن الا لباس واسناد الاذهاب الى الله تعالى
اما لان الكل بفعله واما لان الاطفاء حصل بسبب خفي او امر سماوي كريح او مطر او للمبالغة ولذلك عدى
الفعل بالباء دون الهمزة لما فيها من معنى الاستصحاب والاستمساك يقال ذهب السلطان بماله اذا اخذه
وما اخذه الله وامسكه فلا مرسل له ولذلك عدل عن الضوء الذي هو مقتضى اللفظ الى النور فانه لو قيل
ذهب الله بضوئهم احتمل ذهابه بما في الضوء من الزيادة وبقاء ما يسمى نورا والغرض ازالة النور عنهم
الا ترى كيف قرر ذلك واكده بقوله وتركهم في ظلمات لا يبصرون فذكر الظلمة التي هي عدم النور وانطماسه
بالكلية وجمعها ونكرها ووصفها بانها ظلمة خالصة لا يتراءى فيها شبحان وترك في الاصل بمعنى طرح وخلى وله
مفعول واحد فضمن معنى صير فجرى مجرى افعال القلوب كقوله وتركهم في ظلمات وقول **الشاعر** فتركته
جزر السباع ينشنه * والظلمة ماخوذة من قولهم ما ظلمك ان تفعل كذا اي ما منعك لانها تسد البصر وتمنع الرؤية
وظلماتهم ظلمة الكفر وظلمة النفاق وظلمة يوم القيمة يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين ايديهم
وبايمانهم او ظلمة الضلال وظلمة سخط الله تعالى وظلمة العقاب السرمد او ظلمة شديدة كانها ظلمات
متراكمة ومفعول لا يبصرون من قبيل المطروح المتروك فكان الفعل غير متعد والاية مثل ضربه الله لمن
اتاه ضربا من الهدى فاضاعه ولم يتوصل به الى نعيم الابد فبقي متحيرا متحسرا تقريرا وتوضيحا لما تضمنه الاية
الاولى ويدخل تحت عمومه هؤلاء المنافقون فانهم اضاعوا ما نطقت به السنتهم من الحق باستبطان الكفر
واظهاره حين خلوا الى شياطينهم ومن آثر الضلالة على الهدى المجعول له بالفطرة او ارتد عن دينه بعد ما امن ومن
صح له احوال الارادة فادعى احوال المحبة فاذهب الله عنه ما اشرق عليه من نور الارادة او مثل لايمانهم من حيث انه
يعود عليهم بحقن الدماء وسلامة الاموال والاولاد ومشاركة المسلمين في المغانم والاحكام بالنار الموقدة
للاستضاءة ولذهاب اثره وانطماس نوره باهلاكهم وافشاء حالهم باطفاء الله تعالى اياها واذهاب نورها صم بكم عمي
لما سدوا مسامعهم عن الاصاخة الى الحق وابوا ان ينطقوا به السنتهم ويتبصروا الايات بابصارهم جعلوا كانما
ايفت مشاعرهم وانتفت قواهم **كقوله** صم اذا سمعوا خيرا ذكرت به * وان ذكرت بسوء عندهم اذنوا *
وقوله اصم عن الشيء الذي لا اريده * واسمع خلق الله حين اريد * واطلاقها عليهم على طريقة التمثيل لا الاستعارة
اذ من شرطها ان يطوى ذكر المستعار له بحيث يمكن حمل الكلام على المستعار منه لولا القرينة **كقول زهير**
لدى اسد شاكي السلاح مقذف * له لبد اظفاره لم تقلم * ومن ثم ترى المفلقين السحرة يضربون عن توهم التشبيه
صفحا كما قال **ابو تمام** ويصعد حتى يظن الجهول * بان له حاجة في السماء * وههنا وان طوى ذكره بحذف المبتدأ
لكنه في حكم المنطوق به ونظيره * اسد علي وفي الحروب نعامة * فتخاء تنفر من صفير الصافر * هذا اذا جعلت
الضمير للمنافقين على ان الاية فذلكة التمثيل ونتيجته وان جعلته للمستوقدين فهي على حقيقتها

من الصواعق لاستواء كلا البنائين في التصرف يقال صقع الديك وخطيب مصقع وصقعته الصاقعة وهي
في الاصل اما صفة لقصفة الرعد او للرعد والتاء للمبالغة كما في الراوية او مصدر كالعافية والكاذبة حذر
الموت نصب على العلة كقوله واغفر عوراء الكريم ادخاره . والموت زوال الحيوة وقيل عرض يضادها
لقوله تع خلق الموت والحيوة ورد بان الخلق بمعنى التقدير والاعدام مقدرة والله محيط بالكافرين
لا يفوتونه كما لا يفوت المحاط به المحيط لا يخلصهم الخداع والحيل والجملة اعتراضية لا محل لها يكاد
البرق يخطف ابصارهم استيناف ثان كانه جواب لمن يقول ما حالهم مع تلك الصواعق وكاد من
افعال المقاربة وضعت لمقاربة الخبر من الوجود لعروض سببه لكنه لم يوجد اما لفقد شرط او لعروض
مانع وعسى موضوعة لرجائه فهي خبر محض ولذلك جاءت متصرفة بخلاف عسى وخبرها مشروط فيه
ان يكون فعلا مضارعا تنبيها على انه المقصود بالقرب من غير ان يؤكد القرب بان لدلالة على الحال وقد
تدخل عليه حملا لها على عسى كما تحمل عليها بالحذف عن خبرها لمشاركتهما في اصل معنى المقاربة والخطف
الاخذ بسرعة وقرئ يخطِف بكسر الطاء ويخَطِّف على انه يختطف فنقلت فتحة التاء الى الخاء ثم ادغمت
في الطاء ويخِطِّف بكسر الخاء لالتقاء الساكنين واتباع الياء لها ويتخطف كلما اضاء لهم مشوا فيه واذا
اظلم عليهم قاموا استيناف ثالث كانه قيل ما يفعلون في تارتي خفوق البرق وخفيته وحيث
واضاء اما متعد والمفعول محذوف بمعنى كلما نور لهم ممشى اخذوه او لازم بمعنى كلما لمع لهم مشوا في
مطرح نوره وكذلك اظلم فانه جاء متعديا منقولا من ظلم الليل ويشهد له قراءة اظلم على البناء
للمفعول وقول ابي تمام هما اظلما حالي ثمت اجليا ظلاميهما عن وجه امرد اشيب فانه وان كان من المحدثين
لكنه من علماء العربية فلا يبعد ان يجعل ما يقوله بمنزلة ما يرويه وانما قال مع الاضاءة كلما ومع الاظلام
اذا لانهم حراص على المشي فكلما صادفوا منه فرصة انتهزوها ولا كذلك التوقف ومعنى قاموا وقفوا
ومنه قامت السوق اذا ركدت وقام الماء اذا جمد ولو شاء الله لذهب بسمعهم وابصارهم اي لو شاء ان يذهب
بسمعهم بقصيف الرعد وابصارهم بوميض البرق لذهب بهما فحذف المفعول لدلالة الجواب عليه ولقد
تكاثر حذفه في شاء واراد حتى لا يكاد يذكر الا في الشيء المستغرب كقوله ع فلو شئت ان ابكي دما لبكيته ولو من حروف
الشرط وظاهرها الدلالة على انتفاء الاول لانتفاء الثاني ضرورة انتفاء الملزوم عند انتفاء لازمه وقرئ لاذهب
باسماعهم بزيادة الباء كقوله تع ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة وفائدة هذه الشرطية ابداء المانع لذهاب
سمعهم وابصارهم مع قيام ما يقتضيه والتنبيه على ان تاثير الاسباب في مسبباتها مشروط بمشية الله تعالى وان
وجودها مرتبطا باسبابها واقع بقدرته وقوله ان الله على كل شيء قدير كالتصريح به والتقرير له والشيء يختص
بالموجود لانه في الاصل مصدر شاء اطلق بمعنى شاء تارة وح يتناول الباري تع كما قال قل اي شيء اكبر شهادة قل الله
مشيء اي مشيء وجوده وما شاء الله وجوده فهو موجود في الجملة وعليه قوله ان الله على كل شيء قدير والله خالق كل

الى الحظوظ العاجلة وسدّوها عن الفوائد الآجلة ولو شاء الله لجعلهم بالحالة التي يجعلون بها فانه على
ما يشاء قدير يا ايها الناس اعبدوا ربكم لما عدّد فرق المكلفين وذكر خواصهم ومصارف امورهم
اقبل عليهم بالخطاب على سبيل الالتفات هزًّا للسامع وتنشيطا له واهتماما بامر العبادة وتفخيما لشانها وجبرا
لكلفة العبادة بلذة المخاطبة ويا حرف وضع لنداء البعيد وقد ينادى به القريب تنزيلا له منزلة البعيد
اما لعظمته كقول الداعي يا رب ويا الله وهو اقرب اليه من حبل الوريد او لغفلته وسوء فهمه او للاعتناء بالمدعو
له وزيادة الحث عليه وهو مع المنادى جملة مفيدة لانه نائب مناب فعل واي جعل وصلة الى نداء المعرف باللام
فان ادخال يا عليه متعذر لتعذر الجمع بين حرفي التعريف فانهما كمثلين واعطي حكم المنادى واجري عليه
المقصود بالنداء وصفا موضحا له والتزم رفعه اشعارا بانه المقصود واقحمت بينهما هاء التنبيه تاكيدا وتعويضا عما
يستحقه اي من المضاف اليه وانما كثر النداء على هذه الطريقة في القرآن لاستقلاله باوجه من التاكيد وكل ما نادى
الله له عباده من حيث انها امور عظام من حقها ان يتفطنوا لها ويقبلوا بقلوبهم عليها واكثرهم عنها غافلون
حقيق بان ينادى له بالآكد الابلغ والجموع واسماؤها المحلاة باللام للعموم حيث لا عهد ويدل عليه
صحة الاستثناء منها والتوكيد بما يفيد العموم كقوله تعالى فسجد الملائكة كلهم اجمعون واستدلال الصحابة
بعمومها شائعا ذائعا فالناس يعم الموجودين وقت النزول لفظا ومن سيوجد معنى لما تواتر من دينه عليه السلام
ان مقتضى خطابه واحكامه شامل للقبيلتين ثابت الى قيام الساعة الا ما خصه الدليل وما روي عن علقمة والحسن
كل شيء نزل فيه يا ايها الناس فمكي ويا ايها الذين آمنوا فمدني ان صح رفعه فلا يوجب تخصيصه بالكفار ولا امرهم
بالعبادة فان المامور به هو المشترك بين بدء العبادة والزيادة فيها والمواظبة عليها فالمطلوب من الكفار
هو الشروع فيها بعد الاتيان بما يجب تقديمه من المعرفة والاقرار بالصانع فان من لوازم وجوب الشيء وجوب
ما لا يتم الا به وكما ان الحدث لا يمنع وجوب الصلوة فالكفر لا يمنع وجوب العبادة بل يجب رفعه والاشتغال
بها عقيبه ومن المؤمنين ازديادهم وثباتهم عليها وانما قال ربكم تنبيها على ان الموجب للعبادة هو التربية
الذي خلقكم صفة جرت عليه للتعظيم والتعليل ويحتمل التقييد والتوضيح ان خص الخطاب بالمشركين و
اريد بالرب اعم من الرب الحقيقي والآلهة التي يسمونها اربابا والخلق ايجاد الشيء على تقدير واستواء واصله التقدير
يقال خلق النعل اذا قدرها وسواها بالمقياس والذين من قبلكم متناول كل ما يتقدم الانسان بالذات او
بالزمان منصوب معطوف على الضمير المنصوب في خلقكم والجملة اخرجت مخرج المقرر عندهم اما لاعترافهم به كما قال ولئن
سألتهم من خلقهم ليقولن الله ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله او لتمكنهم من العلم به بادنى نظر و
قرئ من قبلكم على اقحام الموصول الثاني بين الاول وصلته تاكيدا كما اقحم جرير في قوله يا تيم تيم عدي لا ابا لكم تيما الثاني
بين الاول وما اضيف اليه لعلكم تتقون حال من الضمير في اعبدوا كانه قال اعبدوا ربكم راجين ان تنخرطوا
في سلك المتقين الفائزين بالهدى والفلاح المستوجبين لجوار الله تعالى

كقوله تعالى كم تركوا من جنات وقوله ثلثة قروء او لانها لما كانت محلاة باللام خرجت عن حد
القلة ونكر صفة رزقا ان اريد به المرزوق ومفعوله ان اريد به المصدر كانه قال رزقا اياكم
فلا تجعلوا لله اندادا متعلق باعبدوا على انه نهي معطوف عليه او نفي منصوب باضمار ان جواب له
او بلعل على نصب فاطلع في قوله تعالى لعلي ابلغ الاسباب اسباب السموات فاطلع الحاقا
لها بالاشياء الستة لاشتراكها في انها غير موجبة والمعنى ان تتقوا لا تجعلوا له اندادا او بالذي جعل ان
استؤنف به على انه نفي وقع خبرا على تاويل مقول فيه لا تجعلوا والفاء للسببية ادخلت عليه لتضمن المبتدأ
معنى الشرط والمعنى ان من خصكم بهذه النعم الجسام والآيات العظام ينبغي ان لا يشرك به والند المثل المناوي قال
جرير شعر اتيما تجعلون الي ندا وما تيم لذي حسب نديد من ند ندودا اذا نفر وناددت الرجل خالفته خص
بالمخالف المماثل في الذات كما خص المساوي بالمماثل في القدر وتسمية ما يعبد المشركون من دون الله اندادا وما
زعموا انها تساويه في ذاته وصفاته ولا انها تخالفه في افعاله لانهم لما تركوا عبادته الى عبادتها وسموها
آلهة شابهت حالهم حال من يعتقد انها ذوات واجبة بالذات قادرة على ان تدفع عنهم بأس الله وتمنحهم
ما لم يرد الله بهم من خير فتهكم بهم وشنع عليهم بان جعلوا اندادا لمن يمتنع ان يكون له ند ولهذا قال موحد الجاهلية
زيد بن عمرو بن نفيل اربا واحدا ام الف رب ادين اذا تقسمت الامور تركت اللات والعزى جميعا كذلك يفعل
الرجل البصير وانتم تعلمون حال من ضمير فلا تجعلوا ومفعول تعلمون مطروح اي وحالكم انكم من اهل
العلم والنظر واصابة الرأي فلو تاملتم ادنى تامل اضطر عقلكم الى اثبات موجد للممكنات منفرد بوجوب الذات
متعال عن مشابهة المخلوقات او منوي وهو انها لا تماثله ولا تقدر على مثل ما يفعله كقوله تعالى هل من شركائكم من
يفعل من ذلكم من شيء وعلى هذا فالمقصود منه التوبيخ والتثريب لا تقييد الحكم وقصره عليه فان العالم والجاهل
المتمكن من العلم سواء في التكليف واعلم ان مضمون الآيتين هو الامر بعبادة الله تعالى والنهي عن الاشراك به والاشارة الى
ما هو العلة والمقتضي وبيانه انه رتب الامر بالعبادة على صفة الربوبية اشعارا بانها العلة لوجوبها ثم بين ربوبيته
بانه خالقهم وخالق اصولهم وما يحتاجون اليه في معاشهم من المقلة والمظلة والمطاعم والملابس فان الثمرة
من المطعوم والملبوس والرزق اعم من الماكول والمشروب ثم لما كانت هذه امور لا يقدر عليها غيره
شاهدة على وحدانيته رتب عليها النهي عن الاشراك به ولعله سبحانه وتعالى اراد من الآية الاخيرة مع ما دل
عليه الظاهر وسيق فيه الكلام الاشارة الى تفصيل خلق الانسان وما افاض عليه من المعاني والصفات على طريق
التمثيل فمثل البدن بالارض والنفس بالسماء والعقل بالماء وما افاض عليه من الفضائل العملية والنظرية المحصلة
بواسطة استعمال العقل للحواس وازدواج القوى النفسانية والبدنية بالثمرات المتولدة من ازدواج
القوى السماوية الفاعلة والارضية المنفعلة بقدرة الفاعل المختار فان لكل آية ظهرا وبطنا ولكل حد
مطلعا وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله

يريد دون عمرو أي في الشرف ومنه الشيء الدون ثم استعير فيه وستعمل في كل تجاوز حد إلى حد وتخطي أمر إلى آخر

قال الله تعالى لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أي لا يتجاوزوا ولاية المؤمنين إلى ولاية الكافرين

وقال أمية يا نفس ما لك دون الله من واق أي إذا تجاوزت وقاية الله فلا يقيك غيره ومن متعلقة

بادعوا والمعنى وادعوا إلى المعارضة من حضركم أو رجوتم معونته من إنسكم وجنكم وآلهتكم غير الله فإنه لا يقدر

على أن يأتي بمثله إلا الله أو ادعوا من دون الله شهداء يشهدون لكم بأن ما أتيتم به مثله ولا تستشهدوا بالله فإنه

من ديدن المبهوت العاجز عن إقامة الحجة أو شهداءكم الذين اتخذتموهم من دون الله أولياء أو آلهة وزعمتم أنها

تشهد لكم يوم القيامة أو الذين يشهدون لكم بين يدي الله على زعمكم من قول الأعشى * تريك القذى

من دونها وهي دونه * ليعينوكم وفي أمرهم أن يستظهروا بالجماد في معارضة القرآن غاية التبكيت والتهكم بهم وقيل

من دون الله أي من دون أوليائه يعني فصحاء العرب ووجوه المشاهد ليشهدوا لكم أن ما أتيتم به مثله

فإن العاقل لا يرضى لنفسه أن يشهد بصحة ما اتضح فساده وبان اختلاله إن كنتم صادقين أنه من كلام

البشر وجوابه محذوف دل عليه ما قبله والصدق الإخبار المطابق وقيل مع اعتقاد المخبر أنه كذلك عن أمارة

لأنه تعالى كذب المنافقين في قولهم إنك لرسول الله لما لم يعتقدوا مطابقته ورد بصرف التكذيب إلى قولهم نشهد لأن

الشهادة إخبار عما علمه وهم ما كانوا عالمين به فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة

لما بين لهم ما يتعرفون به أمر الرسول عليه الصلوة والسلام وما جاء به وميز لهم الحق عن الباطل رتب عليه ما هو

كالفذلكة له وهو أنكم إذا اجتهدتم في معارضته وعجزتم جميعا عن الإتيان بما يساويه أو يدانيه ظهر أنه معجز و

التصديق به واجب فآمنوا به واتقوا العذاب المعد لمن كذب فعبر عن الإتيان المكيف بالفعل الذي يعم الإتيان وغيره

إيجازا ونزل لازم الجزاء منزلته على سبيل الكناية تقريرا للمكنى عنه وتهويلا لشأن العناد وتصريحا بالوعيد مع الإيجاز

وصدر الشرطية بإن التي للشك والحال يقتضي إذا الذي للوجوب فإن القائل سبحانه لم يكن شاكا في عجزهم ولذلك نفى إتيانهم

معترضا بين الشرط والجزاء تهكما بهم أو خطابا معهم على حسب ظنهم فإن العجز قبل التأمل لم يكن محققا عندهم وتفعلوا جزم بلم

لأنها واجبة الإعمال مختصة بالمضارع متصلة بالمعمول ولأنها لما صيرته ماضيا صارت كالجزء منه وحرف الشرط كالداخل على المجموع

فكأنه قال فإن تركتم الفعل ولذلك ساغ اجتماعهما ولن كلا في نفي المستقبل غير أنه أبلغ وهو حرف مقتضب عند سيبويه والخليل

في إحدى الروايتين عنه وفي الرواية الأخرى أصله لا أن وعند الفراء لا فأبدلت الألف نونا والوقود بالفتح ما توقد به النار

وبالضم المصدر وقد جاء المصدر بالفتح قال سيبويه وسمعنا من يقول وقدت النار وقودا عاليا والاسم

بالضم ولعله مصدر سمي به كما قيل فلان فخر قومه وزين بلده وقد قرئ به والظاهر أن المراد به الاسم وإن أريد

به المصدر فعلى حذف مضاف أي وقودها احتراق الناس والحجارة وهي جمع حجر كجمالة جمع جمل وهو قليل غير

منقاس والمراد بها الأصنام التي نحتوها وقرنوا بها أنفسهم وعبدوها طمعا في شفاعتها والانتفاع بها واستدفاع

المضار لمكانهم ويدل عليه قوله تعالى إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم عذبوا بما هو

والعمل الصالح كالبناء عليه ولا غناء بأس لا بناء عليه ولذلك قلما ذكرا منفردين وفيه دليل على انها خارجة
عن مسمى الايمان اذ الاصل ان الشيء لا يعطف على نفسه ولا على ما هو داخل فيه ان لهم منصوب بنزع الخافض
وافضاء الفعل اليه او مجرور باضماره مثل الله لافعلن والجنة المرة من الجن وهو مصدر جنه اذا ستره و
مدار التركيب على الستر سمي بها الشجر المظلل لالتفاف اغصانه للمبالغة كانه يستر ما تحته سترة واحدة
كأن عيني في غربي مقتلة من النواضح تسقي جنة سحقا اي نخلا طوالا ثم البستان لما فيه من الاشجار المتكاثفة
المظللة ثم دار الثواب لما فيها من الجنان وقيل سميت بذلك لانه ستر في الدنيا ما اعد فيها للبشر من
افنان النعم كما قال تعالى فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وجمعها وتنكيرها لان الجنان على
ما ذكره ابن عباس سبع جنة الفردوس وجنة عدن وجنة النعيم ودار الخلد وجنة المأوى و
دار السلام وعليون وفي كل واحدة منها مراتب ودرجات متفاوتة على حسب تفاوت الاعمال
والعمال واللام تدل على استحقاقهم اياها لاجل ما ترتب عليه من الايمان والعمل الصالح لا لذاته فانه لا يكافئ
النعم السابقة فضلا عن ان يقتضي ثوابا وجزاء فيما يستقبل بل بجعل الشارع ومقتضى وعده ولا على الاطلاق
بل بشرط ان يستمر عليه حتى يموت وهو مؤمن لقوله تعالى ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فاولئك
حبطت اعمالهم وقوله تعالى لنبيه عليه السلام لئن اشركت ليحبطن عملك واشباه ذلك ولعله سبحانه لم يقيد
هنا استغناء بها تجري من تحتها الانهار اي من تحت اشجارها كما تراها جارية تحت الاشجار النابتة على شواطئها
وعن مسروق انهار الجنة تجري في غير اخدود واللام في الانهار للجنس كما في قولك لفلان بستان فيه الماء
الجاري او للعهد والمعهود هي الانهار المذكورة في قوله تعالى فيها انهار من ماء غير آسن الآية والنهر بالفتح والسكون المجرى
الواسع فوق الجدول ودون البحر كالنيل والفرات والتركيب للسعة والمراد بها ماؤها على الاضمار او المجاز او المجاري انفسها و
اسناد الجري اليها مجاز كما في قوله تعالى واخرجت الارض اثقالها كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل صفة ثانية لجنات
او خبر مبتدأ محذوف او جملة مستأنفة كأنه لما قيل ان لهم جنات وقع في خلد السامع اثمارها مثل ثمار الدنيا ام اجناس
اخر فازيح بذلك وكلما نصب على الظرف ورزقا مفعول به ومن الاولى والثانية للابتداء واقعتان موقع الحال واصل الكلام
ومعناه كل حين رزقوا مرزوقا مبتدأ من الجنات مبتدأ من ثمرة قيد الرزق بكونه مبتدأ من الجنات وابتداؤه
منها بابتدائه من ثمرة فصاحب الحال الاولى رزقا وصاحب الحال الثانية ضميره المستكن في الحال ويحتمل ان يكون من ثمرة
بيانا تقدم كما في قولك رأيت منك اسدا وهذا اشارة الى نوع ما رزقوا كقولك مشيرا الى نهر جار هذا الماء لا ينقطع
فانك لا تعني به العين المشاهد منه بل النوع المعلوم المستمر بتعاقب جرياته وان كانت الاشارة الى عينه فالمعنى هذا
مثل الذي ولكن لما استحكم الشبه بينهما جعل ذاته ذاته كقولك ابو يوسف ابو حنيفة من قبل اي من قبل هذا في الدنيا
جعل ثمر الجنة من جنس ثمر الدنيا لتميل النفس اليه اول ما ترى فان الطباع مائلة الى المألوف متنفرة عن غيره ويتبين
لها مزيته وكنه النعمة فيه اذ لو كان جنسا لم يعهد ظن انه لا يكون الا كذلك او في الجنة لان طعامها

لاستحالة بان يجعل اجزاؤها متماثلة ومتأدية الكيفية متساوية في القوة لا يقوى شيء منها على احالة الآخر

متعانقة متلازمة لا ينفك بعضها عن بعض كما نشاهد في بعض المعادن هذا فإن قياس ذلك العالم

واحواله على ما نجده ونشاهده من نقص العقل وضعف البصيرة واعلم انه لما كان معظم اللذات الحسية

مقصورا على المساكن والمطاعم والمناكح على ما دل عليه الاستقراء وكان ملاك ذلك كله الثبات والدوام

فإن كل نعمة جليلة اذا قارنها خوف الزوال كانت منغصة غير صافية من شوائب الألم بشر المؤمنين

ومثّل ما اعد لهم في الآخرة بأبهى ما يستلذ به منها وازال عنهم خوف الفوات بوعد الخلود ليدل على كمالهم في التنعم والسرور

ان الله لا يستحيي ان يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها لما كانت الآيات السابقة متضمنة لانواع من التمثيل عقّب ذلك ببيان حسنه

وما هو الحق له والشرط فيه وهو ان يكون على وفق الممثل له من الجهة التي تعلق بها التمثيل في العظم والصغر والخسة

والشرف دون الممثل فإن التمثيل انما يصار اليه لكشف المعنى الممثل له ورفع الحجاب عنه وابرازه في صورة المشاهد

المحسوس ليساعد فيه الوهم العقل ويصالحه عليه فإن المعنى الصرف انما يدركه العقل مع منازعة من الوهم لأن

من طبعه الميل الى الحس وحب المحاكاة ولذلك شاعت الامثال في الكتب الالهية وفشت في عبارات البلغاء

واشارات الحكماء فيمثل الحقير بالحقير كما يمثل العظيم بالعظيم وان كان الممثل اعظم من كل عظيم كما مثل في

الانجيل غل الصدر بالنخالة والقلوب القاسية بالحصاة ومخاطبة السفهاء باثارة الزنابير وجاء في كلام العرب

اسمع من قراد واطيش من فراشة واعز من مخ البعوض لا ما قالت الجهلة من الكفار لما مثل الله تعالى حال

المنافقين بحال المستوقدين واصحاب الصيب وعبادة الاصنام في الوهن والضعف ببيت العنكبوت وجعلها

اقل من الذباب واخس قدرا منه الله اعلى واجل من ان يضرب الامثال ويذكر الذباب والعنكبوت وايضا لما ارشدهم

الى ما يدل على ان المتحدى به وحي منزل ورتب عليه وعيد من كفر به ووعد من آمن به بعد ظهور امره شرع في جواب

ما طعنوا به فيه فقال ان الله لا يستحيي اي لا يترك ضرب المثل بالبعوضة ترك من يستحيي ان يمثل بها لحقارتها والحياء

انقباض النفس عن القبيح مخافة الذم وهو الوسط بين الوقاحة التي هي الجرأة على القبائح وعدم المبالاة بها والخجل

الذي هو انحصار النفس عن الفعل مطلقا واشتقاقه من الحياة لانه انكسار يعتري القوة الحيوانية فيردها عن

افعالها فقيل حيي الرجل كما يقال نسي وحشي اذا اعتلت نساه وحشاه واذا وصف به البارئ تعالى كما

جاء في الحديث ان الله يستحيي من ذي الشيبة المسلم ان يعذبه ان الله حيي كريم يستحيي اذا رفع العبد يديه

اليه ان يردهما صفرا حتى يضع فيهما خيرا فالمراد به الترك اللازم للانقباض كما ان المراد من رحمته وغضبه

اصابة المعروف والمكروه اللازمين لمعنييهما ونظيره قول من يصف ابلا * اذا ما استحيين الماء يعرض نفسه

كرعن بسبت في اناء من الورد * وانما عدل به عن الترك لما فيه من التمثيل والمبالغة ويحتمل الآية خاصة

ان يكون مجيئه على المقابلة لما وقع في كلام الكفرة وضرب المثل اعتماله من ضرب الخاتم واصله وقع شيء على

آخر وان بصلتها مخفوض المحل عند الخليل باضمار من منصوب بافضاء الفعل اليه بعد حذفها عند سيبويه

نزوع النفس وميلها الى الفعل بحيث يحملها عليه ويقال للقوة التي هي مبدأ النزوع والاول مع الفعل و
الثاني قبله وكلا المعنيين غير متصور في اتصاف البارى تعالى به ولذلك اختلف في معنى ارادته فقيل
ارادته لافعاله انه غير ساه ولا مكره ولافعال غيره امره بها فعلى هذا لم يكن المعاصي بارادته تعالى و
قيل علمه باشتمال الامر على النظام الاكمل والوجه الاصلح فانه يدعو القادر الى تحصيله والحق انه
ترجيح احد مقدوريه على الآخر وتخصيصه بوجه دون وجه او معنى يوجب هذا الترجيح وهي اعم
من الاختيار فانه ميل مع تفضيل وفي هذا استحقار واسترذال ومثلا نصب على التمييز او الحال كقوله
هذه ناقة الله لكم آية يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا جواب ماذا اي اضلال كثير واهداء كثير
وضع الفعل موضع المصدر للاشعار بالحدوث والتجدد او بيان للجملتين المصدرتين باما وتسجيل
بان العلم بكونه حقا هدى وبيان وان الجهل بوجه ايراده والانكار لحسن مورده ضلال و
فسوق وكثرة كل واحد من القبيلين بالنظر الى انفسهم لا بالقياس الى مقابليهم فان المهديين
قليلون بالاضافة الى اهل الضلال كما قال الله تعالى وقليل من عبادي الشكور ويحتمل ان
يكون كثرة الضالين من حيث العدد وكثرة المهديين باعتبار الفضل والشرف كما قال + قليل اذا
عُدّوا كثير اذا شدّوا + وقال + ان الكرام كثير في البلاد وان + قلّوا كما غيرهم قلّ وان كثروا
وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ اي خارجين عن حد الايمان كقوله تعالى ان المنافقين هم الفاسقون من قولهم فسقت
الرطبة عن قشرها اذا خرجت واصل الفسق الخروج عن القصد قال رؤبة + فواسقا عن قصدها جوائرا
والفاسق في الشرع الخارج عن امر الله بارتكاب الكبيرة وله درجات ثلث الاولى التغابي وهو ان يرتكبها احيانا
مستقبحا اياها والثانية الانهماك وهو ان يعتاد ارتكابها غير مبال بها والثالثة الجحود وهو ان يرتكبها مستصوبا
اياها فاذا شارف هذا المقام وتخطى خططه خلع ربقة الايمان من عنقه ولابس الكفر وما دام هو في درجة التغابي
او الانهماك فلا يسلب عنه اسم المؤمن لاتصافه بالتصديق الذي هو مسمى الايمان ولقوله تعالى وان
طائفتان من المؤمنين اقتتلوا والمعتزلة لما قالوا الايمان عبارة عن مجموع التصديق والاقرار والعمل والكفر
تكذيب الحق وجحوده جعلوه قسما ثالثا نازلا بين منزلتي المؤمن والكافر لمشاركته كل واحد منهما في بعض
الاحكام وتخصيص الاضلال بهم مرتبا على صفة الفسق يدل على انه الذي اعدهم للاضلال وادى بهم
الى الضلال به وذلك لان كفرهم وعدولهم عن الحق واصرارهم بالباطل صرفت وجوه افكارهم عن حكمة المثل الى
حقارة الممثل به حتى رسخت به جهالتهم وازدادت ضلالتهم فانكروه واستهزؤا به وقرئ يُضَلّ على البناء
للمفعول والفاسقون بالرفع الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ صفة للفاسقين للذم وتقرير للفسق والنقض
فسخ التركيب واصله في طاقات الحبل واستعماله في ابطال العهد من حيث ان العهد يستعار له الحبل
لما فيه من ربط احد المتعاهدين بالآخر فان اطلق مع لفظ الحبل كان ترشيحا للمجاز وان ذكر مع العهد

فأحياكم بخلق الارواح ونفخها فيكم وانما عطفه بالفاء لانه متصل بما عطف عليه غير متراخ عنه بخلاف
البواقي ثم يميتكم عند تقضي اجالكم ثم يحييكم بالنشور يوم ينفخ في الصور او للسؤال في القبور ثم اليه ترجعون
بعد الحشر فيجازيكم باعمالكم او تنشرون اليه من قبوركم للحساب فما اعجب كفركم مع علمكم بحالكم
هذه فان قيل ان علموا انهم كانوا امواتا فاحياهم ثم يميتهم لم يعلموا انه يحييهم ثم اليه يرجعون قلت تمكنهم
من العلم بهما لما نصب لهم من الدلائل منزل منزلة علمهم في ازاحة العذر سيما وفي الاية تنبيه على ما يدل على صحتهما
وهو انه تعالى لما قدر على احيائهم اولا قدر على ان يحييهم ثانيا فان بدء الخلق ليس باهون عليه من اعادته او مع
القبيلين فانه سبحانه لما بين دلائل التوحيد والنبوة ووعدهم على الايمان واوعدهم على الكفر اكد ذلك
بان عدد عليهم النعم العامة والخاصة واستقبح صدور الكفر منهم واستبعده عنهم مع تلك النعم الجليلة فان
عظم النعم يوجب عظم معصية المنعم فان قيل كيف تعد الاماتة من النعم المقتضية للشكر قلت لما كانت وصلة
الى الحياة الثانية التي هي الحياة الحقيقية كما قال تعالى وان الدار الاخرة لهي الحيوان كانت من النعم العظيمة مع
ان المعدود عليهم نعمة هو المعنى المنتزع من القصة باسرها كما ان الواقع حالا هو العلم بها لا كل واحدة من الجمل
فان بعضها ماض وبعضها مستقبل وكلاهما لا يصح ان يقع حالا او مع المؤمنين خاصة لتقرير المنة عليهم وتبعيد
الكفر عنهم على معنى كيف يتصور منكم الكفر وكنتم امواتا اي جهالا فاحياكم بما افادكم من العلم والايمان ثم يميتكم
الموت المعروف ثم يحييكم الحياة الحقيقية ثم اليه ترجعون فيثيبكم بما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على
قلب بشر والحياة حقيقة في القوة الحساسة او ما يقتضيها وبها سمي الحيوان حيوانا مجاز في القوة النامية لانها من طلائعها
ومقدماتها وفيما يخص الانسان من الفضائل كالعلم والعقل والايمان من حيث انه كمالها وغايتها والموت بازائها
يقال على ما يقابلها في كل مرتبة قال تعالى قل الله يحييكم ثم يميتكم وقال اعلموا ان الله يحيي الارض بعد موتها و
قال او من كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس واذا وصف بها الباري تعالى اريد بها
صحة اتصافه بالعلم والقدرة اللازمة لهذه القوة فينا او معنى قائم بذاته يقتضي ذلك على الاستعارة وقرأ
يعقوب ترجعون بفتح التاء في جميع القران هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا بيان نعمة اخرى مرتبة
على الاولى فانها خلقهم احياء قادرين مرة بعد اخرى وهذه خلق ما يتوقف عليه بقاؤهم وتم به معاشهم
ومعنى لكم لاجلكم وانتفاعكم في دنياكم باستنفاعكم بها في مصالح ابدانكم بوسط او بغير وسط ودينكم بالاستدلال
والتعرف لما يلائمها من لذات الاخرة والامها لا على وجه الغرض فان الفاعل لغرض مستكمل به بل على انه كالغرض
من حيث انه عاقبة الفعل ومؤداه وهو يقتضي اباحة الاشياء النافعة ولا يمنع اختصاص بعضها ببعض لاسباب
عارضة فانه يدل على ان الكل للكل لا ان كل واحد لكل واحد وما يعم كل ما في الارض الا اذا اريد بها جهة
السفل كما يراد بالسماء جهة العلو وجميعا حال من الموصول الثاني ثم استوى الى السماء قصد اليها بارادته من قولهم استوى
اليه كالسهم المرسل اذا قصده قصدا مستويا من غير ان يلوي على شيء واصل الاستواء طلب السواء واطلاقه على الاعتدال

ظرفاً كان القرآن كثيراً او مضمر دل عليه مضمون الآية المتقدمة مثل وبدأ خلقكم اذ قال وهذا
بحاله معطوف على خلق لكم داخل في حكم الصلة وعن معمر انه مزيد والملائكة جمع ملأك على الاصل كالشمائل
جمع شمال والتاء لتأنيث الجمع وهو مقلوب مألك من الالوكة وهي الرسالة لانهم وسائط بين الله تعالى وبين الناس فهم
رسل الله او كالرسل اليهم واختلف العقلاء في حقيقتهم بعد اتفاقهم على انها ذوات موجودة قائمة بانفسها فذهب
اكثر المسلمين الى انها اجسام لطيفة قادرة على التشكل باشكال مختلفة مستدلين بان الرسل كانوا يرونهم كذلك
وقالت طائفة من النصارى هي النفوس الفاضلة البشرية المفارقة للابدان وزعم الحكماء انها جواهر مجردة
مخالفة للنفوس الناطقة في الحقيقة منقسمة الى قسمين قسم شأنهم الاستغراق في معرفة الحق والتنزه عن الاشتغال
بغيره كما وصفهم في محكم تنزيله فقال يسبحون الليل والنهار لا يفترون وهم العليون والملائكة المقربون وقسم يدبر
الامر من السماء الى الارض على ما سبق به القضاء وجرى به القلم الالهي لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما
يؤمرون وهم المدبرات امراً فمنهم سماوية ومنهم ارضية على تفصيل اثبته في كتاب الطوالع والمقول
لهم الملائكة كلهم لعموم اللفظ وعدم المخصص وقيل ملائكة الارض وقيل ابليس ومن كان معه في محاربة
الجن فانه تعالى اسكنهم في الارض اولاً فافسدوا فيها فبعث اليهم ابليس في جند من الملائكة فدمرهم وفرقهم
في الجزائر والجبال وجاعل من جعل الذي له مفعولان وهما في الارض خليفة اعمل فيهما لانه بمعنى الاستقبال ومعتمد
على مسند اليه ويجوز ان يكون بمعنى خالق والخليفة من يخلف غيره وينوب منابه والهاء فيه للمبالغة والمراد به آدم عليه السلام
لانه كان خليفة الله في ارضه وكذلك كل نبي استخلفهم في عمارة الارض وسياسة الناس وتكميل نفوسهم وتنفيذ امره فيهم لا لحاجة
به تعالى الى من ينوبه بل لقصور المستخلف عليه عن قبول فيضه وتلقي امره بغير وسط ولذلك لم يستنبئ ملكاً كما قال تعالى ولو
جعلناه ملكاً لجعلناه رجلاً الا ترى ان الانبياء لما فاقت قوتهم واشتعلت قريحتهم بحيث يكاد زيتها يضيء ولو لم
تمسسه نار ارسل اليهم الملائكة ومن كان منهم اعلى رتبة كلمه بلا واسطة كما كلم موسى عليه السلام في الميقات ومحمداً عليه السلام
ليلة المعراج ونظير ذلك في الطبيعة ان العظم لما عجز عن قبول الغذاء من اللحم لما بينهما من التباعد جعل الباري تعالى بحكمته
بينهما الغضروف المناسب لهما ليأخذ من هذا ويعطي ذلك او خليفة من سكن الارض قبله او هو وذريته لانهم يخلفون
من قبلهم او يخلف بعضهم بعضاً وافراد اللفظ اما للاستغناء بذكره عن ذكر بنيه كما استغني بذكر ابي القبيلة في قولهم
مضر وهاشم او على تأويل من يخلف او خلفاً يخلف وفائدة قوله هذا للملائكة تعليم المشاورة وتعظيم شأن المجعول بان
بشر بوجوده سكان ملكوته ولقبه بالخليفة قبل خلقه واظهار فضله الراجح على ما فيه من المفاسد بسؤالهم وجوابه
وبيان ان الحكمة تقتضي ايجاد ما يغلب خيره فان ترك الخير الكثير لاجل الشر القليل شر كثير الى غير ذلك قالوا أتجعل فيها
من يفسد فيها ويسفك الدماء تعجب من ان يستخلف لعمارة الارض واصلاحها من يفسد فيها او يستخلف
مكان اهل الطاعة اهل المعصية واستكشاف عما خفي عليهم من الحكمة التي بهرت تلك المفاسد والغتها
واستخبار عما يرشدهم ويزيح شبهتهم كسؤال المتعلم معلمه وعما يختلج في صدره وليس باعتراض على الله ولا طعن في

الاولى ان التعلم بالالفاظ من حيث الدلالة موقوف على العلم بالمعاني والمعنى انه تعالى خلقه من اجزاء مختلفة
وقوى متباينة مستعدا لادراك انواع المدركات من المعقولات والمحسوسات والمتخيلات والموهومات والهمه
معرفة ذوات الاشياء وخواصها واسمائها واصول العلوم وقوانين الصناعات وكيفية آلاتها ثم عرضهم
على الملائكة الضمير فيه للمسميات المدلول عليها ضمنا اذ التقدير اسماء المسميات فحذف المضاف اليه لدلالة المضاف عليه
وعوض عنه اللام كقوله واشتعل الرأس شيبا لان العرض للسؤال عن اسماء المعروضات فلا يكون المعروض نفس الاسماء سيما ان اريد
به الالفاظ والمراد به ذوات الاشياء او مدلولات الالفاظ وتذكيره لتغليب ما اشتمل عليه من العقلاء وقرئ عرضهن وعرضها
على معنى عرض مسمياتهن او مسمياتها فقال انبئوني باسماء هؤلاء تبكيت لهم وتنبيه على عجزهم عن امر الخلافة فان التصرف
والتدبير واقامة المعدلة قبل تحقق المعرفة والوقوف على مراتب الاستعدادات وقدر الحقوق محال وليس بتكليف ليكون من باب التكليف
بالمحال والانباء اخبار فيه اعلام ولذلك يجري مجرى كل واحد منهما ان كنتم صادقين في زعمكم انكم احقاء بالخلافة لعصمتكم
او ان خلقهم واستخلافهم وهذه صفتهم لا يليق بالحكيم وهو وان لم يصرحوا به لكنه لازم مقالهم والتصديق كما يتطرق الى الكلام
باعتبار منطوقه قد يتطرق اليه بغرض ما يلزم مدلوله من الاخبار وبهذا الاعتبار يعتري الانشاءات قالوا سبحانك لا علم لنا
الا ما علمتنا اعتراف بالعجز والقصور واشعار بان سؤالهم كان استفسارا ولم يكن اعتراضا وانه قد بان لهم ما خفي عليهم من فضل
الانسان والحكمة في خلقه واظهار لشكر نعمته بما عرفهم وكشف لهم ما اعتقل عليهم ومراعاة للادب بتفويض العلم
كله اليه وسبحان مصدر كغفران ولا يكاد يستعمل الا مضافا منصوبا باضمار فعله كمعاذ الله وقد اجري علما للتسبيح على
الشذوذ في قوله سبحان من علقمة الفاخر وتصدير الكلام به اعتذار عن الاستفسار والجهل بحقيقة الحال و
لذلك جعل مفتاح التوبة فقال موسى عليه السلام سبحانك تبت اليك وقال يونس سبحانك اني كنت من
الظالمين انك انت العليم الذي لا يخفى عليه خافية الحكيم المحكم لمبدعاته الذي لا يفعل الا ما فيه حكمة بالغة وانت فصل
وقيل تأكيد للكاف كما في قولك مررت بك انت وان لم يجز مررت بانت اذ التابع يسوغ فيه ما لا يسوغ في المتبوع ولذلك
جاز يا هذا الرجل ولم يجز يا الرجل وقيل مبتدأ خبره ما بعده والجملة خبر ان قال يا آدم انبئهم باسمائهم اي اعلمهم
وقرئ بقلب الهمزة ياء وحذفها بكسر الهاء فيهما فلما انبأهم باسمائهم قال الم اقل لكم اني اعلم غيب
السموات والارض واعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون استحضار لقوله اني اعلم ما لا تعلمون
لكنه جاء به على وجه ابسط ليكون كالحجة عليه فانه تعالى لما علم ما خفي عليهم من امور السموات والارض وما ظهر لهم من احوالهم
الظاهرة والباطنة علم ما لا يعلمون وفيه تعريض بمعاتبتهم على ترك الاولى وهو ان يتوقفوا مترصدين لان يبين لهم
وقيل ما تبدون قولهم اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء وما تكتمون استبطانهم انهم احقاء بالخلافة و
انه تعالى لا يخلق خلقا افضل منهم وقيل ما اظهروا من الطاعة واسر منهم ابليس من المعصية والهمزة للانكار دخلت
حرف الجحد فافادت الاثبات والتقرير واعلم ان هذه الآيات تدل على شرف الانسان ومزية العلم وفضله على
العبادة وانه شرط في الخلافة بل العمدة فيها وان التعليم يصح اسناده الى الله تعالى وان لم يصح اطلاق المعلم عليه

لم يكن من الملائكة ان يقال انه كان جنيا نشأ بين اظهر الملائكة وكان مغمورا بالالوف منهم فغلبوا عليه او الجن
ايضا كانوا مامورين مع الملائكة لكنه استغنى بذكر الملائكة عن ذكرهم فانه اذا علم ان الاكابر مامورون بالتذلل
لاحد والتوسل به علم ان الاصاغر ايضا مامورون به والضمير فى فسجدوا راجع الى القبيلين فكانه قال فسجد المامورون
بالسجود الا ابليس وان من الملائكة من ليس بمعصوم وان كان الغالب فيهم العصمة كما ان من الانس معصومين و
الغالب فيهم عدم العصمة ولعل ضربا من الملائكة لا يخالف الشياطين بالذات وانما يخالفهم بالعوارض و
والصفات كالبررة والفسقة من الانس والجن يشملهما وكان ابليس من هذا الصنف كما قاله ابن عباس فلذلك
صح عليه التغير عن حاله والهبوط عن محله كما اشار اليه بقوله عز وعلا الا ابليس كان من الجن ففسق عن امر ربه
لا يقال كيف يصح ذلك والملائكة خلقت من نور والجن من نار لما روت عائشة رضي الله عنها انه عليه السلام
قال خلقت الملائكة من النور وخلق الجن من مارج من نار لانه كالتمثيل لما ذكرنا فان المراد بالنور الجوهر المضيء و
النار كذلك غير ان ضوءها مكدر مغمور بالدخان محذور عنه بسبب ما يصحبه من فرط الحرارة والاحراق
فاذا صارت مهذبة مصفاة كانت محض نور ومتى نكصت عادت الحالة الاولى جذعة ولا تزال تتزايد
حتى ينطفئ نورها ويبقى الدخان الصرف وهذا اشبه بالصواب واوفق للجمع بين النصوص والعلم عند الله تعالى
ومن فوائد الآية استقباح الاستكبار وانه قد يفضي بصاحبه الى الكفر والحث على الائتمار لامره وترك الخوض
فى سره وان الامر للوجوب وان الذى علم الله من حاله انه يتوفى على الكفر هو الكافر على الحقيقة اذ العبرة بالخواتم
وان كان بحكم الحال مؤمنا وهو الموافاة المنسوبة الى شيخنا الاشعرى وقلنا يا آدم اسكن انت وزوجك
الجنة السكنى من السكون لانها استقرار ولبث وانت تاكيد اكد به المستكن ليصح العطف عليه وانما لم يخاطبهما اولا
تنبيها على انه المقصود بالحكم والمعطوف عليه تبع له والجنة دار الثواب لان اللام للعهد ولا معهود غيرها ومن
زعم انها لم تخلق بعد قال انه بستان كان بارض فلسطين او بين فارس وكرمان خلقه الله تعالى امتحانا لآدم وحمل الاهباط
على الانتقال منه الى ارض الهند كما فى قوله تعالى اهبطوا مصرا وكلا منها رغدا واسعا رافها صفة مصدر محذوف
حيث شئتما اى مكان من الجنة شئتما وسع الامر عليهما ازاحة للعلة والعذر فى التناول من الشجرة المنهى
عنها من بين اشجارها الفائتة للحصر ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين فيه مبالغات تعليق النهى بالقرب
الذى هو من مقدمات التناول مبالغة فى تحريمه ووجوب الاجتناب عنه وتنبيها على ان القرب من الشيء يورث
داعية وميلا ياخذ بمجامع القلب ويلهيه عما هو مقتضى العقل والشرع كما روى حبك الشيء يعمي ويصم فينبغي ان لا يحوما
حول ما حرم الله عليهما مخافة ان يقعا فيه وجعله سببا لان يكونا من الظالمين الذين ظلموا انفسهم بارتكاب
المعاصي او بنقص حظهما بالاتيان بما يخل بالكرامة والنعيم فان الفاء تفيد السببية سواء جعلته للعطف
على النهى او الجواب له والشجرة هى الحنطة او الكرمة او التينة او شجرة من اكل منها احدث والاولى ان لا تعين
من غير قاطع كما لم تعين فى الآية لعدم توقف ما هو المقصود عليه وقرئ بكسر الشين وتقربا بكسر التاء وهذى بالياء

مني هدى بإنزال أو إرسال فمن تبعه منكم نجا وفاز وإنما جيء بحرف الشك وإتيان الهدى كائن لا محالة لأنه محتمل في نفسه
غير واجب عقلا وكرر لفظ الهدى ولم يضمر لأنه أراد بالثاني أعم من الأول وهو ما أتى به الرسل واقتضاه العقل
أي فمن تبع ما أتاه مراعيا فيه ما يشهد به العقل فلا خوف عليهم فضلا من أن يحل بهم مكروه ولا هم يفوت عنهم محبوب
فيحزنوا عليه والخوف على المتوقع والحزن على الواقع نفى عنهم العقاب وأثبت لهم الثواب على آكد وجه وأبلغه وقرئ هديّ
على لغة هذيل ولا خوف بالفتح والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون عطف على فمن تبع إلى
آخره قسيم له كأنه قال ومن لم يتبع بل كفروا بالله وكذبوا بآياته أو كفروا بالآيات جنانا وكذبوا بها لسانا فيكونان صنفا واحدا
والآية في الأصل العلامة الظاهرة ويقال للمصنوعات من حيث إنها تدل على وجود الصانع وعلمه وقدرته ولكل طائفة
من كلمات القرآن المتميزة عن غيرها بفصل واشتقاقها من أي لأنها تبين أيا من أي أو من أوى إليه وأصلها أية أو أوية كتمرة فأبدلت عينها ألفا
على غير قياس أو أيية أو أوية كرمكة فأعلت أو آئية كقائلة فحذفت الهمزة تخفيفا والمراد بآياتنا الآيات المنزلة أو ما يعمها والمعقولة
وقد تمسك الحشوية بهذه القصة على عدم عصمة الأنبياء عليهم السلام من وجوه الأول أن آدم صلوات الله عليه كان نبيا وارتكب
المنهي عنه والمرتكب له عاص والثاني أنه جعل بارتكابه من الظالمين والظالم ملعون لقوله تعالى ألا لعنة الله على الظالمين والثالث أنه تعالى أسند
إليه العصيان والغي فقال وعصى آدم ربه فغوى والرابع أنه تعالى لقنه التوبة وهي الرجوع عن الذنب والندم عليه والخامس اعترافه
بأنه خاسر لولا مغفرة الله إياه بقوله وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين والخاسر من يكون ذا كبيرة والسادس
أنه لو لم يذنب لم يجر عليه ما جرى والجواب من وجوه الأول أنه لم يكن نبيا حينئذ والمدعي مطالب بالبيان والثاني أن
النهي للتنزيه وإنما سمي ظالما وخاسرا لأنه ظلم نفسه وخسر حظه بترك الأولى له وأما إسناد الغي والعصيان إليه فسيأتي الجواب عنه
في موضعه إن شاء الله تعالى وإنما أمر بالتوبة تلافيا لما فات عنه وجرى عليه ما جرى معاتبة له على ترك الأولى ووفاء بما قاله للملائكة قبل
خلقه والثالث أنه فعله ناسيا لقوله تعالى فنسي ولم نجد له عزما ولكنه عوتب بترك التحفظ عن أسباب النسيان ولعله وإن حط
عن الأمة لم يحط عن الأنبياء لعظم قدرهم كما قال عليه السلام أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأولياء ثم الأمثل فالأمثل أو أدى فعله
إلى ما جرى عليه على طريق السببية المقدرة دون المؤاخذة كتناول السم على الجاهل بشأنه لا يقال إنه باطل لقوله تعالى ما نهاكما ربكما وقاسمهما
الآيتين لأنه ليس فيهما ما يدل على أنه تناوله حين ما قاله إبليس فلعل مقاله أورث فيه ميلا طبيعيا ثم إنه كف نفسه عنه مراعاة لحكم
الله تعالى إلى أن نسي ذلك وزال المانع فحمله الطبع عليه والرابع أنه عليه السلام أقدم عليه بسبب اجتهاد أخطأ فيه فإنه ظن أن النهي للتنزيه أو الإشارة
إلى عين تلك الشجرة فتناول من غيرها من نوعها وكان المراد بها الإشارة إلى النوع كما روي أنه عليه السلام أخذ حريرا وذهبا
بيده وقال هذان حرامان على ذكور أمتي حل لإناثها وإنما جرى عليه ما جرى تعظيما لشأن الخطيئة ليجتنبها أولاده وفيها دلالة
على أن الجنة مخلوقة وأنها في جهة عالية وأن التوبة مقبولة وأن متبع الهدى مأمون العاقبة وأن عذاب النار دائم
والكافر فيه مخلد وأن غيره لا يخلد فيه بمفهوم قوله تعالى هم فيها خالدون واعلم أنه سبحانه لما ذكر دلائل التوحيد والنبوة
والمعاد وعقبها تعداد النعم العامة تقريرا لها وتأكيدا فإنها من حيث إنها حوادث محكمة تدل على محدث حكيم له الخلق والأمر وحده
لا شريك له ومن حيث إن الإخبار بها على ما هو مثبت في الكتب السابقة ممن لم يتعلمها ولم يمارس شيئا منها إخبار بالغيب معجز يدل

خبر عن ضمير الجمع بتقدير اول فريق او فوج او بتاويل لا يكن كل واحد منكم اول كافر به كقولك كسانا حلة فان قيل كيف
عن التقدم في الكفر وقد سبقهم مشركو العرب قلت المراد به التعريض لا الدلالة على ما نطق به الظاهر كقولك اما انا فلست بجاهل او
ولا تكونوا اول كافر من اهل الكتاب او ممن كفر بما معه فان من كفر بالقرآن فقد كفر بما يصدقه او مثل من كفر من مشركي مكة واول افعل لا فعل له وقيل
اصله اوأل من وأل فابدلت همزته واوا تخفيفا غير قياسي او اوول من آل فقلبت همزته واوا وادغمت ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا ولا تستبدلوا
بالايمان بها والاتباع لها حظوظ الدنيا فانها وان جلت قليلة مسترذلة بالاضافة الى ما يفوت عنكم من حظوظ الآخرة بترك
الايمان قيل كان لهم رياسة في قومهم ورسوم وهدايا منهم فخافوا عليها لو اتبعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاختاروها
عليه وقيل كانوا ياخذون الرشى فيحرفون الحق ويكتمونه واياي فاتقون بالايمان واتباع الحق والاعراض عن الدنيا ولما كانت
الآية السابقة مشتملة على ما هو كالمبادي لما في الآية الثانية فصلت بالرهبة التي هي مقدمة التقوى ولان الخطاب بها لما عم العالم
والمقلد امرهم بالرهبة التي هي مبدأ السلوك والخطاب بالثانية لما خص اهل العلم امرهم بالتقوى الذي هو منتهاه ولا تلبسوا الحق
بالباطل عطف على ما قبله واللبس الخلط وقد يلزمه جعل الشيء مشتبها بغيره والمعنى لا تخلطوا الحق المنزل بالباطل الذي
تخترعونه وتكتبونه حتى لا يميز بينهما او ولا تجعلوا الحق ملتبسا بسبب خلط الباطل الذي تكتبونه في خلاله او تذكرونه في تاويله
وتكتموا الحق جزم داخل تحت حكم النهي كانهم امروا بالايمان وترك الضلال ونهوا عن الاضلال بالتلبيس على من سمع الحق
والاخفاء على من لم يسمعه او نصب باضمار ان على ان الواو للجمع اي لا تجمعوا لبس الحق بالباطل وكتمانه ويعضده انه في مصحف ابن
مسعود وتكتمون اي وانتم تكتمون بمعنى كاتمين وفيه اشعار بان استقباح اللبس لما يصحبه من كتمان الحق وانتم تعلمون
عالمين بانكم لابسون كاتمون فانه اقبح اذ الجاهل قد يعذر واقيموا الصلوة وآتوا الزكوة يعني صلوة المسلمين وزكوتهم
فان غيرهما كلا صلوة ولا زكوة امرهم بفروع الاسلام بعد ما امرهم باصوله وفيه دليل على ان الكفار مخاطبون بها والزكوة من
زكا الزرع اذا نما فان اخراجها يستجلب بركة في المال ويثمر للنفس فضيلة الكرم او من الزكاء بمعنى الطهارة فانها تطهر المال من
الخبث والنفس من البخل واركعوا مع الراكعين اي في جماعتهم فان صلوة الجماعة تفضل صلوة الفذ بسبع وعشرين درجة لما
فيها من تظاهر النفوس وعبر عن الصلوة بالركوع احترازا عن صلوة اليهود وقيل الركوع الخضوع والانقياد لما يلزمهم الشارع قال الاضبط السعدي
لا تذل الضعيف علك ان تركع يوما والدهر قد رفعه اتأمرون الناس بالبر تقرير مع توبيخ وتعجيب والبر التوسع في الخير من البر وهو الفضاء الواسع ويتناول كل خير
ولذلك قيل البر ثلاثة بر في عبادة الله تعالى وبر في مراعاة الاقارب وبر في معاملات الاجانب وتنسون انفسكم وتتركونها من البر كالمنسيات وعن ابن عباس انها
نزلت في احبار المدينة كانوا يامرون سرا من نصحوه باتباع محمد صلى الله عليه وسلم ولا يتبعونه وقيل كانوا يامرون بالصدقة ولا يتصدقون
وانتم تتلون الكتاب تبكيت كقوله تعالى وانتم تعلمون اي تتلون التورية وفيها الوعيد على العناد وترك البر ومخالفة القول
العمل افلا تعقلون قبح صنيعكم فيصدكم عنه او افلا عقل لكم يمنعكم عما تعلمون وخامة عاقبته والعقل في الاصل
الحبس سمي به الادراك الانساني لانه يحبسه عما يقبح ويعقله على ما يحسن ثم القوة التي بها النفس تدرك هذا الادراك والآية
ناعية على من يعظ غيره ولا يعظ نفسه سوء صنيعه وخبث نفسه وان فعله فعل الجاهل بالشرع او الاحمق الخالي عن العقل فان الجامع
بينهما تأبى عنه شكيمته والمراد بها حث الواعظ على تزكية النفس والاقبال عليها بالتكميل ليقوم فيقيم لا منع الفاسق عن الوعظ

تمسكت المعتزلة بهذه الآية على نفي الشفاعة لاهل الكبائر واجيب بانها مخصوصة بالكفار للآيات والاحاديث الواردة
في الشفاعة ويؤيده ان الخطاب معهم والآية نزلت ردا لما كانت اليهود تزعم ان آباءهم تشفع لهم واذ نجيناكم من آل فرعون
تفصيل لما اجمله في قوله اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم وعطف على نعمتي عطف جبريل وميكائيل على الملائكة وقرئ انجيتكم
واصل آل اهل لان تصغيره اهيل وخص بالاضافة الى اولي الخطر كالانبياء والملوك وفرعون لقب لمن ملك العمالقة ككسرى وقيصر لملكي
الروم والفرس ولعتوهم اشتق منه تفرعن الرجل اذا عتا وكان فرعون موسى مصعب بن ريان وقيل ابنه وليد من بقايا عاد
وفرعون يوسف عليه السلام ريان وكان بينهما اكثر من اربعمائة سنة يسومونكم يبغونكم من سامه خسفا اذا اولاه ظلما
واصل السوم الذهاب في طلب الشيء سوء العذاب افظعه فانه قبيح بالاضافة الى سائره والسوء مصدر ساء يسوء ونصبه على
المفعول ليسومونكم والجملة حال من الضمير في نجيناكم او من آل فرعون او منهما جميعا لان فيها ضمير كل واحد منهما يذبحون ابناءكم
ويستحيون نساءكم بيان ليسومونكم ولذلك لم يعطف وقرئ يذبحون بالتخفيف وانما فعلوا بهم ذلك لان فرعون رأى في المنام او
قال له الكهنة سيولد منهم من يذهب بملكه فلم يرد اجتهادهم من قدر الله شيئا وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم
ونقمة ان اشير به الى الانجاء واصله الاختبار لكن لما كان اختبار الله عباده تارة بالمحنة وتارة بالمنحة اطلق عليهما ويجوز ان
يشار بذلكم الى الجملة ويراد به الامتحان الشائع بينهما من ذكركم بتسليطهم عليكم او بعث موسى عليه السلام وتوفيقه لتخليصكم
بهما عظيم صفة بلاء وفي الآية تنبيه على ان ما يصيب العبد من خير او شر اختبار من الله تعالى فعليه ان يشكر على مساره ويصبر
على مضاره ليكون من خير المختبرين واذ فرقنا بكم البحر فلقناه وفصلنا بين بعضه وبعض حتى حصلت فيه مسالك بسلوككم
فيه او بسبب انجائكم او ملتبسا بكم كقوله **شعر** تدوس بنا الجماجم والتريبا وقرئ فرّقنا على بناء التكثير لان المسالك كانت اثنى عشر
بعدد الاسباط فانجيناكم واغرقنا آل فرعون اراد به فرعون وقومه واقتصر على ذكرهم للعلم بانه كان اولى به وقيل شخصه كما روي ان الحسن
كان يقول اللهم صل على آل محمد اي شخصه واستغنى بذكره عن ذكر اتباعه وانتم تنظرون ذلك اي غرقهم واطباق البحر عليهم او انفلاق
البحر عن طرق يابسة مذللة او جثثهم التي قذفها البحر الى الساحل او ينظر بعضكم بعضا روي انه تعالى امر موسى ان يسري ببني اسرائيل فخرج
فصبحهم فرعون وجنوده وصادفوهم على شاطئ البحر فاوحى الله تعالى اليه ان اضرب بعصاك البحر فضربه فظهرت فيه اثنا عشر طريقا
يابسا فسلكوها فقالوا يا موسى نخاف ان يغرق بعضنا ولا نعلم ففتح الله فيها كوى فتراءوا وتسامعوا حتى عبروا البحر ثم لما وصل
اليه فرعون ورآه منفلقا اقتحم فيه هو وجنوده فالتطم عليهم واغرقهم اجمعين واعلم ان هذه الواقعة من اعظم ما انعم الله
به على بني اسرائيل ومن الآيات الملجئة الى العلم بوجود الصانع الحكيم وتصديق موسى عليه السلام ثم انهم اتخذوا العجل وقالوا لن
نؤمن لك حتى نرى الله جهرة ونحو ذلك فهم بمعزل في الفطنة والذكاء وسلامة النفس وحسن الاتباع عن امة محمد صلى الله عليه وسلم
فانهم اتبعوه مع ان ما تواتر من معجزاته امور نظرية دقيقة يدركها الاذكياء واخباره عليه السلام عنها من جملة معجزاته على ما مر تقريره
واذ واعدنا موسى اربعين ليلة لما عادوا الى مصر بعد هلاك فرعون وعد الله تعالى موسى ان يعطيه التوراة وضرب له ميقاتا ذا القعدة
وعشر ذي الحجة وعبر عنها بالليالي لانها غرر الشهور وقرأ ابن كثير ونافع وعاصم وابن عامر وحمزة والكسائي واعدنا لانه تعالى
وعده الوحي ووعده موسى المجيء للميقات الى الطور ثم اتخذتم العجل الها ومعبودا من بعده من بعد موسى عليه السلام اي

ويبعث الجنوب عليهم السماني فيذبح الرجل منه ما يكفيه كلوا من طيبات ما رزقناكم على ارادة القول وما ظلمونا
فيه اختصار ... وما ظلمونا ولكن كانوا انفسهم يظلمون بالكفران لانه لا يتخطاهم
وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية يعني بيت المقدس وقيل اريحا امروا به بعد التيه فكلوا منها حيث شئتم رغدا واسعا
ونصبه على المصدر او الحال من الواو وادخلوا الباب اي باب القرية او القبة التي كانوا يصلون اليها فانهم لم يدخلوا بيت المقدس في حياة موسى
عليه السلام سجدا متطامنين مخبتين او ساجدين لله شكرا على اخراجهم من التيه وقولوا حطة اي مسألتنا او امرك حطة
وهي فعلة من الحط كالجلسة وقرئ بالنصب على الاصل بمعنى حط عنا ذنوبنا حطة او على انه مفعول قولوا اي قولوا هذه الكلمة
وقيل معناه امرنا حطة اي ان نحط في هذه القرية ونقيم بها نغفر لكم خطاياكم بسجودكم ودعائكم وقرأ نافع بالياء وابن عامر
بالتاء على البناء للمفعول وخطايا اصله خطايئ كخطايع فعند سيبويه انه ابدلت الياء الزائدة همزة لوقوعها بعد الالف
واجتمعت همزتان فابدلت الثانية ياء ثم قلبت الفا وكانت الهمزة بين الفين فابدلت ياء وعند الخليل قدمت الهمزة على الياء ثم
فعل بهما ما ذكر وسنزيد المحسنين ثوابا جعل الامتثال توبة للمسيء وسبب زيادة الثواب للمحسن واخرجه عن صورة الجواب الى
الوعد ايهاما بان المحسن بصدد ذلك وان لم يفعله فكيف اذا فعله وانه يفعله لا محالة فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم
بدلوا بما امروا به من التوبة والاستغفار طلب ما يشتهون من اعراض الدنيا فانزلنا على الذين ظلموا كرره مبالغة في
تقبيح امرهم واشعارا بان الانزال عليهم لظلمهم بوضع غير المأمور به موضعه او على انفسهم بان تركوا ما يوجب نجاتها الى ما يوجب
هلاكها رجزا من السماء بما كانوا يفسقون عذابا مقدرا من السماء بسبب فسقهم والرجز في الاصل ما يعاف عنه وكذلك الرجس
وقرئ بالضم وهو لغة فيه والمراد به الطاعون روي انه مات به في ساعة اربعة وعشرون الفا وإذ استسقى
موسى لقومه لما عطشوا في التيه فقلنا اضرب بعصاك الحجر اللام فيه للعهد على ما روي انه كان حجرا طوريا
مكعبا حمله معه وكانت تنبع من كل وجه ثلاث اعين يسيل كل عين في جدول الى سبط وكانوا ستمائة الف وسعة المعسكر
اثني عشر ميلا او حجرا اهبطه آدم من الجنة ووقع الى شعيب فاعطاه مع العصا او الحجر الذي فر بثوبه لما وضعه عليه
ليغتسل وبرأه الله به عما رموه به من الادرة فاشار اليه جبريل بحمله او للجنس وهذا اظهر في الحجة قيل لم يأمره ان يضرب حجرا بعينه
ولكن لما قالوا كيف بنا لو افضينا الى ارض لا حجارة بها حمل حجرا في مخلاته وكان يضربه بعصاه اذا نزل فيتفجر ويضربه بها
اذا ارتحل فييبس فقالوا ان فقد موسى عصاه متنا عطشا فاوحى الله تعالى اليه لا تقرع الحجارة وكلمها تطعك لعلهم يعتبرون
وقيل كان الحجر من رخام وكان ذراعا في ذراع والعصا عشرة اذرع على طول موسى من آس الجنة ولها شعبتان تتقدان في
الظلمة نورا فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا متعلق بمحذوف تقديره فان ضربت فقد انفجرت او فضرب فانفجرت كما مر في قوله فتاب
عليكم وقرئ عشرة بكسر الشين وفتحها وهما لغتان فيه قد علم كل اناس كل سبط مشربهم عينهم التي يشربون منها كلوا واشربوا
على تقدير القول من رزق الله يريد به ما رزقهم من المن والسلوى وماء العيون وقيل الماء وحده لانه يشرب ويؤكل ما ينبت به
ولا تعثوا في الارض مفسدين لا تعتدوا حال افسادكم وانما قيده لانه وان غلب في الفساد قد يكون منه ما ليس بفساد كمقابلة
الظالم المعتدي بفعله ومنه ما يتضمن صلاحا راجحا كقتل الخضر الغلام وخرقه السفينة ويقرب منه العيث غير انه يغلب فيما يدرك حسا

يؤدي الى ارتكاب كبارها كما ان صغار الطاعات اسباب مؤدية الى تحري كبارها وقيل كرر الاشارة
للدلالة على ان ما لحقهم كما هو بسبب الكفر والقتل فهو بسبب ارتكابهم المعاصي واعتدائهم حدود الله
وقيل الاشارة الى الكفر والقتل والباء بمعنى مع وانما جوزت الاشارة بالمفرد الى شيئين فصاعدا على تأويل
ما ذكر او تقدم للاختصار ونظيره في الضمير قول رؤبة * فيها خطوط من سواد وبلق * كأنه في الجلد
توليع البهق * والذي حسن ذلك ان تثنية المضمرات والمبهمات وجمعها وتأنيثها ليست على الحقيقة
ولذلك جاء الذي بمعنى الجمع إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا بألسنتهم يريد به المتدينين بدين محمد صلى الله عليه وسلم المخلصين
منهم والمنافقين وقيل المنافقين لانخراطهم في سلك الكفرة وَالَّذِينَ هَادُوا تهوّدوا يقال هاد وتهوّد
اذا دخل في اليهودية ويهود اما عربي من هاد اذا تاب سموا بذلك لما تابوا من عبادة العجل واما معرّب
يهوذا وكأنهم سموا باسم اكبر اولاد يعقوب عليه السلام وَالنَّصَارَى جمع نصران كندامى والياء
في نصراني للمبالغة كما في احمري سموا بذلك لانهم نصروا المسيح او لانهم كانوا معه في قرية يقال لها نصران او
ناصرة فسموا باسمها او من اسمها وَالصَّابِئِينَ قوم بين النصارى والمجوس وقيل اصل دينهم دين نوح عليه
السلام وقيل هم عبدة الملائكة وقيل عبدة الكواكب وهو ان كان عربيا فمن صبأ اذا خرج وقرأ نافع وحده بالياء
اما لانه خفف الهمزة او لانه من صبا اذا مال لانهم مالوا من سائر الاديان الى دينهم او من الحق الى الباطل
مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا من كان منهم في دينه قبل ان ينسخ مصدقا بقلبه بالمبدأ والمعاد
عاملا بمقتضى شرعه وقيل من آمن من هؤلاء الكفرة ايمانا خالصا ودخل الاسلام دخولا صادقا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ
عِنْدَ رَبِّهِمْ الذي وعد لهم على ايمانهم وعملهم وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ حين يخاف الكفار من العقاب
ويحزن المقصرون على تضييع العمر وتفويت الثواب ومن مبتدأ خبره فلهم اجرهم والجملة خبر ان او بدل
من اسم ان وخبرها فلهم اجرهم والفاء لتضمن المسند اليه معنى الشرط وقد منع سيبويه دخولها في
خبر ان من حيث انها لا تدخل الشرطية ورد بقوله تعالى ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا
فلهم عذاب جهنم وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ باتباع موسى والعمل بالتوراة وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ حتى
اعطيتم الميثاق روي ان موسى لما جاءهم بالتوراة فرأوا ما فيها من التكاليف الشاقة كبرت عليهم
وأبوا قبولها فأمر جبريل بقلع الطور فظلله فوقهم حتى قبلوا خُذُوا على ارادة القول مَا آتَيْنَاكُمْ من
الْكِتَابِ بِقُوَّةٍ بجد وعزيمة وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ ادرسوه ولا تنسوه او تفكروا فيه فانه ذكر بالقلب او اعملوا
به لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ لكي تتقوا المعاصي او رجاء منكم ان تكونوا متقين ويجوز عند المعتزلة ان يتعلق
بالقول المحذوف اي قلنا خذوا واذكروا ارادة ان تتقوا ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ ثم اعرضتم عن الوفاء
بالميثاق بعد اخذه فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ بتوفيقكم للتوبة او بمحمد صلى الله عليه وسلم يدعوكم
الى الحق ويهديكم اليه لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ المغبونين بالانهماك في المعاصي او بالخبط والضلال

البيان عن وقت الخطاب ومن انكر ذلك زعم ان المراد بها بقرة من شق البقر غير مخصوصة ثم انقلبت
مخصوصة بسؤالهم ويلزمه النسخ قبل الفعل فان التخصيص ابطال للتخيير الثابت بالنص والحق جوازهما و
يؤيد الرأي الثاني ظاهر اللفظ والمروي عنه عليه السلام لو ذبحوا اي بقرة ارادوا لاجزأتهم ولكن
شددوا على انفسهم فشدد الله عليهم وتقريعهم بالتمادي وزجرهم عن المراجعة بقوله فافعلوا ما تؤمرون
اي تؤمرونه بمعنى تؤمرون به من قوله ٭ امرتك الخير فافعل ما امرت به ٭ او امركم بمعنى مأموركم قالوا
ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها قال انه يقول انها بقرة صفراء فاقع لونها الفقوع نصوع الصفرة و
لذلك تؤكد به فيقال اصفر فاقع كما يقال اسود حالك وفي اسناده الى اللون وهو صفة صفراء لملابسته بها
فضل تأكيد كأنه قيل صفراء شديد الصفرة صفرتها وعن الحسن سوداء شديدة السواد وبه فسر قوله تعالى
جمالات صفر قال الاعشى ٭ تلك خيلي منه وتلك ركابي ٭ هن صفر اولادها كالزبيب ٭ ولعله عبر بالصفرة
عن السواد لانها من مقدماته او لان سواد الابل تعلوه صفرة وفيه نظر لان الصفرة بهذا المعنى لا تؤكد بالفقوع
تسر الناظرين اي تعجبهم والسرور اصله لذة في القلب عند حصول نفع او توقعه من السر قالوا ادع لنا
ربك يبين لنا ما هي تكرير للسؤال الاول واستكشاف زائد وقوله ان البقر تشابه علينا اعتذار عنه اي
ان البقر الموصوف بالتعوين والصفرة كثير فاشتبه علينا وقرئ ان الباقر وهو اسم لجماعة البقر والاباقر والبواقر
ويتشابه بالياء والتاء وتشابه بطرح التاء وادغامها على التذكير والتأنيث وتشابهت مخففا ومشددا وتشّبّه
بمعنى تتشبه ويشّبّه بالتذكير ومتشابه ومتشابهة ومتشبه ومتشبهة وانا ان شاء الله لمهتدون الى المراد
ذبحها او الى القاتل وفي الحديث لو لم يستثنوا لما بينت لهم آخر الابد واحتج به اصحابنا على ان الحوادث بارادة الله
وان الامر قد ينفك عن الارادة والا لم يكن للشرط بعد الامر معنى والمعتزلة والكرامية على حدوث الارادة
واجيب بان التعليق باعتبار التعلق قال انه يقول انها بقرة لا ذلول تثير الارض ولا تسقي الحرث اي لم تذلل
للكراب وسقي الحروث ولا ذلول صفة البقرة بمعنى غير ذلول ولا الثانية مزيدة لتأكيد الاولى والفعلان
صفتا ذلول كأنه قيل لا ذلول مثيرة وساقية وقرئ لا ذلول بالفتح اي حيث هي كقولك مررت برجل لا بخيل ولا
جبان اي حيث هو وتسقي من اسقى مسلمة سلمها الله من العيوب او اهلها من العمل او اخلص لونها من
سلم له كذا اذا خلص له لا شية فيها لا لون فيها يخالف لون جلدها وهي في الاصل مصدر وشاه وشيا و
شية اذا خلط بلونه لونا آخر قالوا الآن جئت بالحق اي بحقيقة وصف البقرة وحققتها لنا وقرئ
الآن بالمد على الاستفهام والآن بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام فذبحوها فيه اختصار والتقدير
فحصلوا البقرة المنعوتة فذبحوها وما كادوا يفعلون لتطويلهم وكثرة مراجعاتهم او لخوف الفضيحة في
ظهور القاتل او لغلاء ثمنها اذ روي ان شيخا صالحا منهم كان له عجلة فأتى بها الغيضة وقال اللهم اني
استودعكها لابني حتى يكبر فشبت وكانت وحيدة بتلك الصفات فساوموها اليتيم وامه حتى اشتروها بملء مسكها

فينبع منه الماء وتنفجر منه الانهار ومنها ما يتردى من اعلى الجبل انقيادا لما اراد الله به وقلوب
هؤلاء لا تتأثر ولا تنفعل عن امره والتفجر التفتح بسعة وكثرة والخشية مجاز عن الانقياد وقرئ ان على
انها المخففة من الثقيلة ويلزمها اللام الفارقة بينها وبين النافية ويهبط بالضم وما الله بغافل عما تعملون
وعيد على ذلك قرأ ابن كثير ونافع ويعقوب وخلف وابو بكر وحماد بالياء ضما الى ما بعده والباقون بالتاء
افتطمعون الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ان يؤمنوا لكم ان يصدقوكم او يؤمنوا
لاجل دعوتكم يعني اليهود وقد كان فريق منهم طائفة من اسلافهم يسمعون كلام الله يعني التوراة
ثم يحرفونه كنعت محمد صلى الله عليه وسلم وآية الرجم او تأويله فيفسرونه بما يشتهون وقيل هؤلاء
من السبعين المختارين سمعوا كلام الله حين كلم موسى بالطور ثم قالوا سمعنا الله يقول في آخره ان استطعتم
هذه الاشياء فافعلوا وان شئتم فلا تفعلوا من بعد ما عقلوه اي فهموه بعقولهم ولم يبق لهم فيه ريبة
وهم يعلمون انهم مفترون مبطلون ومعنى الآية ان احبار هؤلاء ومقدميهم كانوا على هذه الحالة
فما طمعكم بسفلتهم وجهالهم وانهم ان كفروا وحرفوا فلهم سابقة في ذلك واذا لقوا الذين آمنوا
يعني منافقيهم قالوا آمنا بانكم على الحق ورسولكم هو المبشر به في التوراة واذا خلا بعضهم الى بعض
قالوا اي الذين لم ينافقوا منهم عاتبين على من نافق اتحدثونهم بما فتح الله عليكم بما بين لكم في
التوراة من نعت محمد صلى الله عليه وسلم او الذين نافقوا لاعقابهم اظهارا للتصلب في اليهودية ومنعا
لهم عن ابداء ما وجدوا في كتابهم فينافقون الفريقين فالاستفهام على الاول تقريع وعلى الثاني انكار
ونهي ليحاجوكم به عند ربكم ليحتجوا عليكم بما انزل ربكم في كتابه جعلوا محاجتهم بكتاب الله وحكمه
محاجة عنده كما يقال عند الله كذا ويراد به انه في كتابه وحكمه وقيل عند ذكر ربكم او بما عند
ربكم او بين يدي رسول ربكم وقيل عند ربكم في القيامة وفيه نظر اذ الاخفاء لا يدفعه افلا تعقلون
اما من تمام كلام اللائمين وتقديره افلا تعقلون انهم يحاجونكم به فيحجونكم او خطاب من الله تعالى
للمؤمنين متصل بقوله افتطمعون والمعنى افلا تعقلون حالهم وان لا مطمع لكم في ايمانهم اولا يعلمون
يعني هؤلاء المنافقين او اللائمين او كليهما او اياهم والمحرفين ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون ومن
جملتها اسرارهم الكفر واعلانهم الايمان واخفاء ما فتح الله عليهم واظهار غيره وتحريف الكلم عن مواضعه ومعانيه
ومنهم اميون لا يعلمون الكتاب جهلة لا يعرفون الكتابة فيطالعوا التوراة ويتحققوا ما فيها او التوراة الا اماني
استثناء منقطع والاماني جمع امنية وهي في الاصل ما يقدره الانسان في نفسه من منى اذا قدر ولذلك يطلق على
الكذب وعلى ما يتمنى وما يقرأ والمعنى ولكن يعتقدون اكاذيب اخذوها تقليدا من المحرفين او مواعيد فارغة سمعوها
منهم من ان الجنة لا يدخلها الا من كان هودا وان النار لن تمسهم الا اياما معدودة وقيل الا ما يقرؤون قراءة عارية
عن معرفة المعنى وتدبره من قوله * تمنى كتاب الله اول ليله * تمني داود الزبور على رسل * وهو لا يناسب وصفهم بانهم

وعده بوعيده لترجى رحمته ويخشى عذابه وعطف العمل على الإيمان يدل على خروجه عن مسماه وإذ أخذنا ميثاق
بني إسرائيل لا تعبدون إلا الله إخبار في معنى النهي كقوله تعالى ولا يضار كاتب ولا شهيد وهو أبلغ من
صريح النهي لما فيه من إيهام أن المنهي سارع إلى الانتهاء فهو يخبر عنه ويعضده قراءة لا تعبدوا وعطف قولوا
عليه فيكون على إرادة القول وقيل تقديره أن لا تعبدوا فلما حذف أن رفع كقوله ألا أيهذا الزاجري أحضر الوغى
ويدل عليه قراءة أن لا تعبدوا فيكون بدلا عن الميثاق أو معمولا له بحذف الجار وقيل إنه جواب قسم دل عليه
كأنه قال حلفناهم لا تعبدون وقرأ نافع وابن عامر وأبو عمرو وعاصم ويعقوب بالتاء حكاية لما خوطبوا به والباقون
بالياء لأنهم غيب وبالوالدين إحسانا متعلق بمضمر تقديره وتحسنون أو أحسنوا وذي القربى واليتامى والمساكين
عطف على الوالدين ويتامى جمع يتيم كندامى جمع نديم ومسكين مفعيل من السكون كأن الفقر أسكنه وقولوا
للناس حسنا أي قولا حسنا وسماه حسنا للمبالغة وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب حسنا بفتحتين وقرئ حسنا بضمتين و
هو لغة أهل الحجاز وحسنى على المصدر كبشرى والمراد به ما فيه تخلق وإرشاد وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة يريد بهما
ما فرض عليهم في ملتهم ثم توليتم على طريقة الالتفات ولعل الخطاب مع الموجودين منهم في عهد رسول الله صلى الله
عليه وسلم ومن قبلهم على التغليب أي أعرضتم عن الميثاق ورفضتموه إلا قليلا منكم يريد به من أقام اليهودية على
وجهها قبل النسخ ومن أسلم منهم وأنتم معرضون قوم عادتكم الإعراض عن الوفاء والطاعة وأصل الإعراض الذهاب
عن المواجهة إلى جهة العرض وإذ أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون أنفسكم من دياركم على نحو ما
سبق والمراد به أن لا يتعرض بعضهم بعضا بالقتل والإجلاء وإنما جعل قتل الرجل غيره قتل نفسه لاتصاله به نسبا أو دينا
أو لأنه يوجبه قصاصا وقيل معناه لا ترتكبوا ما يبيح سفك دمائكم وإخراجكم من دياركم أو لا تفعلوا ما يرديكم
ويصرفكم عن الحياة الأبدية فإنه القتل في الحقيقة ولا تقترفوا ما تمنعون به عن الجنة التي هي داركم فإنه
الجلاء الحقيقي ثم أقررتم بالميثاق واعترفتم بلزومه وأنتم تشهدون توكيد كقولك أقر فلان
شاهدا على نفسه وقيل وأنتم أيها الموجودون تشهدون على إقرار أسلافكم فيكون إسناد الإقرار إليهم مجازا
ثم أنتم هؤلاء استبعاد لما ارتكبوه بعد الميثاق والإقرار به والشهادة عليه وأنتم مبتدأ وهؤلاء خبره
على معنى أنتم بعد ذلك هؤلاء الناقضون كقولك أنت ذلك الرجل الذي فعل كذا نزل تغير الصفة منزلة تغير
الذات وعدهم باعتبار ما أسند إليهم حضورا وباعتبار ما سيحكى عنهم غيبا وقوله تقتلون أنفسكم وتخرجون
فريقا منكم من ديارهم إما حال والعامل فيها معنى الإشارة أو بيان لهذه الجملة وقيل هؤلاء تأكيد والخبر
هو الجملة وقيل بمعنى الذين والجملة صلته والمجموع هو الخبر وقرئ تقتلون على التكثير تظاهرون عليهم بالإثم
والعدوان حال من فاعل تخرجون أو من مفعوله أو كليهما والتظاهر التعاون من الظهر وقرأ عاصم وحمزة والكسائي
بحذف إحدى التائين وقرئ بإظهارهما وتظهرون بمعنى تتظهرون وإن يأتوكم أسارى تفادوهم روي أن قريظة
كانوا حلفاء الأوس والنضير حلفاء الخزرج فإذا اقتتلا عاون كل فريق حلفاءه في القتل وتخريب الديار

ني اعصمه منكم ولذلك سحرتموه وسممتم له الشاة وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ مغشاة بأغطية
لا يصل اليها ما جئت به ولا تفقهه مستعار من الاغلف الذى لم يختن وقيل اصله غلف جمع غلاف
فخفف والمعنى انها اوعية العلم لا تسمع علما الا وعته ولا تعى ما تقول او نحن مستغنون بما فيها عن غيره
بَلْ لَعَنَهُمُ اللّٰهُ بِكُفْرِهِمْ رد لما قالوه والمعنى انها خلقت على الفطرة والتمكن من قبول الحق ولكن الله خذلهم بكفرهم
فابطل استعدادهم او انها لم تاب قبول ما تقوله لخلل فيها بل لان الله خذلهم بكفرهم كما قال الله فاصمهم واعمى
ابصارهم او هم كفرة ملعونون فمن اين لهم دعوى العلم والاستغناء عنك فَقَلِيلًا مَا يُؤْمِنُونَ • فايمانا
قليلا يؤمنون وما مزيدة للمبالغة فى التقليل وهو ايمانهم ببعض الكتب وقيل اراد بالقلة العدم
وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللّٰهِ يعنى القرآن مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ من كتابهم وقرئ بالنصب على الحال من كتاب
لتخصصه بالوصف وجواب لما محذوف دل عليه جواب لما الثانية وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ
كَفَرُوا اى يستنصرون على المشركين ويقولون اللهم انصرنا بنبى آخر الزمان المنعوت فى التوراة
او يفتحون عليهم ويعرفونهم ان نبيا يبعث منهم قد قرب زمانه والسين للمبالغة والاشعار بان الفاعل
يسأل ذلك عن نفسه فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا من الحق كَفَرُوا بِهِ حسدا وخوفا على الرياسة فَلَعْنَةُ اللّٰهِ
عَلَى الْكَافِرِينَ ۝ اى عليهم واتى بالمظهر للدلالة على انهم لعنوا لكفرهم فيكون اللام للعهد ويجوز ان يكون
للجنس ويدخلوا فيه دخولا اوليا لان الكلام فيهم بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ ما نكرة بمعنى شىء
مميزة لفاعل بئس المستكن واشتروا صفته ومعناه باعوا او شروا بحسب ظنهم فانهم ظنوا انهم خلصوا انفسهم
من العقاب بما فعلوا أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللّٰهُ هو المخصوص بالذم بَغْيًا طلبا لما ليس لهم وحسدا وهو علة
يكفروا دون اشتروا للفصل أَنْ يُنَزِّلَ اللّٰهُ اى لان ينزل اى حسدوه على ان ينزل الله وقرأ ابن كثير وابو عمرو
بالتخفيف مِنْ فَضْلِهِ يعنى الوحى عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ على من اختاره للرسالة فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ
للكفر والحسد على من هو افضل الخلق وقيل لكفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم بعد عيسى او بعد
قولهم عزير ابن الله وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ ۝ يراد به اذلالهم بخلاف عذاب العاصى فانه طهرة
وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللّٰهُ يعم الكتب المنزلة باسرها قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا اى بالتوراة
وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ حال عن الضمير فى قالوا ووراء فى الاصل مصدر جعل ظرفا ويضاف الى الفاعل
فيراد به ما يتوارى وهو خلفه والى المفعول فيراد به ما يواريه وهو قدامه ولذلك عد من الاضداد وَهُوَ
الْحَقُّ الضمير لما وراءه والمراد به القرآن مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ حال مؤكدة تتضمن رد مقالهم لانهم
لما كفروا بما يوافق التوراة فقد كفروا بها قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللّٰهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ
اعتراض عليهم بقتلهم الانبياء مع ادعاء الايمان بالتوراة والتوراة لا تسوغه وانما اسنده اليهم
لانه فعل آبائهم وانهم راضون به عازمون عليه وقرأ نافع وحده انبئاء الله مهموزا فى كل القرآن

في دعوى ما ليس لهم ونفيه عمن هو لهم ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَوٰةٍ﴾ من وجد بعقله الجاري مجرى
علم ومفعولاه هم احرص وتنكير حيوة لانه اريد فرد من افرادها وهي الحيوة المتطاولة وقرئ باللام
﴿وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ محمول على المعنى فكأنه قال احرص من الناس ومن الذين اشركوا وافراده
بالذكر للمبالغة فان حرصهم شديد اذ لم يعرفوا الا الحيوة العاجلة والزيادة في التوبيخ والتقريع فانه لما زاد حرصهم
وهم مقرون بالجزاء على حرص المنكرين دل ذلك على علمهم بانهم صائرون الى النار ويجوز ان يراد واحرص
من الذين اشركوا فحذف لدلالة الاول عليه وان يكون خبر مبتدأ محذوف صفته ﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ﴾ على
انه اريد بالذين اشركوا اليهود لانهم قالوا عزير ابن الله اي ومنهم ناس يود احدهم وهو على الاول
بيان لزيادة حرصهم على طريق الاستئناف ﴿لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ حكاية لودادتهم ولو بمعنى ليت وكان اصله
لو اعمر فاجري على الغيبة لقوله يود كقولك حلف بالله ليفعلن ﴿وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ﴾
الضمير لاحدهم وان يعمر فاعل مزحزحه اي وما احدهم بمن يزحزحه من النار تعميره او لما دل عليه
ان يعمر بدل منه او مبهم وان يعمر موضحه واصل سنة سنوة لقولهم سنوات وقيل سنهة
لقولهم سانهته وتسنهت النخلة اذا اتت عليه السنون والزحزحة التبعيد ﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾
فيجازيهم ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ﴾ نزل في عبد الله بن صوريا سأل رسول الله صلى الله عليه و
سلم عمن ينزل عليه فقال جبريل فقال ذاك عدونا عادانا مرارا واشدها انه انزل على نبينا ان بيت المقدس سيخربه
بخت نصر فبعثنا من يقتله فرآه ببابل غلاما مسكينا واخذه ليقتله فدفع عنه جبريل وقال ان كان ربكم امركم
بهلاككم فلا يسلطكم عليه والا فبم تقتلونه وقيل دخل عمر مدراس اليهود يوما فسألهم عن
جبريل فقالوا ذاك عدونا يطلع محمدا على اسرارنا وانه صاحب كل خسف وعذاب وميكائيل صاحب
الخصب والسلام فقال وما منزلتهما من الله تعالى قالوا جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره وبينهما
عداوة فقال لئن كانا كما تقولون فليسا بعدوين ولانتم اكفر من الحمير ومن كان عدوا لاحدهما فهو عدو لله
ثم رجع عمر فوجد جبريل عليه السلام قد سبقه بالوحي فقال عليه السلام لقد وافقك ربك يا عمر وفي
جبريل ثماني لغات قرئ بهن اربع في المشهورة جبرئيل كسلسبيل قراءة حمزة والكسائي وجبريل بكسر
الراء وحذف الهمزة قراءة ابن كثير وجبرئل كجحمرش قراءة عاصم برواية ابي بكر وجبريل كقنديل قراءة الباقين
واربع في الشواذ جبرائيل وجبرائيل وجبرئل وجبرين ومنع صرفه للعجمة والتعريف وقيل معناه عبد الله
﴿فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ﴾ البارز الاول لجبريل والثاني للقرآن واضماره غير مذكور يدل على فخامة شأنه كأنه
لتعينه وفرط شهرته لم يحتج الى سبق ذكره ﴿عَلَى قَلْبِكَ﴾ فانه القابل الاول للوحي ومحل الفهم والحفظ وكان
حقه على قلبي لكنه جاء على حكاية كلام الله كأنه قال قل ما تكلمت به ﴿بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ بامره او بتيسيره
من فاعل نزل ﴿مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ احوال من مفعوله والظاهر ان جواب

كانوا يسترقون السمع ويضمون الى ما سمعوا اكاذيب ويلقونها الى الكهنة وهم يدونونها ويعلمون الناس
وفشى ذلك في عهد سليمان عليه السلام حتى قيل ان الجن يعلم الغيب وان ملك سليمان تم بهذا العلم
وانه تسخر به الانس والجن والريح له ﴿وما كفر سليمان﴾ تكذيب لمن زعم ذلك وعبر عن السحر بالكفر
ليدل على انه كفر وان من كان نبيا كان معصوما منه ﴿ولكن الشياطين كفروا﴾ باستعماله وقرأ ابن عامر
وحمزة والكسائي ولكن بالتخفيف ورفع الشياطين ﴿يعلمون الناس السحر﴾ اغواء واضلالا والجملة حال عن الضمير
في كفروا والمراد بالسحر ما يستعان في تحصيله بالتقرب الى الشيطان مما لا يستقل به الانسان وذلك لا يستتب الا لمن
يناسبه في الشرارة وخبث النفس فان التناسب شرط في التضام والتعاون وبهذا تميز الساحر عن النبي والولي واما ما
يتعجب منه كما يفعله اصحاب الحيل بمعونة الآلات والادوية او يريه صاحب خفة اليد فغير مذموم وتسميته سحرا على التجوز
او لما فيه من الدقة لانه في الاصل لما خفي سببه ﴿وما انزل على الملكين﴾ عطف على السحر والمراد بهما واحد والعطف لتغاير
الاعتبار او به نوع اقوى منه او على ما تتلو وهما ملكان انزلا لتعليم السحر ابتلاء من الله للناس وتمييزا بينه وبين المعجزة
وما روي انهما مثلا بشرين وركب فيهما الشهوة فتعرضا لامرأة يقال لها زهرة فحملتهما على المعاصي والشرك ثم
صعدت الى السماء بما تعلمت منهما فمحكي عن اليهود ولعله من رموز الاوائل وحله لا يخفى على ذوي البصائر
وقيل رجلان سميا ملكين باعتبار صلاحهما ويؤيده قراءة الملكين بالكسر وقيل ما انزل نفي معطوف
على ما كفر وتكذيب لليهود في هذه القصة ﴿ببابل﴾ ظرف او حال من ملكين او الضمير في انزل والمشهور
انه بلد من سواد الكوفة ﴿هاروت وماروت﴾ عطف بيان للملكين ومنع صرفهما للعجمة والعلمية
ولو كانا من الهرت والمرت بمعنى الكسر لانصرفا ومن جعل ما نافية ابدلهما من الشياطين بدل البعض
وما بينهما اعتراض وقرئ بالرفع على هما هاروت وماروت ﴿وما يعلمان من احد حتى
يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر﴾ فمعناه على الاول ما يعلمان احدا حتى ينصحاه ويقولا له انما نحن
ابتلاء من الله فمن تعلم منا وعمل به كفر ومن تعلم وتوقى عمله ثبت على الايمان فلا تكفر باعتقاد جوازه
والعمل به وفيه دليل على ان تعلم السحر وما لا يجوز اتباعه غير محظور وانما المنع من اتباعه والعمل به وعلى
الثاني ما يعلمانه حتى يقولا انا مفتونان فلا تكن مثلنا ﴿فيتعلمون منهما﴾ الضمير لما دل عليه من احد
﴿ما يفرقون به بين المرء وزوجه﴾ اي من السحر ما يكون سبب تفريقهما ﴿وما هم بضارين به من احد
الا باذن الله﴾ لانه وغيره من الاسباب غير مؤثرة بالذات بل بامره تعالى وجعله وقرئ بضاري على
الاضافة الى احد وجعل الجار جزءا منه والفصل بالظرف ﴿ويتعلمون ما يضرهم﴾ لانهم يقصدون
به العمل او لان العلم يجر الى العمل غالبا ﴿ولا ينفعهم﴾ اذ مجرد العلم به غير مقصود ولا نافع في الدارين وفيه
ان التحرز عنه اولى ﴿ولقد علموا﴾ اي اليهود ﴿لمن اشتراه﴾ اي استبدل ما تتلو الشياطين بكتاب الله
والاظهر ان اللام لام الابتداء علقت علموا عن العمل ﴿ما له في الآخرة من خلاق﴾ نصيب ﴿ولبئس ما شروا به انفسهم﴾

وابو عمرو ننسأها اى نؤخرها من النسأ وقرئ ننسها اى ننس احدا اياها وننسها اى انت وتنسها على البناء

للمفعول وننسكها باظهار المفعولين نأت بخير منها او مثلها اى بما هو خير للعباد فى النفع والثواب ومثلها

فى الثواب وقرأ ابو عمرو بقلب الهمزة الفا الم تعلم ان الله على كل شئ قدير • فيقدر على النسخ والاتيان

بمثل المنسوخ وبما هو خير منه والاية دلت على جواز النسخ وتأخير الانزال اذ الاصل اختصاص ان وما يتضمنها بالامور

المحتملة وذلك لان الاحكام شرعت والايات نزلت لمصالح العباد وتكميل نفوسهم فضلا من الله ورحمة

وذلك يختلف باختلاف الاعصار والاشخاص كاسباب المعاش فان النافع فى عصر قد يضر فى عصر غيره و

احتج بها من منع النسخ بلا بدل او ببدل اثقل ونسخ الكتاب بالسنة فان الناسخ هو المأتى به بدلا والسنة

ليست كذلك والكل ضعيف اذ قد يكون عدم الحكم والاثقل اصلح والنسخ قد يعرف بغيره والسنة مما

اتى به الله وليس المراد بالخير والمثل ما يكون كذلك فى اللفظ والمعتزلة على حدوث القرآن فان التغير

والتفاوت من لوازمه واجيب بانهما من عوارض الامور المتعلقة بالمعنى القائم بالذات القديم الم تعلم

الخطاب للنبى والمراد هو وامته لقوله وما لكم وانما افرده لانه اعلمهم ومبدأ علمهم ان الله له ملك

السموات والارض يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد وهو كالدليل على قوله ان الله على كل شئ قدير

وعلى جواز النسخ ولذلك ترك العاطف وما لكم من دون الله من ولى ولا نصير • وانما هو الذى

يملك اموركم ويجريها على ما يصلحكم والفرق بين الولى والنصير ان الولى قد يضعف عن النصرة والنصير

قد يكون اجنبيا عن المنصور ام تريدون ان تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل ام معادلة للهمزة

فى الم تعلم اى الم تعلموا انه مالك الامور قادر على الاشياء كلها يأمر وينهى كما اراد ام تعلمون وتقترحون

بالسؤال كما اقترحت اليهود على موسى او منقطعة والمراد ان يوصيهم بالثقة به وترك الاقتراح عليه قيل نزلت

فى اهل الكتاب حين سألوا ان ينزل الله عليهم كتابا من السماء وقيل فى المشركين لما قالوا لن نؤمن لرقيك حتى تنزل

علينا كتابا نقرؤه ومن يتبدل الكفر بالايمان فقد ضل سواء السبيل • ومن ترك الثقة بالايات البينات

وشك فيها واقترح غيرها فقد ضل الطريق المستقيم حتى وقع فى الكفر بعد الايمان ومعنى الاية لا تقترحوا فتضلوا وسط

السبيل ويؤدى بكم الضلال الى البعد عن المقصد وتبديل الكفر بالايمان وقرئ يبدل من ابدل ود كثير من اهل الكتاب

يعنى احبارهم من اليهود لو يردونكم فان لو تنوب عن ان فى المعنى دون اللفظ من بعد ايمانكم كفارا مرتدين

هو حال من ضمير المخاطبين حسدا علة ود من عند انفسهم يجوز ان يتعلق بود اى تمنوا ذلك من عند انفسهم وتشهيهم

من قبل التدين والميل مع الحق او بحسدا اى حسدا بالغا منبعثا من اصل نفوسهم من بعد ما تبين لهم الحق بالمعجزات و

النعوت المذكورة فى التوراة فاعفوا واصفحوا العفو ترك عقوبة المذنب والصفح ترك تثريبه حتى يأتى الله بامره الذى

هو الاذن فى قتالهم وضرب الجزية عليهم او قتل قريظة واجلاء بنى النضير وعن ابن عباس انه منسوخ باية السيف وفيه نظر اذ

الامر غير مطلق ان الله على كل شئ قدير فيقدر على الانتقام منهم واقيموا الصلوة واتوا الزكوة

وعد للمؤمنين بالنصرة واستخلاص المساجد منهم وقد انجز وعده وقيل معناه النهي عن تمكينهم من الدخول في المسجد واختلف الائمة فيه فجوزه ابو حنيفة ومنع مالك وفرق الشافعي بين المسجد الحرام وغيره لهم في الدنيا خزي قتل وسبي او ذلة بضرب الجزية ولهم في الاخرة عذاب عظيم بكفرهم وظلمهم ولله المشرق والمغرب يريد بهما ناحيتي الارض اي له الارض كلها لا يختص به مكان دون مكان فان منعتم ان تصلوا في المسجد الحرام او الاقصى فقد جعلت لكم الارض مسجدا فاينما تولوا ففي اي مكان فعلتم التولية شطر القبلة فثم وجه الله اي جهته التي امر بها فان امكان التولية لا يختص بمسجد او مكان او فثم ذاته اي عالم مطلع بما يفعل فيه ان الله واسع باحاطته بالاشياء او برحمته يريد التوسعة على عباده عليم بمصالحهم واعمالهم في الاماكن كلها وعن ابن عمر رضي الله عنهما انها نزلت في صلاة المسافر على الراحلة وقيل في قوم عميت عليهم القبلة فصلوا الى انحاء مختلفة فلما اصبحوا تبينوا خطاهم وعلى هذا لو اخطا المجتهد ثم تبين له الخطا لم يلزمه التدارك وقيل هي توطئة لنسخ القبلة وتنزيه للمعبود ان يكون في حيز وجهة وقالوا اتخذ الله ولدا نزلت لما قالت اليهود عزير ابن الله والنصارى المسيح ابن الله ومشركو العرب الملائكة بنات الله وعطفه على قالت اليهود او منع او مفهوم قوله ومن اظلم وقرا ابن عامر بغير واو سبحانه تنزيه له عن ذلك فانه يقتضي التشبيه والحاجة وسرعة الفناء الا ترى ان الاجرام الفلكية مع امكانها وفنائها لما كانت باقية ما دام العالم لم تتخذ ما يكون لها كالولد اتخاذ الحيوان والنبات اختيارا او طبعا بل له ما في السموات والارض رد لما قالوه واستدلال على فساده والمعنى انه خالق ما في السموات والارض الذي من جملته الملائكة والعزير والمسيح كل له قانتون منقادون لا يمتنعون عن مشيئته وتكوينه وكل ما كان بهذه الصفة لم يجانس مكونه الواجب لذاته فلا يكون له ولد لان من حق الولد ان يجانس والده وانما جاء بما الذي لغير اولي العلم وقال قانتون على تغليب اولي العلم تحقيرا لشانهم وتنوين كل عوض عن المضاف اليه اي كل ما فيهما ويجوز ان يراد كل من جعلوه لله ولدا له مطيعون مقرون بالعبودية فيكون الزاما بعد اقامة الحجة والاية مشعرة على فساد ما قالوه من ثلثة اوجه واحتج بها الفقهاء على ان من ملك ولده عتق عليه لانه تعالى نفى الولد باثبات الملك وذلك يقتضي تنافيهما بديع السموات والارض مبدعهما ونظيره السميع في قوله امن ريحانة الداعي السميع او بديع سمواته وارضه من بدع فهو بديع وهو حجة رابعة وتقريرها ان الوالد عنصر الولد المنفعل بانفصال مادته عنه والله سبحانه وتعالى مبدع الاشياء كلها فاعل على الاطلاق منزه عن الانفعال فلا يكون والدا والابداع اختراع الشيء لا عن شيء دفعة وهو اليق بهذا الموضع من الصنع الذي هو تركيب الصورة بالعنصر والتكوين الذي يكون بتغيير وفي زمان غالبا وقرئ بديع مجرورا على البدل من الضمير في له ومنصوبا على المدح واذا قضى امرا اي اراد شيئا واصل القضاء اتمام الشيء قولا كقوله وقضى ربك او فعلا كقوله فقضاهن سبع سموات واطلق على تعلق الارادة الالهية بوجود الشيء من حيث انه

عن الساعة واهوالها كرر ذلك وختم به الكلام معهم مبالغة في النصح وايذانا بانه فذلكة القضية
والمقصود من القصة وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ كلفه باوامر ونواه والابتلاء في الاصل
التكليف بالامر الشاق من البلاء لكنه لما استلزم الاختبار بالنسبة الى من يجهل العواقب ظن ترادفهما والضمير
لابراهيم وحسن لتقدمه لفظا وان تأخر رتبة لان الشرط احد التقدمين والكلمات قد يطلق على
المعاني ولذلك فسرت بالخصال الثلثين المحمودة المذكورة في قوله التائبون العابدون وقوله ان
المسلمين الى آخر الآيتين وقوله قد افلح المؤمنون الى قوله اولئك هم الوارثون كما فسرت بها في
قوله فتلقى آدم من ربه كلمات وبالعشر التي هي من سننه وبمناسك الحج وبالكواكب والقمرين وذبح الولد
والنار والهجرة على انه تعالى عامله بها معاملة المختبر بهن وبما تضمنته الايات التي بعدها وقرئ ابراهيمُ ربَّه
على انه دعا ربه بكلمات مثل ارني كيف تحيي الموتى اجعل هذا البلد آمنا ليرى هل يجيبه وقرأ ابن
عامر ابراهام فَأَتَمَّهُنَّ فاداهن كملا وقام بهن حق القيام كقوله وابراهيم الذي وفى وفي الاخرى الضمير لربه
اي اعطاه جميع ما دعاه قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا استئناف ان ضمرت ناصب اذ كانه قيل فماذا قال
ربه حين اتمهن فاجيب بذلك او بيان لقوله ابتلى فيكون الكلمات ما ذكره من الامامة وتطهير البيت
ورفع قواعده والاسلام وان نصبته بقال فالمجموع جملة معطوفة على ما قبلها وجاعل من جعل الذي
له مفعولان والامام اسم لمن يؤتم به وامامته عامة مؤبدة اذ لم يبعث بعده نبي الا كان من ذريته
مامورا باتباعه قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي عطف على الكاف اي وبعض ذريتي كما تقول وزيدا في جواب
سأكرمك والذرية نسل الرجل فعلية او فعولة قلبت راؤها الثالثة ياء كما في تقضيت من الذر بمعنى
التفريق او فعولة او فعيلة قلبت همزتها من الذرء بمعنى الخلق وقرئ ذريتي بالكسر وهي لغة قَالَ لَا يَنَالُ
عَهْدِي الظَّالِمِينَ اجابة الى ملتمسه وتنبيه على انه قد يكون من ذريته ظلمة وانهم لا ينالون
الامامة لانها امانة من الله وعهد والظالم لا يصلح لها وانما ينالها البررة الاتقياء منهم وفيه دليل على
عصمة الانبياء من الكبائر قبل البعثة وان الفاسق لا يصلح للامامة وقرئ الظالمون والمعنى واحد اذ كل
ما نالك فقد نلته وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ اي الكعبة غلب عليها كالنجم على الثريا مَثَابَةً لِلنَّاسِ مرجعا يثوب
اليه اعيان الزوار وامثالها او موضع ثواب يثابون بحجه واعتماره وقرئ مثابات لانه مثابة كل
احد وَأَمْنًا وموضع امن لا يتعرض لاهله كقوله حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم او يأمن حاجه
من عذاب الآخرة من حيث ان الحج يجب ما قبله او لا يؤاخذ الجاني الملتجئ اليه حتى يخرج وهو مذهب ابي حنيفة
رحمه الله وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى على ارادة القول او عطف على المقدر عاملا
لاذ او اعتراض معطوف على مضمر تقديره ثوبوا اليه واتخذوا على ان الخطاب لامة محمد صلى الله عليه وسلم
وهو امر استحباب ومقام ابراهيم الحجر الذي فيه اثر قدميه او الموضع الذي كان فيه حين قام عليه ودعا الناس الى الحج

اذا اصلحوا صلح بهم الاتباع وخصا بعضهم لما اعلما ان في ذريتهما ظلمة وعلما ان الحكمة الالهية لا تقتضي
الاتفاق على الاخلاص والاقبال الكلي على الله تعالى فانه مما يشوش المعاش ولذلك قيل لولا الحمقى لخربت
الدنيا وقيل اراد بالامة امة محمد صلى الله عليه ويجوز ان يكون من للتبيين كقوله وعد الله
الذين امنوا منكم قدم على المبين وفصل به بين العاطف والمعطوف كما في قوله خلق سبع سموات
ومن الارض مثلهن وارنا من راى بمعنى ابصر او عرف ولذلك لم يتجاوز مفعولين مناسكنا متعبداتنا
في الحج او مذابحنا والنسك في الاصل غاية العبادة وشاع في الحج لما فيه من الكلفة والبعد عن العادة وقرا
ابن كثير والسوسي عن ابي عمرو ويعقوب ارنا قياسا على فخذ في فخذ وفيه اجحاف لان الكسرة منقولة من الهمزة
الساقطة دليل عليها وقرا الدوري عن ابي عمرو بالاختلاس وتب علينا استتابة لذريتهما او عما فرط منهما
سهوا ولعلهما قالا هضما لانفسهما وارشادا لذريتهما انك انت التواب الرحيم لمن تاب ربنا وابعث فيهم في
الامة المسلمة رسولا منهم ولم يبعث من ذريتهما غير محمد صلوات الله عليه فهو المجاب به دعوتهما كما قال انا دعوة ابي ابراهيم
وبشرى عيسى ورؤيا امي يتلو عليهم اياتك يقرأ عليهم ويبلغهم ما يوحى اليه من دلائل التوحيد والنبوة ويعلمهم
الكتاب القرآن والحكمة ما تكمل به نفوسهم من المعارف والاحكام ويزكيهم عن الشرك والمعاصي انك انت العزيز
الذي لا يقهر ولا يغلب على ما يريد الحكيم المحكم له ومن يرغب عن ملة ابراهيم استبعاد وانكار لان يكون احد يرغب
عن ملته الواضحة الغراء اي لا يرغب احد عن ملته الا من سفه نفسه الا من استمهنها واذلها واستخف بها قال المبرد وثعلب
سفه بالكسر متعد وبالضم لازم ويشهد له ما جاء في الحديث الكبر ان تسفه الحق وتغمص الناس وقيل اصله
سفه نفسه على الرفع فنصب على التمييز نحو غبن رايه والم راسه وقول جرير ونأخذ بعده بذناب عيش اجب الظهر
ليس له سنام او سفه في نفسه فنصب بنزع الخافض والمستثنى في محل الرفع على المختار بدلا من الضمير في يرغب
لانه في معنى النفي ولقد اصطفيناه في الدنيا وانه في الاخرة لمن الصالحين حجة وبيان لذلك فان من كان صفوة
العباد في الدنيا مشهودا له بالاستقامة والصلاح يوم القيامة كان حقيقا بالاتباع لا يرغب عنه الا سفيه او
متسفه اذل نفسه بالجهل والاعراض عن النظر اذ قال له ربه اسلم قال اسلمت لرب العالمين ظرف
لاصطفيناه وتعليل له او منصوب باضمار اذكر كانه قيل اذكر ذلك الوقت لتعلم انه المصطفى الصالح المستحق للامامة
والتقدم وانه نال ما نال بالمبادرة الى الاذعان واخلاص السر حين دعاه ربه واخطر باله دلائله المؤدية الى
المعرفة الداعية الى الاسلام روي انها نزلت لما دعا عبد الله بن سلام ابني اخيه سلمة ومهاجرا الى الاسلام فاسلم سلمة
وابى مهاجر ووصى بها ابراهيم بنيه التوصية هي التقدم الى الغير بفعل فيه صلاح وقربة واصلها الوصل
يقال وصاه اذا وصله وفصاه اذا فصله كان الموصي يصل فعله بفعل الوصي والضمير في بها للملة او لقوله
اسلمت على تاويل الكلمة او الجملة وقرا نافع وابن عامر واوصى والاول ابلغ ويعقوب عطف على ابراهيم
اي وصى هو ايضا بها بنيه وقرئ بالنصب على انه ممن وصاه ابراهيم يا بني على اضمار القول عند البصريين

بعض الكتاب في غيرهم قد تهم يدعون اتباعه وهم مشركون قولوا آمنا بالله الخطاب للمؤمنين لقوله فان
آمنوا بمثل ما آمنتم به وما انزل الينا يعني القرآن وقدم ذكره لانه اول بالاضافة الينا وانه سبب للايمان بغيره
وما انزل الى ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط الصحف وهي وان نزلت الى ابراهيم لكنهم
لما كانوا متعبدين بتفصيلها داخلين تحت احكامها فهي ايضا منزلة اليهم كما ان القرآن منزل الينا والاسباط
جمع سبط وهو الحافد يريد به حفدة يعقوب او ابناءه وذراريهم فانهم حفدة ابراهيم واسحق وما اوتي
موسى وعيسى التورية والانجيل افردهما بالذكر بحكم ابلغ لان امرهما بالاضافة الى موسى وعيسى مغاير لما
سبق والنزاع وقع فيهما وما اوتي النبيون جملة المذكورين منهم وغير المذكورين من ربهم منزلا عليهم من ربهم
لا نفرق بين احد منهم كاليهود فنؤمن ببعض ونكفر ببعض واحد لوقوعه في سياق النفي فساغ ان يضاف اليه بين ونحن له
مسلمون مذعنون مخلصون فان آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا من باب التعجيز والتبكيت
كقوله فأتوا بسورة من مثله اذ لا مثل لما آمن به المسلمون ولا دين كدين الاسلام وقيل الباء للآلة دون
التعدية والمعنى ان تحروا الايمان بطريق يهدي الى الحق مثل طريقكم فان وحدة المقصد لا تأبى تعدد الطرق
او مزيدة للتأكيد كقوله جزاء سيئة بمثلها والمعنى فان آمنوا بالله ايمانا مثل ايمانكم به او المثل مقحم كما في قوله
وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله اي عليه ويشهد له قراءة من قرأ بما آمنتم به او بالذي آمنتم به وان تولوا
فانما هم في شقاق اي ان اعرضوا عن الايمان او عما تقولون لهم فما هم الا في شقاق الحق وهو المناواة والمخالفة فان
كل واحد من المخالفين في شق غير شق الآخر فسيكفيكهم الله تسلية وتسكين للمؤمنين ووعد لهم
بالحفظ والنصرة على من ناواهم وهو السميع العليم اما من تمام الوعد بمعنى انه يسمع اقوالكم ويعلم اخلاصكم
وهو مجازيكم لا محالة او وعيد للمعرضين بمعنى انه يسمع ما يبدون ويعلم ما يخفون وهو معاقبهم عليه صبغة
الله اي صبغنا الله صبغته وهي فطرة الله التي فطر الناس عليها فانها حلية الانسان كما ان الصبغة حلية
المصبوغ او هدانا هدايته وارشدنا حجته او طهر قلوبنا بالايمان تطهيره وسماه صبغة لانه ظهر اثره عليهم
ظهور الصبغ على المصبوغ وتداخل في قلوبهم تداخل الصبغ الثوب او للمشاكلة فان النصارى كانوا يغمسون
اولادهم في ماء اصفر يسمونه المعمودية ويقولون هو تطهير لهم وبه تحق نصرانيتهم ونصبها على انه مصدر
مؤكد لقوله آمنا وقيل على الاغراء وقيل على البدل من ملة ابراهيم ومن احسن من الله صبغة لا صبغة احسن من
صبغته ونحن له عابدون تعريض بهم اي لا نشرك به كشرككم وهو عطف على آمنا وذلك يقتضي دخول قوله
صبغة الله في مفعول قولوا ولمن نصبها على الاغراء او البدل ان يضمر قولوا معطوفا على الزموا او اتبعوا ملة ابراهيم
وقولوا آمنا بدل اتبعوا حتى لا يلزم فك النظم وسوء التركيب قل اتحاجوننا اتجادلوننا
في الله في شانه واصطفائه نبيا من العرب دونكم روي ان اهل الكتاب قالوا الانبياء كلهم منا فلو
كنت نبيا لكنت منا فنزلت وهو ربنا وربكم لا اختصاص له بقوم دون قوم يصيب برحمته من يشاء من عباده

على معاصريكم وعلى النبي فتلكم وبعدكم روي ان الامم يوم القيمة يجحدون تبليغ الانبياء فيطالبهم الله
ببينة التبليغ وهو اعلم بهم اقامة للحجة على المنكرين فيؤتى بامة محمد صلى الله عليه وسلم فيشهدون فتقول
الامم من اين عرفتم فيقولون علمنا ذلك باخبار الله تعالى في كتابه الناطق على لسان نبيه الصادق
فيؤتى بمحمد صلى الله عليه وسلم فيسئل عن حال امته فيشهد بعدالتهم وهذه الشهادة وان كانت لهم لكن
لما كان الرسول كالرقيب المهيمن على امته عدي بعلى وقدمت الصلة للدلالة على اختصاصهم يكون
الرسول شهيدا عليهم وما جعلنا القبلة التي كنت عليها اي الجهة التي كنت عليها وهي الكعبة فانه
صلى الله عليه وسلم كان يصلي اليها بمكة ثم لما هاجر امر بالصلوة الى الصخرة تألفا لليهود او الصخرة لقول ابن عباس
كانت قبلته بمكة بيت المقدس الا انه كان يجعل الكعبة بينه وبينه فالمخبر به على الاول الجعل الناسخ وعلى
الثاني المنسوخ والمعنى ان اصل امرك ان تستقبل الكعبة وما جعلنا قبلتك بيت المقدس الا لنعلم من يتبع
الرسول ممن ينقلب على عقبيه الا لنمتحن الناس ونعلم من يتبعك في الصلوة اليها ممن يرتد عن دينك الفا
لقبلة آبائه او لنعلم الآن من يتبع الرسول ممن لا يتبعه وما كان لعارض يزول بزواله وعلى الاول معناه ما رددناك
الى ما كنت عليها الا لنعلم الثابت على الاسلام ممن ينكص على عقبيه لقلقه وضعف ايمانه فان قيل كيف
يكون علمه تعالى غاية الجعل وهو لم يزل عالما قلت هذا واشباهه باعتبار التعلق الحالي الذي هو مناط الجزاء والمعنى
ليتعلق علمنا به موجودا وقيل ليعلم رسوله والمؤمنون لكنه اسند الى نفسه لانهم خواصه او لنميز الثابت
عن المتزلزل كقوله تعالى ليميز الله الخبيث من الطيب فوضع العلم موضع التمييز المسبب عنه ويشهد له
قراءة ليعلم على البناء للمفعول والعلم اما بمعنى المعرفة او معلق لما في من من معنى الاستفهام او مفعوله الثاني ممن
ينقلب اي لنعلم من يتبع الرسول متميزا ممن ينقلب وان كانت لكبيرة ان هي المخففة من الثقيلة واللام
هي الفاصلة وقال الكوفيون هي النافية واللام بمعنى الا والضمير لما دل عليه قوله وما جعلنا القبلة
التي كنت عليها من الجعلة او الردة او التحويلة او القبلة وقرئ لكبيرة بالرفع فيكون كانت زائدة الا
على الذين هدى الله الى حكمة الاحكام الثابتين على الايمان والاتباع وما كان الله ليضيع ايمانكم
اي ثباتكم على الايمان وقيل ايمانكم بالقبلة المنسوخة او صلوتكم اليها لما روي انه صلى الله عليه وسلم
لما توجه الى الكعبة قالوا كيف بمن مات يا رسول الله قبل التحويل من اخواننا فنزلت ان الله بالناس
لرؤف رحيم فلا يضيع اجورهم ولا يدع صلاحهم ولعله قدم الرؤف وهو ابلغ محافظة على الفواصل
وقرأ الحرميان وابن عامر وحفص لرؤف بالمد والباقون بالقصر قد نرى تقلب وجهك
في السماء تردد وجهك في جهة السماء تطلعا للوحي وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقع
في روعه ويتوقع من ربه ان يحوله الى الكعبة لانها قبلة ابيه ابراهيم واقدم القبلتين وادعى
للعرب الى الايمان ولمخالفة اليهود وذلك يدل على كمال ادبه حيث انتظر ولم يسأل فلنولينك

مثلك من الدليل او منقول يعلمون فلا تكونن من الممترين الشاكين في انه من ربك او في كتمانهم

الحق عالمين به وليس المراد به نهي الرسول عن الشك فيه لانه غير متوقع منه وليس بقصد واختيار

بل اما تحقيق الامر وانه بحيث لا يشك فيه ناظر او امر الامة باكتساب المعارف المزيحة للشك على الوجه

الابلغ ولكل وجهة ولكل امة قبلة او لكل قوم من المسلمين جهة وجانب من الكعبة والتنوين بدل

الاضافة هو موليها احد المفعولين محذوف اي هو موليها وجهه او الله تعالى موليها اياه وقرئ ولكل

وجهة بالاضافة والمعنى وكل وجهة الله موليها اهلها واللام مزيدة للتاكيد وجبر الضعف العامل

وقرأ ابن عامر مولاها اي هو مولى تلك الجهة قد وليها فاستبقوا الخيرات من امر القبلة وغيره مما ينال به

سعادة الدارين او الفاضلات من الجهات وهي المسامتة للكعبة اينما تكونوا يأت بكم الله جميعا

اي موضع تكونوا من موافق ومخالف مجتمع الاجزاء او مفترقها يحشركم الله الى المحشر للجزاء او اينما تكونوا من

اعماق الارض وقلل الجبال يقبض ارواحكم او اينما تكونوا من الجهات المتقابلات يأت بكم الله جميعا ويجعل

صلواتكم كأنها الى جهة واحدة ان الله على كل شيء قدير فيقدر على الاماتة والاحياء والجمع ومن حيث

خرجت ومن اي مكان خرجت للسفر فول وجهك شطر المسجد الحرام اذا صليت وانه للحق

من ربك وما الله بغافل عما تعملون وقرأ ابو عمرو بالياء ومن حيث خرجت فول وجهك شطر

المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره كرر هذا الحكم لتعدد علله فانه تعالى ذكر للتحويل ثلاث علل

تعظيم الرسول بابتغاء مرضاته وجري العادة الالهية على ان يولي كل اهل ملة وصاحب دعوة وجهة

يستقبلها ويتميز بها ودفع حجج المخالفين على ما نبينه وقرن بكل علة معلولها كما يقرن المدلول بكل واحد من دلائله

تقريبا وتقريرا مع ان القبلة لها شأن والنسخ من مظان الفتنة والشبهة فبالحري ان يؤكد امرها ويعاد ذكرها

مرة بعد اخرى لئلا يكون للناس عليكم حجة علة لقوله فولوا والمعنى ان التولية عن الصخرة الى الكعبة تدفع

احتجاج اليهود بان المنعوت في التوراة قبلته الكعبة وان محمدا يجحد ديننا ويتبعنا في قبلتنا والمشركين بانه

يدعي ملة ابراهيم ويخالف قبلته الا الذين ظلموا منهم استثناء من الناس اي لئلا يكون لاحد من الناس

حجة الا المعاندين منهم فانهم يقولون ما تحول الى الكعبة الا ميلا الى دين قومه وحبا لبلده او بدا له فرجع الى قبلة آبائه

ويوشك ان يرجع الى دينهم وسمى هذه حجة كقوله حجتهم داحضة لانهم يسوقونها مساقها وقيل الحجة

بمعنى الاحتجاج وقيل الاستثناء للمبالغة في نفي الحجة راسا كقوله ❋ ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم

بهن فلول من قراع الكتائب ❋ للعلم بان الظالم لا حجة له وقرئ ألا الذين ظلموا على انه استئناف بحرف

التنبيه فلا تخشوهم فلا تخافوهم فان مطاعنهم لا تضركم واخشوني فلا تخالفوا ما امرتكم

به ولأتم نعمتي عليكم ولعلكم تهتدون علة محذوف اي وامرتكم لاتمامي النعمة عليكم وارادتي

اهتداءكم او عطف على علة مقدرة مثل واخشوني لاحفظكم عنهم ولاتم نعمتي عليكم او لئلا يكون وفي الحديث

الدعاء ومن الله التزكية والمغفرة وجمعها للتنبيه على كثرتها وتنوعها والمراد بالرحمة اللطف والاحسان

وعن النبي صلى الله عليه وسلم من استرجع عند المصيبة جبر الله تعالى مصيبته واحسن عقباه وجعل له خلفا

صالحا يرضاه وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ للحق والصواب حيث استرجعوا وسلموا لقضاء الله تعالى إِنَّ الصَّفَا

وَالْمَرْوَةَ هما علما جبلين بمكة مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ من اعلام مناسكه جمع شعيرة وهي العلامة فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ

اعْتَمَرَ الحج لغة القصد والاعتمار الزيارة فغلبا شرعا على قصد البيت وزيارته على الوجهين المخصوصين فَلَا

جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا كان اساف على الصفا ونائلة على المروة وكان اهل الجاهلية اذا سعوا

مسحوهما فلما جاء الاسلام وكسر الاصنام تحرج المسلمون ان يطوفوا بهما لذلك فنزلت والاجماع على

انه مشروع في الحج والعمرة وانما الخلاف في وجوبه فعن احمد انه سنة وبه قال انس وابن عباس لقوله فلا جناح

عليه فانه يفهم منه التخيير وهو ضعيف لان نفي الجناح يدل على الجواز الداخل في معنى الوجوب فلا يدفعه

وعن ابي حنيفة انه واجب يجبر بالدم وعن مالك والشافعي انه ركن لقوله عليه السلام اسعوا فان الله كتب

عليكم السعي وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا اي فعل طاعة فرضا كان او نفلا او زاد على ما فرض عليه من حج او عمرة او طواف

او تطوع بالسعي ان قلنا انه سنة وخيرا نصب على انه صفة مصدر محذوف او بحذف الجار او بايصال الفعل اليه او

بتعديته الفعل لتضمنه معنى اتى او فعل وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب يطوع واصله يتطوع فادغم مثل يطوف

فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ مثيب على الطاعة لا تخفى عليه إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ كاحبار اليهود وَمَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ كالآيات

الشاهدة على امر محمد صلى الله عليه وسلم وَالْهُدَى وما يهدي الى وجوب اتباعه والايمان به مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ

لِلنَّاسِ لخصناه فِي الْكِتَابِ في التوراة أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ اي الذين يتأتى

منهم اللعن عليهم من الملائكة والثقلين إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا عن الكتمان وسائر ما يجب ان يتاب عنه وَأَصْلَحُوا

ما افسدوا بالتدارك وَبَيَّنُوا ما بينه الله في كتابهم لتتم توبتهم وقيل ما احدثوه من التوبة ليمحوا سمة الكفر

عن انفسهم ويقتدي بهم اضرابهم فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ بالقبول والمغفرة وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ المبالغ في

قبول التوبة وافاضة الرحمة إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ اي ومن لم يتب من الكاتمين حتى مات

أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ استقر عليهم لعن الله ومن يعتد بلعنه من خلقه وقيل

الاول لعنهم احياء وهذا لعنهم امواتا وقرئ والملائكة والناس اجمعون عطفا على محل اسم الله لانه فاعل في المعنى كقولك

اعجبني ضرب زيد وعمرو او فاعلا لفعل مقدر نحو ويلعنهم الملائكة خَالِدِينَ فِيهَا اي في اللعنة او النار واضمارها

قبل الذكر تفخيما لشأنها وتهويلا او اكتفاء بدلالة اللعن عليها لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ

او لا ينتظرون ليعتذروا او لا ينظر اليهم نظر رحمة وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ خطاب عام اي المستحق منكم العبادة واحد

لا شريك له يصح ان يعبد او يسمى الها لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ تقرير للوحدانية وازاحة لان يتوهم ان في الوجود الها ولكن لا يستحق منهم

العبادة الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ كالحجة عليها فانه لما كان مولى النعم كلها اصولها وفروعها وما سواه اما نعمة واما منعم عليه

فيها ومحبة العبد لله ارادة طاعته والاعتناء بتحصيل مراضيه ومحبة الله للعبد ارادة اكرامه واستعماله في
الطاعة وصونه عن المعاصي وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ لانه لا ينقطع محبتهم لله بخلاف محبة الانداد
فانها لاغراض فاسدة موهومة تزول بادنى سبب ولذلك كانوا يعدلون عن آلهتهم الى الله تعالى عند الشدائد
ويعبدون الصنم زمانا ثم يرفضونه الى غيره وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا ولو يعلم هؤلاء الذين ظلموا باتخاذ
الانداد إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ اذا عاينوه يوم القيمة واجرى المستقبل مجرى الماضي لتحققه كقوله ونادى
اصحاب الجنة أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ساد مسد مفعولي يرى وجواب لو محذوف اي لو يعلمون ان
القدرة لله جميعا اذا عاينوا العذاب لندموا اشد الندم وقيل هو متعلق الجواب والمفعولان
محذوفان والتقدير ولو يرى الذين ظلموا اندادهم لا تنفع لعلموا ان القوة لله كلها لا ينفع ولا يضر
وقرا ابن عامر ونافع ويعقوب ولو ترى على انه خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم اي ولو ترى ذلك لرأيت
امرا عظيما وقرا ابن عامر اذ يرون على البناء للمفعول ويعقوب ان بالكسر وكذا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ
الْعَذَابِ على الاستيناف او اضمار القول إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا بدل من اذ يرون اي
اذ تبرأ المتبوعون من الاتباع وقرئ بالعكس اي تبرأ الاتباع من الرؤساء وَرَأَوُا الْعَذَابَ اي
رائين له والواو للحال وقد مضمرة وقيل عطف على تبرأ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ يحتمل العطف
على تبرأ او رأوا والواو للحال والاول اظهر والاسباب الوصل التي كانت بينهم من الاتباع والاتفاق
على الدين والاغراض الداعية الى ذلك واصل السبب الحبل الذي يرتقى به الشجر وقرئ وتقطعت
على البناء للمفعول وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا لو للتمني ولذلك
اجيب بالفاء اي ليت لنا كرة الى الدنيا فنتبرأ منهم كَذَلِكَ مثل ذلك الاراء الفظيع يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ
عَلَيْهِمْ ندامات وهي ثالث مفاعيل يرى ان كان من رؤية القلب والا فحال وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ
اصله وما يخرجون فعدل به الى هذه العبارة للمبالغة في الخلود والاقناط عن الخلاص والرجوع
الى الدنيا يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا نزلت في قوم حرموا على انفسهم رفيع الاطعمة
والملابس وحلالا مفعول كلوا او صفة مصدر محذوف او حال مما في الارض ومن للتبعيض
اذ لا يؤكل كل ما في الارض طَيِّبًا يستطيبه الشرع او الشهوة المستقيمة اذ الحلال دل على الاول وَ
لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ لا تقتدوا به في اتباع الهوى فتحرموا الحلال وتحللوا الحرام وقرا
نافع وابو عمرو وحمزة بتسكين الطاء وهما لغتان في جمع خطوة وهو ما بين قدمي الخاطي وقرئ
بضمتين وهمزة جعلت ضمة الطاء كانها عليها وبفتحتين على انه جمع خطوة وهي المرة من الخطو إِنَّهُ
لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ * ظاهر العداوة عند ذوي البصيرة وان كان يظهر الموالاة لمن يغويه
ولذلك سماه وليا في قوله اولياؤهم الطاغوت إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ بيان لعداوته

عظيم اخلق ويعبد غيري وارزق ويشكر غيري انما حرم عليكم الميتة اكلها والانتفاع بها وهي التي
ماتت من غير ذكوة والحديث الحق بها ما ابين من الحي والسمك والجراد اخرجهما العرف عنها او
استثناء الشرع والحرمة المضافة الى العين تفيد عرفا حرمة التصرف فيها مطلقا الا ما خصه الدليل
كالتصرف في المدبوغ والدم ولحم الخنزير انما خص اللحم بالذكر لانه معظم ما يؤكل من الحيوان وسائر
اجزائه كالتابع له وما اهل به لغير الله اي رفع به الصوت عند ذبحه للصنم والاهلال اصله رؤية
الهلال يقال اهل الهلال واهللته لكن لما جرت العادة ان يرفع الصوت بالتكبير اذا رأى الهلال سمي
ذلك اهلالا ثم قيل لرفع الصوت وان كان لغيره فمن اضطر غير باغ بالاستيثار على مضطر آخر وقرأ
عاصم وابو عمرو وحمزة بكسر النون ولا عاد سد الرمق او الجوعة وقيل غير باغ على الوالي ولا عاد بقطع
الطريق فعلى هذا لا يباح للعاصي بالسفر وهو ظاهر مذهب الشافعي وقول احمد فلا اثم عليه في تناوله ان الله
غفور لما فعل رحيم بالرخصة فيه فان قيل انما تفيد قصر الحكم على ما ذكر وكم من حرام لم يذكر قلت المراد قصر
الحرمة على ما ذكر مما استحلوه لا مطلقا او قصر حرمته على حال الاختيار كانه قيل انما حرم عليكم هذه الاشياء
ما لم تضطروا اليها ان الذين يكتمون ما انزل الله من الكتاب ويشترون به ثمنا قليلا عوضا حقيرا
اولئك ما يأكلون في بطونهم الا النار اما في الحال لانهم اكلوا ما يتلبس بالنار لكونها عقوبة عليه
فكأنه اكل النار كقوله اكلت دما ان لم ارعك بضرة • بعيدة مهوى القرط طيبة النشر يعني
الدية او في المآل اي لا يأكلون يوم القيامة الا النار ومعنى في بطونهم ملء بطونهم يقال اكل في
بطنه واكل في بعض بطنه كقوله • كلوا في بعض بطنكم تعفوا • ولا يكلمهم الله يوم القيامة عبارة عن
غضبه عليهم وتعريض بحرمانهم حال مقابليهم في الكرامة والزلفى من الله ولا يزكيهم ولا يثني عليهم
ولهم عذاب اليم • مؤلم اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى في الدنيا والعذاب بالمغفرة
في الآخرة بكتمان الحق للمطامع والاغراض الدنيوية فما اصبرهم على النار تعجب من حالهم في
الالتباس بموجبات النار من غير مبالاة • وما تامة مرفوعة بالابتداء وتخصيصها كتخصيص قولهم شر
اهر ذا ناب او استفهامية وما بعدها الخبر او موصولة وما بعدها الصلة والخبر محذوف ذلك
بأن الله نزل الكتاب بالحق اي ذلك العذاب بسبب ان الله نزل الكتاب بالحق فرفضوه بالتكذيب
او الكتمان وان الذين اختلفوا في الكتاب اللام فيه اما للجنس واختلافهم ايمانهم ببعض
كتب الله وكفرهم ببعض او للعهد والاشارة اما الى التوراة واختلفوا بمعنى تخلفوا عن المنهج
المستقيم في تأويلها او خلفوا خلاف ما انزل الله مكانه اي حرفوا ما فيها واما الى القرآن واختلافهم
فيه قولهم سحر وتقول وكلام علمه بشر واساطير الاولين لفي شقاق بعيد • لفي خلاف بعيد عن
الحق ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب البر كل فعل مرضي والخطاب

كان في الجاهلية بين حيين من احياء العرب دماء وكان لاحدهما طول على الاخر فأقسموا لنقتلن الحر منكم بالعبد والذكر بالانثى فلما جاء الاسلام تحاكموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت وامرهم ان يتباوؤا ولا تدل على ان لا يقتل الحر بالعبد والذكر بالانثى كما لا تدل على عكسه فان المفهوم حيث لم يظهر للتخصيص غرض سوى اختصاص الحكم وقد بينا ما كان الغرض وانما منع مالك والشافعي قتل الحر بالعبد سواء كان عبده او عبد غيره لما روي عن علي رضي الله عنه ان رجلا قتل عبده فجلده الرسول صلى الله عليه وسلم ونفاه سنة ولم يقده به وروي عنه انه قال من السنة ان لا يقتل مسلم بذي عهد ولا حر بعبد ولان ابا بكر وعمر رضي الله عنهما كانا لا يقتلان الحر بالعبد بين اظهر الصحابة رضي الله عنهم من غير نكير وللقياس على الاطراف ومن سلم دلالته فليس له دعوى نسخه بقوله النفس بالنفس لانه حكاية ما في التورية فلا ينسخ ما في القران واحتجت الحنفية به على ان مقتضى العمد القود وحده وهو ضعيف اذ الواجب على التخيير يصدق عليه انه وجب وكتب ولذلك قيل التخيير بين الواجب وغيره ليس نسخا لوجوبه وقرئ كتب على البناء للفاعل والقصاص بالنصب وكذلك كل فعل جاء في القران فمن عفي له من اخيه شيء اي شيء من العفو لان عفا لازم وفائدته الاشعار بان بعض العفو كالعفو التام في اسقاط القصاص وقيل عفا بمعنى ترك وشيء مفعول به وهو ضعيف اذ لم يثبت عفا الشيء بمعنى تركه بل اعفاه وعفا يعدى بعن الى الجاني والى الذنب قال الله تعالى عفا الله عنك وقال عفا الله عنها فاذا عدي به الى الذنب عدي الى الجاني باللام وعليه ما في الاية كانه قيل فمن عفي له عن جنايته من جهة اخيه يعني ولي الدم وذكره بلفظ الاخوة الثابتة بينهما من الجنسية والاسلام ليرق له ويعطف عليه فاتباع بالمعروف واداء اليه باحسان اي فليكن اتباع او فالامر اتباع والمراد به وصية العافي بان يطالب الدية بالمعروف فلا يعنف والمعفو عنه بان يؤديها باحسان وهو ان لا يمطل ولا يبخس وفيه دليل على ان الدية احد مقتضى العمد والا لما رتب الامر بادائها على مطلق العفو وللشافعي رضي الله عنه في المسألة قولان ذلك اي الحكم المذكور في العفو والدية تخفيف من ربكم ورحمة لما فيه من التسهيل والنفع قيل كتب على اليهود القصاص وحده وعلى النصارى العفو مطلقا وخيرت هذه الامة بينهما وبين الدية تيسيرا عليهم وتقديرا للحكم على حسب مراتبهم فمن اعتدى بعد ذلك قتل بعد العفو واخذ الدية فله عذاب اليم في الاخرة وقيل في الدنيا بان يقتل لا محالة لقوله عليه السلام لا اعافي احدا قتل بعد اخذه الدية ولكم في القصاص حيوة كلام في غاية الفصاحة والبلاغة من حيث جعل الشيء محل ضده وعرف القصاص ونكر الحيوة ليدل على ان في هذا الجنس من الحكم نوعا من الحيوة عظيما وذلك لان العلم به يردع القاتل عن القتل فيكون سبب حيوة نفسين ولانهم كانوا يقتلون

يعني الأنبياء والأمم من لدن آدم وفيه توكيد للحكم وترغيب على الفعل وتطييب على النفس والصوم في اللغة
الإمساك عما تنازع إليه النفس وفي الشرع الإمساك عن المفطرات فإنها معظم ما تشتهيه الأنفس لعلكم تتقون
المعاصي فإن الصوم يكسر الشهوة التي هي مبدؤها كما قال عليه السلام فعليه بالصوم فإن الصوم له وجاء أو
الإخلال بأدائه لأصالته وقدمه أياماً معدودات موقتات بعدد معلوم أو قلائل فإن القليل من المال يعد عداً
والكثير يهال هيلاً ونصبها ليس بالصيام لوقوع الفصل بينهما بل بإضمار صوموا لدلالة الصيام عليه والمراد
به رمضان أو ما وجب صومه قبل وجوبه ونسخ به وهو عاشوراء وثلاثة أيام من كل شهر أو بكما كتب
على الظرفية أو على أنه مفعول ثان لكتب عليكم على السعة وقيل معناه صومكم كصومهم في عدد الأيام
لما روي أن رمضان كتب على النصارى فوقع في برد أو حر شديد فحولوه إلى الربيع وزادوا عليه عشرين كفارة
لتحويله وقيل زادوا ذلك لموتان أصابهم فمن كان منكم مريضاً مرضاً يضره الصوم ويعسر معه أو على
سفر أو راكب سفر وفيه إيماء بأن من سافر أثناء اليوم لم يفطر فعدة من أيام أخر فعليه صوم عدد أيام
المرض أو السفر من أيام أخر إن أفطر فحذف الشرط والمضاف والمضاف إليه للعلم بها
وقرئ بالنصب أي فليصم عدة وهذا على سبيل الرخصة وقيل على الوجوب وإليه ذهب
الظاهرية وبه قال أبو هريرة وعلى الذين يطيقونه وعلى المطيقين للصيام إن أفطروا فدية طعام
مسكين نصف صاع من بر أو صاع من غيره عند فقهاء العراق ومد عند فقهاء الحجاز رخص لهم
في ذلك أول الأمر لما أمروا بالصوم فاشتد عليهم لأنهم لم يتعودوه ثم نسخ وقرأ نافع وابن عامر برواية
ابن ذكوان بإضافة الفدية إلى الطعام وجمع المساكين وقرأ ابن عامر برواية هشام مساكين
بغير إضافة الفدية إلى الطعام والباقون بغير إضافة وتوحيد مسكين وقرئ يطوقونه
أي يكلفونه أو يقلدونه من الطوق بمعنى الطاقة أو القلادة ويتطوقونه أي يتكلفونه أو يتقلدونه
ويطّوّقونه بالإدغام ويطيقونه ويطّيّقونه على أن أصلهما يطيوقونه ويتطيوقونه من فيعل وتفيعل
بمعنى يتطوقونه وعلى هذه القراءات يحتمل معنى ثانياً وهو الرخصة لمن يتعبه الصوم ويجهده وهم
الشيوخ والعجائز في الإفطار والفدية فيكون ثابتاً وقد أول به القراءة المشهورة أي يصومونه جهدهم
طاقتهم فمن تطوع خيراً فزاد في الفدية فهو خير له فالتطوع والخير خير له وأن تصوموا أيها المطيقون أو
وجهدتم طاقتكم أو المرخصون في الإفطار ليندرج تحته المريض والمسافر خير لكم من الفدية أو
تطوع الخير أو منهما ومن التأخير للقضاء إن كنتم تعلمون ما في الصوم من الفضيلة وبراءة الذمة
وجوابه محذوف دل عليه ما قبله أي اخترتموه وقيل معناه إن كنتم من أهل العلم والتدبر
علمتم أن الصوم خير لكم من ذلك شهر رمضان مبتدأ خبره ما بعده أو خبر مبتدأ محذوف تقديره ذلكم
شهر رمضان أو بدل من الصيام على حذف المضاف أي كتب عليكم الصيام صيام شهر رمضان وقرئ بالنصب

قريب اى فقل لهم انى قريب وهو تمثيل لكمال علمه بافعال العباد واقوالهم واطلاعه على
احوالهم بحال من قرب مكانه منهم روى ان اعرابيا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اقريب
ربنا فنناجيه ام بعيد فنناديه فنزلت اجيب دعوة الداع اذا دعان تقرير للقرب ووعد للداعى
بالاجابة فليستجيبوا لى اذا دعوتهم للايمان والطاعة كما اجيبهم اذا دعونى لمهماتهم
وليؤمنوا بى امر بالثبات والمداومة عليه لعلهم يرشدون * راجين اصابة الرشد و
هو اصابة الحق وقرئ بفتح الشين وكسرها واعلم انه تعالى امرهم بصوم الشهر ومراعاة العدة
وحثهم على القيام بوظائف التكبير والشكر عقبه بهذه الاية الدالة على انه تعالى خبير باحوالهم
سميع لاقوالهم مجيب لدعائهم ومجازيهم على اعمالهم تاكيدا له وحثا عليه ثم بين احكام الصوم
فقال احل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم روى ان المسلمين كانوا اذا امسوا حل لهم الاكل و
الشرب والجماع الى ان يصلوا العشاء او يرقدوا ثم ان عمر رضى الله عنه باشر بعد العشاء فندم و
اتى النبى صلى الله عليه وسلم واعتذر اليه فقام رجال واعترفوا بما صنعوا بعد العشاء فنزلت
وليلة الصيام الليلة التى يصبح منها صائما والرفث كناية عن الجماع لانه لا يكاد يخلو من رفث
وهو الافصاح بما يجب ان يكنى عنه وعدى بالى لتضمنه معنى الافضاء وايثاره هنا لتقبيح ما ارتكبوه
ولذلك سماه خيانة وقرئ الرفوث هن لباس لكم وانتم لباس لهن استئناف يبين سبب
الاحلال وهو قلة الصبر عنهن وصعوبة اجتنابهن لكثرة المخالطة وشدة الملابسة ولما
كان الرجل والمراة يعتنقان ويشتمل كل منهما على صاحبه شبه باللباس قال الجعدى
* اذا ما الضجيع ثنى عطفها * تثنت فكانت عليه لباسا * او لان كلا منهما يستر حال
صاحبه ويمنعه عن الفجور علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم تظلمونها بتعريضها للعقاب
وتنقيص حظها من الثواب والاختيان ابلغ من الخيانة كالاكتساب من الكسب فتاب عليكم لما
تبتم مما اقترفتموه وعفا عنكم ومحا عنكم اثره فالآن باشروهن لما نسخ عنكم التحريم وفيه
دليل على جواز نسخ السنة بالقران والمباشرة الزاق البشرة بالبشرة كنى به عن الجماع
وابتغوا ما كتب الله لكم واطلبوا ما قدره لكم واثبته فى اللوح من الولد والمعنى ان المباشر ينبغى
ان يكون غرضه الولد فانه الحكمة من خلق الشهوة وشرع النكاح لا قضاء الوطر وقيل النهى عن
العزل وقيل عن غير المأتى والتقدير وابتغوا المحل الذى كتبه الله لكم وكلوا واشربوا حتى
يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر شبه اول ما يبدو من الفجر المعترض فى
الافق وما يمتد معه من غبش الليل بخيطين ابيض واسود واكتفى ببيان الخيط الابيض بقوله
من الفجر عن بيان الخيط الاسود لدلالته عليه وبذلك خرجا عن الاستعارة الى التمثيل ويجوز ان يكون من

حركة الفلك من مبدأها الى منتهاها والزمان مدة مقسومة والوقت الزمان المفروض لامر
وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى قرأ ابو عمرو وورش وحفص
بضم الباء والباقون بالكسر وقرأ نافع وابن عامر بتخفيف لكن ورفع البر كانت الانصار اذا احرموا
لم يدخلوا دارا ولا فسطاطا من بابه وانما يدخلون ويخرجون من نقب او فرجة وراءه ويعدون ذلك
برا فبين لهم انه ليس ببر وانما البر من اتقى المحارم والشهوات ووجه اتصاله بما قبله انهم سألوا عن الامرين
او انه لما ذكر انها مواقيت الحج وهذا ايضا من افعالهم في الحج ذكره للاستطراد او انهم لما سألوا عما
لا يعنونه ولا يتعلق بعلم النبوة وتركوا السؤال عما يعنونه ويختص بعلم النبوة عقب بذكره جواب ما
سألوه تنبيها على ان اللائق بهم ان يسألوا امثال ذلك ويهتموا بالعلم بها او ان المراد به التنبيه على
تعكيسهم السؤال وتمثيل حالهم بحال من ترك باب البيت ودخل من ورائه والمعنى وليس البر ان تعكسوا في
مسائلكم ولكن البر من اتقى ذلك ولم يجسر على مثله وأتوا البيوت من ابوابها اذ ليس في العدول بر فـ
باشروا الامور من وجوهها واتقوا الله في تغيير احكامه والاعتراض على افعاله لعلكم تفلحون لكي
تظفروا بالهدى والبر وقاتلوا في سبيل الله جاهدوا لاعلاء كلمته واعزاز دينه الذين يقاتلونكم
قيل كان ذلك قبل ان امروا بقتال المشركين كافة المقاتلين منهم والمحاجزين وقيل معناه الذين
يناصبونكم القتال ويتوقع منهم ذلك دون غيرهم من المشايخ والصبيان والرهبانية والنساء او
الكفرة كلهم فانهم بصدد قتال المسلمين وعلى قصده ويؤيد الاول ما روي ان المشركين
صدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية وصالحوه على ان يرجع من قابل فيخلوا
له مكة ثلثة ايام فرجع لعمرة القضاء وخاف المسلمون ان لا يفوا لهم ويقاتلوهم في الحرم والشهر
الحرام وكرهوا ذلك فنزلت ولا تعتدوا بابتداء القتال او بقتال المعاهد والمفاجاة به من غير
دعوة او للمثلة او قتل من نهيتم عن قتله ان الله لا يحب المعتدين لا يريد بهم الخير واقتلوهم حيث
ثقفتموهم حيث وجدتموهم في حل او حرم واصل الثقف الحذق في ادراك الشيء علما
كان او عملا فهو يتضمن معنى الغلبة ولذلك استعمل فيها قال ، فاما تثقفوني فاقتلوني فمن
اثقف فليس الى خلود ، واخرجوهم من حيث اخرجوكم اي مكة وقد فعل ذلك بمن لم يسلم
يوم الفتح والفتنة اشد من القتل اي المحنة التي يفتتن بها الانسان كالاخراج من الوطن اصعب
من القتل لدوام تعبها وتألم النفس بها وقيل معناه شركهم في الحرم وصدهم اياكم عنه اشد من
قتلكم اياهم فيه ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه لا تفاتحوهم بالقتال و
هتك حرمة المسجد الحرام فان قاتلوكم فاقتلوهم فلا تبالوا بقتالهم ثم فانهم الذين هتكوا حرمته وقرأ حمزة
والكسائي ولا تقتلوهم حتى يقتلوكم فان قتلوكم والمعنى حتى يقتلوا بعضكم كقولهم قتلتنا بنو اسد

والمراد حصر العدو عند مالك والشافعي لقوله فاذا امنتم ولنزوله في الحديبية ولقول ابن عباس لا حصر الا
حصر العدو وكل منع من عدو او مرض وغيرهما عند ابي حنيفة لما روي عنه عليه السلام من كسر او عرج
فعليه الحج من قابل وهو ضعيف مؤول بما اذا شرط الاحلال به لقوله عليه السلام لضباعة بنت الزبير حجي
واشترطي وقولي اللهم محلي حيث حبستني فما استيسر من الهدي اي فعليكم ما استيسر او فالواجب ما استيسر
او فاهدوا ما استيسر والمعنى ان احصر المحرم واراد ان يتحلل تحلل بذبح هدي تيسر عليه من بدنة او بقرة او شاة
حيث احصر عند الاكثر لانه عليه السلام ذبح عام الحديبية بها وهي من الحل وعند ابي حنيفة يبعث به
ويجعل للمبعوث بيده يوم امارة فاذا جاء اليوم وظن انه ذبح تحلل لقوله ولا تحلقوا رؤسكم حتى يبلغ الهدي
محله اي لا تحلوا حتى تعلموا ان الهدي المبعوث الى الحرم بلغ محله اي مكانه الذي يجب ان ينحر فيه وحمل
الاولون بلوغ الهدي محله على ذبحه حيث يحل ذبحه فيه حلا كان او حرما واقتصاره على الهدي دليل عدم
القضاء وقال ابو حنيفة يجب القضاء والمحل بالكسر يطلق للمكان والزمان والهدي جمع هدية كجدي وجدية
وقرئ من الهدي جمع هدية كمطي في مطية فمن كان منكم مريضا مرضا يحوجه الى الحلق او به اذى من راسه
كجراحة او قمل ففدية اي فعليه فدية ان حلق من صيام او صدقة او نسك بيان لجنس الفدية واما قدرها
فقد روي انه عليه السلام قال لكعب بن عجرة لعلك اذاك هوامك قال نعم يا رسول الله قال احلق وصم
ثلثة ايام او تصدق بفرق على ستة مساكين او انسك شاة والفرق ثلثة اصوع فاذا امنتم الاحصار او كنتم في
حال امن وسعة فمن تمتع بالعمرة الى الحج فمن استمتع وانتفع بالتقرب الى الله بالعمرة قبل الانتفاع بتقربه بالحج في
اشهره وقيل فمن استمتع بعد التحلل من عمرته باستباحة محظورات الاحرام الى ان يحرم بالحج فما استيسر من
الهدي فعليه دم استيسره بسبب التمتع فهو دم جبران يذبحه اذا احرم بالحج ولا ياكل منه وقال ابو حنيفة
انه دم نسك فهو كالاضحية فمن لم يجد اي الهدي فصيام ثلثة ايام في الحج في ايام الاشتغال به بعد الاحرام
وقبل التحلل وقال ابو حنيفة في اشهره بين الاحرامين والاحب ان يصوم سابع ذي الحجة وثامنه وتاسعه
ولا يجوز يوم النحر وايام التشريق عند الاكثرين وسبعة اذا رجعتم الى اهليكم وهو احد قولي
الشافعي او نفرتم وفرغتم من اعماله وهو قوله الثاني ومذهب ابي حنيفة رحمه الله وقرئ سبعة بالنصب
عطفا على محل ثلثة ايام تلك عشرة فذلكة الحساب وفائدتها ان لا يتوهم ان الواو بمعنى او
كقولك جالس الحسن وابن سيرين وان يعلم العدد جملة كما علم تفصيلا فان اكثر العرب لم يحسنوا الحساب
وان المراد بالسبعة العدد دون الكثرة فانه يطلق لهما كاملة صفة مؤكدة تفيد المبالغة في محافظة العدد
او مبينة كمال العشرة فانه اول عدد كامل اذ به ينتهي الاحاد ويتم مراتبها او مقيدة تفيد كمال بدليتها من الهدي
ذلك اشارة الى الحكم المذكور عندنا والتمتع عند ابي حنيفة رحمه الله اذ لا متعة ولا قران لحاضري
المسجد الحرام عنده فمن فعل ذلك منهم فعليه دم جناية لمن لم يكن اهله حاضري المسجد الحرام وهو من كان من الحرم

فلما ابصره عرفه او لان جبرئيل كان يدور به في المشاعر فلما اراه قال قد عرفت او لان آدم وحواء التقيا فيه
فتعارفا او لان الناس يتعارفون فيه وعرفات للمبالغة في ذلك وهي من الاسماء المرتجلة الا ان يجعل جمع عارف وفيه
دليل على وجوب الوقوف بها لان الافاضة لا تكون الا بعده وهي مامور بها بقوله ثم افيضوا او مقدمة
للذكر المامور به وفيه نظر اذ الذكر غير واجب لامر به غير مطلق فاذكروا الله بالتلبية والتهليل والدعاء وقيل
بصلوة العشائين عند المشعر الحرام جبل يقف عليه الامام ويسمى قزح وقيل ما بين مازمي عرفة ووادي محسر و
يؤيد الاول ما روى جابر انه عليه السلام لما صلى الفجر يعني بالمزدلفة بغلس ركب ناقته حتى اتى المشعر الحرام
فدعا وكبر وهلل ولم يزل واقفا حتى اسفر وانما سمي مشعرا لانه معلم العبادة ووصف بالحرام لحرمته ومعنى
عند المشعر الحرام مما يليه ويقرب منه فانه افضل والا فالمزدلفة كلها موقف الا وادي محسر واذكروه
كما هداكم كما علمكم او اذكروه ذكرا حسنا كما هداكم هداية حسنة الى المناسك وغيرها وما مصدرية او كافة
وان كنتم من قبله اي الهدى لمن الضالين الجاهلين بالايمان والطاعة وان هي المخففة واللام هي الفارقة
وقيل ان نافية واللام بمعنى الا كقوله وان نظنك لمن الكاذبين ثم افيضوا من حيث افاض الناس اي من
عرفة لا من المزدلفة والخطاب مع قريش كانوا يقفون بجمع وسائر الناس بعرفة ويرون ذلك ترفعا عليهم
فامروا بان يساووهم وثم لتفاوت ما بين الافاضتين كما في قولك احسن الى الناس ثم لا تحسن الى غير كريم
وقيل من مزدلفة الى منى بعد الافاضة من عرفة اليها والخطاب عام وقرئ الناس بالكسر اي الناسي يريد
آدم من قوله تعالى فنسي والمعنى ان الافاضة من عرفة شرع قديم فلا تغيروه واستغفروا الله من
جاهليتكم في تغيير المناسك ونحوه ان الله غفور رحيم يغفر ذنب المستغفر وينعم عليه فاذا قضيتم
مناسككم فاذا قضيتم العبادات الحجية وفرغتم منها فاذكروا الله كذكركم آباءكم فاكثروا ذكره وبالغوا
فيه كما تفعلون بذكر آبائكم في المفاخرة وكانت العرب اذا قضوا مناسكهم وقفوا بمنى بين المسجد والجبل فيذكرون
مفاخر آبائهم ومحاسن ايامهم او اشد ذكرا اما مجرور معطوف على الذكر بجعل الذكر ذاكرا على المجاز والمعنى فاذكروا الله
ذكرا كذكركم آباءكم او كذكر اشد منه وابلغ او على ما اضيف اليه على ضعف بمعنى او كذكر قوم اشد منكم ذكرا واما
منصوب بالعطف على آباءكم وذكرا من فعل المذكور بمعنى او كذكركم اشد مذكورا من آبائكم او بمضمر دل عليه المعنى
تقديره او كونوا اشد ذكرا لله منكم لآبائكم فمن الناس من يقول تفصيل للذاكرين الى مقل لا يطلب بذكر الله الا الدنيا
ومكثر يطلب به خير الدارين والمراد به الحث على الاكثار والارشاد اليه ربنا آتنا في الدنيا اجعل ايتاءنا ومنحتنا في
الدنيا وما له في الآخرة من خلاق اي نصيب وحظ لان همه مقصور بالدنيا او من طلب خلاق ومنهم من
يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة يعني الصحة والكفاف وتوفيق الخير وفي الآخرة حسنة يعني
الثواب والرحمة وقنا عذاب النار بالعفو والمغفرة وقول علي رضي الله عنه الحسنة في الدنيا
الصالحة وفي الآخرة الحوراء وعذاب النار امرأة السوء وقول الحسن الحسنة في الدنيا العلم والعبادة وفي الآخرة

والطاعة ولذلك يطلق في الصلح والاسلام فتحه ابن كثير ونافع والكسائي وكسره الباقون وكافة
اسم للجملة لانها تكف الاجزاء من التفرق حال من الضمير او السلم لانها تؤنث كالحرب قال . السلم تأخذ منها
ما رضيت به . والحرب تكفيك من انفاسها جرع . والمعنى استسلموا لله واطيعوه جملة ظاهرا وباطنا و
للمنافقين او ادخلوا في الاسلام بكليتكم ولا تخلطوا به غيره والخطاب لمؤمني اهل الكتاب فانهم بعد
اسلامهم عظموا السبت وحرموا الابل والبانها او في شرائع الله كلها بالايمان بالانبياء والكتب جميعا والخطاب
لاهل الكتاب او في شعب الاسلام واحكامه كلها فلا تخلوا بشيء والخطاب للمسلمين ولا تتبعوا خطوات
الشيطان بالتفرق والتفريق انه لكم عدو مبين ظاهر العداوة فان زللتم عن الدخول في السلم من
بعد ما جاءتكم البينات الآيات والحجج الشاهدة على انه الحق فاعلموا ان الله عزيز لا يعجزه الانتقام حكيم
لا ينتقم الا بحق هل ينظرون استفهام في معنى النفي ولذلك جاء بعده الا ان يأتيهم الله اي يأتيهم امره او بأسه
كقوله تعالى او يأتي امر ربك فجاءهم بأسنا او يأتيهم الله ببأسه فحذف المأتي به للدلالة عليه بقوله ان الله عزيز
حكيم في ظلل جمع ظلة كقلة وقلل وهي ما اظلك وقرئ ظلال كقلال من الغمام السحاب الابيض وانما
يأتيهم العذاب فيه لانه مظنة الرحمة فاذا جاء منه العذاب كان افظع لان الشر اذا جاء من حيث لا
يحتسب كان اصعب فكيف اذا جاء من حيث يحتسب الخير والملائكة فانهم الواسطة في اتيان امره او الآتون على
الحقيقة ببأسه وقرئ بالجر عطفا على ظلل او الغمام وقضي الامر اتم امر اهلاكهم وفرغ منه وضع الماضي
موضع المستقبل لدنوه وتيقن وقوعه وقرئ وقضاء الامر عطفا على الملائكة والى الله ترجع الامور قرأه ابن
كثير ونافع وابو عمرو وعاصم على انه من الرجع وقرأ الباقون على البناء للفاعل بالتأنيث غير يعقوب على
انه من الرجوع وقرئ بالتذكير وبناء المفعول سل بني اسرائيل امر للرسول او لكل احد والمراد بهذا السؤال
تقريعهم كم آتيناهم من آية بينة معجزة ظاهرة او آية في الكتب شاهدة على الحق والصواب على ايدي الانبياء وكم
خبرية او استفهامية مقررة ومحلها النصب على المفعولية او الرفع بالابتداء على حذف العائد من الخبر وآية مميزها
ومن للفصل ومن يبدل نعمة الله اي آيات الله فانها سبب الهدى الذي هو اجل النعم بجعلها سبب ضلالة وازدياد
الرجس او بالتحريف والتأويل الزائغ من بعد ما جاءته من بعد ما وصلت اليه وتمكن من معرفتها وفيه تعريض بانهم بدلوها بعد ما عقلوها
ولذلك قيل تقديره فبدلوها ومن يبدل فان الله شديد العقاب فيعاقبه اشد عقوبة لانه ارتكب اشد جريمة
زين للذين كفروا الحياة الدنيا حسنت في اعينهم واشربت محبتها في قلوبهم حتى تهالكوا عليها واعرضوا
عن غيرها والمزين على الحقيقة هو الله تعالى اذ ما من شيء الا وهو فاعله ويدل عليه قراءة زين على
البناء للفاعل وكل من الشيطان والقوة الحيوانية وما خلق الله فيها من الامور البهية
والاشياء الشهية مزين بالعرض ويسخرون من الذين آمنوا يريد فقراء المؤمنين كبلال وعمار وصهيب
اي يسترذلونهم ويستهزئون بهم على رفضهم الدنيا واقبالهم على العقبى ومن للابتداء كأنهم جعلوا ابتداء

للمبالغة او فعل بمعنى مفعول كالخبز وقرئ بالفتح على انه لغة فيه كالضُّعف والضَّعف او بمعنى الاكراه على المجاز
كانهم اكرهوا عليه لشدته وعظم مشقته كقوله حملته امه كرها ووضعته كرها وعسى ان تكرهوا شيئا وهو
خير لكم وهو جميع ما كلفوا به فان الطبع يكرهه وهو مناط صلاحهم وسبب فلاحهم وعسى ان تحبوا شيئا
وهو شر لكم وهو جميع ما نهوا عنه فان النفس تحبه وتهواه وهو يفضي بها الى الردى وانما ذكر عسى لان النفس اذا ارتاضت
ينعكس الامر عليها والله يعلم ما هو خير لكم وانتم لا تعلمون ذلك وفيه دليل على ان الاحكام تتبع المصالح الراجحة
وان لم يعرف عينها يسألونك عن الشهر الحرام روي انه عليه السلام بعث عبد الله بن جحش ابن عمته على سرية في جمادى
الاخرة قبل بدر بشهرين ليترصد عيرا لقريش فيهم عمرو بن عبد الله الحضرمي وثلثة معه فقتلوه واسروا اثنين واستاقوا
العير وفيها تجارة الطائف وكان ذلك غرة رجب وهم يظنونه من جمادى الاخرة فقالت قريش قد استحل محمد
الشهر الحرام شهرا يأمن فيه الخائف ويبذعر فيه الناس الى معايشهم وشق على اصحاب السرية وقالوا ما نبرح
حتى ينزل توبتنا ورد رسول الله العير والاسارى وعن ابن عباس لما نزلت اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم
الغنيمة وهو اول غنيمة في الاسلام والسائلون هم المشركون كتبوا اليه في ذلك تشنيعا وتعييرا وقيل اصحاب السرية
قتال فيه بدل الاشتمال من الشهر وقرئ عن قتال بتكرير العامل قل قتال فيه كبير اي ذنب كبير والاكثر على انه منسوخ
بقوله فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم خلافا لعطاء وهو نسخ الخاص بالعام وفيه خلاف والاولى منع دلالة الاية على
حرمة القتال في الشهر الحرام مطلقا فان قتال فيه نكرة في حيز مثبت فلا يعم وصد عن سبيل الله اي منع عن
الاسلام او ما يوصل العبد الى الله من الطاعات وكفر به اي بالله والمسجد الحرام على ارادة المضاف اي وصد المسجد الحرام
كقول ابي دواد اكل امرئ تحسبين امرأ ٭ ونار توقد بالليل نارا ولا يحسن عطفه على سبيل الله لان عطف قوله
وكفر به على وصد مانع منه اذ لا يقدم العطف على الموصول على العطف على الصلة ولا على الهاء في به فان
العطف على الضمير المجرور انما يكون باعادة الجار واخراج اهله منه اي اهل المسجد الحرام وهم النبي والمؤمنون
اكبر عند الله مما فعلته السرية خطأ وبناء على الظن وهو خبر عن الاشياء الاربعة المعدودة من كبائر قريش
وافعل مما يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث والفتنة اكبر من القتل اي ما ارتكبوه من الاخراج
والشرك افظع مما ارتكبوه من قتل الحضرمي ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم اخبار عن
دوام عداوة الكفار لهم وانهم لا ينفكون عنها حتى يردوهم عن دينهم وحتى للتعليل كقولك اعبد الله حتى
ادخل الجنة لقوله ان استطاعوا وهو استبعاد لاستطاعتهم كقول الواثق بقوته على قرنه ان ظفرت بي فلا تبق
علي وايذان بانهم لا يردونهم ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فاولئك حبطت اعمالهم قيد
الردة بالموت عليها في احباط الاعمال كما هو مذهب الشافعي والمراد بها الاعمال النافعة وقرئ
حبطت بالفتح وهي لغة فيه في الدنيا لبطلان ما تخيلوه وفوات ما للاسلام من الفوائد الدنيوية والاخرة لسقوط
الثواب واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون كسائر الكفرة ان الذين آمنوا نزلت ايضا في السرية

اموالهم خير من مجانبتهم وان تخالطوهم فاخوانكم حث على المخالطة اي انهم اخوانكم في الدين ومن حق
الاخ ان يخالط الاخ وقيل المراد بالمخالطة المصاهرة والله يعلم المفسد من المصلح وعيد ووعد لمن خالطهم
لافساد واصلاح اي يعلم امره فيجازيه عليه ولو شاء الله لاعنتكم ولو شاء الله اعناتكم لاعنتكم اي كلفكم
ما يشق عليكم من العنت وهو المشقة ولم يجوز لكم مداخلتهم ان الله عزيز غالب يقدر على الاعنات حكيم يحكم
ما تقتضيه الحكمة ويتسع له الطاقة ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن اي ولا تتزوجوهن وقرئ بالضم اي ولا
تزوجوهن من المسلمين والمشركات تعم الكتابيات لان اهل الكتاب مشركون لقوله تعالى وقالت اليهود عزير ابن الله
وقالت النصارى المسيح ابن الله الى قوله سبحانه عما يشركون لكنها خصت عنها بقوله والمحصنات من الذين اوتوا
الكتاب روي انه عليه السلام بعث مرثدا الغنوي الى مكة ليخرج منها اناسا من المسلمين فاتته عناق وكان
يهواها في الجاهلية فقالت الا تخلو فقال ان الاسلام حال بيننا فقالت هل لك ان تتزوج بي فقال نعم ولكن
استامر رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستامره فنزلت ولامة مؤمنة خير من مشركة اي ولامرأة مؤمنة حرة
كانت او مملوكة فان الناس عبيد الله واماؤه ولو اعجبتكم بحسنها وشمائلها والواو للحال ولو بمعنى ان وهو كثير
ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا ولا تزوجوا منهم المؤمنات حتى يؤمنوا وهو على عمومه ولعبد مؤمن خير
من مشرك ولو اعجبكم تعليل للنهي عن مواصلتهم وترغيب في مواصلة المؤمنين اولئك اشارة الى المذكورين
من المشركين والمشركات يدعون الى النار اي الكفر المؤدي الى النار فلا يليق موالاتهم ومصاهرتهم والله اي
اولياؤه يعني المؤمنين حذف المضاف واقام المضاف اليه مقامه تفخيما لشانهم يدعوا الى الجنة والمغفرة اي الى
الاعتقاد والعمل الموصلين اليهما فهم الاحقاء بالمواصلة باذنه اي بتوفيق الله وتيسيره او بقضائه وارادته ويبين
آياته للناس لعلهم يتذكرون لكي يتذكروا او ليكونوا بحيث يرجى منهم التذكر لما ركز في العقول من
ميل الخير ومخالفة الهوى ويسألونك عن المحيض روي ان اهل الجاهلية كانوا لا يساكنون الحيض ولم يؤاكلوها
كفعل اليهود والمجوس واستمر ذلك الى ان سأل ابو الدحداح في نفر من الصحابة عن ذلك فنزلت والمحيض مصدر كالمجيء
والمبيت ولعله سبحانه انما ذكر يسألونك بغير واو ثلاثا ثم بها ثلاثا لان السؤالات الاول كانت في اوقات متفرقة
والثلاثة الاخيرة كانت في وقت واحد فلذلك ذكرها بحرف الجمع قل هو اذى اي الحيض شيء مستقذر مؤذ من يقربه
نفرة منه فاعتزلوا النساء في المحيض فاجتنبوا مجامعتهن لقوله عليه السلام انما امرتم ان تعتزلوا مجامعتهن
اذا حضن ولم يامركم باخراجهن من البيوت كفعل الاعاجم وهو الاقتصاد بين افراط اليهود وتفريط النصارى
فانهم كانوا يجامعونهن ولا يبالون بالحيض وانما وصفه بانه اذى ورتب الحكم عليه بالفاء اشعارا بانه العلة ولا
تقربوهن حتى يطهرن تاكيد للحكم وبيان لغايته وهو ان يغتسلن بعد الانقطاع ويدل عليه صريحا قراءة حمزة والكسائي
وعاصم في رواية ابن عياش يطهرن اي يتطهرن بمعنى يغتسلن والتزاما قوله فاذا تطهرن فاتوهن فانه يقتضي
تاخر جواز الاتيان عن الغسل وقال ابو حنيفة رح ان طهرت لاكثر الحيض جاز قربانها قبل الغسل

المرأة ونحوه بالفيئة التي هي كالتوبة وان عزموا الطلاق وان صمموا قصده فان الله سميع لطلاقهم عليم
بغرضهم فيه وقال ابو حنيفة الايلاء في اربعة اشهر فما دونه وحكمه ان المولي ان فاء في المدة بالوطء ان قدر و
الوعد ان عجز صح الفيء ولزم الواطئ ان يكفر والا بانت بعدها بطلقة وعندنا يطالب بعد المدة باحد الامرين
فان ابى عنهما طلق عليه الحاكم والمطلقات يريد بها المدخول بهن من ذوات الاقراء لما دلت الآيات والاخبار ان حكم غيرهن
خلاف ما ذكر يتربصن خبر بمعنى الامر وتغيير العبارة للتأكيد والاشعار بانه مما يجب ان يسارع الى امتثاله وكان المخاطب قصد ان
يمتثل الامر فيخبر عنه كقولك في الدعاء رحمك الله وبناؤه على المبتدأ يزيده فضل تأكيد بانفسهن تهييج وبعث لهن على التربص فان نفوس
النساء طوامح الى الرجال فامرن بان يقمعنها ويحملنها على التربص ثلاثة قروء نصب على الظرف او المفعول به اي يتربصن مضيها وقروء جمع
قرء وهو يطلق للحيض لقوله عليه السلام دعي الصلاة ايام اقرائك وللطهر الفاصل بين حيضتين كقول الاعشى مورثة
مالا وفي الحي رفعة * لما ضاع فيها من قروء نسائكا * واصله الانتقال من الطهر الى الحيض وهو المراد به في الآية لانه الدال على ب
راءة الرحم لا الحيض كما قالت الحنفية لقوله تعالى فطلقوهن لعدتهن اي وقت عدتهن والطلاق المشروع لا يكون في
الحيض واما قوله عليه السلام طلاق الامة تطليقتان وعدتها حيضتان فلا يقاوم ما رواه الشيخان في قصة ابن عمر مره
فليراجعها ثم ليمسكها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر ثم ان شاء امسك بعد وان شاء طلق قبل ان يمس فتلك العدة التي امر الله
ان تطلق لها النساء وكان القياس ان يذكر بصيغة القلة التي هي الاقراء ولكنهم يتسعون في ذلك فيستعملون كل واحد
من البنائين مكان الآخر ولعل الحكم لما عم المطلقات ذوات الاقراء تضمن معنى الكثرة فحسن بناؤها ولا يحل لهن ان
يكتمن ما خلق الله في ارحامهن من الولد والحيض استعجالا في العدة وابطالا لحق الرجعة وفيه دليل على ان قولها
مقبول في ذلك ان كن يؤمن بالله واليوم الآخر ليس المراد منه تقييد نفي الحل بايمانهن بل التنبيه على انه ينافي الايمان
وان المؤمن لا يجترئ عليه ولا ينبغي له ان يفعل وبعولتهن اي ازواج المطلقات احق بردهن الى النكاح والرجعة اليهن ولكن
اذا كان الطلاق رجعيا للآية التي تتلوها فالضمير اخص من المرجوع اليه ولا امتناع فيه كما لو كرر الظاهر وخصصه و
البعولة جمع بعل والتاء لتأنيث الجمع كالعمومة والخؤولة او مصدر من قولك بعل حسن البعولة نعت به او اقيم مقام
المضاف المحذوف اي واهل بعولتهن وافعل هاهنا بمعنى الفاعل في ذلك اي في زمان التربص ان ارادوا اصلاحا
بالرجعة لا اضرار المرأة وليس المراد منه شرطية قصد الاصلاح للرجعة بل التحريض عليه والمنع من قصد الاضرار
ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف اي ولهن حقوق على الرجال مثل حقوقهم عليهن في الوجوب واستحقاق المطالبة عليها
لا في الجنس وللرجال عليهن درجة زيادة في الحق وفضل فيه لان حقوقهم في انفسهن وحقوقهن المهر والكفاف وترك
الضرار ونحوها او شرف وفضيلة لانهم قوام عليهن وحراس لهن يشاركوهن في غرض الزواج ويخصون بفضيلة الرعاية
والانفاق والله عزيز يقدر على الانتقام ممن خالف الاحكام حكيم يشرعها لحكم ومصالح الطلاق مرتان اي
التطليق الرجعي اثنتان لما روي انه عليه السلام سئل اين الثالثة فقال عليه السلام او تسريح باحسان وقيل معناه
التطليق الشرعي تطليقة بعد تطليقة على التفريق ولذلك قالت الحنفية الجمع بين الطلقتين والثلاث بدعة

والزوج الاول الى الاخر بالزوج إن ظنا أن يقيما حدود الله ان كان في ظنهما انهما يقيمان ما حده الله تعالى
وشرعه من حقوق الزوجية وتفسير الظن بالعلم ههنا غير سديد لان عواقب الامور غيب تظن ولا تعلم و
لانه لا يقال علمت ان يقوم زيد لان ان الناصبة للتوقع وهو ينافي العلم وتلك حدود الله اي الاحكام المذكورة
يبينها لقوم يعلمون يفهمون ويعملون بمقتضى العلم وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن اي اخر عدتهن والاجل يطلق للمدة
ولمنتهاها فيقال لعمر الانسان وللموت الذي به ينتهي قال كل حي مستكمل مدة العمر ومود اذا انتهى اجله والبلوغ هو الوصول
الى الشيء وقد يقال للدنو منه على الاتساع وهو المراد في الاية ليصح ان يرتب عليه فأمسكوهن بمعروف أو سرحوهن بمعروف
اذ لا امساك بعد انقضاء الاجل والمعنى فراجعوهن من غير ضرار او خلوهن حتى تنقضي عدتهن من غير تطويل وهو اعادة الحكم في بعض
صوره للاهتمام به ولا تمسكوهن ضرارا ولا تراجعوهن ارادة الاضرار بهن كان المطلق يترك المعتدة حتى تشارف الاجل ثم
يراجعها لتطول العدة عليها فنهي عنه بعد الامر بضده مبالغة ونصب ضرارا على العلة او الحال بمعنى مضارين لتعتدوا
لتظلموهن بالتطويل او الالجاء الى الافتداء واللام متعلقة بالضرار اذ المراد تقييده ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه بتعريضها
للعقاب ولا تتخذوا آيات الله هزوا بالاعراض عنها والتهاون في العمل بما فيها من قولهم لمن لم يجد في الامر انما انت هازئ كانه نهي
عن الهزء واراد به الامر بضده وقيل كان الرجل يتزوج ويطلق ويعتق ويقول كنت العب فنزلت وعنه عليه السلام ثلث
جدهن جد وهزلهن جد الطلاق والنكاح والعتاق واذكروا نعمت الله عليكم التي من جملتها الهداية وبعثة محمد عليه السلام
بالشكر والقيام بحقوقها وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة القرآن والسنة افردهما بالذكر اظهارا لشرفهما يعظكم به بما انزل
عليكم واتقوا الله واعلموا أن الله بكل شيء عليم تاكيد وتهديد وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن اي انقضت عدتهن
عن الشافعي رضي الله عنه دل سياق الكلامين على افتراق البلوغين فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن المخاطب به الاولياء
لما روي انها نزلت في معقل بن يسار حين عضل اخته جملاء ان ترجع الى زوجها الاول بالاستئناف فيكون دليلا على ان المرأة
لا تزوج نفسها اذ لو تمكنت منه لم يكن لعضل الولي معنى ولا يعارض باسناد النكاح اليهن لانه بسبب توقفه على اذنهن وقيل الازواج
الذين يعضلون نساءهم بعد مضي العدة ولا يدعونهن يتزوجن عدوانا وقسرا لانه جواب قوله واذا طلقتم وقيل الاولياء والازواج
وقيل الناس كلهم والمعنى لا يوجد فيما بينكم هذا الامر فانه اذا وجد بينهم وهم راضون به كانوا كالفاعلين له والعضل الحبس والتضييق ومنه
عضلت الدجاجة اذا نشب بيضها فلم يخرج إذا تراضوا بينهم اي الخطاب والنساء وهو ظرف لان ينكحن او لا تعضلوهن بالمعروف
بما يعرفه الشرع ويستحسنه المروءة حال عن الضمير المرفوع او صفة مصدر محذوف اي تراضيا كائنا بالمعروف وفيه دلالة على ان العضل عن التزوج
من غير كفء غير منهي عنه ذلك اشارة الى ما مضى ذكره والخطاب للجميع على تاويل القبيل او لكل واحد او ان الكاف لمجرد الخطاب والفرق بين
الحاضر والمنقضي دون تعيين المخاطبين او للرسول صلى الله عليه وسلم على طريقة قوله يا ايها النبي اذا طلقتم النساء للدلالة على ان حقيقة المشار اليه
امر لا يكاد يتصوره كل احد يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر لانه المتعظ به والمنتفع ذلكم اي العمل بمقتضى ما ذكر أزكى لكم
وأطهر من دنس الآثام والله يعلم ما فيه من النفع والصلاح وأنتم لا تعلمون لقصور علمكم والوالدات يرضعن أولادهن أمر عبر عنه بالخبر
للمبالغة ومعناه الندب او الوجوب فيخص بما اذا لم يرتضع الصبي الا من امه او لم يوجد له ظئر او عجز الوالد عن الاستئجار

لا تصلي ما للراكب والماشي وللسائفة ما لم يمكن الوقوف فَإِذَا أَمِنتُمْ وزال خوفكم فَاذْكُرُوا اللَّهَ صلوا صلاة الامن او اشكروه على

الامن كَمَا عَلَّمَكُم ذكرا مثل ما علمكم من الشرائع وكيفية الصلوة حالتي الخوف والامن او شكرا يوازيه وما مصدرية او موصولة

مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ مفعول علمكم وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَاجِهِم قرأها بالنصب ابو عمرو

وابن عامر وحمزة وحفص عن عاصم على تقدير والذين يتوفون منكم يوصون وصية او ليوصوا وصية او كتب الله عليهم

وصية او الزم الذين يتوفون وصية ويؤيد ذلك قراءة كتب عليكم الوصية لازواجكم متاع الى الحول مكانه وقرأ

الباقون بالرفع على تقدير ووصية الذين يتوفون او وحكمهم وصية او والذين يتوفون اهل وصية او كتب

عليهم وصية او عليهم وصية وقرئ متاع بدلها مَّتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ نصب بيوصون ان اضمرت والا فبالوصية وبمتاع على

قراءة من قرأ لانه بمعنى التمتيع غَيْرَ إِخْرَاجٍ بدل منه او مصدر مؤكد كقولك هذا القول غير ما تقول او حال من ازواجهم اي غير

مخرجات والمعنى انه يجب على الذين يتوفون ان يوصوا قبل ان يحتضروا لازواجهم بان يمتعن بعدهم حولا بالسكنى والنفقة وكان

ذلك اول الاسلام ثم نسخت المدة بقوله اربعة اشهر وعشرا وهو وان كان متقدما في التلاوة فهو متأخر في النزول وسقطت

النفقة بتوريثها الربع او الثمن والسكنى لها بعد ثابتة عندنا خلافا لابي حنيفة فَإِنْ خَرَجْنَ عن منزل الازواج فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ ايها

الائمة فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ كالتطيب وترك الحداد مِن مَّعْرُوفٍ مما لم ينكره الشرع وهذا يدل على انه لم يكن يجب عليها ملازمة

مسكن الزوج والحداد عليه وانما كانت مخيرة بين الملازمة واخذ النفقة وبين الخروج وتركها وَاللَّهُ عَزِيزٌ ينتقم ممن خالفه

منهم حَكِيمٌ يراعي مصالحهم وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ اثبت المتعة للمطلقات جميعا بعد ما

اوجبها لواحدة منهن وهي المطلقة التي لم يمسها ولم يفرض لها ... الا اذا جوزنا تخصيص المنطوق بالمفهوم ... المطلقة

مطلقة واول غيره بما يعم التمتيع الواجب والمستحب وقيل المراد بالمتاع نفقة العدة ويجوز ان يكون اللام للعهد والتكرير

للتأكيد او لتكرر القصة كَذَٰلِكَ اشارة الى ما سبق من احكام الطلاق والعدد يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وعد بانه سيبين لعباده

من الدلائل والاحكام ما يحتاجون اليه معاشا ومعادا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ لكي تكمل عقولكم فتستعملون العقل فيها أَلَمْ تَرَ تعجيب وتقرير

لمن سمع بقصتهم من اهل الكتاب وارباب التواريخ وقد يخاطب به من لم ير ولم يسمع فانه صار مثلا في التعجب إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن

دِيَارِهِمْ يريد اهل داوردان قرية قبل واسط وقع فيهم طاعون فخرجوا هاربين فاماتهم الله ثم احياهم ليعتبروا ويتيقنوا ان لا

مفر من قضاء الله وقدره او قوما من بني اسرائيل دعاهم ملكهم الى الجهاد ففروا حذر الموت فاماتهم الله ثمانية ايام ثم احياهم

وَهُمْ أُلُوفٌ اي الوف كثيرة قيل عشرة وقيل ثلثون وقيل سبعون وقيل متألفون جمع آلف او الف كقاعد وقعود والواو للحال

حَذَرَ الْمَوْتِ مفعول له فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا اي قال لهم موتوا فماتوا كقوله كن فيكون والمعنى انهم ماتوا ميتة رجل واحد من غير علة

بامر الله ومشيئته وقيل ناداهم به ملك وانما اسند الى الله تخويفا وتهويلا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ وروي ان حزقيل مر على اهل داوردان وقد عريت عظامهم وتفرقت اوصالهم فتعجب من ذلك فاوحى الله

اليه ناد فيهم ان قوموا باذن الله فنادى فقاموا يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لا اله الا انت وفائدة القصة تشجيع المسلمين على الجهاد والتعرض للشهادة وحثهم

على التوكل والاستسلام للقضاء إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ حيث احياهم ليعتبروا ويفوزوا وقص عليكم حالهم لتستبصروا

وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ اي لا يشكرونه كما ينبغي ويجوز ان يراد بالشكر الاعتبار والاستبصار وقوله

بأن ينبعث ... سابقة المملكة لا ... ان ياتيكم ... رشاد والله واسع يوسع على الفقير ويغنيه عليم بمن يليق

بالملك من نسبه وغيره ... وقال لهم نبيهم ان آية ملكه ان ياتيكم التابوت الصندوق فعلوت من التوب وهو الرجوع

فانه لا يزال يرجع اليه ما يخرج منه وليس بفاعول لقلته كسلس وقلق ومن قرأه بالهاء فلعله ابدله منه كما ابدل من تاء التانيث

لاشتراكهما في الهمس والزيادة قيل صندوق التوراة وكان من خشب الشمشاد مموها بالذهب نحوا من ثلاثة اذرع في ذراعين فيه سكينة من ربكم

الضمير للاتيان اي في اتيانه سكون لكم وطمانينة او للتابوت اي مودع فيه ما تسكنون اليه وهو التوراة وكان موسى عليه السلام اذا قاتل قدمه

فتسكن نفوس بني اسرائيل ولا يفرون وقيل صورة كانت فيه من زبرجد او ياقوت لها راس كراس الهر وذنب كذنبه وجناحان فتئن

فيزف التابوت نحو العدو وهم يتبعونه فاذا استقر ثبتوا وسكنوا ونزل النصر وقيل صور الانبياء من آدم الى محمد عليهم السلام وقيل التابوت هو القلب والسكينة

ما فيه من العلم والاخلاص واتيانه مصير قلبه مقرا للعلم والوقار بعد ان لم يكن وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون يعني رضاض الالواح

وعصا موسى وثيابه وعمامة هارون وآلهما ابناؤهما او انفسهما والآل مقحم لتفخيم شانهما او انبياء بني اسرائيل لانهم ابناء عمهما تحمله الملائكة

قيل رفعه الله بعد موسى فنزلت به الملائكة وهم ينظرون اليه وقيل كان مع انبيائهم يستفتحون به حتى افسدوا فغلبهم الكفار عليه

وكان في ارض جالوت الى ان ملك الله طالوت فاصابهم ببلاء حتى هلكت خمس مدائن فتشاءموا بالتابوت فوضعوه على ثورين فساقتهما الملائكة الى

طالوت ان في ذلك لآية لكم ان كنتم مؤمنين يحتمل ان يكون من تمام كلام النبي وان يكون ابتداء خطاب من الله تعالى فلما فصل

طالوت بالجنود انفصل بهم عن بلده لقتال العمالقة واصله فصل نفسه عنه ولكن لما كثر حذف مفعوله صار كاللازم روي انه قال لقومه لا يخرج

معي الا الشاب النشيط الفارغ فاجتمع اليه ممن اختاره ثمانون الفا وكان الوقت قيظا فسلكوا مفازة وسالوا ان يجري الله لهم نهرا قال

ان الله مبتليكم بنهر معاملكم معاملة المختبر بما اقترحتموه فمن شرب منه فليس مني فليس من اشياعي او ليس بمتحد معي ومن لم يطعمه

فانه مني اي من لم يذقه من طعم الشيء اذا ذاقه ماكولا او مشروبا ... الا من اغترف غرفة بيده

استثناء من قوله فمن شرب منه فليس مني وانما قدمت عليه الجملة الثانية للعناية بها كما قدم والصابئون

على الخبر في قوله ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والمعنى الرخصة في القليل دون الكثير وقرأ ابن عامر والكوفيون بضم الغين فشربوا

منه الا قليلا منهم اي فكرعوا فيه اذ الاصل في الشرب منه ان لا يكون بوسط وتعميم الاول ليتصل الاستثناء او افرطوا في الشرب

الا قليلا منهم وقرئ بالرفع حملا على المعنى فان قوله فشربوا منه في معنى فلم يطيعوه والقليل كانوا ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا وقيل

الفا روي ان من اقتصر على الغرفة كفته لشربه واداوته ومن لم يقتصر غلب عطشه واسودت شفته ولم يقدر ان يمضي

وهكذا الدنيا لقاصد الآخرة فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه اي القليل الذين لم يخالفوه قالوا اي بعضهم

لبعض لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده لكثرتهم وقوتهم قال الذين يظنون انهم ملاقوا الله اي

قال الخلص منهم الذين تيقنوا لقاء الله وتوقعوا ثوابه او علموا انهم يستشهدون عما قريب فيلقون

الله وقيل هم القليل الذين ثبتوا معه والضمير في قالوا للكثير المنخذلين عنه اعتذارا في التخلف وتخذيلا للقليل

وكانهم تقاولوا به والنهر بينهما كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله

بحكمه وتيسيره وكم تحتمل الخبر والاستفهام وفئة الفرقة من الناس من فأوت راسه اذا شققته

بيده ووضع الكافرون موضعه تغليظا وتهديدا كقوله ومن كفر مكان من لم يحج وايذانا بان ترك الزكوة من صفات
الكفار كقوله وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكوة الله لا اله الا هو مبتدأ وخبر والمعنى انه المستحق للعبادة لا غير وللنحاة خلاف في انه هل يضمر
للخبر لا خبر مثل في الوجود او يصح ان يوجد الحي الذي يصح ان يعلم ويقدر وكل ما يصح له فهو واجب لا يزول لامتناعه عن القوة والامكان
القيوم الدائم القيام بتدبير الخلق وحفظه فيعول من قام بالامر اذا حفظه لا تاخذه سنة ولا نوم السنة فتور يتقدم النوم
قال ابن الرقاع وسنان اقصده النعاس فرنقت في عينه سنة وليس بنائم والنوم حال تعرض للحيوان من استرخاء اعصاب الدماغ من
رطوبات الابخرة المتصاعدة بحيث تقف الحواس الظاهرة عن الاحساس راسا وتقديم السنة عليه وقياس المبالغة عكسه على ترتيب
الوجود والجملة نفي للتشبيه وتاكيد لكونه حيا قيوما فان من اخذه نعاس او نوم كان مؤوف الحيوة قاصرا في الحفظ والتدبير ولذلك
ترك العاطف فيه وفي الجمل التي بعده له ما في السموات وما في الارض تقرير لقيوميته واحتجاج على تفرده في الالوهية والمراد بما فيهما ما
وجد فيهما داخلا في حقيقتهما او خارجا عنهما متمكنا فيهما فهو ابلغ من قوله له السموات والارض وما فيهن من ذا الذي يشفع
عنده الا باذنه بيان لكبرياء شانه وانه لا احد يساويه او يدانيه يستقل بان يدفع ما يريده شفاعة واستكانة فضلا ان يعاوقه عنادا
او مناصبة يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ما قبلهم وما بعدهم او بالعكس لانك مستقبل المستقبل ومستدبر الماضي او امور الدنيا وامور
الاخرة او عكسه او ما يحسونه وما يعقلونه او ما يدركونه وما لا يدركونه والضمير لما في السموات والارض لان فيهم العقلاء او لما دل
عليه من ذا من الملائكة والانبياء ولا يحيطون بشيء من علمه من معلوماته الا بما شاء ان يعلموا وعطفه على ما قبله لان
مجموعهما يدل على تفرده بالعلم الذاتي التام الدال على وحدانيته وسع كرسيه السموات والارض تصوير لعظمته وتمثيل مجرد
كقوله وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه ولا كرسي في الحقيقة ولا قاعد وقيل
كرسيه مجاز عن علمه او ملكه ماخوذ من كرسي العالم والملك وقيل جسم بين يدي العرش ولذلك سمي كرسيا محيط بالسموات السبع
لقوله عليه السلام ما السموات السبع والارضون السبع مع الكرسي الا كحلقة في فلاة وفضل العرش على الكرسي كفضل تلك الفلاة
على تلك الحلقة ولعله الفلك المشهور بفلك البروج وهو في الاصل اسم لما يقعد عليه ولا يفضل عن مقعد القاعد وكانه منسوب الى
الكرسي وهو الملبد ولا يؤده ولا يثقله ماخوذ من الاود وهو الاعوجاج حفظهما اي حفظ السموات والارض فحذف الفاعل واضاف
المصدر الى المفعول وهو العلي المتعالي عن الانداد والاشباه العظيم المستحقر بالاضافة اليه كل ما سواه وهذه الاية مشتملة على امهات المسائل
الالهية فانها دالة على انه تعالى موجود واحد في الالهية متصف بالحيوة واجب الوجود لذاته موجد لغيره اذ القيوم هو القائم بنفسه المقيم
لغيره منزه عن التحيز والحلول مبرأ عن التغير والفتور لا يناسب الاشباح ولا يعتريه ما يعتري الارواح مالك الملك والملكوت ومبدع الاصول
والفروع ذو البطش الشديد الذي لا يشفع عنده الا من اذن له عالم الاشياء كلها جليها وخفيها كليها وجزئيها واسع الملك والقدرة كل ما يصح ان يملك ويقدر
عليه لا يؤده شاق ولا يشغله شان متعال عما يدركه وهم عظيم لا يحيط به فهم ولذلك قال عليه السلام ان اعظم اية في القرآن اية الكرسي من قرأها
بعث الله ملكا يكتب من حسناته ويمحو من سيئاته الى الغد من تلك الساعة وقال من قرأ اية الكرسي في دبر كل صلوة مكتوبة لم يمنعه من دخول
الجنة الا الموت ولا يواظب عليها الا صديق او عابد ومن قرأها اذا اخذ مضجعه امنه الله على نفسه وجاره وجار جاره والابيات حوله
لا اكراه في الدين اذ الاكراه في الحقيقة الزام الغير فعلا لا يرى فيه خيرا يحمله عليه ولكن قد تبين الرشد من الغي

لقدرة المحيي إن كان القائل مؤمناً واستبعاداً إن كان كافراً وأنى في موضع نصب على الظرف بمعنى متى أو على الحال بمعنى كيف فأماته الله مائة عام فألبثه ميتاً مائة عام
أو أماته فلبث ميتاً مائة عام ثم بعثه بالإحياء قال كم لبثت القائل هو الله وساغ أن يكلمه وإن كان كافراً لأنه آمن بعد البعث أو شارف الإيمان وقيل
ملك أو نبي قال لبثت يوماً أو بعض يوم كقول الظان وقيل إنه مات ضحى وبعث بعد المائة قبيل الغروب فقال قبل النظر إلى الشمس
يوماً ثم التفت فرأى بقية منها فقال أو بعض يوم على الإضراب قال بل لبثت مائة عام فانظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنه لم يتغير بمرور الزمان
واشتقاقه من السنة والهاء أصلية إن قدر لام السنة هاء وهاء السكت إن قدرت واواً وقيل أصله لم يتسنن من الحمأ المسنون فأبدلت النون الثالثة
حرف علة كتقضي البازي وإنما أفرد الضمير لأن الطعام والشراب كالجنس الواحد وقيل كان طعامه تيناً أو عنباً وشرابه عصيراً أو لبناً وكان الكل على حاله وقرأ
حمزة والكسائي لم يتسن بغير الهاء في الوصل وانظر إلى حمارك كيف تفرقت عظامه أو انظر إليه سالماً في مكانه كما ربطته حفظناه بلا ماء وعلف كما
حفظنا الطعام والشراب من التغير والأول أدل على الحال وأوفق لما بعده ولنجعلك آية للناس أي وفعلنا ذلك لنجعلك آية روي أنه أتى قومه على حماره وقال
أنا عزير فكذبوه فقرأ التوراة من الحفظ ولم يحفظها أحد قبله فعرفوه بذلك وقالوا هو ابن الله وقيل لما رجع إلى منزله كان شاباً وأولاده شيوخ
فإذا حدثهم بحديث قالوا حديث مائة سنة وانظر إلى العظام يعني عظام الحمار أو الأموات الذين تعجب من إحيائهم كيف ننشزها كيف نحييها أو نرفع
بعضها على بعض ونركبه عليه وكيف منصوب بننشزها والجملة حال من العظام أي انظر إليها محياة وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو ويعقوب ننشرها
من أنشر الله الموتى وقرئ ننشرها من نشر بمعنى أنشر ثم نكسوها لحماً فلما تبين له فاعل تبين مضمر يفسره ما بعده تقديره فلما تبين له أن الله على
كل شيء قدير قال أعلم أن الله على كل شيء قدير فحذف الأول لدلالة الثاني عليه أو ما قبله أي فلما تبين له ما أشكل عليه وقرأ حمزة والكسائي
قال اعلم على الأمر والآمر هو الله أو هو نفسه خاطبها به على طريق التبكيت وإذ قال إبراهيم رب أرني كيف تحيي الموتى إنما سأل ذلك ليصير علمه عياناً
وقيل لما قال نمروذ أنا أحيي وأميت قال له إن إحياء الله برد الروح إلى بدنها فقال نمروذ فهل عاينته فلم يقدر أن يقول نعم وانتقل إلى تقرير آخر ثم
سأل ربه أن يريه ليطمئن قلبه على الجواب إن سئل عنه مرة أخرى قال أولم تؤمن بأني قادر على الإحياء بإعادة التركيب والحياة قال له ذلك وقد علم أنه أعرق
الناس في الإيمان ليجيب بما أجاب به فيعلم السامعون غرضه قال بلى ولكن ليطمئن قلبي أي بلى آمنت ولكن سألت لأزيد بصيرة وسكون قلب بمضامة العيان
إلى الوحي والاستدلال قال فخذ أربعة من الطير قيل طاووساً وديكاً وغراباً وحمامة ومنهم من ذكر النسر بدل الحمامة وفيه إيماء إلى أن إحياء النفس
بالحياة الأبدية إنما يتأتى بإماتة حب الشهوات والزخارف الذي هو صفة الطاووس والصولة المشهور بها الديك وخسة النفس وبعد الأمل المتصف بهما الغراب
والترفع والمسارعة إلى الهوى الموسوم بهما الحمام وإنما خص الطير لأنه أقرب إلى الإنسان وأجمع لخواص الحيوان والطير مصدر سمي به أو جمع كصحب فصرهن
إليك فأملهن واضممهن إليك لتتأملها وتعرف شأنها لئلا تلتبس عليك بعد الإحياء وقرأ حمزة ويعقوب فصرهن بالكسر وهما لغتان قال وما صيد الأعناق فيهم جبلة
ولكن أطراف الرماح تصورها وقال وفرع يصير الجيد وحف كأنه على الليت قنوان الكروم الدوالح وقرئ فصرهن بضم
الصاد وكسرها مشددة الراء من صره يصره ويصره إذا جمعه وفصرهن من التصرية وهي الجمع أيضاً ثم اجعل على كل جبل منهن جزءاً أي
ثم جزئهن وفرق أجزاءهن على الجبال التي بحضرتك قيل كانت أربعة وقيل سبعة وقرأ أبو بكر جزؤاً بضمتين حيث وقع ثم ادعهن قل لهن
تعالين بإذن الله يأتينك سعياً ساعيات مسرعات طيراناً أو مشياً روي أنه أمر بأن يذبحها وينتف ريشها ويقطعها فيمسك رؤوسها ويخلط
سائر أجزائها ويوزعها على الجبال ثم يناديهن ففعل ذلك فجعل كل جزء يطير إلى الآخر حتى صارت جثثاً ثم أقبلن فانضممن إلى رؤوسهن وفيه إشارة إلى أن
من أراد إحياء نفسه بالحياة الأبدية فعليه أن يقبل على القوى البدنية فيقتلها ويمزج بعضها ببعض حتى تنكسر سورتها فيطاوعنه مسرعات

القطر والمعنى ان نفقات هؤلاء زاكية عند الله لا تضيع بحال وان كانت تتفاوت باعتبار ما ينضم اليها من احوالهم و
يجوز ان يكون التمثيل لحالهم عند الله بالجنة على الربوة ونفقاتهم الكثيرة والقليلة الزائدتين في زلفاهم بالوابل
والطل والله بما تعملون بصير تحذير عن الرياء وترغيب في الاخلاص ايود احدكم الهمزة
فيه للانكار ان تكون له جنة من نخيل واعناب تجري من تحتها الانهار له فيها من كل الثمرات جعل الجنة
منهما مع ما فيها من سائر الاشجار تغليبا لهما لشرفهما وكثرة منافعهما ثم ذكر ان فيها كل الثمرات ليدل على احتوائها
على سائر انواع الاشجار ويجوز ان يكون المراد بالثمرات المنافع واصابه الكبر اي كبر السن فان الفاقة والعالة في الشيخوخة
اصعب والواو للحال او للعطف حملا على المعنى فكانه قيل ايود احدكم لو كانت له جنة واصابه الكبر وله ذرية ضعفاء
صغار لا قدرة لهم على الكسب فاصابها اعصار فيه نار فاحترقت عطف على اصابه او تكون باعتبار المعنى والاعصار
ريح عاصفة تنعكس من الارض الى السماء مستديرة كعمود والمعنى تمثيل حال من يفعل الافعال الحسنة ويضم اليها ما
يحبطها كرياء وايذاء في الحسرة والاسف اذا كان يوم القيامة واشتد حاجته اليها وجدها محبطة بحال من هذا شانه
واشبههم به من جال بسره في عالم الملكوت وترقى بفكره الى جناب الجبروت ثم نكص على عقبيه الى عالم الزور والتفت
الى ما سوى الحق وجعل سعيه هباء منثورا كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون اي تتفكرون فيها فتعتبرون بها
يا ايها الذين آمنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم من حلاله او جياده ومما اخرجنا لكم من الارض اي ومن طيبات ما اخرجنا من الحبوب
والثمار والمعادن فحذف المضاف لتقدم ذكره ولا تيمموا الخبيث ولا تقصدوا الرديء منه اي من المال او مما اخرجنا وتخصيصه
بذلك لان التفاوت فيه اكثر وقرئ ولا تاموا ولا تيمموا بضم التاء تنفقون حال مقدرة من فاعل تيمموا ويجوز ان يتعلق به
منه ويكون الضمير للخبيث والجملة حال منه ولستم بآخذيه وحالكم انكم لا تاخذونه في حقوقكم لرداءته الا ان تغمضوا فيه
الا ان تتسامحوا فيه مجاز من اغمض بصره اذا غضه وقرئ تغمضوا اي تحملوا على الاغماض او توجدوا مغمضين وعن ابن
عباس كانوا يتصدقون بحشف التمر وشراره فنهوا عنه واعلموا ان الله غني عن انفاقكم وانما يامركم به لانتفاعكم حميد بقبوله واثابته
الشيطان يعدكم الفقر في الانفاق والوعد في الاصل شائع في الخير والشر وقرئ الفقر بالضم والسكون وبضمتين
وفتحتين ويامركم بالفحشاء ويغريكم على البخل والعرب تسمي البخيل فاحشا وقيل المعاصي والله يعدكم مغفرة
منه اي يعدكم في الانفاق مغفرة لذنوبكم وفضلا خلفا افضل مما انفقتم في الدنيا او في الآخرة والله واسع اي واسع الفضل
لمن انفق عليم بانفاقه يؤتي الحكمة تحقيق العلم واتقان العمل من يشاء مفعول اول اخر للاهتمام بالمفعول الثاني و
من يؤت الحكمة بناؤه للمفعول لانه المقصود وقرأ يعقوب بالكسر اي ومن يؤته الله فقد اوتي خيرا كثيرا اي خير
كثير اذ حيز له خير الدارين وما يذكر وما يتعظ بما قص من الآيات او وما يتفكر فان المتفكر كالمتذكر لما اودع الله في
قلبه من العلوم بالقوة الا اولو الالباب ذوو العقول الخالصة عن شوائب الوهم والركون الى متابعة الهوى
وما انفقتم من نفقة قليلة او كثيرة سرا او علانية في حق او باطل او نذرتم من نذر بشرط او بغير شرط طاعة او
معصية فان الله يعلمه فيجازيكم عليه وما للظالمين الذين ينفقون في المعاصي وينذرون فيها او يمنعون الصدقات

[illegible] ذلك بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربوا
أي ذلك العقاب بسبب أنهم نظموا الربوا والبيع في سلك واحد لإفضائهما إلى الربح فاستحلوه استحلاله وكان الأصل إنما الربوا مثل البيع ولكن عكس للمبالغة كأنهم جعلوا الربوا أصلاً
وقاسوا به البيع والفرق بين فإن من أعطى درهمين بدرهم ضيع درهماً ومن اشترى سلعة تساوي درهماً بدرهمين فلعل مساس الحاجة إليها أو توقع
رواجها يجبر هذا الغبن وأحل الله البيع وحرم الربوا إنكار لتسويتهم وإبطال القياس لمعارضته النص فمن جاءه موعظة من ربه فمن بلغه وعظ من
الله وزجر كالنهي عن الربوا فانتهى فاتعظ وتبع النهي فله ما سلف تقدم أخذه التحريم ولا يسترد منه وما في موضع الرفع بالظرف إن جعلت من موصولة وبالابتداء إن
جعلت شرطية على رأي سيبويه إذ الظرف غير معتمد على ما قبله وأمره إلى الله يجازيه على انتهائه إن كان عن قبول الموعظة وصدق النية وقيل يحكم في شأنه ولا اعتراض لكم
عليه ومن عاد إلى تحليل الربوا إذ الكلام فيه فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون لأنهم كفروا به يمحق الله الربوا يذهب بركته ويهلك المال الذي يدخل فيه
ويربي الصدقات يضاعف ثوابها ويبارك فيما أخرجت منه وعنه عليه السلام إن الله يقبل الصدقة فيربيها كما يربي أحدكم مهره وعنه صلى الله عليه وسلم ما نقصت زكاة من مال
والله لا يحب لا يرتضي ولا يحب محبته للتوابين كل كفار مصر على تحليل المحرمات أثيم منهمك في ارتكابه إن الذين آمنوا بالله ورسله وبما جاءهم منه
وعملوا الصالحات وأقاموا الصلوة وآتوا الزكوة عطفهما على ما يعمهما لإنافتهما على سائر الأعمال الصالحة لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون من آت ولا
على فائت يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربوا واتركوا بقايا ما شرطتم على الناس من الربوا إن كنتم مؤمنين بقلوبكم فإن دليله امتثال ما
أمرتم به روي أنه كان لثقيف مال على بعض قريش فطالبوهم عند المحل بالمال والربوا فنزلت فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله أي فاعلموا بها من
أذن بالشيء إذا علم به وقرأ حمزة وعاصم في رواية ابن عياش فآذنوا أي فأعلموا بها غيركم من الأذن وهو الاستماع فإنه من طرق العلم وتنكير حرب للتعظيم وذلك يقتضي
أن يقاتل المربي بعد الاستتابة حتى يفيء إلى أمر الله كالباغي ولا يقتضي كفره روي أنها لما نزلت قالت ثقيف لا يدي لنا بحرب الله ورسوله وإن تبتم من الارتباء واعتقاد حله فلكم رؤس
أموالكم لا تظلمون بأخذ الزيادة ولا تظلمون بالمطل والنقصان ويفهم منه أنهم إن لم يتوبوا فليس لهم رأس مالهم وهو سديد على ما قلناه إذ المصر على
التحليل مرتد وماله فيء وإن كان ذو عسرة وإن وقع غريم ذو عسرة وقرئ ذا عسرة أي وإن كان الغريم ذا عسرة فنظرة فالحكم نظرة أو فعليكم نظرة أو فليكن
نظرة وهي الإنظار وقرئ فناظره على الخبر أي فالمستحق ناظره بمعنى منتظره أو صاحب نظرته على طريق النسب وعلى الأمر أي فسامحه بالنظرة إلى ميسرة يسار وقرأ
نافع وحمزة بضم السين وهما لغتان كمشرقة ومشرقة وقرئ بهما مضافين بحذف التاء عند الإضافة كقوله وأخلفوك عد الأمر الذي وعدوا وأن تصدقوا بالإبراء
وقرأ عاصم بتخفيف الصاد خير لكم أكثر ثواباً من الإنظار أو خير مما تأخذون لمضاعفة ثوابه ودوامه وقيل المراد بالتصدق الإنظار لقوله عليه السلام لا يحل دين رجل مسلم
فيؤخره إلا كان له بكل يوم صدقة إن كنتم تعلمون ما فيه من الذكر الجميل والأجر الجزيل واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله يوم القيامة أو يوم الموت فتأهبوا لمصيركم
إليه وقرأ أبو عمرو ويعقوب بفتح التاء وكسر الجيم ثم توفى كل نفس ما كسبت جزاء ما عملت من خير أو شر وهم لا يظلمون بنقص ثواب وتضعيف عقاب وعن ابن عباس
أنها آخر آية نزل بها جبريل عليه السلام وقال ضعها في رأس المائتين والثمانين من البقرة وعاش رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدها أحداً وعشرين يوماً وقيل أحداً وثمانين وقيل سبعة أيام وقيل ثلاث ساعات
يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين أي إذا داين بعضكم بعضاً تقول داينته إذا عاملته نسيئة معطياً أو آخذاً وفائدة ذكر الدين أن لا يتوهم من التداين المجازاة و
يعلم تنوعه إلى المؤجل والحال وأنه الباعث على الكتبة ويكون مرجع ضمير فاكتبوه إلى أجل مسمى معلوم بالأيام والأشهر لا بالحصاد وقدوم الحاج فاكتبوه لأنه أوثق وأدفع
للنزاع والجمهور على أنه استحباب وعن ابن عباس أن المراد به السلم وقال لما حرم الله الربوا أباح السلف وليكتب بينكم كاتب بالعدل من يكتب بالسوية لا يزيد ولا
ينقص وهو في الحقيقة أمر للمتداينين باختيار كاتب فقيه دين حتى يجيء مكتوبه موثوقاً به معدلاً بالشرع ولا يأب كاتب ولا يمتنع أحد من الكتاب أن يكتب
كما علمه الله مثل ما علمه الله من كتبة الوثائق أو لا يأب أن ينفع الناس بكتابته كما نفعه الله بتعليمها كقوله وأحسن كما أحسن الله إليك فليكتب تلك الكتابة المعلمة

لان كتمان الشهادة هو ان يضمرها ولا يتكلم بها فلما كان آثما مقترفا بالقلب اسند اليه والجملة خبر ان ... ﴿والله بما تعملون عليم﴾ تهديد ﴿لله ما في السموات وما في الأرض﴾ خلقا وملكا ﴿وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه﴾ يعني ما فيها من السوء والعزم عليه ﴿يحاسبكم به الله﴾ يوم القيامة وهو حجة على من انكر الحساب كالمعتزلة والروافض ﴿فيغفر لمن يشاء﴾ مغفرته ﴿ويعذب من يشاء﴾ تعذيبه وهو صريح في نفي وجوب التعذيب وقد رفعهما ابن عامر وعاصم ويعقوب على الاستئناف وجزمهما الباقون عطفا على جواب الشرط ومن جزم بغير فاء جعلهما بدلا منه بدل البعض من الكل او الاشتمال كقوله متى تأتنا تلمم بنا في ديارنا تجد حطبا جزلا ونارا تأججا وادغام الراء في اللام لحن اذ الراء لا تدغم الا في مثلها ﴿والله على كل شيء قدير﴾ فيقدر على الاحياء والمحاسبة

﴿آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه﴾ شهادة وتنصيص من الله تعالى على صحة ايمانه والاعتداد به وانه جازم في امره غير شاك فيه ﴿والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله﴾ لا يخلو من ان يعطف المؤمنون على الرسول فيكون الضمير الذي ينوب عنه التنوين راجعا الى الرسول والمؤمنين او يجعل مبتدأ فيكون الضمير للمؤمنين وباعتباره يصح وقوعه خبر المبتدأ ويكون افراد الرسول بالحكم اما لتعظيمه او لان ايمانه عن مشاهدة وعيان وايمانهم عن نظر واستدلال وقرأ حمزة والكسائي وكتابه يعني القرآن او الجنس والفرق بينه وبين الجمع انه شائع في وحدان الجنس والجمع في جموعه ولذلك قيل الكتاب اكثر من الكتب ﴿لا نفرق بين أحد من رسله﴾ اي يقولون لا نفرق وقرأ يعقوب لا يفرق بالياء على ان الفعل لكل ... واحد في معنى الجمع ... والمراد نفي الفرق بالتصديق والتكذيب ﴿وقالوا سمعنا﴾ اجبنا ﴿وأطعنا﴾ امرك ﴿غفرانك ربنا﴾ اغفر غفرانك او نطلب غفرانك ﴿وإليك المصير﴾ المرجع بعد الموت وهو اقرار منهم بالبعث ﴿لا يكلف الله نفسا إلا وسعها﴾ الا ما تسعه قدرتها فضلا ورحمة او ما دون مدى طاقتها بحيث يتسع فيه طوقها ويتيسر عليها كقوله يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر وهو يدل على عدم وقوع التكليف بالمحال ولا يدل على امتناعه ﴿لها ما كسبت﴾ من خير ﴿وعليها ما اكتسبت﴾ من شر لا ينتفع بطاعتها ولا يتضرر بمعاصيها غيرها وتخصيص الكسب بالخير والاكتساب بالشر لان الاكتساب فيه اعتمال والشر تشتهيه النفس وتنجذب اليه فكانت اجد في تحصيله واعمل ... ﴿ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا﴾ اي لا تؤاخذنا بما أدى بنا الى نسيان او خطأ من تفريط وقلة مبالاة او بانفسهما اذ لا يمتنع المؤاخذة بهما عقلا فان الذنوب كالسموم فكما ان تناولها يؤدي الى الهلاك وان كان خطأ فتعاطي الذنوب لا يبعد ان يفضي الى العقاب وان لم يكن عزيمة لكنه تعالى وعد التجاوز عنه رحمة وفضلا فيجوز ان يدعو الانسان به استدامة واعتدادا بالنعمة فيه ويؤيد ذلك مفهوم قوله عليه السلام رفع عن امتي الخطأ والنسيان ﴿ربنا ولا تحمل علينا إصرا﴾ عبئا ثقيلا يأصر صاحبه اي يحبسه في مكانه يريد به التكاليف الشاقة وقرئ ولا تحمل بالتشديد للمبالغة ﴿كما حملته على الذين من قبلنا﴾ حملا مثل حملك اياه من قبلنا او مثل الذي حملته اياهم فيكون صفة لاصرا والمراد به ما كلف به بنو اسرائيل من قتل الانفس وقطع موضع النجاسة وخمسين صلاة في اليوم والليلة وصرف ربع المال للزكاة او ما اصابهم من الشدائد والمحن ﴿ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به﴾ من البلاء والعقوبة او من التكاليف التي لا تفي بها الطاقة البشرية وهو يدل على جواز التكليف بما لا يطاق ... والتشديد هنا لتعدية الفعل الى مفعول ثان ﴿واعف عنا﴾ وامح ذنوبنا ﴿واغفر لنا﴾ واستر عيوبنا ولا تفضحنا بالمؤاخذة ﴿وارحمنا﴾ ... ﴿أنت مولانا﴾ سيدنا ﴿فانصرنا على القوم الكافرين﴾ فان من حق المولى ان ينصر مواليه على الاعداء والمراد به عامة الكفرة ... هذه الدعوات قيل له عند كل كلمة قد فعلت وعنه عليه السلام انزل الله آيتين من كنوز الجنة كتبهما الرحمن بيده قبل ان يخلق الخلق بالفي سنة من قرأهما بعد العشاء الآخرة اجزأتاه عن قيام الليل وعنه عليه السلام من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه ... وهو يرد قول من استكره ان يقال سورة البقرة ... كما قال عليه السلام السورة التي تذكر فيها البقرة فسطاط القرآن فتعلموها فان تعلمها بركة وتركها حسرة ولن تستطيعها البطلة ...

فمعناه انه يشبه بعضه بعضا في صحة المعنى وجزالة اللفظ واخر جمع اخرى وانما لم ينصرف لانه صفة معدول عن الآخر ولا يلزم منه
معناه ان القياس ان يعرف ولم يعرف لا انه في معنى المعرف او عن اخر من فاما الذين في قلوبهم زيغ عدول عن الحق كالمبتدعة
فيتبعون ما تشابه منه فيتعلقون بظاهره او بتاويل باطل ابتغاء الفتنة طلب ان يفتنوا الناس عن دينهم بالتشكيك والتلبيس
ومناقضة المحكم بالمتشابه وابتغاء تاويله وطلب ان يأولوه على ما يشتهونه ويحتمل ان يكون الداعي الى الاتباع مجموع الطلبتين او كل واحد
منهما على التعاقب والاول يناسب المعاند والثاني يلائم الجاهل وما يعلم تاويله الذي يجب ان يحمل عليه الا الله والراسخون في العلم الذين
ثبتوا وتمكنوا فيه ومن وقف على الا الله فسر المتشابه بما استأثر الله بعلمه كمدة بقاء الدنيا ووقت قيام الساعة وخواص الاعداد
كعدد الزبانية او بما دل القاطع على ان ظاهره غير مراد ولم يدل على ما هو المراد يقولون آمنا به استئناف موضح لحال الراسخين او
حال منهم او خبر ان جعلته مبتدأ كل من عند ربنا اي كل من المتشابه والمحكم من عنده وما يذكر الا اولوا الالباب مدح للراسخين بـ
جودة الذهن وحسن النظر واشارة الى ما استعدوا به للاهتداء الى تاويله وهو تجرد العقل عن غواشي الحس واتصال الآية بما قبلها
من حيث انها في تصوير الروح بالعلم وتربيته وما قبلها في تصوير الجسد وتسويته او انها جواب عن تشبث النصارى بنحو قوله وكلمته
القاها الى مريم وروح منه كما انه جواب قولهم لا اب له غير الله فتعين ان يكون هو اباه بانه مصور الاجنة كيف يشاء فيصور من
نطفة اب ومن غيرها وبانه صوره في الرحم والمصور لا يكون اب المصور ربنا لا تزغ قلوبنا من مقال الراسخين وقيل استئناف
والمعنى لا تزغ قلوبنا عن نهج الحق الى اتباع المتشابه بتاويل لا ترتضيه قال عليه السلام قلب ابن آدم بين اصبعين من اصابع
الرحمن ان شاء اقامه على الحق وان شاء ازاغه عنه وقيل لا تبلنا ببلايا تزيغ فيها قلوبنا بعد اذ هديتنا الى الحق والايمان بالقسمين وبعد
نصب على الظرف واذ في موضع الجر باضافته اليه وقيل انه بمعنى ان وهب لنا من لدنك رحمة تزلفنا اليك ونفوز بها عندك او توفيقا
للثبات على الحق او مغفرة للذنوب انك انت الوهاب لكل سؤل فيه دليل على ان الهدى والضلال من الله وانه متفضل بما
ينعم على عباده لا يجب عليه شيء ربنا انك جامع الناس ليوم لحساب يوم او لجزائه لا ريب فيه في وقوع اليوم وما فيه من الحشر والجزاء
نبهوا به على ان معظم غرضهم من الطلبتين ما يتعلق بالآخرة فانها المقصد والمآل ان الله لا يخلف الميعاد فان الالهية تنافيه
وللاشعار به وتعظيم الموعود لون الخطاب واستدل به الوعيدية واجيب بان وعيد الفساق مشروط بعدم العفو لادلة
منفصلة كما هو مشروط بعدم التوبة وفاقا ان الذين كفروا عام في الكفرة وقيل المراد وفد نجران او اليهود او مشركو العرب
لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا اي من رحمته او طاعته على معنى البدلية او من عذابه واولئك هم وقود النار
حطبها وقرئ بالضم بمعنى اهل وقودها كدأب آل فرعون متصل بما قبله اي لن تغني عنهم كما لم تغن عن اولئك او توقد بهم
كما توقد باولئك او استئناف مرفوع المحل تقديره دأب هؤلاء كدأبهم في الكفر والعذاب وهو مصدر دأب في العمل اذا كدح
فيه فنقل الى معنى الشأن والذين من قبلهم عطف على آل فرعون وقيل استئناف كذبوا بآياتنا فاخذهم الله بذنوبهم حال باضمار
قد او استئناف بتفسير حالهم او خبر ان ابتدأت بالذين من قبلهم والله شديد العقاب تهويل للمؤاخذة وزيادة تخويف للكفرة
قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون الى جهنم اي قل لمشركي مكة ستغلبون يعني يوم بدر وقيل اليهود فانه عليه السلام
جمعهم بعد بدر في سوق بني قينقاع فحذرهم ان ينزل بهم ما نزل بقريش فقالوا لا يغرنك انك اصبت اغمارا لا علم لهم

بالنفس وهو منعها عن الرذائل وحبسها على الفضائل والصبر يشملهما وإما بالبدن وهو إما قولي وهو الصدق وإما فعلي وهو
القنوت وهو ملازمة الطاعة وإما بالمال وهو الإنفاق في سبل الخير وإما الطلب فبالاستغفار لأن المغفرة أعظم المطالب بل الجامع
لها وتوسيط الواو بينها للدلالة على استقلال كل واحد منها وكمالهم فيها أو لتغاير الموصوفين بها وتخصيص الأسحار
لأن الدعاء فيها أقرب إلى الإجابة لأن العبادة حينئذ أشق والنفس أصفى والروع أجمع سيما للمتهجدين قيل إنهم كانوا يصلون إلى
السحر ثم يستغفرون ويدعون **شهد الله أنه لا إله إلا هو** بين وحدانيته بنصب الدلائل الدالة عليها وإنزال الآيات الناطقة بها
والملائكة بالإقرار **وأولوا العلم** بالإيمان بها والاحتجاج عليها شبه ذلك في البيان والكشف بشهادة الشاهد **قائما بالقسط**
مقيما للعدل في قسمه وحكمه وانتصابه على الحال من الله وإنما جاز إفراده بها ولم يجز جاء زيد وعمرو راكبا لعدم اللبس كقوله
ووهبنا له إسحق ويعقوب نافلة أو من هو والعامل فيها معنى الجملة أي تفرد قائما أو أحقه لأنها حال مؤكدة أو على المدح أو الصفة للمنفي
وفيه ضعف للفصل وهو مندرج في المشهود به إذا جعلته صفة أو حالا من الضمير وقرئ القائم بالقسط على البدل من
هو أو الخبر لحذف **لا إله إلا هو** كرره للتأكيد ومزيد الاعتناء بمعرفة أدلة التوحيد والحكم به بعد إقامة الحجة وليبني عليه
قوله **العزيز الحكيم** فيعلم أنه الموصوف بهما وقدم العزيز لتقدم العلم بقدرته على العلم بحكمته ورفعهما على البدل من الضمير أو
الصفة لفاعل شهد وقد روي في فضلها أنه عليه السلام قال يجاء بصاحبها يوم القيمة فيقول الله إن لعبدي هذا عندي عهدا
وأنا أحق من وفى بالعهد أدخلوا عبدي الجنة وهي دليل على فضل علم أصول الدين وشرف أهله **إن الدين عند الله الإسلام**
جملة مستأنفة مؤكدة للأولى أي لا دين مرضي عند الله سوى الإسلام وهو التوحيد والتدرع بالشرع الذي جاء به
محمد صلى الله عليه وسلم وقرأ الكسائي بالفتح على أنه بدل من أنه بدل الكل إن فسر الإسلام بالإيمان أو بما يتضمنه وبدل اشتمال
إن فسر بالشريعة وقرئ أنه بالكسر وأن بالفتح على وقوع الفعل على الثاني واعتراض ما بينهما أو إجراء شهد مجرى قال تارة وعلم
أخرى لتضمنه معناهما **وما اختلف الذين أوتوا الكتاب** من اليهود والنصارى أو من أرباب الكتب المتقدمة في دين الإسلام
فقال قوم إنه حق وقال قوم إنه مخصوص بالعرب ونفاه آخرون مطلقا أو في التوحيد فثلثت النصارى وقالت اليهود
عزير ابن الله وقيل هم قوم موسى اختلفوا بعده وقيل هم النصارى اختلفوا في أمر عيسى **إلا من بعد ما جاءهم العلم** أي بعد ما علموا حقيقة
الأمر أو تمكنوا من العلم بها بالآيات والحجج **بغيا بينهم** حسدا بينهم وطلبا للرئاسة لا لشبهة وخفاء في الأمر **ومن يكفر بآيات الله فإن
الله سريع الحساب** وعيد لمن كفر منهم **فإن حاجوك** في الدين وجادلوك فيه بعد ما أقمت الحجج **فقل أسلمت وجهي لله** أخلصت
نفسي وجملتي له لا أشرك فيها غيره وهو الدين القويم الذي قامت عليه الحجج ودعت إليه الآيات والرسل وإنما عبر بالوجه عن النفس لأنه أشرف
الأعضاء الظاهرة ومظهر القوى والحواس **ومن اتبعن** عطف على التاء في أسلمت وحسن للفصل أو مفعول معه **وقل للذين أوتوا الكتاب**
والأميين الذين لا كتاب لهم كمشركي العرب **أأسلمتم** كما أسلمت لما وضحت لكم الحجة أم أنتم بعد على كفركم ونظيره قوله
فهل أنتم منتهون وفيه تعيير لهم بالبلادة أو المعاندة **فإن أسلموا فقد اهتدوا** نفعوا أنفسهم بأن أخرجوها من الضلال **وإن
تولوا فإنما عليك البلاغ** أي فلم يضروك إذ ما عليك إلا أن تبلغ وقد بلغت **والله بصير بالعباد** وعد ووعيد **إن الذين
يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب أليم**

بيدك الخير ... [illegible] ... لمن يرغب في الخير وإنما ... من الخندق ... [illegible]

على أن إيتاء الخير ... من قوله إنك على كل شيء قدير تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل وتخرج الحي

من الميت وتخرج الميت من الحي وترزق من تشاء بغير حساب عقب ذلك ببيان قدرته على معاقبة الليل والنهار والموت
والحياة وسعة فضله دلالة على أن من قدر على ذلك قدر على معاقبة الذل والعز وإيتاء الملك ونزعه والولوج الدخول
في مضيق وإيلاج الليل والنهار إدخال أحدهما في الآخر بالتعقيب أو الزيادة والنقص وإخراج الحي من الميت وإماتتها إنشاء الحيوانات
من موادها وإماتتها أو إنشاء الحيوان من النطفة والنطفة منه وقيل إخراج المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن وقرأ ابن كثير وابن عامر وأبو بكر
الميت بالتخفيف لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء نهوا عن موالاتهم لقرابة أو صداقة جاهلية ونحوهما حتى لا يكون حبهم وبغضهم إلا في
الله أو عن الاستعانة بهم في الغزو وسائر الأمور الدينية من دون المؤمنين إشارة إلى أن لهم في موالاة المؤمنين مندوحة عن
موالاة الكفرة ومن يفعل ذلك أي اتخاذهم أولياء فليس من الله في شيء أي من ولايته في شيء يصح أن يسمى ولاية فإن موالاة
المتعاديين لا يجتمعان قال تود عدوي ثم تزعم أنني صديقك ليس النوك عنك بعازب إلا أن تتقوا منهم تقاة إلا أن تخافوا
من جهتهم أمرا يجب اتقاؤه أو اتقاء والفعل معدى بمن لأنه في معنى تحذروا وتخافوا وقرأ يعقوب تقية منع عن موالاتهم ظاهرا
وباطنا في الأوقات كلها إلا وقت المخافة فإن إظهار الموالاة حينئذ جائز كما قال عيسى عليه السلام كن وسطا وامش جانبا
ويحذركم الله نفسه وإلى الله المصير فلا تتعرضوا لسخطه بمخالفة أحكامه وموالاة أعدائه وهو تهديد عظيم مشعر بتناهي

المنهي عنه في القبح وذكر النفس ليعلم أن المحذر منه عقاب يصدر منه فلا يؤبه دونه بما يحذر من الكفرة قل إن تخفوا ما في صدوركم
أو تبدوه يعلمه الله أي أنه يعلم ضمائركم من ولاية الكفار وغيرها إن تخفوها أو تبدوها ويعلم ما في السموات وما في الأرض فيعلم
سركم وعلنكم والله على كل شيء قدير فيقدر على عقوبتكم إن لم تنتهوا عما نهيتم عنه والآية بيان لقوله ويحذركم
الله نفسه فكأنه قال ويحذركم نفسه لأنها متصفة بعلم ذاتي محيط بالمعلومات كلها وقدرة ذاتية تعم المقدورات بأسرها
فلا تجسروا على عصيانه إذ ما من معصية إلا وهو مطلع عليها قادر على العقاب بها يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا
وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا يوم منصوب بتود أي تتمنى كل نفس يوم تجد صحائف أعمالها أو جزاء أعمالها
من الخير والشر حاضرة لو أن بينها وبين ذلك اليوم وهوله أمدا بعيدا أو بمضمر نحو اذكر وتود حال من الضمير في عملت أو خبر
لما عملت من سوء وتجد مقصور على ما عملت من خير ولا تكون ما شرطية لارتفاع تود وقرئ ودت وعلى هذا يصح أن تكون شرطية
لكن الحمل على الخبر أوقع معنى لأنه حكاية كائن وأوفق للقراءة المشهورة ويحذركم الله نفسه كرره للتوكيد والتذكير والله رءوف
بالعباد إشارة إلى أنه إنما نهاهم وحذرهم رأفة بهم ومراعاة لصلاحهم أو أنه لذو مغفرة وذو عقاب فترجى رحمته ويخشى
عذابه قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني المحبة ميل النفس إلى الشيء لكمال أدرك فيه بحيث يحملها على ما يقربها إليه والعبد إذا
علم أن الكمال الحقيقي ليس إلا لله وأن كل ما يراه كمالا من نفسه أو غيره فهو من الله وبالله وإلى الله لم يكن حبه إلا لله وفي الله
وذلك يقتضي إرادة طاعته والرغبة فيما يقربه إليه فلذلك فسرت المحبة بإرادة الطاعة وجعلت مستلزمة لاتباع الرسول في عبادته
والحرص على مطاوعته يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم أي يرضى عنكم ويكشف الحجب عن قلوبكم بالتجاوز عما فرط منكم

يعصمها ويصلحها حتى يكون فعلها مطابقا لاسمها فان مريم في لغتهم بمعنى العابدة وفيه دليل على ان الاسم والمسمى
والتسمية امور متغايرة وانى اعيذها بك اجيرها بحفظك وذريتها من الشيطان الرجيم المطرود واصل الرجم
الرمي بالحجارة وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما من مولود يولد الا والشيطان يمسه حين يولد فيستهل صارخا
من مسه الا مريم وابنها ومعناه ان الشيطان يطمع في اغواء كل مولود بحيث يتأثر منه الا مريم وابنها فان الله تعالى عصمهما
ببركة هذه الاستعاذة فتقبلها ربها فرضي بها في النذر مكان الذكر بقبول حسن بوجه حسن يقبل به النذائر وهو اقامتها
مقام الذكر او تسلمها عقيب ولادتها قبل ان تكبر وتصلح للسدانة روي ان حنة لما ولدتها لفتها في خرقة وحملتها الى
المسجد ووضعتها عند الاحبار وقالت دونكم هذه النذيرة فتنافسوا فيها لانها كانت بنت امامهم وصاحب قربانهم فان بني ماثان كانت
رؤس بني اسرائيل وملوكهم فقال زكريا انا احق بها عندي خالتها فابوا الا القرعة وكانوا سبعة وعشرين فانطلقوا الى نهر فالقوا فيه
اقلامهم فطفا قلم زكريا ورسبت اقلامهم فتكفلها ويجوز ان يكون مصدرا على تقدير مضاف اي بذي قبول حسن وان يكون تقبل بمعنى
استقبل كتقضى وتعجل اي فاخذها في اول امرها حين ولدت بقبول حسن وانبتها نباتا حسنا مجاز عن تربيتها بما يصلحها في جميع احوالها
وكفلها زكريا شدد الفاء حمزة والكسائي وعاصم وقصروا زكريا غير عاصم في رواية ابن عياش على ان الفاعل هو الله وزكريا مفعول
اي جعله كافلا لها وضامنا لمصالحها وخففه الباقون ومدوا زكرياء مرفوعا كلما دخل عليها زكريا المحراب اي الغرفة التي بنيت لها
او المسجد او اشرف مواضعه ومقدمها سمي به لانه محل محاربة الشيطان كانها وضعت في اشرف موضع من بيت المقدس وجد عندها رزقا جواب
كلما وناصبه روي انه كان لا يدخل عليها غيره واذا خرج اغلق عليها سبعة ابواب وكان يجد عندها فاكهة الشتاء في الصيف وبالعكس قال يا مريم
انى لك هذا من اين لك هذا الرزق الآتي في غير اوانه والابواب مغلقة عليك وهو دليل على جواز الكرامة للاولياء وجعل ذلك
معجزة زكريا يدفعه اشتباه الامر عليه قالت هو من عند الله فلا تستبعد قيل تكلمت صغيرة كعيسى ولم ترضع ثديا قط وكان رزقها
ينزل عليها من الجنة ان الله يرزق من يشاء بغير حساب بغير تقدير لكثرته او بغير استحقاق تفضلا به وهو يحتمل ان يكون من
كلامها وان يكون من كلام الله روي ان فاطمة رضي الله عنها اهدت لرسول الله صلى الله عليه وسلم رغيفين وبضعة لحم فرجع
بها اليها وقال هلمي يا بنية فكشفت عن الطبق فاذا هو مملوء خبزا ولحما فقال لها انى لك هذا فقالت هو من عند الله ان الله يرزق
من يشاء بغير حساب فقال الحمد لله الذي جعلك شبيهة سيدة نساء بني اسرائيل ثم جمع عليا والحسن والحسين وجميع اهل بيته
الطعام كما هو فاوسعت على جيرانها هنالك دعا زكريا ربه في ذلك المكان او الوقت ... ثم وحيث للزمان لما راى كرامة مريم
ومنزلتها من الله قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة كما وهبتها لحنة العجوز العاقر وقيل لما راى الفواكه في غير اوانها انتبه على جواز
ولادة العاقر من الشيخ فسال وقال رب هب لي من لدنك ذرية لم يكن على الوجوه المعتادة وبالاسباب المعهودة انك سميع الدعاء مجيبه
فنادته الملائكة اي من جنسهم كقولهم زيد يركب الخيل فان المنادي كان جبريل وحده وقرأ حمزة والكسائي فناداه
بالامالة والتذكير وهو قائم يصلي في المحراب اي قائم في الصلوة ويصلي صفة قائم او خبر او حال آخر او حال من
الضمير في قائم ان الله يبشرك بيحيى اي بان الله وقرأ نافع وحمزة وابن عامر بالكسر على ارادة القول او لان النداء
نوع منه وقرأ حمزة والكسائي يبشرك ويحيى اسم اعجمي وان جعل عربيا فمنع صرفه للتعريف ووزن الفعل مصدقا بكلمة من الله

متعلق بمحذوف دل عليه يلقون أقلامهم أي يلقونها ليعلموا أو يقولوا أيهم يكفل مريم وما كنت لديهم إذ يختصمون
تنافسا في كفالتها إذ قالت الملائكة بدل من إذ قالت الأولى وما بينهما اعتراض أو من إذ يختصمون على أن وقوع الاختصام
والبشارة في زمان متسع كقولك لقيته سنة كذا يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم المسيح لقبه
وهو من الألقاب المشرفة كالصديق وأصله بالعبرية مشيحا ومعناه المبارك وعيسى معرب ايشوع واشتقاقهما من المسح لأنه مسح
بالبركة أو بما طهره من الذنوب أو مسح الأرض ولم يقم في موضع أو مسحه جبرئيل ومن العيس وهو بياض تعلوه حمرة تكلف لا طائل
تحته وابن مريم لما كانت صفة تميز تميز الأسماء نظمت في سلكها ولا ينافي تعدد الخبر إفراد المبتدأ فإنه اسم جنس مضاف
فيحتمل أن يعم إذا الذي يعرف به ويتميز عن غيره وهذه الثلاثة فإن الاسم علامة المسمى والمميز له ممن سواه ويجوز أن يكون عيسى
خبر مبتدأ محذوف وابن مريم صفته وإنما قيل ابن مريم والخطاب لها تنبيها على أنه يولد من غير أب إذ الأولاد تنسب إلى الآباء
ولا تنسب إلى الأم إلا إذا فقد الأب وجيها في الدنيا والآخرة حال مقدرة من كلمة وهي وإن كانت نكرة لكنها موصوفة وتذكيره
للمعنى والوجاهة في الدنيا النبوة وفي الآخرة الشفاعة ومن المقربين من الله وقيل إشارة إلى علو درجته في الجنة أو رفعه إلى السماء
وصحبة الملائكة ويكلم الناس في المهد وكهلا أي يكلمهم حال كونه طفلا وكهلا كلام الأنبياء من غير تفاوت والمهد مصدر
سمي به ما يمهد للصبي من مضجعه وقيل إنه رفع شابا والمراد وكهلا بعد نزوله وذكر أحواله المختلفة المتنافية إرشاد إلى أنه بمعزل
عن الألوهية ومن الصالحين حال ثالث من كلمة أو ضميرها الذي في يكلم قالت رب أنى يكون لي ولد ولم يمسسني بشر
تعجب أو استبعاد عادي أو استفهام عن أنه يكون بتزوج أو غيره قال كذلك الله يخلق ما يشاء القائل جبرئيل أو الله تعالى وجبرئيل
حكى لها قول الله تعالى إذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون إشارة إلى أنه تعالى كما يقدر أن يخلق الأشياء مدرجا
بأسباب ومواد يقدر أن يخلقها دفعة من غير ذلك ونعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل كلام مبتدأ ذكر تطييبا
لقلبها وإزاحة لما همها من خوف اللوم لما علمت أنها تلد من غير زوج أو عطف على يبشرك أو وجيها والكتاب
الكتبة أو جنس الكتب المنزلة وخص الكتابان لفضلهما وقرأ نافع وعاصم ويعلمه بالياء ورسولا إلى بني إسرائيل أني قد جئتكم
بآية من ربكم منصوب بمضمر على إرادة القول تقديره ويقول أرسلت رسولا بأني قد جئتكم أو بالعطف على الأحوال المتقدمة
مضمنا معنى النطق فكأنه قال وناطقا بأني قد جئتكم وتخصيص بني إسرائيل لخصوص بعثته إليهم أو للرد على من زعم أنه مبعوث إلى غيرهم
أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير نصب بدل من أني قد جئتكم أو جر بدل من آية أو رفع على هي أني أخلق لكم والمعنى أقدر لكم وأصور
شيئا مثل صورة الطير وقرأ نافع إني بالكسر فأنفخ فيه الضمير للكاف أي في ذلك المماثل فيكون طيرا بإذن الله فيصير
حيا طيارا بأمر الله نبه به على أن إحياءه من الله لا منه وقرأ نافع هنا وفي المائدة طائرا بالألف والهمز وأبرئ الأكمه
والأبرص الأكمه ولد أعمى أو الممسوح العين روي أنه ربما كان يجتمع عليه ألوف من المرضى من أطاق منهم أتاه ومن لم يطق
أتاه عيسى وما يداوي إلا بالدعاء وأحيي الموتى بإذن الله كرر بإذن الله دفعا لوهم الألوهية فإن الإحياء ليس من جنس
الأفعال البشرية وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم بالمغيبات من أحوالكم التي لا تشكون فيها إن في ذلك لآية لكم
إن كنتم مؤمنين موفقين للإيمان فإن غيرهم لا ينتفع بالمعجزات أو مصدقين للحق غير معاندين ومصدقا لما بين يديه

١٣٨

اصحابه يعني ... من شريعته وغلب ... الكافرين ثم الي مرجعكم فاحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون من امر الدين فاما

الذين كفروا فاعذبهم عذابا شديدا في الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين وأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم
أجورهم تفسير للحكم وتفصيل له وقرأ حفص فيوفيهم بالياء والله لا يحب الظالمين تقرير لذلك ذلك اشارة الى ما سبق
من نبأ عيسى وغيره وهو مبتدأ خبره نتلوه عليك وقوله من الآيات حال من الهاء ويجوز أن يكون الخبر ونتلوه حالا على أن
العامل معنى الاشارة وأن يكونا خبرين وأن ينتصب بمضمر يفسره نتلوه والذكر الحكيم المشتمل على الحكم أو المحكم الممنوع عن تطرق
الخلل اليه يريد به القرآن وقيل اللوح إن مثل عيسى عند الله إن شأنه الغريب كشأن آدم خلقه من تراب جملة مفسرة
للتمثيل مبينة لما له الشبه وهو أنه خلق بلا أب كما خلق آدم من التراب بلا أب وأم شبه حاله بما هو أغرب افحاما
للخصم وقطعا لمواد الشبه والمعنى خلق قالبه من التراب ثم قال له كن أي أنشأه بشرا كقوله ثم أنشأناه خلقا آخر أو قدر تكوينه من
التراب ثم كونه ويجوز أن يكون ثم لتراخي الخبر لا المخبر فيكون حكاية حال ماضية الحق من ربك خبر محذوف أي هو الحق وقيل الحق مبتدأ ومن
ربك خبره أي الحق المذكور من الله فلا تكن من الممترين خطاب للنبي على طريقة التهييج لزيادة الثبات أو لكل سامع فمن حاجك من النصارى
فيه في عيسى من بعد ما جاءك من العلم أي من البينات الموجبة للعلم فقل تعالوا هلموا بالرأي والعزم ندع أبناءنا وأبناءكم
ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم أي يدع كل منا ومنكم نفسه وأعزة أهله وألصقهم بقلبه الى المباهلة ويحمل عليها وانما قدمهم
على النفس لأن الرجل يخاطر بنفسه لهم ويحارب دونهم ثم نبتهل أي نتباهل بأن نلعن الكاذب منا والبهلة بالضم والفتح اللعنة وأصله
الترك من قولهم بهلت الناقة اذا تركتها بلا صرار فنجعل لعنة الله على الكاذبين عطف فيه بيان روي أنهم لما دعوا الى المباهلة
قالوا حتى ننظر فلما تخالوا قالوا للعاقب وكان ذا رأيهم ... والله لقد عرفتم ... ولقد جاءكم بالفصل في أمر صاحبكم والله
ما باهل قوم نبيا الا هلكوا فان أبيتم الا الف دينكم فوادعوا الرجل وانصرفوا فأتوا رسول الله وقد غدا محتضنا الحسين آخذا بيد الحسن
وفاطمة تمشي خلفه وعلي خلفها وهو يقول اذا أنا دعوت فأمنوا فقال أسقفهم يا معشر النصارى اني لأرى وجوها لو سألوا الله أن
يزيل جبلا من مكانه لأزاله فلا تباهلوا فتهلكوا فأذعنوا لرسول الله وبذلوا له الجزية كل عام ألفي حلة حمراء وثلاثين درعا
من حديد فقال عليه السلام والذي نفسي بيده لو تباهلوا لمسخوا قردة وخنازير ولاضطرم عليهم الوادي نارا ولاستأصل
الله نجران وأهله حتى الطير على الشجر وهو دليل على نبوته وفضل من أتى بهم من أهل بيته ان هذا أي ما قص من نبأ عيسى ومريم
لهو القصص الحق جملتها خبر ان أو هو فصل يفيد أن ما ذكره في شأن عيسى ومريم حق دون ما ذكروه وما بعده خبره واللام دخلت فيه
لأنه أقرب الى المبتدأ من الخبر وأصلها أن تدخل المبتدأ وما من اله الا الله صرح فيه بمن المزيدة للاستغراق تأكيدا للرد على
النصارى في تثليثهم وان الله لهو العزيز الحكيم لا أحد سواه يساويه في القدرة التامة والحكمة البالغة ليشاركه في الألوهية
فان تولوا فان الله عليم بالمفسدين وعيد لهم ووضع المظهر موضع المضمر ليدل على أن التولي عن الحجج والاعراض عن
التوحيد افساد للدين والاعتقاد المؤدي الى فساد النفس بل والى فساد العالم قل يا أهل الكتاب يعم أهل الكتابين وقيل
يريد به وفد نجران أو يهود المدينة تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم لا يختلف فيه الرسل والكتب وتفسيرها ما بعدها
أن لا نعبد الا الله أي نوحده بالعبادة ونخلص فيها ولا نشرك به شيئا ولا نجعل غيره شريكا له في استحقاق العبادة

او تعلمون بالمعجزات نبوته حتى يا اهل الكتب لم تلبسون الحق بالباطل بالتحريف وابراز الباطل في صورته او بالتقصير في التمييز
بينهما وقرئ تلبسون بالتشديد وتلبسون بفتح الباء اي تلبسون الحق مع الباطل كقوله عليه السلام كلابس ثوبي زور وتكتمون الحق
نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ونعته وانتم تعلمون عالمين بما تكتمونه وقالت طائفة من اهل الكتب آمنوا
بالذي انزل على الذين آمنوا وجه النهار اي اظهروا الايمان بالقرآن اول النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون واكفروا به آخره
لعلهم يشكون في دينهم ظنا بانكم رجعتم لخلل ظهر لكم والمراد بالطائفة كعب بن الاشرف ومالك بن الصيف قالا لاصحابهما لما
حولت القبلة آمنوا بما انزل عليهم من الصلوة الى الكعبة وصلوا اليها اول النهار ثم صلوا الى الصخرة آخره لعلهم يقولون هم اعلم
منا وقد رجعوا فيرجعون وقيل اثنا عشر من احبار خيبر تقاولوا بان يدخلوا في الاسلام اول النهار ويقولوا آخره نظرنا في كتابنا وشاورنا
علماءنا فلم نجد محمدا بالنعت الذي ورد في التورية لعل اصحابه يشكون فيه ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم ولا تقروا
عن تصديق قلب الا لاهل دينكم او لا تظهروا ايمانكم وجه النهار الا لمن كان على دينكم فان رجوعهم ارجى واهم قل ان
الهدى هدى الله يهدي به من يشاء الى الايمان ويثبته عليه ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم او يحاجوكم متعلق بمحذوف اي دبرتم ذلك وقلتم
لان يؤتى احد والمعنى ان الحسد حملكم على ذلك او بلا تؤمنوا اي ولا تظهروا ايمانكم بان يؤتى احد مثل ما اوتيتم الا لاشياعكم و
لا تفشوه الى المسلمين لئلا يزيد ثباتهم ولا الى المشركين لئلا يدعوهم الى الاسلام وقوله قل ان الهدى هدى الله اعتراض
يدل على ان كيدهم لا يجدي بطائل او خبر ان على ان هدى الله بدل من الهدى وقراءة ابن كثير أأن يؤتى على
الاستفهام للتقريع يؤيد الوجه الاول اي ألان يؤتى احد دبرتم وقرئ ان على انها النافية فيكون من كلام
الطائفة اي ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم وقولوا لهم ما يؤتى احد مثل ما اوتيتم او يحاجوكم عند ربكم عطف على
ان يؤتى على الوجهين الاولين وعلى الثالث معناه حتى يحاجوكم عند ربكم فيدحضوا حجتكم والواو ضمير احد لانه
في معنى الجمع اذ المراد به غير اتباعهم قل ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم يختص برحمته من
يشاء والله ذو الفضل العظيم رد وابطال لما زعموه بالحجة الواضحة ومن اهل الكتب من ان تأمنه بقنطار يؤده اليك
كعبد الله بن سلام استودعه قرشي الف اوقية ذهبا فاداه اليه ومنهم من ان تأمنه بدينار لا يؤده اليك كفنحاص
بن عازوراء استودعه قرشي آخر دينارا فجحده وقيل المأمونون على الكثير النصارى اذ الغالب فيهم الامانة والخائنون
في القليل اليهود اذ الغالب عليهم الخيانة وقرأ حمزة وابو بكر وابو عمرو يؤده اليك ولا يؤده اليك باسكان الهاء وقالون
باختلاس كسرة الهاء وكذا روي عن حفص والباقون باشباع الكسرة الا ما دمت عليه قائما الا مدة دوامك على راسه
مبالغا في مطالبته بالتقاضي والترافع واقامة البينة ذلك اشارة الى ترك الاداء المدلول عليه بقوله لا يؤده بانهم قالوا
بسبب قولهم ليس علينا في الاميين سبيل اي ليس علينا في شأن من ليسوا اهل الكتب ولم يكونوا على ديننا عتاب وذم
ويقولون على الله الكذب بادعائهم ذلك وهم يعلمون انهم كاذبون وذلك لانهم استحلوا ظلم من خالفهم وقالوا لم يجعل
لهم في التورية حرمة وقيل عامل اليهود رجالا من قريش فلما اسلموا تقاضوهم فقالوا سقط حقكم حيث تركتم
دينكم وزعموا انه كذلك في كتابهم وعن النبي عليه السلام انه قال عند نزولها كذب اعداء الله ما من شيء في الجاهلية

١٤٢

على اصله وبالاحالة والسكون أيأمركم بالكفر انكار والضمير فيه للبشر وقيل لله بعد إذ أنتم مسلمون دليل على ان الخطاب
للمسلمين وهم المستأذنون لان يسجدوا له وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق
لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قيل انه على ظاهره واذا كان هذا حكم الانبياء كان الامم به اولى وقيل معناه انه تعالى اخذ الميثاق من
النبيين واممهم واستغنى بذكرهم عن ذكر الامم وقيل اضافة الميثاق الى النبيين اضافة الى الفاعل والمعنى واذ اخذ
الله الميثاق الذي وثقه الانبياء على اممهم وقيل المراد اولاد النبيين على حذف المضاف وهم بنو اسرائيل او سماهم نبيين تهكما
لانهم كانوا يقولون نحن اولى بالنبوة من محمد لانا اهل الكتاب والنبيون كانوا منا واللام في لما موطئة للقسم لان اخذ
الميثاق بمعنى الاستحلاف وما تحتمل الشرطية ولتؤمنن ساد مسد جواب القسم والشرط وتحتمل الخبرية وقرأ حمزة لما بالكسر على
ان ما مصدرية اي لاجل ايتائي اياكم بعض الكتاب ثم مجيء رسول مصدق اخذ الله الميثاق لتؤمنن به ولتنصرنه او موصولة والمعنى اخذه
للذي آتيتكموه وجاءكم رسول مصدق له وقرئ لما بمعنى حين آتيتكم او لمن اجل ما آتيتكم على ان اصله لمن ما فادغم ثم حذف احدى الميمات
الثلاث استثقالا وقرأ نافع آتيناكم بالنون والالف جميعا قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصري اي عهدي سمي به لانه
يؤصر اي يشد وقرئ بالضم وهو اما لغة فيه كعبر وعبر او جمع اصار وهو ما يشد به قالوا أقررنا قال فاشهدوا اي فليشهد
بعضكم على بعض بالاقرار وقيل الخطاب فيه للملائكة وأنا معكم من الشاهدين وانا ايضا على اقراركم وتشاهدكم شاهد وهو توكيد و
تحذير عظيم فمن تولى بعد ذلك بعد الميثاق والتوكيد بالاقرار والشهادة فأولئك هم الفاسقون المتمردون من الكفرة
أفغير دين الله يبغون عطف على الجملة المتقدمة والهمزة متوسطة بينهما للانكار او محذوف تقديره ايتولون فغير دين الله
يبغون وتقديم المفعول لانه المقصود بالانكار والفعل بلفظ الغيبة عند ابي عمرو وعاصم في رواية حفص ويعقوب وبالتاء عند
الباقين على تقدير وقل لهم وله أسلم من في السموات والأرض طوعا وكرها اي طائعين بالنظر واتباع الحجة وكارهين بالسيف
ومعاينة ما يلجئ الى الاسلام كنتق الجبل وادراك الغرق والاشراف على الموت او مختارين كالملائكة والمؤمنين ومسخرين كالكفرة فانهم لا
يقدرون ان يمتنعوا عما قضي عليهم وإليه يرجعون وقرئ بالياء على ان الضمير لمن قل آمنا بالله وما أنزل علينا
وما أنزل على إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم امر للرسول
صلى الله عليه بان يخبر عن نفسه ومتابعيه بالايمان والقرآن كما هو منزل عليه منزل عليهم بتوسط تبليغه اليهم وايضا
المنسوب الى واحد من الجمع قد ينسب اليهم او بان يتكلم عن نفسه على طريقة الملوك اجلالا له والنزول كما يعدى بالى لانه ينتهي الى
الرسل يعدى بعلى لانه من فوق وانما قدم المنزل عليه على المنزل على سائر الرسل لانه المعرف له والعيار عليه لا
نفرق بين أحد منهم بالتصديق والتكذيب ونحن له مسلمون منقادون او مخلصون في عبادته ومن يبتغ غير الإسلام
دينا اي غير التوحيد والانقياد لحكم الله فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين الواقعين في الخسران والمعنى
ان المعرض عن الاسلام والطالب لغيره فاقد النفع واقع في الخسران بابطال الفطرة السليمة التي فطر الناس عليها واستدل
به على ان الايمان هو الاسلام اذ لو كان غيره لم يقبل والجواب انه ينفي قبول كل دين يغايره لا قبول كل
ما يغايره ولعل الدين ايضا للاعمال كيف يهدي الله قوما كفروا بعد ايمانهم وشهدوا ان الرسول

ان الله تعالى تقبلها منك وذلك يدل على ان انفاق احب الاموال على اقرب الاقارب افضل وان الآية لم تخص
الواجب والمستحب وقرئ بعض ما تحبون وهو يدل على ان من للتبعيض ويحتمل التبيين وما تنفقوا من شيء اي من
اي شيء محبوب او غيره ومن لبيان ما فان الله به عليم فيجازيكم بحسبه كل الطعام اي المطعومات والمراد اكلها كان حلا
لبني اسرائيل حلالا لهم وهو مصدر نعت به ولذلك يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث قال الله تعالى
لا هن حل لهم الا ما حرم اسرائيل يعقوب على نفسه كلحوم الابل والبانها قيل كان به عرق النسا فنذر ان شفي لم ياكل احب
الطعام اليه وكان ذلك احبه اليه وقيل فعل ذلك للتداوي باشارة الاطباء واحتج به من جوز للنبي ان يجتهد وللمانع ان
يقول ذلك باذن من الله فهو كتحريمه ابتداء من قبل ان تنزل التوراة اي من قبل انزالها مشتملة على تحريم ما حرم عليهم
لظلمهم وبغيهم عقوبة وتشديدا وذلك رد على اليهود في دعوى البراءة عما نعى عليهم في قوله تعالى فبظلم من الذين هادوا
حرمنا عليهم طيبات وقوله تعالى وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر الآيتين بان قالوا لسنا اول من حرمت عليه
وانما كانت محرمة على نوح وابراهيم ومن بعده حتى انتهى الامر الينا فحرمت علينا كما حرمت على من قبلنا وفي منع النسخ
والطعن في دعوى الرسول موافقة ابراهيم بتحليله لحوم الابل والبانها قل فأتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم
صادقين امر بمحاجتهم بكتابهم وتبكيتهم بما فيه من انه قد حرم عليهم بسبب ظلمهم ما لم يكن محرما روي انه عليه السلام لما
قاله لهم بهتوا ولم يجسروا ان يخرجوا التوراة وفيه دليل على نبوته فمن افترى على الله الكذب ابتدعه على الله
بزعمه انه حرم ذلك قبل نزول التوراة على بني اسرائيل ومن قبلهم من بعد ذلك من بعد ما لزمهم الحجة
فاولئك هم الظالمون الذين لا ينصفون من انفسهم ويكابرون الحق بعد ما وضح قل صدق الله تعريض
بكذبهم اي ثبت ان الله صادق فيما انزل وانتم الكاذبون فاتبعوا ملة ابراهيم حنيفا اي ملة الاسلام
التي هي في الاصل ملة ابراهيم او مثل ملته حتى تتخلصوا من اليهودية التي اضطرتكم الى التحريف والمكابرة
لتسوية الاغراض الدنيوية والزمتكم تحريم طيبات احلها الله لابراهيم ومن تبعه وما كان من المشركين فيه اشارة الى
ان اتباعه واجب في التوحيد الصرف والاستقامة في الدين والتجنب عن الافراط والتفريط وتعريض بشرك اليهود
ان اول بيت وضع للناس اي وضع للعبادة وجعل متعبدا لهم والواضع هو الله تعالى ويدل عليه انه قرئ
على البناء للفاعل للذي ببكة للبيت الذي ببكة وهي لغة في مكة كالنبيط والنميط وامر راتب وراتم ولازب
ولازم وقيل هي موضع المسجد ومكة البلد من بكه اذا زحمه او من بكه اذا دقه فانها تبك اعناق الجبابرة روي
انه عليه السلام سئل عن اول بيت وضع للناس فقال المسجد الحرام ثم بيت المقدس وسئل كم بينهما فقال اربعون
سنة وقيل اول من بناه ابراهيم ثم هدم فبناه قوم من جرهم ثم العمالقة ثم قريش وقيل هو اول بيت بناه آدم فانطمس
في الطوفان ثم بناه ابراهيم وقيل كان في موضعه قبل آدم بيت يقال له الضراح يطوف به الملائكة فلما اهبط آدم امر
بان يحجه ويطوف حوله ورفع في الطوفان الى السماء الرابعة يطوف به ملائكة السموات وهو لا يلائم ظاهر الآية وقيل
المراد اول بيت بالشرف لا بالزمان مباركا كثير الخير والنفع لمن حجه واعتمره واعتكف دونه وطاف حوله

أي التقريع ونفي العذر لهم واشعار بأن كل واحد من الامرين مستقبح في نفسه مستقل باستجلاب العذاب وسبيل الله دينه
الحق المأمور بسلوكه وهو الاسلام قيل كانوا يفتنون المؤمنين ويحرشون بينهم حتى أتوا الاوس والخزرج فذكروهم
ما بينهم في الجاهلية من التعادي والتحارب ليعودوا لمثله ويحتالون لصدهم عنه تبغونها عوجا حال من الواو أي
باغين طالبين لها اعوجاجا بأن تلبسوا على الناس وتوهموا أن فيه عوجا عن الحق بمنع النسخ وتغيير صفة رسول الله صلى الله
عليه وسلم ونحوهما أو بأن تحرشوا بين المؤمنين ليختلف كلمتهم ويختل أمر دينهم وأنتم شهداء أنها سبيل الله والصد عنها
ضلال واضلال وأنتم عدول عند أهل ملتكم يثقون بأقوالكم ويستشهدونكم في القضايا وما الله بغافل عما تعملون وعيد لهم
ولما كان المنكر في الآية الاولى كفرهم وهم يجهرون به ختمها بقوله والله شهيد ولما كان في هذه الآية صدهم المؤمنين عن الاسلام
وكانوا يخفونه ويحتالون فيه قال وما الله بغافل عما تعملون يا أيها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب
يردوكم بعد ايمانكم كافرين نزلت في نفر من الاوس والخزرج كانوا جلوسا يتحدثون فمر بهم شاس بن قيس اليهودي
فغاظه تألفهم واجتماعهم فأمر شابا من اليهود أن يجلس اليهم ويذكرهم يوم بعاث وينشدهم بعض ما قيل فيه وكان الظفر في
ذلك اليوم للاوس ففعل فتنازع القوم وتفاخروا وتغاضبوا وقالوا السلاح السلاح واجتمع من القبيلتين خلق عظيم
فتوجه اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فقال أتدعون الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد اذ أكرمكم الله بالاسلام
وقطع به عنكم أمر الجاهلية وألف بينكم فعلموا أنها نزغة من الشيطان وكيد من عدوهم فألقوا السلاح واستغفروا
وعانق بعضهم بعضا وانصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما خاطبهم الله بنفسه بعد ما أمر الرسول بأن
يخاطب أهل الكتاب اظهارا لجلالة قدرهم واشعارا بأنهم هم الاحقاء بأن يخاطبهم الله ويكلمهم وكيف تكفرون وأنتم
تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله انكار وتعجيب لكفرهم في حال اجتمع لهم الاسباب الداعية الى الايمان الصارفة عن الكفر
ومن يعتصم بالله ومن يتمسك بدينه أو يلتجئ اليه في مجامع أموره فقد هدي الى صراط مستقيم فقد اهتدى لا محالة
يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته حق تقواه وما يجب منها وهو استفراغ الوسع في القيام بالمواجب
فاتقوا الله ما استطعتم وعن ابن مسعود هو أن يطاع ولا يعصى ويشكر ولا يكفر ويذكر ولا ينسى وقيل هو أن ينزه الطاعة عن الالتفات
اليها وعن توقع المجازاة عليها وفي هذا الامر تأكيد للنهي عن طاعة أهل الكتاب وأصل تقاة وقية فقلبت واوها المضمومة تاء كما
في تؤدة وتخمة والياء ألفا ولا تموتن الا وأنتم مسلمون أي ولا تكونن على حال سوى حال الاسلام اذا أدرككم الموت
فان النهي عن المقيد بحال أو غيرها قد يتوجه بالذات نحو الفعل تارة والقيد أخرى وقد . . .
النفي واعتصموا بحبل الله بدين الاسلام أو بكتابه لقوله عليه السلام القرآن حبل الله المتين استعار له الحبل من حيث
ان التمسك به سبب للنجاة عن الردى كما أن التمسك بالحبل سبب للسلامة عن التردي والوثوق به والاعتماد عليه الاعتصام ترشيحا
للمجاز جميعا مجتمعين عليه ولا تفرقوا أي ولا تتفرقوا عن الحق بوقوع الاختلاف بينكم كأهل الكتاب أو لا تتفرقوا تفرقكم
يحارب بعضكم بعضا أو لا تذكروا ما يوجب التفرق ويزيل الالفة واذكروا نعمة الله عليكم التي من جملتها الهداية
والتوفيق للاسلام المؤدي الى التآلف وزوال الغل اذ كنتم أعداء في الجاهلية متقاتلين فألف بين قلوبكم

وما الله يريد ظلما للعالمين اذ يستحيل الظلم منه لانه لا يحق عليه شئ فيظلم بنقصه ولا يمنع عن شئ فيظلم بفعله
لانه المالك على الاطلاق كما قال ولله ما في السموات وما في الارض والى الله ترجع الامور فيجازي كلا بما وعده
واوعده كنتم خير امة دل على خيريتهم فيما مضى ولم يدل على انقطاع طرأ كقوله وكان الله غفورا رحيما وقيل كنتم في
علم الله او في اللوح او فيما بين الامم المتقدمين اخرجت للناس اظهرت لهم تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر استيناف
مبين به كونهم خير امة او خبر ثان لكنتم وتؤمنون بالله يتضمن الايمان بكل ما يجب ان يؤمن به لان الايمان به انما يحق ويعتد
به اذا حصل الايمان بكل ما امر ان يؤمن به وانما اخره وحقه ان يقدم لانه قصد بذكره الدلالة على انهم امروا بالمعروف و
نهوا عن المنكر ايمانا بالله وتصديقا به واظهارا لدينه واستدل بهذه الآية على ان الاجماع حجة لانها تقتضي كونهم آمرين
بكل معروف وناهين عن كل منكر اذ اللام فيهما للاستغراق فلو اجمعوا على باطل كان امرهم على خلاف ذلك ولو آمن اهل الكتاب
ايمانا كما ينبغي لكان خيرا لهم لكان الايمان خيرا لهم مما هم عليه منهم المؤمنون كعبد الله بن سلام واصحابه واكثرهم الفاسقون
المتمردون في الكفر وهذه الجملة والتي بعدها واردتان على سبيل الاستطراد لن يضروكم الا اذى ضررا يسيرا كطعن وتهديد وان
يقاتلوكم يولوكم الادبار ينهزموا ولا يضروكم بقتل واسر ثم لا ينصرون ثم لا يكون احد ينصرهم عليكم او يدفع باسكم
عنهم نفى اضرارهم سوى ما يكون بقول وقرر ذلك بانهم لو قاموا الى القتال كانت الدبرة عليهم ثم اخبر بانه يكون عاقبتهم العجز و
الخذلان وقرئ لا ينصروا عطفا على يولوا على ان ثم للتراخي في المرتبة فيكون عدم النصر مقيدا بقتالهم وهذه الآية من المغيبات التي وافقها
الواقع اذ كان ذلك حال قريظة والنضير وبني قينقاع ويهود خيبر ضربت عليهم الذلة هدر النفس والمال والاهل او ذل التمسك
بالباطل والجزية اينما ثقفوا وجدوا الا بحبل من الله وحبل من الناس استثناء من اعم عام الاحوال اي ضربت عليهم
الذلة في عامة الاحوال الا معتصمين او متلبسين بذمة الله او كتاب الله الذي آتاهم وذمة المسلمين او بدينه الاسلام واتباع سبيل
المؤمنين وباؤوا بغضب من الله رجعوا به مستوجبين له وضربت عليهم المسكنة فهي محيطة بهم احاطة البيت المضروب
على اهله واليهود في غالب الامر فقراء مساكين ذلك اشارة الى ما ذكر من ضرب الذلة والمسكنة والبوء بالغضب بانهم كانوا
يكفرون بآيات الله ويقتلون الانبياء بغير حق بسبب كفرهم بالآيات وقتلهم الانبياء عليهم السلام ذلك اي الكفر والقتل
بما عصوا وكانوا يعتدون بسبب عصيانهم واعتدائهم حدود الله تعالى فان الاصرار على الصغائر يفضي الى الكبائر
والاستمرار عليها يؤدي الى الكفر وقيل معناه ان ضرب الذلة في الدنيا واستيجاب الغضب في الآخرة كما هو معلل بكفرهم و
قتلهم فهو مسبب عن عصيانهم واعتدائهم من حيث انهم مخاطبون بالفروع ايضا ليسوا سواء في المساوي والضمير لاهل الكتاب
من اهل الكتاب امة قائمة استيناف لبيان نفي الاستواء والقائمة المستقيمة العادلة من اقمت العود فقام وهم الذين اسلموا
يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون يتلون القرآن في تهجدهم عبر عنه بالتلاوة في ساعات الليل مع السجود ليكون
ابين وابلغ في المدح وقيل المراد صلوة العشاء لان اهل الكتاب لا يصلونها لما روي انه عليه السلام اخرها ثم خرج فاذا
الناس ينتظرون الصلوة فقال اما انه ليس من اهل الاديان احد يذكر الله هذه الساعة غيركم يؤمنون بالله واليوم
الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات صفات اخر لامة وصفهم بخصائص ما كانت في اليهود

اصلب منكم في حقكم وإذا لقوكم قالوا آمنا نفاقا وتغريرا وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ من أجله تأسفا و
تحسرا حيث لم يجدوا إلى التشفي سبيلا قل موتوا بغيظكم دعاء عليهم بدوام الغيظ وزيادته بتضاعف قوة الإسلام
وأهله حتى يهلكوا به إن الله عليم بذات الصدور فيعلم ما في صدورهم من البغضاء والحنق وهو يحتمل أن يكون من
المقول أي قل لهم إن الله عليم بما هو أخفى مما تخفونه من عض الأنامل غيظا وأن يكون خارجا عنه بمعنى قل لهم ذلك
ولا تتعجب من اطلاعي إياك على أسرارهم فإني عليم بالأخفى من ضمائرهم إن تمسسكم حسنة تسؤهم وإن تصبكم سيئة
يفرحوا بها بيان لتناهي عداوتهم إلى حد حسدوا ما نالهم من خير ومنفعة وشمتوا بما أصابهم من ضر وشدة والمس
مستعار للإصابة وإن تصبروا على عداوتهم أو على مشاق التكاليف وتتقوا موالاتهم أو ما حرم الله عليكم لا يضركم
كيدهم شيئا بفضل الله وحفظه الموعود للصابرين والمتقين ولأن المجد في الأمر المتدرب بالاتقاء والصبر يكون قليل
الانفعال جريئا على الخصم وضمة الراء للإتباع كضمة مد وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو ويعقوب لا يضركم من ضاره
يضيره إن الله بما يعملون من الصبر والتقوى وغيرهما محيط أي محيط علمه فيجازيكم بما أنتم أهله وقرئ بالياء أي بما يعملون في
عداوتكم عليم فيعاقبهم عليه وإذ غدوت أي واذكر إذ غدوت من أهلك من حجرة عائشة رضي الله عنها تبوئ المؤمنين
تنزلهم أو تسوي وتهيئ لهم ويؤيده القراءة باللام مقاعد للقتال مواقف وأماكن له وقد يستعمل المقعد والمقام بمعنى
المكان على الاتساع كقوله تعالى في مقعد صدق وقوله تعالى قبل أن تقوم من مقامك والله سميع لأقوالكم عليم
بنياتكم روي أن المشركين نزلوا بأحد يوم الأربعاء ثاني عشر من شوال سنة ثلاث من الهجرة فاستشار رسول
الله صلى الله عليه وسلم أصحابه وقد دعا عبد الله بن أبي ولم يدعه قبل فقال هو وأكثر الأنصار أقم يا رسول
الله بالمدينة ولا تخرج إليهم فوالله ما خرجنا منها إلى عدو إلا أصاب منا ولا دخلها علينا إلا أصبنا منه فكيف
وأنت فينا فدعهم فإن أقاموا أقاموا بشر محبس وإن دخلوا قاتلهم الرجال ورماهم النساء والصبيان بالحجارة
وإن رجعوا رجعوا خائبين وأشار بعضهم إلى الخروج فقال صلعم رأيت في منامي بقرا مذبحة حولي فأولتها خيرا
ورأيت في ذباب سيفي ثلما فأولته هزيمة ورأيت كأني أدخلت يدي في درع حصينة فأولتها المدينة فإن
رأيتم أن تقيموا بالمدينة وتدعوهم فقال رجال فاتتهم بدر وأكرمهم الله بالشهادة يوم أحد اخرج بنا إلى
أعدائنا وبالغوا حتى دخل فلبس لأمته فلما رأوا ذلك ندموا على مبالغتهم وقالوا اصنع يا رسول الله ما
رأيت فقال لا ينبغي لنبي أن يلبس لأمته فيضعها حتى يقاتل فخرج بعد صلاة الجمعة وأصبح بشعب أحد يوم السبت
ونزل في عدوة الوادي وجعل ظهره وعسكره إلى أحد وسوى صفهم وأمر عبد الله بن جبير على الرماة وقال انضحوا عنا
بالنبل لا يأتونا من ورائنا إذ همت متعلق بقوله سميع عليم أو بدل من إذ غدوت طائفتان منكم بنو سلمة من الخزرج وبنو حارثة
من الأوس وكانا جناحي العسكر أن تفشلا أن تجبنا وتضعفا روي أنه صلى الله عليه وسلم خرج في زهاء ألف رجل
ووعدهم النصر إن صبروا فلما بلغوا الشوط انخزل ابن أبي في ثلثمائة وقال علام نقتل أنفسنا وأولادنا فتبعهم
عمرو بن حزم الأنصاري وقال أنشدكم الله في نبيكم وأنفسكم فقال ابن أبي لو نعلم قتالا لاتبعناكم فهم الحيان

او يتوب الله عليهم فيسر به او يعذبهم فتشتفي منهم وروى ان عتبة بن ابي وقاص شجه يوم احد وكسر رباعيته

فجعل يمسح الدم عن وجهه ويقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم فنزلت وقيل هم ان يدعو عليهم فنهاه الله

لعلمه بان فيهم من يؤمن فانهم ظالمون قد استحقوا التعذيب بظلمهم ولله ما في السموات وما في الارض خلقا وملكا فله الامر

كله لا لك يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء صريح في نفي وجوب التعذيب والتقييد بالتوبة وعدم التوبة كالمنافي له والله

غفور رحيم لعباده فلا تبادر الى الدعاء عليهم يا ايها الذين امنوا لا تاكلوا الربوا اضعافا مضاعفة لا تزيدوا

زيادات مكررة ولعل التخصيص بحسب الواقع اذ كان الرجل منهم يربي الى اجل ثم يزيد فيه زيادة اخرى حتى

يستغرق بالشيء الطفيف مال المديون وقرا ابن كثير وابن عامر ويعقوب مضعفة واتقوا الله فيما نهيتم عنه لعلكم

تفلحون راجين الفلاح واتقوا النار التي اعدت للكافرين بالتحرز عن متابعتهم وتعاطي افعالهم وفيه تنبيه على

ان النار بالذات معدة للكافرين وبالعرض للعصاة واطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون اتبع الوعيد

بالوعد ترهيبا عن المخالفة وترغيبا في الطاعة ولعل وعسى في امثال ذلك دليل عزة التوصل الى ما جعل خبرا

له وسارعوا بادروا واقبلوا الى مغفرة من ربكم الى ما يستحق به المغفرة كالاسلام والتوبة والاخلاص وقرا نافع وابن

عامر سارعوا بلا واو وجنة عرضها السموات والارض اي عرضها كعرضهما وذكر العرض للمبالغة في وصفها بالسعة

على طريقة التمثيل لانه دون الطول وعن ابن عباس رضي الله عنهما كسبع سموات وسبع ارضين لو وصل بعضها

ببعض اعدت للمتقين هيئت لهم وفيه دليل على ان الجنة مخلوقة وانها خارجة عن هذا العالم الذين

ينفقون صفة مادحة للمتقين او مدح منصوب او مرفوع في السراء والضراء في حالتي الرخاء والشدة او الاحوال

كلها اذ الانسان لا يخلو عن مسرة ومضرة اي لا يخلون في حال ما بانفاق ما قدروا عليه من قليل او كثير

والكاظمين الغيظ الممسكين عليه الكافين عن امضائه مع القدرة من كظمت القربة اذا ملاتها وشددت

راسها وعن النبي صلى الله عليه وسلم من كظم غيظا وهو يقدر على انفاذه ملا الله قلبه امنا وايمانا

والعافين عن الناس التاركين عقوبة من استحقوا مؤاخذته وعن النبي صلى الله عليه وسلم ان هؤلاء في امتي

قليل الا من عصم الله وقد كانوا كثيرا في الامم التي مضت والله يحب المحسنين يحتمل الجنس ويدخل

تحته هؤلاء والعهد فتكون الاشارة اليهم والذين اذا فعلوا فاحشة فعلة بالغة في القبح كالزنا او ظلموا

انفسهم بان اذنبوا اي ذنب كان وقيل الفاحشة الكبيرة وظلم النفس الصغيرة ولعل الفاحشة ما يتعدى

وظلم النفس ما ليس كذلك ذكروا الله تذكروا وعيده او حكمه او حقه العظيم فاستغفروا لذنوبهم بالندم

والتوبة ومن يغفر الذنوب الا الله استفهام بمعنى النفي معترض بين المعطوفين والمراد به وصفه تعالى

بسعة الرحمة وعموم المغفرة والحث على الاستغفار والوعد بقبول التوبة ولم يصروا على ما فعلوا ولم يقيموا

على ذنوبهم غير مستغفرين لقوله عليه السلام ما اصر من استغفر وان عاد في اليوم سبعين مرة وهم يعلمون حال من يصروا اي ولم يصروا على قبيح فعلهم عالمين

اولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الانهار خالدين [illegible] حال [illegible] عطف

ويكرم ناسا منكم بالشهادة يريد شهداء احد او يتخذ منكم شهودا معدلين بما صودف منهم من الثبات والصبر على
الشدائد والله لا يحب الظالمين الذين يضمرون خلاف ما يظهرون او الكافرين فهو اعتراض وفيه تنبيه على انه تعالى
لا ينصر الكافرين على الحقيقة وانما يغلبهم احيانا استدراجا لهم وابتلاء للمؤمنين وليمحص الله الذين آمنوا ليطهرهم
ويصفيهم من الذنوب ان كانت الدولة عليهم ويمحق الكافرين ويهلكهم ان كانت عليهم والمحق نقص الشيء قليلا
قليلا ام حسبتم ان تدخلوا الجنة بل احسبتم ومعناه الانكار ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولما تجاهدوا
بعضكم وفيه دليل على انه فرض على الكفاية والفرق بين لما ولم ان فيه توقع الفعل فيما يستقبل وقرئ يعلم
بفتح الميم على ان اصله يعلمن فحذفت النون ويعلم الصابرين نصب باضمار ان على ان الواو للجمع وقرئ بالرفع على ان الواو للحال
كانه قال ولما تجاهدوا وانتم صابرون ولقد كنتم تمنون الموت اي الحرب فانها من اسباب الموت والموت الشهادة
والخطاب للذين لم يشهدوا بدرا وتمنوا ان يشهدوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مشهدا لينالوا ما نال
شهداء بدر من الكرامة فالحوا يوم احد على الخروج من قبل ان تلقوه من قبل ان تشاهدوه وتعرفوا شدته
فقد رأيتموه وانتم تنظرون اي فقد رأيتموه معاينين له حين قتل دونكم من قتل من اخوانكم وهو توبيخ لهم على
انهم تمنوا الحرب وتسببوا لها ثم جبنوا وانهزموا عنها او على تمني الشهادة فان في تمنيها تمني غلبة الكفار وما محمد
الا رسول قد خلت من قبله الرسل فسيخلو كما خلوا بالموت او القتل افإن مات او قتل انقلبتم على اعقابكم
انكار لارتدادهم وانقلابهم على اعقابهم عن الدين لخلوه بموت او قتل بعد علمهم بخلو الرسل قبله وبقاء دينهم متمسكا
به وقيل الفاء للسببية والهمزة لانكار ان يجعلوا خلو الرسل قبله سببا لانقلابهم على اعقابهم بعد وفاته روي ان
عبد الله بن قميئة الحارثي رمى رسول الله صلى الله عليه وسلم بحجر فكسر رباعيته وشج وجهه فذب عنه مصعب
بن عمير وكان صاحب الراية حتى قتله ابن قميئة وهو يرى انه قتل النبي صلى الله عليه وسلم فقال قد قتلت محمدا
وصرخ صارخ الا ان محمدا قد قتل فانكفأ الناس وجعل الرسول يدعو الي عباد الله فانحاز اليه ثلاثون رجلا
وحموه حتى كشفوا عنه المشركين وتفرق الباقون وقال بعضهم ليت ابن ابي يأخذ لنا امانا من ابي سفيان وقال
ناس من المنافقين لو كان نبيا لما قتل ارجعوا الى اخوانكم ودينكم فقال انس بن النضر عم انس بن مالك يا قوم ان كان
محمد قتل فان رب محمد حي لا يموت وما تصنعون بالحياة بعده فقاتلوا على ما قاتل عليه ثم قال اللهم اني اعتذر اليك
وابرأ منه وشد بسيفه فقاتل حتى قتل فنزلت ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا بارتداده بل
يضر نفسه وسيجزي الله الشاكرين على نعمة الاسلام بالثبات عليه كانس واضرابه وما كان لنفس ان تموت الا
باذن الله الا بمشيئة الله تعالى او باذنه لملك الموت في قبض روحه والمعنى ان لكل نفس اجلا مسمى في علمه تعالى
لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون بالاحجام عن القتال والاقدام عليه وفيه تحريض وتشجيع على القتال
للرسول بالحفظ وتأخير الاجل كتابا مصدر مؤكد اذ المعنى كتب الموت كتابا مؤجلا صفة له اي
ولا يتأخر ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها تعريض بمن شغلتهم الغنائم يوم احد فان المسلمين حملوا على المشركين وهزموهم

١٥٦

ومنه التسليط لقوة اشتماله واتصاله لجدة اللسان ومأويهم النار وبئس مثوى الظالمين اى مثواهم فوضع

الظاهر موضع الضمير للتغليظ والتعليل ولقد صدقكم الله وعده اى وعده اياهم بالنصر بشرط التقوى والصبر

وكان كذلك حتى خالف الرماة فان المشركين لما اقبلوا جعل الرماة يرشقونهم والباقون يضربونهم بالسيف حتى

انهزموا والمسلمون على آثارهم اذ تحسونهم باذنه تقتلونهم من حسه اذا ابطل حسه حتى اذا فشلتم جبنتم وضعف

رأيكم او ملتم الى الغنيمة فان الحرص من ضعف العقل وتنازعتم فى الامر يعنى اختلاف الرماة حين انهزم المشركون

فقال بعضهم فما موقفنا ههنا وقال الآخرون لا نخالف امر الرسول فثبت مكانه اميرهم فى نفر دون العشرة ونفر

الباقون للنهب وهو المعنى بقوله وعصيتم من بعد ما اراكم ما تحبون من الظفر والغنيمة وانهزام العدو وجواب اذا

محذوف وهو امتحنكم منكم من يريد الدنيا وهم التاركون المركز للغنيمة ومنكم من يريد الآخرة وهم الثابتون محافظة على

امر الرسول ثم صرفكم عنهم ثم كفكم عنهم حتى حالت الحال فغلبوكم ليبتليكم على المصائب ويمتحن ثباتكم على الايمان

عندها ولقد عفا عنكم تفضلا ولما علم من ندمكم على المخالفة والله ذو فضل على المؤمنين يتفضل عليهم بالعفو

او فى الاحوال كلها سواء اديل لهم او عليهم اذ الابتلاء رحمة ايضا اذ تصعدون متعلق بصرفكم او ليبتليكم او

بمقدر كاذكروا والاصعاد الذهاب والابعاد فى الارض يقال اصعدنا من مكة الى المدينة ولا تلوون على احد لا

يقف احد لاحد ولا ينتظره والرسول يدعوكم كان يقول الى عباد الله الى عباد الله انا رسول الله من يكر فله

الجنة فى اخراكم فى ساقتكم او جماعتكم الاخرى فاثابكم غما بغم لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما اصابكم عطف

على صرفكم والمعنى فجازاكم الله عن فشلكم وعصيانكم غما متصلا بغم من الاغتمام بالقتل والجرح وظفر المشركين و

الارجاف بقتل الرسول صلى الله عليه وسلم او فجازاكم غما بسبب غم اذقتموه رسول الله صلى الله عليه وسلم

بعصيانكم له لتتمرنوا على الصبر فى الشدائد فلا تحزنوا فيما بعد على نفع فائت وضر لاحق وقيل لا مزيدة والمعنى لتأسفوا

على ما فاتكم من الظفر والغنيمة وعلى ما اصابكم من الجرح والهزيمة عقوبة لكم وقيل الضمير فى فاثابكم للرسول

اى فآساكم فى الاغتمام فاغتم بما نزل عليكم كما اغتممتم بما نزل عليه ولم يثربكم على عصيانكم تسلية لكم لئلا تحزنوا على

ما فاتكم من النصر وعلى ما اصابكم من الهزيمة والله خبير بما تعملون عالم باعمالكم وبما قصدتم بها ثم انزل عليكم من بعد

الغم امنة نعاسا انزل الله عليكم الامن حتى اخذكم النعاس وعن ابى طلحة غشينا النعاس فى المصاف حتى كان

السيف يسقط من يد احدنا فيأخذه ثم يسقط فيأخذه والامنة الامن نصب على المفعول ونعاسا بدل منها

او هو المفعول وامنة حال منه متقدمة عليه او مفعول له او حال من المخاطبين بمعنى ذوى امنة او على انه

جمع آمن كبار وبررة وقرئ امنة بسكون الميم كانها المرة من الامن يغشى طائفة منكم اى النعاس وقرأ

حمزة والكسائى بالتاء ردا على الامنة والطائفة المؤمنون حقا وطائفة هم المنافقون قد اهمتهم

انفسهم اوقعتهم انفسهم فى الهموم او ما يهمهم الا هم انفسهم وطلب خلاصها يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية

صفة اخرى لطائفة او حال او استئناف على وجه البيان لما قبله وغير الحق نصب على المصدر اى

١٥٨

الموت في الحيوة والمماة لا الاقامة والسفر فانه تعالى قد يحيي المسافر والغازي ويميت المقيم والقاعد والله بما
تعملون بصير تهديد للمؤمنين على ان يماثلوهم وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي بالياء على انه وعيد للذين كفروا
ولئن قتلتم في سبيل الله او متم اي متم في سبيله وقرأ نافع وحمزة والكسائي بكسر الميم من مات يمات لمغفرة من
الله ورحمة خير مما يجمعون جواب القسم وهو ساد مسد الجزاء والمعنى ان السفر والغزو ليس مما يجلب الموت و
يقدم الاجل وان وقع ذلك في سبيل الله فما تنالون من المغفرة والرحمة بالموت خير مما تجمعون من الدنيا
ومنافعها لو لم تموتوا وقرأ حفص بالياء ولئن متم او قتلتم على اي وجه اتفق هلاككم لالى الله تحشرون لالى
معبودكم الذي توجهتم اليه وبذلتم مهجكم لوجهه لا الى غيره لا محالة تحشرون فيوفي جزاءكم ويعظم ثوابكم وقرأ نافع
وحمزة والكسائي متم بالكسر فبما رحمة من الله لنت لهم اي فبرحمة وما مزيدة للتاكيد والدلالة على ان لينه لهم
ما كان الا برحمة من الله وهو ربطه على جاشه وتوفيقه للرفق بهم حتى اغتم لهم بعد ان خالفوه ولو كنت فظا
سيء الخلق جافيا غليظ القلب قاسيه لانفضوا من حولك لتفرقوا عنك ولم يسكنوا اليك فاعف عنهم فيما يختص
بك واستغفر لهم فيما لله وشاورهم في الامر اي في امر الحرب اذ الكلام فيه او فيما يصح ان يشاور فيه استظهارا
برايهم وتطييبا لنفوسهم وتمهيدا لسنة المشاورة للامة فاذا عزمت فاذا وطنت نفسك على شيء بعد الشورى
فتوكل على الله في امضاء امرك على ما هو اصلح لك فانه لا يعلمه سواه وقرئ فاذا عزمت على التكلم اي
فاذا عزمت لك على شيء وعينته لك فتوكل علي ولا تشاور فيه احدا ان الله يحب المتوكلين فينصرهم
ويهديهم الى الصلاح ان ينصركم الله كما نصركم يوم بدر فلا غالب لكم فلا احد يغلبكم وان يخذلكم كما خذلكم
يوم احد فمن ذا الذي ينصركم من بعده من بعد خذلانه او من بعد الله بمعنى اذا جاوزتموه فلا ناصر لكم
وهذا تنبيه على المقتضي للتوكل وتحريض على ما يستحق به النصر من الله وتحذير عما يستجلب خذلانه وعلى الله
فليتوكل المؤمنون فليخصوه بالتوكل عليه لما علموا ان لا ناصر سواه وامنوا به وما كان لنبي ان يغل ما صح
لنبي ان يخون في الغنائم فان النبوة تنافي الخيانة يقال غل شيئا من المغنم يغل غلولا واغل اغلالا اذا اخذه
في خفية والمراد منه اما براءة الرسول صلى الله عليه وسلم عما اتهم به اذ روي ان قطيفة حمراء فقدت يوم
بدر فقال بعض المنافقين لعل رسول الله اخذها او ظن به الرماة يوم احد حين تركوا المركز للغنيمة وقالوا نخشى
ان يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم من اخذ شيئا فهو له ولا يقسم الغنائم واما المبالغة في النهي للرسول
صلى الله عليه وسلم على ما روي انه بعث طلائع فغنم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقسم على من معه ولم يقسم
للطلائع فنزلت فيكون تسمية حرمان بعض المستحقين غلولا تغليظا ومبالغة ثانية وقرأ نافع وابن عامر وحمزة
والكسائي ويعقوب ان يغل على البناء للمفعول والمعنى ما صح له ان يوجد غالا او ان ينسب الى الغلول ومن يغلل
يات بما غل يوم القيمة يات بالذي غله يحمله على عنقه كما جاء في الحديث او بما احتمل من وباله واثمه ثم
توفى كل نفس ما كسبت تعطى جزاء ما كسبت وافيا وكان اللائق بما قبله ان يقال ثم يوفى ما كسب لكنه عمم

ببعضهم الى بعض فانه يعلمه مفصلا بعلم واجب وانتم تعلمونه مجملا بامارات الذين قالوا رفع بدل

على الذم او الوصف للذين نافقوا او جر بدلا من الضمير في بافواههم او قلوبهم كقوله على

اي لاجلهم يريد من قتل يوم احد من اقاربهم او من جنسهم وقعدوا حال مقدرة بقد اي قالوا قاعدين عن القتال

لو اطاعونا في القعود ما قتلوا كما لم نقتل قل فادرؤا عن انفسكم الموت ان كنتم صادقين اي ان كنتم

تقدرون على دفع القتل عمن كتب عليه فادفعوا عن انفسكم الموت واسبابه فانه احرى بكم والمعنى ان القعود

اسباب الموت كثيرة وكما ان القتال يكون سببا للهلاك والقعود سببا للنجاة قد يكون الامر

قتلوا في سبيل الله امواتا نزلت في شهداء احد وقيل في شهداء بدر والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم

او لكل احد وقرأ هشام بالتاء كالباقين وبالياء ايضا على اسناده الى ضمير الرسول او من يحسب او الى الذين قتلوا

الاول محذوف لانه في الاصل مبتدأ جائز الحذف عند القرينة وقرأ ابن عامر قتّلوا بالتشديد لكثرة

احياء اي بل هم احياء وقرئ بالنصب على بل احسبهم احياء عند ربهم ذوو زلفى منه يرزقون من الجنة وهو

تأكيد لكونهم احياء فرحين بما آتاهم الله من فضله وهو شرف الشهادة والفوز بالحيوة الابدية والقرب من الله

بنعيم الجنة ويستبشرون يسرون بالبشارة بالذين لم يلحقوا بهم اي باخوانهم المؤمنين الذين لم يقتلوا فيلحقوا

من خلفهم اي الذين من خلفهم زمانا او رتبة الا خوف عليهم ولا هم يحزنون بدل من الذين و

يستبشرون بما تبين لهم من الامر الآخرة وحال من تركوا خلفهم من المؤمنين وهو انهم اذا ماتوا او قتلوا كانوا

لا يكدرها خوف وقوع محذور وحزن فوات محبوب والآية تدل على ان الانسان غير الهيكل المحسوس بل

مدرك بذاته لا يفنى بخراب البدن ولا يتوقف عليه ادراكه وتألمه والتذاذه ويؤيد ذلك قوله تعالى في آل

النار يعرضون عليها الآية وما روى ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انه صلى الله عليه وسلم قال ارواح

في اجواف طير خضر ترد انهار الجنة وتأكل من ثمارها وتأوي الى قناديل معلقة في ظل العرش ومن انكر

ولم ير الروح الا ريحا وعرضا قال هم احياء يوم القيمة وانما وصفوا به في الحال لتحققه ودنوه او احياء بالذكر

وفيها حث على الجهاد وترغيب في الشهادة وبعث على ازدياد الطاعة واحماد لمن يتمنى لاخوانه مثل ما

عليه وبشرى للمؤمنين بالفلاح يستبشرون كرره للتوكيد وليعلق به ما هو بيان لقوله الا خوف عليهم

الاول بحال اخوانهم وهذا بحال انفسهم بنعمة من الله ثوابا لاعمالهم وفضل زيادة عليه كقوله للذين

الحسنى وزيادة وتنكيرهما للتعظيم وان الله لا يضيع اجر المؤمنين من جملة المستبشر به عطف

الكسائي بالكسر على انه استئناف معترض دال على ان ذلك اجر لهم على ايمانهم مشعر بان من لا ايمان له

واجوره مضيعة الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما اصابهم القرح صفة للمؤمنين او نصب على المدح

خبره للذين احسنوا منهم واتقوا اجر عظيم بجملته ومن للبيان والمقصود من ذكر الوصفين المدح

والتعليل لا التقييد لان المستجيبين كلهم محسنون متقون روي ان ابا سفيان واصحابه لما رجعوا فبلغوا الروحاء ندموا

فيه سريعا حرصا عليه وهم المنافقون من المتخلفين او قوم ارتدوا عن الاسلام والمعنى لا يحزنك خوف ان يضروك

ويعينوا عليك لقوله انهم لن يضروا الله شيئا اى لن يضروا اولياء الله بمسارعتهم فى الكفر وانما يضرون بها

شيئا يحتمل المفعول والمصدر وقرأ نافع يُحزنك بضم الياء وكسر الزاء حيث وقع الا قوله لا يحزنهم

فتح الياء وضم الزاء فيه والباقون كذلك فى الكل يريد الله الا يجعل لهم حظا فى الآخرة نصيبا من الثواب فى الآخرة

هو يدل على تمادى طغيانهم وموتهم على الكفر وفى ذكر الارادة اشعار بان كفرهم بلغ الغاية حتى اراد ارحم الراحمين

ان لا يكون لهم حظ من رحمته وان مسارعتهم فى الكفر لانه تعالى لم يرد لهم ان يكون لهم حظ ولهم

عذاب عظيم مع الحرمان عن الثواب ان الذين اشتروا الكفر بالايمان لن يضروا الله شيئا ولهم عذاب اليم

تكرير للتاكيد او تعميم للكفرة بعد تخصيص من نافق من المتخلفين او ارتد من الاعراب ولا يحسبن الذين كفروا

انما نملى لهم خير لانفسهم خطاب للرسول صلى الله عليه وسلم او لكل من يحسب والذين مفعول وانما نملى لهم

بدل منه وانما اقتصر على مفعول واحد لان التعويل على البدل وهو ينوب عن المفعولين كقوله تعالى ام تحسب ان اكثرهم

او المفعول الثانى على تقدير مضاف مثل ولا تحسبن الذين كفروا اصحاب ان الاملاء خير لانفسهم او ولا تحسبن

حال الذين كفروا ان الاملاء خير لانفسهم وما مصدرية وكان حقها ان تفصل فى الخط ولكنها وقعت

فى الامام متصلة فاتبع وقرأ ابن كثير وابو عمرو وعاصم والكسائى ويعقوب بالياء على ان الذين فاعل

وفتح سينه فى جميع القرآن ابن عامر وحمزة وعاصم والاملاء الامهال واطالة العمر وقيل تخليتهم

وشأنهم من املى لفرسه اذا ارخى له الطول ليرعى كيف شاء انما نملى لهم ليزدادوا اثما استيناف بما هو العلة للحكم قبلها

واللام لام الارادة وعند المعتزلة لام العاقبة وقرئ انما بالفتح هنا وبكسر الاولى ولا يحسبن بالياء

الذين كفروا ان املاءنا لهم لازدياد الاثم بل للتوبة والدخول فى الايمان وانما نملى لهم خير اعتراض

املاءنا لهم خير ان انتبهوا وتداركوا فيه ما فرط منهم ولهم عذاب مهين على هذا يجوز ان يكون حالا

اى ليزدادوا اثما معدا لهم عذاب مهين ما كان الله ليذر المؤمنين على ما انتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب

الخطاب لعامة المخلصين والمنافقين فى عصره والمعنى لا يترككم مختلطين لا يعرف مخلصكم من منافقكم حتى

يميز المنافق من المخلص بالوحى الى نبيه صلى الله عليه وسلم باحوالكم او بالتكاليف الشاقة التى لا يصبر

الا الخلص المخلصون منكم كبذل الاموال والانفس فى سبيل الله ليختبر بواطنكم وليستدل به على عقائدكم وقرأ

والكسائى حتى يميز هنا وفى الانفال بضم الياء وفتح الميم وكسر الياء وتشديدها والباقون بالتخفيف

وما كان الله ليطلعكم على الغيب ولكن الله يجتبى من رسله من يشاء وما كان الله ليؤتى احدكم علم الغيب

ما فى القلوب من كفر وايمان ولكنه يجتبى لرسالته من يشاء فيوحى اليه ويخبره ببعض المغيبات

فآمنوا بالله ورسله بصفة الاخلاص او بان تعلموه وحده مطلعا على الغيب وتعلموهم عبادا مجتبين لا يعلمون الا ما علمهم

الله ولا يقولون الا ما اوحى اليهم روى ان الكفرة قالوا ان كان محمد صلى الله عليه وسلم صادقا فليخبرنا

١٦٦

فيقوم النبي فيدعو فتنزل نار سماوية فتاكله اى تحيله الى طبعها بالاحراق وهذا من مفترياتهم واباطيلهم لان اكل
النار القربان لم يوجب الايمان الا لكونه معجزة فهو وسائر المعجزات شرع في ذلك قل قد جاءكم رسل من قبلي بالبينات
وبالذي قلتم فلم قتلتموهم ان كنتم صادقين تكذيب والزام بان رسلا جاؤهم قبله كزكريا ويحيى عليهما السلام
بمعجزات اخر موجبة للتصديق وبما اقترحوه فقتلوهم فلو كان الموجب للتصديق هو الاتيان به وكان توقفهم و
امتناعهم عن الايمان لاجله فما لهم لم يؤمنوا بمن جاء به في معجزات اخر واجترؤا على قتله فان كذبوك فقد كذب
رسل من قبلك جاؤا بالبينات والزبر والكتاب المنير تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم من تكذيب قومه واليهود
والزبر جمع زبور وهو الكتاب المقصور على الحكم من زبرت الشيء اذا حسنته والكتاب في عرف القرآن ما يتضمن الشرائع
والاحكام ولذلك جاء الكتاب والحكمة متعاطفين في عامة القرآن وقيل الزبر المواعظ والزواجر من زبرته اذا زجرته
وقرأ ابن عامر وبالزبر وهشام وبالكتاب باعادة الجار للدلالة على انها مغايرة للبينات بالذات كل نفس ذائقة الموت
وعد ووعيد للمصدق والمكذب وقرئ ذائقة الموت بالنصب مع التنوين وعدمه كقوله ولا ذاكر الله الا قليلا
وانما توفون اجوركم تعطون جزاء اعمالكم خيرا كان او شرا تاما وافيا يوم القيامة يوم قيامكم عن القبور ولفظ التوفية
يشعر بانه قد يكون قبلها بعض الاجور ويؤيده قوله صلى الله عليه وسلم القبر روضة من رياض الجنة او حفرة من حفر النيران فمن
زحزح عن النار بعد عنها والزحزحة في الاصل تكرير الزح وهو الجذب بعجلة وادخل الجنة فقد فاز بالنجاة ونيل
المراد والفوز الظفر بالبغية وعن النبي صلى الله عليه وسلم من احب ان يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتدركه منيته وهو يؤمن بالله
واليوم الآخر ويأتي الى الناس ما يحب ان يؤتى اليه وما الحيوة الدنيا اى لذاتها وزخارفها الا متاع الغرور شبهها
بالمتاع الذي يدلس به على المستام ويغر حتى يشتريه وهذا لمن آثرها على الآخرة فاما من طلب بها الآخرة فهي له متاع بلاغ
والغرور مصدر او جمع غار لتبلون اى والله لتختبرن في اموالكم بتكليف الانفاق وبما يصيبها من الآفات
وانفسكم بالجهاد والقتل والاسر والجراح وما يرد عليها من المخاوف والامراض والمتاعب ولتسمعن من الذين اوتوا
الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا اذى كثيرا من هجاء الرسول والطعن في الدين واغراء الكفرة على المسلمين
اخبرهم بذلك قبل وقوعها ليوطنوا انفسهم على الصبر والاحتمال ويستعدوا للقائها حتى لا يرهقهم نزولها وان تصبروا
على ذلك وتتقوا مخالفة امر الله فان ذلك يعني الصبر والتقوى من عزم الامور من معزومات الامور التي يجب
العزم عليها او مما عزم الله عليه اى امر به وبالغ فيه والعزم في الاصل ثبات الرأى على الشيء نحو امضائه واذ اخذ
اى ذكر وقت اخذه ميثاق الذين اوتوا الكتاب يريد العلماء به لتبيننه للناس ولا تكتمونه
حكاية لمخاطبتهم وقرأ ابن كثير وابو عمرو وعاصم في رواية ابن عياش بالياء لانهم غيب واللام جواب
القسم الذي ناب عنه قوله اخذ الله ميثاق الذين والضمير للكتاب فنبذوه اى الميثاق وراء ظهورهم فلم يراعوه ولم يلتفتوا
اليه والنبذ وراء الظهر مثل في ترك الاعتداد وعدم الالتفات ونقيضه جعله نصب عينيه والقاؤه بين عينيه
واشتروا به واخذوا بدله ثمنا قليلا من حطام الدنيا واغراضها فبئس ما يشترون يختارون لانفسهم

ما خلقته عبثاً ضائعاً من غير حكمة بل خلقته لحكم عظيمة من جملتها ان يكون مبدأ لوجود الانسان وسبباً
لمعاشه ودليلاً يدله على معرفتك ويحثه على طاعتك لينال الحياة الابدية والسعادة السرمدية في جوارك سبحانك
تنزيهاً لك من العبث وخلق الباطل وهو اعتراض فقنا عذاب النار للاخلال بالنظر فيه والقيام بما يقتضيه وفائدة الفاء
هي الدلالة على ان علمهم بما لاجله خلقت السموات والارض حملهم على الاستعاذة ربنا انك من تدخل النار فقد
اخزيته فقد اخزيته غاية الاخزاء وهو نظير قوله من ادرك مرعى الصمان فقد ادرك والمراد به تهويل المستعاذ منه تنبيهاً على شدة خوفهم
وطلبهم الوقاية منه وفيه اشعار بان العذاب الروحاني افظع وما للظالمين من انصار اراد بهم المدخلين ووضع المظهر موضع
المضمر للدلالة على ان ظلمهم سبب لادخالهم النار وانقطاع النصرة عنهم في الخلاص منها ولا يلزم من نفي النصرة
نفي الشفاعة لان النصرة دفع بقهر ربنا اننا سمعنا منادياً ينادي للايمان اوقع الفعل على المسمع وحذف المسموع
لدلالة وصفه عليه وفيه مبالغة ليست في ايقاعه على نفس المسموع وفي تنكير المنادي واطلاقه ثم تقييده تعظيم لشانه والمراد به
الرسول عليه السلام وقيل القرآن والنداء والدعاء ونحوهما يعدى بالى واللام لتضمنها معنى الانتهاء والاختصاص
ان آمنوا بربكم فآمنا اي آمنوا او بان آمنوا فامتثلنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا كبائرنا فانها ذات
تبعة وكفر عنا سيئاتنا صغائرنا فانها مستقبحة ولكن مكفرة عن مجتنب الكبائر وتوفنا مع الابرار مخصوصين بصحبتهم
معدودين في زمرتهم وفيه تنبيه على انهم يحبون لقاء الله ومن احب لقاء الله احب الله لقاءه والابرار جمع بر او بار كارباب واصحاب
ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك اي ما وعدتنا على تصديق رسلك من الثواب لما اظهر امتثاله لما
امر به سال ما وعد عليه لا خوفاً من اخلاف الوعد بل مخافة ان لا يكون من الموعودين لسوء عاقبة او قصور في الامتثال
او تعبداً او استكانة ويجوز ان يعلق على بمحذوف وتقديره ما وعدتنا منزلاً على رسلك او محمولاً عليهم وقيل معناه على السنة رسلك
ولا تخزنا يوم القيامة بان تعصمنا عما يقتضيه انك لا تخلف الميعاد باثابة المؤمن واجابة الداعي
وعن ابن عباس رضي الله عنهما الميعاد البعث بعد الموت وتكرير ربنا للمبالغة في الابتهال والدلالة على استقلال
المطالب وعلو شانها وفي الآثار من حزبه امر فقال خمس مرات ربنا انجاه الله تعالى مما يخاف فاستجاب لهم ربهم الى
طلبتهم وهو اخص من اجاب ويعدى بنفسه وباللام اني لا اضيع عمل عامل منكم اي باني لا اضيع وقرئ
بالكسر على ارادة القول من ذكر او انثى بيان عامل بعضكم من بعض لان الذكر من الانثى والانثى من الذكر او لانهما من
اصل واحد او لفرط الاتصال والاتحاد او للاجتماع والاتفاق في الدين وهي جملة معترضة بين بها شركة النساء مع الرجال
فيما وعد للعمال روي ان ام سلمة قالت يا رسول الله اني اسمع الله يذكر الرجال في الهجرة ولا يذكر النساء فنزلت
فالذين هاجروا الخ تفصيل لاعمال العمال وما اعد لهم من الثواب على سبيل المدح والتعظيم والمعنى فالذين هاجروا
الشرك والاوطان والعشائر للدين واخرجوا من ديارهم واوذوا في سبيلي بسبب ايمانهم بالله ومن اجله وقاتلوا
الكفار وقتلوا في الجهاد وقرأ حمزة والكسائي بالعكس لان الواو لا توجب الترتيب والثاني افضل او لان المراد لما قتل
منهم قوم قاتل الباقون ولم يضعفوا وشدد ابن كثير وابن عامر قتلوا للتكثير لاكفرن عنهم سيئاتهم

سورة النساء مدنية وهي مائة وخمس وسبعون آية بسم الله الرحمن الرحيم

يا أيها الناس خطاب يعم بني آدم اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة هي آدم عليه السلام وخلق منها زوجها
عطف على خلقكم أي خلقكم من شخص واحد وخلق منها أمكم حواء من ضلع من أضلاعه أو محذوف تقديره من نفس
واحدة خلقها وخلق منها زوجها وهو تقرير لخلقهم من نفس واحدة وبث منهما رجالا كثيرا ونساء بيان لكيفية تولدهم
منهما والمعنى ونشر من تلك النفس والزوج المخلوقة منها بنين وبنات كثيرة واكتفى بوصف الرجال بالكثرة عن وصف النساء
إذ الحكمة تقتضي أن تكون أكثر وذكر كثيرا حملا على الجمع وترتيب الأمر بالتقوى على هذه القصة لما فيها من الدلالة على
القدرة القاهرة التي من حقها أن تخشى والنعمة الباهرة التي توجب طاعة موليها أو لأن
يتصل بحقوق أهل منزله وبني جنسه على ما دلت عليه الآيات التي بعدها وقرئ وخالق وباث على حذف مبتدأ
تقديره وهو خالق وباث واتقوا الله الذي تساءلون به أي يسأل بعضكم بعضا فيقول أسألك بالله وأصله
تتساءلون فأدغمت التاء الثانية في السين وقرأ عاصم وحمزة والكسائي بطرحها والأرحام بالنصب عطف على محل الجار والمجرور
كقولك مررت بزيد وعمرا أو على الله أي اتقوا الله واتقوا الأرحام فصلوها ولا تقطعوها وقرأ حمزة بالجر عطفا
على الضمير المجرور وهو ضعيف لأنه كبعض الكلمة وقرئ بالرفع على أنه مبتدأ محذوف الخبر تقديره والأرحام كذلك
مما يتقى أو يتساءل به وقد نبه سبحانه إذ قرن الأرحام باسمه على أن صلتها بمكان منه وعنه صلى الله عليه وسلم الرحم
معلقة بالعرش تقول ألا من وصلني وصله الله ومن قطعني قطعه الله تعالى إن الله كان عليكم رقيبا حافظا
مطلعا وآتوا اليتامى أموالهم أي إذا بلغوا واليتامى جمع يتيم وهو الذي مات أبوه من اليتم وهو الانفراد ومنه
الدرة اليتيمة إما على أنه لما جرى مجرى الأسماء كفارس وصاحب جمع على يتائم ثم قلب فقيل يتامى أو على أنه جمع
يتمى كأسرى لأنه من باب الآفات ثم جمع يتمى على يتامى كأسرى وأسارى والاشتقاق يقتضي وقوعه
على الصغار والكبار لكن العرف خصصه بمن لم يبلغ ووروده في الآية إما للبلغ على الأصل أو الاتساع لقرب عهدهم بالصغر
حثا على أن يدفع إليهم أموالهم أول بلوغهم قبل أن يزول عنهم هذا الاسم إن أونس منهم الرشد ولذلك
صغارا أو لغير البلغ والحكم مقيد فكأنه قال وآتوهم إذا بلغوا ويؤيد الأول ما روي أن رجلا من غطفان
مال كثير لابن أخ له يتيم فلما بلغ طلب المال منه فمنعه فنزلت فلما سمعها العم قال أطعنا الله ورسوله نعوذ
الحوب الكبير ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ولا تستبدلوا الحرام من أموالهم بالحلال من أموالكم أو الأمر
وهو اختزال أموالهم بالأمر الطيب الذي هو حفظها وقيل ولا تأخذوا الرفيع من أموالهم وتعطوا
وهذا تبديل وليس بتبدل ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم ولا تأكلوها مضمومة إلى أموالكم أي لا
تنفقوهما معا ولا تسووا بينهما وهذا حلال وذاك حرام وهو فيما زاد على قدر أجره لقوله تعالى فليأكل.
للأكل كان حوبا كبيرا ذنبا عظيما وقرئ حوبا وهو مصدر حاب حوبا وحابا كقال قولا وقالا وإن خفتم ألا
في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء أي إن خفتم أن لا تعدلوا في يتامى النساء إذا تزوجتم بهن

ومرؤ اذا ساغ من غير غصص اقيمتا مقام مصدريهما او وصف بهما المصدر او جعلتا حالا من الضمير وقيل الهنيء ما يلذه الانسان
والمريء ما تحمد عاقبته روي ان ناسا كانوا يتأثمون ان يقبل احدهم من زوجته شيئا مما ساق اليها فنزلت ولا تؤتوا
السفهاء اموالكم نهي للاولياء عن ان يؤتوا الذين لا رشد لهم اموالهم فيضيعوها وانما اضاف المال الى الاولياء لانها في
تصرفهم وتحت ولايتهم وهو الملائم للآيات المتقدمة والمتأخرة وقيل نهي لكل احد ان يعمد الى ما خوله الله من المال فيعطي
امرأته واولاده ثم ينظر الى ايديهم وانما سماهم سفهاء استخفافا بعقلهم واستهجانا لجعلهم قواما على انفسهم وهو اوفق لقوله
التي جعل الله لكم قياما اي تقومون بها وتنتعشون وعلى الاول يؤول بانها التي من جنس ما جعل الله لكم قياما سمي ما به القيام
قياما للمبالغة وقرأ نافع وابن عامر قيما بمعناه كعوذ بمعنى عياذ وقرئ قواما وهو ما يقام به وارزقوهم فيها واكسوهم
واجعلوها مكانا لرزقهم وكسوتهم بان تتجروا فيها وتحصلوا من نفعها ما يحتاجون اليه وقولوا لهم قولا معروفا عدة جميلة
تطيب بها نفوسهم والمعروف ما عرفه الشرع او العقل بالحسن والمنكر ما انكره احدهما لقبحه وابتلوا اليتامى اختبروهم قبل
البلوغ بتتبع احوالهم في صلاح الدين والتهدي الى ضبط المال وحسن التصرف بان يكل اليه مقدمات العقد وعند
ابي حنيفة رحمه الله تعالى بان يدفع اليه ما يتصرف فيه حتى اذا بلغوا النكاح حتى اذا بلغوا حد البلوغ بان يحتلم او يستكمل
خمس عشرة سنة عندنا لقوله صلى الله عليه وسلم اذا استكمل المولود خمس عشرة سنة كتب ما له وما عليه واقيمت عليه
الحدود وثماني عشرة عند ابي حنيفة رحمه الله تعالى وبلوغ النكاح كناية عن البلوغ لانه يصلح للنكاح عنده فان آنستم
منهم رشدا فان ابصرتم منهم رشدا وقرئ احستم بمعنى احسستم فادفعوا اليهم اموالهم من غير تأخير عن حد
ونظم الآية ان الشرطية جواب اذا المتضمنة معنى الشرط والجملة غاية الابتلاء فكأنه قيل وابتلوا اليتامى الى وقت بلوغهم
واستحقاقهم دفع اموالهم بشرط ايناس الرشد منهم وهو دليل على انه لا يدفع اليهم ما لم يؤنس
ابو حنيفة رحمه الله تعالى اذا زادت على سن البلوغ سبع سنين وهي مدة معتبرة في تغير الاحوال اذ الطفل يميز بعدها
بالعبادة دفع اليه المال وان لم يؤنس منه الرشد ولا تأكلوها اسرافا وبدارا ان يكبروا مسرفين
ومبادرين كبرهم ومن كان غنيا فليستعفف من اكلها ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف بقدر حاجته واجرة سعيه
كالاكل بالمعروف مشعر بان الولي له حق في مال الصبي وعنه صلى الله عليه وسلم ان رجلا قال له ان في حجري يتيما أفآكل من ماله قال
بالمعروف غير متأثل مالا ولا واق مالك بماله وايراد هذا التقسيم بعد قوله ولا تأكلوها يدل على انه نهي للاولياء ان يأخذوا
وينفقوا على انفسهم اموال اليتامى فاذا دفعتم اليهم اموالهم فاشهدوا عليهم بانهم قبضوها فانه انفى للتهمة وابعد من الخصومة
ووجوب الضمان وظاهره يدل على ان القيم لا يصدق في دعواه الا بالبينة وهو المختار عندنا ومذهب مالك
خلافا لابي حنيفة رحمه الله تعالى وكفى بالله حسيبا محاسبا فلا تخالفوا ما امرتم به ولا تجاوزوا ما حد لكم
للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والاقربون يريد بهم المتوارثين بالقرابة مما قل منه او كثر
بدل مما ترك باعادة العامل نصيبا مفروضا نصب على انه مصدر مؤكد كقوله فريضة من الله او حال اذ المعنى ثبت لهم
مفروضا نصيبا او على الاختصاص بمعنى اعني نصيبا مقطوعا واجبا لهم وفيه دليل على ان الوارث لو اعرض عن

او على اوصل المتوفات فوق اثنتين خبر ثان او صفة للنساء اى نساء زائدات على اثنتين فلهن ثلثا ما ترك المتوفى
منكم ويدل عليه المعنى وان كانت واحدة فلها النصف اى وان كانت مولودة واحدة وقرأ نافع بالرفع على كان التامة
واختلف فى البنتين فقال ابن عباس رضى الله عنهما حكمهما حكم الواحدة لانه تعالى جعل الثلثين لما فوقهما وقال
الباقون حكمهما حكم ما فوقهما لانه تعالى لما بين ان حظ الذكر مثل حظ الانثيين اذا كان معه انثى وهو الثلثان
اقتضى ذلك ان فرضهما الثلثان ثم لما اوهم ذلك ان يزاد النصيب بزيادة العدد رد ذلك بقوله فان كن نساء فوق
اثنتين ويؤيد ذلك ان البنت الواحدة لما استحقت الثلث مع اخيها فبالحرى ان تستحقه مع اخت مثلها وان البنتين امس رحما من الاختين
وقد فرض لهما الثلثين بقوله فلهما الثلثان مما ترك ولابويه اى ولابوى الميت لكل واحد منهما السدس بدل منه بتكرير
العامل وفائدته التنصيص على استحقاق كل منهما السدس والتفصيل بعد الاجمال تاكيدا مما ترك ان كان له الميت
ولد ذكر او انثى غير ان الاب يأخذ السدس مع الانثى بالفرضية وما بقى من ذوى الفروض ايضا بالعصوبة فان لم يكن
له ولد وورثه ابواه فحسب فلامه الثلث مما ترك وانما لم يذكر حصة الاب لانه لما فرض ان الوارث ابواه فقط
وعين نصيب الام علم ان الباقى للاب وكانه قال فلهما ما ترك اثلاثا وعلى هذا ينبغى ان يكون للام حينئذ
ثلث ما بقى من فرضه كما قاله الجمهور لا ثلث المال كما قاله ابن عباس رضى الله عنهما فانه يفضى الى تفضيل الانثى على الذكر المساوى لها
فى الجهة والقرب وهو خلاف وضع الشرع فان كان له اخوة فلامه السدس باطلاقه يدل على ان الاخوة يردونها من
الثلث الى السدس وان كانوا لا يرثون مع الاب وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انهم ياخذون السدس الذى
حجبوا عنه الام والجمهور على ان المراد بالاخوة عدد ممن له اخوة من غير اعتبار التثليث سواء كان من الاخوة او
الاخوات وعن ابن عباس رضى الله عنهما لا يحجب الام من الثلث ما دون الثلاثة ولا الاخوات الخلص اخذا بالظاهر
وقرأ حمزة والكسائى فلامه بكسر الهمزة اتباعا للكسرة التى قبلها من بعد وصية يوصى بها او دين متعلق بما تقدمه
من قسمة المواريث كلها اى هذه الانصباء للورثة من بعد ما كان من وصية او دين وانما قال باو التى للاباحة دون الواو
للدلالة على انهما متساويان فى الوجوب متقدمان على القسمة مجموعين ومفردين وقدم الوصية على الدين وهى متأخرة
فى الحكم لانها مشبهة بالميراث شاقة على الورثة مندوب اليها الجميع والدين انما يكون على الندور وقرأ ابن كثير
وابو بكر وابن عامر يوصى بفتح الصاد آباؤكم وابناؤكم لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا اى لا تعلمون من انفع لكم
ممن يرثكم من اصولكم وفروعكم فى عاجلكم وآجلكم فتحروا فيهم ما وصاكم الله به ولا تعمدوا الى تفضيل بعض وحرمانه روى
ان احد المتوالدين اذا كان ارفع درجة من الآخر فى الجنة سأل ان يرفع اليه فيرفع بشفاعته او من مورثكم منهم او من اوصى
منهم فعرضكم للثواب بامضاء وصيته ام من لم يوص فوفر عليكم ماله فهو اعتراض مؤكد لامر القسمة او تنفيذ الوصية
فريضة من الله مصدر مؤكد او مصدر يوصيكم الله لانه فى معنى يأمركم ويفرض عليكم ان الله كان عليما بالمصالح
والرتب حكيما فيما قضى وقدر ولكم نصف ما ترك ازواجكم ان لم يكن لهن ولد فان كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن
اى ولد وارث من بطنها او من صلب بنيها او بنى بنيها وان سفل ذكرا كان او انثى منكم او من غيركم

في البيوت واجعلوها سجنا عليهن حتى يتوفاهن الموت يستوفي ارواحهن الموت او يتوفاهن ملائكة الموت قيل
كان ذلك عقوبتهن في اوائل الاسلام فنسخ بالحد ويحتمل ان يكون المراد به التوصية بامساكهن بعد ان يجلدن
كيلا يجري عليهن ما جرى بسبب الخروج والتعرض للرجال ولم يذكر الحد استغناء بقوله الزانية والزاني او يجعل الله
لهن سبيلا كتعيين الحد المخلص عن الحبس او النكاح المغني عن السفاح واللذان يأتيانها منكم يعني الزانية والزاني وقرأ ابن
كثير واللذانّ بتشديد النون وتمكين مد الالف والباقون بالتخفيف من غير تمكين فآذوهما بالتوبيخ والتقريع
وقيل بالتعيير والجلد فان تابا واصلحا فاعرضوا عنهما فاقطعوا عنهما الايذاء او اعرضوا عنهما بالاغماض
والستر وترك المذمة قيل هذه الآية سابقة على الاولى نزولا وكان عقوبة الزناة الاذى ثم الحبس ثم
الجلد وقيل الاولى في السحاقات وهذه في اللواطين والزانية والزاني في الزناة ان الله كان توابا رحيما
علة الامر بالاعراض وترك المذمة انما التوبة على الله اي ان قبول التوبة كالمحتوم على الله بمقتضى وعده من تاب
اذا قبل توبته للذين يعملون السوء بجهالة ملتبسين بها سفها فان ارتكاب الذنب سفه وتجاهل ولذلك قيل
من عصى الله فهو جاهل حتى ينزع عن جهالته ثم يتوبون من قريب من زمان قريب اي قبل حضور الموت لقوله تعالى
حتى اذا حضر احدهم الموت وقوله ان الله يقبل توبة عبده ما لم يغرغر وسماه قريبا لان امد الحياة قريب لقوله
قل متاع الدنيا قليل او قبل ان يشرب في قلوبهم حبه فيطبع عليها فيتعذر عليهم الرجوع ومن للتبعيض اي يتوبون
في اي جزء من الزمان القريب الذي هو ما قبل ان ينزل بهم سلطان الموت او يزين السوء فاولئك يتوب الله
عليهم وعد بالوفاء بما وعد به وكتب على نفسه بقوله انما التوبة على الله وكان الله عليما فهو يعلم باخلاصهم
في التوبة حكيما والحكيم لا يعاقب التائب وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت
قال اني تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار سوى بين من سوف التوبة الى حضور الموت من الفسقة
والكفار وبين من مات على الكفر في نفي التوبة للمبالغة في عدم الاعتداد بها في تلك الحالة وكانه قال توبة هؤلاء
وعدم توبة هؤلاء سواء وقيل المراد بالذين يعملون السوء عصاة المؤمنين وبالذين يعملون السيئات المنافقون
لتضاعف كفرهم وسوء اعمالهم وبالذين يموتون الكفار اولئك اعتدنا لهم عذابا اليما تاكيد لعدم قبول توبتهم
وبيان ان العذاب اعده لهم لا يعجزه عذابهم متى شاء والاعتداد التهيئة من العتاد وهو العدة وقيل اصله اعددنا
فابدلت الدال الاولى تاء يا ايها الذين آمنوا لا يحل لكم ان ترثوا النساء كرها كان الرجل اذا مات
وله عصبة القى ثوبه على امراته وقال انا احق بها ثم ان شاء تزوجها بصداقها الاول وان شاء زوجها غيره واخذ
صداقها وان شاء عضلها لتفتدي بما ورثت من زوجها فنهوا عن ذلك وقيل لا يحل لكم ان
تاخذوهن على سبيل الارث فتتزوجوهن كارهات لذلك او مكرهات وقرأ حمزة والكسائي كرها بالضم في
مواضعه وهما لغتان وقيل بالضم المشقة وبالفتح ما يكره عليه ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن عطف على ان ترثوا
ولا لتاكيد النفي اي ولا تمنعوهن من التزوج واصل العضل التضييق يقال عضلت الدجاجة ببيضها وقيل الخطاب

لنسبى وامهاتكم اللاتي ارضعنكم واخواتكم من الرضاعة نزل الله الرضاعة منزلة النسب حتى سمى المرضعة
اما والمراضعة اختا وامرها على قياس النسب باعتبار المرضعة ووالد الطفل الذي در عليه اللبن قال صلى الله عليه وسلم يحرم من الرضاع ما
يحرم من النسب واستثناء اخت ابن الرجل وام اخيه من الرضاع من هذا الاصل ليس بصحيح فان حرمتهما في النسب
بالمصاهرة دون النسب وامهات نسائكم وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن ذكر اولا محرمات النسب
ثم محرمات الرضاع لان لحمته كلحمة النسب ثم محرمات المصاهرة فان تحريمهن عارض لمصلحة الزواج والربائب جمع ربيبة والربيب ولد المرأة من
آخر سمي به لانه يربه كما يرب ولده في غالب الامر فعيل بمعنى مفعول وانما لحقته التاء لانه صار اسما واللاتي بصلتها صفة
لها مقيدة للفظ ولكنه بالاجماع قضية للنظم ولا يجوز تعليقها بالامهات ايضا لان من اذا علقتها بالربائب كانت
وان علقتها بالامهات لم يجز ذلك بل وجب ان يكون بيانا لنسائكم والكلمة الواحدة لا تحمل على معنيين عند جمهور الادباء
اللهم الا اذا جعلتها للاتصال كقوله فاني لست منك ولست مني على معنى ان امهات النساء وبناتهن متصلات
بهن لكن الرسول صلى الله عليه وسلم فرق بينهما فقال في رجل تزوج امرأة وطلقها قبل ان يدخل بها انه لا بأس ان يتزوج
ابنتها ولا يحل له ان يتزوج امها واليه ذهب عامة العلماء غير انه روي عن علي رضي الله تعالى عنه تقييد التحريم فيهما
ولا يجوز ان يكون الموصول الثاني صفة للنسائين لان عاملهما مختلف وفائدة قوله في حجوركم تقوية العلة وتكميلها
والمعنى ان الربائب اذا دخلتم بامهاتهن وهن في احتضانكم او بصدده قوي الشبه بينها وبين اولادكم فصارت احقاء بان تجروها مجراهم
لا تقييد الحرمة واليه ذهب جمهور العلماء وقد روي عن علي كرم الله تعالى وجهه انه جعله شرطا والامهات والربائب تعم
القريبة والبعيدة وقوله دخلتم بهن اي دخلتم معهن الستر وهي كناية عن الجماع ويؤثر ما ليس بزنا كالوطء بشبهة او ملك
وعند ابي حنيفة رحمه الله تعالى لمس المنكوحة ونحوه كالدخول فان لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم تصريح بعد اشعار
دفعا للقياس وحلائل ابنائكم زوجاتهم سميت الزوجة حليلة لحلها او لحلولها مع الزوج الذين من اصلابكم
عن المتبنى لا عن ابناء الولد وان تجمعوا بين الاختين في موضع الرفع عطفا على المحرمات والظاهر ان الحرمة غير
على النكاح فان المحرمات المعدودة كما هي محرمة في النكاح فهي محرمة في ملك اليمين ولذلك قال عثمان وعلي رضي الله تعالى
عنهما حرمتهما آية واحلتهما آية يعنيان هذه الآية وقوله تعالى او ما ملكت ايمانكم فرجح علي التحريم وعثمان التحليل
الله تعالى عنهما وقول علي رضي الله تعالى عنه اظهر لان آية التحليل مخصوصة في غير ذلك ولقوله صلى الله عليه وسلم
الحلال والحرام الا غلب الحرام الا ما قد سلف استثناء من لازم المعنى او منقطع لكن ما قد سلف
كان غفورا رحيما **والمحصنات من النساء** ذوات الازواج احصنهن التزويج
وقرأ الكسائي بكسر الصاد في جميع القرآن غير هذا الحرف لانهن احصن فروجهن الا ما ملكت ايمانكم يريد ما ملكت
من اللاتي سبين ولهن ازواج كفار فهن حلال للسابين والنكاح مرتفع بالسبي لقول ابي سعيد رضي الله تعالى عنه
اصبنا سبايا يوم اوطاس ولهن ازواج فكرهنا ان نقع عليهن فسألنا النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت الآية فاستحللناهن
واياه عنى الفرزدق بقوله * وذات حليل انكحتها رماحنا * حلال لمن يبني بها لم تطلق * وقال ابو حنيفة رحمه الله

الجزء الخامس

ذكره اولى مواليهن مخافة الضياع للعلم بان المهر للسيد لانه عوض حقه فيجب ان يؤدى اليه وقال مالك المهر للامة
الى الظاهر بالمعروف بغير مطل واضرار ونقصان محصنات عفائف غير مسافحات غير مجاهرات بالسفاح ولا متخذات
اخدان اخلاء في السر فاذا احصن بالتزويج وقرأ ابو بكر وحمزة والكسائي بفتح الهمزة والصاد والباقون بضم الهمزة
وكسر الصاد فان اتين بفاحشة زنا فعليهن نصف ما على المحصنات يعني الحرائر من العذاب من الحد لقوله
وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين وهو يدل على ان حد العبد نصف حد الحر وانه لا يرجم لان الرجم لا يتنصف ذلك اي نكاح الاماء
لمن خشي العنت منكم لمن خاف الوقوع في الزنا وهو في الاصل انكسار العظم بعد الجبر مستعار لكل مشقة وضرر ولا ضرر
اعظم من مواقعة الاثم بافحش القبائح وقيل المراد به الحد وهذا شرط للنكاح الاماء وان تصبروا خير لكم اي وصبركم
عن نكاح الاماء متعففين خير لكم قال صلى الله عليه وسلم الحرائر صلاح البيت والاماء هلاكه والله غفور لمن لم يصبر رحيم
بان رخص له يريد الله ليبين لكم ما تعبدكم به من الحلال والحرام او ما خفي عنكم من مصالحكم ومحاسن اعمالكم وليبين مفعول يريد
واللام مزيدة لتأكيد معنى الاستقبال اللازم للارادة كما في قول قيس بن سعد اردت لكيما يعلم الناس انه سراويل قيس
والوفود شهود وقيل المفعول محذوف وليبين مفعول له اي يريد الخير لاجله ويهديكم سنن الذين من قبلكم مناهج
من تقدمكم من اهل الرشد لتسلكوا طرقهم ويتوب عليكم ويغفر لكم ذنوبكم او يرشدكم الى ما يمنعكم عن المعاصي ويحثكم
على التوبة او الى ما يكون كفارة لسيئاتكم والله عليم بها حكيم في وضعها والله يريد ان يتوب عليكم كرره للتأكيد
ويريد الذين يتبعون الشهوات يعني الفجرة فان اتباع الشهوات الائتمار لها واما المتعاطي لما سوغه الشرع منها دون غيره
فهو متبع له في الحقيقة لا لها وقيل المجوس وقيل اليهود فانهم يحلون الاخوات من الاب وبنات الاخ والاخت ان تميلوا
عن الحق ميلا عظيما بموافقتهم على اتباع الشهوات واستحلال المحرمات عظيما بالاضافة الى ميل من اقترف خطيئة على ندور غير مستحل لها
يريد الله ان يخفف عنكم فلذلك شرع لكم الشريعة الحنيفية السمحة السهلة ورخص لكم في المضايق كاحلال نكاح الامة
وخلق الانسان ضعيفا لا يصبر عن الشهوات ولا يتحمل مشاق الطاعات وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ثمان آيات في
سورة النساء هي خير لهذه الامة مما طلعت عليه الشمس وغربت هذه الثلث وان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه ان الله لا يغفر
ان يشرك به ان الله لا يظلم مثقال ذرة ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه ما يفعل الله بعذابكم يا ايها الذين آمنوا لا تأكلوا
اموالكم بينكم بالباطل بما لم يبحه الشرع كالغصب والربا والقمار الا ان تكون تجارة عن تراض منكم استثناء منقطع
اي ولكن كون تجارة عن تراض غير منهي عنه او اقصدوا كون تجارة وعن تراض صفة لتجارة اي تجارة صادرة عن تراضي المتعاقدين
وتخصيص التجارة من الوجوه التي بها يحل تناول مال الغير لانها اغلب واوفق لذوي المروءات ويجوز ان يراد بها الانتقال مطلقا
وقيل المقصود بالنهي المنع عن صرف المال فيما لا يرضاه الله تعالى وبالتجارة صرفه فيما يرضاه وقرأ الكوفيون تجارة بالنصب على كان
واضمار الاسم اي الا ان تكون التجارة او الجهة تجارة ولا تقتلوا انفسكم بالبخع كما يفعله جهلة الهند او بالقاء النفس
الى التهلكة ويؤيده ما روي ان عمرو بن العاص تأول في التيمم لخوف البرد فلم ينكر عليه النبي صلى الله عليه وسلم او بارتكاب ما يؤدي
الى قتلها او باقتراف ما يذلها ويرديها فانه القتل الحقيقي للنفس وقيل المراد بالانفس من كان من اهل دينهم فان

يغزو الرجال ولا نغزو ولنا نصف الميراث ليتنا كنا رجالاً فنزلت ﴿ولكل جعلنا موالي مما ترك الوالدان وا

لأقربون﴾ أي ولكل تركة جعلنا وراثاً يلونها ويحرزونها ومما ترك بيان لكل مع الفصل بالعامل أو ولكل ميت جعلنا وراثاً مما ترك على أن من

صلة موالي لأنه في معنى الوارث وفي ترك ضمير كل والوالدان والاقربون استئناف مفسر للموالي وفيه خروج الاولاد فان الاقربين

لا يتناولهم كما لا يتناول الوالدين او ولكل قوم جعلناهم موالي حظ مما ترك الوالدان والاقربون على ان جعلنا موالي

صفة كل والراجع اليه محذوف وعلى هذا فالجملة من مبتدأ وخبر ﴿والذين عاقدت ايمانكم﴾ موالي الموالاة كان الحليف

يورث السدس من مال حليفه فنسخ بقوله ﴿واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض﴾ وعن ابي حنيفة رحمه الله تعالى لو اسلم رجل على

يد رجل وتعاقدا على ان يتعاقلا ويتوارثا صح وورث او الازواج على ان العقد عقد النكاح وهو مبتدأ ضمن معنى الشرط وخبره

﴿فآتوهم نصيبهم﴾ او منصوب بمضمر يفسره ما بعده كقولك زيداً فاضربه او معطوف على الوالدان وقوله فآتوهم جملة

مسببة عن الجملة المتقدمة مؤكدة لها والضمير للموالي وقرأ الكوفيون ﴿عقدت﴾ بمعنى عقدت عهودهم ايمانكم فحذف العهود

واقيم الضمير المضاف اليه مقامه ثم حذف كما حذف في القراءة الاخرى ﴿ان الله كان على كل شيء شهيداً﴾ تهديد على منع نصيبهم

﴿الرجال قوامون على النساء﴾ يقومون عليهن قيام الولاة على الرعية وعلل ذلك بامرين وهبي وكسبي فقال ﴿بما فضل الله

بعضهم على بعض﴾ بسبب تفضيله الرجال على النساء بكمال العقل وحسن التدبير ومزيد القوة في الاعمال والطاعات ولذلك

خصوا بالنبوة والامامة والولاية واقامة الشعائر والشهادة في مجامع القضايا ووجوب الجهاد والجمعة ونحوها

وزيادة السهم في الميراث والاستبداد بالفراق ﴿وبما انفقوا من اموالهم﴾ في نكاحهن كالمهر والنفقة روي ان سعد بن

الربيع احد نقباء الانصار نشزت عليه امرأته حبيبة بنت زيد بن ابي زهير فلطمها فانطلق بها ابوها الى رسول الله صلى الله

عليه وسلم فشكى فقال صلى الله عليه وسلم لتقتص منه فنزلت فقال اردنا امراً واراد الله تعالى امراً والذي اراد الله خير ﴿فالصالحات

قانتات﴾ مطيعات لله تعالى قائمات بحقوق الازواج ﴿حافظات للغيب﴾ لمواجب الغيب اي يحفظن في غيبة الازواج ما يجب حفظه في

النفوس والاموال وعنه صلى الله عليه وسلم خير النساء امرأة ان نظرت اليها سرتك وان امرتها اطاعتك واذا غبت عنها حفظتك في مالها

ونفسها وتلا الآية وقيل لاسرارهم ﴿بما حفظ الله﴾ بحفظ الله تعالى اياهن بالامر على حفظ الغيب والحث عليه بالوعد والو

عيد والتوفيق له او بالذي حفظ الله تعالى لهن من المهر والنفقة والقيام بحفظهن والذب عنهن وقرئ بما حفظ الله بالنصب

على ان ما موصولة فانها لو كانت مصدرية لم يكن لحفظ فاعل والمعنى بالامر الذي حفظ حق الله تعالى وطاعته وهو التعفف

والشفقة على الرجال ﴿واللاتي تخافون نشوزهن﴾ عصيانهن وترفعهن عن مطاوعة الازواج من النشز ﴿فعظوهن واهجروهن

في المضاجع﴾ في المراقد فلا تدخلوهن تحت اللحف او لا تباشروهن فيكون كناية عن الجماع وقيل المضاجع المبايتة

اي لا تبايتوهن ﴿واضربوهن﴾ يعني ضرباً غير مبرح ولا شائن والامور الثلاثة مترتبة ينبغي ان يتدرج فيها ﴿فان اطعنكم فلا تبغوا عليهن

سبيلاً﴾ بالتوبيخ والايذاء والمعنى فازيلوا عنهن التعرض واجعلوا ما كان منهن كأن لم يكن فان التائب من الذنب كمن لا ذنب له ﴿ان

الله كان علياً كبيراً﴾ فاحذروه فانه اقدر عليكم منكم على من تحت ايديكم او انه على علو شأنه يتجاوز عن سيئاتكم ويتوب

عليكم فانتم احق بالعفو عن ازواجكم او انه يتعالى ويتكبر ان يظلم احداً او ينقص حقه ﴿وان خفتم شقاق بينهما﴾ خلافاً بين المرء

وأما في الشرع فالتصديق بما علم بالضرورة أنه من دين محمد صلى الله عليه وسلم كالتوحيد والنبوة والبعث والجزاء
ومجموع ثلاثة أمور اعتقاد الحق والإقرار به والعمل بمقتضاه عند جمهور المحدثين والمعتزلة والخوارج فمن
أخل بالاعتقاد وحده فهو منافق ومن أخل بالإقرار فكافر ومن أخل بالعمل ففاسق وفاقاً وكافر عند الخوارج وخارج
عن الإيمان غير داخل في الكفر عند المعتزلة والذي يدل على أنه التصديق وحده أنه سبحانه أضاف الإيمان إلى القلب
فقال كتب في قلوبهم الإيمان وقلبه مطمئن بالإيمان ولم تؤمن قلوبهم ولما يدخل الإيمان في قلوبكم وعطف عليه العمل
الصالح في مواضع لا تحصى وقرنه بالمعاصي فقال وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص
في القتلى الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم مع ما فيه من قلة التغيير فإنه أقرب إلى الأصل وهو متعين الإرادة في الآية إذ
المعدى بالباء هو التصديق وفاقاً ثم اختلف في أن مجرد التصديق بالقلب هل هو كاف لأنه المقصود أم لا بد من انضمام
الإقرار به للمتمكن منه ولعل الحق هو الثاني لأنه تعالى ذم المعاند أكثر من ذم الجاهل المقصر وللمانع أن يجعل الذم للإنكار
لا لعدم الإقرار والغيب مصدر وصف به للمبالغة كالشهادة في قوله تعالى عالم الغيب والشهادة والعرب تسمي
المطمئن من الأرض والخمصة التي تلي الكلية غيباً أو فيعل خفف كقيل والمراد به الخفي الذي لا يدركه الحس ولا تقتضيه
بديهة العقل وهو قسمان قسم لا دليل عليه وهو المعني بقوله تعالى وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو وقسم
نصب عليه دليل كالصانع وصفاته واليوم الآخر وأحواله وهو المراد به في هذه الآية هذا إذا جعلته صلة للإيمان
وأوقعته موقع المفعول به وإن جعلته حالاً على تقدير ملتبسين بالغيب كان بمعنى الغيبة والخفاء والمعنى أنهم يؤمنون
غائبين عنكم لا كالمنافقين الذين إذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم
أو عن المؤمن به لما روي أن ابن مسعود رضي الله عنه قال والذي لا إله غيره ما آمن أحد أفضل من إيمان بغيب ثم قرأ
هذه الآية وقيل المراد بالغيب القلب والمعنى يؤمنون بقلوبهم لا كمن يقولون بأفواههم ما ليس في
قلوبهم فالباء على الأول للتعدية وعلى الثاني للمصاحبة وعلى الثالث للآلة **ويقيمون الصلاة**
أي يعدلون أركانها ويحفظونها من أن يقع زيغ في أفعالها من أقام العود إذا قومه أو يواظبون عليها من
قامت السوق إذا نفقت وأقمتها إذا جعلتها نافقة قال أقامت غزالة سوق الضراب لأهل العراقين حولاً
قميطاً فإنه إذا حوفظ عليها كانت كالنافق الذي يرغب فيه وإذا ضيعت كانت كالكاسد المرغوب عنه
أو يتشمرون لأدائها من غير فتور ولا توان من قولهم قام بالأمر وأقامه إذا جد فيه واجتهد وضده
قعد عن الأمر وتقاعد أو يؤدونها عبر عن الأداء بالإقامة لاشتمالها على القيام كما عبر عنها بالقنوت
وهو القيام والركوع والسجود والتسبيح والأول أظهر لأنه أشهر وإلى الحقيقة أقرب وأفيد لتضمنه التنبيه على الحقيق
بالمدح من راعى حدودها الظاهرة من الفرائض والسنن وحقوقها الباطنة من الخشوع والإقبال بقلبه على الله تعالى
لا المصلون الذين هم عن صلاتهم ساهون ولذلك ذكر في سياق المدح والمقيمين الصلاة وفي معرض الذم فويل للمصلين
والصلاة فعلة من صلى [illegible]

يكون وعيداً لهم بأن يقرن بهم الشيطان في النار وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر وأنفقوا مما رزقهم الله أي وما

الذي عليهم أو أي تبعة تحيق بهم بالإيمان والإنفاق في سبيل الله وهو توبيخ لهم على الجهل بمكان المنفعة والاعتقاد

في الشيء على خلاف ما هو عليه وتحريض على الفكر لطلب الجواب لعله يؤدي بهم إلى العلم بما فيه من الفوائد الجليلة والعوائد الجميلة

وتنبيه على أن المدعو إلى أمر لا ضرر فيه ينبغي أن يجيب إليه احتياطاً فكيف إذا تضمن المنافع وإنما قدم الإيمان ههنا

وأخره في الآية الأخرى لأن القصد بذكره إلى التخصيص ههنا والتعليل ثم وكان الله بهم عليماً وعيد لهم إن الله لا يظلم

مثقال ذرة لا ينقص من الأجر ولا يزيد في العقاب أصغر شيء كالذرة وهي النملة الصغيرة ويقال لكل جزء من أجزاء

الهباء والمثقال مفعال من الثقل وفي ذكره إيماء إلى أنه وإن صغر قدره عظم جزاؤه وإن تك حسنة وإن يكن

مثقال الذرة حسنة وأنث الضمير لتأنيث الخبر أو لإضافة المثقال إلى مؤنث وحذف النون من غير قياس تشبيهاً بحروف

العلة وقرأ ابن كثير ونافع حسنة بالرفع على كان التامة يضاعفها يضاعف ثوابها وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب يضعفها

وكلاهما بمعنى ويؤت من لدنه ويعط صاحبها من عنده على سبيل التفضل زائداً على ما وعد في مقابلة العمل أجراً

عظيماً عطاء جزيلاً وإنما سماه أجراً لأنه تابع للأجر مزيد عليه فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد فكيف حال هؤلاء الكفرة

من اليهود وغيرهم إذا جئنا من كل أمة بشهيد يعني نبيهم يشهد على فساد عقائدهم وقبح أعمالهم والعامل في الظرف

مضمون المبتدأ والخبر من هول الأمر وتعظيم الشأن وجئنا بك يا محمد على هؤلاء شهيداً تشهد على صدق هؤلاء الشهداء

لعلمك بعقائدهم واستجماع شرعك مجامع قواعدهم وقيل هؤلاء إشارة إلى الكفرة المستفهم عن حالهم وقيل

إلى المؤمنين لقوله تعالى لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً يومئذ يود الذين كفروا وعصوا

الرسول لو تسوى بهم الأرض بيان لما ذكر من الشدة حينئذ أي يود الذين جمعوا بين الكفر وعصيان أمر الرسول أو الكفرة

في ذلك الوقت أن يدفنوا فتسوى بهم الأرض كالموتى أو لم يبعثوا أو لم يخلقوا وكانوا هم والأرض سواء ولا يكتمون الله

حديثاً ولا يقدرون على كتمانه لأن جوارحهم تشهد عليهم وقيل الواو للحال أي يودون أن تسوى بهم الأرض وحالهم أنهم

لا يكتمون من الله حديثاً ولا يكذبونه بقولهم والله ربنا ما كنا مشركين إذ روي أنهم إذا قالوا ذلك ختم الله تعالى على أفواههم

فتشهد عليهم جوارحهم فيشتد الأمر عليهم فيتمنون أن تسوى بهم الأرض وقرأ نافع وابن عامر تسوى على أن أصله

تتسوى فأدغم التاء في السين وحمزة والكسائي تسوى على حذف التاء الثانية يقال سويته فتسوى يا أيها الذين آمنوا

لا تقربوا الصلوة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون أي لا تقوموا إليها وأنتم سكارى من نحو نوم أو غيره حتى تنتبهوا

وتعلموا ما تقولون في صلوتكم روي أن عبد الرحمن بن عوف رضي الله تعالى عنه صنع مأدبة ودعا نفراً من الصحابة حين

كانت الخمر مباحة فأكلوا وشربوا حتى ثملوا وجاء وقت صلوة المغرب فتقدم أحدهم ليصلي بهم فقرأ أعبد ما تعبدون

وقيل أراد بالصلوة مواضعها وهي المساجد وليس المراد منه نهي السكران عن قربان الصلوة وإنما المراد النهي عن الإفراط

في الشرب والسكر من السكر وهو السد وقرئ سكارى بالفتح وسكرى على أنه جمع كهلكى أو مفرد بمعنى وأنتم قوم سكرى أو

سكرى كحبلى على أنها صفة الجماعة ولا جنباً عطف على قوله وأنتم سكارى إذ الجملة في موضع النصب على الحال

انه فيه وقرئ الكلم بكسر الكاف وسكون اللام جمع كلمة تخفيف كلمة ويقولون سمعنا قولك وعصينا أمرك واسمع
غير مسمع أي مدعوا عليك بلا سمعت بصمم أو موت أو اسمع غير مجاب إلى ما تدعو إليه أو اسمع غير مسمع كلاما ترضاه أو اسمع
كلاما غير مسمع إياك لأن أذنك تنبو عنه فيكون مفعولا به أو اسمع غير مسمع مكروها من قولهم أسمعه فلان إذا سبه
وإنما قالوه نفاقا وراعنا انظرنا نكلمك أو نفهم كلامك ليا بألسنتهم فتلا بها وصرفا للكلام إلى ما يشبه السب حيث وضعوا
راعنا المشابه لما يتسابون به موضع انظرنا وغير مسمع موضع لا أسمعت مكروها أو فتلا بها وضما ما يظهرون من
والتوقير إلى ما يضمرون من السب والتحقير نفاقا وطعنا في الدين استهزاء به وسخرية ولو أنهم قالوا سمعنا و
أطعنا واسمع وانظرنا ولو ثبت قولهم هذا مكان ما قالوه لكان خيرا لهم وأقوم لكان قولهم ذلك خيرا لهم
وأعدل وإنما يجب حذف الفعل بعد لو في مثل ذلك لدلالة أن عليه ووقوعه موقعه ولكن لعنهم الله بكفرهم
ولكن خذلهم وأبعدهم عن الهدى بسبب كفرهم فلا يؤمنون إلا قليلا إلا إيمانا قليلا لا يعبأ به وهو الإيمان
ببعض الآيات والرسل ويجوز أن يراد بالقلة العدم كقوله * قليل التشكي للمهم يصيبه * أو إلا قليلا منهم آمنوا أو سيؤمنون
يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم من قبل أن نطمس وجوها فنردها على أدبارها من قبل
أن نمحو تخطيط صورها ونجعلها على هيئة أدبارها يعني الأقفاء أو ننكسها إلى ورائها في الدنيا أو في الآخرة وأصل
الطمس إزالة الأعلام الماثلة وقد يطلق بمعنى الطلس في إزالة الصورة ولمطلق القلب والتغيير ولذلك قيل معناه
من قبل أن نغير وجوها فنسلب وجاهتها وإقبالها ونكسوها الصغار والإدبار أو نردها إلى حيث جاءت منه
وهي أذرعات الشام يعني إجلاء بني النضير ويقرب منه قول من قال إن المراد بالوجوه الرؤساء أو من قبل أن نطمس وجوها
نعمي الأبصار عن الاعتبار ونصم الأسماع عن الإصغاء إلى الحق بالطبع ونردها عن الهداية إلى الضلالة أو نلعنهم كما لعنا
أصحاب السبت أو نخزيهم بالمسخ كما أخزينا به أصحاب السبت أو نلعنهم على لسانك كما لعناهم على لسان داود عليه السلام
والضمير لأصحاب الوجوه أو للذين على طريقة الالتفات أو للوجوه إن أريد به الوجهاء وعطفه على الطمس بالمعنى الأول
يدل على أن المراد به ليس مسخ الصورة في الدنيا ومن حمل الوعيد على تغيير الصورة في الدنيا قال إنه بعد مترقب أو
كان وقوعه مشروطا بعدم إيمانهم وقد آمن منهم طائفة وكان أمر الله بإيقاع شيء أو وعيده أو ما حكم به وقضاه
مفعولا نافذا وكائنا فيقع لا محالة ما أوعدتم به إن لم تؤمنوا إن الله لا يغفر أن يشرك به لأنه بت الحكم على خلود
عذابه وأن ذنبه لا ينمحي عنه أثره فلا يستعد للعفو بخلاف غيره ويغفر ما دون ذلك أي ما دون الشرك صغيرا كان
أو كبيرا لمن يشاء تفضلا عليه وإحسانا والمعتزلة علقوه بالفعلين على معنى أن الله لا يغفر الشرك لمن يشاء
وهو من لم يتب ويغفر ما دونه لمن يشاء وهو من تاب وفيه تقييد بلا دليل إذ ليس عموم آيات الوعيد بالمحافظة
أولى منه ونقض لمذهبهم فإن تعليق الأمر بالمشيئة ينافي وجوب التعذيب قبل التوبة والصفح بعدها فالآية كما هي
حجة عليهم فهي حجة على الخوارج الذين زعموا أن كل ذنب شرك وأن صاحبه خالد في النار ومن يشرك بالله فقد افترى إثما عظيما
ارتكب ما يستحقر دونه الآثام وهو إشارة إلى المعنى الفارق بينه وبين سائر الذنوب والافتراء كما يطلق على

إن الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم نارا كالبيان والتقرير لذلك كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها بأن
يعاد ذلك الجلد بعينه على صورة أخرى كقولك بدلت الخاتم قرطا أو بأن يزال عنه أثر الإحراق ليعود إحساسه للعذاب كما قال
ليذوقوا العذاب أي ليدوم لهم ذوقه وقيل يخلق مكانه جلد آخر والعذاب في الحقيقة للنفس العاصية المدركة
لا لآلة إدراكها فلا محذور إن الله كان عزيزا لا يمتنع عليه ما يريده حكيما يعاقب على وفق حكمته والذين آمنوا وعملوا
الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا قدم ذكر الكفار ووعيدهم على ذكر المؤمنين ووعدهم
لأن الكلام فيهم وذكر المؤمنين بالعرض لهم فيها أزواج مطهرة وندخلهم ظلا ظليلا فينانا لا جوب فيه ودائما لا تنسخه
الشمس وهو إشارة إلى النعمة التامة الدائمة والظليل صفة مشتقة من الظل لتأكيده كقولهم شمس شامس وليل أليل ويوم أيوم
إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها خطاب يعم المكلفين والأمانات وإن نزلت يوم الفتح في عثمان بن
طلحة بن عبد الدار لما أغلق باب الكعبة وأبى أن يدفع المفتاح ليدخل فيها وقال لو علمت أنه رسول الله لم أمنعه فلوى علي رضي الله
عنه يده وأخذه منه وفتح فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلى ركعتين فلما خرج سأله العباس رضي الله
عنه أن يعطيه المفتاح ويجمع له السقاية والسدانة فأمره صلى الله عليه وسلم أن يرده
عنه بأن يرده ويعتذر إليه وصار ذلك سببا لإسلامه ونزل الوحي بأن السدانة في أولاده أبدا وإذا حكمتم
بين الناس أن تحكموا بالعدل أي وأن تحكموا بالإنصاف والسوية إذا قضيتم بين من ينفذ عليه أمركم أو يرضى بحكمكم ولأن
الحكم وظيفة الولاة قيل الخطاب لهم إن الله نعما يعظكم به أي نعم شيئا يعظكم به أو نعم الشيء الذي يعظكم به فما منصوبة
موصوفة بيعظكم به أو مرفوعة موصولة به والمخصوص بالمدح محذوف وهو المأمور به من أداء الأمانات والعدل في الحكومات
إن الله كان سميعا بصيرا بأقوالكم وأحكامكم وما تفعلون في الأمانات يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي
الأمر منكم يريد بهم أمراء المسلمين في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وبعده ويندرج فيهم الخلفاء والقضاة وأمراء السرية
أمر الناس بطاعتهم بعدما أمرهم بالعدل تنبيها على أن وجوب طاعتهم ما داموا على الحق وقيل علماء الشرع لقوله
ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم فإن تنازعتم أنتم وأولو الأمر منكم في شيء من أمور الدين
وهو يؤيد الوجه الأول إذ ليس للمقلد أن ينازع المجتهد في حكمه بخلاف المرؤوس إلا أن يقال الخطاب لأولي الأمر على طريقة الالتفات
فردوه فراجعوا فيه إلى الله إلى كتابه والرسول بالسؤال عنه في زمانه والمراجعة إلى سنته بعده واستدل به منكرو
القياس وقالوا إنه تعالى أوجب رد المختلف إلى الكتاب والسنة دون القياس وأجيب بأن رد المختلف إلى المنصوص عليه
يكون بالتمثيل والبناء عليه وهو القياس ويؤيد ذلك الأمر به بعد الأمر بطاعة الله تعالى وطاعة الرسول صلى
فإنه يدل على أن الأحكام ثلاثة مثبت بالكتاب ومثبت بالسنة ومثبت بالرد إليهما على وجه القياس إن كنتم
تؤمنون بالله واليوم الآخر فإن الإيمان يوجب ذلك ذلك أي الرد خير لكم وأحسن تأويلا عاقبة
من تأويلكم بلا رد ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا
عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن منافقا خاصم يهوديا فدعاه اليهودي إلى النبي صلى الله عليه وسلم

قوله لا يؤمنون لانها تزاد ايضا في الاثبات كقوله تعالى لا اقسم بهذا البلد حتى يحكموك فيما شجر بينهم فيما اختلف
واختلط ومنه الشجر لتداخل اغصانه ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ضيقا مما حكمت به او من حكمك او شكا
من اجله فان الشاك في ضيق من امره ويسلموا تسليما وينقادوا لك انقيادا بظاهرهم وباطنهم ولو انا كتبنا عليهم ان
اقتلوا انفسكم تعرضوا بها للقتل بالجهاد او اقتلوها كما قتل بنو اسرائيل وان مصدرية او مفسرة لان كتبنا في
معنى امرنا او اخرجوا من دياركم خروجهم حين استتيبوا من عبادة العجل وقرأ ابو عمرو ويعقوب ان اقتلوا بكسر النون على
اصل التحريك او اخرجوا بضم الواو للاتباع والتشبيه بواو الجمع في نحو ولا تنسوا الفضل بينكم وقرأ عاصم وحمزة بكسرهما
على الاصل والباقون بضمهما اجراء لهما مجرى الهمزة المتصلة بالفعل ما فعلوه الا قليل منهم الا اناس قليل وهم المخلصون
لما بين ان ايمانهم لا يتم الا بان يسلموا حق التسليم نبه على قصور اكثرهم ووهن اسلامهم والضمير للمكتوب ودل عليه
كتبنا او لاحد مصدري الفعلين وقرأ ابن عامر بالنصب على الاستثناء او على الا فعلا قليلا ولو انهم فعلوا ما يوعظون به
من متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم ومطاوعته طوعا ورغبة لكان خيرا لهم في عاجلهم وآجلهم واشد تثبيتا في دينهم
لانه اشد لتحصيل العلم ونفي الشك او تثبيتا لثواب اعمالهم ونصبه على التمييز والآية ايضا مما نزلت
في شأن المنافق واليهودي وقيل انها والتي قبلها نزلتا في حاطب بن ابي بلتعة خاصم زبيرا في شراج من الحرة كانا
يسقيان بها النخل فقال اسق يا زبير ثم ارسل الماء الى جارك فقال حاطب لان كان ابن عمتك فقال عليه السلام
اسق يا زبير ثم احبس الماء الى الجدر واستوف حقك ثم ارسله الى جارك واذا لاتيناهم من لدنا اجرا عظيما جواب
لسؤال مقدر كانه قيل وما يكون لهم بعد التثبيت فقال واذا لو تثبتوا لاتيناهم لان اذا جواب وجزاء ولهديناهم
صراطا مستقيما يصلون بسلوكه جناب القدس ويفتح عليهم ابواب الغيب قال صلى الله عليه وسلم من عمل بما علم
ورثه الله علم ما لم يعلم ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم مزيد ترغيب في الطاعة بالوعد
عليها مرافقة اكرم الخلائق واعظمهم قدرا من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين بيان للذين او حال منه
او من ضميره قسمهم الله تعالى اربعة اقسام بحسب منازلهم في العلم والعمل وحث كافة الناس على ان لا يتأخروا عنهم
وهم الانبياء الفائزون بكمال العلم والعمل المتجاوزون حد الكمال الى درجة التكميل ثم الصديقون الذين صعدت
نفوسهم تارة بمراقي النظر في الحجج والآيات واخرى بمعارج التصفية والرياضات الى اوج العرفان حتى اطلعوا على الاشياء
واخبروا عنها على ما هي عليها ثم الشهداء الذين ادى بهم الحرص على الطاعة والجد في اظهار الحق حتى بذلوا مهجهم
في اعلاء كلمة الله تعالى ثم الصالحون الذين صرفوا اعمارهم في طاعته واموالهم في مرضاته ولك ان تقول المنعم عليهم
هم العارفون بالله تعالى وهؤلاء اما ان يكونوا بالغين درجة العيان او واقفين في مقام الاستدلال والبرهان
والاولون اما ان ينالوا مع العيان القرب بحيث يكونون كمن يرى الشيء قريبا وهم الانبياء او لا فيكونون كمن يرى الشيء
من بعيد وهم الصديقون والآخرون اما ان يكون عرفانهم بالبراهين القاطعة وهم العلماء الراسخون الذين هم
شهداء الله تعالى في ارضه واما ان يكون بامارات واقناعات تطمئن اليها نفوسهم وهم الصالحون وحسن اولئك رفيقا

١٩٠

الى القتال بل الى اعلاء الحق واعزاز الدين وما لكم مبتدأ وخبر لا تقاتلون في سبيل الله حال والعامل فيها ما في الظرف
من معنى الفعل والمستضعفين عطف على اسم الله اى وفي سبيل المستضعفين وهو تخليصهم عن الاسر وصونهم
عن العدو او على السبيل بحذف المضاف اى وفي خلاص المستضعفين ويجوز نصبه على الاختصاص فان سبيل الله
يعم ابواب الخير وتخليص ضعفة المسلمين من ايدى الكفار اعظمها واخصها من الرجال والنساء والولدان
بيان للمستضعفين وهم المسلمون الذين بقوا بمكة لصد المشركين او ضعفهم عن الهجرة مستذلين ممتحنين وانما ذكر
الولدان مبالغة في الحث وتنبيها على تناهي ظلم المشركين بحيث بلغ اذاهم الصبيان وان دعوتهم اجيبت بسبب مشاركتهم في الدعاء
حتى يشاركوا في استنزال الرحمة واستدفاع البلية وقيل المراد به العبيد والاماء وهو جمع وليد الذين يقولون ربنا اخرجنا
من هذه القرية الظالم اهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا فاستجاب الله تعالى دعاءهم
بان يسر لبعضهم الخروج الى المدينة وجعل لمن بقي منهم خير ولي وناصر ففتح مكة على نبيه صلى الله عليه وسلم فتولاهم
ونصرهم ثم استعمل عليهم عتاب بن اسيد فحماهم ونصرهم حتى صاروا اعز اهلها والقرية مكة والظالم صفتها
وتذكيره لتذكير ما اسند اليه فان اسم الفاعل او المفعول اذا جرى على غير من هو له كان كالفعل يذكر ويؤنث على حسب
ما عمل فيه الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله فيما يصلون به الى الله تعا والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت
فيما يبلغ بهم الى الشيطان فقاتلوا اولياء الشيطان لما ذكر مقصد الفريقين امر اولياءه ان يقاتلوا اولياء الشيطان
ثم شجعهم بقوله ان كيد الشيطان كان ضعيفا اى ان كيده للمؤمنين بالاضافة الى كيد الله تعا للكافرين ضعيف
لا يؤبه به فلا تخافوا اولياءه فان اعتمادهم على اضعف شيء واوهنه الم تر الى الذين قيل لهم كفوا ايديكم عن القتال
واقيموا الصلوة وآتوا الزكوة اى واشتغلوا بما امرتم به فلما كتب عليهم القتال اذا فريق منهم يخشون الناس
كخشية الله يخشون الكفار ان يقتلوهم كما يخشون الله تعا ان ينزل عليهم باسه واذا للمفاجاة جواب لما وفريق مبتدأ
منهم صفته يخشون خبره كخشية الله من اضافة المصدر الى المفعول وقع موقع المصدر او الحال من فاعل يخشون
على معنى يخشون الناس مثل اهل خشية الله تعا منه او اشد خشية عطف عليه ان جعلته حالا وان جعلته مصدرا فلا لان افعل
التفضيل اذا نصب ما بعده لم يكن من جنسه بل هو معطوف على اسم الله اى وكخشية الله او كخشية اشد خشية منه على الفرض اللهم
الا ان يجعل الخشية ذات خشية كقولهم جد جده على معنى يخشون الناس خشية مثل خشية الله تعا او خشية
اشد خشية من خشية الله تعا وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا اخرتنا الى اجل قريب استزادة في مدة الكف عن
القتال حذرا عن الموت ويحتمل انهم ما تفوهوا به ولكن قالوه في انفسهم فحكى الله تعا عنهم قل متاع الدنيا قليل سريع
التقضي والآخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون فتيلا اى ولا تنقصون ادنى شيء من ثوابكم فلا ترغبوا عنه او من آجالكم
المقدرة وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي ولا يظلمون لتقدم الغيبة اينما تكونوا يدرككم الموت وقرئ بالرفع على حذف
الفاء كما في قوله من يفعل الحسنات الله يشكرها او على انه كلام مبتدأ واينما متصل بلا تظلمون ولو كنتم في بروج
مشيدة في قصور او حصون مرتفعة والبروج في الاصل بيوت على اطراف القصر من تبرجت المرأة اذا ظهرت وقرئ

ما سبق من الاحكام ليس للتناقض في الحكم بل لاختلاف الاحوال في الحكم والمصالح وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ مما
يوجب الامن والخوف أَذَاعُوا۟ بِهِۦ افشوه كان يفعله قوم من ضعفة المسلمين اذا بلغهم خبر عن سرايا رسول الله صلى
الله عليه وسلم او اخبرهم الرسول صلى الله عليه وسلم بما اوحي اليه من وعد بالظفر او تخويف من الكفرة اذاعوا به لعدم حزمهم وكانت
اذاعتهم مفسدة والباء مزيدة او لتضمين الاذاعة معنى التحدث وَلَوْ رَدُّوهُ ولو ردوا ذلك الخبر إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ
مِنْهُمْ الى راي الرسول والى راي كبار الصحابة البصراء بالامور او الامراء لَعَلِمَهُ على اي وجه يذكره ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ يستخرجون تدبيره
بتجاربهم وانظارهم وقيل كانوا يسمعون اراجيف المنافقين فيذيعونها فتعود وبالا على المسلمين ولو ردوه
الى الرسول صلى الله عليه وسلم والى اولي الامر منهم حتى يسمعوه منهم وتعرفوا انه هل يذاع لعلم ذلك من هؤلاء الذين يستنبطونه من الرسول
صلى الله عليه وسلم واولي الامر اي يستخرجون علمه من جهتهم واصل الاستنباط اخراج النبط وهو الماء يخرج من البئر اول
ما يحفر وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ بارسال الرسول صلى الله عليه وسلم وانزال الكتاب لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَـٰنَ بالكفر والضلال
إِلَّا قَلِيلًا الا قليلا منكم تفضل الله تعالى عليه بعقل راجح اهتدى به الى الحق والصواب وعصمه عن متابعة الشيطان كزيد بن عمرو بن
نفيل وورقة بن نوفل او الا اتباعا قليلا على الندور فَقَـٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ان تثبطوا وتركوك وحدك لَا تُكَلَّفُ
إِلَّا نَفْسَكَ الا فعل نفسك لا يضرك مخالفتهم وتقاعدهم فتقدم الى الجهاد وان لم يساعدك احد فان الله ناصرك لا الجنود روي
انه صلى الله عليه وسلم دعا الناس في بدر الصغرى الى الخروج فكرهه بعضهم فنزلت فخرج وما معه الا سبعون لم يلو على
احد وقرئ لا تكلف بالجزم ولا نكلف بالنون على بناء الفاعل اي لا نكلفك الا فعل نفسك لا انا لا نكلف احدا الا
نفسه لقوله وَحَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ على القتال اذ ما عليك في شانهم الا التحريض عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يعني قريشا وقد فعل
بان القى في قلوبهم الرعب حتى رجعوا وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا من قريش وَأَشَدُّ تَنكِيلًا تعذيبا منهم وهو تقريع وتهديد لمن لم يتبعه
مَّن يَشْفَعْ شَفَـٰعَةً حَسَنَةً راعى بها حق مسلم ودفع بها عنه ضرا او جلب اليه نفعا ابتغاء لوجه الله تعالى ومنها الدعاء لمسلم قال صلى الله
عليه وسلم من دعا لاخيه المسلم بظهر الغيب استجيب له وقال له الملك ولك مثل ذلك يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا وهو ثواب الشفاعة و
التسبب الى الخير الواقع بها وَمَن يَشْفَعْ شَفَـٰعَةً سَيِّئَةً يريد بها محرما يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا نصيب من وزرها مساو لها في القدر
وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقِيتًا مقتدرا من اقات على الشيء اذا قدر قال ٭ وذي ضغن كففت الضغن عنه ٭ وكنت على
اسائته مقيتا ٭ او شهيدا حافظا واشتقاقه من القوت فانه يقوي البدن ويحفظه وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ
أَوْ رُدُّوهَآ الجمهور على انه في السلام ويدل على وجوب الجواب اما باحسن منه وهو ان يزيد عليه ورحمة الله فان قاله المسلم زاد وبركاته وهي النهاية
واما برد مثله لما روي ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم السلام عليك فقال وعليك السلام ورحمة الله وقال آخر
السلام عليك ورحمة الله فقال وعليك السلام ورحمة الله وبركاته وقال آخر السلام عليك ورحمة الله وبركاته
فقال وعليك فقال الرجل نقصتني فاين ما قال الله تعالى وتلا الآية فقال عليه الصلوة والسلام انك لم تترك لي
فضلا فرددت عليك مثله وذلك لاستجماعه اقسام المطالب السلامة عن المضار وحصول المنافع وثباتها ومنه قيل او للترديد بين ان
يحيي المسلم ببعض التحية وبين ان يحيي بتمامها وهذا الوجوب على الكفاية وحيث السلام مشروع فلا يرد في الخطبة وقراءة

أو عن أن يقاتلوكم أو يقاتلوا قومهم ولو شاء الله لسلطهم عليكم بأن قوى قلوبهم وبسط صدورهم وأزال الرعب عنهم فلقاتلوكم
ولم يكفوا عنكم فإن اعتزلوكم فلم يقاتلوكم وألقوا إليكم السلم الاستسلام والانقياد فما جعل
الله لكم عليهم سبيلا فما أذن لكم في أخذهم وقتلهم ستجدون آخرين يريدون أن يأمنوكم ويأمنوا قومهم هم أسد
وغطفان وقيل بنو عبد الدار أتوا المدينة وأظهروا الإسلام ليأمنوا المسلمين فلما رجعوا كفروا كلما ردوا إلى الفتنة
دعوا إلى الكفر وإلى قتال المسلمين أركسوا فيها عادوا إليها وقلبوا فيها أقبح قلب فإن لم يعتزلوكم ويلقوا إليكم السلم
ويكفوا أيديهم عن قتالكم فخذوهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم حيث تمكنتم منهم فإن مجرد
الكف لا يوجب نفي التعرض وأولئكم جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا حجة واضحة في التعرض لهم بالقتل والسبي لظهور عداوتهم
ووضوح كفرهم وغدرهم أو تسلطا ظاهرا حيث أذن لكم في قتلهم وما كان لمؤمن وما صح له وليس من شأنه أن يقتل
مؤمنا بغير حق إلا خطأ فإنه على عرضته ونصبه على الحال أو المفعول له أي لا يقتله في شيء من الأحوال إلا حال الخطأ أو
لا يقتله لعلة إلا للخطأ أو على أنه صفة مصدر محذوف أي إلا قتلا خطأ وقيل ما كان نفي في معنى النهي والاستثناء منقطع أي
لكن إن قتله خطأ فجزاؤه ما يذكر والخطأ ما لا يضامه القصد إلى الفعل أو الشخص أو لا يقصد به زهوق الروح غالبا أو لا يقصد به محظور
كرمي مسلم في صف الكفار مع الجهل بإسلامه أو يكون فعل غير المكلف وقرئ خطاء بالمد وخطا كعصا بتخفيف الهمزة والآية
نزلت في عياش بن أبي ربيعة أخي أبي جهل من الأم لقي حارث بن زيد في طريق وكان قد أسلم ولم يشعر به عياش فقتله ومن قتل
مؤمنا خطأ فتحرير رقبة أي فعليه أو فواجبه تحرير رقبة والتحرير الإعتاق والحر كالعتيق الكريم من الشيء ومنه
حر الوجه لأكرم موضع منه سمي به لأن الكرم في الأحرار واللؤم في العبيد والرقبة عبر بها عن النسمة كما عبر عنها بالرأس مؤمنة محكوم بإسلامها
وإن كانت صغيرة ودية مسلمة إلى أهله مؤداة إلى ورثته يقتسمونها كسائر المواريث لقول الضحاك بن سفيان الكلابي
كتب إلي رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرني أن أورث امرأة أشيم الضبابي من عقل زوجها وهي على العاقلة فإن لم تكن
فعلى بيت المال فإن لم تكن ففي ماله إلا أن يصدقوا إلا أن يتصدقوا عليه بالدية سمي العفو عنها صدقة حثا عليه وتنبيها على فضله وعن النبي
صلى الله عليه وسلم كل معروف صدقة وهو متعلق بعليه أو بمسلمة أي تجب الدية عليه أو تسليمها إلى أهله إلا حال تصدقهم عليه أو زمانه
فهو في محل النصب على الحال من القاتل أو الأهل أو على الظرف فإن كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة
أي إن كان المقتول مؤمنا من قوم كفار محاربين أو في تضاعيفهم ولم يعلم إيمانه فعلى قاتله الكفارة دون الدية لأهله إذ لا وراثة
بينه وبينهم لأنهم محاربون وإن كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة إلى أهله وتحرير رقبة مؤمنة
وإن كان من قوم كفرة معاهدين أو أهل الذمة فحكمه حكم المسلم في وجوب الكفارة والدية ولعله فيما إذا كان المقتول
معاهدا أو كان له وارث مسلم فمن لم يجد رقبة بأن لم يملكها ولا ما يتوصل به إليها فصيام شهرين متتابعين فعليه أو فالواجب
عليه صيام شهرين توبة نصب على المفعول له أي شرع ذلك توبة من تاب الله عليه إذا قبل توبته أو على المصدر أي وتاب عليكم
أو حال بحذف مضاف أي فعليه صيام شهرين ذا توبة من الله صفتها وكان الله عليما بحاله حكيما فيما أمر في شأنه
ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما لما فيه من

على المصدر لانه تضمن معنى التفضيل ووقع موقع المرة منه او الحال بمعنى ذوي درجة وكلا من القاعدين والمجاهدين
وعد الله الحسنى المثوبة الحسنى وهي الجنة لحسن عقيدتهم وخلوص نيتهم وانما التفاوت في زيادة العمل المقتضي
لمزيد الثواب وفضل الله المجاهدين على القاعدين اجرا عظيما نصب على المصدر لان فضل معنى اجر او المفعول
لانه تضمن معنى الاعطاء كانه قيل واعطاهم زيادة على القاعدين اجرا عظيما درجات منه ومغفرة ورحمة
كل واحدة منها بدل من اجرا ويجوز ان ينتصب درجات على المصدر كقولك ضربته اسواطا واجرا على الحال عنها
تقدمت عليها لانها نكرة ومغفرة ورحمة على المصدر باضمار فعلهما كرر تفضيل المجاهدين وبالغ فيه اجمالا وتفصيلا
تعظيما للجهاد وترغيبا فيه وقيل الاول ما خولهم في الدنيا من الغنيمة والظفر وجميل الذكر والثاني ما جعل لهم
في الآخرة وقيل المراد بالدرجة الاولى ارتفاع منزلتهم عند الله تعالى وبالدرجات منازلهم في الجنة وقيل
القاعدون الاول هم الاضراء والقاعدون الثاني هم الذين اذن لهم في التخلف اكتفاء بغيرهم وقيل
المجاهدون الاولون من جاهد الكفار والآخرون من جاهد نفسه وعليه قوله صلى الله عليه وسلم رجعنا من الجهاد الاصغر
الى الجهاد الاكبر وكان الله غفورا لما عسى ان يفرط منهم رحيما بما وعد لهم ان الذين توفاهم الملائكة يحتمل الماضي والمضارع
وقرئ توفتهم وتوفاهم على مضارع وفيت بمعنى ان الله تعالى يوفي الملائكة انفسهم فيتوفونها اي يمكنهم من
استيفائها فيستوفونها ظالمي انفسهم في حال ظلمهم انفسهم بترك الهجرة وموافقة الكفرة فانها نزلت في ناس من مكة
اسلموا ولم يهاجروا حين كانت الهجرة واجبة قالوا اي الملائكة توبيخا لهم فيم كنتم في اي شيء كنتم من امر دينكم قالوا كنا مستضعفين
في الارض اعتذروا مما وبخوا به بضعفهم وعجزهم عن الهجرة او عن اظهار الدين واعلاء كلمته قالوا اي الملائكة تكذيبا لهم او تبكيتا
الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها الى قطر آخر كما فعل المهاجرون الى المدينة والحبشة فاولئك مأواهم جهنم لتركهم
الواجب ومساعدتهم الكفار وهو خبر ان والفاء فيه لتضمن الاسم معنى الشرط وقالوا فيم كنتم حال من الملائكة باضمار قد او الخبر
والعائد محذوف اي قالوا لهم وهو جملة معطوفة على الجملة قبلها مستنتجة منه وساءت مصيرا مصيرهم او جهنم
وفي الآية دليل على وجوب الهجرة من موضع لا يتمكن الرجل فيه من اقامة دينه وعن النبي صلى الله عليه وسلم من فر بدينه من
ارض الى ارض وان كان شبرا من الارض استوجبت له الجنة وكان رفيق ابيه ابراهيم ونبيه محمد عليهما السلام الا المستضعفين
من الرجال والنساء والولدان استثناء منقطع لعدم دخولهم في الموصول وضميره والاشارة اليه وذكر الولدان
ان اريد به المماليك فظاهر وان اريد به الصبيان فللمبالغة في الامر والاشعار بانهم على صدد وجوب
الهجرة فانهم اذا بلغوا وقدروا على الهجرة فلا محيص لهم عنها وان قوامهم يجب عليهم ان يهاجروا بهم متى امكنت لا يستطيعون
حيلة ولا يهتدون سبيلا صفة للمستضعفين اذ لا توقيت فيه او حال منه او من المستكن فيه واستطاعة الحيلة وجدان
اسباب الهجرة وما تتوقف عليه واهتداء السبيل معرفة الطريق بنفسه او بدليل فاولئك عسى الله ان يعفو عنهم ذكر بكلمة الاطماع ولفظ العفو
ايذانا بان ترك الهجرة امر خطير حتى ان المضطر من حقه ان لا يأمن ويترصد الفرصة ويعلق بها قلبه وكان الله عفوا غفورا ومن
يهاجر في سبيل الله يجد في الارض مراغما كثيرا متحولا من الرغام وهو التراب وقيل طريقا يراغم قومه بسلوكه اي يفارقهم على رغم انوفهم

بحوا المدار والايمان وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً
تمنوا ان ينالوا منكم غرة في صلاتكم فيشدون عليكم شدة واحدة وهو بيان ما لاجله امروا باخذ السلاح وَلَا جُنَاحَ
عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰ أَن تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ رخصة لهم في وضعها اذا ثقل عليهم اخذها بسبب مطر او مرض
وهذا مما يدل ان الامر بالاخذ للوجوب دون الاستحباب وَخُذُوا حِذْرَكُمْ امرهم مع ذلك بأخذ الحذر كيلا يهجم عليهم العدو
إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا وعد المؤمنين بالنصر على الكفار بعد الامر بالحزم لتقوى قلوبهم وليعلموا ان الامر
بالحزم ليس لضعفهم وغلبة عدوهم بل لان الواجب ان يحافظوا في الامور على مراسم التيقظ والتدبر فيتوكلوا على الله تعالى
فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ اديتم وفرغتم منها فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ فداوموا على الذكر في جميع الاحوال او
اذا اردتم اداء الصلوة واشتد الخوف فصلوها كيف ما امكن قياما مسايفين ومقارعين وقعودا مرامين وعلى جنوبكم
مثخنين فَإِذَا اطْمَأْنَنتُمْ سكنت قلوبكم من الخوف فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ فعدلوا واحفظوا اركانها وشرائطها واتوا بها تامة
إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا فرضا محدود الاوقات لا يجوز اخراجها عن اوقاتها في شيء من الاحوال وهذا دليل على
ان المراد بالذكر الصلوة وانها واجبة الاداء حال المسايفة والاضطراب في المعركة وتعليل للامر بالاتيان بها كيف ما امكن
وقال ابو حنيفة رحمه الله تعالى لا يصلي المحارب حتى يطمئن وَلَا تَهِنُوا ولا تضعفوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ في طلب الكفار بالقتال
إِن تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ الزام لهم وتقريع على التواني فيه بان
ضرر القتال دائر بين الفريقين غير مختص بهم وهم يرجون من الله تعالى بسببه من اظهار الدين واستحقاق الثواب ما لا
يرجو عدوهم فينبغي ان يكونوا ارغب منهم في الحرب واصبر عليها وقرئ ان تكونوا بالفتح بمعنى ولا تهنوا لان تكونوا
ويكون قوله فانهم يألمون علة النهي عن الوهن لاجله والآية نزلت في بدر الصغرى وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا بأعمالكم و
ضمائركم حَكِيمًا فيما يأمر وينهى إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ نزلت في طعمة بن ابيرق من بني ظفر سرق درعا
من جار له قتادة بن النعمان في جراب دقيق فجعل الدقيق ينتثر من خرق فيه وخبأها عند زيد بن السمين اليهودي فالتمست الدرع
عند طعمة فلم توجد وحلف ما اخذها وما له بها علم فتركوه واتبعوا اثر الدقيق حتى انتهى الى منزل اليهودي فاخذوها
فقال دفعها الي طعمة وشهد له ناس من اليهود فقالت بنو ظفر انطلقوا بنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألوه
ان يجادل عن صاحبهم وقالوا ان لم تفعل هلك وافتضح وبرئ اليهودي فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يفعل
بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ بما عرفك واوحى به اليك وليس من الرؤية بمعنى العلم والا لاستدعى ثلاثة مفاعيل وَلَا تَكُن لِّلْخَائِنِينَ
اي لاجلهم والذب عنهم خَصِيمًا للبراء وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ مما هممت به من عقاب اليهودي إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا
لمن يستغفره وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ يخونونها فان وبال خيانتهم يعود عليها او جعلت المعصية
خيانة لها كما جعلت ظلما والضمير لطعمة وامثاله او له ولقومه فانهم شاركوه في الاثم حيث شهدوا على براءته
وخاصموا عنه إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا مبالغا في الخيانة مصرا عليها أَثِيمًا منهمكا فيه روي ان طعمة هرب الى
مكة وارتد ونقب حائطا بها ليسرق اهله فسقط الحائط عليه فقتله يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ يستترون منهم حياء وخوفا وَلَا يَسْتَخْفُونَ

عن سبيلهم اتباع غير سبيلهم وقد استقصيت الكلام فيه في مرصاد الافهام الى مبادي الاحكام ان الله لا يغفر
ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء كرره للتاكيد او لقصة طعمة وقيل جاء شيخ الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اني شيخ
منهمك في الذنوب الا اني لم اشرك بالله تعالى شيئا منذ عرفته وآمنت به ولم اتخذ من دونه وليا ولم اوقع المعاصي جرأة وما توهمت
طرفة عين اني اعجز الله هربا واني لنادم تائب فما ترى حالي عند الله تعالى فنزلت ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا
عن الحق فان الشرك اعظم انواع الضلالة وابعدها عن الصواب والاستقامة وانما ذكر في الآية الاولى فقد افترى
لانها متصلة بقصة اهل الكتاب ومنشأ شركهم نوع افتراء وهو دعوى التبني على الله تعالى ان يدعون من دونه
الا اناثا يعني اللات والعزى ومناة ونحوها كان لكل حي صنم يعبدونه ويسمونه انثى بني فلان وذلك اما لتأنيث اسمائها
كما قال وما ذكر فان يسمن فانثى * شديد الازم ليس له ضروس فانه عنى القراد وهو ما كان صغيرا سمي قرادا فاذا كبر سمي
حلمة او لانها كانت جمادات والجمادات تؤنث من حيث انها ضاهت الاناث لانفعالها ولعله تعالى ذكرها بهذا الاسم تنبيها
على انهم يعبدون ما يسمونه اناثا لانه ينفعل ولا يفعل ومن حق المعبود ان يكون فاعلا غير منفعل ليكون دليلا على تناهي
جهلهم وفرط حماقتهم وقيل المراد الملائكة لقولهم الملائكة بنات الله وهو جمع انثى كرباب وربى وقرئ انثى على التوحيد
وانثا على انه جمع انيث كخبث وخبيث ووثنا بالتخفيف والتثقيل وهو جمع وثن كاسد واسد واثنا بهما على قلب الواو
همزة وان يدعون وان يعبدون بعبادتها الا شيطانا مريدا لانه الذي امرهم بعبادتها واغراهم عليها فكان طاعته
في ذلك عبادة له والمارد والمريد الذي لا يعلق بخير واصل التركيب للملاسة ومنه صرح ممرد وغلام امرد وشجرة
مرداء للتي تناثر ورقها لعنه الله صفة ثانية للشيطان وقال لاتخذن من عبادك نصيبا مفروضا عطف عليه اي
شيطانا مريدا جامعا بين لعنة الله تعالى وهذا القول الدال على فرط عداوته للناس وقد برهن سبحانه اولا على ان الشرك
ضلال في الغاية على سبيل التعليل بان ما يشركون به ينفعل ولا يفعل فعلا اختياريا وذلك ينافي الالوهية غاية المنافاة فان
الاله ينبغي ان يكون فاعلا غير منفعل ثم استدل عليه بانه عبادة الشيطان وهي افظع الضلال لثلاثة اوجه
الاول انه مريد منهمك في الضلال لا يعلق بشيء من الخير والهدى فيكون طاعته ضلالا بعيدا عن الهدى والثاني
انه ملعون لضلاله فلا يستجلب مطاوعته سوى الضلال واللعن والثالث انه في غاية العداوة والسعي في اهلاكهم
وموالاة من هذا شأنه غاية الضلال فضلا عن عبادته والمفروض المقطوع اي نصيبا قدر لي وفرض من قولهم فرض له
في العطاء ولاضلنهم عن الحق ولامنينهم الاماني الباطلة كطول الحيوة وان لا بعث ولا عقاب ولآمرنهم فليبتكن
آذان الانعام يشقونها لتحريم ما احل الله تعالى وهي عبارة عما كانت العرب تفعل بالبحائر والسوائب واشارة الى تحريم كل ما احل
ونقص كل ما خلق كاملا بالفعل او القوة ولآمرنهم فليغيرن خلق الله عن وجهه صورة او صفة ويندرج فيه ما قيل من فقء
عين الحامي وخصاء العبيد والوشم والوشر واللواط والسحق ونحو ذلك وعبادة الشمس والقمر وتغيير فطرة الله التي هي الاسلام
واستعمال الجوارح والقوى فيما لا يعود على النفس كمالا ولا يوجب لها من الله تعالى زلفى وعموم اللفظ يمنع الخصاء مطلقا لكن الفقهاء
رخصوا في خصاء البهائم للحاجة والجمل الاربع حكاية عما ذكره الشيطان نطقا او اتاه فعلا ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله

كرامة الخليل عند خليله وانما اعاد ذكره ولم يضمر تفخيما له وتنصيصا على انه الممدوح والخلة من الخلال فانه ود تخلل
النفس وخالطها وقيل من الخلل فان كل واحد من الخليلين يسد خلل الآخر او من الخل وهو الطريق في الرمل فانهما
يترافقان في الطريق او من الخلة بمعنى الخصلة فانهما يتوافقان في الخصال والجملة استيناف جيء بها للترغيب في اتباع
ملته عليه السلام والايذان بانه نهاية في الحسن وغاية في كمال البشرية روي ان ابراهيم عليه السلام بعث الى خليل له بمصر في
ازمة اصابت الناس يمتار منه فقال خليله لو كان ابراهيم يريد لنفسه لفعلت ولكن يريده للاضياف
وقد اصابنا ما اصاب الناس فاجتاز غلمانه ببطحاء لينة فملؤوا منها الغرائر حياء من الناس فلما اخبروا ابراهيم
الخبر ساءه فغلبته عيناه فنام وقامت سارة الى غرارة منها فاخرجت حوارى واختبزت به فاستيقظ ابراهيم على نبينا و
عليه الصلوة والسلام فاشتم رائحة الخبز فقال من اين هذا لكم فقالت من خليلك المصري فقال بل من عند خليلي
الله عز وجل فسماه الله تعالى خليلا ولله ما في السموات وما في الارض خلقا وملكا يختار منها ما يشاء ومن يشاء
وقيل هو متصل بذكر العمال مقرر لوجوب طاعته على اهل السموات والارض وكمال قدرته على مجازاتهم على الاعمال وكان
الله بكل شيء محيطا احاطة علم وقدرة فكان عالما باعمالهم فيجازيهم على خيرها وشرها ويستفتونك في النساء في
ميراثهن اذ سبب نزوله ان عيينة بن حصين اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اخبرنا انك تعطي الابنة النصف والاخت النصف
وانما كنا نورث من يشهد القتال ويحوز الغنيمة فقال صلى الله عليه وسلم كذلك امرت قل الله يفتيكم فيهن يبين لكم حكمه
فيهن والافتاء تبيين المبهم وما يتلى عليكم في الكتاب عطف على اسم الله تعالى او ضميره المستكن في يفتيكم وساغ للفصل فيكون
الافتاء مسندا الى الله والى ما في القرآن من قوله يوصيكم الله ونحوه والفعل الواحد ينسب الى فاعلين باعتبارين مختلفين
ونظيره اغناني زيد وعطاؤه او استيناف معترض لتعظيم المتلو عليهم على ان ما يتلى عليكم مبتدأ وفي الكتاب خبره والمراد به
اللوح المحفوظ ويجوز ان ينصب على معنى ويبين لكم ما يتلى عليكم في الكتاب او يخفض على القسم كانه قيل واقسم بما يتلى عليكم
ولا يجوز عطفه على المجرور في فيهن لاختلاله لفظا ومعنى في يتامى النساء صلة يتلى ان عطف الموصول على ما قبله اي يتلى عليكم
في شانهن والا فبدل من فيهن او صلة اخرى ليفتيكم على معنى الله يفتيكم فيهن بسبب يتامى النساء كما تقول كلمتك
اليوم في زيد وهذه الاضافة بمعنى من لانها اضافة الشيء الى جنسه وقرئ ييامى على انه ايامى فقلبت همزته ياء اللاتي
لا تؤتونهن ما كتب لهن اي فرض لهن من الميراث وترغبون ان تنكحوهن في ان تنكحوهن او عن ان تنكحوهن فان اولياء
اليتامى كانوا يرغبون فيهن ان كن جميلة ويأكلون مالهن والا كانوا يعضلونهن طمعا في ميراثهن والواو يحتمل الحال
والعطف وليس فيه دليل على جواز تزويج اليتيمة اذ لا يلزم من الرغبة في نكاحها جريان العقد في صغرها والمستضعفين
من الولدان عطف على يتامى النساء والعرب ما كانوا يورثونهم كما لا يورثون النساء وان تقوموا لليتامى بالقسط ايضا
عطف عليه اي يفتيكم او ما يتلى عليكم في ان تقوموا هذا اذا جعلت في يتامى صلة لاحدهما فان جعلته
بدلا فالوجه نصبهما عطفا على موضع فيهن ويجوز ان ينصب وان تقوموا باضمار فعل اي ويامركم ان تقوموا
وهو خطاب للائمة في ان ينظروا لهم ويستوفوا لهم حقوقهم او للقوام بالنصفة في شانهم وما تفعلوا من خير فان

[illegible] ويأت بآخرين ويوجد قوما آخرين مكانكم او خلقا آخر مكان الانس وكان الله على ذلك قديرا بليغ
القدرة لا يعجزه مراد وهذا ايضا تقرير لغناه وقدرته وتهديد لمن كفره وخالف امره وقيل هو خطاب لمن عادى رسول الله صلى الله عليه وسلم
من العرب ومعناه معنى قوله وان تتولوا يستبدل قوما غيركم لما روي انه لما نزلت ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم يده على ظهر سلمان رضي الله عنه
وقال انهم قوم هذا من كان يريد ثواب الدنيا كالمجاهد يجاهد للغنيمة فعند الله ثواب الدنيا والآخرة فما له يطلب اخسهما فليطلبهما
كمن يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة او ليطلب الاشرف منهما فان من جاهد خالصا لله تعالى لم تخطئه الغنيمة وله في
الآخرة ما هي في جنبه كلا شيء او فعند الله تعالى ثواب الدارين فيعطي كلا ما يريده كقوله من كان يريد حرث الآخرة
وكان الله سميعا بصيرا عارفا بالاغراض فيجازي كلا بحسب قصده يا ايها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط مواظبين
على العدل مجتهدين في اقامته شهداء لله بالحق تقيمون شهاداتكم لوجه الله تعالى وهو خبر ثان او حال ولو على انفسكم
ولو كانت الشهادة على انفسكم بان تقروا عليها لان الشهادة بيان الحق سواء كان عليه او على غيره او الوالدين والاقربين
ولو على والديكم واقاربكم ان يكن اي المشهود عليه او كل واحد منه ومن المشهود له غنيا او فقيرا فلا تمتنعوا عن اقامة
الشهادة او لا تجوروا فيها ميلا او ترحما فالله اولى بهما بالغني والفقير وبالنظر لهما فلو لم تكن الشهادة عليهما
او لهما صلاحا لما شرعها وهو علة الجواب اقيمت مقامه والضمير في بهما راجع الى ما دل عليه المذكور وهو جنسا الغني والفقير
لا اليه والا لوحد ويشهد عليه انه قرئ فالله اولى بهم فلا تتبعوا الهوى ان تعدلوا لان تعدلوا عن الحق او كراهة ان تعدلوا من
العدل وان تلووا السنتكم عن شهادة الحق او حكومة العدل وقرأ حمزة وابن عامر وان تلوا بمعنى وان وليتم اقامة
الشهادة وقرأ نافع وابن كثير وابو عمرو وعاصم والكسائي باسكان اللام بعدها واوان الاولى مضمومة والثانية
او تعرضوا عن ادائها فان الله كان بما تعملون خبيرا فيجازيكم عليه يا ايها الذين آمنوا خطاب للمسلمين او المنافقين
او لمؤمني اهل الكتاب اذ روي ان ابن سلام واصحابه رضي الله عنهم قالوا يا رسول الله انا نؤمن بك وبكتابك وبموسى
والتوراة وعزير ونكفر بما سواه فنزلت آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله والكتاب الذي انزل من قبل
اثبتوا على الايمان بذلك وداوموا عليه او آمنوا به بقلوبكم كما آمنتم بالسنتكم او آمنوا ايمانا عاما يعم الكتب والرسل
فان الايمان بالبعض كلا ايمان والكتاب الاول القرآن والثاني الجنس وقرأ نافع والكوفيون الذي نزل والذي
انزل بفتح النون والهمزة والزاي والباقون بضم النون والهمزة وكسر الزاي ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر
اي ومن يكفر بشيء من ذلك فقد ضل ضلالا بعيدا عن المقصد بحيث لا يكاد يعود الى طريقه ان الذين آمنوا يعني اليهود
آمنوا بموسى عليه الصلاة والسلام ثم كفروا حين عبدوا العجل ثم آمنوا بعد عوده اليهم ثم كفروا بعيسى
عليه السلام ثم ازدادوا كفرا بمحمد صلوات الله عليهم او قوما تكرر منهم الارتداد ثم اصروا على الكفر وازدادوا تماديا
في الغي لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا اذ يستبعد منهم ان يتوبوا عن الكفر ويثبتوا على الايمان فان
قلوبهم ضربت بالكفر وبصائرهم عميت عن الحق لا انهم لو اخلصوا الايمان لم يقبل منهم ولم يغفر لهم وخبر كان في امثال
ذلك محذوف تعلق به اللام مثل لم يكن الله مريدا ليغفر لهم بشر المنافقين بان لهم عذابا اليما يدل على ان الآية

بمعنى يذبذبون قلوبهم او دينهم او يتذبذبون كقولهم صلصل بمعنى تصلصل وقرئ بالدال الغير المعجمة بمعنى اخذوا
تارة في دبة وتارة في دبة وهي الطريقة **لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء** لا منسوبين الى المؤمنين ولا الى الكفرين او لا صائرين
الى احد الفريقين بالكلية **ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا** الى الحق والصواب ونظيره قوله تعالى ومن لم يجعل الله له
نورا فما له من نور **يايها الذين امنوا لا تتخذوا الكفرين اولياء من دون المؤمنين** فانه صنيع المنافقين وديدنهم
فلا تتشبهوا بهم **اتريدون ان تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا** حجة بينة فان موالاتهم دليل على النفاق او سلطانا
يسلط عليكم عقابه **ان المنفقين في الدرك الاسفل من النار** وهو الطبقة التي في قعر جهنم وانما كان كذلك لانهم
اخبث الكفرة اذ ضموا الى الكفر استهزاء بالاسلام وخداعا للمسلمين واما قوله صلى الله عليه وسلم ثلث من كن فيه
فهو منافق وان صام وصلى وزعم انه مسلم من اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا اؤتمن خان ونحوه فمن باب
التشبيه والتغليظ وانما سميت طبقاتها السبع دركات لانها متداركة متتابعة بعضها فوق بعض وقرأ الكوفيون
بسكون الراء وهو لغة كالسطر والسطر والتحريك اوجه لانه يجمع على ادراك **ولن تجد لهم نصيرا** يخرجهم منه **الا الذين**
تابوا عن النفاق **واصلحوا** ما افسدوا من اسرارهم واحوالهم حال النفاق **واعتصموا بالله** وثقوا به وتمسكوا بدينه **و**
اخلصوا دينهم لله لا يريدون بطاعتهم الا وجهه **فاولئك مع المؤمنين** ومن عدادهم في الدارين **وسوف يؤت الله**
المؤمنين اجرا عظيما فيساهمونهم فيه **ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وامنتم** أيتشفى به غيظا او يدفع به ضررا او يستجلب به
نفعا وهو الغني المتعالي عن النفع والضر وانما يعاقب المصر بكفره لان اصراره عليه كسوء مزاج يؤدي الى مرض فاذا زال
بالايمان والشكر ونقى نفسه عنه تخلص من تبعته وانما قدم الشكر لان الناظر يدرك النعمة اولا فيشكر شكرا مبهما ثم يمعن النظر حتى يعرف
المنعم فيؤمن به **وكان الله شاكرا** مثيبا يقبل القليل ويعطي الجزيل **عليما** بحق شكركم وايمانكم **لا يحب الله الجهر**
بالسوء من القول الا من ظلم الا جهر من ظلم بالدعاء على الظالم والتظلم منه روي ان رجلا ضاف قوما فلم يطعموه فاشتكى
فعوتب عليه فنزلت وقرئ من ظلم على البناء للفاعل فيكون الاستثناء منقطعا اي ولكن الظالم يفعل ما لا يحبه الله
وكان الله سميعا لكلام المظلوم **عليما** بالظالم **ان تبدوا خيرا** طاعة وبرا **او تخفوه** او تفعلوه سرا **او تعفوا**
عن سوء لكم المؤاخذة عليه هو المقصود وذكر ابداء الخير واخفائه تسبيب له ولذلك رتب عليه قوله
فان الله كان عفوا قديرا اي يكثر العفو عن العصاة مع كمال قدرته على الانتقام فانتم اولى بذلك وهو حث
المظلوم على العفو بعد ما رخص له في الانتصار حملا على مكارم الاخلاق **ان الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون ان يفرقوا**
بين الله ورسله بان يؤمنوا بالله تعالى ويكفروا برسله **ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض** نؤمن ببعض الانبياء ونكفر
ببعضهم **ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا** طريقا وسطا بين الايمان والكفر ولا واسطة اذ الحق لا يختلف
فان الايمان بالله تعالى انما يتم بالايمان برسله وتصديقهم فيما بلغوا عنه تفصيلا او اجمالا والكافر ببعض ذلك كالكافر
بالكل في الضلال كما قال تعالى فماذا بعد الحق الا الضلال **اولئك هم الكفرون** هم الكاملون في الكفر لا عبرة بايمانهم
هذا **حقا** مصدر مؤكد لغيره او صفة لمصدر الكافرين بمعنى هم الذين كفروا كفرا حقا اي يقينا محققا **واعتدنا**

انا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله اي بزعمه ويحتمل انهم قالوه استهزاء ونظيره ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون وان يكون
استئنافا منه تعالى بمدحه او وضعا للذكر الحسن مكان ذكرهم القبيح وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم روي
ان رهطا من اليهود سبوه وامه فدعا عليهم فمسخهم الله تعالى قردة وخنازير فاجتمعت اليهود على قتله فاخبره الله
تعالى بانه يرفعه الى السماء فقال لاصحابه ايكم يرضى ان يلقى عليه شبهي فيقتل ويصلب ويدخل الجنة فقام رجل منهم فالقى
الله تعالى عليه شبهه فقتل وصلب وقيل كان رجلا ينافقه فخرج ليدل عليه فالقى الله تعالى عليه شبهه فاخذ
وصلب وقتل وقيل دخل طيطانوس اليهودي بيتا كان هو فيه فلم يجده والقى الله تعالى عليه شبهه فلما خرج ظن انه عيسى عليه السلام
فاخذ وصلب وامثال ذلك من الخوارق التي لا تستبعد في زمان النبوة وانما ذمهم الله تعالى بما دل عليه الكلام
من جرأتهم على الله تعالى وقصدهم قتل نبيه المؤيد بالمعجزات القاهرة وتبجحهم به لا لقولهم هذا على حسب
حسبانهم وشبه مسند الى الجار والمجرور كانه قيل ولكن وقع لهم التشبيه بين عيسى عليه السلام والمقتول
او في الامر على قول من قال لم يقتل احد ولكن ارجف بقتله فشاع بين الناس او الى ضمير المقتول لدلالة انا قتلنا
على ان ثمة مقتولا وان الذين اختلفوا فيه في شان عيسى عليه السلام فانه لما وقعت تلك الواقعة اختلف
الناس فقال بعض اليهود انه كان كاذبا فقتلناه حقا وتردد آخرون فقال بعضهم ان كان هذا عيسى فاين صاحبنا
وقال بعضهم الوجه وجه عيسى والبدن بدن صاحبنا وقال من سمع منه ان الله تعالى يرفعني الى السماء انه رفع
الى السماء وقال قوم صلب الناسوت وصعد اللاهوت لفي شك منه لفي تردد والشك كما يطلق على ما لا
يترجح احد طرفيه يطلق على مطلق التردد وعلى ما يقابل العلم ولذلك اكده بقوله ما لهم به من علم الا اتباع الظن
استثناء منقطع اي لكنهم يتبعون الظن ويجوز ان يفسر الشك بالجهل والعلم بالاعتقاد الذي تسكن اليه النفس جزما
كان او غيره فيتصل الاستثناء وما قتلوه يقينا قتلا يقينا كما زعموه بقولهم انا قتلنا المسيح او متيقنين وقيل معناه ما علموه
يقينا كقوله كذاك تخبر عنها العالمات بها وقد قتلت بعلمي ذلكم يقينا من قولهم قتلت الشيء علما ونحرته علما اذا
تبالغ علمك فيه بل رفعه الله اليه رد وانكار لقتله واثبات لرفعه وكان الله عزيزا لا يغلب على ما يريده حكيما فيما دبر
لعيسى عليه السلام وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته اي وما من اهل الكتاب احد الا ليؤمنن به فقوله ليؤمنن
به جملة قسمية وقعت صفة لاحد ويعود اليه الضمير الثاني والاول لعيسى عليه السلام والمعنى ما من اليهود والنصارى
احد الا ليؤمنن بان عيسى عليه السلام عبد الله ورسوله قبل ان يموت ولو حين ان تزهق روحه ولا ينفعه ايمانه ويؤيد
ذلك انه قرئ الا ليؤمنن به قبل موتهم بضم النون لان احدا في معنى الجمع وهذا كالوعيد لهم والتحريض على معاجلة
الايمان به قبل ان يضطروا اليه ولم ينفعهم ايمانهم وقيل الضميران لعيسى عليه السلام والمعنى انه اذا نزل من السماء
آمن به اهل الملل جميعا روي انه ينزل من السماء حين يخرج الدجال فيهلكه ولا يبقى احد من اهل الكتاب
الا يؤمن به حتى تكون الملة واحدة وهي ملة الاسلام وتقع الامنة حتى ترتع الاسود مع الابل والنمور مع البقر
والذئاب مع الغنم ويلعب الصبيان بالحيات ويلبث في الارض اربعين سنة ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون ويدفنونه

والملائكة يشهدون بنبوتك وفيه تسلية على انهم يودون ان يعلموا صحة دعوة النبوة على وجه يغني
عن التأمل والنظر وهذا النوع من خواص الملك ولا سبيل للانسان الى العلم بامثال ذلك سوى الفكر والنظر فلو اتى هؤلاء بالنظر
الصحيح لعرفوا نبوتك وشهدوا بها كما عرفت الملائكة وشهدوا عليها وكفى بالله شهيدا اى كفى بما اقام من الحجج على صحة نبوتك
عن الاستشهاد بغيره ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله قد ضلوا ضلالا بعيدا لانهم جمعوا بين الضلال
والاضلال ولان المضل يكون اعرق في الضلال وابعد من الانقلاع عنه ان الذين كفروا وظلموا محمدا صلى الله عليه وسلم
بانكار نبوته او الناس بصدهم عما فيه صلاحهم وخلاصهم او اعم من ذلك وعليه تدل الآية على ان الكفار مخاطبون بالفروع اذ المراد
بهم الجامعون بين الكفر والظلم لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقا الا طريق جهنم خالدين فيها ابدا
لجري حكمه السابق ووعده المحتوم على ان من مات على كفره فهو خالد في النار وخالدين حال مقدرة وكان ذلك على الله
يسيرا لا يصعب عليه ولا يستعظمه يا ايها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم لما قرر امر النبوة وبين الطريق الموصل الى العلم
بها ووعيد من انكرها خاطب الناس عامة بالدعوة والزام الحجة والوعد بالاجابة والوعيد على الرد فآمنوا خيرا لكم
اى ايمانا خيرا لكم او فآتوا امرا خيرا لكم مما انتم عليه وقيل تقديره يكن الايمان خيرا لكم ومنعه البصريون لان كان لا يحذف
مع اسمه الا فيما لابد منه ولانه يؤدي الى حذف الشرط وجوابه وان تكفروا فان لله ما في السموات والارض يعني وان تكفروا
فهو غني عنكم لا يتضرر بكفركم كما لا ينتفع بايمانكم ونبه على غناه بقوله لله ما في السموات والارض وهو يعم ما اشتملتا عليه وما تركبتا منه
وكان الله عليما باحوالهم حكيما فيما دبر لهم يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم الخطاب للفريقين غلت اليهود في حط عيسى عليه
السلام حتى رموه بانه ولد لغير رشدة والنصارى في رفعه حتى اتخذوه الها وقيل للنصارى خاصة فانه اوفق لقوله ولا تقولوا
على الله الا الحق يعني تنزيهه عن الصاحبة والولد انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته القاها الى مريم
اوصلها اليها وحصلها فيها وروح منه وذو روح صدر منه لا بتوسط ما يجري مجرى الاصل والمادة له وقيل سمي روحا
لانه كان يحيي الاموات او القلوب فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة اى الآلهة ثلاثة الله والمسيح ومريم ويشهد عليه
قوله تعالى أانت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله او الله ثلاثة ان صح انهم يقولون الله ثلاثة اقانيم الاب والابن
وروح القدس ويريدون بالاب الذات وبالابن العلم وبروح القدس الحياة انتهوا عن التثليث خيرا لكم نصبه كما سبق انما الله
اله واحد اى واحد بالذات لا تعدد فيه بوجه ما سبحانه ان يكون له ولد اى اسبحه تسبيحا من ان يكون له ولد فانه
يكون لمن يتصور له مثل ويتطرق اليه فناء له ما في السموات وما في الارض ملكا وخلقا لا يماثله شيء من ذلك فيتخذه
ولدا وكفى بالله وكيلا تنبيه على غناه عن الولد فان الحاجة اليه ليكون وكيلا لابيه والله سبحانه قائم بحفظ الاشياء
كاف في ذلك مستغن عمن يخلفه او يعينه لن يستنكف المسيح لن يأنف من نستنكف الدمع اذا نحيته باصبعك كيلا يرى اثره
عليك ان يكون عبدا لله من ان يكون عبدا لله فان عبوديته شرف يتباهى به وانما المذلة والاستنكاف في عبودية
غيره روي ان وفد نجران قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم لم تعيب صاحبنا قال ومن صاحبكم قالوا عيسى قال اى
شيء اقول قالوا تقول انه عبد الله قال انه ليس بعار ان يكون عبدا لله قالوا بلى فنزلت ولا الملائكة المقربون عطف على المسيح

من قرأ سورة النساء فكأنما تصدق على كل مؤمن ومؤمنة ورث ميراثا وأعطي من الأجر كمن اشترى محررا وبرئ من الشرك وكان في مشيئة الله من الذين يتجاوز عنهم

سورة المائدة مدنية وهي مائة وثلث وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود الوفاء هو القيام بمقتضى العهد وكذلك الإيفاء والعقد العهد الموثق قال الحطيئة قوم إذا عقدوا عقدا لجارهم شدوا العناج وشدوا فوقه الكربا وأصل الجمع بين الشيئين بحيث يعسر الانفصال ولعل المراد بالعقود ما يعم العقود التي عقدها الله على عباده وألزمها إياهم من التكاليف وما يعقدون بينهم من عقود الأمانات والمعاملات ونحوها مما يجب الوفاء به أو يحسن إن حملنا الأمر على المشترك بين الوجوب والندب أحلت لكم بهيمة الأنعام تفصيل للعقود والبهيمة كل حي لا يميز وقيل كل ذات أربع وإضافتها إلى الأنعام للبيان كقولك ثوب خز ومعناه البهيمة من الأنعام وألحق بها الظباء وبقر الوحش وقيل هما المراد بالبهيمة ونحوهما مما يماثل الأنعام في الاجترار وعدم الأنياب وإضافتها إلى الأنعام لملابسة الشبه إلا ما يتلى عليكم إلا محرم ما يتلى عليكم كقوله حرمت عليكم الميتة أو إلا ما يتلى عليكم تحريمه غير محلي الصيد حال من الضمير في لكم وقيل من واو أوفوا وقيل استثناء وفيه تعسف والصيد يحتمل المصدر والمفعول وأنتم حرم حال عما استكن في محلي والحرم جمع حرام وهو المحرم إن الله يحكم ما يريد من تحليل وتحريم يا أيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله يعني مناسك الحج جمع شعيرة وهي اسم ما أشعر أي جعل شعارا سمي به أعمال الحج ومواقفه لأنها علامات الحج وأعلام النسك وقيل دين الله لقوله تعالى ومن يعظم شعائر الله أي دينه وقيل فرائضه التي حدها لعباده ولا الشهر الحرام بالقتال فيه أو بالنسيء ولا الهدي ما أهدي إلى الكعبة جمع هدية كجدي في جمع جدية السرج ولا القلائد أي ذوات القلائد من الهدي وعطفها على الهدي للاختصاص فإنها أشرف الهدي أو القلائد أنفسها والنهي عن إحلالها مبالغة في النهي عن التعرض للهدي ونظيره قوله ولا يبدين زينتهن والقلائد جمع قلادة وهو ما قلد به الهدي من نعل أو لحاء شجر أو غيرهما ليعلم به أنه هدي فلا يتعرض له ولا آمين البيت الحرام قاصدين لزيارته يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا أن يثيبهم ويرضى عنهم والجملة في موضع الحال من المستكن في آمين وليست صفة له لأنه عامل والمختار أن اسم الفاعل الموصوف لا يعمل وفائدته استنكار تعرض من هذا شأنه والتنبيه على المانع له وقيل معناه يبتغون من الله رزقا بالتجارة ورضوانا بزعمهم إذ روي أن الآية نزلت عام القضية في حجاج اليمامة لما هم المسلمون أن يتعرضوا لهم بسبب أنه كان فيهم الحطم شريح بن ضبيعة وكان قد استاق سرح المدينة وعلى هذا فالآية منسوخة وقرئ تبتغون على خطاب المؤمنين وإذا حللتم فاصطادوا إذن في الاصطياد بعد زوال الإحرام ولا يلزم من إرادة الإباحة ههنا من الأمر دلالة الأمر الآتي بعد الحظر على الإباحة مطلقا وقرئ بكسر الفاء على إلقاء حركة همزة الوصل عليها وهو ضعيف جدا وقرئ أحللتم يقال حل المحرم وأحل ولا يجرمنكم لا يحملنكم أو لا يكسبنكم شنآن قوم شدة بغضهم وهو مصدر أضيف إلى المفعول أو الفاعل وقرأ ابن كثير وإسماعيل عن نافع وابن عياش عن عاصم بسكون النون وهو أيضا مصدر كليان أو نعت بمعنى بغيض قوم وفعلان في النعت أكثر أن صدوكم عن المسجد الحرام لأن صدوكم عنه عام الحديبية وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بكسر الهمزة على أنه شرط معترض أغنى عن جوابه لا يجرمنكم

لان يسألونك بلفظ الغيبة وكلا الوجهين شائع في امثاله والمسئول ما احل لهم من المطاعم كانهم لما تلي عليهم ما
حرم عليهم سألوا عما احل لهم قل احل لكم الطيبات ما لم تستخبثه الطباع السليمة ولم تنفر عنه ومن مفهومه حرم
مستخبثات العرب او ما لم يدل نص ولا قياس على حرمته وما علمتم من الجوارح عطف على الطيبات ان جعل ما موصولة على
تقدير وصيد ما علمتم وجملة شرطية ان جعلت شرطا وجوابها فكلوا والجوارح كواسب الصيد على اهلها من سباع
ذوات الاربع والطير مكلبين معلمين اياه الصيد والمكلب مؤدب الجوارح ومضريها بالصيد مشتق من الكلب
لان التاديب يكون اكثر فيه وآثر او لان كل سبع يسمى كلبا لقوله عليه السلام اللهم سلط عليه كلبا من كلابك وانتصابه
على الحال من علمتم وفائدتها المبالغة في التعليم تعلمونهن حال ثانية او استيناف مما علمكم الله من الحيل
وطرق التاديب فان العلم به الهام من الله تعالى او مكتسب بالعقل الذي هو منحة منه او مما علمكم
ان تعلموه من اتباع الصيد بارسال صاحبه وانزجاره بزجره وانصرافه بدعائه وامساك الصيد عليه وان لا ياكل
منه فكلوا مما امسكن عليكم وهو ما لم ياكل منه لقوله عليه افضل الصلوات واجل التسليمات لعدي بن
حاتم وان اكل منه فلا تاكل انما امسك على نفسه واليه ذهب اكثر الفقهاء وقال بعضهم لا يشترط ذلك
في سباع الطير لان تاديبها الى هذا الحد متعذر وقال آخرون لا يشترط مطلقا واذكروا اسم الله عليه الضمير لما علمتم
المعنى سموا عليه عند ارساله او لما امسكن بمعنى سموا عليه اذا ادركتم ذكوته واتقوا الله في محرماته ان الله سريع الحساب
فيؤاخذكم بما جل ودق اليوم احل لكم الطيبات وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم يتناول
الذبائح وغيرها ويعم الذين اوتوا الكتاب اليهود والنصارى واستثنى علي كرم الله تعالى وجهه نصارى بني تغلب
وقال ليسوا على النصرانية ولم ياخذوا منها الا شرب الخمر ولا يلحق بهم المجوس في ذلك وان الحق بهم في التقرير على
الجزية لقوله عليه السلام سنوا بهم سنة اهل الكتاب غير ناكحي نسائهم ولا آكلي ذبائحهم وطعامكم حل لهم فلا عليكم
ان تطعموهم وتبيعوه منهم ولو حرم عليهم لم يجز ذلك والمحصنات من المؤمنات الحرائر او العفائف وتخصيصهن بعث
على ما هو الاولى والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم وان كن حربيات وقال ابن عباس رضي الله تعالى
عنهما لا تحل الحربيات اذا آتيتموهن اجورهن مهورهن وتقييد الحل بايتائها لتاكيد وجوبها والحث على الاولى
وقيل المراد بايتائها التزامها محصنين اعفاء بالنكاح غير مسافحين غير مجاهرين بالزنا ولا متخذي اخدان مسرين به
والخدن الصديق يقع على الذكر والانثى ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله وهو في الآخرة من الخاسرين يريد بالايمان
شرائع الاسلام وبالكفر به انكاره والامتناع عنه يا ايها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلوة اي اذا اردتم القيام كقوله تعالى
فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله عبر عن ارادة الفعل بالفعل المسبب عنها للايجاز والتنبيه على ان من اراد العبادة
ينبغي ان يبادر اليها بحيث لا ينفك الفعل عن الارادة او اذا قصدتم الصلوة لان التوجه الى الشيء والقيام اليه قصد
له وظاهر الآية يوجب الوضوء على كل قائم الى الصلوة وان لم يكن محدثا والاجماع على خلافه لما روي انه صلى الله عليه وسلم
صلى الخمس بوضوء واحد يوم الفتح فقال عمر صنعت شيئا لم تكن تصنعه فقال عمدا فعلته فقيل

محدود وغير محدود وان آلتيهما مائع وجامد وموجبهما حدث اصغر او اكبر وان المبيح للعدول الى البدل
مرض او سفر وان الموعود عليهما تطهير الذنوب واتمام النعمة واذكروا نعمة الله عليكم بالاسلام لتذكركم المنعم
وترغبكم في شكره وميثاقه الذي واثقكم به اذ قلتم سمعنا واطعنا يعني الميثاق الذي اخذه على المسلمين
حين بايعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره او ميثاق ليلة العقبة
او بيعة الرضوان واتقوا الله في انساء نعمته ونقض ميثاقه ان الله عليم بذات الصدور اي بخفياتها
فيجازيكم عليها فضلا عن جليات اعمالكم يا ايها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم
شنآن قوم على الا تعدلوا لا يحملنكم شدة بغضكم للمشركين على
ترك العدل فيهم فتعتدوا عليهم بارتكاب ما لا يحل كمثلة وقذف وقتل نساء وصبية ونقض عهد تشفيا
مما في قلوبكم اعدلوا هو اقرب للتقوى اي العدل اقرب للتقوى صرح لهم الامر بالعدل وبين انه بمكان من التقوى
بعد ما نهاهم عن الجور وبين انه مقتضى الهوى واذا كان هذا العدل مع الكفار فما ظنك بالعدل مع
المؤمنين واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون فيجازيكم به وتكرير هذا الحكم اما لاختلاف السبب كما قيل
ان الاولى نزلت في المشركين وهذه في اليهود او لمزيد الاهتمام بالعدل والمبالغة في اطفاء نائرة الغيظ وعد
الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة واجر عظيم انما حذف ثاني مفعوليه استغناء بقوله لهم
مغفرة فانه استئناف يبينه وقيل الجملة في موقع المفعول فان الوعد ضرب من القول فكأنه قال وعدهم هذا
القول والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك اصحاب الجحيم هذا من عادته تعالى ان يتبع حال احد الفريقين
حال الآخر وفاء بحق الدعوة وفيه مزيد وعد للمؤمنين وتطييب لقلوبهم يا ايها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم
روي ان المشركين رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه بعسفان قاموا الى الظهر معا فلما صلوا ندموا
الا كانوا اكبوا عليهم وهموا ان يوقعوا بهم اذا قاموا الى العصر فرد الله تعالى كيدهم بان انزل صلوة الخوف
والآية اشارة الى ذلك وقيل اشارة الى ما روي انه صلى الله عليه وسلم اتى بني قريظة ومعه الخلفاء الاربعة رضي الله
تعالى عنهم يستقرضهم لدية مسلمين قتلهما عمرو بن امية الضمري رضي الله تعالى عنه يحسبهما مشركين فقالوا
نعم يا ابا القاسم اجلس حتى نطعمك ونقرضك فاجلسوه وهموا بقتله فعمد عمرو بن جحاش الى رحى عظيمة
يطرحها عليه فامسك الله تعالى يده فنزل جبريل فاخبره وقيل نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم منزلا وعلق
سلاحه بشجرة وتفرق الناس عنه فجاء اعرابي فسل سيفه فقال من يمنعك مني فقال الله تعالى فاسقطه
جبريل من يده فاخذه الرسول صلى الله عليه وسلم وقال من يمنعك مني فقال لا احد اشهد ان لا اله الا
الله وان محمدا رسول الله فنزلت اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم ايديهم بالقتل والاهلاك يقال بسط اليه يده
اذا بطش به وبسط اليه لسانه اذا شتمه فكف ايديهم عنكم منعها ان تمد اليكم ورد مضرتها عنكم واتقوا
الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون فانه الكافي لايصال الخير ودفع الشر ولقد اخذ الله ميثاق بني

النصارى من نسطورية ويعقوبية وملكانية او بينهم وبين اليهود وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون
بالجزاء والعقاب يا اهل الكتاب يعني اليهود والنصارى ووحد الكتاب لانه للجنس قد جاءكم رسولنا يبين
لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب كنعت محمد صلى الله عليه وسلم واية الرجم في التورية
وبشارة عيسى عليه السلام باحمد صلى الله عليه وسلم في الانجيل ويعفو عن كثير مما تخفونه لا يخبر به
اذا لم يضطر اليه امر ديني او عن كثير منكم فلا يؤاخذه بجرمه قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين
يعني القران فانه الكاشف لظلمات الشك والضلال والكتاب الواضح الاعجاز وقيل يريد بالنور محمدا صلى الله
عليه وسلم يهدي به الله وحد الضمير لان المراد بهما واحد او لانهما في الحكم كواحد من اتبع رضوانه من
امن منهم سبل السلام طرق السلامة من العذاب او سبيل الله ويخرجهم من الظلمات
الى النور من انواع الكفر الى الاسلام باذنه بارادته او بتوفيقه ويهديهم الى صراط مستقيم طريق
هو اقرب الطرق الى الله تعالى ومؤد اليه لا محالة لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم
هم الذين قالوا بالاتحاد منهم وقيل لم يصرح به احد منهم ولكن لما زعموا ان فيه لاهوتا وقالوا لا اله الا واحد
لزمهم ان يكون هو المسيح فنسب اليهم لازم قولهم توضيحا لجهلهم وتفضيحا لمعتقدهم قل فمن
يملك من الله شيئا فمن يمنع من قدرته وارادته شيئا ان اراد ان يهلك المسيح ابن مريم وامه
ومن في الارض جميعا احتج بذلك على فساد قولهم وتقريره ان المسيح مقدور مقهور قابل للفناء كسائر
الممكنات ومن كان كذلك فهو بمعزل عن الالوهية ولله ملك السموات والارض وما بينهما يخلق ما
يشاء والله على كل شيء قدير ازاحة لما عرض لهم من الشبهة في امره والمعنى انه تعالى قادر على الاطلاق يخلق
من غير اصل كما خلق السموات والارض ومن اصل كخلق ما بينهما فينشئ من اصل ليس من جنسه كادم وكثير
من الحيوانات ومن اصل يجانسه اما من ذكر وحده كحواء او من انثى وحدها كعيسى عليه السلام او منهما كسائر
الناس وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه اشياع ابنيه عزير والمسيح عليهما السلام كما قيل
لاشياع ابن الزبير رضي الله تعالى عنهما الخبيبيون او مقربون عنده قرب الاولاد من والدهم وقد سبق لنحو ذلك
مزيد بيان في سورة ال عمران قل فلم يعذبكم بذنوبكم اي فان صح ما زعمتم فلم يعذبكم بذنوبكم فان من كان
بهذا المنصب لا يفعل ما يوجب تعذيبه وقد عذبكم في الدنيا بالقتل والاسر والمسخ واعترفتم انه سيعذبكم بالنار
اياما معدودة بل انتم بشر ممن خلق ممن خلقه الله تعالى يغفر لمن يشاء وهم من امن به وبرسله ويعذب
من يشاء وهم من كفر والمعنى انه يعاملكم معاملة سائر الناس لا مزية لكم عليهم ولله ملك السموات والارض
وما بينهما كلها سواء في كونه خلقا وملكا له واليه المصير فيجازي المحسن باحسانه والمسيء باساءته يا اهل الكتاب
قد جاءكم رسولنا يبين لكم اي الدين وحذف لظهوره او ما كتمتم وحذف لتقدم ذكره ويجوز ان لا يقدر مفعول
على معنى يبذل لكم البيان والجملة في موضع الحال اي جاءكم رسولنا مبينا لكم على فترة من الرسل

من اجل ذلك كتبنا على بني اسرائيل بسببه قضينا عليهم واجل في الاصل مصدر اجل شرا اذا جناه استعمل
تعليل الجنايات كقولهم من جراك فعلته اي من ان جررته اي جنيته ثم اتسع فيه فاستعمل في كل تعليل ومن
ابتدائية متعلقة بكتبنا اي ابتداء الكتب ونشاؤه من اجل ذلك انه من قتل نفسا بغير نفس بغير قتل نفس
يوجب الاقتصاص او فساد في الارض بغير فساد فيها كالشرك وقطع الطريق فكانما قتل الناس جميعا من حيث
انه هتك حرمة الدماء وسن القتل وجرأ الناس عليه او من حيث ان قتل الواحد والجميع سواء في استجلاب
غضب الله تعالى والعذاب العظيم ومن احياها فكانما احيا الناس جميعا اي ومن تسبب لبقاء حيوتها بعفو او منع
عن قتل او استنقاذ من بعض اسباب الهلكة فكانما فعل ذلك بالناس جميعا والمقصود منه تعظيم قتل
النفس واحياؤها في القلوب ترهيبا عن التعرض لها وترغيبا في المحاماة عليها ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات
ثم ان كثيرا منهم بعد ذلك في الارض لمسرفون اي بعد ما كتبنا عليهم هذا التشديد العظيم من اجل امثال تلك
الجناية وارسلنا اليهم الرسل بالآيات الواضحة تاكيدا للامر وتجديدا للعهد كي يتحاموا عنها كثير منهم يسرفون في الارض
بالقتل ولا يبالون به وبهذا اتصلت القصة بما قبلها والاسراف التباعد عن حد الاعتدال في الامر انما جزاء
الذين يحاربون الله ورسوله اي يحاربون اولياءهما وهم المسلمون جعل محاربتهم محاربتهما تعظيما واصل
الحرب السلب والمراد به هنا قطع الطريق وقيل المكابرة باللصوصية وان كانت في مصر ويسعون في الارض فسادا اي
مفسدين ويجوز نصبه على العلة او المصدر لان سعيهم كان فسادا فكانه قيل ويفسدون في الارض فسادا ان يقتلوا اي
من غير صلب ان افردوا القتل او يصلبوا اي يصلبوا مع القتل ان قتلوا واخذوا المال وللفقهاء خلاف
في انه يقتل ويصلب حيا ويترك او يطعن حتى يموت او تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف اي تقطع
ايديهم اليمنى وارجلهم اليسرى ان اخذوا المال ولم يقتلوا او ينفوا من الارض اي ينفوا من بلد
الى بلد بحيث لا يتمكنوا من القرار في موضع ان اقتصروا على الاخافة وفسر ابو حنيفة رحمه الله تعالى النفي بالحبس واو
في الآية على هذا للتفصيل وقيل انه للتخيير والامام مخير بين هذه العقوبات في كل قاطع طريق ذلك لهم خزي
في الدنيا ذل وفضيحة ولهم في الآخرة عذاب عظيم لعظم ذنوبهم الا الذين تابوا من قبل ان تقدروا عليهم
استثناء مخصوص بما هو حق الله تعالى ويدل عليه قوله فاعلموا ان الله غفور رحيم اما القتل قصاصا فالى
الاولياء يسقط بالتوبة وجوبه لا جوازه وتقييد التوبة بالتقدم على القدرة يدل على انها بعد القدرة لا تسقط
الحد وان اسقطت العذاب وان الآية في قطاع المسلمين لان توبة المشرك تدرء عنه العقوبة قبل القدرة
وبعدها يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة اي ما تتوسلون به الى ثوابه والزلفى منه من فعل
الطاعات وترك المعاصي من وسل الى كذا اذا تقرب اليه وفي الحديث الوسيلة منزلة في الجنة وجاهدوا في سبيله بمحاربة
اعدائه الظاهرة والباطنة لعلكم تفلحون بالوصول الى الله تعالى والفوز بكرامته ان الذين كفروا لو ان لهم
ما في الارض من صنوف الاموال جميعا ومثله معه ليفتدوا به ليجعلوه فدية لانفسهم من

لاحبارهم ولرؤساء اليهود ويجوز ان يتعلق اللام بالكذب لان سماعون الثاني مكرر للتاكيد اي سماعون ليكذبوا
لقوم آخرين يحرفون الكلم من بعد مواضعه اي يميلونه عن مواضعه التي وضعه الله تعالى فيها اما لفظا
باهماله او تغيير وضعه واما معنى بحمله على غير المراد واجرائه في غير مورده والجملة صفة اخرى لقوم او صفة لسماعون
او حال من الضمير فيه او استيناف لا موضع له او في موضع الرفع خبر لمحذوف اي هم يحرفون وكذلك يقولون
ان اوتيتم هذا فخذوه اي ان اوتيتم هذا المحرف فاقبلوه واعملوا به وان لم تؤتوه بل افتاكم محمد بخلافه
فاحذروا اي فاحذروا قبول ما افتاكم به روي ان شريفا من خيبر زنى بشريفة وكانا محصنين فكرهوا
رجمهما فارسلوهما مع رهط منهم الى بني قريظة ليسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه وقالوا ان امركم
بالجلد والتحميم فاقبلوا وان امركم بالرجم فلا فامرهم بالرجم فابوا عنه فجعل ابن صوريا حكما بينه وبينهم وقال له
انشدك الله الذي لا اله الا هو الذي فلق البحر لموسى عليه السلام ورفع فوقكم الطور وانجاكم واغرق آل فرعون
والذي انزل عليكم كتابه وحلاله وحرامه هل تجد فيه الرجم على من احصن قال نعم فوثبوا عليه فقال خفت
ان كذبته ان ينزل علينا العذاب فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالزانيين فرجما عند باب المسجد
ومن يرد الله فتنته ضلالته او فضيحته فلن تملك له من الله شيئا فلن تستطيع له من الله تعالى
شيئا في دفعها اولئك الذين لم يرد الله ان يطهر قلوبهم من الكفر وهو كما ترى نص على فساد قول
المعتزلة لهم في الدنيا خزي هوان بالجزية والخوف من المؤمنين ولهم في الآخرة عذاب عظيم وهو الخلود
في النار والضمير للذين هادوا ان استانفت بقوله ومن الذين والا فللفريقين سماعون للكذب كرره للتاكيد
اكالون للسحت اي الحرام كالرشى من سحته اذا استاصله لانه مسحوت البركة وقرأ ابن كثير وابو عمرو والكسائي ويعقوب
في المواضع الثلاثة بضمتين وهما لغتان كالعنق والعنق وقرئ بفتح السين على لفظ المصدر فان جاؤك فاحكم
بينهم او اعرض عنهم تخيير لرسول الله صلى الله عليه وسلم اذا تحاكموا اليه بين الحكم والاعراض
ولهذا قيل لو تحاكم كتابيان الى القاضي لم يجب عليه الحكم وهو قول الشافعي رحمه الله تعالى والاصح وجوبه اذا كان
المترافعان او احدهما ذميا لانا التزمنا الذب عنهم ودفع الظلم منهم والآية ليست في اهل الذمة وعند
ابي حنيفة رحمه الله تعالى يجب مطلقا وان تعرض عنهم فلن يضروك شيئا بان يعادوك لاعراضك عنهم
فان الله تعالى يعصمك من الناس وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط بالعدل الذي امر الله تعالى به ان الله
يحب المقسطين فيحفظهم ويعظم شانهم وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله تعجيب من تحكيمهم
من لا يؤمنون به والحال ان الحكم منصوص عليه في الكتاب الذي هو عندهم وتنبيه على انهم ما قصدوا
بالتحكيم معرفة الحق واقامة الشرع وانما طلبوا به ما يكون اهون عليهم وان لم يكن حكم
الله تعالى في زعمهم وفيها حكم الله حال من التوراة ان رفعتها بالظرف وان جعلتها مبتدأ ففيه ضمير
المستكن فيه وتأنيثها لكونها نظيرة المؤنث في كلامهم لفظا كموماة ودوداة ثم يتولون من بعد ذلك

ويجوز نصبهما على المفعول لهما عطفاً على محذوف وتعليقاً به وليحكم اهل الانجيل بما انزل الله فيه
عليه في قراءة حمزة بتحريك الاولى اللام متعلقة بمحذوف واي آتيناه وقرئ وان ليحكم على ان ان موصولة بالامر
كقولك امرتك بان قم اي وامرنا بان ليحكم ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الفاسقون عن حكمه او عن الايمان
ان كان مستهيناً به والآية تدل على ان الانجيل مشتمل على الاحكام وان اليهودية منسوخة ببعثة عيسى عليه
السلام وانه كان مستقلاً بالشرع وحملها على وليحكموا بما انزل الله فيه من ايجاب العمل باحكام التوراة خلاف
الظاهر وانزلنا اليك الكتاب بالحق اي القرآن مصدقاً لما بين يديه من الكتاب من جنس الكتب المنزلة فاللام
الاولى للعهد والثانية للجنس ومهيمناً عليه ورقيباً على سائر الكتب يحفظه عن التغيير ويشهد لها بالصحة
والثبات وقرئ على بنية المفعول اي هومن عليه وحوفظ من التحريف والحافظ له هو الله تعالى او الحفاظ في كل عصر
فاحكم بينهم بما انزل الله اي بما انزل اليك ولا تتبع اهواءهم عما جاءك من الحق بالانحراف عنه الى ما يشتهونه
فعن صلة لا تتبع لتضمنه معنى لا تنحرف او حال من فاعله اي لا تتبع اهواءهم مائلاً عما جاءك لكل جعلنا منكم
ايها الناس شرعة شريعة وهي الطريقة الى الماء شبه بها الدين لانه طريق الى ما هو سبب الحياة الابدية وقرئ
بفتح الشين ومنهاجاً وطريقاً واضحاً في الدين من نهج الامر اذا وضح واستدل به على انا غير متعبدين بالشرائع
المتقدمة ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة جماعة متفقة على دين واحد في جميع الاعصار من غير نسخ وتحويل ومفعول
لو شاء محذوف دل عليه الجواب وقيل المعنى لو شاء الله تعالى اجتماعكم على الاسلام لاجبركم عليه ولكن ليبلوكم فيما
آتاكم من الشرائع المختلفة المناسبة لكل عصر وقرن هل تعملون بها مذعنين لها معتقدين ان اختلافها
مقتضى الحكمة الالهية ام تزيغون عن الحق وتفرطون في العمل فاستبقوا الخيرات فابتدروها انتهازاً للفرصة
وحيازة لفضل السبق والتقدم الى الله مرجعكم جميعاً استئناف فيه تعليل الامر بالاستباق ووعد ووعيد
للمبادرين والمقصرين فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون بالجزاء الفاصل بين المحق والمبطل والعامل والمقصر وان
احكم بينهم بما انزل الله عطف على الكتاب اي انزلنا اليك الكتاب والحكم او على الحق اي انزلناه بالحق وبان احكم
ويجوز ان يكون جملة بتقدير وامرنا ان احكم ولا تتبع اهواءهم واحذرهم ان يفتنوك عن بعض ما انزل الله
اليك اي يضلوك ويصرفوك عنه وان بصلته بدل من هم بدل الاشتمال اي احذرهم فتنتهم او مفعول له اي حذر
ان يفتنوك روي ان احبار اليهود قالوا اذهبوا بنا الى محمد لعلنا نفتنه عن دينه فقالوا يا محمد قد عرفت
انا احبار اليهود وانا ان اتبعناك اتبعنا اليهود كلهم وان بيننا وبين قومنا خصومة فنتحاكم اليك فتقضي لنا عليهم
ونحن نؤمن بك ونصدقك فابى ذلك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فنزلت فان تولوا عن الحكم المنزل واردوا غيره
فاعلم انما يريد الله ان يصيبهم ببعض ذنوبهم يعني ذنب التولي عن حكم الله تعالى فعبر عنه بذلك تنبيهاً على ان
لهم ذنوباً كثيرة وهذا مع عظمه واحد منها معدود من جملتها وفيه دلالة على التعظيم كما في التنكير ونظيره قول
لبيد او يرتبط بعض النفوس حمامها وان كثيراً من الناس لفاسقون لمتمردون في الكفر معتدون فيه

يجتهدون جهد ايمانهم فحذف الفعل واقيم المصدر مقامه ولذلك ساغ كونها معرفة او على المصدر لانه بمعنى اقسموا حبطت

اعمالهم فاصبحوا خاسرين اما من جملة المقول او من قول الله تعالى شهادة لهم بحبوط اعمالهم وفيه معنى التعجب

كانه قيل ما احبط اعمالهم فما اخسرهم يا ايها الذين آمنوا من يرتدد منكم عن دينه قراه على الاصل نافع وابن عامر

وهو كذلك في الامام والباقون بالادغام وهذا من الكائنات التي اخبر الله تعالى عنها قبل وقوعها وقد ارتد من

العرب في اواخر عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلث فرق بنو مدلج وكان رئيسهم ذو الحمار الاسود العنسي تنبأ

باليمن واستولى على بلادهم ثم قتله فيروز الديلمي ليلة قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم من غدها واخبر الرسول

صلى الله عليه وسلم في تلك الليلة فسر المسلمون واتى الخبر في اواخر ربيع الاول وبنو حنيفة اصحاب مسيلمة

تنبأ وكتب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من مسيلمة رسول الله الى محمد رسول الله اما بعد فان الارض نصفها

لي ونصفها لك فاجاب من محمد رسول الله الى مسيلمة الكذاب اما بعد فان الارض لله يورثها من يشاء من عباده

والعاقبة للمتقين فحاربه ابو بكر رضي الله تعالى عنه بجند المسلمين وقتله وحشي قاتل حمزة وبنو اسد

قوم طليحة بن خويلد تنبأ فبعث اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم خالدا رضي الله تعالى عنه فهرب بعد القتال الى الشام

ثم اسلم وحسن اسلامه وفي عهد ابي بكر رضي الله تعالى عنه سبع فزارة قوم عيينة بن حصن وغطفان قوم قرة بن

سلمة وبنو سليم قوم الفجاءة بن عبد ياليل وبنو يربوع قوم مالك بن نويرة وبعض تميم قوم سجاح بنت

المنذر المتنبئة زوجة مسيلمة وكندة قوم الاشعث بن قيس وبنو بكر بن وائل بالبحرين قوم الحطم وكفى

الله امرهم على يده وفي امرة عمر رضي الله تعالى عنه غسان قوم جبلة بن الايهم تنصر وسار الى الشام فسوف

يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه قيل هم اليمن لما روي انه صلى الله عليه وسلم اشار الى ابي موسى رضي الله تعالى عنه

وقال قوم هذا وقيل الفرس لانه صلى الله عليه وسلم سئل عنهم فضرب يده على عاتق سلمان رضي الله تعالى عنه وقال

هذا وذووه وقيل الذين جاهدوا يوم القادسية الفان من النخع وخمسة آلاف من كندة وبجيلة وثلثة آلاف

من افناء الناس والراجع الى من محذوف تقديره فسوف يأتي الله بقوم مكانهم ومحبة الله تعالى للعباد ارادة

الهدى والتوفيق لهم في الدنيا وحسن الثواب في الآخرة ومحبة العباد له ارادة طاعته والتحرز عن معاصيه اذلة

على المؤمنين عاطفين عليهم متذللين لهم جمع ذليل لا ذلول فان جمعه ذلل واستعماله مع على اما لتضمن معنى

العطف والحنو او للتنبيه على انهم مع علو طبقتهم وفضلهم على المؤمنين خافضون لهم او للمقابلة اعزة

على الكافرين شداد متغلبين عليهم من عزه اذا غلبه وقرئ بالنصب على الحال يجاهدون في سبيل الله صفة اخرى

لقوم او حال من الضمير في اعزة ولا يخافون لومة لائم عطف على يجاهدون بمعنى انهم الجامعون بين

المجاهدة في سبيل الله تعالى والتصلب في دينه او حال بمعنى انهم يجاهدون وحالهم خلاف حال المنافقين فانهم

يخرجون في جيش المسلمين خائفين ملامة اوليائهم من اليهود فلا يعملون شيئا يلحقهم فيه لوم من جهتهم

واللومة المرة من اللوم وفيها وفي تنكير لائم مبالغتان ذلك اشارة الى ما تقدم من الاوصاف فضل الله يؤتيه من يشاء

تقليد انصافكم وفسقكم او نصب باضمار فعل اى عليل محل تنقمون اى ولا تنقمون ان اكثركم فاسقون او رفع على الابتداء والخبر
محذوف اى فسقكم ثابت معلوم عندكم ولكن حب الرياسة والمال يمنعكم عن الانصاف والآية خطاب ليهود سالوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم عمن يؤمن به فقال نؤمن بالله وما انزل الينا الى قوله ونحن له مسلمون فقالوا حين سمعوا
ذكر عيسى عليه السلام لا نعلم دينا شرا من دينكم قل هل انبئكم بشر من ذلك اى من ذلك المنقوم مثوبة عند الله جزاء ثابتا
عند الله والمثوبة مختصة بالخير كالعقوبة بالشر فوضعت هاهنا موضعها على طريقة قوله تحية بينهم ضرب وجيع ونصبها
على التمييز عن بشر من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير بدل من بشر على حذف المضاف اى بشر من
اهل ذلك من لعنه الله او بشر من ذلك دين من لعنه الله تعالى او خبر محذوف اى هو من لعنه الله وهم اليهود ابعدهم
الله تعالى من رحمته وسخط عليهم بكفرهم وانهماكهم فى المعاصى بعد وضوح الآيات ومسخ بعضهم قردة وهم اصحاب
السبت وبعضهم خنازير وهم كفار اهل مائدة عيسى عليه السلام وقيل كلا المسخين فى اصحاب السبت مسخت شبانهم قردة
ومشائخهم خنازير وعبد الطاغوت عطف على صلة من وكذا عبد الطاغوت على البناء للمفعول ورفع الطاغوت وعبد
بمعنى صار معبودا فيكون الراجع محذوفا اى فيهم او بينهم ومن قرأ عابد الطاغوت او عبد على انه نعت كفطن ويقظ او عبدة
او عبد الطاغوت على انه جمع كخدم او ان اصله عبدة فحذفت التاء للاضافة عطفه على القردة ومن قرأ وعبد
الطاغوت بالجر عطفه على من والمراد من الطاغوت العجل وقيل الكهنة وكل من اطاعوه فى معصية الله تعالى وقرئ
وعبد الطاغوت بضم الباء وجر التاء والباقون بفتح الباء ونصب التاء اولئك اى الملعونون شر مكانا جعل مكانهم
شرا ليكون ابلغ فى الدلالة على شرارتهم وقيل مكانا منصرفا واضل عن سواء السبيل قصد الطريق المتوسط بين غلو النصارى
وقدح اليهود والمراد من صيغتى التفضيل الزيادة مطلقا لا بالاضافة الى المؤمنين فى الشرارة والضلال واذا جاؤكم
قالوا آمنا نزلت فى يهود نافقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم او فى عامة المنافقين وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا
به اى يخرجون من عندك كما دخلوا لا يؤثر فيهم ما سمعوا منك والجملتان حالان من فاعل قالوا وبالكفر وبه حالان
من فاعلى دخلوا وخرجوا وقد وان دخلت لتقريب الماضى من الحال ليصح ان يقع حالا افادت ايضا لما فيها من التوقع
ان امارة النفاق كانت لائحة عليهم وكان الرسول يظنه ولذلك قال والله اعلم بما كانوا يكتمون اى من الكفر وفيه
وعيد لهم وترى كثيرا منهم اى من اليهود او المنافقين يسارعون فى الاثم اى الحرام وقيل الكذب لقوله عن قولهم الاثم
والعدوان الظلم او مجاوزة الحد فى المعاصى وقيل الاثم ما يختص بهم والعدوان ما يتعدى الى غيرهم واكلهم السحت
اى الحرام خصه بالذكر للمبالغة لبئس ما كانوا يعملون لبئس شيئا عملوه لولا ينهاهم الربانيون والاحبار عن
قولهم الاثم واكلهم السحت تحضيض لعلمائهم على النهى عن ذلك فان لولا اذا دخل الماضى افاد التوبيخ واذا دخل المستقبل
افاد التحضيض لبئس ما كانوا يصنعون ابلغ من قوله لبئس ما كانوا يعملون من حيث ان الصنع عمل الانسان بعد تدرب
فيه وترو وتحرى اجادة ولذلك ذم به خواصهم ولان ترك الحسبة اقبح من مواقعة المعصية لان النفس تلتذ بها و
تميل اليها ولا كذلك ترك الانكار عليها فكان جديرا بابلغ الذم وقالت اليهود يد الله مغلولة اى هو ممسك يقتر بالرزق

اى بئس ما يعملونه وفيه معنى التعجب اى ما اسوأ عملهم وهو المعاندة وتحريف الحق والاعراض عنه والافراط فى العداوة

يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك جميع ما انزل اليك غير مراقب احدا ولا خائف مكروها وان لم تفعل وان لم تبلغ

جميعه كما امرتك فما بلغت رسالته فما اديت شيئا منها لان كتمان بعضها يضيع ما ادى منها كترك بعض اركان

الصلوة فان غرض الدعوة ينتقض به او فكانك ما بلغت شيئا منها كقوله فكانما قتل الناس جميعا من حيث ان كتمان

البعض والكل سواء فى الشناعة واستجلاب العقاب وقرأ نافع وابن عامر وابو بكر رسالاته بالجمع وكسر التاء والله يعصمك

من الناس عدة وضمان من الله تعالى بعصمة روحه صلى الله عليه وسلم من تعرض الاعادى وازاحة لمعاذيره صلى الله عليه وسلم

ان الله لا يهدى القوم الكافرين لا يمكنهم مما يريدون بك وعن النبى صلى الله عليه وسلم بعثنى الله تعالى برسالاته

فضقت بها ذرعا فاوحى الله تعالى الى ان لم تبلغ رسالاتى عذبتك وضمن لى العصمة فقويت وعن انس رضى الله تعالى

عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرس حتى نزلت فاخرج راسه من قبة ادم فقال انصرفوا يا ايها الناس فقد عصمنى

الله تعالى من الناس وظاهر الاية يوجب تبليغ كل ما انزل ولعل المراد تبليغ ما يتعلق به مصالح العباد وقصد بانزاله

اطلاعهم عليه فان من الاسرار الالهية ما يحرم افشاؤه قل يا اهل الكتاب لستم على شىء اى دين يعتد به ويصح ان

يسمى شيئا لانه باطل حتى تقيموا التورية والانجيل وما انزل اليكم من ربكم ومن اقامتها الايمان بمحمد صلى الله

عليه وسلم والاذعان لحكمه فان الكتب الالهية باسرها امرة بالايمان بمن صدقته المعجزة ناطقة بوجوب الطاعة له

والمراد اقامة اصولها وما لم ينسخ من فروعها وليزيدن كثيرا منهم ما انزل اليك من ربك طغيانا وكفرا فلا تأس

على القوم الكافرين فلا تحزن عليهم لزيادة طغيانهم وكفرهم بما تبلغه اليهم فان ضرر ذلك لاحق بهم لا يتخطاهم وفى

المؤمنين مندوحة لك عنهم ان الذين امنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى سبق تفسيره فى سورة

البقرة والصابئون رفع على الابتداء وخبره محذوف والنية به التاخير عما فى حيز ان والتقدير ان الذين امنوا

والذين هادوا والنصارى حكمهم كذا والصابئون كذلك كقوله ❊ فانى وقيار بها لغريب ❊ وقوله ❊ والا فاعلموا

انا وانتم ❊ بغاة ما بقينا فى شقاق ❊ وهو كاعتراض دل به على انه لما كان الصابئون مع ظهور ضلالهم وميلهم

عن الاديان كلها يتاب عليهم ان صح منهم الايمان والعمل الصالح كان غيرهم اولى بذلك ويجوز ان يكون

والنصارى معطوفا عليه ومن امن خبرهما وخبر ان مقدر دل عليه ما بعده كقوله ❊ نحن بما عندنا وانت بما

عندك راض والرأى مختلف ❊ ولا يجوز عطفه على محل ان واسمها فانه مشروط بالفراغ من الخبر اذ لو عطف

عليه قبله كان الخبر خبر المبتدأ وخبر ان معا فيجتمع عليه عاملان ولا على الضمير فى هادوا لعدم التاكيد و

الفصل ولانه يوجب كون الصابئين هودا وقيل ان بمعنى نعم وما بعدها فى موضع الرفع بالابتداء و

قيل والصابئون منصوب بالفتحة وذلك كما جوز بالياء جوز بالواو من امن بالله واليوم الاخر وعمل صالحا

فى محل الرفع بالابتداء وخبره فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والجملة خبر ان او خبر المبتدأ كما مر والراجع محذوف

اى من امن منهم او النصب على البدل من اسم ان وما عطف عليه وقرئ والصابئين وهو الظاهر والصابيون

يغفر لهم ويمنحهم من فضله ان تابوا وفي هذا الاستفهام تعجيب من اصرارهم ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله
الرسل اي ما هو الا رسول كالرسل قبله خصه الله تعالى بآيات كما خصهم بها فان احيى الموتى على يده فقد احيى
العصا وجعلها حية تسعى على يد موسى عليه السلام وهو اعجب وان خلقه من غير اب فقد خلق آدم عليه السلام من غير اب
وام وهو اغرب وامه صديقة كسائر النساء اللاتي يلازمن الصدق او يصدقن الانبياء كانا ياكلان الطعام
ويفتقران اليه افتقار الحيوانات بين اولا اقصى ما لهما من الكمال ودل على انه لا يوجب لهما الالوهية لان كثيرا
من الناس يشاركهما في مثله ثم نبه على نقصهما وذكر ما ينافي الربوبية ويقتضي ان يكونا من عداد المركبات الكائنة
الفاسدة ثم عجب ممن يدعي الربوبية لهما مع امثال هذه الادلة الظاهرة فقال انظر كيف نبين لهم الآيات
ثم انظر انى يؤفكون كيف يصرفون عن استماع الحق وتامله وثم لتفاوت ما بين العجبين اي ان بياننا للآيات
عجب واعراضهم عنها اعجب قل اتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا يعني عيسى عليه السلام
وهو وان ملك ذلك بتمليك الله تعالى اياه لا يملكه من ذاته ولا يملك مثل ما يضر الله تعالى به من البلايا
والمصائب وما ينفع به من الصحة والسعة وانما قال ما نظرا الى ما هو عليه في ذاته توطئة لنفي القدرة عنه راسا
وتنبيها على انه من هذا الجنس ومن كان له حقيقة تقبل المجانسة والمشاركة فبمعزل عن الالوهية وانما قدم
الضر لان التحرز عنه اهم من تحري النفع والله هو السميع العليم بالاقوال والعقائد فيجازي عليها ان خيرا فخير
وان شرا فشر قل يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق اي غلوا باطلا فترفعوا عيسى عليه السلام الى ان
تدعوا له الالهية او تضعوه فتزعموا انه لغير رشدة وقيل الخطاب للنصارى خاصة ولا تتبعوا اهواء قوم قد ضلوا
من قبل يعني اسلافهم وائمتهم الذين ضلوا قبل مبعث محمد صلى الله عليه وسلم في شريعتهم واضلوا كثيرا ممن
شايعهم على بدعهم وضلالهم وضلوا عن سواء السبيل عن قصد السبيل الذي هو الاسلام بعد مبعثه
صلى الله عليه وسلم لما كذبوه وبغوا عليه وقيل الاول اشارة الى ضلالهم عن مقتضى العقل والثاني اشارة الى ضلالهم
عما جاء به الشرع لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم اي لعنهم الله تعالى في الزبور
والانجيل على لسانهما وقيل ان اهل ايلة لما اعتدوا في السبت لعنهم داود عليه السلام فمسخهم الله تعالى قردة واصحاب
المائدة لما كفروا دعا عليهم عيسى عليه السلام ولعنهم فاصبحوا خنازير وكانوا خمسة آلاف رجل ذلك بما عصوا
وكانوا يعتدون اي ذلك اللعن الشنيع المقتضي للمسخ بسبب عصيانهم واعتدائهم ما حرم عليهم كانوا لا يتناهون عن
منكر فعلوه اي لا ينهى بعضهم بعضا عن معاودة منكر فعلوه او عن مثل منكر فعلوه او عن منكر ارادوا فعله
وتهيؤوا له او لا ينتهون عنه من قولهم تناهى عن الامر وانتهى عنه اذا امتنع لبئس ما كانوا يفعلون تعجيب من سوء
فعلهم مؤكدا بالقسم ترى كثيرا منهم من اهل الكتاب يتولون الذين كفروا يوالون المشركين بغضا لرسول الله
صلى الله عليه وسلم والمؤمنين لبئس ما قدمت لهم انفسهم اي لبئس شيئا قدموه ليردوا عليه يوم القيامة
ان سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون هو المخصوص بالذم والمعنى موجب سخط الله تعالى والخلود

ويجوز ان يراد به ولا تعتدوا حدود ما احل الله تعالى لكم الى ما حرم عليكم فتكون الآية ناهية عن تحريم ما احل وتحليل
ما حرم داعية الى القصد بينهما روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وصف القيمة لاصحابه يوما وبالغ في انذارهم
فرقوا واجتمعوا في بيت عثمان بن مظعون رضي الله تعالى عنهم واتفقوا على ان لا يزالوا صائمين قائمين وان لا يناموا
على الفرش ولا ياكلوا اللحم والودك ولا يقربوا النساء والطيب ويرفضوا الدنيا ويلبسوا المسوح ويسيحوا في الارض
ويجبوا مذاكيرهم فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم اني لم اومر بذلك ان لانفسكم عليكم حقا فصوموا
وافطروا وقوموا وناموا فاني اقوم وانام واصوم وافطر وآكل اللحم والدسم وآتي النساء والطيب فمن رغب عن سنتي
فليس مني ونزلت ﴿وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا﴾ اي كلوا ما حل لكم وطاب مما رزقكم الله تعالى فيكون حلالا
مفعول كلوا ومما حال منه تقدمت عليه لانه نكرة ويجوز ان يكون من ابتدائية متعلقة بكلوا ويجوز ان تكون
مفعولا وحلالا حالا من الموصول او العائد المحذوف او صفة لمصدر محذوف وعلى الوجوه لو لم يقع الرزق على الحرام
لم يكن لذكر الحلال فائدة زائدة ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾ ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ﴾ هو ما
يبدو من المرء بلا قصد كقول الرجل لا والله وبلى والله واليه ذهب الشافعي رحمه الله تعالى وقيل الحلف على
ما يظن انه كذلك ولم يكن واليه ذهب الامام الاعظم ابو حنيفة رحمه الله تعالى وفي ايمانكم صلة يؤاخذكم او اللغو لانه
مصدر او حال منه ﴿وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ﴾ بما وثقتم الايمان عليه بالقصد والنية والمعنى ولكن
يؤاخذكم بما عقدتم اذا حنثتم او بنكث ما عقدتم فحذف للعلم به وقرأ حمزة والكسائي وابن عياش عقدتم بالتخفيف
وابن عامر برواية ابن ذكوان عاقدتم وهو من فاعل بمعنى فعل ﴿فَكَفَّارَتُهُ﴾ فكفارة نكثه اي الفعلة التي تذهب اثمه
وتستره واستدل بظاهره على جواز التكفير بالمال قبل الحنث وهو عندنا خلافا للحنفية لقوله صلى الله عليه وسلم
من حلف على يمين ورأى غيرها خيرا منها فليكفر عن يمينه وليأت الذي هو خير ﴿إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ
مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ﴾ من اقصده في النوع او القدر وهو مد لكل مسكين عندنا ونصف صاع عند الحنفية ومحله
النصب لانه صفة مفعول محذوف تقديره ان تطعموا عشرة مساكين طعاما من اوسط ما تطعمون او الرفع على البدل من
الطعام واهلون كارضون وقرئ اهاليكم بسكون الياء على لغة من يسكنها في الاحوال الثلاث كالالف وهو جمع اهل كالليالي
في جمع ليل والاراضي في جمع ارض وقيل جمع اهلاة ﴿أَوْ كِسْوَتُهُمْ﴾ عطف على اطعام او من اوسط ان جعل بدلا وهو ثوب
يغطي العورة وقيل ثوب جامع قميص ورداء وازار وقرئ بضم الكاف وهو لغة كقدوة في قدوة وكأسوتهم بمعنى
او كمثل ما تطعمون اهليكم اسرافا او تقتيرا تواسون بينهم وبينهم ان لم تطعموهم الاوسط والكاف في محل الرفع وتقديره
او اطعامهم كاسوتهم ﴿أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ او اعتاق انسان وشرط الشافعي رحمه الله تعالى فيه الايمان قياسا على كفارة القتل
ومعنى او ايجاب احدى الخصال الثلث مطلقا وتخيير المكلف في التعيين ﴿فَمَنْ لَمْ يَجِدْ﴾ اي واحدا منها ﴿فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ﴾
فكفارته صيام ثلاثة ايام وشرط ابو حنيفة رحمه الله تعالى فيه التتابع لانه قرئ ثلثة ايام متتابعات والشواذ ليست
بحجة عندنا اذ لم تثبت كتابا ولم ترو سنة ﴿ذَلِكَ﴾ اي المذكور ﴿كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ﴾ وحنثتم ﴿وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ﴾

التقليل والتحقير في شيء للتنبيه على انه ليس من العظائم التي تدحض الاقدام كالابتلاء ببذل الانفس والاموال فمن
لم يثبت عنده كيف يثبت عند ما هو اشد منه ليعلم الله من يخافه بالغيب ليتميز الخائف من عقابه وهو
غائب منتظر لقوة ايمانه ممن لا يخافه لضعف قلبه وقلة ايمانه فذكر العلم واراد وقوع المعلوم وظهوره او تعلق
العلم فمن اعتدى بعد ذلك بعد ذلك الابتلاء بالصيد فله عذاب اليم فالوعيد لاحق به فان من لا يملك
جاشه في مثل ذلك ولا يراعي حكم الله تعالى فيه فكيف به فيما تكون النفس اميل اليه واحرص عليه يا ايها الذين آمنوا
لا تقتلوا الصيد وانتم حرم اي محرمون جمع حرام كرداح وردح ولعله ذكر القتل دون الذبح والذكاة للتعميم واراد
بالصيد ما يؤكل لحمه لانه الغالب فيه عرفا ويؤيده قوله صلى الله عليه وسلم خمس يقتلن في الحل والحرم الحدأة والغراب والعقرب
والفأرة والكلب العقور وفي رواية اخرى الحية بدل العقرب مع ما فيه من التنبيه على جواز قتل كل مؤذ واختلف
في ان هذا النهي هل يلغي حكم الذبح فيلحق مذبوح المحرم بالميتة ومذبوح الوثني او لا فيكون كالشاة المغصوبة
اذا ذبحها الغاصب ومن قتله منكم متعمدا ذاكرا لاحرامه عالما بانه حرام عليه قتل ما يقتله والاكثر على ان
ذكره ليس لتقييد وجوب الجزاء فان اتلاف العامد والمخطئ واحد في ايجاب الضمان بل لقوله ومن عاد فينتقم الله منه
ولان الآية نزلت فيمن تعمد اذ روي انه عن لهم في عمرة الحديبية حمار وحش فطعنه ابو اليسر برمحه فقتله
فنزلت فجزاء مثل ما قتل من النعم برفع الجزاء والمثل قراءة الكوفيين ويعقوب بمعنى فعليه او فواجبه جزاء
يماثل ما قتل من النعم وعليه لا يتعلق الجار بجزاء للفصل بينهما بالصفة فان متعلق المصدر كالصلة له
فلا يوصف ما لم يتم بها وانما يكون صفته وقرأ الباقون على اضافة المصدر الى المفعول واقحام مثل كما في قولهم
مثلي لا يقول كذا والمعنى عليه ان يجزي مثل ما قتل وقرئ فجزاء مثل ما قتل بنصبهما على فليجز جزاء او فعليه
ان يجزي جزاء يماثل ما قتل وفجزاؤه مثل ما قتل وهذه المماثلة باعتبار الخلقة والهيئة عند مالك والشافعي
رحمهما الله تعالى والقيمة عند ابي حنيفة رحمه الله تعالى وقال يقوم الصيد حيث صيد فان بلغت ثمن هدي يخير بين
ان يهدي ما قيمته قيمته وبين ان يشتري بها طعاما فيعطي كل مسكين نصف صاع من بر او صاعا من غيره وبين
ان يصوم عن طعام كل مسكين يوما وان لم يبلغ يخير بين الاطعام والصوم واللفظ للاول يحكم به ذوا عدل
منكم صفة جزاء ويحتمل ان يكون حالا من ضميره في خبره او منه اذا اضفته او وصفته ورفعته بخبر مقدر لمن
وكما ان التقويم يحتاج الى نظر واجتهاد تحتاج المماثلة في الخلقة والهيئة اليهما فان الانواع تتشابه كثيرا
وقرئ ذو عدل على ارادة الجنس او الامام هديا حال من الهاء في به او من جزاء وان نون لتخصيصه بالصفة
او بدل عن مثل باعتبار محله او لفظه فيمن نصبه بالغ الكعبة وصف به هديا لان اضافته لفظية ومعنى
بلوغه الكعبة ذبحه بالحرم والتصدق به ثم وقال ابو حنيفة رحمه الله تعالى يذبح بالحرم ويتصدق به حيث شاء
او كفارة عطف على جزاء ان رفعته وان نصبته فخبر محذوف طعام مساكين عطف بيان او بدل منه او خبر
محذوف اي هي طعام وقرأ نافع وابن عامر كفارة طعام بالاضافة للتبيين كقولك خاتم فضة والمعنى عدل

القليل خير من الكثير والخطاب لكل معتبر ولذلك قال فاتقوا الله يا أولي الألباب اي فاتقوه في تحري الخبيث
وان كثر وآثروا الطيب فان قل لعلكم تفلحون راجين ان تبلغوا الفلاح روي انها نزلت في حجاج اليمامة
لما هم المسلمون ان يوقعوا بهم فنهوا عنه وان كانوا مشركين يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم
وإن تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم الشرطية وما عطف عليها صفتان لاشياء والمعنى لا تسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن اشياء ان تظهر لكم تغمكم وان تسألوا عنها في زمان الوحي تظهر لكم وهما كمقدمتين تنتجان ما يمنع السؤال وهو انه مما يغمهم
والعاقل لا يفعل ما يغمه واشياء اسم جمع كطرفاء غير انه قلبت لامه فجعلت لفعاء وقيل افعلاء حذفت لامه جمع لشيء على
ان اصله شيء كهين او شيئ كصديق فخفف وقيل افعال جمع له من غير تغيير كبيت وابيات ويرده منع صرفه
عفا الله عنها صفة اخرى اي عن اشياء عفا الله عنها ولم يكلف بها اذ روي انه لما نزلت ولله على الناس حج البيت
قال سراقة بن مالك أكل عام فاعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اعاد ثلاثا فقال لا ولو قلت نعم لوجبت
ولو وجبت لما استطعتم فاتركوني ما تركتكم فنزلت واستئناف اي عفا الله تعالى عما سلف من مسألتكم فلا تعودوا الى مثلها
والله غفور حليم لا يعاجلكم بعقوبة ما يفرط منكم ويعفو عن كثير وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انه عليه
السلام كان يخطب ذات يوم غضبان من كثرة ما يسألون عنه مما لا يعنيهم فقال لا أسأل عن شيء الا اجبت فقال
رجل اين ابي فقال في النار فقال آخر من ابي فقال حذافة وكان يدعى لغيره فنزلت قد سألها قوم الضمير
التي دل عليها لا تسألوا ولذلك لم يعد بعن او لاشياء بحذف الجار من قبلكم متعلق بسألها وليس صفة لقوم
فان ظرف الزمان لا يكون صفة الجثة ولا حالا منها ولا خبرا عنها ثم أصبحوا بها كافرين اي بسببها حيث لم يأتمروا بما سألوا
جحودا ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام رد وانكار لما ابتدعه اهل الجاهلية وهو انهم
اذا نتجت الناقة خمسة ابطن آخرها ذكر بحروا اذنها اي شقوها وخلوا سبيلها فلا تركب ولا تحلب وكان الرجل منهم يقول ان شفيت
فناقتي سائبة ويجعلها كالبحيرة في تحريم الانتفاع بها واذا ولدت الشاة انثى فهي لهم وان ولدت ذكرا فهو لآلهتهم وان
ولدتهما قالوا وصلت الانثى اخاها فلا يذبح لها الذكر واذا نتجت من صلب الفحل عشرة ابطن حرموا ظهره ولم يمنعوه
من ماء ولا مرعى وقالوا قد حمى ظهره ومعنى ما جعل ما شرع ووضع ولذلك تعدى الى مفعول واحد وهو البحيرة
ومن مزيدة ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب بتحريم ذلك ونسبته اليه وأكثرهم لا يعقلون اي
الحلال من الحرام والمبيح من المحرم او الآمر ولكنهم يقلدون كبارهم وفيه ان منهم من يعرف بطلان ذلك ولكن يمنعهم حب
الرياسة وتقليد الآباء ان يعترفوا به وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه
آباءنا بيان لقصور عقلهم وانهماكهم في التقليد وان لا سند لهم سواه أولو كان آباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون
الواو للحال والهمزة دخلت عليها لانكار الفعل على هذه الحال اي احسبهم ما وجدوا عليه آباءهم ولو كانوا جهلة
والمعنى ان الاقتداء انما يصح بمن علم انه عالم مهتد وذلك لا يعرف الا بالحجة فلا يكفي التقليد يا أيها الذين آمنوا عليكم
أنفسكم اي احفظوها والزموا اصلاحها والجار مع المجرور جعل اسما لالزموا ولذلك نصب انفسكم وقرئ بالرفع

انفسهم ان اشتبينا ومعنى الآيتين ان المحتضر اذا اراد الوصية ينبغي ان يشهد عدلين من ذوي نسبه او دينه
على وصيته او يوصي اليهما احتياطا فان لم يجدهما بان كان في سفر فآخران من غيرهم ثم ان وقع نزاع وارتياب اقسما
على صدق ما يقولان بالتغليظ في الوقت فان اطلع على انهما كذبا بامارة ومظنة حلف آخران من اولياء الميت
والحكم منسوخ ان كان الاثنان شاهدين فانه لا يحلف الشاهد ولا يعارض يمينه يمين الوارث وثابت ان كانا
وصيين ورد اليمين الى الورثة اما لظهور خيانة الوصيين فان تصديق الوصي باليمين لامانته او لتغير الدعوى
اذ روي ان تميما الداري وعدي بن زيد خرجا الى الشام للتجارة وكانا حينئذ نصرانيين ومعهما بديل مولى عمرو
ابن العاص وكان مسلما فلما قدموا الشام مرض بديل فدون ما معه في صحيفة وطرحها في متاعه ولم يخبرهما به
واوصى اليهما بان يدفعا متاعه الى اهله ومات ففتشاه واخذا منه اناء من فضة فيه ثلاثمائة مثقال منقوشا بالذهب
فغيباه فاصاب اهله الصحيفة فطالبوهما بالاناء فجحدا فترافعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت يا ايها الذين امنوا الآية
فحلفهما رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد صلوة العصر عند المنبر وخلى سبيلهما ثم وجد الاناء في ايديهما فاتاهما
بنو سهم في ذلك فقالا قد اشتريناه منه ولكن لم يكن لنا عليه بينة فكرهنا ان نقر به فرفعوهما الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم فنزلت فان عثر فقام عمرو بن العاص والمطلب بن ابي وداعة السهميان وحلفا ولعل تخصيص العددين خاصة
الواقعة ذلك اي الحكم الذي تقدم او تحليف الشاهد ادنى ان يأتوا بالشهادة على وجهها على نحو ما تحملوها
من غير تحريف وخيانة فيها او يخافوا ان ترد ايمان بعد ايمانهم ان ترد اليمين على المدعين بعد ايمانهم
فيفتضحوا بظهور الخيانة واليمين الكاذبة وانما جمع الضمير لانه حكم يعم الشهود كلهم واتقوا الله
واسمعوا ما توصون به سمع اجابة والله لا يهدي القوم الفاسقين اي فان لم تتقوا ولم تسمعوا
كنتم قوما فاسقين والله لا يهدي القوم الفاسقين اي لا يهديهم الى حجة او الى طريق الجنة
يوم يجمع الله الرسل ظرف له وقيل بدل من مفعول واتقوا بدل الاشتمال او مفعول واسمعوا على حذف
المضاف اي واسمعوا خبر يوم يجمع او منصوب باضمار اذكر فيقول اي للرسل ماذا اجبتم اي اي اجابة اجبتم على ان ماذا
في موضع المصدر او باي شيء اجبتم فحذف الجار وهذا السوال لتوبيخ قومهم كما ان سوال الموؤدة لتوبيخ الوائد
ولذلك قالوا لا علم لنا اي لا علم لنا بما كنت تعلمه انك انت علام الغيوب فتعلم ما نعلمه مما اجابونا واظهروا
لنا وما لم نعلمه مما اضمروا في قلوبهم وفيه التشكي منهم ورد الامر الى علمه بما كابدوا منهم وقيل المعنى لا علم لنا الى جنب
علمك او لا علم لنا بما احدثوا بعدنا وانما الحكم للخاتمة وقرئ علام بالنصب على ان الكلام قد تم بقوله انك انت
اي انك انت الموصوف بصفاتك المعروفة وعلام منصوب على الاختصاص او النداء وقرأ حمزة وابو بكر الغيوب بكسر الغين حيث
وقع اذ قال الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك بدل من يوم يجمع وهو على طريقة ونادى اصحاب
الجنة والمعنى انه تعالى يوبخ الكفرة يومئذ بسوال الرسل عن اجابتهم وتعديد ما اظهر عليهم من الآيات فكذبتهم
طائفة وسموهم سحرة وغلا آخرون فاتخذوهم آلهة او نصب باضمار اذكر اذ ايدتك قويتك وهو

زمانهم او العالمين مطلقا فانهم مسخوا قردة وخنازير ولم يعذب بمثل ذلك غيرهم روي انها نزلت سفرة حمراء بين

غمامتين وهم ينظرون اليها حتى سقطت بين ايديهم فبكى عيسى عليه السلام وقال اللهم اجعلني من الشاكرين اللهم

اجعلها رحمة ولا تجعلها مثلة وعقوبة ثم قام فتوضأ وصلى وبكى ثم كشف المنديل وقال بسم الله خير

الرازقين فاذا سمكة مشوية بلا فلوس ولا شوك تسيل دسما وعند راسها ملح وعند ذنبها خل وحولها من

الوان البقول ما خلا الكراث واذا خمسة ارغفة على واحد منها زيتون وعلى الثاني عسل وعلى الثالث سمن وعلى الرابع جبن

وعلى الخامس قديد فقال شمعون يا روح الله أمن طعام الدنيا ام من طعام الآخرة قال ليس منهما ولكنه اخترعه

الله تعالى بقدرته كلوا ما سألتم واشكروا يمددكم الله تعالى ويزدكم من فضله فقالوا يا روح الله لو

اريتنا من هذه الآية آية اخرى فقال يا سمكة احيي باذن الله تعالى فاضطربت ثم قال لها عودي كما كنت فعادت

مشوية ثم طارت المائدة ثم عصوا بعدها فمسخوا وقيل كانت تأتيهم اربعين يوما غبا يجتمع عليها الفقراء

والاغنياء والضعفاء والصغار والكبار يأكلون حتى اذا فاء الفيء طارت وهم ينظرون في ظلها ولم يأكل منها فقير الا

اغنى مدة عمره ولا مريض الا برئ ولم يمرض ابدا ثم اوحى الله تعالى الى عيسى عليه السلام ان اجعل مائدتي للفقراء

والمرضى دون الاغنياء والاصحاء فاضطرب الناس لذلك فمسخ منهم ثلاثة وثمانون رجلا وقيل لما وعد الله

انزالها بهذه الشريطة استعفوا وقالوا لا نريد فلم تنزل وعن مجاهد انه مثل ضربه الله تعالى لمقترحي المعجزات

وعن بعض الصوفية المائدة ههنا عبارة عن حقائق المعارف فانها غذاء الروح كما ان الاطعمة غذاء البدن

وعلى هذا فلعل الحال انهم رغبوا في حقائق لم يستعدوا للوقوف عليها فقال لهم عيسى عليه السلام ان حصل

الايمان فاستعملوا التقوى حتى تتمكنوا من الاطلاع عليها فلم يقلعوا عن السؤال والحوا فيه فسأل لاجل اقتراحهم

فبين الله تعالى ان انزاله سهل ولكن فيه خطر وخوف عاقبة فان السالك اذا انكشف له ما هو اعلى

من مقامه لعله لا يحتمله ولا يستقر له فيضل به ضلالا بعيدا واذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت

للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله يريد به توبيخ الكفرة وتبكيتهم ومن دون الله صفة لالهين او صلة

اتخذوني ومعنى دون اما المغايرة فيكون فيه تنبيه على ان عبادة الله مع عبادة غيره كلا عبادة

فمن عبده مع عبادتهما كانه عبدهما ولم يعبده او القصور فانهم لم يعتقدوا انهما مستقلان باستحقاق العبادة

وانما زعموا ان عبادتهما توصل الى عبادة الله تعالى وكانه قيل اتخذوني وامي الهين متوسلين بنا الى الله تعالى قال

سبحانك اي انزهك تنزيها من ان يكون لك شريك ما يكون لي ان اقول ما ليس لي بحق ما ينبغي لي ان اقول

قولا لا يحق لي ان اقوله ان كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك تعلم ما اخفيه في نفسي

كما تعلم ما اعلنه ولا اعلم ما تخفيه من معلوماتك وقوله في نفسك للمشاكلة وقيل المراد بالنفس الذات

انك انت علام الغيوب تقرير للجملتين باعتبار منطوقه ومفهومه ما قلت لهم الا ما امرتني به

صرح بنفي المستفهم عنه بعد تقديم ما يدل عليه ان اعبدوا الله ربي وربكم عطف بيان للضمير في به او بدل منه وليس

ان الجعل فيه معنى التضمين ولذلك عبر عن احداث النور والظلمة بالجعل تنبيها
على انهما لا يقومان بانفسهما كما زعمت الثنوية وجمع الظلمات لكثرة اسبابها والاجرام الحاملة لها او لان
المراد بالظلمة الضلال وبالنور الهدى والهدى واحد والضلال متعدد وتقديمها لتقدم الاعدام على الملكات
ومن زعم ان الظلمة عرض يضاد النور احتج بهذه الآية ولم يعلم ان عدم الملكة كالعمى ليس صرف العدم حتى
لا يتعلق به الجعل ثم الذين كفروا بربهم يعدلون عطف على قوله الحمد لله على معنى ان الله تعالى حقيق
بالحمد على ما خلقه نعمة للعباد ثم الذين كفروا به يعدلون فيكفرون نعمته ويكون بربهم تنبيها على انه خلق
هذه الاشياء اسبابا لتكونهم وتعيشهم فمن حقه ان يحمد عليها ولا يكفر او على قوله خلق على معنى انه خلق ما لا يقدر عليه
احد سواه ثم هم يعدلون به ما لا يقدر على شيء منه ومعنى ثم استبعاد عدولهم بعد هذا البيان والباء على
الاول متعلقة بكفروا وصلة يعدلون محذوفة اي يعدلون عنه ليقع الانكار على نفس الفعل وعلى
الثاني متعلقة بيعدلون والمعنى ان الكفار يعدلون بربهم الاوثان اي يسوونها به هو الذي خلقكم من طين
اي ابتدأ خلقكم منه فانه المادة الاولى وان آدم الذي هو اصل البشر خلق منه او خلق اباكم فحذف المضاف
ثم قضى أجلا اجل الموت وأجل مسمى عنده اجل القيامة وقيل الاول ما بين الخلق والموت والثاني ما بين الموت والبعث
فان الاجل كما يطلق لآخر المدة يطلق لجملتها وقيل الاول النوم والثاني الموت وقيل الاول لمن مضى والثاني لمن بقي ولمن
يأتي وأجل نكرة خصصت بالصفة ولذلك استغنى عن تقديم الخبر والاستئناف به لتعظيمه ولذلك نكر ووصف بانه مسمى
اي مثبت معين لا يقبل التغيير واخبر عنه بانه عند الله لا مدخل لغيره فيه بعلم ولا قدرة ولانه المقصود بيانه ثم انتم
تمترون استبعاد لامترائهم بعد ما ثبت انه خالقهم وخالق اصولهم ومحييهم الى آجالهم فان من قدر على خلق المواد
وجمعها وابداع الحيوة فيها وابقائها ما يشاء كان اقدر على جمع تلك المواد واحيائها ثانيا فالآية الاولى دليل
التوحيد والثانية دليل البعث والامتراء الشك واصله المري وهو استخراج اللبن من الضرع وهو الله
الضمير لله والله خبره في السموات وفي الارض متعلق باسم الله والمعنى هو المستحق للعبادة فيهما لا غير كقوله وهو الذي
في السماء اله وفي الارض اله او بقوله يعلم سركم وجهركم والجملة خبر ثان او هي الخبر والله بدل ويكفي لصحة الظرفية
كون المعلوم فيهما كقولك رميت الصيد في الحرم اذا كنت خارجه والصيد فيه او ظرف مستقر وقع خبرا بمعنى انه
تعالى لكمال علمه بما فيهما كأنه فيهما ويعلم سركم وجهركم بيان وتقرير له وليس متعلق المصدر لان صلته لا تتقدم
ويعلم ما تكسبون من خير او شر فيثيب عليه ويعاقب ولعله اراد بالسر والجهر ما يخفى وما يظهر من احوال الانفس
وبالمكتسب اعمال الجوارح وما تأتيهم من آية من آيات ربهم من الاولى مزيدة للاستغراق والثانية
للتبعيض اي ما يظهر لهم دليل قط من الادلة او معجزة من المعجزات او آية من آيات القرآن الا كانوا عنها
معرضين تاركين للنظر فيه غير ملتفتين اليه فقد كذبوا بالحق لما جاءهم يعني القرآن وهو كاللازم لما قبله كأنه قيل انهم لما كانوا
عن الآيات كلها كذبوا به لما جاءهم او كالدليل عليه على معنى انهم لما اعرضوا عن القرآن وكذبوا به وهو اعظم الآيات

ذلك الهداية الى معرفته والعلم بتوحيده بنصب الادلة وانزال الكتب والامهال على الكفر ليجمعنكم الى يوم القيمة
استيناف وقسم للوعيد على اشراكهم واغفالهم النظر اى ليجمعنكم فى القبور مبعوثين الى يوم القيمة فيجازيكم على شرككم
او فى يوم القيمة والى بمعنى فى وقيل بدل من الرحمة بدل البعض فان من رحمته بعثه اياكم وانعامه عليكم لا ريب
فيه فى اليوم او الجمع الذين خسروا انفسهم بتضييع راس مالهم وهو الفطرة الاصلية والعقل السليم وموضع الذين نصب
على الذم او رفع على الخبر اى انتم الذين او على الابتداء والخبر فهم لا يؤمنون والفاء للدلالة على ان عدم ايمانهم مسبب
عن خسرانهم فان ابطال العقل باتباع الحواس والوهم والانهماك فى التقليد واغفال النظر ادى بهم الى الاصرار
على الكفر والامتناع عن الايمان وله عطف على لله ما سكن فى الليل والنهار من السكنى وتعديته بفى كما فى قوله
وسكنتم فى مساكن الذين ظلموا والمعنى ما اشتملا عليه او من السكون اى ما سكن فيهما وتحرك فاكتفى باحد الضدين
عن الآخر وهو السميع لكل مسموع العليم بكل معلوم فلا يخفى عليه شئ ويجوز ان يكون وعيدا للمشركين على اقوالهم
وافعالهم قل أغير الله اتخذ وليا انكار لاتخاذ غير الله تعالى وليا لا لاتخاذ الولى فلذلك قدم واولى الهمزة والمراد
بالولى المعبود لانه رد لمن دعاه الى الشرك فاطر السموات والارض مبدعهما وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما
ما عرفت معنى الفاطر حتى اتانى اعرابيان يختصمان فى بئر فقال احدهما انا فطرتها اى ابتدأتها وجره على الصفة لله
فانه بمعنى الماضى ولذلك قرئ فطر وقرئ بالرفع والنصب على المدح وهو يطعم ولا يطعم يرزق ولا يرزق وتخصيص الطعام
لشدة الحاجة اليه وقرئ ولا يطعم بفتح الياء وبعكس الاول على ان الضمير لغير الله تعالى والمعنى كيف اشرك بمن هو فاطر
السموات والارض ما هو نازل عن رتبة الحيوانية وببنائهما للفاعل على ان الثانى من اطعم بمعنى استطعم او على معنى
انه يطعم تارة ولا يطعم اخرى كقوله يقبض ويبسط قل انى امرت ان اكون اول من اسلم لان النبى سابق امته فى الدين
ولا تكونن من المشركين وقيل لى ولا تكونن ويجوز عطفه على قل قل انى اخاف ان عصيت ربى عذاب يوم عظيم مبالغة
اخرى فى قطع اطماعهم وتعريض لهم بانهم عصاة مستوجبون للعذاب والشرط معترض بين الفعل والمفعول به وجوابه
محذوف دل عليه الجملة من يصرف عنه يومئذ اى يصرف العذاب عنه وقرأ حمزة والكسائى ويعقوب وابو بكر عن عاصم
يصرف على ان الضمير فيه لله وقد قرئ باظهاره والمفعول به محذوف او يومئذ بحذف المضاف فقد رحمه نجاه وانعم
عليه وذلك الفوز المبين اى الصرف او الرحمة وان يمسسك الله بضر ببلية كمرض وفقر فلا كاشف له فلا قادر
على كشفه الا هو وان يمسسك بخير بنعمة كصحة وغنى فهو على كل شئ قدير فكان قادرا على حفظه وادامته فلا يقدر غيره
على دفعه كقوله فلا راد لفضله وهو القاهر فوق عباده تصوير لقهره وعلوه بالغلبة والقدرة وهو الحكيم فى امره وتدبيره
الخبير بالعباد وخفايا احوالهم قل اى شئ اكبر شهادة نزلت حين قالت قريش يا محمد لقد سالنا عنك اليهود والنصارى
فزعموا ان ليس لك عندهم ذكر ولا صفة فارنا من يشهد لك انك رسول الله والشئ يقع على كل موجود وقد سبق
القول فيه فى سورة البقرة قل الله اى الله اكبر شهادة ثم ابتدأ شهيد بينى وبينكم اى هو شهيد بينى وبينكم ويجوز ان يكون
الله شهيد هو الجواب لانه تعالى اذا كان هو الشهيد كان اكبر شئ شهادة واوحى الى هذا القرآن لانذركم به اى بالقرآن

لعيبهم ويحتمل ان تكون الجارة واذا لجاءوك في موضع الجر ويجادلونك حال ويقول تفسير له والاساطير الاباطيل جمع
اسطورة او اسطارة او اسطار جمع سطر واصله السطر بمعنى الخط وهم ينهون عنه اي ينهون الناس عن القرآن او الرسول
او الايمان به وينأون عنه بانفسهم او ينهون عن التعرض لرسول الله صلى الله عليه وسلم وينأون عنه فلا يؤمنون
به كابي طالب وان يهلكون وما يهلكون بذلك الا انفسهم وما يشعرون ان ضرره لا يتعداهم الى غيرهم ولو ترى
اذ وقفوا على النار جوابه محذوف اي لو تراهم حين يوقفون على النار حتى يعاينوها او يطلعون عليها او يدخلونها
فيعرفون مقدار عذابها لرأيت امرا شنيعا وقرئ وقفوا على البناء للفاعل من وقف عليه وقوفا فقالوا يا ليتنا نرد
تمنيا للرجوع الى الدنيا ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين استئناف كلام منهم على وجه الاثبات كقولهم
دعني ولا اعود اي وانا لا اعود تركتني او لم تتركني او عطف على نرد او حال من الضمير فيه فيكون في حكم التمني
وقوله وانهم لكاذبون راجع الى ما تضمنه التمني من الوعد ونصبهما حمزة ويعقوب وحفص على الجواب باضمار ان بعد الواو
اجراء لها مجرى الفاء وقرأ ابن عامر برفع الاول على العطف ونصب الثاني على الجواب بل بدا لهم ما كانوا يخفون من
قبل الاضراب عن ارادة الايمان المفهوم من التمني والمعنى انه ظهر لهم ما كانوا يخفون من نفاقهم او قبائح
اعمالهم فتمنوا ذلك ضجرا لا عزما على انهم لو ردوا لآمنوا ولو ردوا اي الى الدنيا بعد الوقوف والظهور لعادوا
لما نهوا عنه من الكفر والمعاصي وانهم لكاذبون فيما وعدوا من انفسهم وقالوا عطف على لعادوا او على انهم لكاذبون
او على نهوا او استئناف بذكر ما قالوه في الدنيا ان هي الا حياتنا الدنيا الضمير للحياة وما نحن بمبعوثين ولو ترى
اذ وقفوا على ربهم مجاز عن الحبس للسؤال والتوبيخ وقيل معناه وقفوا على قضاء ربهم او جزائه او عرفوه حق التعريف
قال أليس هذا بالحق كأنه جواب قائل قال ماذا قال ربهم حينئذ والهمزة للتقريع على التكذيب والاشارة الى البعث
وما يتبعه من الثواب والعقاب قالوا بلى وربنا اقرار مؤكد باليمين لانجلاء الامر غاية الجلاء قال فذوقوا العذاب بما كنتم
تكفرون بسبب كفركم او ببدله قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله اذ فاتهم النعيم واستوجبوا العذاب المقيم
ولقاء الله البعث وما يتبعه حتى اذا جاءتهم الساعة غاية لكذبوا لا لخسر لان خسرانهم لا غاية له بغتة
فجأة ونصبها على الحال او المصدر فانها نوع من المجيء قالوا يا حسرتنا تعالي فهذا اوانك على ما فرطنا قصرنا فيها
في الحياة الدنيا اضمرت وان لم يجر ذكرها للعلم بها او في الساعة يعني في شأنها والايمان بها وهم يحملون اوزارهم
على ظهورهم تمثيل لاستحقاقهم آصار الآثام الا ساء ما يزرون بئس شيئا يزرونه وزرهم وما الحياة الدنيا الا لعب ولهو
ما اعمالها الا لعب ولهو تلهي الناس وتشغلهم عما يعقب منفعة دائمة ولذة حقيقية وهو جواب لقولهم ان هي الا حياتنا الدنيا
وللدار الآخرة خير للذين يتقون لدوامها وخلوص منافعها ولذاتها وقوله للذين يتقون تنبيه على ان ما ليس
من اعمال المتقين لعب ولهو وقرأ ابن عامر ولدار الآخرة افلا تعقلون اي الامرين خير وقرأ نافع وابن عامر وحفص
عن عاصم ويعقوب بالتاء على خطاب المخاطبين به او تغليب الحاضرين على الغائبين قد نعلم انه ليحزنك الذي
يقولون معنى قد زيادة الفعل وكثرته كما في قوله ولكنه قد يهلك المال نائله والهاء في انه للشان فانهم

كذبوا بآياتنا صم لا يسمعون مثل هذه الآيات الدالة على ربوبيته وكمال علمه وعظم قدرته سماع تدبر فيتأثروا بها وبكم
لا ينطقون بالحق في الظلمات خبر ثالث أي خابطون في ظلمات الكفر أو في ظلمة الجهل وظلمة العناد وظلمة التقليد ويجوز
أن يكون حالا من المستكن في الخبر من يشأ الله يضلله من يشأ الله تعالى إضلاله يضلله وهو دليل واضح لنا على
المعتزلة ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم بأن يرشده إلى الهدى ويحمله عليه قل أرأيتكم استفهام تعجيب والكاف
حرف خطاب أكد به الضمير للتأكيد لا محل له من الإعراب لأنك تقول أرأيتك زيدا ما شأنه فلو جعلت الكاف مفعولا
كما قاله الكوفيون لعديت الفعل إلى ثلاثة مفاعيل وللزم في الآية أن يقال أرأيتموكم بل الفعل معلق أو المفعول
محذوف تقديره أرأيتكم آلهتكم تنفعكم أو تدعونها وقرأ نافع أرأيتكم وأرأيت وأرأيتم وأفرأيتم وأشباهها إذا كان قبل
الراء همزة بتسهيل الهمزة التي بعد الراء والكسائي يحذفها أصلا والباقون يحققونها وحمزة إذا وقف وافق نافعا إن أتاكم
عذاب الله كما أتى من قبلكم أو أتتكم الساعة وهولها ويدل عليه أغير الله تدعون وهو تبكيت لهم إن كنتم صادقين
أن الأصنام آلهة وجوابه محذوف أي فادعوه بل إياه تدعون بل تخصونه بالدعاء كما حكى عنهم في مواضع وتقديم المفعول
لإفادة التخصيص فيكشف ما تدعون إليه أي ما تدعونه إلى كشفه إن شاء أن يتفضل عليكم ولا يشاء في الآخرة وتنسون
ما تشركون وتتركون آلهتكم في ذلك الوقت لما ركز في العقول على أنه القادر على كشف الضر دون غيره أو وتنسونه
من شدة الأمر وهوله ولقد أرسلنا إلى أمم من قبلك أي قبلك ومن زائدة فأخذناهم أي فكفروا وكذبوا المرسلين
فأخذناهم بالبأساء بالشدة والفقر والضراء الضر والآفات وهما صيغتا تأنيث لا مذكر لهما لعلهم يتضرعون يتذللون
لنا ويتوبون عن ذنوبهم فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا معناه نفي تضرعهم في ذلك الوقت مع قيام ما يدعوهم
ولكن قست قلوبهم وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون استدراك على المعنى وبيان الصارف لهم عن التضرع وأنه لا مانع
لا قساوة قلوبهم وإعجابهم بأعمالهم التي زينها الشيطان لهم فلما نسوا ما ذكروا به من البأساء والضراء ولم يتعظوا به فتحنا عليهم
أبواب كل شيء من أنواع النعم مراوحة عليهم بين نوبتي الضراء والسراء وامتحانا لهم بالشدة والرخاء إلزاما
للحجة وإزاحة للعلة أو مكرا بهم لما روي أنه صلى الله عليه وسلم قال مكر بالقوم ورب الكعبة وقرأ ابن عامر فتحنا بالتشديد
في جميع القرآن ووافقه يعقوب فيما عدا هذا والذي في الأعراف حتى إذا فرحوا بما أوتوا من النعم ولم يزيدوا
على البطر والاشتغال بالنعم عن المنعم والقيام بحقه أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون متحسرون آيسون فقطع
دابر القوم الذين ظلموا أي آخرهم بحيث لم يبق منهم أحد من دبره دبرا ودبورا إذا تبعه والحمد لله رب العالمين
على إهلاكهم فإن هلاك الكفار والعصاة من حيث إنه تخليص لأهل الأرض من شؤم عقائدهم وأعمالهم نعمة
جليلة يحق أن يحمد عليها قل أرأيتم إن أخذ الله سمعكم وأبصاركم أصمكم وأعماكم وختم على قلوبكم بأن يغطي عليها
بما يزول به عقلكم وفهمكم من إله غير الله يأتيكم به أي بذلك أو بما أخذ وختم عليه أو بأحد هذه المذكورات انظر كيف نصرف
الآيات نكررها تارة من جهة المقدمات العقلية وتارة من جهة الترغيب والترهيب وتارة بالتنبيه والتذكير بأحوال المتقدمين ثم هم
يصدفون يعرضون عنها وثم لاستبعاد الإعراض بعد تصريف الآيات وظهورها قل أرأيتكم إن أتاكم عذاب

في امر الدين فقالوا اهؤلاء الضعفاء على اشراف قريش بالسبق الى الايمان ليقولوا اهؤلاء منّ الله عليهم من بيننا
اهؤلاء من انعم الله تعالى عليهم بالهداية والتوفيق لما يسعدهم دوننا ونحن الاكابر والرؤساء وهم المساكين والضعفاء
وهو انكار لان يخص هؤلاء من بينهم باصابة الحق والسبق الى الخير كقولهم لو كان خيرا ما سبقونا اليه واللام للعاقبة او للتعليل
على ان فتنا متضمن معنى خذلنا اليس الله باعلم بالشاكرين بمن يقع منه الايمان والشكر فيوفقه وبمن لا يقع منه فيخذله
واذا جاءك الذين يؤمنون باياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة الذين يؤمنون هم الذين يدعون
ربهم وصفهم بالايمان بالقران واتباع الحجج بعدما وصفهم بالمواظبة على العبادة وامره بان يبدأ بالتسليم او يبلغ
سلام الله تعالى اليهم ويبشرهم بسعة رحمة الله تعالى وفضله بعد النهي عن طردهم ايذانا بانهم الجامعون لفضيلتي
العلم والعمل ومن كان كذلك ينبغي ان يقرب ولا يطرد ويعز ولا يذل ويبشر من الله تعالى بالسلامة في الدنيا والرحمة
في الاخرة وقيل ان قوما جاؤا الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقالوا انا اصبنا ذنوبا عظاما فلم يرد عليهم شيئا فانصرفوا
فنزلت انه من عمل منكم سوءا استئناف بتفسير الرحمة وقرأ نافع وابن عامر وعاصم ويعقوب بالفتح على البدل
منها بجهالة في موضع الحال اي من عمل ذنبا جاهلا بحقيقة ما يتبعه من المضار والمفاسد كعمر رضي الله تعالى
عنه فيما اشار اليه او متلبسا بفعل الجهالة فان ارتكاب ما يؤدي الى الضرر من افعال اهل السفه والجهل
ثم تاب من بعده بعد العمل او السوء واصلح بالتدارك والعزم على ان لا يعود اليه فانه غفور رحيم فتحه
من فتح الاول غير نافع على اضمار مبتدأ او خبر اي فامره او فله غفرانه وكذلك ومثل ذلك التفصيل الواضح نفصل الايات
ايات القران في صفة المطيعين والمجرمين المصرين منهم والاوابين ولتستبين سبيل المجرمين قرأ نافع بالتاء ونصب
السبيل على معنى ولتستوضح يا محمد سبيلهم فتعامل كلا منهم بما يحق له فصلنا هذا التفصيل وابن كثير وابن عامر
وابو عمرو ويعقوب وحفص عن عاصم برفعه على معنى ولتتبين سبيلهم والباقون بالياء والرفع على تذكير السبيل
فانه مذكر ويؤنث ويجوز ان يعطف على علة مقدرة اي لنفصل الايات ليظهر الحق وليستبين قل اني نهيت صرفت
وزجرت بما نصب لي من الادلة وانزل علي من الايات في امر التوحيد ان اعبد الذين تدعون من دون الله عن
عبادة ما تعبدون من دون الله تعالى او ما تدعونها الهة اي تسمونها قل لا اتبع اهواءكم تاكيد لقطع اطماعهم
واشارة الى الموجب للنهي وعلة الامتناع عن متابعتهم واستجهال لهم وبيان لمبدأ ضلالهم وان ما هم عليه هوى
وليس بهدى وتنبيه لمن تحرى الحق على ان يتبع الحجة ولا يقلد قد ضللت اذا اي ان اتبعت اهواءكم فقد ضللت
وما انا من المهتدين اي في شيء من الهدى حتى اكون من عدادهم وفيه تعريض بانهم كذلك قل اني على بينة تنبيه على
اتباعه بعد ما بين ما لا يجوز اتباعه والبينة الدلالة الواضحة التي تفصل الحق من الباطل وقيل المراد بها القران والوحي او الحجج
العقلية او ما يعمها من ربي من معرفته وانه لا معبود سواه ويجوز ان يكون صفة لبينة وكذبتم به الضمير لربي اي كذبتم به حيث
اشركتم به غيره او للبينة باعتبار المعنى ما عندي ما تستعجلون به يعني العذاب الذي استعجلوه بقولهم فامطر علينا حجارة
من السماء او ائتنا بعذاب اليم ان الحكم الا لله في تعجيل العذاب وتاخيره يقص الحق اي القضاء الحق او يصنع

بكسر الخاء الخفية من هذه لنكونن من الشاكرين على إرادة القول أي تقولون لئن أنجيتنا وقرأ الكوفيون لئن
أنجانا ليوافق قوله يدعونه وهذه إشارة إلى الظلمة قل الله ينجيكم منها شدده الكوفيون وهشام وخففه الباقون ومن كل
كرب غم سواها ثم أنتم تشركون تعودون إلى الشرك ولا توفون بالعهد وإنما وضع تشركون موضع لا تشكرون تنبيها على
أن من أشرك في عبادة الله فكأنه لم يعبده رأسا قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم كما فعل بقوم
نوح ولوط وأصحاب الفيل أو من تحت أرجلكم كما أغرق فرعون وخسف بقارون وقيل من فوقكم أكابركم وحكامكم
ومن تحت أرجلكم سفلتكم وعبيدكم أو يلبسكم يخلطكم شيعا فرقا متحزبين على أهواء شتى فينشب القتال بينكم
وكل شيعة لشيعتها مكتبة حتى إذا التبس نصب شيعا ويذيق بعضكم بأس بعض يقاتل بعضكم بعضا
انظر كيف نصرف الآيات بالوعد والوعيد لعلهم يفقهون وكذب به قومك أي بالعذاب أو بالقرآن وهو الحق الواقع
لا محالة أو الصدق قل لست عليكم بوكيل بحفيظ وكل إلي أمركم فأمنعكم من التكذيب أو أجازيكم إنما أنا منذر والله الحفيظ لكل نبأ
خبر يريد به إما العذاب أو الإيعاد به مستقر وقت استقرار ووقوع وسوف تعلمون عند وقوعه في الدنيا أو في الآخرة وإذا
رأيت الذين يخوضون في آياتنا بالتكذيب والاستهزاء بها والطعن فيها فأعرض عنهم فلا تجالسهم وقم عنهم حتى
يخوضوا في حديث غيره أعاد الضمير على معنى الآيات لأنها القرآن وإما ينسينك الشيطان بأن يشغلك بوسوسته حتى
تنسى النهي وقرأ ابن عامر ينسينك بالتشديد فلا تقعد بعد الذكرى بعد أن تذكره مع القوم الظالمين أي معهم فوضع
الظاهر موضعه دلالة على أنهم ظلموا بوضع التكذيب والاستهزاء موضع التصديق والاستعظام وما على الذين
يتقون وما يلزم المتقين من قبائح أعمالهم وأقوالهم الذين يجالسونهم من حسابهم من شيء مما يحاسبون
عليه ولكن ذكرى ولكن عليهم أن يذكروهم ذكرى ويمنعوهم عن الخوض وغيره من القبائح ويظهروا كراهتها ويحتمل
على المصدر والرفع على ولكن عليهم ذكرى ولا يجوز عطفه على محل من شيء لأن من حسابهم يأباه ولا على شيء لذلك
ولأن من لا تزاد بعد الإثبات لعلهم يتقون يجتنبون ذلك حياء أو كراهة لمساءتهم ويحتمل أن يكون الضمير للذين
يتقون والمعنى لعلهم يثبتون على تقواهم ولا تنثلم بمجالستهم روي أن المسلمين قالوا لئن كنا نقوم كلما استهزؤوا
بالقرآن لم نستطع أن نجلس في المسجد ونطوف فنزلت وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا أي بنوا أمر دينهم على
التشهي وتدينوا بما لا يعود عليهم بنفع عاجلا وآجلا كعبادة الصنم وتحريم البحائر والسوائب أو اتخذوا دينهم الذي
كلفوه لعبا ولهوا حيث سخروا به أو جعلوا عيدهم الذي جعل ميقات عبادتهم زمان لهو ولعب والمعنى أعرض عنهم ولا تبال
بأفعالهم وأقوالهم ويجوز أن يكون تهديدا لهم كقوله ذرني ومن خلقت وحيدا ومن جعله منسوخا بآية السيف حمله
على الأمر بالكف عنهم وترك التعرض لهم وغرتهم الحياة الدنيا حتى أنكروا البعث وذكر به أي بالقرآن أن تبسل نفس
بما كسبت مخافة أن تسلم إلى الهلاك وترهن بسوء عملها وأصل الإبسال والبسل المنع ومنه أسد باسل لأن فريسته
لا تفلت منه والباسل الشجاع لامتناعه من قرنه وهذا بسل عليك أي حرام ليس لها من دون الله ولي ولا شفيع يدفع عنها
العذاب وإن تعدل كل عدل وإن تفد كل فداء والعدل الفدية لأنها تعادل المفدى وههنا الفداء

٢٥٨

مَلَكُوتَ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ ربوبيتها وملكها وقيل عجائبها وبدائعها والملكوت اعظم الملك والتاء فيه للمبالغة
وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ اي ليستدل وليكون او وفعلنا ذلك ليكون فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَىٰ كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي
تفصيل وبيان لذلك وقيل عطف على قال ابراهيم وكذلك نري ابراهيم اعتراض فان اباه وقومه كانوا يعبدون الاصنام
والكواكب فاراد ان ينبههم على ضلالتهم ويرشدهم الى الحق من طريق النظر والاستدلال وجن عليه الليل ستره بظلامه والكوكب
كان الزهرة وقيل المشتري وقوله هذا ربي على سبيل الوضع فان المستدل على فساد قول يحكيه على ما يقوله الخصم ثم يكر
عليه بالافساد او على وجه النظر والاستدلال وانما قاله زمان مراهقته او اول اوان بلوغه فَلَمَّا أَفَلَ اي غاب قَالَ لَا أُحِبُّ
الْآفِلِينَ فضلا عن عبادتهم فان الانتقال والاحتجاب بالاستتار يقتضي الامكان والحدوث وينافي الالوهية فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ
بَازِغًا مبتدئا في الطلوع قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ استعجز نفسه واستعان
بربه في درك الحق فانه لا يهتدي اليه الا بتوفيقه ارشادا لقومه وتنبيها لهم على ان القمر ايضا لتغير حاله لا يصلح
للالوهية وان من اتخذه الها فهو ضال فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي ذكر اسم الاشارة لتذكير الخبر وصيانة للرب
عن شبهة التأنيث هَٰذَا أَكْبَرُ كبره استدلالا او اظهارا لشبهة الخصم فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ من الاجرام
المحدثة المحتاجة الى محدث يحدثها ومخصص يخصصها بما تختص به ثم لما تبرأ منها توجه الى موجدها ومبدعها الذي دلت هذه الممكنات عليه
فقال إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ وانما احتج بالافول دون البزوغ مع انه
ايضا انتقال لتعدد دلالته ولانه رأى الكوكب الذي يعبدونه في وسط السماء حين حاول الاستدلال وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ و
خاصموه في التوحيد قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ في وحدانيته وقرأ نافع وابن عامر بتخفيف النون وَقَدْ هَدَانِ الى التوحيد
وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ اي لا اخاف معبوداتكم في وقت لانها لا تضر بنفسها ولا تنفع إِلَّا أَن يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا ان يصيبني
من جهتها ولعله جواب لتخويفهم اياه عن آلهتهم وتهديد لهم بعذاب الله تعالى وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا كأنه علة الاستثناء اي احاط به
علما فلا يبعد ان يكون في علمه ان يحيق بي مكروه من جهتها أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ فتميزوا بين الصحيح والفاسد والقادر
والعاجز وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ ولا يتعلق به ضر وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللَّهِ وهو حقيق بان يخاف منه كل
الخوف لانه اشراك للمصنوع بالصانع وتسوية بين المقدور العاجز بالقادر الصانع الضار النافع مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ
سُلْطَانًا ما لم ينزل باشراكه كتابا او لم ينصب عليه دليلا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ اي الموحدون او المشركون
وانما لم يقل اينا انا ام انتم احترازا من تزكية نفسه إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ما يحق ان يخاف منه الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا
إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ استئناف منه او من الله تعالى بالجواب عما استفهم عنه والمراد بالظلم هاهنا الشرك
لما روي ان الآية لما نزلت شق ذلك على الصحابة رضي الله تعالى عنهم وقالوا اينا لم يظلم نفسه فقال صلى الله عليه وسلم ليس ما تظنون
انما هو ما قال لقمان لابنه يا بني لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم وليس الايمان به ان يصدق بوجود الصانع الحكيم ويخلط
بهذا التصديق الاشراك به وقيل المعصية وَتِلْكَ اشارة الى ما احتج به ابراهيم عليه السلام على قومه من قوله فلا احب
الآفلين الى قوله وهم مهتدون او من قوله أتحاجوني الى هنا حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ ارشدناه اليها وعلمناه اياها

بالامر بالاقتداء بهم فيه ان هو اى التبليغ او القران او الغرض الا ذكرى للعالمين الا تذكير وعظة لهم وما قدروا الله
حق قدره وما عرفوه حق معرفته فى الرحمة والانعام على العباد اذ قالوا ما انزل الله على بشر من شىء حين انكروا الوحى
وبعثة الرسل وذلك من عظائم رحمته وجلائل نعمته او فى السخط على الكفار وشدة البطش بهم حين جسروا على
المقالة والقائلون هم اليهود قالوا ذلك مبالغة فى انكار انزال القران بدليل نقض كلامهم بقوله قل من انزل
الكتاب الذى جاء به موسى نورا وهدى للناس وقراءة الجمهور تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا اى
وقراها بالياء ابن كثير وابو عمرو حملا على قالوا وما قدروا وتضمن ذلك توبيخهم على سوء حملهم للتورية وذمهم على تجزئتها
بابداء بعض انتخبوه وكتبوه فى ورقات متفرقة واخفاء بعض لا يشتهونه روى ان مالك بن الصيف قال لما اغضبه
الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله انشدك بالذى انزل التورية على موسى هل تجد فيها ان الله تعالى يبغض الحبر السمين فانت الحبر
السمين وقيل هم المشركون والزامهم بانزال التورية لانه كان من المشهورات الذائعة عندهم ولذلك كانوا يقولون
لو انا انزل علينا الكتاب لكنا اهدى منهم وعلمتم على لسان محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ما لم تعلموا انتم ولا آباؤكم زيادة
على ما فى التورية وبيانا لما التبس عليكم وعلى آبائكم الذين كانوا اعلم منكم ونظيره ان هذا القران يقص على بنى اسرائيل
اكثر الذى هم فيه يختلفون وقيل الخطاب لمن آمن من قريش قل الله اى انزله الله تعالى او الله تعالى انزله امره بان
يجيب عنهم اشعارا بان الجواب متعين لا يمكن غيره وتنبيها على انهم بهتوا بحيث لا يقدرون على الجواب ثم ذرهم فى
خوضهم فى اباطيلهم فلا عليك بعد التبليغ والزام الحجة يلعبون حال من هم الاول والظرف صلة ذرهم او يلعبون او حال من
مفعوله او فاعل يلعبون او من هم الثانى والظرف متصل بالاول وهذا كتاب انزلناه مبارك كثير الفائدة والنفع مصدق
الذى بين يديه يعنى التورية او الكتب التى قبله ولتنذر ام القرى عطف على ما دل عليه مبارك اى للبركات ولتنذر او علة
محذوف اى ولتنذر اهل ام القرى انزلناه وانما سميت مكة بذلك لانها قبلة اهل القرى ومحجهم ومجتمعهم و
اعظم القرى شانا وقيل لان الارض دحيت من تحتها او لانها مكان اول بيت وضع للناس وقرا ابو بكر عن عاصم
بالياء اى لينذر الكتاب ومن حولها اهل الشرق والغرب والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به وهم على صلاتهم يحافظون
فان من صدق بالآخرة خاف العاقبة ولا يزال الخوف يحمله على النظر والتدبر حتى يؤمن بالنبى والكتاب والضمير يحتملهما
ويحافظ على الطاعة وتخصيص الصلوة لانها عماد الدين وعلم الايمان ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا فزعم انه بعثه
نبيا كمسيلمة والاسود العنسى او اختلق عليه احكاما كعمرو بن لحى ومتابعيه او قال اوحى الى ولم يوح اليه شىء كعبد الله
بن سعد بن ابى سرح كان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم فلما نزلت ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين
فلما بلغ قوله ثم انشاناه خلقا آخر قال عبد الله تبارك الله احسن الخالقين تعجبا من تفصيل خلق الانسان فقال صلى الله
تعالى عليه وسلم اكتبها فكذلك نزلت فشك عبد الله وقال لئن كان محمد صادقا لقد اوحى الى كما اوحى اليه ولئن كان كاذبا
لقد قلت كما قال ومن قال سانزل مثل ما انزل الله كالذين قالوا لو نشاء لقلنا مثل هذا ولو ترى اذ الظالمون
حذف مفعوله لدلالة الظرف عليه اى ولو ترى الظالمين فى غمرات الموت شدائده من غمره الماء اذا غشيه والملائكة

والبحر فتنة الى البر والبحر للملابسة او في مشتبهات الطرق وسماها ظلمات على الاستعارة وهو افراد لبعض منافعها بالذكر بعد ما اجملها

بقوله لكم قد فصلنا الآيات بيناها فصلا فصلا لقوم يعلمون فانهم المنتفعون به وهو الذي انشأكم

من نفس واحدة وهو آدم عليه السلام فمستقر ومستودع اي فلكم استقرار في الاصلاب او فوق الارض واستيداع في الارحام او

تحت الارض او موضع استقرار واستيداع وقرأ ابن كثير والبصريان بكسر القاف على انه اسم فاعل والمستودع اسم

مفعول اي فمنكم قار ومنكم مستودع لان الاستقرار منا دون الاستيداع قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون

ذكر مع ذكر النجوم يعلمون لان امرها ظاهر ومع ذكر تخليق بني آدم يفقهون لان انشاءهم من نفس واحدة وتصريفهم بين

احوال مختلفة دقيق غامض يحتاج الى استعمال فطنة وتدقيق نظر وهو الذي انزل من السماء ماء من السحاب او من جانب

السماء فاخرجنا على تلوين الخطاب به بالماء نبات كل شيء نبت كل صنف من النبات والمعنى اظهار القدرة في انبات

الانواع المفتنة بماء واحد كما في قوله تعالى يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل فاخرجنا منه من النبات او الماء خضرا

شيئا اخضر يقال اخضر وخضر كاعور وعور وهو الخارج من الحبة المتشعب نخرج منه من الخضر حبا متراكبا

وهو السنبلة ومن النخل من طلعها قنوان اي واخرجنا من النخل نخلا من طلعها قنوان او من النخل شيء من طلعها قنوان

ويجوز ان يكون من النخل خبر قنوان ومن طلعها بدل منه والمعنى وحاصلة من طلع النخل قنوان وهو الاعذاق جمع

قنو كصنوان جمع صنو وقرئ بضم القاف كذئب وذؤبان وبفتحها على انه اسم جمع اذ ليس فعلان من ابنية الجمع دانية

قريبة من المتناول او ملتفة قريب بعضها من بعض وانما اقتصر على ذكرها عن مقابلها لدلالتها عليه وزيادة النعمة فيها

وجنات من اعناب عطف على نبات كل شيء وقرئ بالرفع على الابتداء اي ولكم او ثم جنات او من الكرم جنات ولا يجوز

عطفه على قنوان اذ العنب لا يخرج من النخل والزيتون والرمان ايضا عطف على نبات او نصب على الاختصاص لعزة

هذين الصنفين عندهم مشتبها وغير متشابه حال من الرمان او من الجميع اي بعض ذلك متشابه وبعضه غير

متشابه في الهيئة والقدر واللون والطعم انظروا الى ثمره اي ثمر كل واحد من ذلك وقرأ حمزة والكسائي بضم الثاء وهو جمع

ثمرة كخشبة وخشب او ثمار ككتاب وكتب اذا اثمر اذا اخرج ثمره كيف يثمر ضئيلا لا يكاد ينتفع به وينعه والى حال نضجه او الى

نضيجه كيف يعود ضخما ذا نفع ولذة وهو في الاصل مصدر ينعت الثمرة اذا ادركت وقيل جمع يانع كتاجر وتجر

وقرئ بالضم وهو لغة فيه ويانعه ان في ذلكم لآيات لقوم يؤمنون اي لآيات دالة على وجود القادر الحكيم وتوحيده

فان حدوث الاجناس المختلفة والانواع المفتنة من اصل واحد ونقلها من حال الى حال لا يكون الا باحداث قادر

يعلم تفاصيلها ويرجح ما تقتضيه حكمته مما يمكن من احوالها ولا يعوقه عن فعله ند يعارضه او ضد يعانده ولذلك

عقبه بتوبيخ من اشرك به والرد عليه فقال وجعلوا لله شركاء الجن اي الملائكة بان عبدوهم وقالوا الملائكة بنات

الله وسماهم جنا لاجتنانهم تحقيرا لشأنهم او الشياطين لانهم اطاعوهم كما يطاع الله تعالى او عبدوا الاوثان بتسويلهم

وتحريضهم او قالوا الله خالق الخير وكل نافع والشيطان خالق الشر وكل ضار كما هو رأي الثنوية ومفعولا جعلوا لله

شركاء والجن بدل من شركاء او شركاء الجن ولله متعلق بشركاء او حال منه وقرئ الجن بالرفع كانه قيل من هم فقيل الجن وبالجر

وقرئ دَرُسَت بضم الراء مبالغة في دَرَسَت ودُرِسَت على البناء للمفعول بمعنى قرئت او عُفِيَت ودارسَت بمعنى درست

ودارسات اي قديمات او ذوات درس كقوله عيشة راضية ولنبيّنه اللام على الاصل لان التبيين مقصود

التصريف والضمير للآيات باعتبار المعنى او للقرآن وان لم يذكر لكونه معلوما او للمصدر لقوم يعلمون فانهم المنتفعون

به اتّبع ما اوحي اليك من ربك بالتديّن به لا اله الا هو اعتراض اكّد به ايجاب الاتباع او حال مؤكدة من ربك بمعنى

منفردا في الالوهية واعرض عن المشركين ولا تحتفل باقوالهم ولا تلتفت الى رأيهم ومن جعله منسوخا بآية السيف

حمل الاعراض على ما يعمّ الكف عنهم ولو شاء الله توحيدهم وعدم اشراكهم ما اشركوا وهو دليل على انه تعالى لا يريد ايمان الكافر وان

مراده واجب الوقوع وما جعلناك عليهم حفيظا رقيبا وما انت عليهم بوكيل تقوم بامورهم ولا تسبّوا الذين يدعون من دون الله

اي ولا تذكروا آلهتهم التي يعبدونها بما فيها من القبائح فيسبّوا الله عدوا تجاوزا عن الحق الى الباطل بغير علم على جهالة

بالله تعالى وبما يجب ان يذكر به وقرأ يعقوب عُدُوّا يقال عدا فلان عَدْوا وعُدُوّا وعِداء وعُدوانا روي انه صلى الله تعالى عليه وسلم

كان يطعن في آلهتهم فقالوا لتنتهينّ عن سبّ آلهتنا او لنهجونّ الهك فنزلت وقيل كان المسلمون يسبّونها فنهوا

لئلا يكون سبّهم سببا لسبّ الله تعالى وفيه دليل على ان الطاعة اذا ادّت الى معصية راجحة وجب تركها فان ما يؤدي الى الشر شر كذلك

زيّنّا لكل امة عملهم من الخير والشر باحداث ما يمكّنهم منه ويحملهم عليه توفيقا وتخذيلا ويجوز تخصيص العمل بالشر وكل امة

بالكفرة لان الكلام فيهم والمشبّه به تزيين سبّ الله تعالى لهم ثم الى ربهم مرجعهم فينبّئهم بما كانوا يعملون بالمحاسبة

والمجازاة عليه واقسموا بالله جهد ايمانهم مصدر في موقع الحال والداعي لهم الى هذا القسم والتأكيد فيه التحكم على الرسول صلى الله

عليه وسلم في طلب الآيات واستحقار ما رأوا منها لئن جاءتهم آية من مقترحاتهم ليؤمننّ بها قل انما الآيات عند الله

هو قادر عليها يظهر منها ما يشاء وليس شيء منها بقدرتي وارادتي وما يشعركم وما يدريكم استفهام انكار انها اي الآية المقترحة اذا جاءت

لا يؤمنون اي لا تدرون انهم لا يؤمنون انكر السبب مبالغة في نفي المسبّب وفيه تنبيه على انه تعالى انما لم ينزلها لعلمه

بانها اذا جاءت لا يؤمنون بها وقيل لا مزيدة وقيل انّ بمعنى لعلّ اذ قرئ لعلها وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابو بكر عن عاصم

ويعقوب انها بالكسر كانه قال وما يشعركم ما يكون منهم ثم اخبرهم بما علم منهم والخطاب للمؤمنين فانهم يتمنّون مجيء الآية طمعا في

ايمانهم فنزلت وقيل للمشركين اذ قرأ ابن عامر وحمزة لا تؤمنون بالتاء وقرئ وما يشعرهم انها اذا جاءتهم فيكون انكارا لهم على حلفهم اي وما

يشعرهم ان قلوبهم حينئذ لم تكن مطبوعة كما كانت عند نزول القرآن وغيره من الآيات فيؤمنون بها ونقلّب افئدتهم وابصارهم

عطف على لا يؤمنون اي وما يشعركم انا حينئذ نقلّب افئدتهم عن الحق فلا يفقهونه وابصارهم فلا يبصرونه فلا يؤمنون بها كما لم

يؤمنوا به اي بما انزل من الآيات اول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون وندعهم متحيّرين لا نهديهم هداية المؤمنين وقرئ

ويقلّب ويذرهم على الغيبة وتُقلّب على البناء للمفعول والاسناد الى الافئدة **ولو اننا نزّلنا اليهم الملائكة**

وكلّمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا كما اقترحوا فقالوا لولا انزل علينا الملائكة فأتوا بآبائنا او تأتي بالله

والملائكة قبيلا وقُبُلا جمع قبيل بمعنى كفيل اي كفلاء بما بشّروا به وانذروا به او جمع قبيل الذي هو جمع قبيلة بمعنى جماعات

الهوى وقيل الارض مكة يضلوك عن سبيل الله عن الطريق الموصل اليه لأن الضال في غالب الأمر لا يأمر الا بما عليه

إن يتبعون إلا الظن وهو ظنهم ان اباءهم كانوا على الحق او جهالاتهم وآراؤهم الفاسدة فان الظن يطلق على ما يقابل العلم

وان هم الا يخرصون يكذبون على الله تعالى فيما ينسبون اليه كاتخاذ الولد وجعل عبادة الاوثان وصلة اليه وتحليل الميتة

وتحريم البحائر او يقدرون انهم على شيء وحقيقته ما يقال عن ظن وتخمين ان ربك هو اعلم من يضل عن سبيله وهو اعلم

بالمهتدين اي اعلم بالفريقين ومن موصولة او موصوفة في محل النصب بفعل دل عليه اعلم لا به فان افعل لا ينصب

الظاهر في مثل ذلك او استفهامية مرفوعة بالابتداء والخبر يضل والجملة معلق عنها الفعل المقدر وقرئ من يضل اي يضله

الله فيكون من منصوبة ايضا بالفعل المقدر او مجرورة باضافة اعلم اليه اي اعلم المضلين من قوله من يضلل الله او من

اضللته اذا وجدته ضالا والتفضيل في العلم بكثرته واحاطته بالوجوه التي يمكن تعلق العلم بها ولزومه وكونه بالذات

لا بالغير فكلوا مما ذكر اسم الله عليه مسبب عن انكار اتباع المضلين الذين يحرمون الحلال ويحلون الحرام والمعنى كلوا مما ذكر

اسم الله على ذبحه لا مما ذكر عليه اسم غيره او مات حتف انفه ان كنتم بآياته مؤمنين فان الايمان بها يقتضي استباحة ما احله الله

واجتناب ما حرمه وما لكم الا تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه واي غرض لكم في ان تتحرجوا عن اكله وما يمنعكم عنه وقد فصل لكم

ما حرم عليكم مما لم يحرم بقوله حرمت عليكم الميتة وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابن عامر فصل على البناء للمفعول ونافع ويعقوب

وحفص حرم على البناء للفاعل الا ما اضطررتم اليه مما حرم عليكم فانه ايضا حلال حال الضرورة وان كثيرا ليضلون بتحليل الحرام

وتحريم الحلال قرأه الكوفيون بضم الياء والباقون بالفتح بأهوائهم بغير علم بتشهيهم من غير تعلق بدليل يفيد العلم ان

ربك هو اعلم بالمعتدين بالمتجاوزين الحق الى الباطل والحلال الى الحرام وذروا ظاهر الاثم وباطنه ما يعلن وما يسر او ما بالجوارح

وما بالقلب وقيل الزنا في الحوانيت واتخاذ الاخدان ان الذين يكسبون الاثم سيجزون بما كانوا يقترفون يكسبون ولا تأكلوا

مما لم يذكر اسم الله عليه ظاهر في تحريم متروك التسمية عمدا او نسيانا واليه ذهب داود وعن احمد مثله وقال مالك والشافعي

رحمهم الله تعالى بخلافه لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم ذبيحة المسلم حلال وان لم يذكر اسم الله تعالى عليه وفرق ابو حنيفة رضي الله

تعالى عنه بين العمد والنسيان واوله بالميتة او بما ذكر اسم غير الله تعالى عليه لقوله وانه لفسق فان الفسق ما اهل لغير الله

به والضمير لما ويجوز ان يكون للاكل الذي دل عليه لا تأكلوا وان الشياطين ليوحون ليوسوسون الى اوليائهم من

الكفار ليجادلوكم بقولهم تأكلون ما قتلتم انتم وجوارحكم وتدعون ما قتله الله تعالى وهو يؤيد التأويل بالميتة وان

اطعتموهم في استحلال ما حرم انكم لمشركون فان من ترك طاعة الله تعالى الى طاعة غيره واتبعه في دينه فقد اشرك وانما

حسن حذف الفاء فيه لأن الشرط بلفظ الماضي او من كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس مثل من هداه الله و

انقذه من الضلال وجعل له نور الحجج والآيات يتأمل بها في الاشياء فيميز بين الحق والباطل والمحق والمبطل وقرأ نافع ويعقوب

ميتا على الاصل كمن مثله صفته وهو مبتدأ خبره في الظلمات وقوله ليس بخارج منها حال من المستكن في الظرف

لا من الهاء في مثله للفصل وهو مثل لمن بقي على الضلالة لا يفارقها بحال كذلك كما زين للمؤمن ايمانه زين للكافرين ما كانوا

يعملون والآية نزلت في حمزة وابي جهل وقيل في عمر او عمار وابي جهل وكذلك جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها ليمكروا فيها اي

بعضنا ببعض اي انتفع الانس بالجن بان دلوهم على الشهوات وما يتوصل به اليها والجن بالانس بان اطاعوهم وحصلوا مرادهم وقيل
استمتاع الانس بهم انهم كانوا يعوذون بهم في المفاوز وعند المخاوف واستمتاعهم بالانس اعترافهم بانهم يقدرون على اجارتهم
وبلغنا اجلنا الذي اجلت لنا اي البعث وهو اعتراف بما فعلوا من طاعة الشيطان واتباع الهوى وتكذيب البعث وتحسر
على حالهم قال النار مثواكم منزلكم او ذات مثواكم خالدين فيها حال والعامل فيها مثواكم ان جعل مصدرا ومعنى
الاضافة ان جعل مكانا الا ما شاء الله الا الاوقات التي ينقلون فيها من النار الى الزمهرير وقيل الا ما شاء الله قبل الدخول كانه
قيل النار مثواكم ابدا الا ما امهلكم ان ربك حكيم في افعاله عليم باعمال الثقلين واحوالهم وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا
نكل بعضهم الى بعض او نجعل بعضهم يتولى بعضا فيغويهم او اولياء بعض وقرناءهم في العذاب كما كانوا في الدنيا بما كانوا يكسبون
من الكفر والمعاصي يا معشر الجن والانس الم يأتكم رسل منكم الرسل من الانس خاصة لكن لما جمعوا مع الجن في الخطاب
صح ذلك ونظيره يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان والمرجان يخرج من الملح دون العذب وتعلق بظاهره قوم وقالوا بعث الى كل
من الثقلين رسل من جنسهم وقيل الرسل من الجن رسل الرسل اليهم لقوله ولوا الى قومهم منذرين يقصون عليكم آياتي
وينذرونكم لقاء يومكم هذا يعني يوم القيامة قالوا شهدنا على انفسنا بالجرم والعصيان وهو اعتراف منهم بالكفر واستيجاب
العذاب وغرتهم الحياة الدنيا وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين ذم لهم على سوء نظرهم وخطأ رأيهم فانهم اغتروا بالحياة الدنيا
واللذات المخدجة واعرضوا عن الآخرة بالكلية حتى كان عاقبة امرهم ان اضطروا الى الشهادة على انفسهم بالكفر والاستسلام
للعذاب المخلد تحذيرا للسامعين من مثل حالهم ذلك اشارة الى ارسال الرسل وهو خبر مبتدأ محذوف اي الامر ذلك ان لم يكن
ربك مهلك القرى بظلم واهلها غافلون تعليل للحكم وان مصدرية او مخففة من الثقيلة اي الامر ذلك لانتفاء كون ربك او
لان الشأن لم يكن ربك مهلك اهل القرى بسبب ظلم فعلوه او ملتبسين بظلم او ظالما وهم غافلون لم ينبهوا برسول او بدل من
ذلك ولكل من المكلفين درجات مراتب مما عملوا من اعمالهم او من جزائها او من اجلها وما ربك بغافل عما يعملون فيخفى عليه عمل
او قدر ما يستحق به من ثواب او عقاب وقرأ ابن عامر بالتاء على تغليب الخطاب على الغيبة وربك الغني عن العباد والعبادة ذو الرحمة
يترحم عليهم بالتكليف تكميلا لهم ويمهلهم على المعاصي وفيه تنبيه على ان ما سبق ذكره من الارسال ليس لنفعه بل لترحمه على العباد
وتأسيس لما بعده وهو قوله ان يشأ يذهبكم اي ما به اليكم حاجة ان يشأ يذهبكم ايها العصاة ويستخلف من بعدكم ما يشاء
من الخلق كما انشأكم من ذرية قوم آخرين اي قرنا بعد قرن لكنه ابقاكم ترحما عليكم ان ما توعدون من البعث واحواله
لآت لا محالة وما انتم بمعجزين طالبكم به قل يا قوم اعملوا على مكانتكم على غاية تمكنكم واستطاعتكم يقال مكن مكانة
اذا تمكن ابلغ التمكن او على ناحيتكم وجهتكم التي انتم عليها من قولهم مكان ومكانة كمقام ومقامة وقرأ ابو بكر عن عاصم مكاناتكم
بالجمع في كل القرآن وهو امر تهديد والمعنى اثبتوا على كفركم وعداوتكم اني عامل ما كنت عليه من المصابرة والثبات على الاسلام
والتهديد بصيغة الامر مبالغة في الوعيد كأن المهدد يريد تعذيبه مجمعا عليه فيحمله بالامر على ما يفضي به اليه وتسجيل
بان المهدد لا يتأتى منه الا الشر كالمأمور به الذي لا يقدر ان يتفصى عنه فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار انا ان جعل من استفهامية بمعنى
اينا تكون له عاقبة الحسنى التي خلق الله لها هذه الدار فمحلها الرفع وفعل العلم معلق عنه وان جعلت خبرية فالنصب

ما اتهم لذكروا كاتي تعيب الذكر سيجزيهم وصفهم اي جزاء وصفهم الكذب على الله تعالى في التحريم والتحليل من قوله وتصف ألسنتهم
الكذب انه حكيم عليم قد خسر الذين قتلوا اولادهم يريد بهم العرب الذين كانوا يقتلون بناتهم مخافة السبي والفقر
وقرأ ابن كثير وابن عامر قتّلوا بالتشديد بمعنى التكثير سفها بغير علم لخفة عقلهم وجهلهم بان الله تعالى رازق اولادهم لا هم
ويجوز نصبه على الحال او المصدر وحرموا ما رزقهم الله من البحائر ونحوها افتراء على الله يحتمل الوجوه المذكورة في مثله قد
ضلوا وما كانوا مهتدين الى الحق والصواب وهو الذي انشأ جنات من الكروم معروشات مرفوعات على ما يحملها وغير معروشات
ملقيات على وجه الارض وقيل المعروشات ما غرسه الناس فعرشوه وغير معروشات ما نبت في البراري والجبال
والنخل والزرع مختلفا اكله ثمره الذي يؤكل في الهيئة والكيفية والضمير للزرع والباقي مقيس عليه او للنخل والزرع
داخل في حكمه لكونه معطوفا عليه او للجميع على تقدير اكل ذلك او كل واحد منها ومختلفا حال مقدرة لانه لم يكن
كذلك عند الانشاء والزيتون والرمان متشابها وغير متشابه يتشابه بعض افرادهما في اللون والطعم ولا يتشابه بعضها
كلوا من ثمره من ثمر كل واحد من ذلك اذا اثمر وان لم يدرك ولم يينع بعد وقيل فائدته رخصة المالك في الاكل منه
قبل اداء حق الله تعالى وآتوا حقه يوم حصاده يريد به ما كان يتصدق به يوم الحصاد لا الزكوة المقدرة لانها فرضت
بالمدينة والاية مكية وقيل الزكوة والاية مدنية والامر بايتائها يوم الحصاد ليهتم به حينئذ حتى لا يؤخر عن
الاداء وليعلم ان الوجوب بالادراك لا بالتنقية وقرأ ابن كثير ونافع وحمزة والكسائي حِصاده بكسر الحاء وهو لغة فيه
ولا تسرفوا في التصدق كقوله تعالى ولا تبسطها كل البسط انه لا يحب المسرفين لا يرتضي فعلهم ومن الانعام حمولة وفرشا
عطف على جنات اي وانشأ من الانعام ما يحمل الاثقال وما يفرش للذبح او ما يفرش المنسوج من شعره وصوفه ووبره
وقيل الكبار الصالحة للحمل والصغار الدانية من الارض مثل الفرش المفروش عليها كلوا مما رزقكم الله كلوا ما احل لكم
منه ولا تتبعوا خطوات الشيطان في التحليل والتحريم من عند انفسكم انه لكم عدو مبين ظاهر العداوة ثمانية ازواج
بدل من حمولة وفرشا او مفعول كلوا ولا تتبعوا معترض بينهما او فعل دل عليه او حال من ما بمعنى مختلفة او متعددة والزوج
ما معه آخر من جنسه يزاوجه وقد يقال لمجموعهما والمراد الاول من الضأن اثنين زوجين اثنين الكبش والنعجة وهو بدل
من ثمانية وقرئ اثنان على الابتداء والضأن اسم جنس كالابل وجمعه ضئين او جمع ضائن كتاجر وتجر وقرئ
بفتح الهمزة وهو لغة فيه ومن المعز اثنين التيس والعنز وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابن عامر ويعقوب بالفتح وهو جمع
ماعز كصاحب وصحب وحارس وحرس وقرئ معزى قل ءآلذكرين ذكر الضأن وذكر المعز حرم ام الانثيين ام انثييهما
ونصب الذكرين والانثيين بحرم اما اشتملت عليه ارحام الانثيين او ما حملت اناث الجنسين ذكرا كان او انثى
نبئوني بعلم بامر معلوم يدل على ان الله تعالى حرم شيئا من ذلك ان كنتم صادقين في دعوى التحريم عليه ومن
الابل اثنين ومن البقر اثنين قل ءآلذكرين حرم ام الانثيين اما اشتملت عليه ارحام الانثيين كما سبق والمعنى انكار
ان الله تعالى حرم من الاجناس الاربعة ذكرا كان او انثى وما تحمل اناثها ردا عليهم فانهم كانوا يحرمون ذكور الانعام
تارة واناثها تارة واولادها كيفما كانت تارة زاعمين ان الله تعالى حرمها ام كنتم شهداء بل اكنتم حاضرين شاهدين

فيه قل فلله الحجة البالغة البينة الواضحة التي بلغت غاية المتانة والقوة على الاثبات او بلغ بها صاحبها صحة دعواه وهي من
الحج بمعنى القصد كأنها تقصد اثبات الحكم وتطلبه فلو شاء لهداكم اجمعين بالتوفيق لها والحمل عليها ولكن شاء
هداية قوم وضلال آخرين قل هلم شهداءكم احضروهم وهو اسم فعل لا يتصرف عند اهل الحجاز وفعل يونث ويجمع عند بني
تميم واصله عند البصريين ها لم من لم اذا قصد حذفت الالف لتقدير السكون في اللام فانه الاصل وعند
الكوفيين هل ام فحذفت الهمزة بالقاء حركتها على اللام وهو بعيد لان هل لا تدخل الامر ويكون متعديا كما في الآية
ولازما كقوله هلم الينا الذين يشهدون ان الله حرم هذا يعني قدوتهم فيه استحضرهم ليلزمهم الحجة ويظهر
بانقطاعهم ضلالتهم وانه لا متمسك لهم كمن يقلدهم ولذلك قيد الشهداء بالاضافة ووصفهم بما يقتضي العهد بهم
فان شهدوا فلا تشهد معهم فلا تصدقهم فيه وبين لهم فساده فان تسليمه موافقة لهم في الشهادة الباطلة ولا
تتبع اهواء الذين كذبوا بآياتنا من وضع المظهر موضع المضمر للدلالة على ان مكذب الآيات متبع الهوى لا غير وان متبع الحجة
لا يكون الا مصدقا بها والذين لا يؤمنون بالآخرة كعبدة الاوثان وهم بربهم يعدلون يجعلون له عديلا قل تعالوا
امر من التعالي واصله ان يقوله من كان في علو لمن كان في سفل فاتسع فيه بالتعميم اتل ما حرم ربكم منصوب باتل
وما تحتمل الخبرية والمصدرية ويجوز ان تكون استفهامية منصوبة بحرم والجملة مفعول اتل لانه بمعنى اقل اي شيء حرم
ربكم عليكم متعلق بحرم او اتل ان لا تشركوا به اي لا تشركوا به ليصح عطف الامر عليه ولا يمنعه تعليق الفعل المفسر بما حرم
فان التحريم باعتبار الاوامر يرجع الى اضدادها ومن جعل ان ناصبة فمحلها النصب بعليكم على انه للاغراء او بالبدل من ما او من
عائده المحذوف على ان لا زائدة او الجر بتقدير اللام او الرفع على تقدير المتلو ان لا تشركوا او المحرم ان تشركوا شيئا
يحتمل المصدر والمفعول وبالوالدين احسانا اي واحسنوا بهم احسانا وضعه موضع النهي عن الاساءة اليهما للمبالغة
والدلالة على ان ترك الاساءة في شأنهما غير كاف بخلاف غيرهما ولا تقتلوا اولادكم من املاق من اجل فقر ومن خشيته كقوله
خشية املاق نحن نرزقكم واياهم منع لموجبية ما كانوا يفعلون لاجله واحتجاج عليه ولا تقربوا الفواحش كبائر الذنوب
او الزنا ما ظهر منها وما بطن بدل منه وهو مثل قوله ظاهر الاثم وباطنه ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق كالقود
وقتل المرتد ورجم المحصن ذلكم اشارة الى ما ذكر مفصلا وصاكم به بحفظه لعلكم تعقلون ترشدون فان كمال العقل
هو الرشد ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي احسن الا بالفعلة التي هي احسن ما يفعل بماله كحفظه وتثميره حتى يبلغ اشده
حتى يصير بالغا وهو جمع شدة كنعمة وانعم او شد ككصر وآصر وقيل مفرد كآنك واوفوا الكيل والميزان بالقسط بالعدل والتسوية
لا نكلف نفسا الا وسعها الا ما يسعها ولا يعسر عليها وذكره عقيب الامر معناه ان ايفاء الحق عسر عليكم فعليكم بما في وسعكم
وما وراءه معفو عنكم واذا قلتم في حكومة ونحوها فاعدلوا فيها ولو كان ذا قربى ولو كان المقول له او عليه من ذوي
قرابتكم وبعهد الله اوفوا يعني ما عهد اليكم من ملازمة العدل وتأدية احكام الشرع ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون
تتعظون به وقرأ حمزة وحفص والكسائي تذكرون بتخفيف الذال حيث وقع اذا كان بالتاء والباقون بتشديدها وان
هذا صراطي مستقيما الاشارة فيه الى ما ذكر في السورة فانها بأسرها في بيان التوحيد والنبوة وبيان الشريعة وقرأ

لمن لم يعتبر الايمان المجرد عن العمل وللمعتزلة تخصيص هذا الحكم بذلك اليوم وحمل الترديد على اشتراط النفع باحد الامرين على معنى
لا ينفع نفسا خلت عنهما ايمانها والعطف على لم يكن بمعنى لا ينفع نفسا ايمانها الذي احدثته حينئذ وان كسبت فيه
خيرا قل انتظروا انا منتظرون وعيد لهم اي انتظروا اتيان احد الثلثة فانا منتظرون له وحينئذ لنا الفوز وعليكم الويل
ان الذين فرقوا دينهم بددوه فآمنوا ببعض وكفروا ببعض او افترقوا فيه قال صلى الله عليه وسلم افترقت اليهود على احدى وسبعين
فرقة كلها في الهاوية الا واحدة وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة كلها في الهاوية الا واحدة وتفترق امتي
على ثلث وسبعين فرقة كلها في الهاوية الا واحدة وقرأ حمزة والكسائي هنا وفي الروم فارقوا اي باينوا وكانوا شيعا
فرقا تشيع كل فرقة اماما لست منهم في شيء اي من السؤال عنهم وعن تفرقهم او من عقابهم او انت بريء منهم وقيل
هو نهي عن التعرض لهم وهو منسوخ باية السيف انما امرهم الى الله يتولى جزاءهم ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون بالعقاب
من جاء بالحسنة فله عشر امثالها اي عشر حسنات امثالها فضلا من الله تعالى وقرأ يعقوب عشر بالتنوين وامثالها
على الوصف وهذا اقل ما وعد من الاضعاف وقد جاء الوعد بسبعين وبسبعمائة وبغير حساب ولذلك قيل المراد بالعشر
الكثرة دون العدد ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها قضية للعدل وهم لا يظلمون بنقص الثواب وزيادة
العقاب قل انني هداني ربي الى صراط مستقيم بالوحي والارشاد الى ما نصب من الحجج دينا بدل من محل الى صراط اذ المعنى هداني
صراطا كقوله ويهديكم صراطا مستقيما او مفعول فعل مضمر دل عليه الملفوظ قيما فيعل من قام كسيد من ساد وهو ابلغ من
المستقيم باعتبار الزنة والمستقيم باعتبار الصيغة وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي قيما على انه مصدر نعت به وكان
قياسه قوما كعوض فاعل لاعلال فعله كالقيام ملة ابراهيم عطف بيان لدينا حنيفا حال من ابراهيم وما كان من
المشركين عطف عليه قل ان صلاتي ونسكي عبادتي كلها او قرباني او حجي ومحياي ومماتي وما انا عليه في حياتي و
اموت عليه من الايمان والطاعة او طاعات الحيوة والخيرات المضافة الى الممات كالوصية والتدبير او الحيوة
والممات انفسهما وقرأ نافع محياي باسكان الياء اجراء للوصل مجرى الوقف لله رب العالمين لا شريك له خالصة له لا اشرك فيها
غيره وبذلك القول او الاخلاص امرت وانا اول المسلمين لان اسلام كل نبي متقدم على اسلام امته قل اغير الله ابغي ربا
فاشركه في عبادتي وهو جواب عن دعائهم له الى عبادة الهتهم وهو رب كل شيء حال في موقع العلة للانكار والدليل له اي وكل ما سواه
مربوب مثلي لا يصلح للربوبية ولا تكسب كل نفس الا عليها فلا ينفعني في ابتغاء رب غيره ما انتم عليه من ذلك ولا تزر
وازرة وزر اخرى جواب عن قولهم اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم ثم الى ربكم مرجعكم يوم القيمة فينبئكم
بما كنتم فيه تختلفون ببيان الرشد من الغي وتمييز المحق من المبطل وهو الذي جعلكم خلائف الارض يخلف بعضكم
بعضا او خلفاء الله تعالى في ارضه تتصرفون فيها على ان الخطاب عام او خلفاء الامم السالفة على ان الخطاب للمؤمنين ورفع بعضكم
فوق بعض درجات في الشرف والغنى ليبلوكم فيما آتاكم من الجاه والمال ان ربك سريع العقاب لان ما هو آت قريب او
لانه يسرع اذا اراده وانه لغفور رحيم وصف العقاب ولم يضفه الى نفسه ووصف ذاته بالمغفرة وضم اليه الوصف
بالرحمة وبناء الصفة على المبالغة واللام المؤكدة تنبيها على انه تعالى غفور بالذات معاقب بالعرض كثير الرحمة مبالغ فيها قليل العقوبة

فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة وقيل توزن الاشخاص لما روي عنه
صلى الله عليه وسلم انه قال ليأتي العظيم السمين يوم القيمة لا يزن عند الله تعالى جناح بعوضة يومئذ خبر المبتدأ
الذي هو الوزن والحق صفته او خبر مبتدأ محذوف ومعناه العدل السوي فمن ثقلت موازينه حسناته او ما يوزن
بحسناته فهو جمع موزون او ميزان وجمعه باعتبار اختلاف الموزونات وتعدد الوزن فاولئك هم المفلحون
الفائزون بالنجاة والثواب ومن خفت موازينه فاولئك الذين خسروا انفسهم بتضييع الفطرة السليمة التي فطرت
عليها واقتراف ما عرضها للعذاب بما كانوا بآياتنا يظلمون فيكذبون بدل التصديق ولقد مكناكم في الارض اي مكناكم
من سكناها وزرعها والتصرف فيها وجعلنا لكم فيها معايش اسبابا تعيشون بها جمع معيشة وعن نافع انه همزه
تشبيها بما الياء فيه زائدة كصحائف قليلا ما تشكرون فيما صنعت اليكم ولقد خلقناكم ثم صورناكم اي خلقنا اباكم
آدم طينا غير مصور ثم صورناه نزل خلقه وتصويره منزلة خلق الكل وتصويره او ابتدأنا خلقكم ثم تصويركم بان خلقنا آدم
ثم صورناه ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم وقيل ثم لتأخير الاخبار فسجدوا الا ابليس لم يكن من الساجدين ممن سجد لآدم
عليه السلام قال ما منعك ان لا تسجد اي ان تسجد ولا صلة مثلها في لئلا يعلم مؤكدة معنى الفعل الذي دخلت عليه ومنبهة
على ان الموبخ عليه ترك السجود وقيل الممنوع عن الشيء مضطر الى خلافه فكأنه قيل ما اضطرك الى ان لا تسجد اذ امرتك دليل على
ان مطلق الامر للوجوب والفور قال انا خير منه جواب من حيث المعنى استأنف به استبعادا لان يكون مثله مأمورا
بالسجود لمثله كانه قال المانع اني خير منه ولا يحسن للفاضل ان يسجد للمفضول فكيف يحسن ان يؤمر به فهو الذي سن التكبر وقال
بالحسن والقبح العقليين اولا خلقتني من نار وخلقته من طين تعليل لفضله عليه وقد غلط في ذلك بان رأى الفضل
كله باعتبار العنصر وغفل عما يكون باعتبار الفاعل كما اشار اليه بقوله تعالى ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي اي بغير واسطة
وباعتبار الصورة كما نبه عليه بقوله ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين وباعتبار الغاية وهو ملاكه ولذلك امر
الملائكة بالسجود له لما بين لهم انه اعلم منهم وان له خواص ليست لغيره والآية دليل الكون والفساد وان الشياطين
اجسام كائنة ولعل اضافة خلق الانسان الى الطين والشيطان الى النار باعتبار الجزء الغالب قال فاهبط منها من
السماء او الجنة فما يكون لك فما يصح ان تتكبر فيها وتعصي فانها مكان الخاشع المطيع وفيه تنبيه على ان التكبر
لا يليق باهل الجنة وانه تعالى انما طرده واهبطه لتكبره لا لمجرد عصيانه فاخرج انك من الصاغرين ممن اهانه الله لتكبره
قال عليه السلام من تواضع لله تعالى رفعه الله تعالى ومن تكبر وضعه الله تعالى قال انظرني الى يوم يبعثون امهلني الى يوم القيمة فلا تمتني
ولا تعجل عقوبتي قال انك من المنظرين يقتضي الاجابة الى ما سأله ظاهرا لكنه محمول على ما جاء مقيدا بقوله الى يوم
الوقت المعلوم وهو النفخة الاولى او وقت يعلم الله تعالى انتهاء اجله فيه وفي اسعافه اليه ابتلاء العباد وتعريضهم للثواب
بمخالفته قال فبما اغويتني اي بعد ان امهلتني لاجتهدن في اغوائهم باي طريق يمكنني بسبب اغوائك اياي بواسطتهم تسمية
او حملا على الغي او تكليفا بما غويت لاجله والباء متعلقة بفعل القسم المحذوف لا باقعدن فان اللام تصد عنه وقيل
الباء للقسم لاقعدن لهم ترصدا لهم كما يقعد القطاع للسابلة صراطك المستقيم طريق الاسلام ونصبه على الظرف

لا يستقدمون اى لا يتاخرون ولا يتقدمون اقصر وقت او لا يطلبون التاخر والتقدم لشدة الهول يا بني ادم اما يأتينكم
رسل منكم يقصون عليكم اياتي شرط ذكره بحرف الشك للتنبيه على ان اتيان الرسل امر جائز غير واجب كما ظنه اهل التعليم
وضمت اليها ما لتأكيد معنى الشرط ولذلك اكد فعلها بالنون وجوابه فمن اتقى واصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون
والذين كذبوا باياتنا واستكبروا عنها اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون والمعنى فمن اتقى التكذيب واصلح عمله منكم
والذين كذبوا باياتنا منكم وادخال الفاء في الخبر الاول دون الثاني للمبالغة في الوعد والمسامحة في الوعيد فمن اظلم ممن
افترى على الله كذبا او كذب باياته ممن تقول على الله ما لم يقله او كذب ما قاله اولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب
مما كتب لهم من الارزاق والاجال وقيل الكتاب اللوح اى مما اثبت لهم فيه حتى اذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم اى يتوفون ارواحهم
وهو حال من الرسل وحتى غاية لنيلهم وهي التي يبتدأ بعدها الكلام قالوا جواب اذا اين ما كنتم تدعون من دون الله اى
الالهة التي كنتم تعبدونها وما وصلت باين في خط المصحف وحقها الفصل لانها موصولة قالوا ضلوا عنا غابوا عنا و
شهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين اعترفوا بانهم كانوا ضالين فيما كانوا عليه قال ادخلوا اى قال الله تعالى يوم القيامة او
من الملائكة في امم قد خلت من قبلكم اى كائنين في جملة امم مصاحبين لهم من الجن والانس يعني كفار الامم الماضية من النوعين
في النار متعلق بادخلوا كلما دخلت امة اى في النار لعنت اختها التي ضلت بالاقتداء بها حتى اذا اداركوا فيها جميعا
اى تداركوا وتلاحقوا في النار قالت اخراهم اى دخولا او منزلة وهم الاتباع لاولاهم اى لاجل اولاهم اذ الخطاب مع الله
تعالى لا معهم ربنا هؤلاء اضلونا سنوا لنا الضلال فاقتدينا بهم فآتهم عذابا ضعفا من النار مضاعفا لانهم ضلوا
واضلوا قال لكل ضعف اما القادة فبكفرهم وتضليلهم واما الاتباع فبكفرهم وتقليدهم ولكن لا تعلمون ما لكم او
لكل فريق وقرأ عاصم بالياء على الانفصال وقالت اولاهم لاخراهم فما كان لكم علينا من فضل عطفوا كلامهم على جواب الله
تعالى لاخراهم ورتبوه عليه اى فقد ثبت ان لا فضل لكم علينا وانا واياكم متساوون في الضلال واستحقاق العذاب فذوقوا
العذاب بما كنتم تكسبون من قول القادة او من قول الفريقين ان الذين كذبوا باياتنا واستكبروا عنها اى
عن الايمان بها لا تفتح لهم ابواب السماء لادعيتهم واعمالهم او لارواحهم كما تفتح لاعمال المؤمنين وارواحهم لتتصل
والتاء في تفتح لتأنيث الابواب والتشديد لكثرتها وقرأ ابو عمرو بالتخفيف وحمزة والكسائي به وبالياء لان التأنيث غير حقيقي
والفعل مقدم وقرئ على البناء للفاعل ونصب الابواب بالتاء على ان الفعل للآيات وبالياء على ان الفعل لله تعالى ولا يدخلون
الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط اى حتى يدخل ما هو مثل في عظم الجرم وهو البعير فيما هو مثل في ضيق المسلك وهو
ثقبة الابرة وذلك مما لا يكون فكذا ما توقف عليه وقرئ الجمل كالقمل والجمل كالنغر والجمل كالقفل والجمل كالنصب والجمل
كالحبل وهي الحبل الغليظ من القنب وقيل حبل السفينة وسم بالضم والكسر وفي سم المخيط وهو الابرة والخياط ما يخاط به
كالحزام والمحزم وكذلك ومثل ذلك الجزاء الفظيع نجزي المجرمين لهم من جهنم مهاد فراش ومن فوقهم غواش اغطية والتنوين
فيه للبدل عن الاعلال عند سيبويه والصرف عند غيره وقرئ غواش على الغاء المحذوف وكذلك نجزي الظالمين عبر عنهم بالمجرمين
تارة وبالظالمين اخرى اشعارا بانهم بتكذيبهم الآيات اتصفوا بهذه الاوصاف الذميمة وذكر الجرم مع الحرمان من الجنة

لا يستقدمون اي لا يتأخرون ولا يتقدمون اقصر وقت او لا يطلبون التأخر والتقدم لشدة الهول يا بني آدم اما يأتينكم
رسل منكم يقصون عليكم آياتي شرط ذكره بحرف الشك للتنبيه على ان اتيان الرسل امر جائز غير واجب كما ظنه اهل التعليم
وضمت اليها ما لتأكيد معنى الشرط ولذلك أكد فعلها بالنون وجوابه فمن اتقى وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون
والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون والمعنى فمن اتقى التكذيب واصلح عمله منكم
والذين كذبوا بآياتنا منكم وادخال الفاء في الخبر الاول دون الثاني للمبالغة في الوعد والمسامحة في الوعيد فمن اظلم ممن
افترى على الله كذبا او كذب بآياته ممن تقول على الله تعالى ما لم يقله او كذب ما قاله اولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب
مما كتب لهم من الارزاق والآجال وقيل الكتاب اللوح اي مما اثبت لهم فيه حتى اذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم اي يتوفون ارواحهم
وهو حال من الرسل وحتى غاية نيلهم وهي التي يبتدأ بعدها الكلام قالوا اين ما كنتم تدعون من دون الله اي اين
الآلهة التي كنتم تعبدونها وما وصلت باين في خط المصحف وحقها الفصل لانها موصولة قالوا ضلوا عنا غابوا عنا و
شهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين اعترفوا بانهم كانوا ضالين فيما كانوا عليه قال ادخلوا اي قال الله تعالى يوم القيامة او
من الملائكة في امم قد خلت من قبلكم اي كائنين في جملة امم مصاحبين لهم من الجن والانس يعني كفار الامم الماضية من النوعين
في النار متعلق بادخلوا كلما دخلت امة اي في النار لعنت اختها التي ضلت بالاقتداء بها حتى اذا اداركوا فيها جميعا
اي تداركوا وتلاحقوا في النار قالت اخراهم اي دخولا او منزلة وهم الاتباع لاولاهم اي لاجل اولاهم اذ الخطاب مع الله
تعالى لا معهم ربنا هؤلاء اضلونا سنوا لنا الضلال فاقتدينا بهم فآتهم عذابا ضعفا من النار مضاعفا لانهم ضلوا
واضلوا قال لكل ضعف اما القادة فبكفرهم وتضليلهم واما الاتباع فبكفرهم وتقليدهم ولكن لا تعلمون ما لكم او
كل فريق وقرأ عاصم بالياء على الانفصال وقالت اولاهم لاخراهم فما كان لكم علينا من فضل عطفوا كلامهم على جواب الله
تعالى لاخراهم ورتبوه عليه اي فقد ثبت ان لا فضل لكم علينا وانا واياكم متساوون في الضلال واستحقاق العذاب فذوقوا
العذاب بما كنتم تكسبون من قول القادة او من قول الفريقين ان الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها اي
عن الايمان بها لا تفتح لهم ابواب السماء لادعيتهم واعمالهم او لارواحهم كما تفتح لاعمال المؤمنين وارواحهم لتتصل بالملائكة
والتاء في تفتح لتأنيث الابواب والتشديد لكثرتها وقرأ ابو عمرو بالتخفيف وحمزة والكسائي به وبالياء لان التأنيث غير حقيقي
والفعل مقدم وقرئ على البناء للفاعل ونصب الابواب بالتاء على ان الفعل للآيات وبالياء على ان الفعل لله تعالى ولا يدخلون
الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط اي حتى يدخل ما هو مثل في عظم الجرم وهو البعير فيما هو مثل في ضيق المسلك وهو
ثقبة الابرة وذلك مما لا يكون فكذا ما توقف عليه وقرئ الجُمَّل كالقُمَّل والجُمَل كالنُّغَر والجُمْل كالقُفْل والجُمُل كالنُّصُب والجَمْل
كالحبل وهو الحبل الغليظ من القنب وقيل حبل السفينة وسُم بالضم والكسر وفي سم المخيط وهو والخياط ما يخاط به
كالحزام والمحزم وكذلك ومثل ذلك الجزاء الفظيع نجزي المجرمين لهم من جهنم مهاد فراش ومن فوقهم غواش اغطية والتنوين
فيه للبدل عن الاعلال عند سيبويه وللصرف عند غيره وقرئ غواشٌ على الغاء المحذوف وكذلك نجزي الظالمين عبر عنهم بالمجرمين
تارة وبالظالمين اخرى اشعارا بانهم بتكذيبهم الآيات اتصفوا بهذه الاوصاف الذميمة وذكر الجرم مع الحرمان من الجنة

اهل الجنة الذين كانت الكفرة يحتقرونهم في الدنيا ويحلفون ان الله تعالى لا يدخلهم الجنة ادخلوا الجنة لا خوف عليكم
ولا انتم تحزنون اي فالتفتوا الى اصحاب الجنة وقالوا لهم ادخلوها وهو اوفق للوجوه الاخيرة او فقيل لاصحاب الاعراف ادخلوا الجنة
بفضل الله تعالى بعد ان حبسوا حتى ابصروا الفريقين وعرفوهم وقالوا لهم ما قالوا وقيل لما عيروا اصحاب النار اقسموا ان اصحاب الاعراف
لا يدخلون الجنة فقال الله تعالى او بعض الملائكة هؤلاء الذين اقسمتم وقرئ ادخلوا على الاستيناف وتقديره دخلوا الجنة مقولا
لهم لا خوف عليكم ونادى اصحاب النار اصحاب الجنة ان افيضوا علينا اي صبوا وهو دليل على ان الجنة فوق النار من الماء او مما
رزقكم الله من سائر الاشربة ليلائم الافاضة او من الاطعمة كقوله علفتها تبنا وماء باردا قالوا ان الله حرمهما على
الكافرين منعهما عنهم منع المحرم عن المكلف الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا كتحريم البحيرة والتصدية حول البيت واللهو صرف
الهم بما لا يحسن ان يصرف به واللعب طلب الفرح بما لا يحسن ان يطلب به وغرتهم الحيوة الدنيا فاليوم ننساهم نفعل بهم فعل الناسي
فنتركهم في النار كما نسوا لقاء يومهم هذا فلم يخطروه ببالهم ولم يستعدوا له وما كانوا بآياتنا يجحدون وكما كانوا منكرين انها من عند الله
ولقد جئناهم بكتاب فصلناه بينا معانيه من العقائد والاحكام والمواعظ مفصلة على علم عالمين بوجه تفصيله حتى
جاء حكيما وفيه دليل على انه تعالى عالم بعلم او مشتملا على علم فيكون حالا من المفعول وقرئ فضلناه اي على سائر الكتب عالمين
بانه حقيق بذلك هدى ورحمة لقوم يؤمنون حال من الهاء هل ينظرون هل ينتظرون الا تأويله الا ما يؤول اليه امره من
تبين صدقه بظهور ما نطق به من الوعد والوعيد يوم يأتي تأويله يقول الذين نسوه من قبل تركوه ترك الناسي قد جاءت
رسل ربنا بالحق اي قد تبين انهم جاؤوا بالحق فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا اليوم او نرد او هل نرد الى الدنيا وقرئ بالنصب عطفا على
فيشفعوا او لان او بمعنى الى ان فعلى الاول المسؤول احد الامرين وعلى الثاني ان يكون لهم شفعاء اما لاحد الامرين او لامر واحد
وهو الرد فنعمل غير الذي كنا نعمل جواب الاستفهام الثاني وقرئ بالرفع اي فنحن نعمل قد خسروا انفسهم بصرف اعمارهم في الكفر
وضل عنهم ما كانوا يفترون بطل عنهم فلم ينفعهم ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة ايام اي في ستة
اوقات كقوله تعالى ومن يولهم يومئذ دبره او في مقدار ستة ايام فان المتعارف زمان طلوع الشمس الى غروبها ولم يكن حينئذ
وفي خلق الاشياء مدرجا مع القدرة على ايجادها دفعة دليل الاختيار واعتبار للنظار وحث على التأني في الامور ثم استوى
على العرش استوى امره او استولى وعن اصحابنا ان الاستواء على العرش صفة لله تعالى بلا كيف والمعنى ان له تعالى استواء على العرش
على الوجه الذي عناه منزها عن الاستقرار والتمكن والعرش الجسم المحيط بسائر الاجسام سمي به لارتفاعه او للتشبيه بسرير الملك
فان الامور والتدابير تنزل منه وقيل الملك يغشي الليل النهار يغطيه به ولم يذكر عكسه للعلم به او لان اللفظ يحتملهما
ولذلك قرئ يغشى الليل النهار بنصب الليل ورفع النهار وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب وابو بكر عن عاصم بالتشديد
فيه وفي الرعد للدلالة على التكرير يطلبه حثيثا يعقبه سريعا كالطالب له لا يفصل بينهما شيء والحثيث فعيل من الحث
وهو صفة مصدر محذوف او حال من الفاعل بمعنى حاثا او المفعول بمعنى محثوثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره بقضائه و
تصريفه ونصبها بالعطف على السموات ونصب مسخرات على الحال وقرأ ابن عامر كلها بالرفع على الابتداء والخبر الا له الخلق
والامر فانه الموجد والمتصرف تبارك الله رب العالمين تعالى بالوحدانية في الالوهية وتعظم بالتفرد في الربوبية وتحقيق

نفعه لانه اوقعه في مقابلته والذي خبث اي كالحرة والسبخة لا يخرج الا نكدا قليلا عديم النفع ونصبه على الحال وتقدير الكلام

والبلد الذي خبث لا يخرج نباته الا نكدا فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه فصار مرفوعا مستترا وقرئ يُخرِج اي يخرجه

البلد فيكون الا نكدا مفعولا ونكدا على المصدر اي ذا نكد ونكدا بالاسكان للتخفيف كذلك نصرف الآيات نرددها ونكررها لقوم

يشكرون نعمة الله تعالى فيتفكرون فيها ويعتبرون بها والآية مثل لمن تدبر الآيات وانتفع بها ولمن لم يرفع اليها رأسا ولم يتأثر بها

لقد ارسلنا نوحا الى قومه جواب قسم محذوف ولا تكاد تطلق هذه اللام الا مع قد لانها مظنة التوقع فان المخاطب اذا سمعها

توقع وقوع ما صدر بها ونوح بن لمك بن متوشلخ بن اخنوخ اي ادريس اول نبي بعده بعث وهو ابن خمسين سنة او اربعين فقال يا قوم

اعبدوا الله اي اعبدوه وحده لقوله ما لكم من اله غيره وقرأ الكسائي غيره بالكسر على اللفظ حيث وقع اني

اخاف عليكم عذاب يوم عظيم ان لم تؤمنوا وهو وعيد وبيان للداعي الى عبادته واليوم يوم القيامة او يوم نزول الطوفان

قال الملأ من قومه اي الاشراف فانهم يملؤون العيون رواء انا لنراك في ضلال زوال عن الحق مبين بيّن قال يا قوم ليس بي

ضلالة اي شيء من الضلال بالغ في النفي كما بالغوا في الاثبات وعرض لهم به ولكني رسول من رب العالمين استدراك

باعتبار ما يلزمه وهو كونه على هدى كأنه قال ولكني على هدى في الغاية لاني رسول من الله تعالى ابلغكم رسالات ربي وانصح لكم و

اعلم من الله ما لا تعلمون صفات لرسول او استئناف ومساقها على الوجهين لبيان كونه رسولا وقرأ ابو عمرو ابلغكم بالتخفيف وجمع

الرسالات لاختلاف اوقاتها او لتنوع معانيها كالعقائد والمواعظ والاحكام او لان المراد بها ما اوحي اليه والى الانبياء قبله

كصحف شيث وادريس وزيادة اللام في لكم للدلالة على امحاض النصح لهم وفي علم من الله تقريرا او علم به فان معناه اعلم

من قدرته وشدة بطشه او من جهته بالوحي اشياء لا علم لكم بها او عجبتم الهمزة للانكار والواو للعطف على محذوف اي أكذبتم

وعجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم رسالة او موعظة على رجل على لسان رجل منكم من جملتكم او من جنسكم

فانهم كانوا يتعجبون من ارسال البشر ويقولون لو شاء الله لانزل ملائكة ما سمعنا بهذا في آبائنا الاولين لينذركم عاقبة

الكفر والمعاصي ولتتقوا منهما بسبب الانذار ولعلكم ترحمون بالتقوى وفائدة حرف الترجي التنبيه على ان التقوى غير موجب والترحم من

الله تعالى تفضل وان المتقي ينبغي ان لا يعتمد على تقواه ولا يأمن من عذاب الله تعالى فكذبوه فانجيناه والذين معه وهم من آمن

به وكانوا اربعين رجلا واربعين امرأة وقيل تسعة بنوه سام وحام ويافث وستة ممن آمن به في الفلك متعلق بمعه

او بانجيناه او حال من الموصول او الضمير في معه واغرقنا الذين كذبوا بآياتنا بالطوفان انهم كانوا قوما عمين عمي القلوب غير مستبصرين

واصله عميين فخفف وقرئ عامين والاول ابلغ لدلالته على الثبات والى عاد اخاهم عطف على نوحا الى قومه هودا عطف بيان

لاخاهم والمراد به الواحد منهم كقولهم يا اخا العرب فانه هود بن عبد الله بن رباح بن الخلود بن عاد بن عوص بن ارم بن سام

بن نوح وقيل هود بن شالخ بن ارفخشد بن سام بن نوح ابن عم ابي عاد وانما جعل منهم لانهم افهم لقوله واعرف بحاله

وارغب في اقتفائه قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره استأنف به ولم يعطف كأنه جواب سائل قال فما قال لهم

حين ارسل وكذلك جوابهم افلا تتقون عذاب الله تعالى وكان قومه كانوا اقرب من قوم نوح ولذلك قال قال الملأ الذين كفروا من قومه

اذ كان من اشرافهم من آمن به كمرثد بن سعد انا لنراك في سفاهة متمكنا في خفة عقل راسخا فيها حيث فارقت دين

فيهلككم والى ثمود قبيلة اخرى من العرب سموا
باسم ابيهم الاكبر ثمود بن عابر بن ارم بن سام وقيل سموا به لقلة مائهم من الثمد وهو الماء القليل وقرئ مصروفا بتاويل الحي
او باعتبار الاصل وكانت مساكنهم الحجر بين الحجاز والشام الى وادي القرى اخاهم صالحا صالح بن عبيد بن اسف بن ماسح
بن عبيد بن حاذر بن ثمود قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم معجزة ظاهرة الدلالة على
صحة نبوتي وقوله هذه ناقة الله لكم اية استئناف لبيانها واية نصب على الحال والعامل فيها معنى الاشارة ولكم بيان لمن هي له
اية ويجوز ان تكون ناقة الله بدلا او عطف بيان ولكم خبرا عاملا في اية واضافة الناقة الى الله لتعظيمها ولانها جاءت
من عنده بلا وسائط واسباب معهودة ولذلك كانت اية فذروها تاكل في ارض الله العشب ولا تمسوها بسوء نهي عن المس
الذي هو مقدمة الاصابة بالسوء الجامع لانواع الاذى مبالغة في الامر وازاحة للعذر فياخذكم عذاب اليم جواب
للنهي واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوأكم في الارض ارض الحجر تتخذون من سهولها قصورا اي تبنون في سهولها
او من سهولة الارض بما تعملون منها كاللبن والاجر وتنحتون الجبال بيوتا وقرئ تنحتون بالفتح وتنحاتون بالاشباع وانتصاب
بيوتا على الحال المقدرة او المفعول على ان التقدير بيوتا من الجبال او تنحتون بمعنى تتخذون فاذكروا الاء الله ولا تعثوا
في الارض مفسدين قال الملأ الذين استكبروا من قومه اي عن الايمان للذين استضعفوا اي للذين استضعفوهم واستذلوهم
لمن امن منهم بدل من الذين استضعفوا بدل الكل ان كان الضمير لقومه وبدل البعض ان كان للذين اتعلمون ان صالحا
مرسل من ربه قالوه على الاستهزاء قالوا انا بما ارسل به مؤمنون عدلوا به عن الجواب السوي الذي هو نعم تنبيها
على ان ارساله اظهر من ان يشك فيه عاقل ويخفى على ذي عقل ورأي وانما الكلام فيمن امن به ومن كفر فلذلك قال الذين
استكبروا انا بالذي امنتم به كافرون على المقابلة ووضعوا امنتم به موضع ارسل به ردا لما جعلوه معلوما مسلما
فعقروا الناقة فيه وما اسند الى جميعهم فعل بعضهم للملابسة او لانه كان برضاهم وعتوا عن امر ربهم واستكبروا عن امتثاله
وهو ما بلغهم صالح بقوله فذروها وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا ان كنت من المرسلين فاخذتهم الرجفة الزلزلة
فاصبحوا في دارهم جاثمين خامدين ميتين روي انهم بعد عاد عمروا بلادهم وخلفوهم وكثروا وعمروا اعمارا طوالا لا تفي بها الابنية
فنحتوا البيوت من الجبال وكانوا في خصب وسعة فعتوا وافسدوا في الارض وعبدوا الاصنام فبعث الله تعالى اليهم صالحا من
اشرافهم فانذرهم فسألوه اية فقال اية اية تريدون قالوا اخرج معنا الى عيدنا فتدعو الهك وندعو الهتنا فمن استجيب
له اتبع فخرج معهم فدعوا اصنامهم فلم تجبهم ثم اشار سيدهم جندع بن عمرو الى صخرة منفردة يقال لها الكاثبة وقال
اخرج من هذه الصخرة ناقة مخترجة جوفاء وبراء فان فعلت صدقناك فاخذ عليهم صالح مواثيقهم لئن فعلت ذلك
لتؤمنن فقالوا نعم فصلى ودعا ربه فتمخضت الصخرة تمخض النتوج بولدها فانصدعت عن ناقة عشراء جوفاء وبراء كما وصفوا
وهم ينظرون ثم نتجت ولدا مثلها في العظم فامن به جندع في جماعة ومنع الباقين من الايمان ذؤاب بن عمرو
والحباب صاحب اوثانهم ورباب بن صمعر فمكثت الناقة مع ولدها ترعى الشجر وترد الماء غبا فما ترفع رأسها من البئر
حتى تشرب كل ما فيها ثم تتفحج فيحلبون ما شاؤوا حتى تمتلئ اوانيهم فيشربون ويدخرون وكانت تصيف بظهر الوادي فتهرب

فأوفوا الكيل ووزن الميزان ويجوز ان يكون الميزان مصدرا كالميعاد ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تنقصوهم حقوقهم
وانما قال اشياءهم للتعميم تنبيها على انهم كانوا يبخسون الجليل والحقير والقليل والكثير وقيل كانوا مكاسين لا يدعون شيئا
الا مكسوه ولا تفسدوا في الأرض بالكفر والحيف بعد إصلاحها بعد ما اصلح امرها او اهلها الانبياء واتباعهم بالشرائع او
اصلحوا فيها والاضافة اليها كالاضافة في بل مكر الليل والنهار ذلكم خير لكم إن كنتم مؤمنين اشارة الى العمل بما امرهم
ونهاهم عنه ومعنى الخيرية اما الزيادة مطلقا او في الانسانية وحسن الاحدوثة وجمع المال ولا تقعدوا بكل صراط بكل
طريق من طرق الدين كالشيطان وصراط الحق وان كان واحدا لكنه يتشعب الى معارف وحدود واحكام وكانوا اذا رأوا احدا
يسعى في شيء منها منعوه وقيل كانوا يجلسون على المراصد فيقولون لمن يريد شعيبا انه كذاب فلا يفتننك عن دينك
ويوعدون لمن آمن به وقيل كانوا يقطعون الطريق توعدون وتصدون عن سبيل الله يعني الذي قعدوا عليه فوضع
الظاهر موضع المضمر بيانا لكل صراط ودلالة على عظم ما يصدون عنه وتقبيحا لما كانوا عليه او الايمان بالله من آمن به اي بالله او بكل
صراط على الاول ومن مفعول تصدون على اعمال الاقرب ولو كان مفعول توعدون لقال وتصدونهم وتبغونها عوجا
عليه فيوضع الحال من الضمير في تقعدوا وتبغونها عوجا وتطلبون لسبيل الله عوجا بالقاء الشبه او وصفها للناس بانها معوجة
واذكروا إذ كنتم قليلا عددكم او عددكم فكثركم بالبركة في النسل والمال وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين من الامم
قبلكم فاعتبروا بهم وإن كان طائفة منكم آمنوا بالذي أرسلت به وطائفة لم يؤمنوا فاصبروا فتربصوا حتى يحكم الله بيننا
اي بين الفريقين بنصر المحقين على المبطلين فهو وعد للمؤمنين ووعيد للكافرين وهو خير الحاكمين اذ لا معقب لحكمه ولا حيف فيه

قال الملأ الذين استكبروا من قومه لنخرجنك يا شعيب

والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودن في ملتنا اي ليكونن احد الامرين اما اخراجكم من القرية او عودكم في الكفر و
شعيب عليه السلام لم يكن في ملتهم قط لان الانبياء لا يجوز عليهم الكفر مطلقا لكن غلبوا الجماعة على الواحد فخوطب هو وقومه بخطابهم وعلى ذلك اجري الجواب
في قوله قال أولو كنا كارهين اي كيف نعود فيها ونحن كارهون لها او اتعيدوننا في حال كراهتنا قد افترينا على الله كذبا إن عدنا في ملتكم
بعد إذ نجانا الله منها شرط جوابه محذوف دليله قد افترينا وهو بمعنى المستقبل لانه
لم يقع لكنه جعل كالواقع للمبالغة وادخل عليه قد لتقريبه من الحال اي قد افترينا الآن ان هممنا بالعود بعد الخلاص
منها حيث نزعم ان لله ندا وانه قد تبين لنا ان ما كنا عليه باطل وما انتم عليه حق وقيل انه جواب قسم تقديره والله
لقد افترينا وما يكون لنا وما يصح لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء الله ربنا خذلاننا وارتدادنا وفيه دليل على ان الكفر
بمشيئته تعالى وقيل اراد به حسم طمعهم في العود بالتعليق على ما لا يكون وسع ربنا كل شيء علما اي احاط علمه بكل شيء مما كان
وما يكون منا ومنكم على الله توكلنا في ان يثبتنا على الايمان ويخلصنا من الاشرار ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق احكم
بيننا والفتاح القاضي والفتاحة الحكومة او اظهر امرنا حتى ينكشف ما بيننا وبينهم ويتميز المحق من المبطل من فتح المشكل
اذا بينه وأنت خير الفاتحين على المعنيين وقال الملأ الذين كفروا من قومه لئن اتبعتم شعيبا وتركتم دينكم إنكم إذا
لخاسرون لاستبدالكم ضلالته بهداكم او لفوات ما يحصل لكم بالبخس والتطفيف وهو ساد مسد جواب الشرط والقسم الموطأ باللام

التكذيب وفما كانوا ليؤمنوا مدة عمرهم بما كذبوا به اولا حين جاءتهم الرسل ولم تؤثر فيهم قط دعوتهم المتطاولة والآيات
المتتابعة واللام لتاكيد النفي والدلالة على انهم ما صلحوا للايمان لمنافاته لحالهم في التصميم على الكفر والطبع على قلوبهم كذلك
يطبع الله على قلوب الكافرين فلا تلين شكيمتهم بالآيات والنذر وما وجدنا لاكثرهم لاكثر الناس والآية اعتراض
او لاكثر الامم المذكورين من عهد من وفاء عهد فان اكثرهم نقضوا ما عهد الله اليهم في الايمان والتقوى بانزال الآيات
ونصب الحجج او ما عهدوا اليه حين كانوا في ضر ومخافة مثل لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين وان وجدنا اكثرهم
اي علمناهم لفاسقين من وجدت زيدا ذا الحفاظ لدخول ان المخففة واللام الفارقة وذلك لا يسوغ الا في المبتدأ والخبر
والافعال الداخلة عليهما وعند الكوفيين ان للنفي واللام بمعنى الا ثم بعثنا من بعدهم موسى الضمير للرسل في قوله ولقد
جاءتهم رسلهم او للامم بآياتنا يعني المعجزات الى فرعون وملائه فظلموا بها بان كفروا بها مكان الايمان الذي هو من
حقها لوضوحها ولهذا المعنى وضع ظلموا موضع كفروا وفرعون لقب لمن ملك مصر ككسرى لمن ملك فارس وكان اسمه قابوس وقيل الوليد
بن مصعب بن الريان فانظر كيف كان عاقبة المفسدين وقال موسى يا فرعون اني رسول من رب العالمين اليك وقوله
حقيق على ان لا اقول على الله الا الحق لعله جواب لتكذيبه اياه في دعوى الرسالة وانما لم يذكره لدلالة قوله فظلموا
بها عليه وكان اصله حقيق علي ان لا اقول كما قراه نافع فقلب لامن الالباس كقوله: وتشقى الرماح بالضياطرة
الحمر او لان ما لزمك فقد لزمته او للاغراق في الوصف بالصدق والمعنى انه حق واجب على القول الحق ان اكون
انا قائله لا يرضى الا بمثلي ناطقا به او ضمن حقيق معنى حريص او وضع على مكان الباء لافادة التمكن كقولهم رميت على القوس
وجئت على حال حسنة ويؤيده قراءة ابي بالباء وقرئ حقيق ان لا اقول قد جئتكم ببينة من ربكم فارسل معي بني اسرائيل
فخلهم حتى يرجعوا معي الى الارض المقدسة التي هي وطن آبائهم وكان قد استعبدهم واستخدمهم في الاعمال قال ان كنت جئت بآية
من عند من ارسلك فأت بها فاحضرها عندي ليثبت بها صدقك ان كنت من الصادقين في الدعوى فالقى عصاه فاذا
هي ثعبان مبين ظاهر امره لا يشك في انه ثعبان وهو الحية العظيمة روي انه لما القاها صار ثعبانا اشعر فاغرا فاه بين
لحييه ثمانون ذراعا وضع لحيه الاسفل على الارض والاعلى على سور القصر ثم توجه نحو فرعون فهرب منه واحدث وانهزم
الناس مزدحمين فمات منهم خمسة وعشرون الفا وصاح فرعون يا موسى انشدك بالذي ارسلك خذه وانا اؤمن بك وارسل
معك بني اسرائيل فاخذه فعاد عصا ونزع يده من جيبه او من تحت ابطه فاذا هي بيضاء للناظرين اي بيضاء بياضا
خارجا عن العادة تجتمع عليه النظارة او بيضاء للنظار لا انها كانت بيضاء في جبلتها روي انه كان موسى عليه وعلى نبينا
الصلوة والسلام آدم شديد الادمة فادخل يده في جيبه او تحت ابطه ثم نزعها فاذا هي بيضاء نورانية غلب شعاعها
شعاع الشمس قال الملأ من قوم فرعون ان هذا لساحر عليم قيل قاله هو واشراف قومه على سبيل التشاور في امره فحكي
عنه في سورة الشعراء وعنهم هنا يريد ان يخرجكم من ارضكم فماذا تأمرون تشيرون في ان نفعل قالوا ارجه واخاه
وارسل في المدائن حاشرين يأتوك بكل ساحر عليم كأنه اتفقت عليه آراؤهم فاشاروا به الى فرعون والارجاء التأخير
اي اخر امره واصله ارجئه كما قرأ ابو عمرو وابو بكر ويعقوب من ارجأت وكذلك ارجئهو على قراءة ابن كثير وهشام عن ابن عامر

ولكن على التعذيب لرحمته كأنهم قالوا انا الى ربنا منقلبون بالموت لا محالة فلا نبالي بوعيدك او انا منقلبون الى ربنا وثوابه ان فعلت
بنا ذلك كأنهم استطابوه شغفا على لقاء الله تعالى او مصيرنا ومصيرك الى ربنا فيحكم بيننا وما تنقم منا وما تنكر منا
الا ان آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا وهو خير الاعمال واصل المناقب ليس مما يتأتى لنا العدول عنه طلبا لمرضاتك ثم فزعوا
الى الله تعالى فقالوا ربنا افرغ علينا صبرا افض علينا صبرا يغمرنا كما يفرغ الماء او صب علينا ما يطهرنا من الآثام وهو الصبر
على وعيد فرعون وتوفنا مسلمين ثابتين على الاسلام قيل انه فعل بهم ما اوعدهم به وقيل لم يقدر عليهم لقوله تعالى
انتما ومن اتبعكما الغالبون وقال الملأ من قوم فرعون أتذر موسى وقومه ليفسدوا في الارض بتغيير الناس عليك ودعوتهم
الى مخالفتك ويذرك عطف على يفسدوا او جواب للاستفهام بالواو كقول الحطيئة ألم أك جاركم ويكون بيني وبينكم المودة
والاخاء على معنى أيكون منك ترك موسى ويكون تركه اياك وقرئ بالرفع على انه عطف على أتذر او استئناف او حال وقرئ
بالسكون كأنه قيل يفسدوا ويذرك كقوله تعالى فأصدق واكن وآلهتك معبوداتك قيل كان يعبد الكواكب وقيل صنع لقومه اصناما
وامرهم ان يعبدوها تقربا اليه ولذلك قال انا ربكم الاعلى وقرئ والاهتك اي عبادتك قال فرعون سنقتل ابناءهم ونستحيي
نساءهم كما كنا نفعل من قبل ليعلم انا على ما كنا عليه من القهر والغلبة ولا يتوهم انه المولود الذي حكم المنجمون والكهنة بذهاب
ملكنا على يده وقرأ ابن كثير ونافع سنقتل بالتخفيف وانا فوقهم قاهرون غالبون وهم مقهورون تحت ايدينا قال موسى لقومه
استعينوا بالله واصبروا لما سمعوا قول فرعون وتضجروا منه تسكينا لهم ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده
تسلية لهم وتقرير للامر بالاستعانة بالله والتثبت في الامر والعاقبة للمتقين وعد لهم بالنصرة وتذكير لما وعدهم من اهلاك
القبط وتوريثهم ديارهم وتحقيق له وقرئ والعاقبة بالنصب عطفا على اسم ان واللام في الارض تحتمل العهد والجنس قالوا اي بنو اسرائيل
اوذينا من قبل ان تأتينا بالرسالة بقتل الابناء ومن بعد ما جئتنا باعادته قال عسى ربكم ان يهلك عدوكم و
يستخلفكم في الارض تصريحا بما كنى عنه اولا لما رأى انهم لم يتسلوا بذلك ولعله أتى بفعل الطمع لعدم جزمه بانهم المستخلفون بأعيانهم
او اولادهم وقد روي ان مصر انما فتح لهم في زمن داود عليه السلام فينظر كيف تعملون فيرى ما تعملون من شكر وكفران وطاعة
وعصيان فيجازيكم على حسب ما يوجد منكم ولقد اخذنا آل فرعون بالسنين بالجدوب لقلة الامطار والمياه والسنة
غلبت على عام القحط لكثرة ما يذكر عنه ويؤرخ به ثم اشتق منها فقيل اسنت القوم اذا قحطوا ونقص من الثمرات
بكثرة العاهات لعلهم يذكرون لكي يتنبهوا على ان ذلك بشؤم كفرهم ومعاصيهم فيتعظوا او لترق قلوبهم بالشدائد فيفزعوا
الى الله تعالى ويرغبوا فيما عنده فاذا جاءتهم الحسنة من الخصب والسعة قالوا لنا هذه لاجلنا ونحن مستحقوها وان تصبهم سيئة جدب
وبلاء يطيروا بموسى ومن معه يتشاءموا بهم ويقولوا ما اصابتنا الا بشؤمهم وهذا اغراق في وصفهم بالغباوة والقساوة فان
الشدائد ترقق القلوب وتذلل العرائك وتزيل التماسك سيما بعد مشاهدة الآيات وهي لم تؤثر فيهم بل زادوا عندها عتوا
وانهماكا في الغي وانما عرف الحسنة وذكرها مع اداة التحقيق لكثرة وقوعها وتعلق الارادة باحداثها بالذات ونكر السيئة واتى
بها مع حرف الشك لندورها وعدم القصد لها الا بالتبع الا انما طائرهم عند الله اي سبب خيرهم وشرهم عنده وهو حكمه ومشيئته او سبب شؤمهم
عند الله وهو اعمالهم المكتوبة عنده فانها التي ساقت اليهم ما يسوءهم وقرئ انما طيرهم وهو اسم الجمع وقيل هو جمع

مشارق الأرض ومغاربها يعني أرض الشام ملكها بنو إسرائيل بعد الفراعنة والعمالقة وتمكنوا في نواحيها التي باركنا فيها
بالخصب وسعة العيش وتمت كلمة ربك الحسنى على بني إسرائيل ومضت عليهم واتصلت بالإنجاز عدته إياهم بالنصر والتمكين
وهو قوله ونريد أن نمن إلى قوله ما كانوا يحذرون وقرئ كلمات ربك لتعدد المواعيد بما صبروا بسبب صبرهم على الشدائد
ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه من القصور والعمارات وما كانوا يعرشون من الجنات أو ما كانوا يرفعون من
البنيان كصرح هامان وقرأ ابن عامر وأبو بكر هنا وفي النحل يعرُشون بالضم وهذا آخر قصة فرعون وقومه وقوله وجاوزنا ببني إسرائيل
البحر وما بعده ذكر ما أحدثه بنو إسرائيل من الأمور الشنيعة بعد أن منّ الله تعالى عليهم بالنعم الجسام وأراهم من الآيات
العظام تسلية لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مما رأى منهم وإيقاظا للمؤمنين حتى لا يغفلوا عن محاسبة أنفسهم ومراقبة
أحوالهم روي أن موسى عليه السلام عبر بهم يوم عاشوراء بعد مهلك فرعون وقومه فصاموه شكرا فأتوا على قوم
فمروا عليهم يعكفون على أصنام لهم يقيمون على عبادتها قيل كانت تماثيل بقر وذلك أول شأن العجل والقوم كانوا من العمالقة الذين
أمر موسى عليه السلام بقتالهم وقيل من لخم وقرأ حمزة والكسائي يعكِفون بالكسر قالوا يا موسى اجعل لنا إلها مثالا نعبده كما لهم آلهة
يعبدونها وما كافة للكاف قال إنكم قوم تجهلون وصفهم بالجهل المطلق وأكده لبعد ما صدر عنهم بعدما رأوا من الآيات الكبرى
عن العقل إن هؤلاء إشارة إلى القوم متبر ما هم فيه يعني أن الله تعالى مهلك دينهم الذي هم عليه ومحطم أصنامهم ويجعلها رضاضا
وباطل ما كانوا يعملون من عبادتها وإن قصدوا بها التقرب إلى الله تعالى وإنما بالغ في هذا الكلام بإيقاع هؤلاء اسم إن والإخبار
عما هم فيه بالتبار وعما فعلوا بالبطلان وتقديم الخبرين في الجملتين الواقعتين خبرا لإن للتنبيه على أن الدمار لاحق لما هم فيه
وأن الإحباط الكلي لازب لما مضى عنهم تنفيرا وتحذيرا عما طلبوا قال أغير الله أبغيكم إلها أطلب لكم معبودا وهو فضلكم على العالمين
والحال أنه خصكم بنعم لم يعطها غيركم وفيه تنبيه على سوء مقابلتهم حيث قابلوا تخصيص الله تعالى إياهم من أمثالهم بما لم يستحقوه
تفضلا بأن قصدوا أن يشركوا به أخس شيء من مخلوقاته وإذ أنجيناكم من آل فرعون واذكروا صنيعه معكم في هذا الوقت وقرأ
ابن عامر أنجاكم يسومونكم سوء العذاب استئناف لبيان ما أنجاهم منه أو حال من المخاطبين أو من آل فرعون أو منهما يقتلون أبناءكم
ويستحيون نساءكم بدل منه مبين وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم وفي الإنجاء أو العذاب نعمة أو محنة عظيمة وواعدنا
موسى ثلاثين ليلة ذا القعدة وقرأ أبو عمرو ويعقوب ووعدنا وأتممناها بعشر من ذي الحجة فتم ميقات ربه أربعين ليلة
بالغا أربعين روي أنه عليه السلام وعد بني إسرائيل بمصر أن يأتيهم بعد مهلك فرعون بكتاب من الله تعالى فيه بيان
ما يأتون وما يذرون فلما هلك سأل ربه فأمره بصوم ثلاثين فلما أتم أنكر خلوف فيه فتسوك فقالت الملائكة كنا نشم منك
نكهة المسك فأفسدته بالسواك فأمره الله تعالى أن يزيد عليها عشرا وقيل أمره بأن يتخلى ثلاثين بالصوم والعبادة ثم أنزل عليه
التوراة في العشر وكلمه فيها وقال موسى لأخيه هارون اخلفني في قومي كن خليفتي فيهم وأصلح ما يجب أن يصلح من أمورهم
أو كن مصلحا ولا تتبع سبيل المفسدين ولا تتبع من سلك الإفساد ولا تطع من دعاك إليه ولما جاء موسى لميقاتنا
لوقتنا الذي وقتناه واللام للاختصاص أي اختص مجيئه بميقاتنا وكلمه ربه من غير وسط كما يكلم الملائكة وفيما روي أن موسى
عليه السلام كان يسمع ذلك الكلام من كل جهة تنبيه على أن سماع كلامه القديم ليس من جنس كلام المحدثين قال رب أرني

الدليل وهو يدل على الاول وان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا لاستيلاء الشيطنة عليهم وقرأ حمزة والكسائي
الرشد بفتحتين وقرئ الرشاد وثلثها لغات كالسقم والسقم والسقام وان يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا ذلك بانهم
كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين اي ذلك الصرف بسبب تكذيبهم وعدم تدبرهم للآيات ويجوز ان ينتصب ذلك على المصدر
اي سأصرف ذلك الصرف بسببهما والذين كذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة اي ولقائهم الدار الآخرة او ما وعد الله تعالى في الآخرة حبطت
اعمالهم لا ينتفعون بها هل يجزون الا ما كانوا يعملون الا جزاء اعمالهم واتخذ قوم موسى من بعده اي من بعد ذهابه الى الميقات
من حليهم التي استعاروا من القبط حين هموا بالخروج من مصر واضافتها اليهم لانها كانت في ايديهم او ملكوها بعد هلاكهم
وهو جمع حلي كثدي وثدي وقرأ حمزة والكسائي بالكسر للاتباع كدلي ويعقوب على الافراد عجلا جسدا بدنا ذا لحم ودم
او جسدا من الذهب خاليا من الروح ونصبه على البدل له خوار صوت البقر روي ان السامري لما صاغ العجل القى
في فمه من تراب اثر فرس جبريل فصار حيا وقيل صاغه بنوع من الحيل فيدخل الريح جوفه ويصوت وانما نسب الاتخاذ
اليهم وهو فعله اما لانهم رضوا به او لان المراد اتخاذهم اياه الها وقرئ جؤار اي صياح الم يروا انه لا يكلمهم ولا يهديهم
سبيلا تقريع على فرط ضلالتهم واخلالهم بالنظر والمعنى الم يروا حين اتخذوه الها انه لا يقدر على كلام ولا على ارشاد سبيل
كآحاد البشر حتى حسبوا انه خالق الاجسام والقوى والقدر اتخذوه تكرير للذم اي اتخذوه الها وكانوا ظالمين واضعين
الاشياء في غير مواضعها فلم يكن اتخاذ العجل بدعا منهم ولما سقط في ايديهم كناية عن اشتداد ندمهم فان النادم
المتحسر يعض يده غما فتصير يده مسقوطا فيها وقرئ سقط على بناء الفاعل بمعنى وقع العض فيها وقيل معناه سقط الندم في انفسهم
ورأوا وعلموا انهم قد ضلوا باتخاذ العجل قالوا لئن لم يرحمنا ربنا بانزال التوبة ويغفر لنا بالتجاوز عن الخطيئة لنكونن من
الخاسرين وقرأهما حمزة والكسائي بالتاء وربنا على النداء ولما رجع موسى الى قومه غضبان اسفا شديد الغضب وقيل حزينا قال
بئسما خلفتموني من بعدي فعلتم بعدي حيث عبدتم العجل والخطاب للعبدة او قمتم مقامي فلم تكفوا العبدة و
الخطاب لهارون وللمؤمنين معه وما نكرة موصوفة تفسر المستكن في بئس والمخصوص بالذم محذوف تقديره بئس خلافة
خلفتمونيها من بعدي خلافتكم ومعنى من بعدي من بعد انطلاقي او من بعد ما رأيتم مني من التوحيد والتنزيه والحمل عليه والكف
عما ينافيه اعجلتم امر ربكم اتركتموه غير تام كأنه ضمن عجل معنى سبق فعدي تعديته او اعجلتم وعد ربكم الذي
وعدنيه من الاربعين وقدرتم موتي وغيرتم بعدي كما غيرت الامم بعد انبيائهم والقى الالواح طرحها من شدة الغضب
وفرط الضجرة حمية للدين روي ان التوراة كانت سبعة اسباع في سبعة الواح فلما القاها انكسرت فرفع ستة
اسباعها وكان فيها تفصيل كل شيء وبقي سبع كان فيه المواعظ والاحكام واخذ برأس اخيه بشعر رأسه يجره اليه توهما بانه قصر في
كفهم وهرون كان اكبر منه بثلث سنين وكان حمولا لينا ولذلك كان احب الى بني اسرائيل قال ابن ام ذكر الام ليرققه عليه
وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وابو بكر عن عاصم هنا وفي طه يا ابن ام بالكسر واصله يا ابن امي فحذفت
الياء اكتفاء بالكسرة تخفيفا كالمنادى المضاف الى الياء والباقون بالفتح زيادة في التخفيف لطوله او تشبيها بخمسة
عشر ان القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني ازاحة لتوهم التقصير في حقه والمعنى بذلت وسعي في كفهم حتى

اذ الله ويحتمل ان يكون مبنيا للفاعل وللمفعول بمعنى امِلنا انفسنا وامُلنا اليك ويجوز ان يكون المضموم ايضا
مبنيا للمفعول منه على لغة من يقول عُود المريض قال عذابي اصيب به من اشاء تعذيبه ورحمتي وسعت كل شيء
في الدنيا المؤمن والكافر بل المكلف وغيره فسأكتبها فسأثبتها في الآخرة او فسأكتبها كتبة خاصة منكم يا بني اسرائيل
للذين يتقون الكفر والمعاصي ويؤتون الزكوة خصها بالذكر لانافتها ولانها كانت اشق عليهم والذين هم باياتنا يؤمنون
فلا يكفرون بشيء منها الذين يتبعون الرسول النبي مبتدا خبره يأمرهم او خبر مبتدا تقديره هم الذين او بدل من الذين
يتقون بدل البعض او الكل والمراد من آمن منهم بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم وانما سماه رسولا بالاضافة الى الله تعالى ونبيا
بالاضافة الى العباد الامي الذي لا يكتب ولا يقرأ وصفه به تنبيها على ان كمال علمه مع حاله احدى معجزاته
الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التورية والانجيل اسما وصفة يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات
مما حرم عليهم كالشحوم ويحرم عليهم الخبائث كالدم ولحم الخنزير او كالربوا والرشوة ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت
عليهم ويخفف عليهم ما كلفوا به من التكاليف الشاقة كتعيين القصاص في العمد والخطأ وقطع الاعضاء الخاطئة
وقرض موضع النجاسة واصل الاصر الثقل الذي يأصر صاحبه اي يحبسه من الحراك لثقله وقرأ ابن عامر آصارهم فالذين
آمنوا به وعزروه وعظموه بالتقوية وقرئ بالتخفيف واصله المنع ومنه التعزير ونصروه واتبعوا النور الذي انزل
معه اي مع نبوته يعني القرآن وانما سماه نورا لانه باعجازه ظاهر امره مظهر غيره او لانه كاشف الحقائق مظهر لها
ويجوز ان يكون معه متعلقا باتبعوا اي واتبعوا النور المنزل مع اتباع النبي فيكون اشارة الى اتباع الكتاب والسنة
اولئك هم المفلحون الفائزون بالرحمة الابدية ومضمون الآية جواب دعاء موسى عليه وعلى نبينا الصلوة والسلام
قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم الخطاب عام كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مبعوثا الى كافة الثقلين وسائر
الرسل الى اقوامهم جميعا حال من اليكم الذي له ملك السموات والارض صفة لله وان حيل بينهما بما هو متعلق
المضاف اليه لانه كالمتقدم عليه او مدح منصوب او مرفوع او مبتدأ خبره لا اله الا هو وهو على الوجوه الاول بيان
لما قبله فان من ملك العالم كان هو الاله لا غيره يحيي ويميت مزيد تقرير لاختصاصه بالالوهية فآمنوا بالله
ورسوله النبي الامي الذي يؤمن بالله وكلماته ما انزل عليه وعلى سائر الرسل من كتبه ووحيه وقرئ
وكلمته على ارادة الجنس او القرآن او عيسى عليه السلام تعريضا لليهود وتنبيها على ان من لم يؤمن به لم يعتبر ايمانه
وانما عدل عن التكلم الى الغيبة لاجراء هذه الصفات الداعية الى الايمان به والاتباع له واتبعوه لعلكم تهتدون
جعل رجاء الاهتداء اثر الامرين تنبيها على ان من صدقه ولم يتابعه بالتزام شرعه فهو بعد في خطط الضلالة ومن قوم
موسى يعني من بني اسرائيل امة يهدون بالحق يهدون الناس محقين او بكلمة الحق وبه وبالحق يعدلون بينهم في الحكم والمراد
بها الثابتون على الايمان القائمون بالحق من اهل زمانه اتبع ذكرهم ذكر اضدادهم على ما هو عادة القرآن تنبيها
على ان تعارض الخير والشر وتزاحم اهل الحق والباطل مستمر وقيل مؤمنوا اهل الكتاب وقيل قوم وراء الصين رآهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
ليلة المعراج فآمنوا به وقطعناهم وصيرناهم قطعا متميزا بعضهم عن بعض اثنتي عشرة مفعول ثان لقطع فانه متضمن معنى صير

الصلحاء والعظة اي موعظتنا معذرة او وعظناهم معذرة ولعلهم يتقون اذ اليأس لا يحصل الا بالهلاك فلما نسوا
تركوا ترك الناسي ما ذكروا به ما ذكرهم صلحاؤهم به انجينا الذين ينهون عن السوء واخذنا الذين ظلموا بالاعتداء
ومخالفة امر الله تعالى بعذاب بئيس شديد فعيل من بؤس يبؤس بأسا اذا اشتد وقرأ ابو بكر بيئس على فيعل كضيغم وابن
عامر بئس بكسر الباء وسكون الهمزة على انه بئس كحذر كما قرئ به فخففت عينه بنقل حركتها الى الفاء ككبد في كبد ونافع
بيس على قلب الهمزة ياء كما قلبت في ذيب او على انه فعل الذم وصف به فجعل اسما وقرئ بيّس كريّس على قلب الهمزة ياء
ثم ادغامها وبيس على التخفيف كهين وبائس بما كانوا يفسقون بسبب فسقهم فلما عتوا عما نهوا عنه تكبروا عن ترك ما نهوا
عنه كقوله تعالى وعتوا عن امر ربهم قلنا لهم كونوا قردة خاسئين كقوله تعالى انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون والظاهر
يقتضي ان الله تعالى عذبهم اولا بعذاب شديد فعتوا بعد ذلك فمسخهم ويجوز ان يكون الآية الثانية تقريرا وتفصيلا
للاولى روي ان الناهين لما ايسوا عن اتعاظ المعتدين كرهوا مساكنتهم فقسموا القرية بجدار فيه باب مطروق فاصبحوا
يوما ولم يخرج اليهم احد من المعتدين فقالوا ان لهم شأنا فدخلوا عليهم فاذا هم قردة فلم يعرفوا انسباءهم ولكن القرود
تعرفهم فجعلت تأتي انسباءهم وتشم ثيابهم وتدور حولهم باكية ثم ماتوا بعد ثلث وعن مجاهد مسخت قلوبهم لا ابدانهم
واذ تأذن ربك اي اعلم تفعل من الايذان بمعناه كالتوعد والايعاد او عزم لان العازم على الشيء يؤذن نفسه بفعله
فاجري مجرى فعل القسم كعلم الله وشهد الله ولذلك اجيب بجوابه وهو ليبعثن عليهم الى يوم القيمة والمعنى واذ اوجب ربك
على نفسه ليبعثن على اليهود من يسومهم سوء العذاب كالاذلال وضرب الجزية بعث الله تعالى عليهم بعد سليمان عليه وعلى نبينا
الصلوة والسلام بختنصر فخرب ديارهم وقتل مقاتليهم وسبى نساءهم وذراريهم وضرب الجزية على من بقي منهم وكانوا
يؤدونها الى المجوس حتى بعث الله تعالى محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم ففعل بهم ما فعل ثم ضرب عليهم الجزية فلا تزال
مضروبة الى آخر الدهر ان ربك لسريع العقاب عاقبهم في الدنيا وانه لغفور رحيم لمن تاب وآمن وقطعناهم في الارض
امما وفرقناهم فيها بحيث لا يكاد يخلو قطر منهم تتمة لادبارهم حتى لا يكون لهم شوكة قط وامما مفعول ثان او حال منهم
الصالحون صفة او بدل منه وهم الذين آمنوا بالمدينة ونظراؤهم ومنهم دون ذلك تقديره ومنهم ناس دون ذلك اي
عن الصلاح وهم كفرتهم وفسقتهم وبلوناهم بالحسنات والسيئات بالنعم والنقم لعلهم يرجعون ينتهون فيرجعون
عما كانوا عليه فخلف من بعدهم من بعد المذكورين خلف بدل سوء مصدر نعت به ولذلك يقع على الواحد والجمع
جمع وهو شائع في الشر والخلف بالفتح في الخير والمراد به الذين كانوا في عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم ورثوا الكتاب التوراة
من اسلافهم يقرؤونها ويقفون على ما فيها يأخذون عرض هذا الادنى حطام هذا الشيء الادنى يعني الدنيا وهو من الدنو
والدناءة وهو ما كانوا يأخذون من الرشا في الحكومة وعلى تحريف الكلم والجملة حال من الواو ويقولون سيغفر لنا لا يؤاخذنا
الله تعالى بذلك ويتجاوز عنه وهو يحتمل العطف والحال والفعل مسند الى الجار والمجرور او مصدر يأخذون
وان يأتهم عرض مثله يأخذوه حال من الضمير في لنا اي يرجون المغفرة مصرين على الذنب عائدين الى مثله غير تائبين
عنه الم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب اي في الكتاب ان لا يقولوا على الله الا الحق عطف بيان للميثاق او متعلق

قومه سألوه أن يدعو على موسى عليه الصلاة والسلام ومن معه فقال كيف أدعو على من معه الملائكة فألحوا عليه
حتى دعا عليهم فبقوا في التيه ولو شئنا لرفعناه إلى منازل الأبرار من العلماء بها بسبب تلك الآيات وملازمتها
ولكنه أخلد إلى الأرض مال إلى الدنيا أو إلى السفالة واتبع هواه في إيثار الدنيا واسترضاء قومه وأعرض عن مقتضى الآيات
وإنما علق رفعه بمشيئة الله تعالى ثم استدرك عنه بفعل العبد تنبيهاً على أن المشيئة سبب لفعله الموجب لرفعه
وأن عدمه دليل عدمها دلالة انتفاء المسبب على انتفاء سببه وأن السبب الحقيقي هو المشيئة وأن ما نشاهده من الأسباب
وسائط معتبرة في حصول المسبب من حيث إن المشيئة تعلقت به كذلك وكان من حقه أن يقول ولكنه
أعرض عنها فأوقع موقعه أخلد إلى الأرض واتبع هواه مبالغة وتنبيهاً على ما حمله عليه وأن حب الدنيا رأس كل خطيئة فمثله
فصفته التي هي مثل في الخسة كمثل الكلب كصفته في أخس أحواله وهو إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث أي يلهث دائماً
سواء حمل عليه بالزجر والطرد أو ترك ولم يتعرض له بخلاف سائر الحيوانات لضعف فؤاده واللهث إدلاع اللسان من التنفس
الشديد والشرطية في موضع الحال والمعنى لاهثاً في الحالتين والتمثيل واقع موقع لازم التركيب الذي هو نفي الرفع
ووضع المنزلة للمبالغة والبيان وقيل لما دعا على موسى عليه السلام خرج لسانه فوقع على صدره وجعل يلهث كالكلب
ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص المذكورة على اليهود فإنها نحو قصصهم لعلهم يتفكرون
تفكراً يؤدي بهم إلى الاتعاظ ساء مثلاً القوم أي مثل القوم وقرئ ساء مثل القوم أي مثلهم على حذف المخصوص
بالذم الذين كذبوا بآياتنا بعد قيام الحجة عليها وعلمهم بها وأنفسهم كانوا يظلمون إما أن يكون داخلاً في الصلة
معطوفاً على كذبوا بمعنى الذين جمعوا بين تكذيب الآيات وظلم أنفسهم أو مستقلاً بمعنى وما ظلموا بالتكذيب
إلا أنفسهم فإن وباله لا يتخطاها ولذلك قدم المفعول من يهد الله فهو المهتدي ومن يضلل فأولئك هم
الخاسرون تصريح بأن الهدى والضلال من الله تعالى وأن هداية الله تعالى تختص ببعض دون بعض وأنها مستلزمة
للاهتداء والإفراد في الأول والجمع في الثاني لاعتبار اللفظ والمعنى تنبيهاً على أن المهتدين كواحد لاتحاد طريقهم
بخلاف الضالين والاقتصار في الإخبار عمن هداه الله تعالى بالمهتدي تعظيم لشأن الاهتداء وتنبيه على أنه في نفسه
كمال جسيم ونفع عظيم لو لم يحصل له غيره لكفاه وأنه المستلزم للفوز بالنعم الآجلة والعنوان لها ولقد ذرأنا
لجهنم كثيراً من الجن والإنس يعني المصرين على الكفر في علمه تعالى لهم قلوب لا يفقهون بها إذ لا يلقونها إلى معرفة
والنظر في دلائله ولهم أعين لا يبصرون بها أي لا ينظرون إلى ما خلق الله تعالى نظر اعتبار ولهم آذان لا يسمعون بها الآيات والمواعظ
سماع تأمل وتذكر أولئك كالأنعام في عدم الفقه والإبصار للاعتبار والاستماع للتدبر أو في أن مشاعرهم وقواهم
متوجهة إلى أسباب التعيش مقصورة عليها بل هم أضل فإنها تدرك ما يمكن لها أن تدرك من المنافع والمضار وتجتهد في
جلبها ودفعها غاية جهدها وهم ليسوا كذلك بل أكثرهم يعلم أنه معاند فيقدم على النار أولئك هم الغافلون
الكاملون في الغفلة ولله الأسماء الحسنى لأنها دالة على معان هي أحسن المعاني والمراد بها الألفاظ وقيل
الصفات فادعوه بها فسموه بتلك الأسماء وذروا الذين يلحدون في أسمائه واتركوا تسمية الزائغين فيه الذين يسمونه بما لا توقيف

الخفاء بل استمر على ميزة إلى وقت حلولها والكلام للتأكيد كالأمر في قوله أقم الصلوة لدلوك الشمس ثقلت في السموت

والارض عظمت على اهلها من الملائكة والثقلين هولها وكأنه إشارة إلى الحكمة في إخفائها لا تاتيكم الا بغتة فجأة

على غفلة كما قال عليه السلام ان الساعة تهيج بالناس والرجل يصلح حوضه والرجل يسقي ماشيته والرجل يقوم

سلعته في سوقه والرجل يخفض ميزانه ويرفعه يسئلونك كانك حفي عنها عالم بها فعيل من حفي عن الشيء اذا

سأل عنه فان من بالغ في السؤال عن الشيء والبحث عنه استحكم علمه فيه ولذلك عدي بعن وقيل هي صلة يسئلونك

وقيل هو من الحفاوة بمعنى الشفقة فان قريشا قالوا له ان بيننا وبينك قرابة فقل لنا متى الساعة والمعنى يسئلونك

عنها كانك حفي تتحفى بهم فتخصهم لاجل قرابتهم بتعليم وقتها وقيل معناه كانك حفي بالسؤال عنها تحبه

من حفي بالشيء اذا فرح ان تكثره لانه من الغيب الذي استأثره الله تعالى بعلمه قل انما علمها عند الله كرره لتكرير يسئلونك لما نيط به

من هذه الزيادة وللمبالغة ولكن اكثر الناس لا يعلمون ان علمها عند الله تعالى لم يؤته احدا من خلقه قل لا املك

لنفسي نفعا ولا ضرا جلب نفع ولا دفع ضر وهو اظهار للعبودية والتبري عن ادعاء العلم بالغيوب الا ما شاء الله من ذلك

فيلهمني اياه ويوفقني له ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء ولو كنت اعلمه لخالفت حالي ما هي عليه

من استكثار المنافع واجتناب المضار حتى لا يمسني سوء ان انا الا نذير وبشير وما انا الا عبد مرسل للانذار والبشارة

لقوم يؤمنون فانهم المنتفعون بهما ويجوز ان يكون متعلقا بالبشير ومتعلق النذير محذوف هو الذي

خلقكم من نفس واحدة هو آدم على نبينا وعليه الصلوة والسلام وجعل منها زوجها من جسدها من ضلع من اضلاعها او من

جنسها كقوله جعل لكم من انفسكم ازواجا ليسكن اليها ليستانس بها ويطمئن اليها اطمئنان الشيء الى

جزئه او جنسه وانما ذكر الضمير ذهابا الى المعنى ليناسب فلما تغشاها اي جامعها حملت حملا خفيفا خف

عليها ولم تلق منه ما تلقى منه الحوامل غالبا من الاذى او محمولا خفيفا وهو النطفة فمرت به فاستمرت به اي قامت

وقعدت وقرئ فمرت بالتخفيف وفاستمرت به وفمارت من المور وهو المجيء والذهاب او من المرية اي فظنت الحمل

وارتابت به فلما اثقلت صارت ذات ثقل بكبر الولد في بطنها وقرئ على البناء للمفعول اي اثقلها حملها دعوا

الله ربهما لئن آتيتنا صالحا ولدا سويا قد صلح بدنه لنكونن من الشاكرين لك على هذه النعمة المجددة

فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما آتاهما اي جعل اولادهما له شركاء فيما آتى اولادهما فسموه عبد العزى وعبد مناة على حذف

المضاف واقامة المضاف اليه مقامه ويدل عليه قوله فتعالى الله عما يشركون ايشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون يعني

الاصنام وقيل لما حملت حواء اتاها ابليس في صورة رجل فقال لها ما يدريك ما في بطنك لعله بهيمة او كلب

وما يدريك من اين يخرج فخافت من ذلك وذكرت لآدم عليه السلام فهما منه ثم عاد اليها وقال اني

من الله تعالى بمنزلة فان دعوت الله تعالى ان يجعله خلقا مثلك ويسهل عليك خروجه تسميه عبد الحارث

وكان اسمه حارثا في الملائكة فتقبلت فلما ولدت سمياه عبد الحارث وامثال ذلك لا يليق بالانبياء ويحتمل ان

يكون الخطاب في خلقكم لآل قصي من قريش فانهم خلقوا من نفس قصي وكان له زوج من جنسها عربية قرشية وطلبا من الله تعالى

وعين والمراد بالشيطان الجنس ولذلك جمع ضميره تذكروا ما أمر الله تعالى به ونهى عنه فإذا هم مبصرون بسبب
التذكر مواقع الخطاء ومكائد الشيطان فيتحرزون عنها ولا يتبعونه فيها والآية تأكيد وتقرير لما قبلها وكذا قوله
وإخوانهم يمدونهم أي وإخوان الشياطين الذين لم يتقوا يمدهم الشياطين في الغي بالتزيين والحمل عليه وقرئ يمدونهم
من أمد ويمادونهم كأنهم يعينونهم بالتسهيل والإغراء وهؤلاء يعينونهم بالاتباع والامتثال ثم لا يقصرون
لا يمسكون عن إغوائهم حتى يردوهم ويجوز أن يكون الضمير للإخوان أي لا يكفون عن الغي ولا يقصرون كالمتقين
ويجوز أن يراد بالإخوان الشياطين ويرجع الضمير إلى الجاهلين فيكون الخبر جاريا على ما هو له وإذا لم تأتهم بآية من
القرآن أو مما اقترحوه قالوا لولا اجتبيتها هلا جمعتها تقولا من نفسك كسائر ما تقرأه أو هلا طلبتها من الله
قل إنما أتبع ما يوحى إلي من ربي لست بمختلق للآيات أو لست بمقترح لها هذا بصائر من ربكم هذا القرآن
بصائر للقلوب بها تبصر الحق وتدرك الصواب وهدى ورحمة لقوم يؤمنون سبق تفسيره وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له
وأنصتوا لعلكم ترحمون نزلت في الصلاة كانوا يتكلمون فيها فأمروا باستماع قراءة الإمام والإنصات له وظاهر
اللفظ يقتضي وجوبهما حيث يقرأ القرآن مطلقا وعامة العلماء على استحبابهما خارج الصلاة واحتج به من لا يرى
القراءة على المأموم وهو ضعيف واذكر ربك في نفسك عام في الأذكار من القراءة والدعاء وغيرهما أو أمر
للمأموم بالقراءة سرا بعد فراغ الإمام من قراءته كما هو مذهب الشافعي رحمه الله تعالى تضرعا وخيفة متضرعا
وخائفا ودون الجهر من القول ومتكلما كلاما فوق السر ودون الجهر فإنه أدخل في الخشوع والإخلاص بالغدو و
الآصال بأوقات الغدو والعشيات وقرئ والإيصال وهو مصدر آصل إذا دخل في الأصيل مطابق للغدو
ولا تكن من الغافلين عن ذكر الله تعالى إن الذين عند ربك يعني ملائكة الملأ الأعلى لا يستكبرون عن عبادته
ويسبحونه وينزهونه وله يسجدون ويخصونه بالعبادة والتذلل لا يشركون به غيره وهو تعريض بمن عداهم
من المكلفين ولذلك شرع السجود لقراءته وعن النبي صلى الله عليه وسلم إذا قرأ ابن آدم آية السجدة فسجد اعتزل
الشيطان يبكي ويقول يا ويلتي أمر هذا بالسجود فسجد فله الجنة وأمرت بالسجود فعصيت فلي النار وعنه
صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الأعراف جعل الله تعالى يوم القيامة بينه وبين إبليس سترا وكان آدم شفيعا له يوم القيامة

سورة الأنفال مدنية وآيها ست وسبعون

بسم الله الرحمن الرحيم

يسألونك عن الأنفال أي الغنائم يعني حكمها وإنما سميت الغنيمة نفلا لأنها عطية من الله تعالى وفضل كما سمي به ما يشرطه الإمام لمقتحم خطر
له وزيادة على سهمه قل الأنفال لله والرسول أي أمرها مختص بهما يقسمها الرسول على ما يأمره الله تعالى به وسبب نزوله اختلاف المسلمين في غنائم
بدر أنها كيف تقسم ومن يقسم المهاجرون منهم أو الأنصار وقيل شرط رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن كان له غناء أن ينفله فتسارع شبانهم حتى
قتلوا سبعين وأسروا سبعين ثم طلبوا نفلهم وكان المال قليلا فقال الشيوخ والوجوه الذين كانوا عند الرايات كنا ردءا لكم وفئة تنحازون
إليها فنزلت فقسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهم على السواء ولهذا قيل لا يلزم الإمام أن يفي بما وعد وهو

رسول الله صلى الله عليه وسلم بوادي ذفران فنزل عليه جبريل بالوعد باحدى الطائفتين اما العير واما قريش فاستشار

اصحابه فقال بعضهم هلا ذكرت لنا القتال حتى نتاهب له انا خرجنا للعير فردد عليهم فقال ان العير قد مضت

على ساحل البحر وهذا ابو جهل قد اقبل فقالوا يا رسول الله عليك بالعير ودع العدو فغضب رسول الله صلى الله

عليه وسلم فقام ابو بكر وعمر فاحسنا ثم قام سعد بن عبادة فقال انظر امرك فامض فوالله لو سرت الى

عدن ابين ما تخلف عنك رجل من الانصار ثم قال مقداد بن عمرو امض لما امرك الله فانا معك حيث

ما احببت لا نقول لك كما قالت بنو اسرائيل لموسى عليه السلام اذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ولكن

اذهب انت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال اشيروا علي ايها الناس

وهو يريد الانصار لانهم كانوا عددهم وقد شرطوا حين بايعوه بالعقبة انهم براء من ذمامه حتى يصل الى ديارهم فتخوف

ان لا يروا نصرته الا على عدو دهمه بالمدينة فقام سعد بن معاذ فقال لكانك تريدنا يا رسول الله قال اجل قال

قد آمنا بك وصدقناك وشهدنا ان ما جئت به هو الحق واعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة

فامض يا رسول الله لما اردت فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف

منا رجل واحد وما نكره ان تلقى بنا عدونا وانا لصبر عند الحرب صدق عند اللقاء ولعل الله تعالى يريك منا ما تقر به

عينك فسر بنا على بركة الله تعالى فنشطه قوله ثم قال سيروا على بركة الله تعالى وابشروا فان الله تعالى قد وعدني

احدى الطائفتين والله لكاني انظر الى مصارع القوم وقيل انه عليه السلام لما فرغ من بدر قيل له عليك بالعير

فناداه العباس رضي الله تعالى عنه وهو في وثاقه لا يصلح فقال له لم فقال لان الله وعدك احدى الطائفتين وقد اعطاك

ما وعدك فكره بعضهم قوله يجادلونك في الحق في ايثارك الجهاد لاظهار الحق لايثارهم تلقي العير عليه بعد

ما تبين انهم ينصرون اينما توجهوا باعلام الرسول صلى الله عليه وسلم كانما يساقون الى الموت وهم ينظرون اي

يكرهون القتال كراهة من يساق الى الموت وهو يشاهد اسبابه وكان ذلك لقلة عددهم وعدم تاهبهم

اذ روي انهم كانوا رجالة وما كان فيهم الا فارسان وفيه ايماء الى ان مجادلتهم كانت لفرط فزعهم ورعبهم واذ يعدكم

الله احدى الطائفتين على اضمار اذكر واحدى ثاني مفعولي يعدكم وقد ابدل عنها انها لكم بدل الاشتمال وتودون ان غير

ذات الشوكة تكون لكم يعني العير فانه لم يكن فيها الا اربعون فارسا ولذلك يتمنونها ويكرهون ملاقاة النفير

لكثرة عددهم وعدتهم والشوكة الحدة مستعارة من واحدة الشوك ويريد الله ان يحق الحق ان يثبته

ويعليه بكلماته بآياته الموحى بها في هذه الحال او باوامره للملائكة بالامداد وقرئ بكلمته ويقطع دابر الكافرين ويستاصلهم

والمعنى انكم تريدون ان تصيبوا مالا ولا تلقوا مكروها والله يريد اعلاء الدين واظهار الحق وما يحصل لكم فوز الدارين

ليحق الحق ويبطل الباطل اي فعل ما فعل وليس بتكرير لان الاول لبيان المراد وما بينه وبين مرادهم من التفاوت والثاني

لبيان الداعي الى حمل الرسول صلى الله عليه وسلم على اختيار ذات الشوكة ونصرته عليها ولو كره المجرمون ذلك

اذ تستغيثون ربكم بدل من اذ يعدكم او متعلق بقوله ليحق الحق او على اضمار اذكر واستغاثتهم انهم لما

بالكسر على ارادة القول او اجراء الوحي مجراه فثبتوا الذين آمنوا بالبشارة او بتكثير سوادهم او بمحاربة اعدائهم فيكون قوله
سالقي في قلوب الذين كفروا الرعب كالتفسير لقوله اني معكم فثبتوا وفيه دليل على انهم قاتلوا ومن منع ذلك جعل
فيهم ... على تغيير الخطاب او على ان قوله سالقي الى قوله كل بنان تلقين للملائكة ما يثبتون المؤمنين به كانه
قال قولوا لهم قولي هذا فاضربوا فوق الاعناق اعاليها التي هي المذابح او الرؤس واضربوا منهم كل بنان اصابع اي
جزوا رقابهم واقطعوا اطرافهم ذلك اشارة الى الضرب او الامر به والخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم او لكل احد من
المخاطبين قبل بانهم شاقوا الله ورسوله بسبب مشاقتهم لهما واشتقاقه من الشق لان كلا من المتعاديين في
شق خلاف شق الآخر كالمعاداة من العدوة والمخاصمة من الخصم وهو الجانب ومن يشاقق الله ورسوله فان الله
شديد العقاب تقرير للتعليل او وعيد بما اعد لهم في الآخرة بعد ما حاق بهم في الدنيا ذلكم الخطاب فيه مع الكفرة
على طريقة الالتفات ومحله الرفع اي الامر ذلكم او ذلكم واقع او نصب بفعل دل عليه فذوقوه او غيره مثل باشروا او عليكم
ليكون الفاء عاطفة وان للكافرين عذاب النار عطف على ذلكم او نصب على المفعول معه والمعنى ذوقوا ما عجل
مع ما اجل لكم في الآخرة ووضع الظاهر فيه موضع المضمر للدلالة على ان الكفر سبب للعذاب الآجل او الجمع بينهما وقرئ
وان بالكسر على الاستئناف يا ايها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا كثيرا بحيث يرى لكثرتهم كانهم يزحفون
وهو مصدر زحف الصبي اذا دب على مقعده قليلا قليلا سمي به وجمع على زحوف وانتصابه على الحال فلا تولوهم
الادبار بالهزيمة فضلا ان يكونوا مثلكم او اقل منكم والاظهر انها محكمة لكنها مخصوصة بقوله حرض المؤمنين الآية ويجوز ان
ينتصب زحفا على الحال من الفاعل والمفعول جميعا اي اذا لقيتموهم متزاحفين يدبون اليكم وتدبون اليهم فلا تنهزموا او من الفاعل
وحده ويكون اشعارا بما سيكون منهم يوم حنين حين تولوا وهم اثنا عشر الفا ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا
لقتال يريد الكر بعد الفر وتغرير العدو فانه من مكايد الحرب او متحيزا الى فئة او منحازا الى فئة اخرى من المسلمين على القرب
ليستعين بهم ومنهم من لم يعتبر القرب لما روى ابن عمر رضي الله تعالى عنه انه كان في سرية بعثهم رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم ففروا الى المدينة فقلت يا رسول الله نحن الفرارون فقال بل انتم العكارون وانا فئتكم وانتصاب متحرفا
ومتحيزا على الحال والا لغو لا عمل لها او الاستثناء من المولين اي الا رجلا متحرفا او متحيزا ووزن متحيز متفيعل لا متفعل
والا لكان متحوزا لانه من حاز يحوز فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير هذا اذا لم يزد العدو على
الضعف لقوله الآن خفف الله عنكم الآية وقيل الآية مخصوصة باهل بدر والحاضرين معه في الحرب
فلم تقتلوهم بقوتكم ولكن الله قتلهم بنصركم وتسليطكم عليهم والقاء الرعب في قلوبهم روي انه لما طلعت
قريش من العقنقل قال صلى الله عليه وسلم هذه قريش جاءت بخيلائها وفخرها يكذبون رسولك اللهم اني اسألك
ما وعدتني فاتاه جبريل عليه السلام وقال له خذ قبضة من تراب فارمهم بها فلما التقى الجمعان تناول كفا
من الحصباء فرمى بها في وجوههم وقال شاهت الوجوه فلم يبق مشرك الا شغل بعينيه فانهزموا وردفهم المؤمنون
يقتلونهم ويأسرونهم ثم لما انصرفوا اقبلوا على التفاخر فيقول الرجل قتلت واسرت فنزلت والفاء جواب شرط محذوف

[illegible] صلى الله عليه السلام مرّ على ابي وهو يصلي فدعاه فعجل في صلاته ثم جاء فقال ما
منعك عن اجابتي قال كنت اصلي قال ألم تخبر فيما اوحي الي استجيبوا لله وللرسول واختلف فيه فقيل هذا
لان اجابته لا تقطع الصلوة فان الصلوة ايضا اجابة وقيل لان دعاءه كان لامر لا يحتمل التاخير وللمصلي ان
يقطع الصلوة لمثله وظاهر الحديث يناسب الاول لما يحييكم من العلوم الدينية فانها حيوة القلب والجهل موته قال
لا تعجبن الجهول حلته فذاك ميت وثوبه كفن * او مما يورثكم الحيوة الابدية في النعيم الدائم من العقائد والاعمال او من
الجهاد فانه سبب بقائكم اذ لو تركوه لغلبهم العدو وقتلهم او الشهادة لقوله تعالى بل احياء عند ربهم واعلموا ان الله يحول
بين المرء وقلبه تمثيل لغاية قربه من العبد كقوله تعالى ونحن اقرب اليه من حبل الوريد وتنبيه على انه مطلع على مكنونات
القلوب مما عسى يغفل عنه صاحبها او حث على المبادرة الى اخلاص القلوب وتصفيتها قبل ان يحول الله بينه وبين
قلبه بالموت وغيره او تصوير وتخييل لتملكه على العبد قلبه فيفسخ عزائمه ويغير مقاصده ويحول بينه وبين
الكفر ان اراد سعادته وبينه وبين الايمان ان قضى شقاوته وقرئ المرّ بالتشديد على حذف الهمزة والقاء حركتها
على الراء واجراء الوصل مجرى الوقف على لغة من يشدد فيه وانه اليه تحشرون فيجازيكم باعمالكم واتقوا فتنة
لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة اتقوا ذنبا يعمكم اثره كاقرار المنكر بين اظهركم والمداهنة في الامر بالمعروف وافتراق الكلمة
وظهور البدع والتكاسل في الجهاد على ان قوله لا تصيبن اما جواب الامر على معنى ان اصابتكم لا تصيب الظالمين منكم خاصة وفيه ان
جواب الشرط متردد فلا يليق به النون المؤكدة لكنه لما تضمن معنى النهي ساغ فيه كقوله ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم
واما صفة لفتنة ولا للنفي وفيه شذوذ لان النون لا تدخل المنفي في غير القسم او للنهي على ارادة القول كقوله
حتى اذا جن الظلام واختلط جاؤا بمذق هل رايت الذئب قط واما جواب قسم محذوف كقراءة من قرأ لتصيبن
وان اختلفا في المعنى ويحتمل ان يكون نهيا بعد الامر باتقاء الذنب عن التعرض للظلم فان وباله يصيب الظالم
خاصة ويعود عليه ومن في منكم على الوجوه الاول للتبعيض وعلى الاخيرين للتبيين وفائدته التنبيه على ان الظلم
منكم اقبح من غيركم واعلموا ان الله شديد العقاب واذكروا اذ انتم قليل مستضعفون في الارض ارض مكة
يستضعفكم قريش والخطاب للمهاجرين وقيل للعرب كافة فانهم كانوا اذلاء في ايدي فارس والروم تخافون ان يتخطفكم
الناس كفار قريش ومن عداهم فانهم كانوا جميعا معادين مضادين لهم فآواكم الى المدينة او جعل لكم مأوى
تتحصنون به على اعدائكم وايدكم بنصره على الكفار او بمظاهرة الانصار او بامداد الملائكة يوم بدر ورزقكم من الطيبات
من الغنائم لعلكم تشكرون هذه النعم يا ايها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول بتعطيل الفرائض والسنن او بان
تضمروا خلاف ما تظهرون او بالغلول في المغانم وروي انه عليه الصلوة والسلام حاصر بني قريظة احدى وعشرين ليلة فسألوا
الصلح كما صالح اخوانهم بني النضير على ان يسيروا الى اخوانهم باذرعات واريحاء من الشام فابى الا ان ينزلوا على
حكم سعد بن معاذ فابوا وقالوا ارسل الينا ابا لبابة وكان مناصحا لهم لان عياله وماله في ايديهم فبعثه اليهم
فقالوا ما ترى هل ننزل على حكم سعد فاشار الى حلقه انه الذبح قال ابو لبابة فما زالت قدماي حتى علمت

ابتداء الآية مما بهام الذم وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا وهو قول النضر بن الحارث
وإسناده إلى الجميع إسناد ما فعله رئيس القوم إليهم فإنه كان قاصهم أو قول الذين ائتمروا في أمره صلى الله عليه وسلم
وهذا غاية مكابرتهم وفرط عنادهم إذ لو استطاعوا ذلك فما منعهم أن يشاؤوا وقد تحداهم وقرعهم بالعجز عشر سنين
ثم قارعهم بالسيف فلم يعارضوا سواه مع أنفتهم وفرط استنكافهم أن يغلبوا خصوصاً في باب البيان إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ
الْأَوَّلِينَ ما سطره الأولون من القصص وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ
السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ هذا أيضاً من كلام ذلك القائل أبلغ في الجحود روي أنه لما قال النضر إن هذا إلا أساطير الأولين
قال له النبي صلى الله عليه وسلم ويلك إنه كلام الله تعالى فقال ذلك والمعنى إن كان القرآن حقاً منزلاً فأمطر الحجارة علينا
عقوبة على إنكاره أو ائتنا بعذاب أليم سواه والمراد به التهكم وإظهار اليقين والجزم التام على كونه باطلاً وقرئ
الحق بالرفع على أن هو مبتدأ غير فصل وفائدة التعريف فيه الدلالة على أن المعلق به كونه حقاً بالوجه الذي
يدعيه النبي صلى الله عليه وسلم وهو تنزيله لا الحق مطلقاً لتجويزهم أن يكون مطابقاً للواقع غير منزل كأساطير الأولين
وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ بيان لما كان الموجب لإمهالهم
والتوقف في إجابة دعائهم واللام لتأكيد النفي والدلالة على أن تعذيبهم عذاب استئصال والنبي صلى الله عليه وسلم بين أظهرهم خارج عن
عادته غير مستقيم في قضائه والمراد بالاستغفار إما استغفار من بقي فيهم من المؤمنين أو قولهم اللهم غفرانك أو فرضه على
معنى لو استغفروا لم يعذبوا كقوله تعالى وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ
وما لهم مما يمنع تعذيبهم متى زال ذلك وكيف لا يعذبون وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وحالهم ذلك ومن
صدهم عنه إلجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين إلى الهجرة وإحصارهم عام الحديبية وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ مستحقين
ولاية أمره مع شركهم وهو رد لما كانوا يقولون نحن ولاة البيت والحرم فنصد من نشاء وندخل من نشاء
إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ من الشرك الذين لا يعبدون فيه غيره وقيل الضميران لله وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ
لَا يَعْلَمُونَ أن لا ولاية لهم عليه كأنه نبه بالأكثر أن منهم من يعلم ويعاند أو أراد به الكل كما يراد بالقلة العدم
وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ أي دعاؤهم أو ما يسمونه صلاة أو ما يضعون موضعها إِلَّا مُكَاءً صفيراً
تفعال من مكا يمكو إذا صفر وقرئ بالقصر كالبكا وَتَصْدِيَةً تصفيقاً تفعلة من الصد أو من الصدى على إبدال
حرف التضعيف بالياء وقرئ صلاتهم بالنصب على أنه الخبر المقدم ومساق الكلام لتقرير استحقاقهم
العذاب أو عدم ولايتهم للمسجد فإنها لا تليق بمن هذه صلاته روي أنهم كانوا يطوفون عراة الرجال والنساء
مشبكين بين أصابعهم يصفرون فيها ويصفقون وقيل كانوا يفعلون ذلك إذا أراد النبي صلى الله عليه وسلم
أن يصلي يخلطون عليه ويرون أنهم يصلون أيضاً فَذُوقُوا الْعَذَابَ يعني القتل والأسر يوم بدر وقيل
عذاب الآخرة واللام يحتمل أن يكون للجنس والمعهود والمعنى بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ اعتقاداً و
عملاً إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ نزلت في المطعمين يوم بدر وكانوا

الى الامام وقيل الى الاصناف الاربعة وقال ابو حنيفة رحمه الله تعالى سهمه وسهم ذوي القربى ساقط بوفاته صلى الله
عليه وسلم وصار الكل مصروفا الى الثلثة الباقية وعن مالك رحمه الله تعالى الامر فيه مفوض الى رأي الامام
يصرفه الى ما يراه اهم وذهب ابو العالية الى ظاهر الاية وقال يقسم ستة اقسام ويصرف سهم الله تعالى الى الكعبة لما
روي انه عليه السلام كان ياخذ منه قبضة فيجعلها للكعبة ثم يقسم ما بقي على خمسة وقيل سهم الله تعالى لبيت المال وقيل هو
مضموم الى سهم الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وذو القربى بنو هاشم وبنو المطلب لما روي انه صلى الله تعالى عليه وسلم قسم سهم
ذوي القربى عليهما فقال له عثمان وجبير بن مطعم رضي الله تعالى عنهما هؤلاء اخوتك بنو هاشم
لا ننكر فضلهم لمكانك الذي جعلك الله تعالى منهم أرأيت اخواننا من بني المطلب اعطيتهم وحرمتنا وانما نحن
وهم بمنزلة واحدة فقال عليه السلام انهم لم يفارقونا في جاهلية ولا في اسلام وشبك بين اصابعه وقيل
بنو هاشم وحدهم وقيل جميع قريش والغني والفقير فيه سواء وقيل مخصوص بفقرائهم كسهم ابن السبيل وقيل
الخمس كله لهم والمراد باليتامى والمساكين وابن السبيل من كان منهم والعطف للتخصيص والاية نزلت ببدر وقيل
كان الخمس في غزوة بني قينقاع بعد بدر بشهر وثلثة ايام للنصف من شوال على راس عشرين شهرا من الهجرة إن
كنتم آمنتم بالله متعلق بمحذوف دل عليه واعلموا اي ان كنتم آمنتم بالله تعالى فاعلموا انه تعالى جعل الخمس لهؤلاء فسلموه
اليهم واقتنعوا بالاخماس الاربعة الباقية فان العلم العملي اذا امر به لم يرد منه العلم المجرد لانه مقصود بالعرض
والمقصود بالذات هو العمل وما انزلنا على عبدنا محمد صلى الله عليه وسلم من الايات والملائكة والنصر وقرئ عُبُدنا
بالضمتين اي الرسول والمؤمنين يوم الفرقان يوم بدر فانه فرق فيه بين الحق والباطل يوم التقى الجمعان المسلمون
والكفار والله على كل شيء قدير فيقدر على نصر القليل على الكثير والامداد بالملائكة إذ انتم بالعدوة الدنيا
بدل من يوم الفرقان والعدوة بالحركات الثلث شط الوادي وقد قرئ بها والمشهور الضم والكسر وهو قراءة
ابن كثير وابي عمرو ويعقوب وهم بالعدوة القصوى البعدى من المدينة تانيث الاقصى وكان قياسه قلب
الواو كالدنيا والعليا تفرقة بين الاسم والصفة فجاء على الاصل كالقود وهو اكثر استعمالا من القصيا
والركب اي العير او قوادها اسفل منكم في مكان اسفل من مكانكم يعني الساحل وهو منصوب على الظرف
واقع موقع الخبر والجملة حال من الظرف قبله وفائدتها الدلالة على قوة العدو واستظهارهم بالركب وحرصهم
على المقاتلة عنها وتوطين نفوسهم على ان لا يخلوا مراكزهم ويبذلوا منتهى جهدهم وضعف شان المسلمين والتياث
امرهم واستبعاد غلبتهم عادة وكذا ذكر مراكز الفريقين فان العدوة الدنيا كانت رخوة تسوخ فيها الارجل ولا يمشى
فيها الا بتعب ولم يكن فيها ماء بخلاف العدوة القصوى وكذا قوله ولو تواعدتم لاختلفتم في الميعاد اي لو تواعدتم
انتم وهم القتال ثم علمتم حالكم وحالهم لاختلفتم انتم في الميعاد هيبة منهم وياسا من الظفر عليهم ليتحققوا
ان ما اتفق لهم من الفتح ليس الا صنعا من الله تعالى خارقا للعادة فيزدادوا ايمانا وشكرا ولكن جمع بينكم على هذه
الحال من غير ميعاد ليقضي الله امرا كان مفعولا حقيقا بان يفعل وهو نصر اوليائه وقهر اعدائه

القينات ونطعم بها من حضرنا من العرب فوافوها ولكن سقوا كاس المنايا وناحت عليهم النوائح فنهى المؤمنين
ان يكونوا امثالهم بطرين مرائين وامرهم بان يكونوا اهل تقوى واخلاص من حيث ان النهي عن الشيء امر بضده ويصدون
عن سبيل الله معطوف على بطرا ان جعل مصدرا في موضع الحال وكذا ان جعل مفعولا له لكن على تاويل المصدر
والله بما يعملون محيط فيجازيهم عليه واذ زين لهم الشيطان مقدر باذكر اعمالهم في معاداة الرسول صلى الله تعالى
عليه وسلم وغيرها بان وسوس اليهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم مقالة نفسانية والمعنى انه القى
في روعهم وخيل اليهم انهم لا يغلبون ولا يطاقون لكثرة عددهم وعددهم واوهمهم ان اتباعهم اياه فيما يظنون
انها قربات مجير لهم حتى قالوا اللهم انصر اهدى الفئتين وافضل الدينين ولكم خبر لا غالب او صفته وليس صلته والا
لانتصب كقولك لا ضاربا زيدا عندنا فلما تراءت الفئتان اي تلاقى الفريقان نكص على عقبيه رجع القهقرى
اي بطل كيده وعاد ما خيل اليهم انه مجيرهم سبب هلاكهم وقال اني بريء منكم اني ارى ما لا ترون اني اخاف الله اي تبرأ منهم
وخاف عليهم وايس من حالهم لما رأى امداد الله تعالى المسلمين بالملائكة وقيل لما اجتمعت قريش على المسير
ذكرت ما بينهم وبين كنانة من الاحنة وكاد ذلك يثنيهم فتمثل لهم ابليس بصورة سراقة بن مالك الكناني
وقال لا غالب لكم اليوم واني مجيركم من بني كنانة فلما راى الملائكة تنزل نكص وكان يده في يد الحارث بن هشام
فقال له الى اين اتخذلنا في هذه الحالة فقال اني ارى ما لا ترون ودفع في صدر الحارث وانطلق وانهزموا فلما
بلغوا مكة قالوا هزم الناس سراقة فبلغه ذلك فقال والله ما شعرت بمسيركم حتى بلغتني هزيمتكم فلما اسلموا علموا
انه الشيطان وعلى هذا يحتمل ان يكون معنى قوله اني اخاف الله اني اخاف ان يصيبني مكروها من الملائكة او يهلكني
ويكون الوقت هو الوقت الموعود اذ راى فيه ما لم ير قبله والاول ما قاله الحسن واختاره ابن بحر والله
شديد العقاب يجوز ان يكون من كلامه وان يكون مستانفا اذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض والذين لم يطمئنوا
الى الايمان بعد وبقي في قلوبهم شبهة وقيل هم المشركون وقيل المنافقون والعطف لتغاير الوصفين غر هؤلاء
يعنون المؤمنين دينهم حين تعرضوا لما لا يدي لهم به فخرجوا وهم ثلثمائة وبضعة عشر الى زهاء الف ومن يتوكل على
الله جواب لهم فان الله عزيز غالب لا يذل من استجار به وان قل حكيم يفعل بحكمته البالغة ما يستبعده العقل
ويعجز عن ادراكه ولو ترى ولو رايت فان لو تجعل المضارع ماضيا عكس ان اذ يتوفى الذين كفروا الملائكة ببدر واذ ظرف
ترى والمفعول محذوف اي ولو ترى الكفرة او حالهم حينئذ والملائكة فاعل يتوفى ويدل عليه قراءة ابن عامر بالتاء ويجوز
ان يكون الفاعل ضمير الله عز وجل وهو مبتدا خبره يضربون وجوههم والجملة حال من الذين كفروا واستغني
فيه بالضمير عن الواو وهو على الاول حال منهم او من الملائكة او منهما لاشتماله على الضميرين وادبارهم ظهورهم او استاههم
ولعل المراد تعميم الضرب اي يضربون ما اقبل منهم وما ادبر وذوقوا عذاب الحريق عطف على يضربون
باضمار القول اي يقولون ذوقوا بشارة لهم بعذاب الآخرة وقيل كانت معهم مقامع من حديد كلما ضربوا بها
التهبت النار منها وجواب لو محذوف لتفظيع الامر وتهويله ذلك الضرب والعذاب بما قدمت ايديكم بسبب

الناد على الوجه الاول حالا ثابتا على طريق سوي او منه ومن المنبوذ اليهم او منهما على غيره وقوله ان الله لا يحب الخائنين
تعليل للامر بالنبذ والنهي عن مناجزة القتال المدلول عليه بالحال على طريقة الاستئناف ولا يحسبن خطاب للنبي وقوله
الذين كفروا سبقوا مفعولاه وقرأ ابن عامر وحمزة وحفص بالياء على ان الفاعل ضمير احد او من خلفهم او
الذين كفروا والمفعول الاول انفسهم فحذف للتكرار او على تقدير ان سبقوا وهو ضعيف لان ان المصدرية
كالموصول فلا تحذف او على ايقاع الفعل على انهم لا يعجزون بالفتح على قراءة ابن عامر وان لا صلة وسبقوا
حال بمعنى سابقين اي مفلتين والاظهر انه تعليل للنهي اي لا تحسبنهم سبقوا فافلتوا لانهم لا يفوتون
الله او لا يجدون طالبهم عاجزا عن ادراكهم وكذا ان كسرت ان الا انه تعليل على سبيل الاستئناف
ولعل الآية ازاحة لما يحذر به من نبذ العهد وايقاظ العدو وقيل نزلت فيمن افلت من فل المشركين واعدوا
ايها المؤمنون لهم لناقضي العهد او الكفار ما استطعتم من قوة من كل ما يتقوى به في الحرب وعن عقبة
بن عامر سمعته عليه السلام يقول على المنبر الا ان القوة الرمي قالها ثلاثا ولعله صلى الله تعالى عليه وسلم
خصه بالذكر لانه اقواه ومن رباط الخيل اسم للخيل التي تربط في سبيل الله تعالى فعال بمعنى مفعول او مصدر
سمي به يقال ربط ربطا ورباطا ورابط مرابطة ورباطا او جمع ربيط كفصيل وفصال وقرئ ربط الخيل بضم الباء وسكونها
جمع رباط وعطفها على القوة كعطف جبرئيل وميكائيل على الملائكة ترهبون به تخوفون به وعن يعقوب ترهبون
بالتشديد والضمير لما استطعتم او للاعداد عدو الله وعدوكم يعني كفار مكة وآخرين من دونهم من غيرهم من
الكفرة قيل هم اليهود وقيل المنافقون وقيل الفرس لا تعلمونهم لا تعرفونهم باعيانهم الله يعلمهم يعرفهم وما
تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف اليكم جزاؤه وانتم لا تظلمون بتضييع العمل او نقص الثواب وان جنحوا مالوا ومنه الجناح
وقد يعدى باللام والى للسلم للصلح او الاستسلام وقرأ ابو بكر بالكسر فاجنح لها وعاهد معهم وتأنيث الضمير لحمل
السلم على نقيضها قال السلم تأخذ منها ما رضيت به والحرب يكفيك من انفاسها جرع وقرئ فاجنح بالضم وتوكل
على الله ولا تخف من ابطانهم خداعا فيه فان الله تعالى يعصمك من مكرهم ويحيقه بهم انه هو السميع لاقوالهم العليم
بنياتهم والآية مخصوصة باهل الكتاب لاتصالها بقصتهم وقيل عامة نسختها آية السيف وان يريدوا ان يخدعوك
فان حسبك الله فان محسبك الله وكافيك قال جرير اني وجدت من المكارم حسبكم ان تلبسوا خز الثياب
وتشبعوا هو الذي ايدك بنصره وبالمؤمنين جميعا والف بين قلوبهم مع ما فيهم من العصبية والضغينة
في ادنى شيء والتهالك على الانتقام بحيث لا يكاد يأتلف فيهم قلبان حتى صاروا كنفس واحدة وهذا من معجزاته صلى الله
عليه وسلم وبيانه لو انفقت ما في الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم اي تناهى عداوتهم الى حد لو انفق منفق
في اصلاح ذات بينهم ما في الارض من الاموال لم يقدر على الالفة والاصلاح ولكن الله الف بينهم بقدرته البالغة
فانه المالك للقلوب يقلبها كيف يشاء انه عزيز تام القدرة والغلبة لا يعصى عليه ما يريده حكيم يعلم انه كيف ينبغي
ان يفعل ما يريده وقيل الآية في الاوس والخزرج وكان بينهم احن لا امد لها ووقائع هلكت فيها ساداتهم فانساهم

دية الخير اصحابه واخذ الفداء فنزلت فدخل عمر رضي الله تعالى عنه على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فاذا هو
وابو بكر يبكيان فقال يا رسول الله اخبرني فان اجد بكاء بكيت والا تباكيت فقال ابكي على اصحابك في اخذهم
الفداء ولقد عرض علي عذابهم ادنى من هذه الشجرة لشجرة قريبة والآية دليل على ان الانبياء يجتهدون وانه قد يكون
خطأ ولكن لا يقرون عليه لولا كتاب من الله سبق لولا حكم من الله تعالى سبق اثباته في اللوح المحفوظ وهو ان لا يعاقب
المخطئ في اجتهاده او ان لا يعذب اهل بدر او قوما بما لم يصرح لهم بالنهي عنه او ان الفدية التي اخذوها
ستحل لهم لمسكم لنالكم فيما اخذتم من الفدية عذاب عظيم روي انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال لو نزل
العذاب لما نجا منه غير عمر وسعد بن معاذ وذلك لانه ايضا اشار بالاثخان فكلوا مما غنمتم من الفدية فانها
من جملة الغنائم وقيل امسكوا عن الغنائم فنزلت والفاء للتسبيب والسبب محذوف تقديره ابحت لكم الغنائم فكلوا وبنحوه
تشبث من زعم ان الامر الوارد بعد الحظر للاباحة حلالا حال من المغنوم او صفة للمصدر اي اكلا حلالا وفائدته
ازاحة ما وقع في نفوسهم منه بسبب تلك المعاتبة او حرمتها على الاولين ولذلك وصفه بقوله طيبا واتقوا الله
في مخالفته ان الله غفور غفر لكم ذنبكم رحيم اباح لكم ما اخذتم يا ايها النبي قل لمن في ايديكم من الاسرى
وقرأ ابو عمرو من الاسارى ان يعلم الله في قلوبكم خيرا ايمانا واخلاصا يؤتكم خيرا مما اخذ منكم من الفداء
روي انها نزلت في العباس رضي الله تعالى عنه كلفه رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يفدي نفسه وابني اخويه عقيل بن ابي طالب ونوفل بن
الحارث فقال يا محمد تركتني اتكفف قريشا ما بقيت فقال صلى الله عليه وسلم فاين الذهب الذي دفعته الى ام الفضل وقت
خروجك وقلت لها اني لا ادري ما يصيبني في وجهي هذا فان حدث بي حدث فهو لك ولعبد الله وعبيد الله والفضل وقثم
فقال وما يدريك قال اخبرني به ربي تعالى قال فاشهد انك صادق وان لا اله الا الله وانك رسوله والله لم يطلع
عليه احد الا الله ولقد دفعته اليها في سواد الليل قال العباس رضي الله تعالى عنه فابدلني الله تعالى خيرا من ذلك لي الآن
عشرون عبدا ان ادناهم ليضرب في عشرين الفا واعطاني زمزم وما احب ان لي بها جميع اموال اهل مكة وانا انتظر
المغفرة من ربكم يعني الموعود بقوله ويغفر لكم والله غفور رحيم وان يريدوا يعني الاسرى خيانتك نقض ما
عاهدوك فقد خانوا الله بالكفر ونقض ميثاقه المأخوذ بالعقل من قبل فامكن منهم اي فامكنك منهم كما فعل يوم بدر
فان عادوا للخيانة فسيمكنك منهم والله عليم حكيم ان الذين آمنوا وهاجروا هم المهاجرون هاجروا اوطانهم حبا
لله ولرسوله وجاهدوا باموالهم فصرفوها في الكراع والسلاح وانفقوها على المحاويج وانفسهم في سبيل الله بمباشرة القتال
والذين آووا ونصروا هم الانصار آووا المهاجرين الى ديارهم ونصروهم على اعدائهم اولئك بعضهم اولياء بعض في الميراث
وكان المهاجرون والانصار يتوارثون بالهجرة والنصرة دون الاقارب حتى نسخ بقوله واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض
وبالنصرة والمظاهرة والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا اي من توليهم في الميراث
وقرأ حمزة ولايتهم بالكسر تشبيها لها بالعمل والصناعة كالكتابة والامارة كانه بتوليه صاحبه يزاول عملا وان استنصروكم
في الدين فعليكم النصر فواجب عليكم ان تنصروهم على المشركين الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق عهد فانه لا ينقض

وصفر وربيع الاول وعشر من ربيع الآخر لان التبليغ كان يوم النحر لما روي انها لما نزلت ارسل رسول الله صلى الله
عليه وسلم عليا رضي الله تعالى عنه راكب العضباء ليقرأها على اهل الموسم وكان قد بعث ابا بكر رضي الله تعالى عنه
اميرا على الموسم فقيل لو بعثت بها الى ابي بكر فقال صلى الله تعالى عليه وسلم لا يؤدي عني الا رجل مني فلما دنا
علي رضي الله تعالى عنه سمع ابو بكر رضي الله تعالى عنه الرغاء فوقف وقال هذا رغاء ناقة رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم فلما لحقه قال امير او مامور قال مامور فلما كان قبل التروية خطب ابو بكر رضي الله تعالى عنه وحدثهم عن مناسكهم وقام
علي رضي الله تعالى عنه يوم النحر عند جمرة العقبة فقال يا ايها الناس اني رسول رسول الله اليكم فقالوا بماذا فقرأ عليهم
ثلثين او اربعين اية ثم قال امرت باربع ان لا يقرب البيت بعد هذا العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان و
لا يدخل الجنة الا كل نفس مؤمنة وان يتم الى كل ذي عهد عهده ولعل قوله صلى الله عليه وسلم لا يؤدي عني الا رجل مني ليس على العموم
فانه صلى الله تعالى عليه وسلم بعث لان يؤدي عنه كثيرا لم يكونوا من عترته بل هو مخصوص بالعهود فان عادة
العرب ان لا يتولى العهد ونقضه على القبيلة الا رجل منها ويدل عليه انه في بعض الروايات لا ينبغي لاحد ان يبلغ
هذا الا رجل من اهلي واعلموا انكم غير معجزي الله لا تفوتونه وان امهلكم وان الله مخزي الكافرين بالقتل والاسر
في الدنيا والعذاب في الآخرة واذان من الله ورسوله الى الناس اي اعلام فعال بمعنى الافعال كالامان والعطاء
ورفعه كرفع براءة على الوجهين يوم الحج الاكبر يوم العيد لان فيه تمام الحج ومعظم افعاله ولان الاعلام كان فيه
ولما روي انه صلى الله تعالى عليه وسلم وقف يوم النحر عند الجمرات في حجة الوداع فقال هذا يوم الحج الاكبر وقيل يوم عرفة
لقوله صلى الله عليه وسلم الحج عرفة ووصف الحج بالاكبر لان العمرة تسمى بالحج الاصغر او لان المراد بالحج ما يقع في ذلك اليوم من
اعماله فانه اكبر من باقي الاعمال او لان ذلك الحج اجتمع فيه المسلمون والمشركون ووافق عيده اعياد اهل الكتاب او لانه
ظهر فيه عز المسلمين وذل المشركين ان الله بريء من المشركين اي بان الله بريء من المشركين اي من عهودهم ورسوله عطف
على المستكن في بريء او على محل ان واسمها في قراءة من كسرها اجراء للاذان مجرى القول وقرئ بالنصب عطفا على
اسم ان او لان الواو بمعنى مع ولا تكرير فيه فان قوله براءة من الله ورسوله اخبار بثبوت البراءة وهذه اخبار
بوجوب الاعلام بذلك ولذلك علقه بالناس ولم يخص بالمعاهدين فان تبتم من الكفر والغدر فهو فالتوب خير لكم و
ان توليتم عن التوبة او ثبتم على التولي عن الاسلام والوفاء فاعلموا انكم غير معجزي الله لا تفوتونه طلبا ولا تعجزونه
هربا في الدنيا وبشر الذين كفروا بعذاب اليم في الآخرة الا الذين عاهدتم من المشركين استثناء من المشركين او
استدراك وكانه قيل لهم بعد ان امروا بنبذ العهد الى الناكثين ولكن الذين عاهدوا منهم ثم لم ينقصوكم شيئا من شروط
العهد ولم ينكثوه او لم يقتلوا منكم ولم يضروكم قط ولم يظاهروا عليكم احدا من اعدائكم فاتموا اليهم عهدهم الى مدتهم
الى تمام مدتهم ولا تجروهم مجرى الناكثين ان الله يحب المتقين تعليل وتنبيه على ان اتمام عهدهم من باب التقوى
فاذا انسلخ انقضى واصل الانسلاخ خروج الشيء مما لابسه من سلخ الشاة الاشهر الحرم التي ابيح للناكثين ان يسيحوا
فيها وقيل رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم وهذا مخل بالنظم مخالف للاجماع فانه يقتضي بقاء حرمة الاشهر الحرم

او سبيل بيته بحصر الحجاج والعمار والفاء للدلالة على ان اشتراءهم اداهم الى الصد انهم ساء ما كانوا يعملون عملهم هذا
او ما دل عليه قوله لا يرقبون في مؤمن الا ولا ذمة فهو تفسير لا تكرير وقيل الاول عام في المناقضين وهذا خاص بالذين
اشتروا وهم اليهود او الاعراب الذين جمعهم ابو سفيان واطعمهم واولئك هم المعتدون في الشرارة فان تابوا
عن الكفر واقاموا الصلوة واتوا الزكوة فاخوانكم فهم اخوانكم في الدين لهم ما لكم وعليهم ما عليكم ونفصل الآيات لقوم
يعلمون اعتراض للحث على تأمل ما فصل من احكام المعاهدين او خصال التائبين وان نكثوا ايمانهم من بعد عهدهم وان
نكثوا ما بايعوا عليه من الايمان او الوفاء بالعهود وطعنوا في دينكم بصريح التكذيب وتقبيح الاحكام فقاتلوا ائمة الكفر اى
فقاتلوهم فوضع ائمة الكفر موضع الضمير للدلالة على انهم صاروا بذلك ذوى الرياسة والتقدم في الكفر احقاء بالقتل
وقيل المراد بالائمة رؤساء المشركين فالتخصيص اما لان قتلهم اهم وهم احق او للمنع من مراقبتهم وقرأ عاصم وابن
عامر وحمزة والكسائي وروح عن يعقوب ائمة بتحقيق الهمزتين على الاصل والتصريح بالياء لحن انهم لا ايمان لهم
اى لا ايمان لهم على الحقيقة والا لما طعنوا ولم ينكثوا وفيه دليل على ان الذمي اذا طعن في الاسلام فقد نكث عهده واستشهد به الحنفية
على ان يمين الكافر ليس يمينا وهو ضعيف لان المراد نفي الوثوق عليها لا انها ليست بايمان لقوله وان نكثوا ايمانهم
وقرأ ابن عامر لا ايمان بمعنى لا امان او لا اسلام وتشبث به من لم يقبل توبة المرتد وهو ضعيف لجواز ان
يكون بمعنى لا يؤمنون على الاخبار عن قوم معينين او ليس لهم ايمان فيراقبوا لاجله لعلهم ينتهون متعلق بقاتلوا
اى ليكن غرضكم في المقاتلة ان ينتهوا عما هم عليه لا ايصال الاذية بهم كما هو طريقة المؤذين الا تقاتلون قوما تحريض
على القتال لان الهمزة دخلت على النفي للانكار فافادت للمبالغة في الفعل نكثوا ايمانهم التي حلفوها مع الرسول و
المؤمنين على ان لا يعاونوا عليهم فعاونوا بني بكر على خزاعة وهموا باخراج الرسول حين تشاوروا في امره بدار الندوة
على ما مر ذكره في قوله واذ يمكر بك الذين كفروا وقيل هم اليهود نكثوا عهد الرسول وهموا باخراجه من المدينة
وهم بدءوكم اول مرة بالمعاداة والمقاتلة لانه صلى الله تعالى عليه وسلم بدأهم بالدعوة والزام الحجة بالكتاب والتحدي
به فعدلوا عن معارضته الى المعاداة والمقاتلة فما يمنعكم ان تعارضوهم وتصادموهم اتخشونهم اتتركون
قتالهم خشية ان ينالكم مكروه منهم فالله احق ان تخشوه فقاتلوا اعداءه ولا تتركوا امره ان كنتم مؤمنين
فان قضية الايمان ان لا يخشى الا منه قاتلوهم امر بالقتال بعد بيان موجبه والتوبيخ على تركه والتوعد عليه يعذبهم الله بايديكم ويخزهم
وينصركم عليهم وعد لهم ان قاتلوهم بالنصر عليهم والتمكن من قتلهم واذلالهم ويشف صدور قوم مؤمنين
يعني بني خزاعة وقيل بطونا من اليمن وسبأ قدموا مكة فاسلموا فلقوا من اهلها اذى شديدا فشكوا الى رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم فقال ابشروا فان الفرج قريب ويذهب غيظ قلوبهم لما لقوا منهم وقد اوفى الله تعالى بما وعدهم
والآية من المعجزات ويتوب الله على من يشاء ابتداء اخبار بان بعضهم يتوب عن كفره وقد كان ذلك ايضا
وقرئ ويتوب بالنصب على اضمار ان على انه من جملة ما اجيب به الامر فان القتال كما تسبب لتعذيب قوم تسبب لتوبة
قوم آخرين والله عليم بما كان وما سيكون حكيم لا يفعل ولا يحكم الا على وفق الحكمة ام حسبتم خطاب للمؤمنين

عند الله اولئك هم الفائزون بالثواب ونيل الحسنى عند الله دونكم يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها
نعيم مقيم دائم وقرأ حمزة يبشرهم بالتخفيف وتنكير المبشر به اشعار بانه وراء التعيين والتعريف خالدين فيها ابدا اكد
الخلود بالتابيد لانه قد يستعمل للمكث الطويل ان الله عنده اجر عظيم يستحقر دونه ما استوجبوه لاجله او نعم الدنيا يا ايها
الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم واخوانكم اولياء نزلت في المهاجرين فانهم لما امروا بالهجرة قالوا ان هاجرنا قطعنا آباءنا
وابناءنا وعشائرنا وذهبت تجاراتنا وبقينا ضائعين وقيل نزلت نهيا عن موالاة التسعة الذين ارتدوا ولحقوا بمكة
والمعنى لا تتخذوهم اولياء يمنعونكم عن الايمان ويصدونكم عن الطاعة لقوله ان استحبوا الكفر على الايمان ان اختاروه
وحرضوا عليه ومن يتولهم منكم فاولئك هم الظالمون بوضعهم الموالاة في غير محلها قل ان كان آباؤكم وابناؤكم واخوانكم
وازواجكم وعشيرتكم اقرباؤكم مأخوذ من العشرة وقيل من العشرة فان العشيرة جماعة ترجع الى عقد كعقد العشرة و
قرأ ابو بكر وعشيراتكم وقرئ وعشائركم واموال اقترفتموها اكتسبتموها وتجارة تخشون كسادها فوات وقت نفاقها و
مساكن ترضونها احب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله الحب الاختياري دون الطبيعي فانه لا يدخل تحت التكليف
التحفظ عنه فتربصوا حتى ياتي الله بامره جواب ووعيد والامر عقوبة عاجلة او آجلة وقيل فتح مكة والله لا يهدي
القوم الفاسقين لا يرشدهم وفي الآية تشديد عظيم وقل من يتخلص منه لقد نصركم الله في
مواطن كثيرة يعني مواطن الحرب وهي مواقعها ويوم حنين وموطن يوم حنين ويجوز ان يقدر في ايام مواطن او يفسر
الموطن بالوقت كمقتل الحسين رضي الله تعالى عنه ولا يمنع ابدال قوله اذ اعجبتكم كثرتكم منه ان يعطف على موضع
في مواطن فانه لا يقتضي تشاركهما فيما اضيف اليه المعطوف حتى يقتضي كثرتهم واعجابها اياهم في جميع المواطن وحنين واد بين
مكة والطائف حارب فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون وكانوا اثني عشر الفا العشرة الذين حضروا فتح مكة والفان
انضموا اليهم من الطلقاء هوازن وثقيف وكانوا اربعة آلاف فلما التقوا قال النبي صلى الله عليه وسلم او ابو بكر او غيره
من المسلمين لن نغلب اليوم من قلة اعجابا بكثرتهم واقتتلوا قتالا شديدا فادرك المسلمين اعجابهم واعتمدوا
على كثرتهم فانهزموا حتى بلغ فلهم مكة وبقي رسول الله صلى الله عليه وسلم في مركزه ليس معه الا عمه العباس آخذا بلجامه
وابن عمه ابو سفيان بن الحارث وناهيك بهذا شهادة على تناهي شجاعته فقال للعباس رضي الله تعالى عنه وكان صيتا
صح بالناس فنادى يا عباد الله يا اصحاب الشجرة يا اصحاب سورة البقرة فكروا عنقا واحدا يقولون لبيك لبيك ونزلت
الملائكة فالتقوا مع المشركين فقال صلى الله عليه وسلم هذا حين حمي الوطيس ثم اخذ كفا من تراب فرماهم ثم قال انهزموا
ورب الكعبة فانهزموا فلم تغن عنكم شيئا اي الكثرة شيئا من الغناء ومن امر العدو وضاقت عليكم الارض بما رحبت
برحبها اي بسعتها لا تجدون فيها مفرا تطمئن اليه نفوسكم من شدة الرعب او لا تثبتون فيها كمن لا يسعه مكانه ثم وليتم
الكفار ظهوركم مدبرين منهزمين والادبار الذهاب الى خلف خلاف الاقبال ثم انزل الله سكينته رحمته التي سكنوا بها
وامنوا على رسوله وعلى المؤمنين الذين انهزموا واعادة الجار للتنبيه على اختلاف حاليهما وقيل هم الذين ثبتوا مع
الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ولم يفروا وانزل جنودا لم تروها باعينكم يعني الملائكة وكانوا خمسة آلاف او ثمانية

تخصيص الجزية باهل الكتب ويؤيده ان عمر رضي الله تعالى عنه لم يكن يأخذ الجزية من المجوس حتى شهد عبد الرحمن بن عوف انه
صلى الله تعالى عليه وسلم اخذها من مجوس هجر وانه قال سنوا بهم سنة اهل الكتاب وذلك لان لهم شبهة كتاب فالحقوا
بالكتابيين واما سائر الكفرة فلا تؤخذ منهم الجزية عندنا وعند ابي حنيفة رحمه الله تعالى تؤخذ منهم الا من مشركي
العرب لما روى الزهري انه عليه السلام صالح عبدة الاوثان الا من كان من العرب وعند مالك رحمه الله تعالى تؤخذ من
كل كافر الا المرتد واقلها في كل سنة دينار سواء فيه الغني والفقير وقال ابو حنيفة رحمه الله تعالى على الغني ثمانية
اربعون درهما وعلى المتوسط نصفها وعلى الفقير الكسوب ربعها ولا شيء على فقير غير كسوب وقالت اليهود عزير ابن
الله انما قاله بعض من متقدميهم او ممن كانوا بالمدينة وانما قالوا ذلك لانه لم يبق فيهم بعد وقعة بختنصر من يحفظ
التوراة وهو لما احياه الله تعالى بعد مائة عام املى عليهم التوراة حفظا فتعجبوا من ذلك وقالوا ما هذا الا لانه ابن الله
والدليل على ان هذا القول كان فيهم ان الآية قرئت عليهم فلم يكذبوا مع تهالكهم على التكذيب وقرأ عاصم والكسائي ويعقوب عزير بالتنوين
على انه عربي مخبر عنه بابن غير موصوف به وحذفه في القراءة الاخرى اما لمنع صرفه للعجمة والتعريف او لالتقاء
الساكنين تشبيها للنون بحروف اللين او لان الابن وصف والخبر محذوف مثل معبودنا او صاحبنا وهو مزيف
لانه يؤدي الى تسليم النسب وانكار الخبر المقدر وقالت النصارى المسيح ابن الله هو ايضا قول بعضهم وانما
قالوه استحالة لان يكون ولد بلا اب او لان يفعل ما فعله من ابراء الاكمه والابرص واحياء الموتى من لم يكن الها
ذلك قولهم بافواههم اما تأكيد لنسبة هذا القول اليهم ونفي التجوز عنها او اشعار بانه قول مجرد عن برهان وتحقيق
مماثل للمهمل الذي يوجد في الافواه ولا يوجد مفهومه في الاعيان يضاهئون قول الذين كفروا اي يضاهي قولهم قول الذين
كفروا فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه من قبل من قبلهم والمراد قدماؤهم على معنى ان الكفر قديم فيهم او المشركون
الذين قالوا الملائكة بنات الله او اليهود على ان الضمير للنصارى والمضاهاة المشابهة والهمز لغة فيه وقد قرأ به
عاصم ومنه قولهم امرأة ضهيأ على فعيل للتي شابهت الرجال في انها لا تحيض قاتلهم الله دعاء عليهم بالاهلاك
فان من قاتله الله هلك او تعجب من شناعة قولهم انى يؤفكون كيف يصرفون عن الحق الى الباطل اتخذوا احبارهم
ورهبانهم اربابا من دون الله بان اطاعوهم في تحريم ما احل الله تعالى وتحليل ما حرم الله تعالى او بالسجود لهم والمسيح ابن مريم
بان جعلوه ابنا لله تعالى وما امروا اي وما امر المتخذون او المتخذون اربابا فيكون كالدليل على بطلان الاتخاذ الا ليعبدوا
ليطيعوا الها واحدا وهو الله تعالى واما طاعة الرسل وسائر من امر الله تعالى بطاعته فهي في الحقيقة طاعة الله تعالى لا اله
الا هو صفة ثانية او استئناف مقرر للتوحيد سبحانه عما يشركون تنزيه له عن ان يكون له شريك يريدون
ان يطفئوا نور الله حجته الدالة على وحدانيته وتقدسه عن الولد او القرآن او نبوة محمد صلى الله تعالى
عليه بافواههم بشركهم او تكذيبهم ويأبى الله ولا يرضى الا ان يتم نوره باعلاء التوحيد واعزاز الاسلام وقيل انه تمثيل
لحالهم في طلبهم ابطال نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بالتكذيب بحال من يطلب اطفاء نور عظيم منبث في الآفاق يريد الله
ان يزيده بنفخه وانما صح الاستثناء المفرغ والفعل موجب لانه في معنى النفي ولو كره الكافرون محذوف الجواب

ذلك الدين القيم أي تحريم الأشهر الأربعة هو الدين القويم دين ابراهيم واسمعيل عليهما السلام والعرب ورثوه منهما
فلا تظلموا فيهن أنفسكم بهتك حرمتها وارتكاب حرامها والجمهور على ان حرمة المقاتلة فيها منسوخة واولوا الظلم بارتكاب
المعاصي فيهن فانه اعظم وزرا كارتكابها في الحرم وحال الاحرام وعن عطاء انه لا يحل للناس ان يغزوا في الحرم ولا في الاشهر الحرم
الا ان يقاتلوا ويؤيد الاول ما روي انه عليه السلام حاصر الطائف وغزا هوازن بحنين في شوال وذي القعدة وقاتلوا
المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة جميعا وهو مصدر كف عن الشيء فان الجميع مكفوف عن الزيادة وقع موقع الحال
واعلموا ان الله مع المتقين بشارة وضمان لهم بالنصرة بسبب تقواهم انما النسيء اي تأخير حرمة الشهر الى شهر آخر فانهم كانوا
اذا جاء شهر حرام وهم محاربون احلوه وحرموا مكانه شهرا آخر حتى رفضوا خصوص الاشهر واعتبروا مجرد العدد وعن
نافع انما النسي بقلب الهمزة ياء وادغام الياء فيها وقرئ النسي بحذفها والنسء والنساء وثلاثتها مصادر نسأه
اذا اخره زيادة في الكفر لانه تحريم ما احله الله تعالى وتحليل ما حرمه فهو كفر آخر ضموه الى كفرهم يضل به الذين
كفروا اضلالا زائدا وقرأ حمزة والكسائي وحفص يضل على البناء للمفعول وعن يعقوب يضل على ان الفعل لله تعالى
يحلونه عاما يحلون النسيء من الاشهر الحرم سنة ويحرمون مكانه شهرا آخر ويحرمونه عاما فيتركونه على حرمته قيل اول من
احدث ذلك جنادة بن عوف الكناني كان يقوم على جمل في الموسم فينادي ان آلهتكم قد احلت لكم المحرم فاحلوه ثم ينادي
في القابل ان آلهتكم قد حرمت عليكم المحرم فحرموه والجملتان تفسير للضلال او حال ليواطئوا عدة ما حرم الله
اي ليوافقوا عدة الاربعة المحرمة واللام متعلقة بيحرمونه او بما دل عليه مجموع الفعلين فيحلوا ما حرم الله
بمواطأة العدة وحدها من غير مراعاة الوقت زين لهم سوء اعمالهم وقرئ على البناء للفاعل وهو الله تعالى والمعنى خذلهم و
اضلهم حتى حسبوا قبيح اعمالهم حسنا والله لا يهدي القوم الكافرين هداية موصلة الى الاهتداء يا ايها الذين آمنوا ما لكم اذا قيل
لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم تباطأتم وقرئ تثاقلتم على الاصل وأثاقلتم على الاستفهام للتوبيخ الى الارض
متعلق به كأنه ضمن معنى الاخلاد والميل فعدي بالى وكان ذلك في غزوة تبوك امروا بها بعد رجوعهم من الطائف في
عسرة وقحط مع بعد الشقة وكثرة العدو فشق عليهم ارضيتم بالحياة الدنيا وغرورها من الآخرة بدل الآخرة
ونعيمها فما متاع الحياة الدنيا فما التمتع بها في الآخرة في جنب الآخرة الا قليل مستحقر الا تنفروا ان لا تنفروا الى ما استنفرتم
اليه يعذبكم عذابا اليما بالاهلاك بسبب فظيع كقحط وظهور عدو ويستبدل قوما غيركم ويستبدل بكم آخرين مطيعين
كاهل اليمن وابناء فارس ولا تضروه شيئا اذ لا يقدح تثاقلكم في نصرة دينه شيئا فانه الغني عن كل شيء وفي
كل امر وقيل الضمير للرسول اي لا تضروه فان الله تعالى وعد له بالعصمة والنصرة ووعده حق والله على كل شيء قدير
فيقدر على التبديل وتغيير الاسباب والنصرة بلا مدد كما قال الا تنصروه فقد نصره الله اي ان لم تنصروه فسينصره
الله تعالى كما نصره اذ اخرجه الذين كفروا ثاني اثنين ولم يكن معه الا رجل واحد فحذف الجزاء واقيم
ما هو كالدليل عليه مقامه او ان لم تنصروه فقد اوجب الله تعالى له النصرة حتى نصره في مثل ذلك الوقت فلن يخذله
في غيره واسناد الاخراج الى الكفرة لان همهم باخراجه او قتله تسبب لاذن الله تعالى له بالخروج وقرئ ثاني اثنين بالسكون

ان يستاذنوا فى التخلف عنه او ان يستاذنوك فى التخلف كراهة ان يجاهدوا والله عليم بالمتقين شهادة لهم
بالتقوى وعدة لهم بثوابه انما يستاذنك فى التخلف الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر تخصيص الايمان بالله
واليوم الآخر فى الموضعين للاشعار بان الباعث على الجهاد والوازع عنه الايمان وعدم الايمان بهما وارتابت
قلوبهم فهم فى ريبهم يترددون يتحيرون ولو ارادوا الخروج لاعدوا له الخروج عُدّة اهبة وقرئ عُدّه
بحذف التاء عند الاضافة كقوله واقام الصلوة وعِدّه بكسر العين باضافة وغيرها ولكن كره
الله انبعاثهم استدراك عن مفهوم قوله ولو ارادوا الخروج كانه قال ما خرجوا ولكن تثبطوا فانه تعالى كره انبعاثهم
اى نهوضهم للخروج فثبطهم فحبسهم بالجبن والكسل وقيل اقعدوا مع القاعدين تمثيل لالقاء الله تعالى كراهة
الخروج فى قلوبهم او وسوسة الشيطان بالامر بالقعود او حكاية قول بعضهم لبعض او اذن الرسول لهم والقاعدين
يحتمل المعذورين وغيرهم وعلى الوجهين لا يخلو عن ذم لو خرجوا فيكم ما زادوكم بخروجهم شيئا الا خبالا فسادا
وشرا ولا يستلزم ذلك ان يكون لهم خبال حتى لو خرجوا زاد ولان الزيادة باعتبار اعم العام الذى وقع منه الاستثناء
ولاجل هذا التوهم جعل الاستثناء منقطعا وليس كذلك لانه لا يكون مفرغا ولاوضعوا خلالكم ولاسرعوا ركائبهم
بينكم بالنميمة والتضريب او الهزيمة والتخذيل من وضع البعير وضعا اذا اسرع يبغونكم الفتنة يريدون ان يفتنوكم بايقاع
الخلاف فيما بينكم او الرعب فى قلوبكم والجملة حال من الضمير فى اوضعوا وفيكم سماعون لهم ضعفة يسمعون قولهم ويطيعونهم
او نمامون يسمعون حديثكم للنقل اليهم والله عليم بالظالمين فيعلم ضمائرهم وما يتاتى منهم لقد ابتغوا الفتنة تشتيت
امرك وتفريق اصحابك من قبل يعنى يوم احد فان ابن ابى واصحابه كما تخلفوا عن تبوك بعد ما خرجوا مع الرسول الى ذى
جدة اسفل من ثنية الوداع انصرفوا يوم احد وقلبوا لك الامور ودبروا لك المكائد والحيل ودوروا الاراء فى ابطال
امرك حتى جاء الحق النصر والتائيد الالهى وظهر امر الله وعلا دينه وهم كارهون اى على رغم منهم والآيتان لتسلية
الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم والمؤمنين على تخلفهم وبيان ما ثبطهم الله تعالى لاجله وكره انبعاثهم له وهتك استارهم
وكشف اسرارهم وازاحة اعتذارهم تداركا لما فوت الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم بالمبادرة الى الاذن ولذلك عوتب
عليه ومنهم من يقول ائذن لى فى القعود ولا تفتنى ولا توقعنى فى الفتنة اى العصيان والمخالفة بان لا تاذن لى
وفيه اشعار بانه لا محالة متخلف اذن له او لم ياذن او فى الفتنة بسبب ضياع المال والعيال اذ لا كافل لهم
بعدى او فى الفتنة بنساء الروم لما روى ان جد بن قيس قال قد علمت الانصار انى مولع بالنساء فلا تفتنى ببنات
الاصفر ولكنى اعينك بمالى فاتركنى الا فى الفتنة سقطوا اى ان الفتنة هى التى سقطوا فيها وهى فتنة التخلف
او ظهور النفاق لا ما احترزوا عنه وان جهنم لمحيطة بالكافرين جامعة لهم يوم القيمة او الان لاحاطة
اسبابها بهم ان تصبك فى بعض غزواتك حسنة ظفر وغنيمة تسؤهم لفرط حسدهم وان تصبك
فى بعضها مصيبة كسر او شدة كما اصاب يوم احد يقولوا قد اخذنا امرنا من قبل تبجحوا بانصرافهم واستحمدوا رايهم
فى التخلف ويتولوا عن متحدث بذلك ومجتمعهم له او عن الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وهم فرحون مسرورون

فمن سخطهم لذلك وإذا للمفاجأة نائب مناب الفاء الجزائية ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله ما أعطاهم الرسول
من الغنيمة أو الصدقة وذكر الله للتعظيم والتنبيه على أن ما فعله الرسول كان بأمره وقالوا حسبنا الله
كفانا فضله سيؤتينا الله من فضله صدقة أو غنيمة أخرى ورسوله فيؤتينا أكثر مما آتانا إنا إلى الله راغبون
في أن يغنينا من فضله والآية بأسرها في حيز الشرط والجواب محذوف تقديره لكان خيرا لهم ثم بين مصارف
الصدقات تصويبا وتحقيقا لما فعله الرسول فقال إنما الصدقات للفقراء والمساكين أي الزكوات لهؤلاء المعدودين
دون غيرهم وهو دليل على أن المراد باللمز لمزهم في قسم الزكوات دون الغنائم والفقير من لا مال له ولا كسب يقع
موقعا من حاجته من الفقار كأنه أصيب فقاره والمسكين من له مال أو كسب لا يكفيه من السكون كأن العجز
أسكنه ويدل عليه قوله تعالى أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر وأنه عليه السلام كان يسأل المسكنة
ويتعوذ من الفقر وقيل بالعكس لقوله أو مسكينا ذا متربة والعاملين عليها الساعين في تحصيلها وجمعها
والمؤلفة قلوبهم قوم أسلموا ونيتهم ضعيفة فيه فيستألف قلوبهم أو أشراف يترقب بإعطائهم ومراعاتهم
إسلام نظرائهم وقد أعطى رسول الله عليه السلام عيينة بن حصن والأقرع بن حابس والعباس بن مرداس
لذلك وقيل أشراف يستألفون على أن يسلموا فإنه عم كان يعطيهم والأصح أنه كان يعطيهم من خمس الخمس
الذي كان خاص ماله وقد عد منهم من يؤلف قلبه بشيء منها على قتال الكفار ومانعي الزكوات وقيل
كان سهم المؤلفة لتكثير سواد الإسلام فلما أعزه الله وكثر أهله سقط وفي الرقاب وللصرف في فك الرقاب
بأن يعاون المكاتب بشيء منها على أداء النجوم وقيل بأن يبتاع الرقاب فتعتق وبه قال مالك وأحمد أو
يفدى الأسارى والعدول عن اللام إلى في للدلالة على أن الاستحقاق للجهة لا للرقاب وقيل للإيذان
بأنهم أحق بها والغارمين المديونين لأنفسهم في غير معصية إذا لم يكن لهم وفاء أو لإصلاح ذات البين
وإن كانوا أغنياء لقوله عليه السلام لا تحل الصدقة لغني إلا لخمسة لغاز في سبيل الله أو لغارم
أو لرجل اشتراها بماله أو لرجل له جار مسكين تصدق على المسكين فأهدى المسكين للغني أو لعامل عليها
وفي سبيل الله وللصرف في الجهاد بالإنفاق على المتطوعة وابتياع الكراع والسلاح وقيل وفي بناء القناطر
والمصانع وابن السبيل المسافر المنقطع عن ماله فريضة من الله مصدر لما دل عليه الآية أي فرض لهم
الصدقات فريضة أو حال من الضمير المستكن في للفقراء وقرئ بالرفع على تلك فريضة والله عليم حكيم
يضع الأشياء في مواضعها وظاهر الآية يقتضي تخصيص استحقاق الزكوة بالأصناف الثمانية ووجوب الصرف
إلى كل صنف وجد منهم ومراعاة التسوية بينهم قضية للاشتراك وإليه ذهب الشافعي رح وعن عمر وحذيفة
وابن عباس وغيرهم من الصحابة والتابعين جواز صرفها إلى صنف واحد وبه قال الأئمة الثلاثة
واختاره بعض أصحابنا وبه كان يفتي شيخي ووالدي رح على أن الآية بيان أن الصدقة لا تخرج
منهم لا إيجاب قسمها عليهم ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو أذن يسمع كل ما يقال له ويصدقه

او معذبين على الايذاء والاستهزاء وقرأ عاصم بالنون فيهما وقرئ بالياء وبناء الفاعل فيهما وهو الله وان تعف بالتاء
والبناء على المفعول ذهابا الى المعنى كانه قال ان ترحم طائفة المنفقون والمنفقت بعضهم من بعض اى متشابهة
فى النفاق والبعد عن الايمان كابعاض الشئ الواحد وقيل انه تكذيب لهم فى حلفهم بالله انهم لمنكم وتقرير
لقوله وما هم منكم وما بعده كالدليل عليه فانه يدل على مضادة حالهم لحال المؤمنين وهو قوله يامرون
بالمنكر بالكفر والمعاصى وينهون عن المعروف عن الايمان والطاعة ويقبضون ايديهم عن المبار وقبض اليد عبارة
عن الشح نسوا الله اغفلوا ذكر الله وتركوا الطاعة فنسيهم فتركهم من لطفه وفضله ان المنفقين هم الفسقون
الكاملون فى التمرد والفسوق عن دائرة الخير وعد الله المنفقين والمنفقت والكفار نار جهنم خالدين فيها
مقدرين الخلود هى حسبهم عقابا وجزاء وفيه دليل على عظم عذابها ولعنهم الله ابعدهم من رحمته
واهانهم ولهم عذاب مقيم لا ينقطع والمراد به ما وعدوه او ما يقاسونه من تعب النفاق كالذين من قبلكم
اى انتم مثل الذين او فعلتم مثل فعل الذين من قبلكم كانوا اشد منكم قوة واكثر اموالا واولادا بيان لتشبيههم بهم
وتمثيل حالهم بحالهم فاستمتعوا بخلاقهم نصيبهم من ملاذ الدنيا واشتقاقه من الخلاق بمعنى التقدير فانه
ما قدر لصاحبه فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم ذم الاولين باستمتاعهم بحظوظهم
المخدجة من الشهوات الفانية والتهائهم بها عن النظر فى العاقبة والسعى فى تحصيل اللذائذ الحقيقية تمهيدا
لذم المخاطبين بمشابهتهم واقتفاء اثرهم وخضتم ودخلتم فى الباطل كالذى خاضوا كالذين خاضوا او كالفوج
الذى خاضوا او كالخوض الذى خاضوه اولئك حبطت اعمالهم فى الدنيا والاخرة لم يستحقوا عليها
ثوابا فى الدارين واولئك هم الخسرون الذين خسروا الدنيا والاخرة الم ياتهم نبأ الذين من قبلهم
قوم نوح اغرقوا بالطوفان وعاد اهلكوا بالريح وثمود اهلكوا بالرجفة وقوم ابراهيم اهلك نمروذ ببعوض و
اهلك اصحابه واصحب مدين واهل مدين وهم قوم شعيب اهلكوا بالنار يوم الظلة والمؤتفكت قريات
قوم لوط ائتفكت بهم اى انقلبت فصارت عاليها سافلها وامطروا حجارة من سجيل وقيل قريات
المكذبين المتمردين وائتفاكهن انقلاب احوالهن من الخير الى الشر اتتهم رسلهم بالبينت فما كان الله
ليظلمهم اى لم يكن من عادته ما يشابه ظلم الناس كالعقوبة بلا جرم ولكن كانوا انفسهم يظلمون حيث
عرضوها للعقاب بالكفر والتكذيب والمؤمنون والمؤمنت بعضهم اولياء بعض فى مقابلة قوله المنافقون
والمنافقات بعضهم من بعض يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة ويطيعون
الله ورسوله فى سائر الامور اولئك سيرحمهم الله لا محالة فان السين مؤكدة للوقوع ان الله عزيز غالب على
كل شئ لا يمتنع عليه ما يريده حكيم يضع الاشياء مواضعها وعد الله المؤمنين والمؤمنت جنت تجرى من
تحتها الانهر خلدين فيها ومسكن طيبة تستطيبها النفس او يطيب فيها العيش وفى الحديث انها قصور
من اللؤلؤ والزبرجد والياقوت الاحمر فى جنت عدن اقامة وخلود وعنه عليه السلام عدن دار الله التى

المصدقين لاخذ صدقاتهم فاستقبلهما الناس بصدقاتهم ومرا بثعلبة فسألاه الصدقة واقرأه الكتاب
الذي فيه الفرائض فقال ما هذه الا جزية ما هذه الا اخت الجزية فارجعا حتى ارى رأيي فلما رجعا قال لهما
رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ان يكلماه يا ويح ثعلبة مرتين فنزلت فجاء ثعلبة بالصدقة فقال عم ان الله تعالى منعني ان
اقبل منك فجعل التراب يحثو على رأسه فقال هذا عملك قد امرتك فلم تطعني فقبض رسول الله صلعم فجاء بها
الى ابي بكر رضي الله عنه فلم يقبلها ثم جاء بها الى عمر رضي الله عنه في خلافته فلم يقبلها وهلك في زمان عثمان
رضي الله عنه فلما آتاهم من فضله بخلوا به منعوا حق الله منه وتولوا عن طاعة الله وهم معرضون
وهم قوم عادتهم الاعراض عنها فاعقبهم نفاقا في قلوبهم اي فجعل الله عاقبة فعلهم ذلك نفاقا وسوء اعتقاد
في قلوبهم ويجوز ان يكون الضمير للبخل والمعنى فاورثهم البخل نفاقا متمكنا في قلوبهم الى يوم يلقونه يلقون
الله تعالى بالموت او يلقون عملهم اي جزاءه وهو يوم القيمة بما اخلفوا الله ما وعدوه بسبب اخلافهم ما وعدوه
من التصدق والصلاح وبما كانوا يكذبون وبكونهم كاذبين فيه فان خلف الوعد متضمن للكذب مستقبح
من الوجهين او للمقال مطلقا وقرئ يكذبون بالتشديد الم يعلموا اي المنافقون او من عاهد الله وقرئ
بالتاء على الالتفات ان الله يعلم سرهم ما اسروه في انفسهم من النفاق او العزم على الاخلاف ونجويهم
وما يتناجون به فيما بينهم من المطاعن او تسمية الزكوة جزية وان الله علام الغيوب فلا يخفى عليه
ذلك الذين يلمزون ذم مرفوع او منصوب او بدل من الضمير في سرهم وقرئ يلمزون بالضم المطوعين
المتطوعين من المؤمنين في الصدقات روي انه عليه السلام حث على الصدقة فجاء عبد الرحمن بن عوف باربعة آلاف
درهم وقال كان لي ثمانية آلاف فاقرضت ربي اربعة وامسكت لعيالي اربعة فقال رسول الله صلعم بارك
الله لك فيما اعطيت وفيما امسكت فبارك له حتى صولحت احدى امرأتيه عن نصف الثمن على ثمانين
الف درهم وتصدق عاصم بن عدي بمائة وسق من تمر وجاء ابو عقيل الانصاري بصاع تمر فقال بت ليلتي
اجر بالجرير على صاعين فتركت صاعا لعيالي وجئت بصاع فامره رسول الله عم ان ينثره على الصدقات فلمزهم
المنافقون وقالوا ما اعطى عبد الرحمن وعاصم الا رياء ولقد كان الله ورسوله لغنيين عن صاع ابي عقيل
ولكنه احب ان يذكر بنفسه ليعطى من الصدقات فنزلت والذين لا يجدون الا جهدهم الا طاقتهم و
قرئ بالفتح وهو مصدر جهد في الامر اذا بالغ فيه فيسخرون منهم يستهزؤن بهم سخر الله منهم جازاهم
على سخريتهم كقوله الله يستهزئ بهم ولهم عذاب اليم على كفرهم استغفر لهم او لا تستغفر لهم يريد به
التساوي بين الامرين في عدم الافادة لهم كما نص عليه بقوله ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم روي
ان عبد الله بن عبد الله بن ابي وكان من المخلصين سأل رسول الله عم في مرض ابيه ان يستغفر له ففعل فنزلت فقال عم لازيدن
على السبعين فنزلت سواء عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم وذلك لانه عليه السلام فهم
من السبعين العدد المخصوص لانه الاصل فجوز ان يكون ذلك حدا يخالفه حكم ما وراءه فبين له ان المراد

ان يعذبهم بها في الدنيا وتزهق انفسهم وهم كافرون تكرير للتاكيد والامر حقيق به فان الابصار طامحة الى
الاموال والاولاد والنفوس مغتبطة عليها ويجوز ان يكون هذه في فريق غير الاول واذا انزلت سورة من
القران ويجوز ان يراد بها بعضها ان آمنوا بالله بان آمنوا ويجوز ان يكون ان المفسرة وجاهدوا مع رسوله استاذنك
اولوا الطول منهم ذو الفضل والسعة وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين الذين تعللوا بالعلة رضوا بان
يكونوا مع الخوالف مع النساء جمع خالفة وقد يقال الخالفة للذي لا خير فيه وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون
ما في الجهاد وموافقة الرسول من السعادة وما في التخلف عنه من الشقاوة لكن الرسول والذين آمنوا معه
جاهدوا باموالهم وانفسهم اي ان تخلف هؤلاء ولم يجاهدوا فقد جاهد من هو خير منهم واولئك لهم الخيرات
منافع الدارين النصر والغنيمة في الدنيا والجنة والكرامة في الآخرة وقيل الحور لقوله فيهن خيرات
حسان وهي جمع خيرة تخفيف خيّرة واولئك هم المفلحون الفائزون بالمطالب اعد الله لهم جنات
تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم بيان لما لهم من الخيرات الاخروية وجاء المعذرون
من الاعراب ليؤذن لهم يعني اسدا وغطفان استاذنوا في التخلف معتذرين بالجهد وكثرة العيال وقيل
هم رهط عامر بن الطفيل قالوا ان غزونا معك اغارت اعراب طي على اهالينا ومواشينا والمعذر اما من
عذّر في الامر اذا قصر فيه موهما ان له عذرا ولا عذر له او من اعتذر اذا مهد العذر بادغام التاء في الذال ونقل
حركتها الى العين ويجوز كسر العين لالتقاء الساكنين وضمها للاتباع لكن لم يقرا بهما وقرا يعقوب المعذرون
من اعذر اذا اجتهد في العذر وقرئ المعّذّرون بتشديد العين والذال على انه من تعذّر بمعنى اعتذر وهو
لحن اذ التاء لا تدغم في العين وقد اختلف في انهم كانوا معتذرين بالتصنع او بالصحة فيكون قوله وقعد
الذين كذبوا الله ورسوله في غيرهم وهم منافقو الاعراب كذبوا الله ورسوله في ادعاء الايمان وان كانوا
هم الاولين فكذبهم بالاعتذار سيصيب الذين كفروا منهم من الاعراب او المعذرين فان منهم من اعتذر
لكسله لا لكفره عذاب اليم بالقتل والنار ليس على الضعفاء ولا على المرضى كالهرمى والزمنى ولا على الذين
لا يجدون ما ينفقون لفقرهم كجهينة ومزينة وبني عذرة حرج اثم في التاخر اذا نصحوا لله ورسوله بالايمان
والطاعة في السر والعلانية كما يفعل الموالي الناصح او بما قدروا عليه فعلا او قولا يعود على الاسلام والمسلمين
بالصلاح ما على المحسنين من سبيل اي ليس عليهم جناح ولا الى معاتبتهم سبيل وانما وضع المحسنين موضع
الضمير للدلالة على انهم منخرطون في سلك المحسنين غير معاتبين لذلك والله غفور رحيم لهم او للمسيء
فكيف للمحسن ولا على الذين اذا ما اتوك لتحملهم عطف على الضعفاء او على المحسنين وهم البكاؤون
سبعة من الانصار معقل بن يسار وصخر بن خنساء وعبد الله بن كعب وسالم بن عمير وثعلبة بن غنمة وعبد الله
بن مغفل وعلية بن زيد اتوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقالوا نذرنا الخروج فاحملنا على الخفاف
المرقوعة والنعال المخصوفة نغز معك فقال لا اجد فتولوا وهم يبكون وقيل هم بنو مقرن معقل و

او الاخبار عن وقوع ما يتربصون عليهم والدائرة في الاصل مصدر او اسم فاعل من دار يدور وسمي
به عقبة الزمان والسوء بالفتح مصدر اضيف اليه للمبالغة كقولك رجل صدق وقرأ ابن كثير وابو عمرو
السوء هنا وفي الفتح بضم السين والله سميع لما يقولون عند الانفاق عليم بما يضمرون ومن الاعراب
من يؤمن بالله واليوم الآخر ويتخذ ما ينفق قربات عند الله سبب قربات وهي ثاني مفعول يتخذ
وعند الله صفتها او ظرف ليتخذ وصلوات الرسول وسبب صلواته لانه عم كان يدعو للمتصدقين
ويستغفر لهم ولذلك سن للمتصدق عليه ان يدعو للمتصدق عند اخذ صدقته لكن ليس له ان يصلي عليه
كما قال النبي عم اللهم صل على آل ابي اوفى لانه منصبه فله ان يتفضل به على غيره الا انها قربة لهم شهادة
من الله بصحة معتقدهم وتصديق لرجائهم على الاستئناف مع حرف التنبيه وان المحققة للنسبة و
الضمير لنفقتهم وقرأ ورش قربة بضم الراء سيدخلهم الله في رحمته وعد لهم باحاطة الرحمة عليهم
والسين لتحقيقه وقوله ان الله غفور رحيم لتقريره وقيل الاولى في اسد وغطفان وبني تميم و
الثانية في عبد الله ذي البجادين وقومه والسابقون الاولون من المهاجرين هم الذين صلوا الى
القبلتين او الذين شهدوا بدرا او الذين اسلموا قبل الهجرة والانصار اهل بيعة العقبة الاولى وكانوا
سبعة واهل العقبة الثانية وكانوا سبعين والذين آمنوا حين قدم عليهم ابو زرارة مصعب بن عمير وقرئ
بالرفع عطفا على والسابقون والذين اتبعوهم باحسان اللاحقون بالسابقين من القبلتين او من اتبعوهم
بالايمان والطاعة الى يوم القيامة رضي الله عنهم بقبول طاعتهم وارتضاء اعمالهم ورضوا عنه بما نالوا
من نعمه الدينية والدنيوية واعد لهم جنات تجري تحتها الانهار وقرأ ابن كثير من تحتها كما هو في سائر
المواضع خالدين فيها ابدا ذلك الفوز العظيم وممن حولكم اي ممن حول بلدتكم يعني المدينة من
الاعراب منافقون هم جهينة ومزينة واسلم واشجع وغفار كانوا نازلين حولها ومن اهل المدينة
عطف على ممن حولكم او خبر لمحذوف صفته مردوا على النفاق ونظيره في حذف الموصوف واقامة الصفة
مقامه قوله انا ابن جلا وطلاع الثنايا متى اضع العمامة تعرفوني وعلى الاول صفة للمنافقين فصل بينها
وبينه بالمعطوف على الخبر او كلام مبتدأ لبيان تمرنهم وتمهرهم في النفاق لا تعلمهم لا تعرفهم باعيانهم
وهو تقرير لمهارتهم فيه وتنوقهم في تحامي مواقع التهم الى حد اخفى عليك حالهم مع كمال فطنتك وصدق
فراستك نحن نعلمهم ونطلع على اسرارهم ان قدروا ان يلبسوا عليك لم يقدروا ان يلبسوا علينا سنعذبهم
مرتين بالفضيحة والقتل او باحدهما وعذاب القبر او باخذ الزكاة ونهك الابدان ثم يردون
الى عذاب عظيم الى عذاب النار وآخرون اعترفوا بذنوبهم ولم يعتذروا من تخلفهم بالمعاذير
الكاذبة وهم طائفة من المتخلفين اوثقوا انفسهم على سواري المسجد لما بلغهم ما نزل في المتخلفين
فقدم رسول الله عم فدخل المسجد فصلى ركعتين فرآهم فسأل عنهم فذكر له انهم اقسموا

ابن السكن والوحشي فقال لهم انطلقوا الى هذا المسجد الظالم اهله فاهدموه واحرقوه ففعل واتخذ
كناسة وكفرا وتقوية للكفر الذي يضمرونه وتفريقا بين المؤمنين يريد الذين كانوا يجتمعون للصلوة في
مسجد قبا وارصادا ترقبا لمن حارب الله ورسوله من قبل يعني الراهب فانه قال لرسول الله عم يوم احد لا اجد
قوما يقاتلونك الا قاتلتك معهم فلم يزل يقاتله الى يوم حنين انهزم مع هوازن وهرب الى الشام ليأتي
من قيصر بجنود يحارب بهم رسول الله ومات بقنسرين وحيدا وقيل كان يجمع الجيوش يوم الاحزاب فلما
انهزموا خرج الى الشام ومن قبل متعلق بحارب او باتخذوا اي اتخذوا مسجدا من قبل ان ينافق هؤلاء
بالتخلف لما روي انه بني قبيل غزوة تبوك فسألوا رسول الله ان يأتيه فقال انا على جناح سفر واذا قدمنا
ان شاء الله صلينا فيه فلما قفل كرر عليه فنزلت وليحلفن ان اردنا الا الحسنى ما اردنا ببنائه الا الخصلة
الحسنى او الارادة الحسنى وهي الصلوة والذكر والتوسعة على المصلين والله يشهد انهم لكاذبون في حلفهم
لا تقم فيه ابدا للصلوة لمسجد اسس على التقوى يعني مسجد قباء اسسه رسول الله وصلى فيه
ايام مقامه بقباء من الاثنين الى الجمعة لانه اوفق للقصة او مسجد رسول الله لقول ابي سعيد سألت رسول
الله عم عنه فقال هو مسجدكم هذا مسجد المدينة من اول يوم من ايام وجوده ومن يعم الزمان والمكان
كقوله لمن الديار بقنة الحجر اقوين من حجج ومن دهر احق ان تقوم فيه اولى بان تصلي فيه فيه رجال
يحبون ان يتطهروا من المعاصي والخصال المذمومة طلبا لمرضاة الله وقيل من الجنابة فلا ينامون عليها والله
يحب المطهرين يرضى عنهم ويدنيهم من جنابه ادناء المحب حبيبه قيل لما نزلت مشى رسول الله عم ومعه المهاجرون
حتى وقف على باب مسجد قباء فاذا الانصار جلوس فقال امؤمنون انتم فسكتوا فاعادها فقال عمر رضي الله عنه
انهم مؤمنون وانا معهم فقال عم اترضون بالقضاء قالوا نعم قال اتصبرون على البلاء قالوا نعم قال
اتشكرون في الرخاء قالوا نعم قال عم مؤمنون ورب الكعبة فجلس ثم قال يا معشر الانصار ان
الله عز وجل قد اثنى عليكم فما الذي تصنعون عند الوضوء وعند الغائط فقالوا يا رسول الله نتبع الغائط
الاحجار الثلثة ثم نتبع الاحجار الماء فتلا رجال يحبون ان يتطهروا افمن اسس بنيانه بنيان دينه على تقوى
من الله ورضوان خير على قاعدة محكمة هي التقوى من الله وطلب مرضاته بالطاعة ام من اسس
بنيانه على شفا جرف هار على قاعدة هي اضعف القواعد وارخاها فانهار به في نار جهنم فادى به لخوره
وقلة استمساكه الى السقوط في النار وانما وضع شفا الجرف وهو ما جرفه الوادي الهائر في مقابلة التقوى تمثيلا
لما بنوا عليه امر دينهم في البطلان وسرعة الانطماس ثم رشحه بانهياره به في النار ووضعه في مقابلة الرضوان
تنبيها على ان تأسيس ذلك على امر يحفظه عن النار ويوصله الى رضوان الله تع ومقتضياته التي الجنة
ادناها وتأسيس هذا على ما هم عليه بسببه على صدد الوقوع في النار ساعة فساعة ثم ان مصيرهم
الى النار لا محالة وقرأ نافع وابن عامر اسس على البناء للمفعول وقرئ اساس بنيانه واس

المؤمنين يعني به هؤلاء الموصوفين بتلك الفضائل ووضع المؤمنين موضع ضمير
دعاهم الى ذلك وان المؤمن الكامل من كان كذلك وحذف المبشر به للتعظيم كانه
يجل عن احاطة الافهام وتعبير الكلام ما كان للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين
السلام قال لابي طالب لما حضرته الوفاة قل كلمة احاج لك بها عند الله فابى فقال لا ازال
ما لم انه عنه فنزلت وقيل لما افتتح مكة خرج الى الابواء فزار قبر امه ثم قام مستعبرا فقال اني
في زيارة قبر امي فاذن لي فاستاذنته في الاستغفار لها فلم ياذن لي وانزل علي الآيتين ولو كا
من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم بان ماتوا على الكفر وفيه دليل على جواز الا
توفيقهم للايمان وبه دفع النقض باستغفار ابراهيم لابيه الكافر فقال وما كان استغفار ابراهيم
عن موعدة وعدها اياه وعدها ابراهيم اباه بقوله لاستغفرن لك اي لاطلبن مغفرتك بالتوفيق
فانه يجب ما قبله ويدل عليه قراءة من قرا اباه او وعدها ابراهيم ابوه وهي الوعد بالايمان فلما
لله بان مات على الكفر او اوحى بانه لن يؤمن تبرأ منه قطع استغفاره ان ابراهيم لاواه
وهو كناية عن فرط ترحمه ورقة قلبه حليم صبور على الاذى والجملة لبيان ما حمله
مع شكاسته عليه وما كان الله ليضل قوما ليسميهم على الضلالة او ليسميهم ضلالا
بعد اذ هداهم للاسلام حتى يبين لهم ما يتقون حتى يبين لهم خطر ما
عمه في قوله لعمه او لمن استغفر لاسلافه المشركين قبل المنع وقيل انه في قوم مضوا على الامر
والخمر ونحو ذلك وفي الجملة دليل على ان الغافل غير مكلف ان الله بكل شيء عليم فيعلم امرهم في الحالين
له ملك السموات والارض يحيي ويميت وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير
الاستغفار للمشركين وان كانوا اولي قربى وتضمن ذلك وجوب التبرؤ عنهم رأسا بين لهم ان الله مالك
كل موجود ومتولاه حتى لا يتأتى لهم ولاية ولا نصرة الا منه ليتوجهوا بشراشرهم اليه
حتى لا يبقى لهم مقصود فيما ياتون ويذرون سواه لقد تاب الله على النبي والمهاجرين
والانصار من اذنه للمنافقين في التخلف او برأهم عن علقة الذنوب كقوله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم
من ذنبك وما تاخر وقيل هو بعث على التوبة والمعنى ما من احد الا وهو محتاج الى التوبة حتى
والانصار لقوله تعالى وتوبوا الى الله جميعا اذ ما من احد الا وله مقام يستنقص دونه ما هو فيه والترقي
توبة من تلك النقيصة واظهار لفضلها بانها مقام الانبياء والصالحين من عباده الذين اتبعوه في
ساعة العسرة في وقتها وهي حالهم في غزوة تبوك كانوا في عسرة الظهر يعتقب العشرة على بعير
والزاد حتى قيل ان الرجلين كانا يقتسمان تمرة والماء حتى شربوا الفظ من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق
عن الثبات على الايمان او اتباع الرسول وفي كاد ضمير الشان او ضمير القوم والعائد

فهلا نفر من كل جماعة كثيرة كقبيلة واهل بلدة جماعة قليلة ليتفقهوا في الدين ليتكلفوا الفقاهة
فيه ويتجشموا مشاق تحصيلها ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم وليجعلوا غاية سعيهم ومعظم غرضهم من
الفقاهة ارشاد القوم وانذارهم وتخصيصه بالذكر لانه اهم وفيه دليل على ان التفقه والتذكير من فروض
الكفاية وانه ينبغي ان يكون غرض المتعلم فيه ان يستقيم ويقيم لا الترفع على الناس والتبسط في البلاد لعلهم
يحذرون ارادة ان يحذروا عما ينذرون منه واستدل به على ان اخبار الاحاد حجة لان عموم كل فرقة يقتضي
ان ينفر من كل ثلثة تفردوا بقرية طائفة الى التفقه لتنذر فرقتها كي يتذكروا ويحذروا فلو لم يعتبر الاخبار
ما لم يتواتر لم يفد ذلك وقد اشبعت الكلام فيه تقريرا واعتراضا في كتابي المرصاد وقد قيل للاية معنى
اخر وهو انه لما نزل في المتخلفين ما نزل سبق المؤمنون الى النفير وانقطعوا عن التفقه فامروا ان ينفر من كل
فرقة طائفة الى الجهاد ويبقى اعقابهم يتفقهون حتى لا ينقطع التفقه الذي هو الجهاد الاكبر لان الجدال بالحجة
هو الاصل والمقصود من البعثة فيكون الضمير في ليتفقهوا ولينذروا للبواقي من الفرق بعد الطوائف النافرة
للغزو وفي رجعوا للطوائف اي ولينذر البواقي قومهم النافرين اذا رجعوا اليهم بما حصلوا ايام غيبتهم
من العلوم يا ايها الذين امنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار امروا بقتال الاقرب منهم فالاقرب كما امر
رسول الله عم اولا بانذار عشيرته فان الاقرب احق بالشفقة والاستصلاح وقيل هم يهود حوالي المدينة
كقريظة والنضير وخيبر وقيل الروم فانهم كانوا يسكنون الشام وهو قريب من المدينة وليجدوا فيكم
غلظة شدة وصبرا على القتال وقرئ بفتح الغين وضمها وهما لغتان فيها واعلموا ان الله مع المتقين
بالحراسة والاعانة واذا ما انزلت سورة فمنهم من المنافقين من يقول انكارا واستهزاء ايكم زادته هذه
السورة ايمانا وقرئ ايكم بالنصب على اضمار فعل يفسره زادته فاما الذين امنوا فزادتهم ايمانا
بزيادة العلم الحاصل من تدبر السورة وانضمام الايمان بها وبما فيها الى ايمانهم وهم يستبشرون بنزولها
لانه سبب لزيادة كمالهم وارتفاع درجاتهم واما الذين في قلوبهم مرض كفر فزادتهم رجسا الى رجسهم
كفرا بها مضموما الى الكفر بغيرها وماتوا وهم كافرون واستحكم ذلك فيهم حتى ماتوا عليه اولا يرون يعني
المنافقين وقرأ حمزة ويعقوب بالتاء انهم يفتنون يبتلون باصناف البليات او بالجهاد مع رسول الله عم
فيعاينون ما يظهر عليه من الايات في كل عام مرة او مرتين ثم لا يتوبون لا ينتهون ولا يتوبون من نفاقهم
ولا هم يذكرون ولا يعتبرون واذا ما انزلت سورة نظر بعضهم الى بعض تغامزوا بالعيون انكارا لها
وسخرية او غيظا لما فيها من عيوبهم هل يراكم من احد اي يقولون هل يراكم احد ان قمتم من حضرة الرسول
فان لم يرهم احد قاموا وان يرهم احد اقاموا ثم انصرفوا عن حضرته مخافة الفضيحة صرف الله قلوبهم عن الايمان
وهو يحتمل الاخبار والدعاء بانهم بسبب انهم قوم لا يفقهون لسوء فهمهم او لعدم تدبرهم لقد جاءكم
رسول من انفسكم من جنسكم عربي مثلكم وقرئ من انفسكم اي اشرفكم عزيز عليه شديد

موكد لنفسه لان قوله اليه مرجعكم وعد من الله حقا مصدر اخر موكد لما دل عليه وعد الله انه يبدؤ الخلق ثم
يعيده بعد بدئه واهلاكه ليجزي الذين امنوا وعملوا الصالحات بالقسط اي بعدله او بعدلهم وقيامهم على العدل
في امورهم او بايمانهم لانه العدل القويم كما ان الشرك ظلم عظيم وهو الاوجه لمقابلة قوله والذين كفروا لهم
شراب من حميم وعذاب اليم بما كانوا يكفرون فان معناه ليجزي الذين كفروا بشراب من حميم وعذاب اليم بسبب
كفرهم لكنه غير النظم للمبالغة في استحقاقهم للعقاب والتنبيه على ان المقصود بالذات من الابداء والاعادة هو
الاثابة والعقاب واقع بالعرض وانه تعالى يتولى اثابة المؤمنين بما يليق بلطفه وكرمه ولذلك لم يعينه واما عقاب الكفرة
فكانه داء ساقه اليهم سوء اعتقادهم وشؤم افعالهم والاية كالتعليل لقوله اليه مرجعكم جميعا فانه لما كان المقصود
من الابداء والاعادة مجازاة الله المكلفين على اعمالهم كان مرجع الجميع اليه لا محالة ويؤيده قراءة من قرأ انه يبدؤا
بالفتح اي لانه ويجوز ان يكون منصوبا او مرفوعا بما نصب وعد الله او بما نصب حقا هو الذي جعل الشمس ضياء اي
ذات ضياء وهو مصدر كقيام او جمع ضوء كسياط وسوط والياء فيه منقلبة عن الواو وعن ابن كثير ضئاء بقلب
ضياء بهمزتين في كل القران على القلب بتقديم اللام على العين والقمر نورا اي ذا نور او سمي نورا للمبالغة وهو اعم
من الضوء كما عرفت وقيل ما بالذات ضوء وما بالعرض نور وقد نبه سبحانه بذلك على انه خلق الشمس نيرة في ذاتها
والقمر نيرا بعرض مقابلة الشمس والاكتساب منها وقدره منازل الضمير لكل واحد اي قدر مسير كل واحد
منازل او قدره ذا منازل او للقمر وتخصيصه بالذكر لسرعة سيره ومعاينة منازله واناطة احكام الشرع به
ولذلك علله بقوله لتعلموا عدد السنين والحساب حساب الاوقات من الاشهر والايام في معاملاتكم وتصرفاتكم
ما خلق الله ذلك الا بالحق الا ملتبسا بالحق مراعيا فيه مقتضى الحكمة البالغة يفصل الايات لقوم يعلمون
فانهم المنتفعون بالتامل فيها وقرأ ابن كثير والبصريان وحفص يفصل بالياء ان في اختلاف الليل والنهار وما
خلق الله في السموات والارض من انواع الكائنات لايات على وجود الصانع تعالى ووحدته وكمال علمه وقدرته لقوم يتقون
العواقب فانه يحملهم على التفكر والتدبر ان الذين لا يرجون لقاءنا لا يتوقعونه لانكارهم للبعث وذهولهم بالمحسوسات
عما وراءها ورضوا بالحيوة الدنيا من الاخرة لغفلتهم عنها واطمأنوا بها وسكنوا اليها مقصرين هممهم على لذائذها
وزخارفها او سكنوا فيها سكون من لا يزعج عنها والذين هم عن اياتنا غافلون لا يتفكرون فيها لانهماكهم
فيما يضادها والعطف اما لتغاير الوصفين والتنبيه على ان الوعيد على الجمع بين الذهول عن الايات راسا
والانهماك في الشهوات بحيث لا تخطر الاخرة ببالهم اصلا واما لتغاير الفريقين والمراد بالاولين من انكر البعث
ولم ير الا الحيوة الدنيا وبالاخرين من الهاه حب العاجل عن التامل في الاجل والاعداد له اولئك ماواهم النار
بما كانوا يكسبون بما واظبوا عليه وتمرنوا به من المعاصي ان الذين امنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بايمانهم
بسبب ايمانهم الى سلوك سبيل يؤدي الى الجنة او لادراك الحقائق كما قال عليه السلام من عمل بما علم ورثه الله علم
ما لم يعلم او لما يريدونه في الجنة ومفهوم الترتيب وان دل على ان سبب الهداية هو الايمان والعمل الصالح لكن دل

قل ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي من قبل نفسي وهو مصدر استعمل ظرفا وإنما اكتفى بالجواب عن التبديل
لاستلزام امتناعه امتناع الإتيان بقرآن آخر إن أتبع إلا ما يوحى إلي تعليل لما يكون فإن المتبع لغيره في أمر
لم يستبد بالتصرف فيه بوجه وجواب للنقض بنسخ بعض الآيات ببعض ورد لما عرضوا له بهذا السؤال من أن القرآن
كلامه واختراعه ولذلك قيد التبديل في الجواب وسماه عصيانا فقال إني أخاف إن عصيت ربي أي بالتبديل عذاب
يوم عظيم وفيه إيماء بأنهم استوجبوا العذاب بهذا الاقتراح قل لو شاء الله غير ذلك ما تلوته عليكم ولا أدراكم به ولا
أعلمكم به على لساني وعن ابن كثير ولأدراكم بلام التأكيد أي لو شاء الله ما تلوته عليكم ولأعلمكم به على لسان غيري والمعنى أنه
الحق الذي لا محيص عنه لو لم أرسل به لأرسل به غيري وقرئ ولا أدرأتكم ولا أدرأكم بالهمز فيهما على لغة من يقلب الألف
المبدلة من الياء همزة أو على أنه من الدرء بمعنى الدفع أي ولا جعلتكم بتلاوته خصماء تدرءونني بالجدال والمعنى أن الأمر
بمشيئة الله لا بمشيئتي حتى أجعله على نحو ما تشتهونه ثم قرر ذلك بقوله فقد لبثت فيكم عمرا مقدار عمر أربعين
سنة من قبله من قبل القرآن لا أتلوه ولا أعلمه فإنه إشارة إلى أن القرآن معجز خارق للعادة فإن من عاش بين أظهرهم أربعين
سنة لم يمارس فيها علما ولم يشاهد عالما ولم ينشئ قريضا ولا خطبة ثم قرأ عليهم كتابا بذت فصاحته فصاحة كل منطيق
وعلا كل منثور ومنظوم واحتوى على قواعد علمي الأصول والفروع وأعرب عن أقاصيص الأولين وأحاديث الآخرين على
ما هي عليه علم أنه معلم به من الله تعالى أفلا تعقلون أي أفلا تستعملون عقولكم بالتدبر والتفكر فيه لتعلموا أنه ليس إلا من الله
فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا تفاد مما أضافوه إليه كناية أو تظليم للمشركين بافترائهم على الله في قولهم إنه لذو شريك
وذو ولد أو كذب بآياته فكفر بها إنه لا يفلح المجرمون ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم
لأنه جماد لا يقدر على نفع ولا ضر والمعبود ينبغي أن يكون مثيبا ومعاقبا حتى تعود عبادته بجلب نفع أو دفع ضر
ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله تشفع لنا فيما يهمنا من أمور الدنيا أو في الآخرة إن يكن بعث
وكأنهم كانوا شاكين فيه وهذا من فرط جهالتهم حيث تركوا عبادة الموجد الضار النافع إلى عبادة ما يعلم قطعا أنه لا يضر
ولا ينفع على توهم أنه ربما يشفع لهم عنده قل أتنبئون الله بما لا يعلم أتخبرونه بما لا يعلم وهو أن له شريكا أو هؤلاء شفعاء
عنده وما لا يعلمه العالم بجميع المعلومات لا يكون له تحقق ما في السماوات ولا في الأرض حال من العائد المحذوف
مؤكدة للنفي منبهة على أن ما يعبدون من دون الله إما سماوي وإما أرضي ولا شيء من الموجودات فيهما إلا وهو حادث مقهور مثلهم
لا يليق أن يشرك به سبحانه وتعالى عما يشركون عن إشراكهم وعن الشركاء الذين يشركونهم به وقرأ حمزة والكسائي هنا
وفي موضعين في أول النحل والروم بالتاء وما كان الناس إلا أمة واحدة موحدين على الفطرة أو متفقين
على الحق وذلك في عهد آدم عليه السلام إلى أن قتل قابيل هابيل أو بعد الطوفان أو على الضلال في فترة من الرسل فاختلفوا
باتباع الهوى والأباطيل أو ببعثة الرسل فتبعتهم طائفة وأصرت أخرى ولولا كلمة سبقت من ربك بتأخير الحكم
بينهم أو العذاب الفصل إلى يوم القيامة فإنه يوم الفصل والجزاء لقضي بينهم عاجلا فيما فيه يختلفون بإهلاك المبطل
وإبقاء المحق ويقولون لولا أنزل عليه آية من ربه أي من الآيات التي اقترحوها فقل إنما الغيب لله هو المختص بعلمه

خضرة النبات ونجابة وذهابه حطاما يابسا وكان غضا والتشبيه بين ذي الارض حتى طمع فيه اهله وظنوا انه قد سلم من الجوائح
لا انما وان فيه حرف التشبيه لانه من التشبيه المركب كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون فانهم المنتفعون به
والله يدعو الى دار السلام دار السلامة من التقضي والآفة او دار الله وتخصيص هذا الاسم ايضا للتنبيه
على ذلك او دار يسلم الله والملائكة فيها على من يدخلها والمراد الجنة ويهدي من يشاء بالتوفيق الى صراط مستقيم
هو طريقها وذلك الاسلام والتدرع بلباس التقوى وفي تعميم الدعوة وتخصيص الهداية بالمشية دليل على ان الامر غير
الارادة وان المصر على الضلالة لم يرد الله رشده للذين احسنوا الحسنى المثوبة الحسنى وزيادة وما يزيد على المثوبة تفضلا
لقوله ويزيدهم من فضله وقيل الحسنى مثل حسناتهم والزيادة عشر امثالها الى سبعمائة ضعف واكثر وقيل الزيادة
مغفرة من الله ورضوان وقيل الحسنى الجنة والزيادة هو اللقاء ولا يرهق وجوههم لا يغشاها قتر غبرة فيها سواد
ولا ذلة هوان والمعنى لا يرهقهم ما يرهق اهل النار او لا يرهقهم ما يوجب ذلك من حزن وسوء حال اولئك اصحاب
الجنة هم فيها خالدون دائمون لا زوال فيها ولا انقراض لنعيمها بخلاف الدنيا وزخارفها والذين كسبوا السيئات جزاء
سيئة بمثلها عطف على قوله للذين احسنوا الحسنى على مذهب من يجوز في الدار زيد والحجرة عمرو او الذين مبتدأ
والخبر جزاء سيئة على تقدير وجزاء الذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها اي ان يجازى سيئة بسيئة مثلها لا يزاد عليها وفيه
تنبيه على ان الزيادة هي الفضل او التضعيف او كانما اغشيت او اولئك اصحاب النار وما بينهما اعتراض فجزاء سيئة
مبتدأ وخبره محذوف اي فجزاء سيئة بمثلها واقع او بمثلها على زيادة الباء او تقدير مقدر بمثلها وترهقهم ذلة
وقرئ بالياء ما لهم من الله من عاصم ما من احد يعصمهم من سخط الله او من جهة الله او من عنده كما يكون للمؤمنين كانما
اغشيت وجوههم قطعا من الليل مظلما لفرط سوادها وظلمتها ومظلما حال من الليل والعامل فيه اغشيت لانه العامل
في قطعا وهو موصوف بالجار والمجرور والعامل في الموصوف عامل في الصفة او معنى الفعل في من الليل وقرأ
ابن كثير والكسائي ويعقوب قطعا بالسكون وعلى هذا يصح ان يكون مظلما صفة له او حالا منه اولئك اصحاب
النار هم فيها خالدون مما يحتج به الوعيدية والجواب ان الآية في الكفار لاشتمال السيئات على الشرك والكفر ولان الذين
احسنوا يتناول اصحاب الكبيرة من اهل القبلة فلا يتناولهم قسيمه ويوم نحشرهم جميعا يعني الفريقين جميعا ثم نقول للذين
اشركوا مكانكم الزموا مكانكم حتى تنظروا ما يفعل بكم انتم تاكيد للضمير المنتقل اليه من عامله وشركاؤكم عطف عليه
وقرئ بالنصب على المفعول معه فزيلنا بينهم ففرقنا بينهم وقطعنا الوصل التي كانت بينهم وقال شركاؤهم ما كنتم
ايانا تعبدون مجاز عن براءة ما عبدوه من عبادتهم وانهم انما عبدوا في الحقيقة اهواءهم لانها الآمرة بالاشراك
لا ما اشركوا به وقيل ينطق الله الاصنام فتشافههم بذلك مكان الشفاعة التي توقعوا منها وقيل المراد بالشركاء
المسيح والملائكة وقيل الشياطين فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم فانه العالم بكنه الحال ان كنا عن عبادتكم لغافلين ان هي
المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة هنالك في ذلك المقام تبلو كل نفس ما اسلفت تختبر ما قدمت من عمل فتعاين نفعه وضرره وقرأ
حمزة والكسائي تتلو من التلاوة اي تقرأ ذكر ما قدمت او من التلو اي تتبع عمله فيقوده الى الجنة او الى النار وقرئ نبلوا

او من ينتهي منهم الى تمييز ونظر ولا يرضى بالتقليد الصرف اِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ من العلم والاعتقاد الحق شَيْئًا من
الاغناء ويجوز ان يكون مفعولا به ومن الحق حالا منه وفيه دليل على ان تحصيل العلم في الاصول واجب والاكتفاء
بالتقليد والظن غير جائز اِنَّ اللّٰهَ عَلِيْمٌ بِمَا يَفْعَلُوْنَ وعيد على اتباعهم للظن واعراضهم عن البرهان وَمَا كَانَ هٰذَا الْقُرْاٰنُ
اَنْ يُّفْتَرٰى مِنْ دُوْنِ اللّٰهِ افتراء من الخلق وَلٰكِنْ تَصْدِيْقَ الَّذِيْ بَيْنَ يَدَيْهِ مطابق لما تقدمه من الكتب
الالهية المشهود على صدقها ولا يكون كذبا كيف وهو لكونه معجزا دونها عيارا عليها شاهد على صحتها ونصبه بانه خبر لكان مقدرا
او علة لفعل محذوف تقديره لكن انزله الله تصديق الذي وقرئ بالرفع على تقدير ولكن هو تصديق وَتَفْصِيْلَ الْكِتٰبِ
وتفصيل ما حقق واثبت من العقائد والشرائع لَا رَيْبَ فِيْهِ منتفيا عنه الريب وهو خبر ثالث داخل في حكم الاستدراك
ويجوز ان يكون حالا من الكتاب فانه مفعول في المعنى وان يكون استينافا مِنْ رَّبِّ الْعٰلَمِيْنَ خبر اخر تقديره كائنا من
رب العالمين او متعلق بتصديق وتفصيل ولا ريب فيه اعتراض او بالفعل المعلل بهما ويجوز ان يكون حالا من الكتاب
او الضمير في فيه ومساق الاية بعد المنع عن اتباع الظن لبيان ما يجب اتباعه والبرهان عليه اَمْ يَقُوْلُوْنَ بل ايقولون افْتَرٰىهُ
محمد ومعنى الهمزة فيه الانكار قُلْ فَاْتُوْا بِسُوْرَةٍ مِّثْلِهِ في البلاغة وحسن النظم وقوة المعنى على وجه الافتراء فانكم مثلي
في العربية والفصاحة واشد تمرنا في النظم والعبارة وَادْعُوْا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ فاستعينوا بمن امكنكم ان تستعينوا
به مِنْ دُوْنِ اللّٰهِ سوى الله تعالى فانه وحده قادر على ذلك اِنْ كُنْتُمْ صٰدِقِيْنَ في انه اختلقه بَلْ كَذَّبُوْا بل
سارعوا الى التكذيب بِمَا لَمْ يُحِيْطُوْا بِعِلْمِهٖ بالقران اول ما سمعوه قبل ان يتدبروا اياته ويحيطوا بالعلم بشانه او
بما جهلوه ولم يحيطوا به علما من ذكر البعث والجزاء وسائر ما يخالف دينهم وَلَمَّا يَاْتِهِمْ تَاْوِيْلُهٗ ولم يقفوا بعد
على تاويله ولم تبلغ اذهانهم معانيه او ولم ياتهم بعد تاويل ما فيه من الاخبار بالغيوب حتى يتبين لهم
صدقه ام كذبه والمعنى ان القران معجز من جهة اللفظ والمعنى ثم انهم فاجؤا تكذيبه قبل ان يتدبروا نظمه ويتفحصوا معناه ومعنى
التوقع في لما انه قد ظهر لهم بالاخرة اعجازه لما كرر عليهم التحدي فرازوا قواهم في معارضته فتضاءلت دونها او لما
شاهدوا وقوع ما اخبر به طبقا لاخباره مرارا فلم يقلعوا عن التكذيب تمردا وعنادا كَذٰلِكَ كَذَّبَ الَّذِيْنَ مِنْ قَبْلِهِمْ
انبياءهم فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظّٰلِمِيْنَ فيه وعيد لهم بمثل ما عوقب به من قبلهم وَمِنْهُمْ ومن المكذبين مَنْ
يُّؤْمِنُ بِهٖ من يصدق به في نفسه ويعلم انه حق ولكن يعاند او من سيؤمن به ويتوب عن كفره وَمِنْهُمْ مَّنْ لَّا يُؤْمِنُ بِهٖ في نفسه لفرط
غباوته وقلة تدبره او فيما يستقبل بل يموت على الكفر وَرَبُّكَ اَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِيْنَ بالمعاندين او بالمصرين وَاِنْ كَذَّبُوْكَ وان
اصروا على تكذيبك بعد الزام الحجة فَقُلْ لِّيْ عَمَلِيْ وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ فتبرأ منهم فقد اعذرت والمعنى لي جزاء عملي ولكم جزاء عملكم
حقا كان او باطلا اَنْتُمْ بَرِيْٓئُوْنَ مِمَّآ اَعْمَلُ وَاَنَا بَرِيْٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُوْنَ لا تؤاخذون بعملي ولا اواخذ بعملكم ولما فيه من ايهام الاعراض
عنهم وتخلية سبيلهم قيل انه منسوخ باية السيف وَمِنْهُمْ مَّنْ يَّسْتَمِعُوْنَ اِلَيْكَ اذا قرأت القران وعلمت الشرائع ولكن لا يقبلون
كالاصم الذي لا يسمع اصلا اَفَاَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ تقدر على اسماعهم وَلَوْ كَانُوْا لَا يَعْقِلُوْنَ ولو انضم الى
صممهم عدم تعقلهم وفيه تنبيه على ان حقيقة استماع الكلام فهم المعنى المقصود منه ولذلك لا يوصف به البهائم وهو لا يتاتى

٣٦٠

على انهم المجرمون ينبغي ان يفزعوا من مجيء الوعيد لا ان يستعجلوه وجواب الشرط محذوف وهو تندموا على الاستعجال او تعرفوا الخطأ
ويجوز ان يكون الجملة جوابا كقولك ان اتيتك ماذا تعطيني وتكون الجملة متعلقة بارأيتم وقوله أثم اذا ما وقع آمنتم
به بمعنى ثم اذا وقع العذاب حقيقة آمنتم به بعد وقوعه حين لا ينفعكم الايمان وماذا يستعجل اعتراض ودخول حرف الاستفهام
على ثم لانكار التأخير آلآن على ارادة القول اي قيل لهم اذا آمنوا بعد وقوع العذاب آلآن آمنتم به وعن نافع آلان بحذف
الهمزة والقاء حركتها على اللام وقد كنتم به تستعجلون تكذيبا واستهزاء ثم قيل للذين ظلموا عطف على قيل المقدر ذوقوا
عذاب الخلد المؤلم على الدوام هل تجزون الا بما كنتم تكسبون من الكفر والمعاصي ويستنبئونك ويستخبرونك أحق هو
احق ما تقول من الوعد او ادعاء النبوة تقوله بجد ام باطل تهزل به قاله حيي بن اخطب لما قدم مكة والاظهر ان
الاستفهام فيه على اصله لقوله ويستنبئونك وقيل انه للانكار ويؤيده انه قرئ آلحق هو فان فيه تعريضا بانه
باطل والحق مبتدأ والضمير مرتفع به ساد مسد الخبر او خبر مقدم والجملة في موضع النصب بيستنبئونك قل اي
وربي انه لحق ان العذاب لكائن او ما ادعيته لثابت وقيل كلا الضميرين للقرآن وأي بمعنى نعم وهو من لوازم القسم ولذلك يوصل
بواوه في التصديق فيقال اي والله ولا يقال اي وحده وما انتم بمعجزين فائتين العذاب ولو ان لكل نفس ظلمت بالشرك
او التعدي على الغير ما في الارض من خزائنها واموالها لافتدت به لجعلته فدية لها من العذاب من قولهم افتداه بمعنى
فداه واسروا الندامة لما رأوا العذاب لانهم بهتوا بما عاينوا مما لم يحتسبوه من فظاعة الامر وهوله فلم يقدروا ان ينطقوا وقيل
اسروا الندامة اخلصوها لان اخفاءها اخلاصها او لانه يقال سر الشيء لخالصته من حيث انها تخفى ويضن بها وقيل
اظهروها من قولهم اسر الشيء واسره اذا اظهره وقضي بينهم بالقسط وهم لا يظلمون ليس تكريرا لان الاول قضاء بين الانبياء
ومكذبيهم والثاني مجازاة المشركين على الشرك او الحكومة بين الظالمين والمظلومين والضمير انما يتناولهم لدلالة الظلم عليه
الا ان لله ما في السموات والارض تقرير لقدرته تعالى على الاثابة والمعاقبة الا ان وعد الله حق ما وعده من الثواب والعقاب
كائن لا خلف فيه ولكن اكثرهم لا يعلمون لانهم لا يعلمون الا ظاهرا من الحيوة الدنيا هو يحيي ويميت في الدنيا
فهو يقدر عليهما في العقبى لان القادر لذاته لا تزول قدرته والمادة القابلة بالذات للحيوة والموت قابلة لهما
ابدا واليه ترجعون بالموت او النشور يا ايها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور
وهدى ورحمة للمؤمنين اي قد جاءكم كتاب جامع للحكمة العملية الكاشفة عن محاسن الاعمال ومقابحها والمرغبة
في المحاسن والزاجرة عن المقابح والحكمة النظرية التي هي شفاء لما في الصدور من الشكوك وسوء الاعتقاد وهدى الى الحق واليقين
ورحمة للمؤمنين حيث انزلت عليهم فنجوا بها من ظلمات الضلال الى نور الايمان وتبدلت مقاعدهم من طبقات النيران بمصاعد
من درجات الجنان والتنكير فيها للتعظيم قل بفضل الله وبرحمته بانزال القرآن والباء متعلقة بفعل يفسره قوله فبذلك فليفرحوا
فان اسم الاشارة بمنزلة الضمير تقديره بفضل الله وبرحمته فليعتنوا او فليفرحوا فبذلك فليفرحوا وفائدة ذلك
التكرير التأكيد والبيان بعد الاجمال وايجاب اختصاص الفضل والرحمة بالفرح او بفعل دل عليه قد جاءتكم
وذلك اشارة الى مصدره اي فبمجيئها فليفرحوا والفاء بمعنى الشرط كانه قيل ان فرحوا بشيء فبهما ليفرحوا او للربط

لتضييق صدره وتحقير شأنه فليس من شرطه ... كلام متصل ...
تهديدهم وقوله ... ان العزة لله جميعا استئناف بمعنى التعليل ويدل عليه القراءة بالفتح
كأنه قيل لا تحزن بقولهم ولا تبال بهم لأن الغلبة لله جميعا لا يملك غيره شيئا منها فهو يقهرهم وينصرك عليهم
هو السميع لأقوالهم العليم بعزماتهم فيكافئهم عليها ألا إن لله من في السموات ومن في الأرض من الملائكة والثقلين وإذا كان هؤلاء
الذين هم أشرف الممكنات عبيدا لا يصلح أحد منهم للربوبية فما لا يعقل منها أحق أن لا يكون له ندا أو شريكا فهو
كالدليل على قوله وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء أي شركاء على الحقيقة وإن كانوا يسمونها شركاء
ويجوز أن يكون شركاء مفعول يدعون ومفعول يتبع محذوف دل عليه إن يتبعون إلا الظن أي ما يتبعون يقينا
إنما يتبعون ظنهم أنها شركاء ويجوز أن تكون ما استفهامية منصوبة بيتبع أو موصولة معطوفة على من وقرئ تدعون بالتاء
والمعنى وأي شيء يتبع الذين تدعونهم شركاء من الملائكة والنبيين أي إنهم لا يتبعون إلا الله ولا يعبدون غيره
فما لكم لا تتبعونهم فيه كقوله أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة فيكون إلزاما بعد برهان وما بعده مصروف
عن خطابهم لبيان سندهم ومنشأ رأيهم وإن هم إلا يخرصون يكذبون فيما ينسبون إلى الله أو يحزرون ويقدرون أنها شركاء
تقديرا باطلا هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا تنبيه على كمال قدرته وعظيم نعمته المتوحد هو بهما ليدلهم
على تفرده باستحقاق العبادة وإنما قال مبصرا ولم يقل لتبصروا فيه تفرقة بين الظرف المجرد والظرف الذي هو سبب
إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون سماع تدبر واعتبار قالوا اتخذ الله ولدا أي تبناه سبحانه تنزيه له عن التبني فإنه
لا يصح إلا ممن يتصور له الولد وتعجب من كلمتهم الحمقاء هو الغني علة لتنزيهه فإن اتخاذ الولد مسبب عن الحاجة له ما في
السموات وما في الأرض تقرير لغناه إن عندكم من سلطان بهذا نفي لمعارض ما أقامه من البرهان مبالغة في تجهيلهم
وتحقيقا لبطلان قولهم وبهذا متعلق بسلطان أو نعت له أو بعندكم كأنه قيل إن عندكم في هذا من سلطان
أتقولون على الله ما لا تعلمون توبيخ وتقريع على اختلاقهم وجهلهم وفيه دليل على أن كل قول لا دليل عليه فهو
جهالة وأن العقائد لا بد لها من قاطع وأن التقليد فيها غير سائغ قل إن الذين يفترون على الله الكذب باتخاذ الولد
وإضافة الشريك إليه لا يفلحون لا ينجون من النار ولا يفوزون بالجنة متاع في الدنيا خبر مبتدأ محذوف أي افتراؤهم
متاع في الدنيا يقيمون به رئاستهم في الكفر أو حياتهم أو تقلبهم متاع أو مبتدأ خبره محذوف أي لهم تمتع في الدنيا ثم
إلينا مرجعهم بالموت فيلقون الشقاء المؤبد ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون بسبب كفرهم واتل عليهم
نبأ نوح خبره مع قومه إذ قال لقومه يا قوم إن كان كبر عليكم عظم عليكم وشق مقامي نفسي كقولهم فعلت كذا لمكان فلان
أو كوني وإقامتي بينكم مدة مديدة أو قيامي على الدعوة وتذكيري إياكم بآيات الله فعلى الله توكلت وثقت به
فأجمعوا أمركم فاعزموا عليه وشركاءكم أي مع شركائكم ويؤيده القراءة بالرفع عطفا على الضمير المتصل وجاز من
غير أن يؤكد للفصل وقيل إنه معطوف على أمركم بحذف المضاف أي وأمر شركائكم وقيل إنه منصوب بفعل محذوف
تقديره وادعوا شركاءكم وقد قرئ به وعن نافع فاجمعوا من الجمع والمعنى أمركم بالعزم أو الإجماع على

متى أتيتم إن الله سيبطله سيمحقه أو سيظهر بطلانه إن الله لا يصلح عمل المفسدين لا يثبته ولا يقويه وفيه دليل
أن السحر إفساد وتمويه لا حقيقة له ويحق الله الحق ويثبته بكلماته بأوامره وقضاياه وقرئ بكلمته ولو كره المجرمون ذلك
فما آمن لموسى في مبدأ أمره إلا ذرية من قومه إلا أولاد من أولاد قومه بني إسرائيل دعاهم فلم يجيبوه خوفا من فرعون إلا طائفة
من شبانهم وقيل الضمير لفرعون والذرية طائفة من شبانهم آمنوا أو مؤمن آل فرعون وامرأته آسية وخازنه وزوجته
وماشطته على خوف من فرعون وملائهم أي مع خوف منهم والضمير لفرعون وجمعه على ما هو المعتاد في ضمير العظماء
أو على أن المراد بفرعون آله كما يقال ربيعة ومضر أو للذرية أو للقوم أن يفتنهم أن يعذبهم فرعون وهو بدل منه
أو مفعول خوف وإفراده بالضمير للدلالة على أن الخوف من الملأ كان بسببه وإن فرعون لعال في الأرض لغالب فيها
وإنه لمن المسرفين في الكبر والعتو حتى ادعى الربوبية واسترق أسباط الأنبياء وقال موسى لما رأى تخوف المؤمنين منه
يا قوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا فثقوا به واعتمدوا عليه إن كنتم مسلمين مستسلمين لقضاء الله مخلصين
له وليس هذا من تعليق الحكم بشرطين فإن المعلق بالإيمان وجوب التوكل فإنه المقتضي له والمشروط بالإسلام حصوله
فإنه لا يوجد مع التخليط ونظيره إن دعاك زيد فأجبه إن قدرت فقالوا على الله توكلنا لأنهم كانوا مؤمنين
مخلصين ولذلك أجيبت دعوتهم ربنا لا تجعلنا فتنة موضع فتنة للقوم الظالمين أي لا تسلطهم علينا فيفتنونا
ونجنا برحمتك من القوم الكافرين من كيدهم وشوم مشاهدتهم وفي تقديم التوكل على الدعاء تنبيه على أن
الداعي ينبغي أن يتوكل أولا لتجاب دعوته وأوحينا إلى موسى وأخيه أن تبوآ أن اتخذا مباءة لقومكما بمصر بيوتا يسكنون فيها
أو يرجعون إليها للعبادة واجعلوا أنتم وقومكما بيوتكم تلك البيوت قبلة مصلى وقيل مساجد متوجهة نحو القبلة يعني الكعبة وكان
موسى يصلي إليها وأقيموا الصلاة فيها أمروا بذلك أول أمرهم لئلا يظهر عليهم الكفرة فيؤذوهم ويفتنوهم عن دينهم وبشر
المؤمنين بالنصرة في الدنيا والجنة في العقبى وإنما ثنى الضمير أولا لأن التبوؤ للقوم واتخاذ المعابد مما يتعاطاه رؤوس
القوم بتشاور ثم جمع لأن جعل البيوت مساجد والصلاة فيها مما ينبغي أن يفعله كل أحد ثم وحد لأن البشارة في الأصل
وظيفة صاحب الشريعة وقال موسى ربنا إنك آتيت فرعون وملأه زينة ما يتزين به من اللباس والمراكب ونحوها
وأموالا في الحياة الدنيا وأنواعا من المال ربنا ليضلوا عن سبيلك دعاء عليهم بلفظ الأمر بما علم من ممارسة أحوالهم
أنه لا يكون غيره كقولك لعن الله إبليس وقيل اللام للعاقبة وهي متعلقة بآتيت ويحتمل أن يكون العلة لأن إيتاء
النعم على الكفر استدراج وتثبيت على الضلال ولأنهم لما جعلوه سببا للضلال فكأنهم أوتوها ليضلوا فيكون ربنا تكريرا
للأول تأكيدا وتنبيها على أن المقصود عرض ضلالهم وكفرانهم تقدمة لقوله ربنا اطمس على أموالهم أهلكها والطمس المحق
واشدد على قلوبهم واقسها واطبع عليها حتى لا تنشرح للإيمان فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم
جواب للدعاء أو دعاء بلفظ النهي أو عطف على ليضلوا وما بينهما دعاء معترضة قال قد أجيبت دعوتكما يعني موسى وهارون
لأنه كان يؤمن فاستقيما فاثبتا على ما أنتما عليه من الدعوة وإلزام الحجة ولا تستعجلا فإن ما طلبتما كائن ولكن في وقته
روي أنه مكث فيهم بعد الدعاء أربعين سنة ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون طريق الجهلة في الاستعجال

ولا ينقض قضاؤه ولو جاءتهم كل آية فان السبب الاصلي لايمانهم وهو تعلق ارادة الله به مفقود حتى يروا العذاب
الاليم وحينئذ لا ينفعهم كما لم ينفع فرعون فلولا كانت قرية آمنت فهلا كانت قرية من القرى التي اهلكناها آمنت
قبل معاينة العذاب ولم تؤخر اليها كما اخر فرعون فنفعها ايمانها بان يقبله الله منها ويكشف العذاب عنها الا قوم يونس
لكن قوم يونس لما آمنوا اول ما رأوا امارة العذاب ولم يؤخروه الى حلوله كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحيوة الدنيا
ويجوز ان تكون الجملة في معنى النفي لتضمن حرف التحضيض معناه فيكون الاستثناء متصلا لان المراد من القرى
اهاليها كانه قال ما آمن اهل قرية من القرى العاصية فنفعهم ايمانهم الا قوم يونس ويؤيده قراءة الرفع
على البدل ومتعناهم الى حين الى آجالهم روي ان يونس عليه السلام بعث الى نينوى من الموصل فكذبوه واصروا فاعلمهم
بان العذاب مصبحهم بعد ثلث وقيل الاربعين فلما دنا الموعد اغامت السماء غيما اسود ذا دخان شديد فهبط
حتى غشي مدينتهم فهابوا فطلبوا يونس فلم يجدوه فايقنوا صدقه فلبسوا المسوح وبرزوا الى الصعيد بانفسهم
ونسائهم وصبيانهم ودوابهم وفرقوا بين كل والدة وولدها فحن بعضها الى بعض وعلت الاصوات والعجيج
واخلصوا التوبة واظهروا الايمان وتضرعوا الى الله فرحمهم وكشف عنهم وكان يوم عاشوراء يوم الجمعة ولو شاء ربك لآمن
من في الارض كلهم بحيث لا يشذ منهم احد جميعا مجتمعين على الايمان لا يختلفون فيه وهو دليل على القدرية في
انه تعالى لم يشأ ايمانهم اجمعين وان من شاء ايمانه يؤمن لا محالة والتقييد بمشية الالجاء خلاف الظاهر أفأنت
تكره الناس بما لم يشأ الله منهم حتى يكونوا مؤمنين وترتيب الاكراه على المشية بالفاء وايلاؤها حرف الاستفهام
للانكار وتقديم الضمير على الفعل للدلالة على ان خلاف المشية مستحيل فلا يمكنه تحصيله بالاكراه عليه فضلا
والتحريض عليه اذ روي انه كان حريصا على ايمان قومه شديد الاهتمام به فنزلت ولذلك قرره بقوله وما كان لنفس
ان تؤمن الا باذن الله الا بارادته والطافه وتوفيقه فلا تجهد نفسك في هداها فانه الى الله ويجعل الرجس
العذاب او الخذلان فانه سببه وقرئ بالزاء وقرأ ابو بكر ونجعل بالنون على الذين لا يعقلون لا يستعملون عقولهم بالنظر
في الحجج والآيات او لا يعقلون دلائله واحكامه لما على قلوبهم من الطبع ويؤيد الاول قوله قل انظروا اي تفكروا ماذا في السموات
والارض من عجائب صنعه ليدلكم على وحدته وكمال قدرته وماذا ان جعلت استفهامية علقت انظروا عن العمل
وما تغني الآيات والنذر والرسل المنذرون او الانذارات عن قوم لا يؤمنون في علم الله وحكمه وما نافية او استفهامية في موضع النصب فهل
ينتظرون الا مثل ايام الذين خلوا من قبلهم مثل وقائعهم ونزول بأس الله بهم اذ لا يستحقون غيره من قولهم
ايام العرب لوقائعها قل فانتظروا اني معكم من المنتظرين لذلك او فانتظروا هلاكي اني معكم من المنتظرين هلاككم ثم
ننجي رسلنا والذين آمنوا عطف على محذوف دل عليه الا مثل ايام الذين خلوا كانه قيل نهلك الامم ثم ننجي رسلنا ومن
آمن بهم على حكاية الحال الماضية كذلك حقا علينا ننج المؤمنين كذلك الانجاء او انجاء كذلك ننجي محمدا وصحبه حين
نهلك المشركين وحقا علينا اعتراض ونصبه بفعله المقدر وقيل بدل من كذلك وقرأ حفص والكسائي ننج مخففا قل يا ايها الناس خطاب لاهل مكة
ان كنتم في شك من ديني وصحته فلا اعبد الذين تعبدون من دون الله ولكن اعبد الله الذي يتوفاكم فهذا خلاصة

ادبه انني لكم منه نذير وبشير بالعقاب على الشرك والثواب على التوحيد وان استغفروا ربكم عطف
على الا تعبدوا ثم توبوا اليه ثم توسلوا الى مطلوبكم بالتوبة فان المعرض عن طريق الحق لا بد له من رجوع وقيل استغفروا
من الشرك ثم توبوا الى الله بالطاعة ويجوز ان يكون ثم لتفاوت ما بين الامرين يمتعكم متاعا حسنا يعيشكم في امن ودعة
الى اجل مسمى هو آخر اعماركم المقدرة او لا يهلككم بعذاب الاستئصال والارزاق والآجال وان كانت متعلقة بالاعمال
لكنها مسماة بالاضافة الى كل احد فلا تتغير ويؤت كل ذي فضل فضله ويعط كل ذي فضل في دينه جزاء فضله
في الدنيا والآخرة وهو وعد للموحد التائب بخير الدارين وان تولوا وان تتولوا فاني اخاف عليكم عذاب يوم كبير
يوم القيامة وقيل يوم الشدائد وقد ابتلوا بالقحط حتى اكلوا الجيف وقرئ وان تولوا من ولى الى الله مرجعكم رجوعكم في ذلك
اليوم وهو شاذ عن القياس وهو على كل شيء قدير فيقدر على تعذيبهم اشد عذاب فكأنه تقرير لكبر اليوم الا انهم يثنون
صدورهم يثنونها عن الحق وينحرفون عنه او يعطفونها على الكفر وعداوة النبي صلعم او يولون ظهورهم وقرئ يثنوني
بالياء والتاء من اثنوني وهو بناء المبالغة وتثنون واصله تثنونن من الثن وهو الكلأ الضعيف اراد به ضعف
قلوبهم او مطاوعة صدورهم للثني وتثنئن من اثنأن كابيأض بالهمزة ليستخفوا منه من الله بسرهم فلا يطلع
رسوله والمؤمنين عليه قيل انها نزلت في طائفة من المشركين قالوا اذا ارخينا ستورنا واستغشينا ثيابنا وطوينا
صدورنا على عداوة محمد صلعم كيف يعلم وقيل نزلت في المنافقين وفيه نظر اذ الآية مكية والنفاق حدث بالمدينة
الا حين يستغشون ثيابهم الا حين يأوون الى فراشهم ويتغطون بثيابهم يعلم ما يسرون في قلوبهم وما يعلنون
بافواههم يستوي في علمه سرهم وعلنهم فكيف يخفى عليه ما عسى يظهرونه انه عليم بذات الصدور بالاسرار ذات الصدور او بالقلوب
واحوالها

وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا

غذاؤها ومعاشها لتكفله اياه تفضلا ورحمة وانما اتى بلفظ الوجوب تحقيقا لوصوله وحملا على التوكل فيه
ويعلم مستقرها ومستودعها اماكنها في الحيوة والممات او الاصلاب والارحام او مساكنها من الارض حين وجدت بالفعل ومودعها
من المواد والمقار حين كانت بعد بالقوة كل كل واحد من الدواب واحوالها في كتاب مبين مذكور في اللوح المحفوظ و
كأنه اريد بالآية بيان كونه عالما بالمعلومات كلها وبما بعدها بيان كونه قادرا على الممكنات باسرها تقريرا للتوحيد
ولما سبق من الوعد والوعيد وهو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام اي خلقهما وما فيهما كما مر بيانه
في الاعراف او ما في جهتي العلو والسفل وجمع السماء دون الارض لاختلاف العلويات بالاصل والذات دون
السفليات وكان عرشه على الماء قبل خلقهما لم يكن حائل بينهما لا انه كان موضوعا على متن الماء واستدل به على امكان
الخلاء وان الماء اول حادث بعد العرش من اجرام هذا العالم وقيل كان الماء على متن الريح والله اعلم بذلك ليبلوكم
ايكم احسن عملا متعلق بخلق اي خلق ذلك كخلق من خلق ليعاملكم معاملة المبتلي لاحوالكم كيف تعملون
فان جملة ذلك اسباب ومواد لوجودكم ومعاشكم وما تحتاج اليه اعمالكم ودلائل وامارات تستدلون بها وتستنبطون
منها وانما جاز تعليق فعل البلوى لما فيه من معنى العلم من حيث انه طريق اليه كالنظر والاستماع وانما ذكر صيغة التفضيل

اقدر لتعلمكم القصص والاشعار وتعودكم القريض والنظم وادعوا من استطعتم من دون الله الى المعاونة على المعارضة
ان كنتم صادقين انه مفترى فان لم يستجيبوا لكم باتيان ما دعوتم اليه وجمع الضمير اما لتعظيم الرسول او لان المؤمنين
ايضا كانوا يتحدونهم وكان امر الرسول عم متناولا لهم من حيث انه يجب اتباعه عليهم في كل امر الا ما خصه الدليل
وللتنبيه على ان التحدي مما يوجب رسوخ ايمانهم وقوة يقينهم فلا يغفلون عنه ولذلك رتب عليه قوله
فاعلموا انما انزل بعلم الله انزل ملتبسا بما لا يعلمه الا الله ولا يقدر عليه سواه وان لا اله الا هو واعلموا ان
لا اله الا الله لانه العالم القادر بما لا يعلم ولا يقدر عليه غيره ولظهور عجز الهتهم ولتنصيص هذا الكلام الثابت صدقه
باعجازه عليه وفيه تهديد واقناط من ان يجيرهم من بأس الله الهتهم فهل انتم مسلمون ثابتون على الاسلام راسخون
فيه مخلصون اذا تحقق عندكم اعجازه مطلقا ويجوز ان يكون الكل خطابا للمشركين والضمير في لم يستجيبوا لمن استطعتم
اي فان لم يستجيبوا لكم الى الظاهرة لعجزهم وقد عرفتم من انفسكم القصور عن المعارضة فاعلموا انه نظم لا يعلمه الا الله
وانه منزل من عنده وان ما دعاكم اليه من التوحيد حق فهل انتم داخلون في الاسلام بعد قيام الحجة القاطعة وفي مثل
هذا الاستفهام ايجاب بليغ لما فيه من معنى الطلب والتنبيه على قيام الموجب وزوال العذر من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها
بالمساوية نوف اليهم اعمالهم فيها نوصل اليهم جزاء اعمالهم في الدنيا من الصحة والرياسة وسعة الرزق وكثرة الاولاد
وقرئ يوف بالياء اي يوف الله وتوف على البناء للمفعول ونوفي بالتخفيف والرفع لان الشرط ماض كقوله شعر
وان اتاه خليل يوم مسغبة يقول لا غائب مالي ولا حرم وهم فيها لا يبخسون لا ينقصون شيئا من اجورهم والاية في
اهل الريا وقيل في المنافقين وقيل في الكفرة وبرهم اولئك الذين ليس لهم في الاخرة الا النار مطلقا في مقابلة ما عملوا
لانهم استوفوا ما يقتضيه صور اعمالهم الحسنة وبقيت لهم اوزار العزائم السيئة وحبط ما صنعوا فيها لانه لم يبق له ثواب في الاخرة او
لم يكن لانهم لم يريدوا به وجه الله والعمدة في اقتضاء ثوابها هو الاخلاص ويجوز تعليق الظرف بصنعوا على ان الضمير للدنيا وباطل
في نفسه ما كانوا يعملون لانه لم يعمل على ما ينبغي وكان كل واحدة من الجملتين علة لما قبلها وقرئ باطلا على انه
مفعول يعملون وما ابهامية او في معنى المصدر كقوله ولا خارجا من في زور كلام وبطل على الفعل افمن كان
على بينة من ربه برهان من الله يدله على الحق والصواب فيما ياتيه ويذره والهمزة لانكار ان يعقب من هذا شانه
هؤلاء المقصرين هممهم وافكارهم على الدنيا وان تقارب بينهم في المنزلة وهو الذي اغنى عن ذكر الخبر وتقديره افمن كان
على بينة كمن كان يريد الحيوة الدنيا وهو حكم يعم كل مؤمن مخلص وقيل المراد به النبي عم وقيل مؤمنوا اهل الكتاب
ويتلوه ويتبع ذلك البرهان الذي هو دليل العقل شاهد منه شاهد من الله يشهد بصحته وهو القران ومن
قبله ومن قبل القران كتاب موسى يعني التورية فانها ايضا تتلوه في التصديق وقيل البينة هو القران ويتلوه من التلاوة والشاهد
جبريل او لسان الرسول عم على ان الضمير له او من التلو والشاهد ملك يحفظه والضمير في يتلوه اما لمن او للبينة باعتبار
المعنى ومن قبله كتاب موسى جملة مبتدأة وقرئ كتاب بالنصب عطفا على الضمير في يتلوه اي يتلو القران شاهد ممن
كان على بينة دالة على انه حق كقوله وشهد شاهد من بني اسرائيل ويقرأ من قبل القران التورية

منهم أراذلنا جمع أرذل فإنه بالغلبة صار مثل الاسم كالأكبر او أرذل جمع رذل بادي الرأي ظاهر الرأي
من غير تعمق من البدو او اول الرأي من البدء والياء مبدلة من الهمزة لانكسار ما قبلها وقرأ ابو عمرو بالهمزة وانتصابه
بالظرف على حذف المضاف اي وقت حدوث بادي الرأي والعامل فيه اتبعك وانما استرذلوهم لذلك او لفقرهم فانهم
لما لم يعلموا الا ظاهرا من الحيوة الدنيا كان الاحظ بها اشرف عندهم والمحروم منها ارذل وما نرى لكم لك ولمتبعيك علينا
من فضل يؤهلكم للنبوة واستحقاق المتابعة بل نظنكم كاذبين اياك في دعوى النبوة واياهم في دعوى العلم بصدقك
فغلب المخاطب على الغائبين قال يا قوم أرأيتم اخبروني إن كنت على بينة من ربي حجة شاهدة بصحة دعواي وآتاني
رحمة من عنده بإيتاء البينة او النبوة فعميت عليكم فخفيت عليكم فلم تهدكم وتوحيد الضمير لان البينة في نفسها هي الرحمة
او لان خفاءها توجب خفاء النبوة او على تقدير فعميت بعد البينة وحذفها للاختصار او لانه لكل واحدة منهما وقرأ
حمزة والكسائي وحفص فعميت اي أخفيت وقرئ فعماها على ان الفعل لله أنلزمكموها انكرهكم على الاهتداء بها وانتم لها
كارهون لا تختارونها ولا تتأملون فيها وحيث اجتمع ضميران وليس احدهما مرفوعا وقدم الاعرف منهما جاز في الثاني
الفصل والوصل ويا قوم لا أسألكم عليه على التبليغ وهو وان لم يذكر معلوم مما ذكر مالا جعلا ان اجري الا على الله
فإنه المأمول منه وما انا بطارد الذين آمنوا جواب لهم حين سألوا طردهم انهم ملاقو ربهم فيخاصمون طاردهم عنده او انهم
يلاقونه ويفوزون بقربه فكيف اطردهم ولكني اراكم قوما تجهلون بلقاء ربكم او باقدارهم او في التماس طردهم او تتسفهون
عليهم بان تدعوهم اراذل ويا قوم من ينصرني من الله بدفع انتقامه ان طردتهم وهم بتلك الصفة والمثابة افلا
تذكرون لتعرفوا ان التماس طردهم وتوقيف الايمان عليه ليس بصواب ولا اقول لكم عندي خزائن الله رزقه و
امواله حتى جحدتم فضلي ولا اعلم الغيب عطف على عندي خزائن الله اي ولا اقول لكم اني اعلم الغيب حتى تكذبوني استبعادا
او حتى اعلم ان هؤلاء اتبعوني بادي الرأي من غير بصيرة وعقد قلب وعلى الثاني يجوز عطفه على اقول ولا اقول اني ملك
حتى تقولوا ما انت الا بشر مثلنا ولا اقول للذين تزدري اعينكم ولا اقول في شأن من استرذلتموهم لفقرهم
لن يؤتيهم الله خيرا فان ما اعد الله لهم في الآخرة خير مما آتاكم في الدنيا الله اعلم بما في انفسهم اني اذا لمن
الظالمين ان قلت شيئا من ذلك والازدراء افتعال من زرى عليه اذا عابه قلبت تاؤه دالا لتجانس الراء في الجهر واسناده
الى الاعين للمبالغة والتنبيه على انهم استرذلوهم بادي الرؤية من غير روية وما عاينوه من رثاثة حالهم وقلة منالهم
دون تأمل في معانيهم وكمالاتهم قالوا يا نوح قد جادلتنا خاصمتنا فأكثرت جدالنا فأطلته او اتيت بانواعه
فأتنا بما تعدنا من العذاب ان كنت من الصادقين في الدعوى والوعيد فان مناظرتك لا تؤثر فينا قال انما
يأتيكم به الله ان شاء عاجلا او آجلا وما انتم بمعجزين بدفع العذاب او الهرب منه ولا ينفعكم نصحي ان اردت ان انصح لكم شرط و
دليل جواب والجملة دليل جواب قوله ان كان الله يريد ان يغويكم وتقدير الكلام ان كان الله يريد ان يغويكم فان اردت
ان انصح لكم لا ينفعكم نصحي ولذلك تقول لو قال الرجل انت طالق ان دخلت الدار ان كلمت زيدا فدخلت ثم كلمت
لم تطلق وهو جواب لما اوهموا من ان جداله كلام بلا طائل وهو دليل على ان ارادة الله يصح تعلقها بالاغواء وان خلاف

السلام عليكم وامرأتك ... بسم الله مجريها ومرسيها وقرئ مرسيها ... عند ... ويحتمل الثلاثة ...
ونسبه ... إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ اي لولا مغفرته لفرطاتكم ورحمته اياكم لما نجاكم وَهِيَ
تَجْرِي بِهِمْ متصل بمحذوف دل عليه اركبوا اي فركبوا مسمين وهي تجري وهم فيها فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ في موج من الطوفان
وهو ما يرتفع من الماء عند اضطرابه كل موجة منها كجبل في تراكمها وارتفاعها وما قيل من ان الماء طبق ما بين السماء
والارض وكانت السفينة تجري في جوفه ليس بثابت والمشهور انه علا شوامخ الجبال خمسة عشر ذراعا وان
صح فلعل ذلك قبل التطبيق وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ كنعان وقرئ ابنها وابنه بحذف الالف على ان الضمير لامرأته
ربيبه وقيل كان لغير رشدة لقوله فخانتاهما وهو خطأ اذ الانبياء عصمت من ذلك والمراد بالخيانة الخيانة في
الدين وقرئ ابناه على الندبة ولكونها حكاية سوغ حذف الحرف وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ عزل فيه نفسه عن ابيه او عن
دينه مفعل من عزله عنه اذا ابعده يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا في السفينة والجمهور كسروا الياء ليدل على ياء الاضافة
المحذوفة في جميع القرآن غير ابن كثير فانه وقف عليها في لقمان في الموضع الاول باتفاق الرواة وفي الثالث في رواية
قنبل وعاصم فانه فتح ههنا اقتصارا على الفتح من الالف المبدلة من ياء الاضافة واختلفت الرواية عنه في سائر المواضع
وقد ادغم الباء في الميم ابو عمرو والكسائي وحفص لتقاربهما وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ في الدين او الاعتزال قَالَ سَآوِي إِلَى
جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ ان يغرقني قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ الا الراحم وهو الله تعالى او الا مكان من رحمهم
الله وهم المؤمنون رد بذلك ان يكون اليوم معتصم من جبل ونحوه يعصم اللائذ به الا معتصم المؤمنين وهو السفينة
وقيل لا عاصم بمعنى لا ذا عصمة كقوله عيشة راضية وقيل الاستثناء منقطع اي لكن من رحمه الله يعصمه وَ
حَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ بين نوح وابنه او بين ابنه والجبل فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ فصار من المهلكين بالماء وَقِيلَ يَا أَرْضُ
ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي نوديا بما ينادى به اولو العلم وامرا بما يؤمرون تمثيلا لكمال قدرته وانقيادهما لما يشاء تكوينه
فيهما بالآمر المطاع الذي يأمر المنقاد لحكمه المبادر الى امتثال امره مهابة من عظمته وخشية من اليم عقابه والبلع
النشف والاقلاع الامساك وَغِيضَ الْمَاءُ نقص وَقُضِيَ الْأَمْرُ وانجز ما وعد من اهلاك الكافرين وانجاء المؤمنين وَاسْتَوَتْ
السفينة عَلَى الْجُودِيِّ جبل بالموصل وقيل بالشام وقيل بآمل روي انه ركب السفينة عاشر رجب
ونزل عنها عاشر المحرم فصام ذلك اليوم فصار سنة وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ هلاكا لهم يقال بعد بعدا وبعدا اذا بعد بعدا
بعيدا بحيث لا يرجى عوده ثم استعير للهلاك وخص بدعاء السوء والآية في غاية الفصاحة لفخامة لفظها وحسن نظمها
والدلالة على كنه الحال مع الايجاز الخالي عن الاخلال وفي ايراد الاخبار على البناء للمفعول دلالة على تعظيم الفاعل وانه
متعين في نفسه مستغن عن ذكره اذ لا يذهب الوهم الى غيره للعلم بان مثل هذه الافعال لا يقدر عليه سوى الواحد
القهار وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ اراد ذلك بدليل عطف قوله فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي فانه النداء وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وان
كل وعد تعده حق لا يتطرق اليه الخلف وقد وعدت ان تنجي اهلي فما حاله او فما له لم ينج ويجوز ان يكون هذا النداء قبل غرقه
وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ لانك اعلم الحكام واعدلهم او لانك اكثر حكمة من ذوي الحكم على ان الحاكم من الحكمة كالدارع

ترغيبهم بكثرة المطر وزيادة القوة لأنهم كانوا أصحاب زروع وعمارات وقيل حبس الله عنهم القطر وأعقم

أرحام نسائهم ثلاث سنين فوعدهم هود على الإيمان والتوبة كثرة الأمطار وتضاعف القوة بالتناسل ولا تتولوا

ولا تعرضوا عما أدعوكم إليه مجرمين مصرين على إجرامكم قالوا يا هود ما جئتنا ببينة بحجة تدل على صحة دعواك وهو

لفرط عنادهم وعدم اعتدادهم بما جاءهم من المعجزات وما نحن بتاركي آلهتنا بتاركي عبادتهم عن قولك صادرين

عن قولك حال من الضمير في تاركي وما نحن لك بمؤمنين إقناط له من الإجابة والتصديق إن نقول إلا اعتراك

ما نقول إلا قولنا اعتراك أي أصابك من عراه يعروه إذا أصابه بعض آلهتنا بسوء بجنون لسبك إياها وصدك

عنها ومن ذلك تهذي وتتكلم بالخرافات والجملة مفعول القول وإلا لغو لأن الاستثناء مفرغ قال إني أشهد الله وا

شهدوا أني بريء مما تشركون من دونه فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون أجاب به عن مقالتهم الحمقاء بأن أشهد الله تعالى على

براءته من آلهتهم وفراغه عن إضرارهم تأكيدا لذلك وتثبيتا له وأمرهم بأن يشهدوا عليه استهانة بهم وأن يجتمعوا

على الكيد في هلاكه من غير إنظار حتى إذا اجتهدوا فيه ورأوا أنهم عجزوا عن آخرهم وهم الأقوياء الأشداء أن يضروه لم يبق لهم

شبهة أن آلهتهم التي هي جماد لا يضر ولا ينفع لا تتمكن من إضراره انتقاما منه وهذا من جملة معجزاته فإن مواجهة الواحد الجم

الغفير من الجبابرة الفتاك العطاش إلى إراقة دمه بهذا الكلام ليس إلا لثقته بالله وتثبطهم عن إضراره ليس إلا لعصمته

إياه ولذلك عقبه بقوله إني توكلت على الله ربي وربكم تقرير له والمعنى أنكم وإن بذلتم غاية وسعكم لن تضروني

فإني متوكل على الله وواثق بكلاءته وهو مالكي ومالككم لا يحيق بي ما لم يرده ولا تقدرون على ما لم يقدره ثم برهن

عليه بقوله ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها أي إلا وهو مالك لها قادر عليها يصرفها على ما يريد بها والأخذ

بالنواصي تمثيل لذلك إن ربي على صراط مستقيم إنه على الحق والعدل لا يضيع عنده معتصم ولا يفوته ظالم فإن تولوا

فإن تتولوا فقد أبلغتكم ما أرسلت به إليكم فقد أديت ما علي من الإبلاغ وإلزام الحجة فلا تفريط مني ولا عذر لكم

فقد أبلغتكم ما أرسلت إليكم ويستخلف ربي قوما غيركم استئناف بالوعيد لهم بأن الله يهلكهم ويستخلف قوما آخرين

في ديارهم وأموالهم أو عطف على الجواب بالفاء ويؤيده القراءة بالجزم على الموضع كأنه قيل فإن تولوا يعذرني ويستخلف

ولا تضرونه بتوليكم شيئا من الضرر ومن جزم ويستخلف أسقط النون منه إن ربي على كل شيء حفيظ رقيب فلا يخفى عليه

أعمالكم ولا يغفل عن مجازاتكم أو حافظ مستول عليه فلا يمكن أن يضره شيء ولما جاء أمرنا عذابنا أو أمرنا بالعذاب نجينا هودا

والذين آمنوا معه برحمة منا وكانوا أربعة آلاف ونجيناهم من عذاب غليظ تكرير لبيان ما نجاهم منه وهو السموم

كانت تدخل أنوف الكفرة وتخرج من أدبارهم تقطع أعضاءهم أو المراد به تنجيتهم من عذاب الآخرة أيضا والتعريض بأن

المهلكين كما عذبوا في الدنيا بالسموم فهم معذبون في الآخرة بالعذاب الغليظ وتلك عاد أنث اسم الإشارة باعتبار القبيلة

أو لأن الإشارة إلى قبورهم وآثارهم جحدوا بآيات ربهم كفروا بها وعصوا رسله لأنهم عصوا رسولهم ومن عصى رسولا

فكأنما عصى الكل لأنهم أمروا بطاعة كل رسول واتبعوا أمر كل جبار عنيد يعني كبراءهم الطاغين وعنيد من عند عندا

وعندا وعنودا إذا طغى والمعنى عصوا من دعاهم إلى الإيمان وما ينجيهم وأطاعوا من دعاهم إلى الكفر وما يرديهم

بقالوا على معنى ذكروا سلاما قال سلام اى امركم او جوابي سلام او وعليكم سلام رفعه اجابة باحسن من تحيتهم وقرأ
حمزة والكسائي سلم وكذلك في الذاريات وهما لغتان كحرم وحرام وقيل المراد به الصلح فما لبث ان جاء بعجل حنيذ
فما ابطأ مجيئه به او فما ابطأ في المجيء به او فما تأخر عنه والجار مقدر او محذوف والحنيذ المشوي بالرضف وقيل الذي
يقطر ودكه من حنذت الفرس اذا عرقته بالجلال لقوله بعجل سمين فلما رأى ايديهم لا تصل اليه لا يمدون اليه
ايديهم نكرهم واوجس منهم خيفة انكر ذلك منهم وخاف ان يريدوا به مكروها ونكر وانكر واستنكر بمعنى والايجاس الادراك
وقيل الاضمار قالوا لما احسوا منه اثر الخوف لا تخف انا ارسلنا الى قوم لوط انا ملائكة مرسلة اليهم بالعذاب وانما
لم نمد اليه ايدينا لانا لا نأكل وامرأته قائمة وراء الستر تسمع محاورتهم او على رؤوسهم للخدمة فضحكت سرورا بزوال الخيفة
او بهلاك اهل الفساد او باصابة رأيها فانها كانت تقول لابراهيم اضمم اليك لوطا فاني اعلم ان العذاب ينزل بهؤلاء
القوم وقيل فضحكت فحاضت قال وعهدي بسلمى ضاحكا في لبابة ولم تعد حقا ثديها ان تحلما ومنه ضحكت السمرة
اذا سال صمغها وقرئ بفتح الحاء فبشرناها باسحاق ومن وراء اسحاق يعقوب نصبه ابن عامر وحمزة وحفص بفعل يفسره
ما دل عليه الكلام وتقديره ووهبنا لها من وراء اسحاق يعقوب وقيل انه معطوف على موضع باسحاق او على لفظ اسحاق
وفتحته للجر فانه غير منصرف ورد للفصل بينه وبين ما عطف عليه بالظرف وقرأ الباقون بالرفع على انه مبتدأ خبره
الظرف اى ويعقوب مولود من بعده وقيل الوراء ولد الولد ولعله سمي به لانه بعد الولد وعلى هذا يكون اضافته الى
اسحاق ليس من حيث ان يعقوب وراءه بل من حيث انه وراء ابراهيم من جهته وفيه نظر والاسمان يحتمل وقوعهما في
البشارة كيحيى ويحتمل وقوعهما في الحكاية بعد ان ولدا فسميا به وتوجيه البشارة اليها للدلالة على ان الولد المبشر به يكون منها
ولانها كانت عقيمة حريصة على الولد قالت يا ويلتا يا عجبا واصله في الشر فاطلق في كل امر فظيع وقرئ بالياء على الاصل أألد وانا
عجوز ابنة تسعين او تسع وتسعين سنة وهذا بعلي زوجي واصله القائم بالامر شيخا ابن مائة او مائة وعشرين ونصبه
على الحال والعامل فيها معنى اسم الاشارة وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف اى هو شيخ او خبر بعد خبر او هو الخبر وبعلي
بدل ان هذا لشيء عجيب يعني الولد من هرمين وهو استعجاب من حيث العادة دون القدرة ولذلك قالوا اتعجبين
من امر الله رحمة الله وبركاته عليكم اهل البيت منكرين عليها فان خوارق العادات باعتبار اهل بيت النبوة ومهبط
المعجزات وتخصيصهم بمزيد النعم والكرامات ليس ببدع ولا حقيق بان يستغربه عاقل فضلا عمن نشأت وشابت في
ملاحظة الآيات واهل البيت نصب على المدح او النداء لقصد التخصيص كقولهم اللهم اغفر لنا ايتها العصابة انه حميد فاعل ما يستوجب به الحمد مجيد كثير
الخير والاحسان فلما ذهب عن ابراهيم الروع ما اوجس من الخيفة واطمأن قلبه بعرفانهم وجاءته البشرى بدل الروع
يجادلنا في قوم لوط يجادل رسلنا في شأنهم ومجادلته اياهم قوله ان فيها لوطا وهو اما جواب لما جيء به مضارعا
على حكاية الحال او لانه في سياق الجواب بمعنى الماضي كجواب لو او دليل جواب المحذوف مثل اجترأ على خطابنا او شرع
في جدالنا او متعلق به اقيم مقامه مثل اخذ او اقبل يجادلنا ان ابراهيم لحليم غير عجول على الانتقام من المسيء اليه
اواه كثير التأوه من الذنوب والتأسف على الناس منيب راجع الى الله والمقصود من ذلك بيان الحامل له

أكثر القراء على غير الأفصح ولا يلزم من ذلك أمرها بالالتفات بل عدم نهيها عنه استصلاحا ولذلك علله على طريقة
الاستئناف بقوله إنه مصيبها ما أصابهم ولا يحسن جعل الاستثناء منقطعا على قراءة الرفع إن موعدهم الصبح كأنه
علة للأمر بالإسراء أليس الصبح بقريب جواب لاستعجال لوط واستبطائه العذاب فلما جاء أمرنا عذابنا أو أمرنا به ويؤيده
الأصل وجعل التعذيب مسببا عنه بقوله جعلنا عاليها سافلها فإنه جواب لما وكان حقه جعلوا عاليها
أي الملائكة المأمورون به فأسند إلى نفسه من حيث إنه المسبب تعظيما للأمر فإنه روي أن جبريل عم أدخل جناحه
تحت مدائنهم ورفعها إلى السماء حتى سمع أهل السماء نباح الكلاب وصياح الديكة ثم قلبها عليهم وأمطرنا عليها
على المدن أو على شذاذها حجارة من سجيل من طين متحجر لقوله حجارة من طين وأصله سنك كل فعرب وقيل إنه من
أسجله إذا أرسله أو أدر عطيته والمعنى من مثل الشيء المرسل أو مثل العطية في الإدرار أو من السجل أي مما كتب الله
أن يعذبهم به وقيل أصله من سجين أي من جهنم فأبدلت نونه لاما منضود نضد معدا لعذابهم أو نضد في
الإرسال يتتابع بعضه بعضا كقطار الأمطار أو نضد بعضه على بعض وألصق به مسومة معلمة للعذاب وقيل
معلمة ببياض وحمرة أو بسيما تتميز به عن حجارة الأرض أو باسم من يرمى به عند ربك في خزائنه وما هي من الظالمين ببعيد
فإنهم بظلمهم حقيق بأن تمطر عليهم وفيه وعيد لكل ظالم وعنه عم أنه سأل جبريل عم فقال يعني ظالمي أمتك ما
من ظالم منهم إلا وهو بعرض حجر يسقط عليه من ساعة إلى ساعة وقيل الضمير للقرى أي هي قريبة من ظالمي مكة يمرون بها
في أسفارهم إلى الشام وتذكير البعيد على تأويل الحجر أو المكان وإلى مدين أخاهم شعيبا أراد أولاد مدين بن إبراهيم
عم أو أهل مدين وهو بلد بناه فسمي باسمه قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان
أمرهم بالتوحيد أولا فإنه ملاك الأمر ثم نهاهم عما اعتادوه من البخس المنافي للعدل المخل بحكمة التعاوض إني
أراكم بخير بسعة تغنيكم عن البخس أو بنعمة حقها أن تتفضلوا على الناس شكرا عليها لا أن تنقصوا حقوقهم أو بسعة
فلا تزيلوها بما أنتم عليه وهو في الجملة علة للنهي وإني أخاف عليكم عذاب يوم محيط لا يشذ منه أحد منكم وقيل عذاب
مهلك من قوله وأحيط بثمره والمراد عذاب يوم القيامة أو عذاب الاستئصال وتوصيف اليوم بالإحاطة وهي صفة العذاب
لاشتماله عليه ويا قوم أوفوا المكيال والميزان صرح بالأمر بالإيفاء بعد النهي عن ضده مبالغة وتنبيها على أنه لا
يكفيهم الكف عن تعمد التطفيف بل يلزمهم السعي في الإيفاء ولو بزيادة لا يتأتى دونها بالقسط بالعدل والسوية من غير
زيادة ونقصان فإن الازدياد إيفاء وهو مندوب غير مأمور به وقد يكون محظورا ولا تبخسوا الناس أشياءهم تعميم
بعد تخصيص فإنه أعم من أن يكون في المقدار أو في غيره وكذا قوله ولا تعثوا في الأرض مفسدين فإن العثو يعم تنقيص
الحقوق وغيره من أنواع الفساد وقيل المراد بالبخس المكس كأخذ العشور من المعاملات والعثو السرقة وقطع الطريق
والغارة وفائدة الحال إخراج ما يقصد به الإصلاح كما فعله الخضر عم وقيل معناه ولا تعثوا في الأرض مفسدين
أمر دينكم ومصالح آخرتكم بقيت الله ما أبقاه لكم من الحلال بعد التنزه عما حرم عليكم خير لكم مما تجمعون بالتطفيف
إن كنتم مؤمنين بشرط أن تؤمنوا فإن خيريتها باستتباع الثواب مع النجاة وذلك مشروط بالإيمان أو إن كنتم

ولا يجرمنكم شقاقي لا يكسبنكم معاداتي جرم يجري مجرى كسب في انه يعدى الى واحد والى اثنين ككسب وعن ابن كثير يُجرمنكم بالضم وهو منقول من المتعدي
الى مفعول واحد والاول افصح فان اجرم اقل دوراناً على ألسنة الفصحاء وقرئ مثلَ بالفتح لاضافته الى المبني كقوله لم يمنع الشرب
منها غير ان نطقت حمامة في غصون ذات اوقال وما قوم لوط منكم ببعيد زماناً او مكاناً فان لم تعتبروا بمن قبلهم فاعتبروا بهم
او ليسوا ببعيد منكم في الكفر والمساوي فلا يبعد عنكم ما اصابهم وافراد البعيد لان المراد وما اهلاكهم او وما هم بشيء بعيد
ولا يبعد ان يسوى في امثاله بين المذكر والمؤنث لانها على زنة المصادر كالصهيل والشهيق واستغفروا ربكم ثم
توبوا اليه عما انتم عليه ان ربي رحيم عظيم الرحمة للتائبين ودود فاعل بهم من اللطف والاحسان ما يفعل البليغ
المودة بمن يوده وهو وعد على التوبة بعد الوعيد على الاصرار قالوا يا شعيب ما نفقه كثيراً مما تقول كوجوب
التوحيد وحرمة التطفيف وما ذكرت دليلاً عليهما وذلك لقصور عقلهم وعدم تفكرهم وقيل قالوا ذلك استهانة بكلامه
او لانهم لم يلقوا اليه اذهانهم لشدة نفرتهم عنه وانا لنراك فينا ضعيفاً لا قوة لك فتمتنع منا ان اردنا بك سوءاً او
مهيناً لا عز لك وقيل اعمى بلغة حمير وهو مع عدم مناسبته يرده التقييد بالظرف ومنع بعض المعتزلة استنباء الاعمى
قياساً على القضاء والشهادة والفرق بيّن ولولا رهطك قومك وعزتهم عندنا لكونهم على ملتنا لا لخوف من
شوكتهم فان الرهط من الثلاثة الى العشرة وقيل الى السبعة لرجمناك لقتلناك برمي الاحجار او باصعب وجه وما انت علينا
بعزيز فتمنعنا عزتك عن الرجم وهذا ديدن السفيه المحجوج يقابل الحجج والآيات بالسب والتهديد وفي ايلاء ضميره حرف
النفي تنبيه على ان الكلام فيه لا في ثبوت العزة فان المانع لهم عن ايذائه عزة قومه ولذلك قال يا قوم ارهطي اعز
عليكم من الله واتخذتموه وراءكم ظهرياً وجعلتموه كالمنسي المنبوذ وراء الظهر باشراككم به والاهانة برسوله فلا تبقون
على لله وتبقون على لرهطي وهو يحتمل الانكار والتوبيخ والرد والتكذيب وظهري منسوب الى الظهر والكسر من تغيرات
النسب ان ربي بما تعملون محيط فلا يخفى عليه شيء منها فيجازي عليها ويا قوم اعملوا على مكانتكم اني عامل سوف تعلمون
من يأتيه عذاب يخزيه سبق مثله في سورة الانعام والفاء في فسوف تعلمون ثمة للتصريح بان الاصرار والتمكن
فيما هم عليه سبب لذلك وحذفها هاهنا لانه جواب سائل قال فماذا يكون بعد ذلك فهو ابلغ في التهويل ومن هو كاذب
عطف على من يأتيه لا لانه قسيم له كقولك ستعلم الكاذب والصادق بل لانهم لما اوعدوه وكذبوه قال سوف
تعلمون من المعذب والكاذب مني ومنكم وقيل كان قياسه ومن هو صادق لينصرف الاول اليهم والثاني اليه لكنهم لما كانوا
يدعونه كاذباً قال ومن هو كاذب على زعمهم وارتقبوا وانتظروا ما اقول لكم اني معكم رقيب منتظر فعيل بمعنى الراقب
كالصريم او المراقب كالعشير او المرتقب كالرفيع ولما جاء امرنا نجينا شعيباً والذين آمنوا معه برحمة منا انما ذكره بالواو كما في
قصة عاد اذ لم يسبقه ذكر وعد يجري مجرى السبب له بخلاف قصتي صالح ولوط فانه ذكر بعد الوعد وذلك قوله وعد غير
مكذوب وقوله ان موعدهم الصبح فلذلك جاء بفاء السببية واخذت الذين ظلموا الصيحة قيل صاح بهم جبريل
فهلكوا فاصبحوا في ديارهم جاثمين ميتين واصل الجثوم اللزوم في المكان كأن لم يغنوا فيها كأن لم يقيموا فيها الا بعداً لمدين
كما بعدت ثمود شبههم بهم لان عذابهم كان ايضاً بالصيحة غير ان صيحتهم كانت من تحتهم وصيحة

٣٨٤

يجمع فيهم وانه من شأنه لا محالة وان الناس لا ينفكون عنه فهو ابلغ من قوله يوم يجمعكم ليوم الجمع ومعنى الجمع له

الجمع لما فيه من المحاسبة والمجازاة وذلك يوم مشهود اى مشهود فيه اهل السموات والارضين فاتسع فيه باجراء

الظرف مجرى المفعول به كقوله في محفل من نواصي الناس مشهود اى كثير شاهدوه ولو جعل اليوم مشهودا فى نفسه

لبطل الغرض من تعظيم اليوم وتمييزه فان سائر الايام كذلك وما نؤخره اى اليوم الا لاجل معدود الا لانتهاء مدة

معدودة متناهية على حذف المضاف وارادة مدة التأجيل كلها بالاجل لا منتهاها فانه غير معدود يوم يأت

اى الجزاء او اليوم كقوله ان تأتيهم الساعة على ان يوم بمعنى حين او الله عز وجل كقوله هل ينظرون الا ان يأتيهم

الله ونحوه وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة يأت بحذف الياء اجتزاء عنها بالكسرة لا تكلم نفس لا تتكلم بما ينفع وينجي من جواب

او شفاعة وهو الناصب للظرف ويحتمل نصبه باضمار اذكر او بالانتهاء المحذوف الا باذنه الا باذن الله كقوله لا يتكلمون

الا من اذن له الرحمن وهذا فى موقف وقوله هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون فى موقف آخر او المأذون

فيه هى الجوابات الحقة والممنوع عنه هى الاعذار الباطلة فمنهم شقي وجبت له النار بمقتضى الوعيد وسعيد

وجبت له الجنة بموجب الوعد والضمير لاهل الموقف وان لم يذكر لانه معلوم مدلول عليه بقوله لا تكلم

نفس او للناس فاما الذين شقوا ففى النار لهم فيها زفير وشهيق الزفير اخراج النفس والشهيق رده واستعمالهما

فى اول النهيق وآخره والمراد بهما الدلالة على شدة كربهم وغمهم وتشبيه حالهم بمن استولت الحرارة على قلبه وانحصر

فيه روحه او تشبيه صراخهم باصوات الحمير وقرئ شقوا بالضم خالدين فيها ما دامت السموات والارض ليس لارتباط

دوام كونهم فى النار بدوامهما فان النصوص دالة على تأبيد دوامهم وانقطاع دوامهما بل التعبير عن التأبيد والمبالغة

بما كانت العرب يعبرون به عنه على سبيل التمثيل ولو كان للارتباط لم يلزم ايضا من زوال السموات والارض زوال

عذابهم ولا من دوامه دوامهما الا من قبيل المفهوم لان دوامهما كالملزوم لدوامه وقد عرفت ان المفهوم لا يقاوم

المنطوق وقيل المراد سموات الآخرة وارضها ويدل عليه قوله تعالى يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وان اهل

الآخرة لا بد لهم من مظل ومقل وفيه نظر لانه تشبيه بما لا يعرف اكثر الخلق وجوده ودوامه ومن عرفه فانما

يعرفه بما يدل على دوام الثواب والعقاب فلا يجدي له التشبيه الا ما شاء ربك استثناء من الخلود فى النار لان بعضهم

وهم فساق الموحدين يخرجون منها وذلك كاف فى صحة الاستثناء لان زوال الحكم عن الكل يكفيه زواله عن البعض وهم المراد

بالاستثناء الثانى فانهم مفارقون عن الجنة ايام عذابهم فان التأبيد من مبدأ معين ينتقض باعتبار الابتداء كما

ينتقض باعتبار الانتهاء وهؤلاء وان شقوا بعصيانهم فقد سعدوا بايمانهم ولا يقال فعلى هذا لم يكن قوله فمنهم

شقي وسعيد تقسيما صحيحا لان من شرطه ان يكون صفة كل قسم منتفية عن قسيمه لان ذلك الشرط حيث التقسيم

لانفصال حقيقي او مانع من الجمع وههنا المراد ان اهل الموقف لا يخرجون عن القسمين وان حالهم لا تخلو عن السعادة

والشقاوة وذلك لا يمنع اجتماع الامرين فى شخص باعتبارين او لان اهل النار ينقلون منها الى الزمهرير وغيره من العذاب

احيانا وكذلك اهل الجنة ينعمون بما هو اعلى من الجنة كالاتصال بجناب القدس والفوز برضوان الله

٣٨٦

للسكن فاستقم ومن ثم يؤكد بتفصيل القيام فاصل مقامه ولا تطغوا ولا تخرجوا عما حد لكم انه بما تعملون بصير
فهو مجازيكم عليه وهو في معنى التعليل للامر والنهي وفي الآية دليل على وجوب اتباع النصوص من غير تصرف وانحراف بنحو قياس واستحسان
ولا تركنوا الى الذين ظلموا ولا تميلوا اليهم ادنى ميل فان الركون هو الميل اليسير كالتزيي بزيهم وتعظيم ذكرهم فتمسكم
النار بركونكم اليهم واذا كان الركون الى من وجد منه ما يسمى ظلما كذلك فما ظنك بالركون الى الظالمين اي الموسومين
بالظلم ثم بالميل اليهم كل الميل ثم بالظلم نفسه والانهماك فيه ولعل الآية ابلغ ما يتصور في النهي عن الظلم والتهديد
عليه وخطاب الرسول ومن معه من المؤمنين بها للتثبيت على الاستقامة التي هي العدل فان الزوال عنها
بالميل الى احد طرفي افراط وتفريط فانه ظلم على نفسه او غيره بل ظلم في نفسه وقرئ تركنوا فتمسكم بكسر التاء على
لغة تميم وتركنوا على البناء للمفعول من اركنه وما لكم من دون الله من اولياء من انصار يمنعون العذاب عنكم والواو للحال
ثم لا تنصرون اي ثم لا ينصركم الله اذ سبق في حكمه ان يعذبكم ولا يبقي عليكم وثم لاستبعاد نصره اياهم وقد اوعدهم
بالعذاب عليه واوجبه لهم ويجوز ان يكون منزلا منزلة الفاء بمعنى الاستبعاد فانه لما بين ان الله معذبهم وان غيره
لا يقدر على نصرهم انتج ذلك انهم لا ينصرون اصلا واقم الصلوة طرفي النهار غدوة وعشية وانتصابه على الظرف
لانه مضاف اليه وزلفا من الليل وساعات منه قريبة من النهار فانه من ازلفه اذا قربه وهو جمع زلفة وصلوة الغداة
صلوة الصبح لانها اقرب الصلوات من اول النهار وصلوة العشية العصر وقيل الظهر والعصر لان ما بعد الزوال عشي وصلوة
الزلف المغرب والعشاء وقرئ زلفا بضمتين وضمة وسكون كبسر وبسر في بسرة وزلفى بمعنى زلفة كقربى وقربة
ان الحسنات يذهبن السيئات يكفرنها وفي الحديث ان الصلوة الى الصلوة كفارة ما بينهما ما اجتنبت الكبائر وفي سبب
النزول ان رجلا اتى النبي عم فقال اني قد اصبت من امرأة غير اني لم آتها فنزلت ذلك اشارة الى قوله فاستقم وما
بعده وقيل الى القرآن ذكرى للذاكرين عظة للمتعظين واصبر على الطاعات وعن المعاصي فان الله لا يضيع اجر
المحسنين عدول عن الضمير ليكون كالبرهان على المقصود ودليلا على ان الصلوة والصبر احسان وايماء بانه لا يعتد
بهما دون الاخلاص فلولا كان فهلا كان من القرون من قبلكم اولوا بقية من الرأي والعقل واولوا الفضل وانما سماه
بقية لان الرجل يستبقي افضل ما يخرجه ومنه يقال فلان من بقية القوم اي من خيارهم ويجوز ان يكون مصدرا
كالتقية اي ذووا ابقاء على انفسهم وصيانة لها من العذاب ويؤيده انه قرئ بقية وهي المرة من مصدر بقاه يبقيه
اذا راقبه ينهون عن الفساد في الارض الا قليلا ممن انجينا منهم لكن قليلا منهم انجيناهم لانهم كانوا كذلك ولا يصح
اتصاله الا اذا جعل استثناء من النفي اللازم للتحضيض واتبع الذين ظلموا ما اترفوا فيه ما انعموا فيه من الشهوات
واهتموا بتحصيل اسبابها واعرضوا عما وراء ذلك وكانوا مجرمين كافرين كانه اراد ان يبين ما كان السبب لاستئصال
الامم السالفة وهو فشو الظلم فيهم واتباعهم للهوى وترك النهي عن المنكرات مع الكفر وقوله واتبع عطف على مضمر
دل عليه الكلام اذ المعنى فلم ينهوا عن الفساد واتبع الذين ظلموا وكانوا مجرمين عطف على اترفوا او اتبع او اعتراض وقرئ
واتبع اي اتبعوا جزاء ما اترفوا فيكون الواو للحال ويجوز ان يفسر به المشهورة ويعضده تقدم الانجاء وما كان ربك

بالحكم والآيات والعبر فعل بمعنى مفعول كالنقض والسلب واشتقاقه من قص اثره اذا اتبعه بما اوحينا بايحائنا اليك
هذا القرآن يعني السورة ويجوز ان يجعل هذا مفعول نقص على ان احسن نصب على المصدر وان كنت من قبله لمن الغافلين
عن هذه القصة لم تخطر ببالك ولم تقرع سمعك قط وهو تعليل لكونه موحى وان هي المخففة من الثقيلة واللام هي
الفارقة اذ قال يوسف بدل من احسن القصص ان جعل مفعولا بدل الاشتمال او منصوب باضمار اذكر ويوسف عبري
ولو كان عربيا لصرف وقرئ بفتح السين وكسرها على التلعب به لا على انه مضارع بني للمفعول او الفاعل من آسف
لان المشهورة شهدت بعجمته لابيه يعقوب بن اسحاق بن ابرهيم عليهم السلام وعنه صلعم الكريم ابن الكريم
ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم يا ابت اصله يا ابي فعوض عن الياء تاء التانيث
لتناسبهما في الزيادة ولذلك قلبها هاء في الوقف ابن كثير وابو عمرو ويعقوب وكسرها لانها عوض حرف يناسبها
وفتحها ابن عامر في كل القرآن لانها حركة اصلها او لانه كان يا ابتا فحذف الالف وبقي الفتحة وانما جاز يا ابتا ولم يجز
يا ابتي لانه جمع بين العوض والمعوض وقرئ بالضم اجراء لها مجرى الاسماء المؤنثة بالتاء من غير اعتبار التعويض
وانما لم تسكن كاصلها لانها حرف صحيح منزل منزلة الاسم فيجب تحريكها ككاف الخطاب اني رأيت من الرؤيا لا من الرؤية
لقوله لا تقصص رؤياك على اخوتك وقوله هذا تاويل رؤياي احد عشر كوكبا والشمس والقمر روي
عن جابر ان يهوديا جاء الى رسول الله صلعم فقال اخبرني يا محمد عن النجوم التي رآهن يوسف فسكت فنزل
جبريل عليه السلام فاخبره بذلك فقال ان اخبرتك هل تسلم قال نعم قال جريان والطارق والذيال وقابس وعمودان والفليق
والمصبح والضروح والفرغ ووثاب وذو الكتفين راها يوسف والشمس والقمر نزلن من السماء وسجدن له فقال اليهودي
اي والله انها لاسماؤها رأيتهم لي ساجدين استئناف لبيان حالهم التي رآهم عليها فلا تكرير وانما اجريت مجرى
العقلاء لوصفها بصفاتهم قال يا بني تصغير ابن صغره للشفقة او لصغر السن لانه كان ابن اثنتي عشرة سنة لا تقصص
رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك كيدا فيحتالوا لاهلاكك حيلة فهم يعقوب عم من رؤياه ان الله تعالى يصطفيه لرسالته
ويفوقه على اخوته فخاف عليه حسدهم وبغيهم والرؤيا كالرؤية غير انها مختصة بما يكون في النوم فرق بينهما
بحرفي التانيث كالقربة والقربى وهي انطباع الصورة المنحدرة من افق المتخيلة الى الحس المشترك والصادقة منها
انما تكون باتصال النفس بالملكوت لما بينهما من التناسب عند فراغها من تدبير البدن ادنى فراغ فتتصور بما فيها
مما يليق بها من المعاني الحاصلة هناك ثم ان المتخيلة تحاكيه بصورة تناسبه فترسلها الى الحس المشترك فتصير مشاهدة
ثم ان كانت شديدة المناسبة لذلك المعنى بحيث لا يكون التفاوت الا بالكلية والجزئية استغنت الرؤيا عن التعبير
والا احتاجت اليه وانما عدي كاد باللام وهو متعد بنفسه لتضمنه معنى فعل يعدى به تاكيدا ولذلك اكد بالمصدر
وعلله بقوله ان الشيطان للانسان عدو مبين ظاهر العداوة لما فعل بآدم وحواء فلا يالو جهدا في تسويلهم واثارة
الحسد فيهم حتى يحملهم على الكيد وكذلك اي كما اجتباك لمثل هذه الرؤيا الدالة على شرف وعز وكمال نفس
يجتبيك ربك للنبوة والملك او لامور عظام والاجتباء من جبيت الشيء اذا حصلته لنفسك ويعلمك

نرتع نتسع في أكل الفواكه ونحوها من الرتعة وهي الخصب ونلعب بالاستباق والانتضال وقرأ ابن كثير نرتع بكسر العين
على أنه من ارتعى يرتعي ونافع بالكسر والياء فيه وفي يلعب وقرأ الكوفيون ويعقوب بالياء والسكون على إسناد
الفعل إلى يوسف وقرئ ويُرتِع من أرتع ماشيته ويرتع بكسر العين ويلعب بالرفع على الابتداء وإنا له لحافظون من أن
يناله مكروه قال إني ليحزنني أن تذهبوا به لشدة مفارقته علي وقلة صبري عنه وأخاف أن يأكله الذئب لأن
الأرض كانت مذأبة وقيل رأى في المنام أن الذئب قد شد على يوسف وكان يحذره عليه وقد همزها على الأصل ابن
(كثير ونـ)افع في رواية اليزيدي وأبو عمرو وقفا وقالون وعاصم وابن عامر درجا ووقفا وحمزة درجا وا
من كل ... إذا هجمت من كل جهة وأنتم عنه غافلون لاشتغالكم بالرتع واللعب أو لقلة اهتمامكم بحفظه قالوا
لئن أكله الذئب ونحن عصبة اللام موطئة للقسم وجوابه إنا إذا لخاسرون ضعفاء مغبونون أو مستحقون
لأن يدعى عليهم بالخسار والدمار فلما ذهبوا به وأجمعوا أن يجعلوه في غيابت الجب وعزموا على إلقائه
فيها والبئر بئر بيت المقدس أو بئر بأرض الأردن أو بين مصر ومدين أو على ثلاثة فراسخ من مقام يعقوب وجوابه
محذوف مثل فعلوا به ما فعلوا من الأذى فقد روي أنهم لما برزوا به إلى الصحراء أخذوا يؤذونه ويضربونه
حتى كادوا يقتلونه فجعل يصيح ويستغيث فقال يهوذا أما عاهدتموني أن لا تقتلوه فأتوا به إلى البئر فدلوه فيها فتعلق
بشفيرها فربطوا يديه ونزعوا قميصه ليلطخوه بالدم فيحتالوا به على أبيهم فقال يا إخوتاه ردوا علي قميصي أتوارى به فقالوا
ادع الأحد عشر كوكبا والشمس والقمر يلبسوك ويؤنسوك فلما بلغ نصفها ألقوه وكان فيها ماء فسقط فيه ثم آوى
إلى صخرة كانت فيها فقام عليها يبكي فجاءه جبريل بالوحي كما قال تع وأوحينا إليه وكان ابن سبع عشرة سنة وقيل
مراهقا أوحي إليه في صغره كما أوحي إلى يحيى وعيسى عليهما السلام وفي القصص أن إبراهيم عم حين ألقي في النار جرد عن
ثيابه فأتاه جبريل بقميص من حرير الجنة فألبسه إياه فدفعه إبراهيم إلى إسحاق وإسحاق إلى يعقوب فجعله
في تميمة علقها بيوسف فأخرجه جبريل وألبسه إياه لتنبئنهم بأمرهم هذا لتحدثنهم بما فعلوا بك وهم لا يشعرون أنك
يوسف لعلو شأنك وبعده عن أوهامهم وطول العهد المغير للحلى والهيئات وذلك إشارة إلى ما قال لهم بمصر حين
دخلوا عليه ممتارين فعرفهم وهم له منكرون بشره بما يؤول إليه أمره إيناسا له وتطييبا لقلبه وقيل وهم لا يشعرون
متصل بأوحينا أي آنسناه بالوحي وهم لا يشعرون ذلك وجاؤوا أباهم عشاء آخر النهار وقرئ عُشَيا وهو تصغير
عشي وعُشًى بالضم والقصر جمع أعشى أي عشوا من البكاء يبكون متباكين روي أنه لما سمع بكاءهم فزع وقال ما لكم يا بني وأين
يوسف قالوا يا أبانا إنا ذهبنا نستبق نتسابق في العدو أو الرمي وقد يشترك الافتعال والتفاعل كالانتضال والتناضل
وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب وما أنت بمؤمن لنا بمصدق لنا ولو كنا صادقين لسوء ظنك بنا وفرط
محبتك ليوسف وجاؤوا على قميصه بدم كذب ذي كذب بمعنى مكذوب فيه ويجوز أن يكون وصفا بالمصدر للمبالغة وقرئ
بالنصب على الحال من الواو أي جاؤوا كاذبين وكدب بالدال غير المعجمة أي كدر أو طري وقيل أصله البياض الخارج على أظفار
الأحداث فشبه به الدم اللاصق على القميص وعلى قميصه في موضع النصب على الظرف أي فوق قميصه أو على الحال

عزيز مصر وابنة شعيب التي قالت يا ابت استاجره وابو بكر حين استخلف عمر رضي الله تعالى عنهما وكذلك مكنا ليوسف في
الارض وكما مكنا محبته في قلب العزيز او كما مكناه في منزله او كما انجيناه وعطفنا عليه العزيز مكنا له فيها ولنعلمه من
تاويل الاحاديث عطف على مضمر تقديره ليتصرف فيها بالعدل ولنعلمه من تاويل اى كان القصد في انجائه وتمكينه
الى ان يقيم العدل ويدبر امور الناس ويعلم معاني كتب الله واحكامه فينفذها او تعبير المنامات المنبهة على الحوادث
الكائنة ليستعد لها ويشتغل بتدبيرها قبل ان تحل كما فعل لسنيه والله غالب على امره لا يرده شيء ولا ينازعه
فيما يشاء او على امر يوسف اراد به اخوة يوسف شيئا واراد الله غيره فلم يكن الا ما اراده ولكن اكثر الناس
لا يعلمون ان الامر كله بيده او لطائف صنعه وخفايا لطفه ولما بلغ اشده منتهى اشتداد جسمه وقوته وهو
سن الوقوف ما بين الثلثين والاربعين وقيل سن الشباب ومبدؤه بلوغ الحلم آتيناه حكما حكمة وهو العلم
المؤيد بالعمل او حكما بين الناس وعلما يعني علم تاويل الاحاديث وكذلك نجزي المحسنين تنبيه على انه تعالى انما آتاه ذلك
جزاء على احسانه في عمله واتقائه في عنفوان امره وراودته التي هو في بيتها عن نفسه طلبت منه وتمحلت ان يواقعها
من راد يرود اذا جاء وذهب لطلب الشيء ومنه الرائد وغلقت الابواب قيل كانت سبعة والتشديد للتكثير او للمبالغة
في الايثاق وقالت هيت لك اى اقبل وبادر او تهيأت لك والكلمة على الوجهين اسم فعل بني على الفتح كأين واللام للتبيين
كالتي في سقيا لك وقرأ ابن كثير بالضم تشبيها بحيث ونافع وابن عامر بالفتح وكسر الهاء كعيط وهشام كذلك الا انه يهمز
فيه وقرئ هيت كجير وهئت كجئت من هاء يهيء اذا تهيأ وعلى هذا فاللام من صلته قال معاذ
الله اعوذ بالله معاذا انه ان الشان ربي احسن مثواي سيدي قطفير احسن تعهدي اذ قال لك اكرمي مثواه
فما جزاؤه ان اخونه في اهله وقيل الضمير لله اى انه خالقي واحسن منزلتي بان عطف على قلبه فلا اعصيه انه
لا يفلح الظالمون المجازون الحسن بالسيء وقيل الزناة فان الزنا ظلم على الزاني والمزني باهله ولقد همت به وهم بها
قصدت مخالطته وقصد مخالطتها والهم بالشيء قصده والعزم عليه ومنه الهمام وهو الذي اذا هم بشيء
امضاه والمراد بهمه ميل الطبع ومنازعة الشهوة لا القصد الاختياري وذلك مما لا يدخل تحت التكليف
بل الحقيق بالمدح والاجر الجزيل من الله من يكف نفسه عن الفعل عند قيام هذا الهم او مشارفة الهم كقولك قتلته لو
لم اخف الله لولا ان رأى برهان ربه في قبح الزنا وسوء مغبته لخالطها لشبق الغلمة وكثرة المبالغة ولا يجوز ان
يجعل وهم بها جواب لولا فانها في حكم ادوات الشرط فلا يتقدم عليها جوابها بل الجواب محذوف يدل عليه وقيل رأى جبريل
وقيل تمثل له يعقوب عاضا على انامله وقيل قطفير وقيل نودي يا يوسف انت مكتوب في الانبياء وتعمل
عمل السفهاء كذلك اى مثل ذلك التثبيت ثبتناه او الامر مثل ذلك لنصرف عنه السوء خيانة السيد
والفحشاء الزنا انه من عبادنا المخلصين الذين اخلصهم الله لطاعته وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابن عامر ويعقوب
بالكسر في كل القرآن اى الذين اخلصوا دينهم لله واستبقا الباب اى تسابقا الى الباب فحذف الجار
او ضمن الفعل معنى الابتدار وذلك ان يوسف فر منها ليخرج واسرعت وراءه لتمنعه الخروج وقدت قميصه

ولذلك نهي عنه قال جميل فظللنا بنعمة واتكأنا وشربنا الحلال من قلله وقيل المتكأ طعام يحز حزا كأن المتكئ
يتكئ عليه بالسكين وقرئ متكا بحذف الهمزة ومتكاء باشباع الفتحة كمنتزاح ومتكا وهو الاترج او ما يقطع من متك الشيء
اذا بتكه ومتكأ من تكئ يتكأ اذا اتكأ وقالت اخرج عليهن فلما رأينه اكبرنه عظمنه وهبن حسنه الفائق وعن
النبي صلى الله عليه وسلم رأيت يوسف ليلة المعراج كالقمر ليلة البدر وقيل كان يرى تلألؤ وجهه على الجدران وقيل اكبرن بمعنى
حضن من اكبرت المرأة اذا حاضت لانها تدخل الكبر بالحيض والهاء ضمير للمصدر او ليوسف على حذف اللام اي حضن له
من شدة الشبق كما قال المتنبي خف الله واستر ذا الجمال ببرقع فان لحت حاضت في الخدور العواتق وقطعن
ايديهن جرحنها بالسكاكين من فرط الدهشة وقلن حاش لله تنزيها له من صفات العجز وتعجبا من قدرته
على خلق مثله واصله حاشا كما قرأه ابو عمرو في الدرج فحذفت الفه الاخيرة تخفيفا وهو حرف يفيد معنى التنزيه
في باب الاستثناء فوضع موضع التنزيه واللام للبيان كما في قولك سقيا لك وقرئ حاش الله بغير لام بمعنى براءة الله و
حاشا لله بالتنوين على تنزيله منزلة المصدر وقيل حاشا فاعل من الحشا الذي هو الناحية وفاعله ضمير يوسف
اي صار في ناحية الله مما يتوهم فيه ما هذا بشرا لان هذا الجمال غير معهود للبشر وهو على لغة اهل الحجاز في اعمال
ما عمل ليس لمشاركتها في نفي الحال وقرئ بشر بالرفع على لغة تميم وبشرى اي بعبد مشترى لئيم ان هذا الا ملك
كريم فان الجمع بين الجمال الرائق والكمال الفائق والعصمة البالغة من خواص الملائكة او لان جماله فوق جمال البشر
ولا يفوقه فيه الا الملك قالت فذلكن الذي لمتنني فيه اي فهو ذلك العبد الكنعاني الذي لمتنني في الافتتان
به قبل ان تتصورنه حق تصوره ولو تصورتنه بما عاينتن لعذرتنني او فهذا هو الذي لمتنني فيه فوضع ذلك
موضع هذا رفعا لمنزلة المشار اليه ولقد راودته عن نفسه فاستعصم فامتنع طلبا للعصمة اقرت لهن حين عرفت
انهن يعذرنها كي يعاونها على الانة عريكته ولئن لم يفعل ما آمره اي ما آمر به فحذف الجار او امري اياه بمعنى موجب امري
فيكون الضمير ليوسف ليسجنن وليكونا من الصاغرين من الاذلاء وهو من صغر بالكسر يصغر صغرا وصغارا والصغير من
صغر بالضم صغرا وقرئ ليكونن وهو يخالف خط المصحف لان النون كتبت فيه بالالف كنسفعا على حكم الوقف وذلك في
لشبهها بالتنوين قال رب السجن وقرأ يعقوب بالفتح على المصدر احب الي مما يدعونني اليه اي آثر عندي من مؤاتاتها
زنا نظرا الى العاقبة وان كان هذا مما تشتهيه النفس وذلك مما تكرهه واسناد الدعوة اليهن جميعا لانهن خوفنه
من مخالفتها وزين له مطاوعتها او دعونه الى انفسهن وقيل انما ابتلي بالسجن لقوله هذا وانما كان الاولى به ان
يسأل الله العافية ولذلك رد رسول الله صلعم على من كان يسأل الصبر والا تصرف عني وان لم تصرف عني كيدهن
في تحبيب ذلك الي وتحسينه عندي بالتثبيت على العصمة اصب اليهن أمل الى اجابتهن او الى انفسهن بطبعي ومقتضى
شهوتي والصبوة الميل الى الهوى ومنه الصبا لان النفوس تستطيبها وتميل اليها وقرئ اصب من الصبابة وهي
الشوق واكن من الجاهلين من السفهاء بارتكاب ما يدعونني اليه فان الحكيم لا يفعل القبيح او من الذين لا يعملون بما
يعلمون فانهم والجهال سواء فاستجاب له ربه فاجاب الله دعاءه الذي تضمنه قوله والا تصرف عني فصرف عنه

تعبدونها باعتبار ما تطلقون عليها إن الحكم في امر العبادة الا لله لانه المستحق لها بالذات من حيث انه الواجب لذاته
الموجد للكل والمالك لامره امر على لسان انبيائه الا تعبدوا الا اياه الذي دلت عليه الحجج ذلك الدين القيم
الحق وانتم لا تميزون المعوج عن القويم وهذا من التدرج في الدعوة والزام الحجة بين لهم اولا رجحان التوحيد على اتخاذ
الآلهة على طريق الخطابة ثم برهن على ان ما يسمونها آلهة ويعبدونها لا تستحق الالهية فان استحقاق العبادة اما بالذات
واما بالغير وكلا القسمين منتف عنها ثم نص على ما هو الحق القويم والدين المستقيم الذي لا يقتضي العقل غيره ولا
يرتضي العلم دونه ولكن اكثر الناس لا يعلمون فيخبطون في جهالاتهم يا صاحبي السجن اما احدكما يعني الشرابي فيسقي
ربه خمرا كما كان يسقيه قبل ويعود الى ما كان عليه واما الآخر يريد به الخباز فيصلب فتأكل الطير من رأسه فقالا كذبنا
فقال قضي الامر الذي فيه تستفتيان اي قطع الامر الذي تستفتيان فيه وهو ما يؤول اليه امركما ولذلك وحده فانهما
استفتيا في امرين لكنهما ارادا استبانة عاقبة ما نزل بهما وقال للذي ظن انه ناج منهما الظان يوسف ان ذكر ذلك
عن اجتهاد وان ذكره عن وحي فهو الناجي الا ان يؤول الظن باليقين اذكرني عند ربك اذكر حالي عند الملك كي يخلصني
فانساه الشيطان ذكر ربه فانسى الشرابي ان يذكره لربه فاضاف اليه المصدر لملابسته له او على تقدير ذكر اخبار ربه او
يوسف ذكر الله حتى استعان بغيره ويؤيده قوله عم رحم الله اخي يوسف لو لم يقل اذكرني عند ربك لما لبث في السجن سبعا بعد الخمس
والاستعانة بالعباد في كشف الشدائد وان كانت محمودة في الجملة لكنها لا تليق بمنصب الانبياء فلبث في السجن بضع سنين
البضع ما بين الثلاث الى التسع من البضع وهو القطع وقال الملك اني ارى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف لما دنا
فرجه رأى الملك في المنام سبع بقرات سمان خرجن من نهر يابس وسبع بقرات مهازيل فابتلعت المهازيل السمان وسبع
سنبلات خضر قد انعقد حبها واخر يابسات وسبعا اخر يابسات قد ادركت فالتوت اليابسات على الخضر حتى غلبن
عليها وانما استغنى عن بيان حالها بما قص من حال البقرات واجرى السمان على المميز دون المميز لان التمييز بها ووصف السبع
الثاني بالعجاف لتعذر التمييز بها مجردا عن الموصوف فانه لبيان الجنس وقياسه عجف لانه جمع عجفاء لكنه حمل على
لانه نقيضه يا ايها الملأ افتوني في رؤياي عبروها ان كنتم للرؤيا تعبرون ان كنتم عالمين بعبارة الرؤيا وهي الانتقال من الصور
الخيالية الى المعاني النفسانية التي هي مثالها من العبور وهو المجاوزة وعبرت الرؤيا عبارة اثبت من عبرتها تعبيرا واللام للبيان
او لتقوية العامل فان الفعل لما اخر عن مفعوله ضعف فقوي باللام كاسم الفاعل او لتضمن تعبرون معنى فعل يعدى
باللام كانه قيل ان كنتم تنتدبون لعبارة الرؤيا قالوا اضغاث احلام اي هذه اضغاث احلام وهي تخاليطها جمع ضغث
واصله ما جمع من اخلاط النبات وحزم فاستعير للرؤيا الكاذبة وانما جمعوا للمبالغة في وصف الحلم بالبطلان كقولهم فلان
يركب الخيل او لتضمنه اشياء مختلفة وما نحن بتأويل الاحلام بعالمين يريدون بالاحلام المنامات الباطلة خاصة اي ليس
لها تأويل عندنا وانما التأويل للمنامات الصادقة كانه مقدمة ثانية للعذر في جهلهم بتأويله وقال الذي نجا منهما من
صاحبي السجن وهو الشرابي وادكر بعد امة وتذكر يوسف بعد جماعة من الزمان مجتمعة اي مدة طويلة وقرئ إمة
بكسر الهمزة وهي النعمة اي بعدما انعم عليه بالنجاة وأمه اي نسيان يقال أمه يأمه أمها اذا نسي والجملة

٣٩٨

ذلك التثبت ليعلم العزيز اني لم اخنه بالغيب بظهر الغيب وهو حال من الفاعل او المفعول اي لم اخنه وانا غائب عنه
او وهو غائب عني او ظرف اي بمكان الغيب وراء الاستار والابواب المغلقة وان الله لا يهدي كيد الخائنين لا ينفذه ولا
يسدده او لا يهدي الخائنين بكيدهم فاوقع الفعل على الكيد مبالغة وفيه تعريض براعيل في خيانتها زوجها وتوكيد
لامانته ولذلك عقبه بقوله **وما ابرئ نفسي** اي لا انزهها تنبيها على انه لم يرد بذلك
تزكية نفسه والعجب بحاله بل اظهار ما انعم الله عليه من العصمة والتوفيق وعن ابن عباس رضي الله عنهما
انه لما قال ليعلم اني لم اخنه بالغيب قال له جبريل ولا حين هممت فقال ذلك ان النفس لامارة بالسوء من حيث
انها بالطبع مائلة الى الشهوات فتهم بها وتستعمل القوى والجوارح في اثرها كل الاوقات الا ما رحم ربي الا وقت رحمة ربي او الا ما رحمه
الله من النفوس فعصمه عن ذلك وقيل الاستثناء منقطع اي لكن رحمة ربي هي التي تصرف الاساءة وقيل الاية حكاية
قول راعيل والمستثنى نفس يوسف واضرابه وعن ابن كثير ونافع بالسو على قلب الهمزة واوا ثم الادغام ان ربي غفور
رحيم يغفر هم النفس ويرحم من يشاء بالعصمة او يغفر للمستغفر لذنبه المعترف على نفسه ويرحمه ما استغفره و
استرحمه مما ارتكبه وقال الملك ائتوني به استخلصه لنفسي اجعله خالصا لنفسي فلما كلمه اي فلما اتوا به فكلمه و
شاهد منه الرشد والذكاء قال انك اليوم لدينا مكين ذو مكانة ومنزلة امين مؤتمن على كل شيء روي انه لما
خرج من السجن اغتسل وتنظف ولبس ثيابا جددا فلما دخل على الملك قال اللهم اني اسالك من خيره واعوذ بعزتك وقدرتك
من شره ثم سلم عليه ودعا له بالعبرية فقال ما هذا اللسان فقال لسان آبائي وكان الملك يعرف سبعين لسانا فكلمه
بها فاجابه بجميعها فتعجب منه فقال احب ان اسمع رؤياي منك فحكاها ونعت له البقرات والسنابل
واماكنها على ما راها فاجلسه على السرير وفوض اليه امره وقيل توفي قطفير في تلك الليالي فنصبه منصبه وزوجه
راعيل فوجدها عذراء وولد له منها افرائيم وميشا قال اجعلني على خزائن الارض ولني امرها والارض ارض مصر
اني حفيظ لها ممن لا يستحقها عليم بوجوه التصرف فيها ولعله عليه السلام لما راى انه يستعمله في امره لا محالة آثر ما تعم
فوائده وتجل عوائده وفيه دليل على جواز طلب التولية واظهار انه مستعد لها والتولي من يد الكافر اذا علم انه لا سبيل الى
اقامة الحق وسياسة الخلق الا بالاستظهار به وعن مجاهد ان الملك اسلم على يده وكذلك مكنا ليوسف في الارض
ارض مصر يتبوأ منها حيث يشاء ينزل من بلادها حيث يهوى وقرأ ابن كثير نشاء بالنون نصيب برحمتنا من
نشاء في الدنيا والاخرة ولا نضيع اجر المحسنين بل نوفي اجورهم عاجلا وآجلا ولاجر الاخرة خير للذين آمنوا وكانوا يتقون
الشرك والفواحش لعظمه ودوامه وجاء اخوة يوسف روي انه لما استوزره الملك اقام العدل واجتهد في تكثير
الزراعات وضبط الغلات حتى دخلت السنون المجدبة وعم القحط مصر والشام ونواحيهما وتوجه الناس اليه فباعهم
اولا بالدراهم والدنانير حتى لم يبق معهم شيء منها ثم بالحلي والجواهر ثم بالدواب ثم بالضياع والعقار ثم برقابهم
حتى استرقهم جميعا ثم عرض الامر على الملك فقال الراي رايك فاعتقهم ورد عليهم اموالهم وكان قد اصاب كنعان
ما اصاب سائر البلاد فارسل يعقوب بنيه غير بنيامين اليه للميرة فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون

اى مكيل قليل لا يكفينا استقلوا ما كيل لهم فارادوا ان يضاعفوه بالرجوع الى الملك او يزدادوا اليه ما يكال لاخيهم ويجوز
ان تكون الاشارة الى كيل بعير اى ذلك شيء قليل لا يضايقنا فيه الملك ولا يتعاظمه وقيل انه من كلام يعقوب ومعناه
ان حمل بعير شيء يسير لا يخاطر لمثله بالولد قال لن ارسله معكم اذ رايت منكم ما رايت حتى تؤتون موثقا من الله حتى
تعطوني ما اتوثق به من عند الله اى عهدا موكدا بذكر الله لتاتنني به جواب القسم اذ المعنى حتى تحلفوا بالله لتاتنني به الا ان
يحاط بكم الا ان تغلبوا فلا تطيقوا ذلك او الا ان تهلكوا جميعا وهو استثناء مفرغ من اعم الاحوال والتقدير لتاتنني
به على كل حال الا حال الاحاطة بكم او من اعم العلل على ان قوله لتاتنني به في تاويل النفي اى لا تمتنعون من الاتيان به الا
للاحاطة بكم كقولهم اقسمت بالله الا فعلت اى ما اطلب الا فعلك فلما آتوه موثقهم عهدهم قال الله على ما نقول
من طلب الموثق وايتائه وكيل رقيب مطلع وقال يا بني لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من ابواب متفرقة لانهم كانوا
ذوي جمال وابهة مشتهرين في مصر بالقربة والكرامة عند الملك فخاف عليهم ان يدخلوا كوكبة واحدة فيعانوا
ولعله لم يوصهم بذلك في الكرة الاولى لانهم كانوا مجهولين حينئذ او كان الداعي اليها خوفه على بنيامين وللنفس
آثار منها العين والذي يدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم في عوذته اللهم اني اعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان
وهامة ومن كل عين لامة وما اغني عنكم من الله من شيء مما قضى عليكم بما اشرت به اليكم فان الحذر لا يمنع القدر ان الحكم
الا لله يصيبكم لا محالة ان قضى عليكم سوءا ولا ينفعكم ذلك عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون جمع بين الحرفين
في عطف الجملة على الجملة لتقدم الصلة للاختصاص كأن الواو للعطف والفاء لافادة التسبب فان فعل الانبياء سبب
لان يقتدى بهم ولما دخلوا من حيث امرهم ابوهم اى من ابواب متفرقة في البلد ما كان يغني عنهم راي يعقوب
واتباعهم له من الله من شيء مما قضاه عليهم كما قال يعقوب عليه السلام فسرقوا واخذ بنيامين بوجدان الصواع
في رحله وتضاعفت المصيبة على يعقوب الا حاجة في نفس يعقوب استثناء منقطع اى ولكن حاجة في نفسه يعني شفقته
عليهم وحزازة من ان يعانوا قضاها اظهرها ووصى بها وانه لذو علم لما علمناه بالوحي ونصب الحجج ولذلك قال وما
اغني عنكم من الله من شيء ولم يغتر بتدبيره ولكن اكثر الناس لا يعلمون سر القدر وانه لا يغني عنه الحذر ولما دخلوا
على يوسف آوى اليه اخاه ضم اليه بنيامين على الطعام او في المنزل روي انه اضافهم فاجلسهم مثنى مثنى فبقي بنيامين
وحيدا فبكى وقال لو كان اخي يوسف حيا لجلس معي فاجلسه معه على مائدته ثم قال لينزل كل اثنين منكم بيتا
وهذا لا ثاني له فيكون معي فبات عنده وقال له اتحب ان اكون اخاك بدل اخيك الهالك قال من يجد اخا
مثلك ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل قال اني انا اخوك فلا تبتئس فلا تحزن افتعال من البؤس بما كانوا
يعملون في حقنا فيما مضى فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية المشربة في رحل اخيه قيل كانت مشربة جعلت صاعا يكال به وقيل
كانت تسقى الدواب بها ويكال فيها وكانت من فضة وقيل من ذهب وقرئ وجعل على حذف جواب لما تقديره امهلهم
حتى انطلقوا ثم اذن مؤذن ثم نادى مناد ايتها العير انكم لسارقون لعله لم يقله بامر يوسف وكان تعبية السقاية
والنداء عليها برضا بنيامين وقيل معناه انكم لسارقون يوسف من ابيه او ائنكم لسارقون والعير القافلة وهو

عليه فخذ أحدنا مكانه بدله فان اباه يتسلى به عن الهالك إنا نراك من المحسنين إلينا فأتمم إحسانك
او من المتعودين بالاحسان فلا تغير عادتك قال معاذ الله أن نأخذ إلا من وجدنا متاعنا عنده إنا إن أخذنا غيره ظلم
على مذهبكم فلم تأخذ احدكم مكانه إنا إذا لظالمون في مذهبكم هذا وان مراده ان الله اذن ان آخذ من وجدنا الصاع في
رحله لمصلحته ورضاه عليه فلو اخذت غيره كنت ظالما فلما استيأسوا منه يئسوا من يوسف واجابته اياهم وزيادة
السين والتاء للمبالغة وعن البزي استايسوا بالالف وفتح الياء من غير همزة واذا وقف حمزة القى حركة همزة على الياء على الاصل
خلصوا انفردوا واعتزلوا نجيا متناجين وانما وحد لانه مصدر او بزنته كما قيل هم صديق وجمعه انجية كندي
واندية قال كبيرهم في السن وهو روبيل او في الرأي وهو شمعون وقيل يهوذا ألم تعلموا أن أباكم قد أخذ عليكم موثقا
من الله عهدا وثيقا وانما جعل حلفهم بالله موثقا منه لانه باذن منه وتأكيد من جهته ومن قبل ومن قبل هذا ما فرطتم
في يوسف قصرتم في شأنه وما مزيدة ويجوز ان يكون مصدرية في موقع النصب بالعطف على مفعول تعلموا ولا بأس بالفصل
بين العاطف والمعطوف بالظرف او على اسم ان وخبره في يوسف او من قبل والرفع بالابتداء والخبر من قبل وفيه نظر لان قبل اذا كان
خبرا او صلة لا يقطع عن الاضافة حتى لا ينقص وان يكون موصولة اي ما فرطتموه بمعنى ما قدمتموه في حقه من الجناية
ومحله ما تقدم فلن أبرح الأرض فلن افارق ارض مصر حتى يأذن لي أبي في الرجوع اليه أو يحكم الله لي او يقضي
للخروج منها او بخلاص اخي منهم او بالمقاتلة معهم لتخليصه روي انهم كلموا العزيز في اطلاقه فقال روبيل ايها
الملك والله لتتركنا اخانا او لاصيحن صيحة تضع منها الحوامل ووقفت شعور جسده فخرجت من ثيابه فقال يوسف
لابنه قم الى جنبه فمسه وكان بنو يعقوب اذا غضب احدهم فمسه الآخر ذهب غضبه فقال روبيل من هذا ان في هذا
البلد لبذرا من بذر يعقوب وهو خير الحاكمين لان حكمه لا يكون الا بالحق ارجعوا إلى أبيكم فقولوا يا أبانا إن ابنك
سرق على ما شاهدنا من ظاهر الامر وقرئ سرق اي نسب الى السرقة وما شهدنا عليه الا بما علمنا بان رأينا ان الصواع استخرج من
وعائه وما كنا للغيب لباطن الحال حافظين فلا ندري انه سرق او سرق ودس الصاع في رحله او ما كنا للعواقب عالمين
فلم ندر حين اعطيناك الموثق انه سيسرق او انك تصاب به كما اصبت بيوسف واسأل القرية التي كنا فيها
يعنون مصر او قرية بقرب مصر لحقهم المنادي فيها والمعنى ارسل الى اهلها واسألهم عن القصة والعير التي أقبلنا فيها
واصحاب العير التي توجهنا فيهم وكنا معهم وإنا لصادقون تأكيد في محل القسم قال بل سولت اي فلما رجعوا الى ابيهم وقالوا
له ما قال لهم اخوهم قال بل سولت اي زينت وسهلت لكم أنفسكم أمرا اردتموه والا فما ادرى الملك ان
السارق يؤخذ بسرقته فصبر جميل اي فامري صبر جميل او فصبر جميل اجمل عسى الله أن يأتيني بهم جميعا بيوسف وبنيامين
واخيهما الذي توقف بمصر إنه هو العليم بحالي وحالهم الحكيم في تدبيرها وتولى عنهم واعرض عنهم كراهة لما صادف منهم
وقال يا أسفى على يوسف اي يا اسفا تعال فهذا اوانك والاسف اشد الحزن والحسرة والالف بدل من ياء المتكلم وانما تأسف
على يوسف دون اخويه والحادث رزؤهما لان رزأه كان قاعدة المصيبات وكان غضا عنده وان تقادم عهده وكان واثقا بحيوتهما
دون حيوته وفي الحديث لم تعط امة من الامم انا لله وانا اليه راجعون عند المصيبة الا امة محمد عليه السلام الا ترى الى يعقوب

ويعقوب مثلها قال انا يوسف وهذا اخي من ابي وامي ذكره تعريفاً لنفسه به وتفخيماً لشانه وادخالاً له في قوله قد من الله
علينا اي بالسلامة والكرامة انه من يتق اي يتق الله ويصبر على البليات او على الطاعات وعن المعاصي فان الله لا يضيع اجر المحسنين
وضع المحسنين موضع الضمير للتنبيه على ان المحسن من جمع بين التقوى والصبر قالوا تالله لقد آثرك الله علينا اختارك علينا بحسن
الصورة وكمال السيرة وان كنا لخاطئين والحال ان شاننا انا كنا مذنبين بما فعلنا معك قال لا تثريب
عليكم لا تانيب عليكم تفعيل من الثرب وهو الشحم الذي يغشى الكرش للازالة كالتجليد فاستعير للتقريع الذي يمزق
العرض ويذهب ماء الوجه اليوم متعلق بالتثريب او بالمقدر للجار الواقع خبراً للا تثريب والمعنى لا اثربكم اليوم الذي هو
مظنته فما ظنكم بسائر الايام او بقوله يغفر الله لكم لانه صفح عن جريمتهم حينئذ واعترفوا بها وهو ارحم الراحمين
فانه يغفر الصغائر والكبائر ويتفضل على التائب ومن كرم يوسف انهم لما عرفوه ارسلوا اليه وقالوا انك تدعونا بالبكرة
والعشي الى الطعام ونحن نستحيي منك لما فرط منا فيك فقال ان اهل مصر كانوا لينظرون الي بالعين الاولى ويقولون سبحان
من بلغ عبداً بيع بعشرين درهماً ما بلغ ولقد شرفت بكم وعظمت في عيونهم حيث علموا انكم اخوتي واني من حفدة ابراهيم
اذهبوا بقميصي هذا القميص الذي كان عليه وقيل القميص المتوارث الذي كان في التعويذ فالقوه على وجه ابي يات بصيراً يرجع بصيراً
اي ذا بصر واتوني انتم وابي باهلكم اجمعين بنسائكم وذراريكم ومواليكم ولما فصلت العير من مصر وخرجت من عمرانها
قال ابوهم لمن حضره اني لاجد ريح يوسف اوجده الله تعالى ريح ما عبق بقميصه من ريحه حين اقبل اليه يهوذا من ثمانين
فرسخاً لولا ان تفندون تنسبوني الى الفند وهو نقصان عقل يحدث من هرم ولذلك لا يقال عجوز مفندة لان
نقصان عقلها ذاتي وجواب لولا محذوف تقديره لصدقتموني او لقلت انه قريب قالوا اي الحاضرون تالله انك
لفي ضلالك القديم لفي ذهابك عن الصواب قديماً بالافراط في محبة يوسف والاكثار ذكره والتوقع للقائه فلما ان
جاء البشير يهوذا روي انه قال كما حزنته بحمل قميصه الملطخ اليه فافرحه بحمل هذا اليه القاه طرح البشير
القميص على وجهه يعقوب عليه السلام فارتد بصيراً عاد بصيراً لما انتعش فيه من القوة قال الم اقل
لكم اني اعلم من الله ما لا تعلمون من حيوة يوسف وانزال الفرج وقيل اني اعلم كلام مبتدا والمقول لا تياسوا
من روح الله او اني لاجد ريح يوسف قالوا يا ابانا استغفر لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين ومن حق المعترف بذنبه ان يصفح
عنه ويسال له المغفرة قال سوف استغفر لكم ربي انه هو الغفور الرحيم اخره الى السحر او الى صلوة الليل او الى ليلة الجمعة
تحرياً لوقت الاجابة او الى ان يستحل لهم من يوسف او يعلم انه عفا عنهم فان عفو المظلوم شرط المغفرة ويؤيده
ما روي انه استقبل القبلة قائماً يدعو وقام يوسف خلفه يؤمن وقاموا خلفهما اذلة خاشعين حتى نزل جبريل وقال ان
الله قد اجاب دعوتك في ولدك وعقد مواثيقهم بعدك على النبوة وهو ان صح فدليل على نبوتهم وان ما صدر عنهم
كان قبل استنبائهم فلما دخلوا على يوسف روي انه وجه اليه رواحل واموالاً ليتجهز اليه بمن معه واستقبله
يوسف والملك باهل مصر وكان اولاد الذين دخلوا معه مصر اثنين وسبعين رجلاً وامراة وكانوا حين خرجوا
مع موسى ستمائة الف وخمسمائة وبضعة وسبعين رجلاً سوى الذرية والهرمى آوى اليه ابويه ضم اليه اباه وخالته

لا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها وقرئ والارض بالرفع على انه مبتدأ خبره يمرون فيكون لها الضمير في عليها وبالنصب

على ويطؤن الارض وقرئ والارض يمشون عليها اى يترددون فيها فيرون آثار الامم الهالكة وما يؤمن اكثرهم بالله

في اقرارهم بوجوده وخالقيته الا وهم مشركون بعبادة غيره او باتخاذ الاحبار اربابا ونسبة التبني اليه او القول بالنور

والظلمة او النظر الى الاسباب ونحو ذلك وقيل الآية في مشركي مكة وقيل في المنافقين وقيل في اهل الكتاب افأمنوا ان تأتيهم

غاشية من عذاب الله عقوبة تغشاهم وتشملهم او تأتيهم الساعة بغتة فجأة من غير سابقة علامة وهم لا يشعرون

باتيانها غير مستعدين لها قل هذه سبيلي يعني الدعوة الى التوحيد والاعداد للمعاد ولذلك فسر السبيل بقوله ادعو الى الله

وقيل هو حال من الياء على بصيرة بيان وحجة واضحة غير عمياء انا تأكيد للمستتر في ادعو او على بصيرة لانه حال منه او

مبتدأ خبره على بصيرة ومن اتبعني عطف عليه وسبحان الله وما انا من المشركين وانزهه تنزيها من الشركاء وما ارسلنا

من قبلك الا رجالا رد لقولهم لو شاء ربنا لانزل ملائكة وقيل معناه نفي استنباء النساء يوحى اليهم كما اوحي اليك

ويميزوا بذلك عن غيرهم وقرأ حفص نوحي في كل القرآن ووافقه حمزة والكسائي في الحرف الثاني في سورة الانبياء ومن

اهل القرى لان اهلها اعلم واحلم من اهل البدو افلم يسيروا

في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم من المكذبين بالرسل والآيات فيحذروا تكذيبك او من المشغوفين

بالدنيا المتهالكين عليها فيقلعوا عن حبها ولدار الآخرة ولدار الحال او الساعة او الحيوة الآخرة خير للذين اتقوا الشرك والمعاصي

افلا تعقلون يستعملون عقولهم ليعرفوا انها خير وقرأ نافع وابن عامر وعاصم ويعقوب بالتاء حملا على قوله هذه سبيلي

اى قل لهم افلا تعقلون حتى اذا استيأس الرسل غاية محذوف دل عليه الكلام اى لا يغررهم تمادي ايامهم

فان من قبلهم امهلوا حتى ايس الرسل عن النصر عليهم في الدنيا او عن ايمانهم لانهماكهم في الكفر مترفهين متمادين

فيه من غير وازع وظنوا انهم قد كذبوا اى كذبتهم انفسهم حين حدثتهم بانهم ينصرون او كذبهم القوم بوعد

الايمان وقيل الضمير للمرسل اليهم اى وظن المرسل اليهم ان الرسل قد كذبوهم بالدعوة والوعيد وقيل الاول للمرسل

اليهم والثاني للرسل اى وظنوا ان الرسل قد كذبوا واخلفوا فيما وعد لهم من النصر وخلط الامر عليهم وما روي عن ابن

عباس ان الرسل ظنوا انهم اخلفوا ما وعدهم الله من النصر ان صح فقد اراد بالظن ما يخطر بالبال ويهجس في القلب على طريق

الوسوسة هذا وان المراد به المبالغة في التراخي والامهال على سبيل التمثيل وقرأ غير الكوفيين بالتشديد اى

وظن الرسل ان القوم قد كذبوهم فيما اوعدوهم وقرئ كذبوا بالتخفيف وبناء الفاعل اى وظنوا انهم قد كذبوا فيما حدثوا به

عند قومهم لما تراخى عنهم ولم يروا له اثرا جاءهم نصرنا فنجي من نشاء النبي والمؤمنون وانما لم يعينهم للدلالة على

انهم الذين يستأهلون ان ينجوا لا يشاركهم فيه غيرهم وقرأ ابن عامر وعاصم ويعقوب على لفظ الماضي المبني

للمفعول وقرئ فنجا ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين اذا نزل بهم وفيه بيان للمشيئين لقد كان في قصصهم

في قصص الانبياء وامهم او في قصة يوسف واخوته عبرة لاولي الالباب لذوي العقول المبرأة عن شوائب الالف

والحس ما كان حديثا يفترى ما كان القرآن حديثا يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه من الكتب الالهية

والزرع وتوحيد الزرع لأنه مصدر في الأصل وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب وحفص وزرع ونخيل بالرفع عطفاً على
وجنات صنوان نخلات أصلها واحد وغير صنوان ومتفرقات مختلفة الأصول وقرأ حفص بالضم وهو لغة تميم كقنوان في جمع
قنو يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل في الثمر شكلاً وقدراً ورائحة وطعماً وذلك أيضاً مما يدل على الصانع الحكيم
فإن اختلافها مع اتحاد الأصول والأسباب لا يكون إلا بتخصيص قادر مختار وقرأ ابن عامر وعاصم ويعقوب يسقى بالتذكير
على تأويل ما ذكر وحمزة والكسائي ويفضل بالياء ليطابق قوله يدبر الأمر إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون يستعملون عقولهم
بالتفكر وإن تعجب يا محمد من إنكارهم البعث فعجب قولهم حقيق بأن يتعجب منه فإن من قدر على إنشاء ما قص عليك كانت
الإعادة أيسر شيء عليه والآيات المعدودة كما هي دالة على وجود المبدأ فهي دالة على إمكان الإعادة من حيث إنها تدل على كمال علمه
وقدرته وقبول المواد لأنواع تصرفاته أئذا كنا تراباً أئنا لفي خلق جديد بدل من قولهم أو مفعول له والعامل في إذا محذوف
دل عليه أئنا لفي خلق جديد أولئك الذين كفروا بربهم لأنهم كفروا بقدرته على البعث وأولئك الأغلال في أعناقهم
مقيدون بالضلال لا يرجى خلاصهم أو يغلون يوم القيامة وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون لا ينفكون عنها و
توسيط الفصل لتخصيص الخلود بالكفار ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة بالعقوبة قبل العافية وذلك لأنهم استعجلوا بما هددوا
به من عذاب الدنيا استهزاء وقد خلت من قبلهم المثلات عقوبات أمثالهم من المكذبين فما لهم لم يعتبروا بها ولم يجوزوا
حلول مثلها عليهم والمثلة بفتح الثاء وضمها كالصدقة والصدقة العقوبة لأنها مثل المعاقب عليه ومنه المثال للقصاص
وأمثلت الرجل من صاحبه إذا اقتصصته منه وقرئ المثلات بالتخفيف والمثلات باتباع الفاء العين والمثلات بالتخفيف بعد الإتباع والمثلات على الجمع كركبة وركبات وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم مع ظلمهم أنفسهم ومحله
النصب على الحال والعامل فيه المغفرة والتقييد به دليل على جواز العفو قبل التوبة فإن التائب ليس على ظلمه ومن
منع ذلك خص الظلم بالصغائر المكفرة لمجتنب الكبائر أو أول المغفرة بالستر والإمهال وإن ربك لشديد العقاب
للكفار أو لمن شاء وعن النبي صلى الله عليه وسلم لولا عفو الله وتجاوزه ما هنأ أحداً العيش ولولا وعيده وعقابه
لاتكل كل أحد ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه لعدم اعتدادهم بالآيات المنزلة عليه واقتراحاً لنحو ما أوتي
موسى وعيسى إنما أنت منذر مرسل للإنذار كغيرك من الرسل وما عليك إلا الإتيان بما تصح به نبوتك من جنس المعجزات لا بما يقترح
عليك ولكل قوم هاد نبي مخصوص بمعجزات من جنس ما هو الغالب عليهم يهديهم إلى الحق ويدعوهم إلى الصواب أو قادر
على هدايتهم وهو الله تعالى لكن لا يهدي إلا من يشاء هدايته بما ينزل من الآيات ثم أردف ذلك بما يدل على كمال علمه
وقدرته وشمول قضائه وقدره تنبيهاً على أنه تعالى قادر على إنزال ما اقترحوه وإنما لم ينزل لعلمه بأن اقتراحهم للعناد
دون الاسترشاد وأنه قادر على هدايتهم وإنما لم يهدهم لسبق قضائه عليهم بالكفر فقال الله يعلم ما تحمل كل أنثى
أي حملها أو ما تحمله على أي حال هو من الأحوال الحاضرة والمترقبة وما تغيض الأرحام وما تزداد وما تنقصه وما تزداده
في الجثة والمدة والعدد وأقصى مدة الحمل أربع سنين عندنا وخمس عند مالك وسنتان عند أبي حنيفة رضي الله عنهم روي أن
الضحاك ولد لسنتين وهرم بن حيان لأربع سنين وأعلى عدده لا حد له وقيل نهاية ما عرف أربعة وإليه ذهب

من الجدل وهو الفتل والواو لعطف الجملة على الجملة او للحال فانه روى ان عامر بن الطفيل واربد بن ربيعة
اخا لبيد وفدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قاصدين لقتله فاخذه عامر بالمجادلة ودار اربد من خلفه ليضربه بالسيف فتنبه له
الرسول وقال اللهم اكفنيهما بما شئت فارسل الله تعالى على اربد صاعقة فقتلته ورمى عامرا بغدة فمات في بيت
سلولية وكان يقول غدة كغدة البعير وموت في بيت سلولية فنزلت وهو شديد المحال المماحلة والمكايدة
لاعدائه من محل فلان بفلان اذا كايده وعرضه للهلاك ومنه تمحل اذا تكلف استعمال الحيلة ولعل اصله المحل بمعنى القحط وقيل فعال
من المحل بمعنى القوة وقيل مفعل من الحول او الحيلة اعل على غير قياس ويعضده انه قرئ بفتح الميم على انه مفعل من حال يحول اذا احتال
ويجوز ان يكون بمعنى الفقار فيكون مثلا في القوة والقدرة كقولهم فساعد الله اشد وموساه احد له دعوة الحق الدعاء
الحق فانه تعالى الذي يحق ان يعبد او يدعى الى عبادته دون غيره او له الدعوة المجابة فان من دعاه اجاب ويؤيده ما بعده
والحق على الوجهين ما يناقض الباطل واضافة الدعوة اليه لما بينهما من الملابسة او على تأويل دعوة المدعو الحق وقيل الحق
هو الله وكل دعاء اليه دعوة الحق والمراد بالجملتين ان كانت الآية في عامر واربد ان اهلاكهما من حيث لم يشعرا
محال من الله واجابة لدعوة رسوله او دلالة على انه على الحق وان كانت عامة فالمراد وعيد الكفرة على مجادلة رسول الله صلى
الله عليه وسلم بحلول محاله بهم وتهديدهم باجابة دعاء الرسول عليهم او بيان ضلالهم وفساد رأيهم والذين يدعون اي والاصنام الذين
يدعوهم المشركون فحذف الراجع او والمشركون الذين يدعون الاصنام فحذف المفعول لدلالة من دونه عليه لا يستجيبون
لهم بشيء من الطلبات الا كباسط كفيه الا استجابة كاستجابة من بسط كفيه الى الماء ليبلغ فاه يطلب منه ان
يبلغه وما هو ببالغه لانه جماد لا يشعر بدعائه ولا يقدر على اجابته والاتيان بغير ما جبل عليه وكذلك
آلهتهم وقيل شبهوا في قلة جدوى دعائهم لها بمن اراد ان يغترف الماء ليشربه فبسط كفيه ليشربه وقرئ تدعون
بالتاء وباسط بالتنوين وما دعاء الكافرين الا في ضلال في ضياع وخسار وباطل ولله يسجد من في السموات والارض
طوعا وكرها يحتمل ان يكون السجود على حقيقته فانه يسجد له الملائكة والمؤمنون من الثقلين طوعا حالتي الشدة والرخاء
والكفرة كرها حال الشدة والضرورة وظلالهم بالعرض وان يراد به انقيادهم لاحداث ما اراده منهم شاؤوا او كرهوا وانقياد
ظلالهم لتصريفه تعالى اياها بالمد والتقليص وانتصاب طوعا وكرها بالحال او العلة وقوله بالغدو والآصال ظرف ليسجد والمراد
بهما الدوام او حال من الظلال وتخصيص الوقتين لان الامتداد والتقلص اظهر فيهما والغدو جمع غداة كقنى وقناة
والآصال جمع اصيل وهو ما بين العصر والمغرب وقيل الغدو مصدر ويؤيده انه قرئ والايصال وهو الدخول في
قل من رب السموات والارض خالقهما ومتولي امرهما قل الله اجب عنهم بذلك اذ لا جواب لهم سواه ولانه البين
الذي لا يمكن المراء فيه او لقنهم الجواب به قل افاتخذتم من دونه ثم الزمهم بذلك لان اتخاذهم منكر بعيد عن مقتضى العقل اولياء
لا يملكون لانفسهم نفعا ولا ضرا لا يقدرون ان يجلبوا اليها نفعا او يدفعوا عنها ضرا فكيف يستطيعون
انفاع الغير ودفع الضر عنه وهو دليل ثان على ضلالهم وفساد رأيهم في اتخاذهم اولياء رجاء ان يشفعوا لهم قل هل يستوي الاعمى
والبصير المشرك الجاهل بحقيقة العبادة والموجب لها والموحد العالم بذلك وقيل المعبود الغافل عنكم

ما امر الله به ان يوصل من الرحم وموالاة المؤمنين والايمان بجميع الانبياء ويندرج في ذلك مراعاة جميع حقوق الناس
ويخشون ربهم وعيده عموما ويخافون سوء الحساب خصوصا فيحاسبون انفسهم قبل ان يحاسبوا والذين صبروا على ما
يكرهه النفس ويخالفه الهوى ابتغاء وجه ربهم طلبا لرضاه لا لجزاء وسمعة ونحوهما واقاموا الصلوة المفروضة وانفقوا
مما رزقناهم بعضه الذى وجب عليهم انفاقه سرا لمن لم يعرف بالمال وعلانية لمن عرف به ويدرءون بالحسنة السيئة ويدفعونها
بها فيجازون الاساءة بالاحسان او يتبعون الحسنة السيئة فتمحوها اولئك لهم عقبى الدار عاقبة الدنيا وما ينبغى ان يكون
مآل اهلها وهى الجنة والجملة خبر الموصولات ان رفعت بالابتداء وان جعلت صفات لاولى الالباب فاستيناف بذكر
ما استوجبوا بتلك الصفات جنات عدن بدل من عقبى الدار او مبتدأ خبره يدخلونها والعدن الاقامة اى جنات
يقيمون فيها وقيل هو بطنان الجنة ومن صلح من آبائهم وازواجهم وذرياتهم عطف على المرفوع فى يدخلون
وانما ساغ للفصل بالضمير الآخر او مفعول معه والمعنى انه يلحق بهم من صلح من اهلهم وان لم يبلغ مبلغ
فضلهم تبعا لهم وتعظيما لشانهم وهو دليل على ان الدرجة تعلو بالشفاعة وان الموصوفين بتلك الصفات يقرن
بعضهم ببعض لما بينهم من القرابة والوصلة فى دخول الجنة زيادة فى انسهم وفى التقييد بالصلاح دلالة على ان
الانتساب لا ينفع والملائكة يدخلون عليهم من كل باب من ابواب المنازل او من ابواب الفتوح والتحف قائلين سلام
عليكم بشارة بدوام السلامة بما صبرتم متعلق بعليكم او بمحذوف اى هذا بما صبرتم لا بسلام فان الخبر فاصل
والباء للسببية او البدلية فنعم عقبى الدار وقرئ فنعم بفتح النون والاصل نعم فسكن العين بنقل كسرتها
الى الفاء وبغيره والذين ينقضون عهد الله يعنى مقابلى الاولين من بعد ميثاقه من بعد ما اوثقوه به من
القبول ويقطعون ما امر الله به ان يوصل ويفسدون فى الارض بالظلم وتهييج الفتن اولئك لهم اللعنة ولهم سوء
الدار عذاب جهنم او سوء عاقبة الدنيا لانه فى مقابلة عقبى الدار الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر يوسعه ويضيقه
وفرحوا اى اهل مكة بالحيوة الدنيا بما بسط لهم فى الدنيا وما الحيوة الدنيا فى الآخرة فى جنب الآخرة الا متاع الا متعة
لا تدوم كعجالة الراكب وزاد الراعى والمعنى انهم اشروا بما نالوا من الدنيا ولم يصرفوه فيما يستوجبون به نعيم الآخرة
واغتروا بما هو فى جنبه نزر قليل النفع سريع الزوال ويقول الذين كفروا لولا انزل عليه آية من ربه قل ان الله
يضل من يشاء باقتراح الآيات بعد ظهور المعجزات ويهدى اليه من اناب اقبل الى الحق ورجع عن العناد وهو
يجرى مجرى التعجب من قولهم كانه قال قل لهم ما اعظم عنادكم ان الله يضل من يشاء ممن كان على صفتكم فلا
الى اهتدائهم وان انزلت كل آية ويهدى اليه من اناب بما جئت به بل بادنى منه من الآيات الذين آمنوا بدل
من من او خبر مبتدأ محذوف وتطمئن قلوبهم بذكر الله انسا به واعتمادا عليه ورجاء منه او بذكر رحمته بعد القلق
او بذكر دلائله الدالة على وجوده ووحدانيته او بكلامه يعنى القرآن الذى هو اقوى المعجزات الا بذكر الله تطمئن
القلوب تسكن اليه الذين آمنوا وعملوا الصالحات مبتدأ خبره طوبى لهم وهو فعلى من الطيب قلبت ياؤه
ما قبلها مصدر لطاب كبشرى وزلفى ويجوز فيه الرفع والنصب ولذلك قرئ وحسن مآب بالنصب

عليه ويكون الظاهر فيه موضع المضمر للتنبيه على انه المستحق للعبادة وقوله قُلْ سَمُّوهُمْ تنبيه على ان هؤلاء الشركاء
لا يستحقونها والمعنى صفوهم فانظروا هل لهم ما يستحقون به العبادة ويستاهلون الشركة أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بل اتنبئونه
وقرئ تُنْبِئُونَهُ بالتخفيف بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ بشركاء يستحقون العبادة لا يعلمهم او بصفات لهم يستحقونها لاجلها لا يعلمها
وهو العالم بكل شيء أَمْ بِظَاهِرٍ مِنَ الْقَوْلِ أم تسمونهم شركاء بظاهر من القول من غير حقيقة واعتبار معنى كتسمية الزنجي كافورا
وهذا احتجاج بليغ على اسلوب عجيب ينادي على نفسه بالاعجاز بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ تمويههم فتخيلوا اباطيل ثم خالوها حقا
او كيدهم للاسلام بشركهم وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ سبيل الحق وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو وابن عامر وصَدّوا بالفتح
اي وصدوا الناس عن الايمان وقرئ بالكسر وصدٌّ بالتنوين وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ يخذله فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ يوفقه للهدى
لَهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا بالقتل والاسر وسائر ما يصيبهم من المصائب وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ لشدته ودوامه
وَمَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ من عذابه او من رحمته مِنْ وَاقٍ حافظ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ صفتها التي هي مثل في الغرابة
وهو مبتدأ خبره محذوف عند سيبويه اي فيما قصصنا عليكم مثل الجنة وقيل خبره تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ على طريقة
قولك صفة زيد اسمر او على حذف موصوف اي مثل الجنة جنة تجري من تحتها الانهار او على زيادة المثل وهو على قول
سيبويه حال من العائد المحذوف او من الصلة أُكُلُهَا دَائِمٌ لا ينقطع ثمرها وَظِلُّهَا اي وظلها كذلك لا ينسخ
في الدنيا بالشمس تِلْكَ اي الجنة الموصوفة عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا مآلهم ومنتهى امرهم وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ
لا غير وفي ترتيب النظمين اطماع للمتقين واقناط للكافرين وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ يعني
من اهل الكتاب كابن سلام واصحابه ومن آمن من النصارى وهم ثمانون رجلا اربعون بنجران وثمانية باليمن واثنان وثلثون
بالحبشة او عامتهم فانهم كانوا يفرحون بما يوافق كتبهم وَمِنَ الْأَحْزَابِ يعني كفرتهم الذين تحزبوا على رسول الله
صلى الله عليه وسلم بالعداوة ككعب بن الاشرف واصحابه والسيد والعاقب واشياعهما مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ وهو ما يخالف شرائعهم او ما يوافق
ما حرفوه منها قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ جواب للمنكرين اي قل لهم اني امرت فيما انزل الي بان اعبد
الله واوحده وهو العمدة في الدين ولا سبيل لكم الى انكاره واما ما تنكرونه لما يخالف شرائعكم فليس ببدع مخالفة الشرائع
والكتب الالهية في جزئيات الاحكام وقرئ ولا أشركُ بالرفع على الاستئناف إِلَيْهِ أَدْعُو لا الى غيره وَإِلَيْهِ مَآبِ
واليه مرجعي للجزاء لا الى غيره وهذا هو القدر المتفق عليه بين الانبياء فاما ما عدا ذلك من التفاريع فمما يختلف
بالاعصار والامم فلا معنى لانكاركم المخالفة فيه وَكَذَلِكَ ومثل هذا الانزال المشتمل على اصول الديانات المجمع عليها أَنْزَلْنَاهُ
حُكْمًا يحكم في القضايا والوقائع بما تقتضيه الحكمة عَرَبِيًّا مترجما بلسان العرب ليسهل لهم فهمه وحفظه وانتصابه على الحال
وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ التي يدعونك اليها كتقرير دينهم والصلوة الى قبلتهم بعد ما حولت عنها بَعْدَ مَا جَاءَكَ
مِنَ الْعِلْمِ بنسخ ذلك مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ ينصرك ويمنع العقاب عنك وهو حسم لاطماعهم وتهييج للمؤمنين على الثبات
في دينهم وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ بشرا مثلك وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً نساء واولادا كما هي لك وَمَا كَانَ
لِرَسُولٍ وما صح له ولم يكن في وسعه أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ تقترح عليه وحكم يلتمس منه إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فانه المليء بذلك لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ

لمن كفر بالكتاب ولم يخرج به من الظلمات الى النور والويل نقيض الوأل وهو النجاة واصله النصب لانه مصدر الا انه لم يشتق منه
لكنه رفع لافادة الثبات الذين يستحبون الحيوة الدنيا على الآخرة يختارونها ويؤثرونها عليها فان المختار للشيء يطلب من نفسه
ان يكون احب اليها من غيره ويصدون عن سبيل الله بتعويق الناس عن الايمان وقرئ ويُصِدّون من اصدّه
وهو منقول من صدّ صدودا اذا تنكب وليس فصيحا لان في صدّه مندوحة عن تكلف التعدية ويبغونها
عوجا ويبغون لها زيغا ونكوبا عن الحق ليقدحوا فيه فحذف الجار واوصل الفعل الى الضمير والموصول بصلته يحتمل الجر صفة
للكافرين والنصب على الذم والرفع عليه او على انه مبتدأ خبره اولئك في ضلال بعيد ضلوا عن الحق ووقعوا عنه بمراحل والبعد في الحقيقة
للضال فوصف به فعله للمبالغة او للامر الذي به الضلال فوصف به لملابسته وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه
الا بلغة قومه الذي هو منهم وبعث فيهم ليبين لهم ما امروا به فيفقهوه عنه بيسر وسرعة ثم ينقلوه ويترجموه لغيرهم فانهم
اولى الناس اليه بان يدعوهم واحق بان ينذرهم ولذلك امر النبي صلى الله عليه وسلم بانذار عشيرته اولا ولو نزل على من بعث
الى امم مختلفة كتب على ألسنتهم استقل ذلك بنوع من الاعجاز ولكن ادّى الى اختلاف الكلمة واضاعة فضل الاجتهاد
في تعلم الالفاظ ومعانيها والعلوم المتشعبة منها وما في إتعاب القرائح وكد النفوس من القرب المقتضية لجزيل الثواب
وقرئ بلسن وهو لغة فيه كريش ورياش ولسن بضمتين وضمة وسكون على الجمع كعمد وعمد وقيل الضمير في قومه لمحمد
صلوة والسلام وانه تعالى انزل الكتب كلها بالعربية ثم ترجمها جبريل او كل نبي بلغة المنزل عليهم وذلك يرده قوله
ليبين لهم فانه ضمير القوم والتورية والانجيل ونحوهما لم تنزل لتبين للعرب فيضل الله من يشاء فيخذله عن الايمان
ويهدي من يشاء بالتوفيق له وهو العزيز فلا يغلب على مشيته الحكيم الذي لا يضل ولا يهدي الا لحكمة ولقد ارسلنا
موسى بآياتنا يعني اليد والعصا وسائر معجزاته ان اخرج قومك من الظلمات الى النور بمعنى اي اخرج لان في الارسال
معنى القول او بان اخرج فان صيغ الافعال سواء في الدلالة على المصدر فيصح ان توصل بها ان الناصبة وذكرهم
بايام الله بوقائعه التي وقعت على الامم الدارجة وايام العرب حروبها وقيل بنعمائه وبلائه ان في ذلك لآيات لكل صبار
شكور يصبر على بلائه ويشكر نعمائه فانه اذا سمع بما نزل على من قبله من البلاء وافيض عليهم من النعماء اعتبر وتنبه لما يجب عليه
من الصبر والشكر وقيل المراد لكل مؤمن وانما عبر عنه بذلك تنبيها على ان الصبر والشكر عنوان المؤمن واذ قال موسى
لقومه اذكروا نعمة الله عليكم اذ انجاكم من آل فرعون اي اذكروا النعمة وقت انجائه اياكم ويجوز ان ينتصب بعليكم ان
جعلت مستقرة غير صلة للنعمة وذلك اذا اريد بها العطية دون الانعام ويجوز ان يكون بدلا من نعمة الله بدل الاشتمال
يسومونكم سوء العذاب ويذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم احوال من آل فرعون او من ضمير المخاطبين والمراد
بالعذاب هاهنا غير المراد به في سورة البقرة والاعراف لانه مفسر بالتذبيح والقتل ثم ومعطوف عليه التذبيح هاهنا وهو اما جنس
العذاب او استعبادهم او استعمالهم بالاعمال الشاقة وفي ذلكم من حيث انه باقدار الله تعالى اياهم وامهالهم فيه
بلاء من ربكم عظيم ابتلاء منه ويجوز ان يكون الاشارة الى الانجاء والمراد بالبلاء النعمة واذ تأذن ربكم ايضا من
كلام موسى وتأذن بمعنى آذن كتوعد واوعد غير انه ابلغ لما في التفعل من معنى التكلف والمبالغة لئن شكرتم

بما اقترحتم والحاصل لم يتعلق بمشيئتنا انه تعالى خص كل نبي بنوع من الآيات وعلى الله فليتوكل المؤمنون فلنتوكل عليه
في الصبر على معاندتكم ومعاداتكم عمموا الامر للاشعار بما يوجب التوكل وقصدوا به انفسهم قصدا اوليا الا ترى
قوله وما لنا ألا نتوكل على الله اي اي عذر لنا في ان لا نتوكل عليه وقد هدانا سبلنا التي بها نعرفه ونعلم ان الامور كلها
بيده وقرأ ابو عمرو بالتخفيف هنا وفي العنكبوت ولنصبرن على ما آذيتمونا جواب قسم محذوف اكدوا به توكلهم وعدم
مبالاتهم بما يجري من الكفار عليهم وعلى الله فليتوكل المتوكلون فليثبت المتوكلون على ما استحدثوه من توكلهم المسبب
عن ايمانهم وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من ارضنا او لتعودن في ملتنا حلفوا على ان يكون احد الامرين
إما اخراجهم للرسل او عودهم الى ملتهم وهو بمعنى الصيرورة لانهم لم يكونوا على ملتهم قط ويجوز ان يكون الخطاب
لكل رسول ولمن آمن معه فغلبوا الجماعة على الواحد فأوحى اليهم ربهم اي الى الرسل لنهلكن الظالمين على اضمار
القول او اجراء الايحاء مجراه لانه نوع منه ولنسكننكم الارض من بعدهم اي ارضهم وديارهم كقوله واورثنا القوم
الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها وقرئ ليهلكن وليسكننكم بالياء اعتبارا لاوحى كقولك
اقسم زيد ليخرجن ذلك اشارة الى الموحى به وهو اهلاك الظالمين واسكان المؤمنين لمن خاف مقامي موقفي وهو الموقف
الذي يقيم فيه العباد للحكومة يوم القيامة او قيامي عليه وحفظي لاعماله وقيل المقام مقحم وخاف وعيد وعيدي
بالعذاب او عذابي الموعود للكفار واستفتحوا سألوا من الله الفتح على اعدائهم او القضاء بينهم وبين اعاديهم
من الفتاحة كقوله ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وهو معطوف على فأوحى والضمير للانبياء وقيل للكفرة وقيل للفريقين
فان كلهم سألوا ان ينصر المحق ويهلك المبطل وقرئ بلفظ الامر عطفا على ليهلكن وخاب كل جبار عنيد
ثم فافلح المؤمنون وخاب كل جبار متكبر على الله معاند للحق فلم يفلح ومعنى الخيبة اذا كان الاستفتاح من الكفرة او من
القبيلين كان اوقع من ورائه جهنم اي من بين يديه فانه مرصد بها واقف على شفيرها في الدنيا مبعوث اليها
في الآخرة وقيل من وراء حياته وحقيقته ما توارى عنك ويسقى من ماء عطف على محذوف تقديره من ورائه جهنم
يلقى فيها ما يلقى ويسقى من ماء صديد عطف بيان لماء وهو ما يسيل من جلود اهل النار يتجرعه يتكلف جرعه
وهو صفة لماء او حال من الضمير في يسقى ولا يكاد يسيغه ولا يقارب ان يسيغه فكيف يسيغه بل يغص به فيطول
عذابه والسوغ جواز الشراب على الحلق بسهولة وقبول النفس ويأتيه الموت من كل مكان اي اسبابه من الشدائد
فتحيط به من جميع الجهات وقيل من كل مكان من جسده حتى من اصول شعره وابهام رجله وما هو بميت فيستريح
ومن ورائه ومن بين يديه عذاب غليظ اي يستقبل في كل وقت عذابا اشد مما هو عليه وقيل هو الخلود في النار وقيل حبس الانفاس
وقيل الآية منقطعة عن قصة الرسل نازلة في اهل مكة طلبوا الفتح الذي هو المطر في سنيهم التي ارسل الله عليهم بدعوة
رسوله فخيب رجاءهم فلم يسقهم ووعد لهم ان يسقيهم في جهنم بدل سقياهم صديد اهل النار مثل الذين كفروا
بربهم مبتدأ خبره محذوف اي فيما يتلى عليكم صفتهم التي هي مثل في الغرابة او قوله اعمالهم كرماد وهي على
الاول جملة مستأنفة لبيان مثلهم وقيل اعمالهم بدل من المثل والخبر كرماد اشتدت به الريح حملته

وعد الباطل وهو ان لا بعث ولا حساب وان كانا فالاصنام تشفع لكم فاخلفتكم جعل تبين خلف وعده كالاخلاف
منه وما كان لي عليكم من سلطان تسلط فالجئكم الى الكفر والمعاصي الا ان دعوتكم الا دعائي اياكم اليها بتسويلي وهو ليس من
جنس السلطان ولكنه على طريقة قولهم تحية بينهم ضرب وجيع ويجوز ان يكون الاستثناء منقطعا فاستجبتم لي اسرعتم
اجابتي فلا تلوموني بوسوستي فان من صرح العداوة لا يلام بامثال ذلك ولوموا انفسكم حيث اطعتموني اذ دعوتكم ولم تطيعوا
ربكم لما دعاكم واحتجت المعتزلة بامثال ذلك على استقلال العبد بافعاله وليس فيها ما يدل عليه اذ يكفي لصحتها
ان يكون لقدرة العبد مدخل ما في فعله وهو الكسب الذي يقوله اصحابنا ما انا بمصرخكم بمغيثكم من العذاب
وما انتم بمصرخي بمغيثي وقرأ حمزة بكسر الياء على الاصل في التقاء الساكنين وهو اصل مرفوض في مثله لما فيه
من اجتماع ياءين وثلاث كسرات مع ان حركة ياء الاضافة الفتح فاذا لم تكسر وقبلها الف فبالحري ان لا تكسر و
قبلها ياء او على لغة من يزيد ياء على ياء الاضافة اجراء لها مجرى الهاء والكاف في ضربتهو واعطيتكاه وحذف الياء اكتفاء
بالكسرة اني كفرت بما اشركتمون من قبل ما اما مصدرية ومن متعلقة باشركتمون اي كفرت اليوم باشراككم اياي من
قبل هذا اليوم اي في الدنيا بمعنى تبرأت منه واستنكرته كقوله ويوم القيمة يكفرون بشرككم او موصولة بمعنى من نحو
ما في قولهم سبحان ما سخركن لنا ومن متعلقة بكفرت اي كفرت بالذي اشركتمونيه وهو الله تعالى بطاعتكم اياي فيما
دعوتكم اليه من عبادة الاصنام وغيرها من قبل اشراككم حين رددت امره تعالى بالسجود لآدم واشرك منقول من شركت
زيدا للتعدية الى مفعول ثان ان الظالمين لهم عذاب اليم تتمة كلامه او ابتداء كلام من الله تعالى وفي حكاية امثال ذلك
لطف للسامعين وايقاظ لهم حتى يحاسبوا انفسهم ويتدبروا عواقبهم وادخل الذين امنوا وعملوا الصالحات
جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها باذن ربهم باذن الله تعالى وامره والمدخلون هم الملائكة وقرئ وادخل على
التكلم فيكون قوله باذن ربهم متعلقا بقوله تحيتهم فيها سلام اي تحييهم الملائكة بالسلام باذن ربهم الم تر كيف
ضرب الله مثلا كيف اعتمده ووضعه كلمة طيبة كشجرة طيبة اي جعل كلمة طيبة كشجرة طيبة وهو تفسير لقوله ضرب الله
مثلا ويجوز ان تكون كلمة بدلا من مثلا وكشجرة صفتها او خبر مبتدأ محذوف اي هي كشجرة وان يكون
اول مفعولي ضرب اجراء لها مجرى جعل وقد قرئت بالرفع على الابتداء اصلها ثابت في الارض ضارب بعروقه فيها وفرعها و
اعلاها في السماء ويجوز ان يريد وفروعها اي افنانها على الاكتفاء بلفظ الجنس لاكتسابه الاستغراق من الاضافة وقرئ ثابت
اصلها والاول على اصله ولذلك قيل انه اقوى ولعل الثاني ابلغ تؤتي اكلها تعطي ثمرها كل حين اقته الله لاثماره
باذن ربها بارادة خالقها وتكوينه ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون لان في ضربها زيادة افهام وتذكير
فانه تصوير للمعاني وادناء لها من الحس ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة كمثل شجرة خبيثة اجتثت استؤصلت واخذت
جثتها بالكلية من فوق الارض لان عروقها قريبة منه ما لها من قرار استقرار واختلف في الكلمة والشجرة ففسرت الكلمة
الطيبة بكلمة التوحيد ودعوة الاسلام والقرآن والكلمة الخبيثة بالاشراك بالله تعالى والدعاء الى الكفر وتكذيب الحق ولعل المراد
بهما ما يعم ذلك فالكلمة الطيبة ما اعرب عن حق او دعا الى صلاح والكلمة الخبيثة ما كان على خلاف ذلك

خلق السموات والأرض مبتدأ وخبره وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم تعيشون به وهو
يشمل المطعوم والملبوس مفعول لأخرج ومن الثمرات بيان له وحال منه ويحتمل عكس ذلك ويجوز أن يراد به المصدر فينتصب بالعلة
أو المصدر لأن أخرج في معنى رزق وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بأمره بمشيئته إلى حيث توجهتم وسخر لكم الأنهار فجعلها
معدة لانتفاعكم وتصرفكم وقيل تسخير هذه الأشياء تعليم كيفية اتخاذها وسخر لكم الشمس والقمر دائبين يدأبان
في سيرهما وإنارتهما وإصلاح ما يصلحانه من المكونات وسخر لكم الليل والنهار يتعاقبان لسباتكم ومعاشكم وآتاكم من
كل ما سألتموه أي بعض جميع ما سألتموه يعني من كل شيء سألتموه شيئاً فإن الموجود من كل صنف بعض ما في قدرة الله تعالى
ولعل المراد بما سألتموه ما كان حقيقاً بأن يسأل لاحتياج الناس إليه سئل أو لم يسأل وما يحتمل أن يكون موصولة
وموصوفة ومصدرية ويكون المصدر بمعنى المفعول وقرئ من كلٍّ بالتنوين أي وآتاكم من كل شيء ما احتجتم إليه
وسألتموه بلسان الحال ويجوز أن يكون ما نافية في موضع الحال أي وآتاكم من كل شيء غير سائليه وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها
لا تحصروها ولا تطيقوا عد أنواعها فضلاً عن أفرادها فإنها غير متناهية وفيه دليل على أن المفرد يفيد الاستغراق
بالإضافة إن الإنسان لظلوم يظلم النعمة بإغفال شكرها أو يظلم نفسه بأن يعرضها للحرمان كفار شديد الكفران وقيل
ظلوم في الشدة يشكو ويجزع كفار في النعمة يجمع ويمنع وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا البلد آمناً
ذا أمن لمن فيها والفرق بينه وبين قوله اجعل هذا بلداً آمناً أن المسؤول في الأول إزالة الخوف عنه وتصييره آمناً
وفي الثاني جعله من البلاد الآمنة واجنبني وبني بعدني وإياهم أن نعبد الأصنام واجعلنا منها في جانب وقرئ وأجنبني
وهما على لغة نجد وأما أهل الحجاز فيقولون جنبني شره وفيه دليل على أن عصمة الأنبياء بتوفيق الله تعالى وحفظه إياهم وهو
بظاهره لا يتناول أحفاده وجميع ذريته وزعم ابن عيينة أن أولاد إسماعيل لم يعبدوا الصنم محتجاً به وإنما كانت
لهم حجارة يدورون عليها ويسمونها الدوار ويقولون البيت حجر فحيثما نصبنا حجراً فهو بمنزلته رب إنهن
أضللن كثيراً من الناس فلذلك سألت منك العصمة واستعذت بك من إضلالهن وإسناد الإضلال إليهن باعتبار
السببية كقوله وغرتهم الحياة الدنيا فمن تبعني على ديني فإنه مني أي بعضي لا ينفك عني في أمر الدين ومن عصاني فإنك
غفور رحيم تقدر أن تغفر له وترحمه ابتداء أو بعد التوفيق للتوبة وفيه دليل على أن كل ذنب فلله أن يغفره حتى
الشرك إلا أن الوعيد فرق بينه وبين غيره ربنا إني أسكنت من ذريتي أي بعض ذريتي أو ذرية من ذريتي فحذف المفعول
وهم إسماعيل ومن ولد منه فإن إسكانه متضمن لإسكانهم بواد غير ذي زرع يعني وادي مكة فإنها حجرية لا تنبت
عند بيتك المحرم الذي حرمت التعرض له والتهاون به أو لم يزل معظماً ممنعاً يهابه الجبابرة أو منع منه الطوفان
فلم يستول عليه ولذلك سمي عتيقاً أي أعتق منه ولو دعا بهذا الدعاء أول ما قدم فلعله قال ذلك باعتبار ما كان
أو ما سيؤول إليه روي أن هاجر كانت لسارة فوهبتها من إبراهيم عليه السلام فولدت منه إسماعيل فغارت عليهما
فناشدته أن يخرجهما من عندها فأخرجهما إلى أرض مكة فأظهر الله عين زمزم ثم إن جرهم رأوا ثم طيوراً فقالوا لا طير إلا على الماء
فقصدوه فرأوهما وعندهما عين فقالوا أشركينا في مائك نشركك في ألباننا ففعلت ربنا ليقيموا الصلاة اللام لام كي وهي

لاتطرف اولايرجع اليهم نظرهم فينظروا الى انفسهم وافئدتهم هواء خلاء اى خالية عن الفهم لفرط الحيرة والدهشة
ومنه يقال للاحمق والجبان قلبه هواء اى لا راى فيه ولا قوة قال زهير من الظلمان جؤجؤه هواء وقيل خالية عن
الخير خاوية عن الحق وانذر الناس يا محمد يوم يأتيهم العذاب يعنى يوم القيمة او يوم الموت فانه اول ايام عذابهم وهو مفعول
ثان لانذر فيقول الذين ظلموا بالشرك والتكذيب ربنا اخرنا الى اجل قريب اخر العذاب عنا وردنا الى الدنيا
وامهلنا الى حد من الزمان قريب او اخر آجالنا وابقنا مقدار ما نؤمن بك ونجيب دعوتك نجب دعوتك ونتبع الرسل
جواب للامر ونظيره لولا اخرتنى الى اجل قريب فاصدق واكن من الصالحين اولم تكونوا اقسمتم من قبل ما لكم من زوال
على ارادة القول وما لكم جواب القسم جاء بلفظ الخطاب على المطابقة دون الحكاية والمعنى اقسمتم انكم باقون فى الدنيا
لا تزالون بالموت ولعلهم اقسموا بطرا وغرورا او دل عليه حالهم حيث بنوا شديدا واملوا بعيدا وقيل اقسموا انهم لا ينتقلون
الى دار اخرى وانهم اذا ماتوا لا يزالون عن تلك الحالة الى حالة اخرى كقوله واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت
وسكنتم فى مساكن الذين ظلموا انفسهم بالكفر والمعاصى كعاد وثمود واصل سكن ان يعدى بفى كقر وغنى واقام
وقد يستعمل بمعنى التبوء فيجرى مجراه كقولك سكنت الدار وتبين لكم كيف فعلنا بهم بما تشاهدون فى منازلهم من
آثار ما نزل بهم وما تواتر عندكم من اخبارهم وضربنا لكم الامثال من احوالهم اى بينا لكم انكم مثلهم فى الكفر واستحقاق
العذاب او صفات ما فعلوا وفعل بهم التى هى فى الغرابة كالامثال المضروبة وقد مكروا مكرهم المستفرغ فيه جهدهم
لابطال الحق وتقرير الباطل وعند الله مكرهم ومكتوب عنده فعلهم فهو مجازيهم عليه او عنده ما يمكرهم به جزاء
لمكرهم وابطالا له وان كان مكرهم فى العظم والشدة لتزول منه الجبال مسوى لازالة الجبال وقيل ان نافية واللام
مؤكدة لها كقوله وما كان الله ليعذبهم على ان الجبال مثل لامر النبى صلى الله عليه وسلم ونحوه وقيل مخففة من
الثقيلة والمعنى انهم مكروا ليزيلوا ما هو كالجبال الراسية ثباتا وتمكنا من آيات الله وشرائعه وقرأ الكسائى لتزول بالفتح والرفع
على انها المخففة واللام هى الفاصلة ومعناه تعظيم مكرهم وقرئ بالفتح والنصب على لغة من يفتح لام كى وقرئ وان كاد مكرهم
فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله مثل قوله انا لننصر رسلنا كتب الله لاغلبن انا ورسلى واصله مخلف رسله
وعده فقدم المفعول الثانى ايذانا بانه لا يخلف الوعد اصلا كقوله ان الله لا يخلف الميعاد واذا لم يخلف وعده احدا فكيف
يخلف رسله ان الله عزيز غالب لا يماكر قادر لا يدافع ذو انتقام لاوليائه من اعدائه يوم تبدل الارض غير الارض
بدل من يوم يأتيهم او ظرف للانتقام او مقدر باذكر او لا يخلف وعده ولا يجوز ان ينتصب بمخلف لان ما قبل ان لا يعمل
فيما بعده والسموات عطف على الارض وتقديره والسموات غير السموات والتبديل يكون فى الذات كقولك بدلت الدراهم
بالدنانير وعليه قوله بدلناهم جلودا غيرها وفى الصفة كقولك بدلت الحلقة خاتما اذا اذبتها وغيرت شكلها وعليه قوله
يبدل الله سيئاتهم حسنات والآية تحتملهما فعن على رضى الله تعالى عنه تبدل الارض من فضة وسموات من ذهب وعن
ابن مسعود وانس يحشر الناس على ارض بيضاء لم يخطئ عليها احد خطيئة وعن ابن عباس هى تلك الارض وانما تغير
صفاتها ويدل عليه ما روى ابو هريرة انه عليه الصلاة والسلام قال تبدل الارض غير الارض فتبسط وتمد مد الاديم

بسم الله الرحمن الرحيم

الر تلك آيات الكتب وقرآن مبين الاشارة الى آيات السورة والكتاب هو السورة وكذا القرآن وتنكيره للتفخيم اي آيات الجامع لكونه كتابا
كاملا وقرآنا يبين الرشد من الغي بيانا غريبا **ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين**
حين عاينوا حال المسلمين عند نزول النصر او حلول الموت او يوم القيامة وقرأ نافع وعاصم ربما بالتخفيف وقرئ ربتما بالفتح والتخفيف
وفيه ثمان لغات ضم الراء وفتحه مع التشديد والتخفيف وبتاء التانيث ودونها وما كافة تكفه عن الجر فيجوز دخوله على الفعل
وحقه ان يدخل الماضي لكن لما كان المترقب في اخبار الله تعالى كالماضي في تحققه اجري مجراه وقيل ما نكرة موصوفة كقوله
ربما تكره النفوس من الامر له فرجة كحل العقال ومعنى التقليل فيه الايذان بانهم لو كانوا يودون الاسلام مرة فبالحرى
ان يسارعوا اليه فكيف وهم يودونه كل ساعة وقيل تدهشهم اهوال القيمة فان حانت منهم افاقة في بعض الاوقات
تمنوا ذلك والغيبة في حكاية ودادتهم كالغيبة في قولك حلف بالله ليفعلن ذرهم دعهم يأكلوا ويتمتعوا بدنياهم
ويلههم الامل ويشغلهم توهمهم لطول الاعمار واستقامة الاحوال عن الاستعداد للمعاد فسوف يعلمون سوء صنيعهم
اذا عاينوا جزاءه والغرض اقناط الرسول من ارعوائهم وايذانه بانهم من اهل الخذلان وان نصحهم بعد اشتغال
بما لا طائل تحته وفيه الزام للحجة وتحذير عن ايثار التنعم وما يؤدي اليه طول الامل وما اهلكنا من قرية الا ولها كتاب
معلوم اجل مقدر كتب في اللوح والمستثنى جملة واقعة صفة لقرية والاصل ان لا تدخلها الواو كقوله الا لها منذرون
لكن لما شابهت صورتها صورة الحال ادخلت عليها تاكيدا للصوقها بالموصوف ما تسبق من امة اجلها
وما يستأخرون اي وما يستأخرون عنه وتذكير ضمير امة فيه للحمل على المعنى وقالوا يا ايها الذي نزل عليه الذكر
نادوا به النبي صلى الله عليه وسلم على التهكم الا ترى الى ما نادوه له وهو قولهم انك لمجنون ونظير ذلك قول فرعون
ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون والمعنى انك لتقول قول المجانين حتى تدعي ان الله نزل عليك الذكر اي
القرآن لوما تأتينا ركب لو مع ما كما ركب مع لا لمعنيين امتناع الشيء لوجود غيره والتحضيض بالملئكة ليصدقوك ويعضدوك على
الدعوة كقوله لولا انزل عليه ملك فيكون معه نذيرا او للعقاب على تكذيبنا لك كما اتت الامم المكذبة
قبل ان كنت من الصادقين في دعواك ما ننزل الملئكة بالياء مسند الى ضمير اسم الله وقرأ حمزة والكسائي وحفص ننزل
بالنون وابو بكر تنزل الملائكة بالتاء والبناء للمفعول ورفع الملائكة وقرئ تنزل بمعنى تتنزل الا بالحق الا تنزيلا ملتبسا
بالحق اي بالوجه الذي قدره واقتضته حكمته ولا حكمة في ان تأتيكم بصور تشاهدونها فانه لا يزيدكم الا لبسا
ولا في معاجلتكم بالعقوبة فان منكم ومن ذراريكم من سبقت كلمتنا له بالايمان وقيل الحق الوحي والعذاب
وما كانوا اذا منظرين اذا جواب لهم وجزاء لشرط مقدر اي ولو نزلنا الملائكة ما كانوا منظرين انا نحن نزلنا الذكر
رد لانكارهم واستهزائهم ولذلك اكده من وجوه وقرره بقوله وانا له لحافظون اي من التحريف والزيادة و
النقص بان جعلناه معجزا مباينا لكلام البشر بحيث لا يخفى تغيير نظمه على اهل اللسان او نفي تطرق الخلل اليه في الدوام بضمان
الحفظ له كما نفى ان يطعن فيه بانه المنزل له وقيل الضمير في له للنبي صلى الله عليه وسلم ولقد ارسلنا من قبلك

بجعل الارض ممدودة بمقدار وشكل معينين مختلفة الاجزاء في الوضع محدثة فيها انواع النبات والحيوان المختلفة خلقة
وطبيعة مع جواز ان لا يكون كذلك على كمال قدرته وتناهي حكمته والتفرد في الالوهية والامتنان على العباد بما انعم
عليهم في ذلك ليوحدوه ويعبدوه ثم بالغ في ذلك فقال وان من شيء الا عندنا خزائنه اي وما من شيء الا ونحن
قادرون على ايجاده وتكوينه اضعاف ما وجد منه فضرب الخزائن مثلا لاقتداره او شبه مقدوراته بالاشياء المخزونة
التي لا يحوج اخراجها الى كلفة واجتهاد وما ننزله من بقاع القدرة الا بقدر معلوم حد من الحكمة وتعلقت به المشية فان
تخصيص بعضها بالايجاد في بعض الاوقات مشتملا على بعض الصفات والحالات لا بد له من مخصص حكيم وارسلنا الرياح لواقح حوامل
شبه الريح التي جاءت بخير من انشاء سحاب ماطر بالحامل كما شبه ما لا يكون كذلك بالعقيم او ملقحات للشجر والسحاب و
نظيره الطوائح بمعنى المطيحات في قوله ومختبط مما تطيح الطوائح وقرئ وارسلنا الريح على تاويل الجنس فانزلنا من السماء
ماء فاسقيناكموه فجعلناه لكم سقيا وما انتم له بخازنين قادرين متمكنين من اخراجه نفى عنهم ما اثبته لنفسه
او حافظين في الغدران والعيون والابار وذلك ايضا يدل على المدبر الحكيم كما تدل حركة الهواء في
بعض الاوقات من بعض الجهات على وجه ينتفع به الناس فان طبيعة الماء تقتضي الغور فوقوفه دون حده لا بد له من
سبب مخصص وانا لنحن نحيي بايجاد الحيوة في بعض الاجسام القابلة لها ونميت بازالتها وقد اول الحيوة بما يعم
الحيوان والنبات وتكرير الضمير للدلالة على الحصر ونحن الوارثون الباقون اذا مات الخلائق كلها ولقد علمنا
المستقدمين منكم ولقد علمنا المستاخرين من استقدم ولادة وموتا ومن استاخر او من خرج من اصلاب الرجال
ومن لم يخرج بعد او من تقدم في الاسلام والجهاد وسبق الى الطاعة او تاخر لا يخفى علينا شيء من احوالكم وهو بيان لكمال
علمه بعد الاحتجاج على كمال قدرته فان ما يدل على كمال قدرته دليل على علمه وقيل رغب رسول الله صلى الله
عليه وسلم في الصف الاول فازدحموا عليه فنزلت وقيل ان امراة حسناء كانت تصلي خلف رسول الله
صلى الله عليه وسلم فتقدم بعض القوم لئلا ينظر اليها وتاخر بعض ليبصرها فنزلت وان ربك هو يحشرهم
لا محالة للجزاء وتوسيط الضمير للدلالة على انه القادر والمتولي لحشرهم لا غير وتصدير الجملة بان لتحقيق الوعد
والتنبيه على ان ما سبق من الدلالة على كمال قدرته وعلمه بتفاصيل الاشياء يدل على صحة الحكم كما صرح به بقوله
انه حكيم باهر الحكمة متقن في افعاله عليم وسع علمه كل شيء ولقد خلقنا الانسان من صلصال من طين يابس يصلصل
اي يصوت اذا نقر وقيل هو من صلصل اذا انتن تضعيف صل من حما طين تغير واسود من طول مجاورة الماء
وهو صفة صلصال اي كائن من حما مسنون مصور من سنة الوجه او مصبوب ليتيبس ويتصور كالجواهر
المذابة تصب في القوالب من السن وهو الصب كانه افرغ الحما فصور منها تمثال انسان اجوف فيبس حتى اذا نقر صلصل
ثم غير ذلك طورا بعد طور حتى سواه ونفخ فيه من روحه او منتن من سننت الحجر على الحجر اذا حككته به فان ما يسيل
بينهما يكون منتنا ويسمى سنينا والجان ابا الجن وقيل ابليس ويجوز ان يراد به الجنس كما هو الظاهر من الانسان لان تشعب
الجنس لما كان من شخص واحد خلق من مادة واحدة كان الجنس باسره مخلوقا منها وانتصابه بفعل يفسره

الى الاصح وانعقاد القسم بامهال الله صلاة وقيل السببية والمعتزلة لما اولوا الاغواء بالنسبة الى الغي او التسبب له بامره
اياه بالسجود لآدم عليه السلام او بالاضلال عن طريق الجنة واعتذروا عن امهال الله تعالى له وهو سبب لزيادة غيه وتسليط
له على اغواء بني آدم بان الله تعالى علم منه وممن تبعه انهم يموتون على الكفر ويصيرون الى النار امهل او لم يمهل وان في
امهاله تعريضا لمن خالفه لاستحقاق مزيد الثواب وضعف ذلك لا يخفى على ذوي الالباب ولاغوينهم اجمعين ولاحملنهم
اجمعين على الغواية الا عبادك منهم المخلصين الذين اخلصتهم لطاعتك وطهرتهم من الشوائب فلا يعمل فيهم كيدي وقرأ ابن
كثير وابن عامر وابو عمرو بالكسر في كل القرآن اي الذين اخلصوا نفوسهم لله قال هذا صراط علي حق علي ان اراعيه مستقيم
لا انحراف عنه والاشارة الى ما تضمنه الاستثناء وهو تخلص المخلصين من اغوائه او الاخلاص على انه طريق علي يؤدي
الى الوصول الي من غير اعوجاج وضلال وقرئ علي من علو الشرف ان عبادي ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك
من الغاوين تصديق لابليس فيما استثناه وتغيير الوضع لتعظيم المخلصين ولان المقصود بيان عصمتهم وانقطاع
مخالب الشيطان عنهم او تكذيب له فيما اوهم ان له سلطانا على من ليس بمخلص من عباده فان منتهى تزيينه التحريض والتدليس
كما قال وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي وعلى هذا يكون الاستثناء منقطعا وعلى الاول
يدفع قول من شرط ان يكون المستثنى اقل من الباقي لافضائه الى تناقض الاستثنائين وان جهنم لموعدهم لموعد الغاوين
او المتبعين اجمعين تاكيد للضمير او حال والعامل فيها الموعد ان جعلته مصدرا على تقدير مضاف ومعنى الاضافة
ان جعلته اسم مكان فانه لا يعمل لها سبعة ابواب يدخلون فيها لكثرتهم او طبقات ينزلونها بحسب مراتبهم
في المتابعة وهي جهنم ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم سقر ثم الجحيم ثم الهاوية ولعل تخصيص العدد لانحصار مجامع المهلكات
في الركون الى المحسوسات ومتابعة القوة الشهوية والغضبية او لان اهلها سبع فرق لكل باب منهم من الاتباع جزء
مقسوم افرز له فاعلاها للموحدين العصاة والثاني لليهود والثالث للنصارى والرابع للصابئين والخامس للمجوس
والسادس للمشركين والسابع للمنافقين وقرأ ابو بكر جزؤ بالتثقيل وقرئ جز على حذف الهمزة والقاء حركتها على الزاي ثم الوقف
عليه بالتشديد ثم اجراء الوصل مجرى الوقف منهم حال منه او من المستكن في الظرف لا في مقسوم لان الصفة لا تعمل
فيما تقدم موصوفها ان المتقين من اتباعه في الكفر والفواحش فان غيرها مكفرة في جنات وعيون لكل واحد جنة وعين
او لكل عدة منهما كقوله ولمن خاف مقام ربه جنتان ثم قوله ومن دونهما جنتان وقوله مثل الجنة التي وعد
المتقون فيها انهار من ماء غير آسن الآية وقرأ نافع وابو عمرو وحفص وهشام عيون بضم العين حيث وقع والباقون
بكسر العين ادخلوها على ارادة القول وقرئ بقطع الهمزة وكسر الخاء على انه ماض فلا يكسر التنوين بسلام سالمين
او مسلما عليكم آمنين من الآفات والزوال ونزعنا في الدنيا بما الف بين قلوبهم او في الجنة بتطييب نفوسهم ما في صدورهم من غل
من حقد كان في الدنيا وعن علي رضي الله تعالى عنه ارجو ان اكون انا وعثمان وطلحة والزبير منهم او من التحاسد
على درجات الجنة ومراتب القرب اخوانا حال من الضمير في جنات او فاعل ادخلوها او الضمير في آمنين او الضمير المضاف
اليه والعامل فيها معنى الاضافة وكذا قوله على سرر متقابلين ويجوز ان يكونا صفتين لاخوانا او حالين من ضميره

وهو فعل الله تعالى الملهم من قرب بالاختصاص به فلما جاء آل لوط المرسلون قال إنكم قوم منكرون تنكركم نفسي وتنفر
عنكم مخافة أن تطرقوني بشر قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون أي ما جئناك بما تنكرنا لأجله بل جئناك بما يسرك ويشفي لك
من عدوك وهو العذاب الذي توعدتهم به فيمترون فيه وأتيناك بالحق باليقين من عذابهم وإنا لصادقون فيما أخبرناك
به فأسر بأهلك فاذهب بهم في الليل وقرأ الحجازيان بوصل الألف من السرى وهما بمعنى وقرئ فسر من السير بقطع من
الليل في طائفة من الليل وقيل في آخره قال افتحي الباب وانظري في النجوم كم ليلها من قطع ليل عجيب واتبع أدبارهم
وكن على أثرهم تذودهم وتسرع بهم وتطلع على حالهم ولا يلتفت منكم أحد لينظر ما وراءه فيرى من الهول ما لا يطيقه
أو فيصيبه ما أصابهم أو ولا ينصرف أحدكم ولا يتخلف لغرض فيصيبه العذاب وقيل نهوا عن الالتفات
ليوطنوا نفوسهم على المهاجرة وامضوا حيث تؤمرون إلى حيث أمركم الله بالمضي إليه وهو الشام أو مصر فعدى وامضوا إلى
حيث وتؤمرون إلى الضمير المحذوف على الاتساع وقضينا إليه أي أوحينا إليه مقضيا ولذلك عدي بإلى ذلك
الأمر مبهم يفسره أن دابر هؤلاء مقطوع ومحله النصب على البدل منه وفي ذلك تفخيم للأمر وتعظيم له وقرئ
بالكسر على الاستئناف والمعنى أنهم يستأصلون عن آخرهم حتى لا يبقى منهم أحد مصبحين داخلين في الصبح وهو حال من هؤلاء
أو من الضمير في مقطوع وجمعه للحمل على المعنى فإن دابر هؤلاء في معنى مدبري هؤلاء وجاء أهل المدينة سدوم يستبشرون
بأضياف لوط طمعا فيهم قال إن هؤلاء ضيفي فلا تفضحون بفضيحة ضيفي فإن من أسيء إلى ضيفه فقد أسيء إليه واتقوا
الله في ركوب الفاحشة ولا تخزون ولا تذلون بسببهم من الخزي وهو الهوان أو لا تخجلون فيهم من الخزاية وهو الحياء
قالوا أولم ننهك عن العالمين عن أن تجير منهم أحدا أو تمنع بيننا وبينهم فإنهم كانوا يتعرضون لكل أحد وكان لوط يمنعهم عنه
بقدر وسعه أو عن ضيافة الناس وإنزالهم قال هؤلاء بناتي يعني نساء القوم فإن نبي كل أمة بمنزلة أبيهم وفيه وجوه
ذكرت في سورة هود إن كنتم فاعلين قضاء الوطر أو ما أقول لكم لعمرك قسم بحياة المخاطب وهو النبي صلى الله
عليه وسلم وقيل لوط قالت الملائكة له ذلك والتقدير لعمرك قسمي وهو لغة في العمر يختص به القسم لإيثار الأخف فيه لأنه
كثير الدور على ألسنتهم إنهم لفي سكرتهم لفي غوايتهم أو شدة غلمتهم التي أزالت عقولهم وتمييزهم بين خطئهم والصواب
الذي يشار به إليهم يعمهون يتحيرون فكيف يسمعون نصحك وقيل الضمير لقريش والجملة اعتراض فأخذتهم
الصيحة يعني صيحة هائلة مهلكة وقيل صيحة جبريل مشرقين داخلين في وقت شروق الشمس فجعلنا عاليها إلى المدينة
أو عالي قراهم سافلها وصارت منقلبة بهم وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل من طين متحجر أو طين عليه كتاب من
السجل وقد سبق مزيد بيان لهذه القصة في سورة هود إن في ذلك لآيات للمتوسمين للمتفكرين المتفرسين الذين
يتثبتون في نظرهم حتى يعرفوا حقيقة الشيء بسمته وإنها وإن المدينة أو القرى لبسبيل مقيم ثابت يسلكه الناس
ويرون آثارها إن في ذلك لآية للمؤمنين بالله ورسله وإن كان أصحاب الأيكة لظالمين هم قوم شعيب كانوا يسكنون
الغيضة فبعثه الله إليهم فكذبوه فأهلكوا بالظلة والأيكة الشجرة المتكاثفة فانتقمنا منهم بالإهلاك وإنهما يعني سدوم و
الأيكة وقيل الأيكة ومدين فإنه كان مبعوثا إليهما فكان ذكر أحدهما منبها على الآخر لبإمام مبين لبطريق واضح

هم الذين جعلوا القرآن عضين حيث قالوا عناداً بعضه حق موافق للتوراة والانجيل وبعضه باطل مخالف لهما او
قسموه الى شعر وسحر وكهانة واساطير الاولين او اهل الكتاب آمنوا ببعض كتبهم وكفروا ببعض على ان القرآن ما يقرؤونه
من كتبهم فيكون ذلك تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله لا تمدن الى آخره اعتراضاً ممداً لها الذين جعلوا القرآن
عضين اجزاء جمع عضة واصلها عضوة من عضى الشاة اذا جعلها اعضاء وقيل هي فعلة من عضهته اذا بهته وقيل اسحار وعن
عكرمة العضه السحر وفي الحديث لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم العاضهة والمستعضهة وانما جمع جمع السلامة جبراً للمحذوف منه
والموصول بصلته صفة للمقتسمين او مبتدأ خبره فوربك لنسألنهم اجمعين عما كانوا يعملون من التقسيم او النسبة الى السحر فيجازيهم
عليه وقيل عام في كل ما فعلوا من الكفر والمعاصي فاصدع بما تؤمر فاجهر به من صدع بالحجة اذا تكلم بها جهاراً او فافرق به بين الحق و
الباطل واصله الابانة والتمييز وما مصدرية او موصولة والراجع محذوف اي بما تؤمر به من الشرائع واعرض عن المشركين فلا تلتفت
الى ما يقولون انا كفيناك المستهزئين بقمعهم واهلاكهم قيل كانوا خمسة من اشراف قريش الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل وعدي
بن قيس والاسود بن عبد يغوث والاسود بن المطلب يبالغون في ايذاء النبي صلى الله عليه وسلم والاستهزاء به فقال جبريل لرسول الله صلى الله
عليه وسلم امرت ان اكفيكهم فاومأ الى ساق الوليد فمر بنبال فتعلق بثوبه سهم فلم ينعطف تعظماً لاخذه فاصاب عرقاً في عقبه
فقطعه فمات واومأ الى اخمص العاص فدخلت فيه شوكة فانتفخت رجله حتى صارت كالرحى ومات واشار الى انف عدي
فامتخط قيحاً ومات واشار الى الاسود بن عبد يغوث وهو قاعد في اصل شجرة فجعل ينطح رأسه بالشجرة ويضرب وجهه بالشوك حتى مات
واومأ الى عيني الاسود بن المطلب فعمي الذين يجعلون مع الله الهاً آخر فسوف يعلمون عاقبة امرهم في الدارين ولقد نعلم
انك يضيق صدرك بما يقولون من الشرك والطعن في القرآن والاستهزاء بك فسبح بحمد ربك فافزع الى الله فيما نابك
بالتسبيح والتحميد يكفك ويكشف الغم عنك او فنزهه عما يقولون حامداً له على ان هداك للحق وكن من الساجدين من
المصلين وعنه عليه السلام انه كان اذا حزبه امر فزع الى الصلاة واعبد ربك حتى يأتيك اليقين اي الموت فانه متيقن لحاقه
كل حي مخلوق والمعنى فاعبده ما دمت حياً ولا تخل بالعبادة لحظة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ
سورة الحجر كان له من الاجر عشر حسنات بعدد المهاجرين والانصار والمستهزئين بمحمد صلى الله عليه وسلم

سورة النحل مكية غير ثلاث آيات في آخرها وهي مائة وثمان وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

اتى امر الله فلا تستعجلوه كانوا يستعجلون ما اوعدهم الرسول من قيام الساعة او اهلاك الله تعالى اياهم كما فعل يوم
بدر استهزاء وتكذيباً ويقولون ان صح ما يقوله فالاصنام تشفع لنا وتخلصنا منه فنزلت والمعنى ان الامر الموعود به بمنزلة
الآتي المتحقق من حيث انه واجب الوقوع فلا تستعجلوا وقوعه فانه لا خير لكم فيه ولا خلاص لكم عنه سبحانه وتعالى عما
يشركون تبرأ وجل عن ان يكون له شريك فيدفع ما اراد بهم وقرأ حمزة والكسائي بالتاء على وفق قوله فلا تستعجلوه
والباقون بالياء على تلوين الخطاب او على ان الخطاب في فلا تستعجلوه للمؤمنين او لهم ولغيرهم لما روي انه لما نزلت
اتى امر الله فوثب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورفع الناس رؤوسهم فنزلت فلا تستعجلوه ينزل الملائكة بالروح

او مصدر فى موضع الحال من احد الضميرين اى متزينين او متزينا بها واستدل به على حرمة لحومها ولا دليل فيه
اذ لا يلزم من تعليل الفعل بما يقصد منه غالبا ان لا يقصد منه غيره اصلا ويدل عليه ان الاية مكية و
عامة المفسرين والمحدثين على ان الحمر الاهلية حرمت عام خيبر ويخلق ما لا تعلمون لما فصل الحيوانات التى يحتاج اليها غالبا
احتياجا ضروريا او غير ضرورى اجمل غيرها ويجوز ان يكون اخبارا بان له من الخلائق ما لا علم لنا به وان يراد به
ما خلق فى الجنة والنار مما لم يخطر على قلب بشر وعلى الله قصد السبيل بيان مستقيم الطريق الموصل الى الحق او اقامة
السبيل وتعديلها رحمة وفضلا او عليه قصد السبيل يصل اليه من يسلكه لا محالة يقال سبيل قصد وقاصد اى مستقيم
كانه يقصد الوجه الذى يقصده السالك لا يميل عنه والمراد بالسبيل الجنس ولذلك اضاف اليها القصد وقال ومنها
جائر مائل عن القصد او عن الله وتغيير الاسلوب لانه ليس بحق على الله ان يبين طريق الضلالة او لان المقصود بيان
سبيله وتقسيم السبيل الى القصد والجائر انما جاء بالعرض وقرئ ومنكم جائر اى عن القصد ولو شاء لهداكم اجمعين اى
ولو شاء هدايتكم اجمعين لهداكم الى قصد السبيل هداية مستلزمة للاهتداء هو الذى انزل من السماء من السحاب او من جانب
السماء ماء لكم منه شراب ما تشربونه ولكم صلة انزل او خبر شراب ومن تبعيضية متعلقة به وتقديمها يوهم حصر
المشروب فيه ولا باس به لان مياه العيون والابار منه لقوله فسلكه ينابيع وقوله فاسكناه فى الارض ومنه شجر
ومنه يكون شجر يعنى الشجر الذى ترعاه المواشى وقيل كل ما نبت على الارض شجر قال يعلفها اللحم اذا عز الشجر والخيل
فى اطعامها اللحم ضرر فيه تسيمون ترعون من سامت الماشية واسامها صاحبها واصلها السومة وهى العلامة
لانها تؤثر بالرعى علامات ينبت لكم به الزرع وقرأ ابو بكر بالنون على التفخيم والزيتون والنخيل والاعناب
ومن كل الثمرات وبعض كلها اذ لم ينبت فى الارض كل ما يمكن من الثمرات ولعل تقديم ما يسام فيه على ما يؤكل
منه لانه سيصير غذاء حيوانيا هو اشرف الاغذية ومن هذا تقديم الزرع والتصريح بالاجناس الثلاثة وترتيبها
ان فى ذلك لاية لقوم يتفكرون على وجود الصانع وحكمته فان من تامل ان الحبة تقع فى الارض وتصل اليها
نداوة تنفذ فيها فينشق اعلاها ويخرج منه ساق الشجرة وينشق اسفلها فيخرج منها عروقها ثم تنمو ويخرج
منها الاوراق والازهار والاكمام والثمار ويشتمل كل منها على اجسام مختلفة الاشكال والطبائع مع اتحاد المواد
ونسبة الطبائع السفلية والتاثيرات الفلكية الى الكل علم ان ذلك ليس الا بفعل فاعل مختار مقدس عن
منازعة الاضداد والانداد ولعل فصل الاية به لذلك وسخر لكم الليل والنهار والشمس
والقمر والنجوم بان هياها لمنافعكم مسخرات بامره حال من الجميع اى نفعكم بها حال كونها مسخرات
لله خلقها ودبرها كيف شاء او لما خلقن له بايجاده وتقديره او لحكمه وفيه ايذان بالجواب عما عسى
يقال ان المؤثر فى تكوين النبات حركات الكواكب واوضاعها فان ذلك ان سلم فلا ريب فى انها ايضا ممكنة الذات
والصفات واقعة على بعض الوجوه المحتملة فلا بد لها من موجد مخصص مختار واجب الوجود دفعا للدور والتسلسل
او مصدر جمع لاختلاف النوع وقرأ حفص والنجوم مسخرات على الابتداء والخبر فيكون تعميما للحكم بعد تخصيصه
ورفع ابن عامر الشمس والقمر ايضا ان فى ذلك لايات لقوم يعقلون جمع الاية وذكر العقل لانها تدل انواعا من الدلالة

أتبع ذلك تعداد النعم وإلزام الحجة على تفرده سبحانه باستحقاق العبادة تنبيها على أن وراء ما عدد نعما لا تنحصر وأن
حق عبادته غير مقدور إن الله لغفور حيث يتجاوز عن تقصيركم في أداء شكرها رحيم لا يقطعها لتفريطكم فيه
ولا يعاجلكم بالعقوبة على كفرانها والله يعلم ما تسرون وما تعلنون من عقائدكم وأعمالكم وهو وعيد وتزييف للشرك
باعتبار العلم والذين تدعون من دون الله أي والآلهة الذين تعبدونهم من دونه وقرأ أبو بكر يدعون بالياء وقرأ حفص
ثلاثتها بالياء لا يخلقون شيئا لما نفى المشاركة بين من يخلق ومن لا يخلق بين أنهم لا يخلقون شيئا لينتج أنهم لا يشاركونه
ثم أكد ذلك بأن أثبت لهم صفات تنافي الألوهية فقال وهم يخلقون لأنها ذوات ممكنة مفتقرة الوجود إلى التخليق والإله
ينبغي أن يكون واجب الوجود أموات هم أموات لا تعتريهم الحياة أو أموات حالا أو مآلا غير أحياء بالذات
ليتناول كل معبود والإله ينبغي أن يكون حيا بالذات لا يعتريه الممات وما يشعرون أيان يبعثون ولا يعلمون وقت بعثهم
أو بعث عبدتهم فكيف يكون لهم وقت جزاء على عبادتهم والإله ينبغي أن يكون عالما بالغيوب مقدرا للثواب والعقاب وفيه
تنبيه على أن البعث من توابع التكليف إلهكم إله واحد تكرير للمدعى بعد إقامة الحجج فالذين لا يؤمنون بالآخرة
قلوبهم منكرة وهم مستكبرون بيان لما اقتضى إصرارهم بعد وضوح الحق وذلك عدم إيمانهم بالآخرة فإن المؤمن
بها يكون طالبا للدلائل متأملا فيما يسمع فينتفع به والكافر بها يكون حاله بالعكس وإنكار قلوبهم ما لا يعرف
إلا بالبرهان اتباعا للأسلاف وركونا إلى المألوف فإنه ينافي النظر والاستكبار عن اتباع الرسول وتصديقه والالتفات
إلى قوله والأول هو العمدة في الباب ولذلك رتب عليه ثبوت الآخرين لا جرم حقا إن الله يعلم ما يسرون
وما يعلنون فيجازيهم وهو في موضع الرفع بجرم لأنه مصدر أو فعل إنه لا يحب المستكبرين فضلا عن
الذين استكبروا عن توحيده أو اتباع رسوله وإذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم القائل بعضهم على سبيل التهكم
أو الوافدون عليهم أو المسلمون قالوا أساطير الأولين أي ما تدعون نزوله أو المنزل أساطير الأولين وإنما سموه
منزلا على التهكم أو على الفرض أي على تقدير أنه منزل فهو أساطير الأولين لا تحقيق فيه والقائلون له قيل هم المقتسمون
ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة أي قالوا ذلك إضلالا للناس فحملوا أوزار ضلالهم كاملة فإن إضلالهم نتيجة
رسوخهم في الضلال ومن أوزار الذين يضلونهم وبعض أوزار ضلال من يضلونهم وهو حصة التسبب
بغير علم حال من المفعول أي يضلون من لا يعلم أنهم ضلال وفائدتها الدلالة على أن جهلهم لا يعذرهم إذ كان عليهم
أن يبحثوا ويميزوا بين المحق والمبطل ألا ساء ما يزرون بئس شيئا يزرونه فعلهم قد مكر الذين من قبلهم أي سووا
منصوبات ليمكروا بها رسل الله فأتى الله بنيانهم من القواعد فأتاها أمره من جهة العمد التي بنوا عليها بأن
ضعضعت فخر عليهم السقف من فوقهم وصار سبب هلاكهم وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون لا يحتسبون
ولا يتوقعون وهو على سبيل التمثيل وقيل المراد به نمرود بن كنعان بنى الصرح ببابل سمكه خمسة آلاف ذراع ليترصد
أمر السماء فأهب الله الريح فخر عليه وعلى قومه فهلكوا ثم يوم القيامة يخزيهم يذلهم أو يعذبهم بالنار لقوله ربنا
إنك من تدخل النار فقد أخزيته ويقول أين شركائي أضاف إلى نفسه استهزاء أو حكاية لإضافتهم زيادة في توبيخهم

ما انكر عليهم من الشرك وتحريم البحائر ونحوها محتجين بانها لو كانت مستقبحة لما شاء الله تعالى صدورها منهم ولشاء خلافه
ملجئا اليه لا اعتذارا اذ لم يعتقدوا قبح اعمالهم وفيما بعده تنبيه على الجواب عن الشبهتين كذلك فعل الذين من قبلهم
فاشركوا بالله تعالى وحرموا حله وردوا رسله فهل على الرسل الا البلاغ المبين الا الابلاغ الموضح للحق وهو ان لم يوثر في هدى من
شاء الله تعالى هداه لكنه يؤدي اليه على سبيل التوسط وما شاء الله تعالى وقوعه انما يجب وقوعه لا مطلقا بل باسباب قدرها
ثم بين ان البعثة امر جرت به السنة الالهية في الامم كلها سببا لهدى من اراد الله تعالى اهتداءه وزيادة الضلال
لمن اراد الله تعالى ضلاله كالغذاء الصالح فانه ينفع المزاج السوي ويقويه ويضر المنحرف ويفنيه بقوله ولقد بعثنا
في كل امة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت يامر بعبادة الله تعالى واجتناب الطاغوت فمنهم من هدى الله
وفقهم للايمان بارشادهم ومنهم من حقت عليه الضلالة اذ لم يوفقهم ولم يرد هدايتهم وفيه تنبيه على فساد الشبهة الثانية
لما فيه من الدلالة على ان تحقق الضلال وثباته بفعل الله تعالى وارادته من حيث انه قسيم من هدى الله وقد صرح به
في الآية الاخرى فسيروا في الارض يا معشر قريش فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين من عاد وثمود وغيرهم لعلكم
تعتبرون ان تحرص على هداهم فان الله لا يهدي من يضل من يريد ضلاله وهو المعني بمن حقت عليه الضلالة
وقرأ غير الكوفيين لا يهدى على البناء للمفعول وهو ابلغ وما لهم من ناصرين من ينصرهم بدفع العذاب عنهم واقسموا بالله
جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت عطف على وقال الذين اشركوا ايذانا بانهم كما انكروا التوحيد انكروا البعث مقسمين
عليه زيادة في البت على فساده وقد رد الله تعالى عليهم ابلغ رد فقال بلى يبعثهم وعدا مصدر مؤكد لنفسه وهو ما دل
عليه بلى فان يبعث موعد من الله عليه حقا انجازه لامتناع الخلف في وعده تعالى او لان البعث مقتضى حكمته حقا
صفة اخرى للوعد ولكن اكثر الناس لا يعلمون انهم يبعثون اما لعدم علمهم بانه من مواجب الحكمة التي جرت
عادته تعالى بمراعاتها واما لقصور نظرهم بالمألوف فيتوهمون امتناعه ثم انه تعالى بين الامرين فقال ليبين لهم
اي يبعثهم ليبين لهم الذي يختلفون فيه هو الحق وليعلم الذين كفروا انهم كانوا كاذبين فيما كانوا يزعمون
وهو اشارة الى السبب الداعي الى البعث المقتضي له من حيث الحكمة وهو المميز بين الحق والباطل والمحق والمبطل بالثواب
والعقاب انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون وهو بيان امكانه وتقريره ان تكوين الله تعالى بمحض
قدرته ومشيئته لا توقف له على سبق المواد والمدد والا لزم التسلسل فكما امكن له تعالى تكوين الاشياء ابتداء بلا سبق
مادة ومثال امكن له تعالى تكوينها اعادة بعده ونصب ابن عامر والكسائي هنا وفي يس فيكون عطفا على نقول او جوابا
للامر والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا هم رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه المهاجرون رضي الله عنهم
ظلمهم قريش فهاجر بعضهم الى الحبشة ثم الى المدينة وبعضهم الى المدينة او المحبوسون المعذبون بمكة بعد هجرة
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم بلال وصهيب وخباب وعمار وعابس وابو جندل وسهيل وقوله في الله اي في
حقه ولوجهه لنبوئنهم في الدنيا حسنة مباءة حسنة وهي المدينة او تبوئة حسنة ولاجر الآخرة اكبر مما تعجل لهم في الدنيا
وعن عمر رضي الله تعالى عنه انه كان اذا اعطى رجلا من المهاجرين عطاء قال له خذ بارك الله تعالى فيه هذا ما وعدك الله

كل واحد ... سجدا حال من الظلال وهم داخرون حال من الضمير والمعنى ترجع الظلال بارتفاع

الشمس وانحدارها او باختلاف مشارقها ومغاربها بتقدير الله تعالى من جانب الى جانب منقادة لما قدر لها من التفيؤ او واقعة

على الارض ملتصقة بها على هيئة الساجد والاجرام في انفسها ايضا داخرة اي صاغرة منقادة لافعال الله تعالى فيها

وجمع داخرون بالواو لان من جملتها من يعقل او لان الدخور من اوصاف العقلاء وقيل المراد باليمين والشمائل يمين الفلك

وهو جانبه الشرقي لان الكواكب تظهر منه اخذة في الارتفاع والسطوع وشماله وهو الجانب الغربي المقابل له فان الظلال

في اول النهار تبتدئ من المشرق واقعة على الربع الغربي من الارض وعند الزوال تبتدئ من المغرب واقعة على الربع

الشرقي من الارض ولله يسجد ما في السموات وما في الارض ينقاد انقيادا يعم الانقياد لارادته وتاثيره

طبعا والانقياد لتكليفه وامره طوعا ليصح اسناده الى عامة اهل السموات والارض وقوله من دابة بيان

لهما لان الدبيب هو الحركة الجسمانية سواء كان في ارض او سماء والملئكة عطف على المبين به عطف جبريل على الملئكة

للتعظيم او عطف المجردات على الجسمانيات وبه احتج من قال ان الملئكة ارواح مجردة او بيان لما في الارض والملئكة تكرير لما في

السموات وتعيين له اجلالا واعظاما او المراد بها ملئكتها من الحفظة وغيرهم وما لما استعمل للعقلاء كما استعمل

لغيرهم كان استعماله حيث اجتمع القبيلان اولى من اطلاق من تغليبا للعقلاء وهم لا يستكبرون عن عبادته

يخافون ربهم من فوقهم يخافونه ان يرسل عذابا من فوقهم او يخافونه وهو فوقهم بالقهر لقوله وهو القاهر

فوق عباده والجملة حال من الضمير في لا يستكبرون او بيان له وتقرير له لان من خاف الله تعالى لم يستكبر عن عبادته

ويفعلون ما يؤمرون من الطاعة والتدبير وفيه دليل على ان الملئكة مكلفون مدارون بين الخوف والرجاء

وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين ذكر العدد مع ان المعدود يدل عليه دلالة على ان مساق النهي اليه او ايماء بان الاثنينية

تنافي الالهية كما ذكر الواحد في قوله انما هو اله واحد للدلالة على ان المقصود اثبات الوحدانية دون الالهية

او للتنبيه على ان الوحدة من لوازم الالهية فاياي فارهبون نقل من الغيبة الى التكلم مبالغة في الترهيب

وتصريحا بالمقصود كانه قال فانا ذلك الاله الواحد فاياي فارهبون لا غير وله ما في السموات والارض خلقا و

ملكا وله الدين اي الطاعة واصبا لازما لما تقرر من انه الاله وحده والحقيق بان يرهب منه وقيل واصبا من الوصب

اي وله الدين ذا كلفة وقيل الدين الجزاء اي وله الجزاء دائما لا ينقطع ثوابه لمن امن وعقابه لمن كفر افغير الله تتقون ولا ضار سواه

كما لا نافع غيره كما قال وما بكم من نعمة فمن الله اي واي شيء اتصل بكم من نعمة فهو من الله تعالى وما شرطية او موصولة

متضمنة معنى الشرط باعتبار الاخبار دون الحصول فان استقرار النعمة بهم يكون سببا للاخبار بانها من الله تعالى لا لحصولها

منه ثم اذا مسكم الضر فاليه تجأرون فما تتضرعون الا اليه والجؤار رفع الصوت في الدعاء والاستغاثة ثم اذا

كشف الضر عنكم اذا فريق منكم بربهم يشركون وهم كفاركم في العبادة غيره هذا اذا كان الخطاب عاما فان كان خاصا

بالمشركين كان من للبيان كانه قال فاذا فريق هم انتم ويجوز ان يكون من للتبعيض على ان يعتبر بعضهم كقوله فلما

نجاهم الى البر فمنهم مقتصد ليكفروا بما اتيناهم من نعمة الكشف عنهم كانهم قصدوا بشركهم كفران النعمة او انكار

مصدري ... أمثالهم والولي القرين أو الناصر فيكون نفيا للناصر لهم على أبلغ الوجوه ولهم عذاب أليم في القيامة وما
أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم للناس الذي اختلفوا فيه من التوحيد والقدر وأحوال المعاد وأحكام الأفعال
وهدى ورحمة لقوم يؤمنون معطوفان على محل لتبين فإنهما فعلا المنزل بخلاف التبيين والله أنزل من السماء ماء فأحيا به
الأرض بعد موتها أنبت فيها أنواع النبات بعد يبسها إن في ذلك لآية لقوم يسمعون سماع تدبر وإنصاف
وإن لكم في الأنعام لعبرة دلالة يعبر بها من الجهل إلى العلم نسقيكم مما في بطونه استئناف لبيان العبرة
وإنما ذكر الضمير ووحده ههنا للفظ وأنثه في سورة المؤمنين للمعنى فإن الأنعام اسم جمع ولذلك عده سيبويه في المفردات
المبنية على أفعال كأخلاق وأكياش ومن قال إنه جمع نعم جعل الضمير للبعض فإن اللبن لبعضها دون جميعها أو لواحده أو له
على المعنى فإن المراد به الجنس وقرأ نافع وابن عامر وأبو بكر ويعقوب نسقيكم بالفتح هنا وفي المؤمنين من بين فرث ودم
لبنا فإنه يخلق من بعض أجزاء الدم المتولد من الأجزاء اللطيفة التي في الفرث وهو الأشياء المأكولة المنهضمة بعض الانهضام
في الكرش وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن البهيمة إذا اعتلفت وانطبخ العلف في كرشها كان أسفله فرثا وأوسطه لبنا
وأعلاه دما ولعله إن صح فالمراد أن أوسطه يكون مادة اللبن وأعلاه مادة الدم الذي يغذي البدن لأنهما
لا يتكونان في الكرش بل الكبد يجذب صفاوة الطعام المنهضم في الكرش ويبقى ثفله وهو الفرث ثم
يمسكها ريثما يهضمها فيحدث أخلاطا أربعة معها مائية فتميز القوة المميزة تلك المائية بما زاد على قدر الحاجة
من المرتين وتدفعها إلى الكلية والمرارة والطحال ثم توزع الباقي على الأعضاء بحسبها فيجري إلى كل حقه على ما يليق به بتقدير الحكيم
العليم ثم إن كان الحيوان أنثى زاد أخلاطها على قدر غذائها لاستيلاء البرد والرطوبة على مزاجها فيندفع الزائد أولا لأجل
الجنين إلى الرحم فإذا انفصل انصب ذلك الزائد أو بعضه إلى الضروع فيبيض لمجاورة لحومها الغددية البيض فيصير
لبنا ومن تدبر صنع الله تعالى في إحداث الأخلاط والألبان وإعداد مقارها ومجاريها والأسباب المولدة لها والقوى المتصرفة
فيها كل وقت على ما يليق به اضطر إلى الإقرار بكمال حكمته وتناهي رحمته ومن الأولى تبعيضية لأن اللبن بعض ما في بطونها
والثانية ابتدائية كقولك سقيت من الحوض لأن بين الفرث والدم المحل الذي يبتدأ منه الإسقاء وهي متعلقة
بنسقيكم أو حال من لبنا قدمت عليه لتنكيره وللتنبيه على أنه موضع العبرة خالصا صافيا لا يستصحب لون الدم ولا رائحة
الفرث أو مصفى عما يصحبه من الأجزاء الكثيفة بتضييق مخرجه سائغا للشاربين سهل المرور في حلقهم وقرئ
سيغا بالتشديد والتخفيف ومن ثمرات النخيل والأعناب متعلق بمحذوف أي ونسقيكم من ثمرات النخيل والأعناب أي من
عصيرهما وقوله تتخذون منه سكرا استئناف لبيان الإسقاء أو بتتخذون ومنه تكرير للظرف تأكيدا أو خبر لمحذوف صفته تتخذون أي ومن
ثمرات النخيل والأعناب ثمر تتخذون منه وتذكير الضمير على الوجهين الأولين لأنه للمضاف المحذوف الذي هو العصير أو لأن الثمرات
بمعنى الثمر والسكر مصدر سمي به الخمر ورزقا حسنا كالتمر والزبيب والدبس والخل والآية إن كانت سابقة على تحريم الخمر
فدالة على كراهتها وإلا فجامعة بين العتاب والمنة وقيل السكر النبيذ وقيل الطعم قال جعلت أعراض الكرام سكرا أي تنقلت
بأعراضهم وقيل ما يسد الجوع من السكر فيكون الرزق ما يحصل من أثمانه إن في ذلك لآية لقوم يعقلون يستعملون

فيستووا في الرزق على أنه رد وإنكار على المشركين فإنهم يشركون بالله
بعض مخلوقاته في الألوهية ولا يرضون أن يشاركهم عبيدهم فيما أنعم الله تعالى عليهم فيساووهم فيه أفبنعمة الله
يجحدون حيث يتخذون له شركاء فإنه يقتضي أن يضاف إليهم بعض ما أنعم الله عليهم ويجحدوا أنه من عند الله تعالى
أو حيث أنكروا أمثال هذه الحجج بعدما أنعم الله تعالى عليهم بإيضاحها والباء لتضمن الجحود معنى الكفر وقرأ أبو بكر تجحدون بالتاء
لقوله خلقكم وفضل بعضكم والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا أي من جنسكم لتأنسوا بها ولتكون أولادكم
مثلكم وقيل هو خلق حواء من آدم وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة وأولاد أولاد أو بنات فإن الحافد هو المسرع في
الخدمة والبنات يخدمن في البيوت أتم خدمة وقيل هم الأختان على البنات وقيل الربائب ويجوز أن يراد بها البنون
أنفسهم والعطف لتغاير الوصفين ورزقكم من الطيبات من اللذائذ أو من الحلالات ومن للتبعيض فإن
المرزوق في الدنيا أنموذج منها أفبالباطل يؤمنون وهو أن الأصنام تنفعهم أو أن من الطيبات ما يحرم عليهم
كالبحائر والسوائب وبنعمة الله هم يكفرون حيث أضافوا نعمه إلى الأصنام أو حرموا ما أحل الله تعالى لهم وتقديم الصلة
على الفعل إما للاهتمام أو لإيهام التخصيص مبالغة أو للمحافظة على الفواصل ويعبدون من دون الله ما لا يملك
لهم رزقا من السموات والأرض شيئا من مطر ونبات ورزقا إن جعلته مصدرا فشيئا منصوب به وإلا فبدل منه
ولا يستطيعون أن يتملكوه أو لا استطاعة لهم أصلا وجمع الضمير فيه وتوحيده في لا يملك لأن ما مفرد في معنى الآلهة
ويجوز أن يعود إلى الكفار أي ولا يستطيع هؤلاء مع أنهم أحياء متصرفون شيئا من ذلك فكيف بالجماد فلا تضربوا لله
الأمثال فلا تجعلوا لله مثلا تشركونه به أو تقيسونه عليه فإن ضرب المثل تشبيه حال بحال إن الله يعلم فساد ما تعولون عليه
من القياس على أن عبادة عبيد الملك أدخل في التعظيم من عبادته أو عظم جرمكم فيما تفعلون وأنتم لا تعلمون ذلك
ولو علمتموه لما جرأتم عليه فهو تعليل للنهي أو أنه يعلم كنه الأشياء وأنتم لا تعلمونه فدعوا رأيكم دون نصه ويجوز أن
يراد فلا تضربوا لله الأمثال فإنه يعلم كيف تضرب الأمثال وأنتم لا تعلمون ثم علمهم كيف تضرب فضرب مثلا لنفسه ولمن
عبد دونه فقال ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شيء ومن رزقناه منا رزقا حسنا فهو ينفق منه سرا وجهرا
مثل ما يشرك به بالمملوك العاجز عن التصرف رأسا ومثل نفسه بالحر المالك الذي رزقه الله مالا كثيرا فهو يتصرف فيه
وينفق منه كيف يشاء واحتج بامتناع الاشتراك والتسوية بينهما مع تشاركهما في الجنسية والمخلوقية على امتناع التسوية
بين الأصنام التي هي أعجز المخلوقات وبين الله تعالى الغني القادر على الإطلاق وقيل هو تمثيل للكافر المخذول والمؤمن الموفق وتقييد
العبد بالمملوك للتمييز عن الحر فإنه أيضا عبد الله وسلب القدرة للتمييز عن المكاتب والمأذون وجعله قسيما للمالك
المتصرف يدل على أن المملوك لا يملك والأظهر أن من موصوفة ليطابق عبدا وجمع الضمير في يستوون لأنه للجنسين فإن المعنى
هل يستوي الأحرار والعبيد الحمد لله كل الحمد له لا يستحقه غيره فضلا عن العبادة لأنه مولى النعم كلها بل أكثرهم لا يعلمون
فيضيفون نعمه إلى غيره ويعبدونه لأجلها وضرب الله مثلا رجلين أحدهما أبكم ولد أخرس لا يفهم ولا يفهم
لا يقدر على شيء من الصنائع والتدابير لنقصان عقله وهو كل على مولاه عيال وثقل على من يلي أمره

لكم سرابيل ثيابا من الصوف والكتان والقطن وغيرها تقيكم الحر خصه بالذكر اكتفاء باحد الضدين او لان وقايته هو الاهم عندهم وسرابيل تقيكم بأسكم يعني الدروع والجواشن والسربال يعم كل ما يلبس كذلك كاتمام هذه النعم
التي تقدمت يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون اي تنظرون في نعمه فتؤمنون به او تنقادون لحكمه تعالى وقرئ
تسلمون من السلامة اي تشكرون فتسلمون من العذاب او تنظرون فيها فتسلمون من الشرك وقيل تسلمون من الجراح
بلبس الدروع فان تولوا اعرضوا ولم يقبلوا منك فانما عليك البلاغ المبين فلا يضرك فانما عليك البلاغ وقد بلغت
وهذا من اقامة السبب مقام المسبب يعرفون نعمة الله اي يعرف المشركون نعمة الله التي عددها عليهم وغيرها حيث
يعترفون بها وبانها من الله تعالى ثم ينكرونها بعبادتهم غير المنعم بها وقولهم انها بشفاعة آلهتنا او بسبب كذا او باعراضهم
عن اداء حقوقها وقيل نعمة الله نبوة محمد صلى الله عليه وسلم عرفوها بالمعجزات ثم انكروها عنادا ومعنى ثم استبعاد الانكار
بعد المعرفة واكثرهم الكافرون الجاحدون عنادا وذكر الاكثر اما لان بعضهم لم يعرف الحق لنقصان العقل او
التفريط في النظر او لم تقم عليه الحجة لانه لم يبلغ حد التكليف واما لانه يقام مقام الكل كما في قوله بل اكثرهم
لا يعلمون ويوم نبعث من كل امة شهيدا وهو نبيها يشهد لهم وعليهم بالايمان والكفر ثم لا يؤذن للذين
كفروا في الاعتذار اذ لا عذر لهم وقيل في الرجوع الى الدنيا وثم لزيادة ما يحيق بهم من شدة المنع عن الاعتذار
لما فيه من الاقناط الكلي عن ما يمنون به من شهادة الانبياء عليهم السلام عليهم ولا هم يستعتبون ولا هم
يسترضون من العتبى وهو الرضا وانتصاب يوم بمحذوف تقديره اذكر او خوفهم او يحيق بهم ما يحيق وكذا قوله
واذا رأى الذين ظلموا العذاب عذاب جهنم فلا يخفف عنهم اي العذاب ولا هم ينظرون يمهلون واذا رأى
الذين اشركوا شركاءهم اوثانهم التي دعوها شركاء او الشياطين الذين شاركوهم في الكفر بالحمل عليه قالوا ربنا هؤلاء
شركاؤنا الذين كنا ندعو من دونك نعبدهم او نطيعهم وهو اعتراف بانهم كانوا مخطئين في ذلك او التماس بان
يشطر عذابهم فالقوا اليهم القول انكم لكاذبون اي اجابوهم بالتكذيب في انهم شركاء الله تعالى او انهم ما عبدوهم حقيقة
وانما عبدوا اهواءهم كقوله كلا سيكفرون بعبادتهم ولا يمتنع انطاق الله تعالى الاصنام به حينئذ او في انهم حملوهم على الكفر
والزموهم اياه كقوله وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي والقوا والقى الذين ظلموا الى الله
يومئذ السلم الاستسلام لحكمه بعد الاستكبار في الدنيا وضل عنهم وضاع عنهم وبطل ما كانوا يفترون من
ان آلهتهم ينصرونهم ويشفعون لهم حين كذبوهم وتبرءوا منهم الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله بالمنع من
الاسلام والحمل على الكفر زدناهم عذابا لصدهم فوق العذاب المستحق بكفرهم بما كانوا يفسدون بكونهم مفسدين
بصدهم ويوم نبعث في كل امة شهيدا عليهم من انفسهم يعني نبيهم فان نبي كل امة بعث منهم وجئنا بك
شهيدا على هؤلاء على امتك ونزلنا عليك الكتاب تبيانا بيانا بليغا لكل شيء من امور الدين على
التفصيل او الاجمال بالاحالة الى السنة والقياس وهدى ورحمة للجميع وانما حرمان المحروم من تفريطه وبشرى
للمسلمين خاصة ان الله يأمر بالعدل بالتوسط في الامور اعتقادا كالتوحيد المتوسط بين التعطيل والتشريك

ولا تشتروا بعهد الله ولا تستبدلوا عهد الله وبيعة رسوله ثمناً قليلاً عرضاً يسيراً وهو ما كانت قريش يعدون لضعاف
المسلمين ويشترطون لهم على الارتداد انما عند الله من النصر والتغنيم في الدنيا والثواب في الاخرة هو خير لكم مما يعدونكم
ان كنتم تعلمون ان كنتم من اهل العلم والتمييز ما عندكم من اعراض الدنيا ينفد ينقضي ويفنى وما عند الله من خزائن رحمته
باق لا ينفد وهو تعليل للحكم السابق ودليل على ان نعيم اهل الجنة باق ولنجزين الذين صبروا على الفاقة
واذى الكفار او على مشاق التكاليف وقرأ ابن كثير وعاصم بالنون اجرهم باحسن ما كانوا يعملون بما ترجح فعله من اعمالهم
كالواجبات والمندوبات او بجزاء احسن من اعمالهم من عمل صالحاً من ذكر او انثى بينه بالنوعين دفعاً للتخصيص وهو
مؤمن اذ لا اعتداد باعمال الكفرة في استحقاق الثواب وانما المتوقع عليها تخفيف العقاب فلنحيينه حياة طيبة
في الدنيا يعيش عيشاً طيباً فانه ان كان موسراً فظاهر وان كان معسراً كان يطيب عيشه بالقناعة والرضا بالقسمة
وتوقع الاجر العظيم في الاخرة بخلاف الكافر فانه ان كان معسراً فظاهر وان كان موسراً لم يدعه الحرص وخوف الفوات
ان يتهنأ بعيشه وقيل في الاخرة ولنجزينهم اجرهم باحسن ما كانوا يعملون من الطاعة فاذا قرأت القرآن اذا
اردت قراءته كقوله اذا قمتم الى الصلوة فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم فاسأل الله ان يعيذك من وساوسه لئلا يوسوسك
في القراءة والجمهور على انه للاستحباب وفيه دليل على ان المصلي يستعيذ في كل ركعة لان الحكم المرتب على شرط يتكرر بتكرره
قياساً وتعقيبه لذكر العمل الصالح والوعد عليه ايذان بان الاستعاذة عند القراءة من هذا القبيل وعن ابن مسعود
قرأت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم فقال قل اعوذ بالله
من الشيطان الرجيم هكذا اقرأنيه جبريل عن القلم عن اللوح المحفوظ انه ليس له سلطان تسلط وولاية على الذين
آمنوا وعلى ربهم يتوكلون على اولياء الله المؤمنين به والمتوكلين عليه فانهم لا يطيعون اوامره ولا يقبلون
وساوسه الا فيما يحتقرون على ندور وغفلة ولذلك امروا بالاستعاذة فذكر السلطنة بعد الامر بالاستعاذة
لئلا يتوهم منه ان له سلطاناً انما سلطانه على الذين يتولونه يحبونه ويطيعونه والذين هم به مشركون بالله او بسبب الشيطان
واذا بدلنا آية مكان آية بالنسخ فجعلنا الآية الناسخة مكان المنسوخة لفظاً او حكماً والله اعلم بما ينزل من المصالح فلعل
ما يكون مصلحة في وقت يصير مفسدة بعده فينسخه وما لا يكون مصلحة حينئذ يكون مصلحة الآن فيثبته مكانه وقرأ
ابن كثير وابو عمرو ينزل بالتخفيف قالوا اي الكفرة انما انت مفتر متقول على الله تأمر بشيء ثم يبدو لك فتنهى
عنه وهو جواب اذا والله اعلم بما ينزل اعتراض لتوبيخ الكفار على قولهم والتنبيه على فساد سندهم ويجوز ان يكون
حالاً بل اكثرهم لا يعلمون حكمة الاحكام ولا يميزون الخطأ من الصواب قل نزله روح القدس يعني جبريل عليه السلام
واضافة الروح الى القدس وهو الطهر كقولهم حاتم الجود وقرأ ابن كثير روح القدس بالتخفيف وفي ينزل ونزله
تنبيه على ان انزاله مدرجاً على حسب المصالح مما يقتضي التبديل من ربك بالحق ملتبساً بالحكمة ليثبت الذين
آمنوا على الايمان بانه كلامه فانهم اذا سمعوا الناسخ وتدبروا ما فيه من رعاية الصلاح والحكمة رسخت عقائدهم
واطمأنت قلوبهم وهدى وبشرى للمسلمين المنقادين لحكمه وهما معطوفان على محل ليثبت اي تثبيتاً وهداية وبشارة وفيه

فى قال انا اصم فاعاد عليه ثلثا فاعاد جوابه فقتله فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اما الاول فقد اخذ
برخصة الله تعالى واما الثانى فقد صدع بالحق فهنيئا له ذلك اشارة الى الكفر بعد الايمان او الوعيد بانهم استحبوا
الحيوة الدنيا على الاخرة بسبب انهم اثروها عليها وان الله لا يهدى القوم الكافرين اى الكافرين فى علمه
الى ما يوجب ثبات الايمان ولا يعصمهم عن الزيغ اولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وابصارهم
فابت عن ادراك الحق والتامل فيه واولئك هم الغافلون الكاملون فى الغفلة اذ اغفلتهم الحالة الراهنة عن
تدبر العواقب لا جرم انهم فى الاخرة هم الخاسرون اذ ضيعوا اعمارهم وصرفوها فيما افضى بهم الى العذاب المخلد
ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا اى عذبوا كعمار بالولاية والنصر وثم لتباعد حال هؤلاء عن حال اولئك وقرأ
ابن عامر فتنوا بالفتح اى من بعد ما عذبوا المؤمنين كالحضرمى اكره مولاه جبرا حتى ارتد ثم اسلما وهاجرا ثم جاهدوا وصبروا على الجهاد وما
اصابهم من المشاق ان ربك من بعدها من بعد الهجرة والجهاد والصبر لغفور لما فعلوا قبل رحيم ينعم
عليهم مجازاة على ما صنعوا يوم تأتى كل نفس منصوب برحيم او باذكر تجادل عن نفسها تجادل عن ذاتها وتسعى فى
خلاصها لا يهمها شأن غيرها فتقول نفسى نفسى وتوفى كل نفس ما عملت جزاء ما عملت وهم لا يظلمون لا ينقصون
اجورهم وضرب الله مثلا قرية اى جعلها مثلا لكل قوم انعم الله تعالى عليهم فابطرتهم النعمة فكفروا
فانزل الله تعالى بهم نقمته او لمكة كانت آمنة مطمئنة اى لا يزعج اهلها خوف يأتيها رزقها رغدا واسعا
من كل مكان من نواحيها فكفرت بانعم الله بنعمه جمع نعمة على ترك الاعتداد بالتاء كدرع وادرع او جمع نعم كبؤس وابؤس فاذاقها
الله لباس الجوع والخوف استعار الذوق لادراك اثر الضرر واللباس لما غشيهم واشتمل عليهم من الجوع والخوف
واوقع الاذاقة عليه بالنظر الى المستعار له كقول كثير * غمر الرداء اذا تبسم ضاحكا * غلقت لضحكته رقاب المال
فانه استعار الرداء للمعروف لانه يصون عرض صاحبه صون الرداء لما يلقى عليه واضاف اليه الغمر الذى هو
وصف المعروف والنوال لا وصف الرداء نظرا الى المستعار له وقد ينظر الى المستعار كقوله * ينازعنى ردائى عبد عمرو * رويدك
يا اخا عمرو بن بكر * لى الشطر الذى ملكت يمينى * ودونك فاعتجر منه بشطر * استعار الرداء للسيف ثم قال فاعتجر نظرا الى المستعار
بما كانوا يصنعون بصنيعهم ولقد جاءهم رسول منهم يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم والضمير لاهل مكة عاد الى ذكرهم بعد ما ذكر
مثلهم فكذبوه فاخذهم العذاب وهم ظالمون اى حال التباسهم بالظلم والعذاب ما اصابهم من الجدب الشديد او وقعة
بدر فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا امرهم باكل ما احل الله تعالى لهم وشكر ما انعم عليهم بعد ما زجرهم عن الكفر وهددهم
عليه بما ذكر من التمثيل والعذاب الذى حل بهم صدا لهم عن صنيع الجاهلية ومذاهبها الفاسدة واشكروا نعمة الله
ان كنتم اياه تعبدون تطيعون او ان صح زعمكم انكم تقصدون بعبادة الآلهة عبادته انما حرم عليكم الميتة
والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فان الله غفور رحيم لما امرهم بتناول ما احل لهم
عدد عليهم محرماته ليعلم ان ما عداها حل لهم ثم اكد ذلك بالنهى عن التحليل والتحريم باهوائهم فقال ولا تقولوا لما تصف
السنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام كما قالوا ما فى بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا الآية ومقتضى سياق
الكلام وتصدير الجملة بانما حصر المحرمات فى الاجناس الاربعة الا ما ضم اليه دليل كالسباع والحمر الاهلية واللام

وقيل معناه انما جعل وبال السبت هو المسخ على الذين اختلفوا فيه فاحلوا الصيد فيه تارة وحرموه اخرى ولعنوا الذين
وذكرهم ههنا لتهديد المشركين كذكر القرية التي كفرت بانعم الله وان ربك ليحكم بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون
بالمجازاة على الاختلاف او بمجازاة كل فريق من الآبين والمطيعين بما يستحقه ادع من بعثت اليهم الى سبيل ربك الى الاسلام
بالحكمة بالمقالة المحكمة وهو الدليل الموضح للحق المزيح للشبهة والموعظة الحسنة الخطابات المقنعة والعبر النافعة
فالاولى لدعوة خواص الامة الطالبين للحقائق والثانية لدعوة عوامهم وجادلهم وجادل معانديهم بالتي هي احسن بالطريقة
التي هي احسن طرق المجادلة من الرفق واللين وايثار الوجه الايسر والمقدمات التي هي اشهر فان ذلك انفع في تسكين
لهبهم وتبيين شغبهم ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين اي انما عليك البلاغ والدعوة واما
حصول الهداية والضلال والمجازاة عليهما فلا اليك بل الله اعلم بالضالين والمهتدين وهو المجازي لهم وان عاقبتم
فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به لما امره بالدعوة وبين طرقها اشار اليه والى من شايعه بالمخالفة ومراعاة العدل مع
من يناصبهم فان الدعوة لا تنفك عنه من حيث انها تتضمن رفض العادات وترك الشهوات والقدح في دين
الاسلاف والحكم عليهم بالكفر والضلال وقيل انه عليه السلام لما رأى حمزة وقد مثل به فقال والله لئن اظفرني الله
بهم لامثلن بسبعين مكانك فنزلت فكفر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن يمينه وفيه دليل على ان للمقتص
ان يماثل الجاني وليس له ان يجاوزه وحث على العفو تعريضا بقوله وان عاقبتم وتصريحا على الوجه الآكد بقوله ولئن
صبرتم لهو اي الصبر خير للصابرين من الانتقام للمنتقمين ثم صرح الامر به لرسوله لانه اولى الناس به لزيادة
علمه بالله ووثوقه عليه فقال واصبر وما صبرك الا بالله اي الا بتوفيقه وتثبيته ولا تحزن عليهم على الكافرين
او على المؤمنين وما فعل بهم ولا تك في ضيق مما يمكرون في ضيق صدر من مكرهم وقرأ ابن كثير في ضيق بالكسر هنا
وفي النمل وهما لغتان كالقول والقيل ويجوز ان يكون الضيق تخفيف ضيق ان الله مع الذين اتقوا المعاصي والذين
هم محسنون في اعمالهم بالولاية والفضل او مع الذين اتقوا الله بتعظيم امره والذين هم محسنون بالشفقة على خلقه
عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة النحل لم يحاسبه الله بما انعم عليه في دار الدنيا وان مات في يوم تلاها او ليلة كان له
من الاجر كالذي مات واحسن الوصية

سورة بني اسرائيل مكية

وقيل الا قوله وان كادوا ليفتنونك الى آخر ثمان آيات وهي مائة واحدى عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

سبحان الذي اسرى بعبده ليلا سبحان اسم بمعنى التسبيح
الذي هو التنزيه وقد يستعمل علما له فيقطع عن الاضافة ويمنع الصرف قال ؎ قد قلت لما جاءني فخره
سبحان من علقمة الفاخر وانتصابه بفعل متروك اظهاره وتصدير الكلام به للتنزيه عن العجز عما
ذكر بعد واسرى وسرى بمعنى وليلا نصب على الظرف وفائدته الدلالة بتنكيره على تقليل مدة الاسراء ولذلك قرئ
من الليل اي بعضه كقوله ومن الليل فتهجد به من المسجد الحرام بعينه لما روي انه عليه الصلوة والسلام قال
بينا انا في المسجد الحرام في الحجر عند البيت بين النائم واليقظان اذ اتاني جبريل بالبراق او من الحرم وسماه المسجد الحرام لان كله
مسجد او لانه محيط به ليطابق المبدأ المنتهى لما روي انه عليه السلام كان نائما في بيت ام هانئ بعد

للقتل والغارة فقتلوا كبارهم وسبوا صغارهم وحرقوا التوراة وخربوا المسجد والمعتزلة لما منعوا تسليط الله تعالى الكافر على ذلك
اوّلوا البعث بالتخلية وعدم المنع وكان وعدا مفعولا وكان وعد عقابهم لا بد ان يفعل ثم رددنا لكم الكرة اي الدولة
والغلبة عليهم على الذين بعثوا عليكم وذلك بان القى الله تعالى في قلب بهمن بن اسفنديار لما ورث الملك من جده كشتاسف
بن لهراسف شفقة عليهم فرد اسراهم الى الشام وملك دانيال عليهم فاستولوا على من كان فيها من اتباع بختنصر او بان سلط
داود على جالوت فقتله وامددناكم باموال وبنين وجعلناكم اكثر نفيرا مما كنتم والنفير من ينفر مع الرجل من قومه وقيل
جمع نفر وهم المجتمعون للذهاب الى العدو ان احسنتم احسنتم لانفسكم لان ثوابه لها وان اساتم فلها فان وبالها عليها وانما ذكرها
باللام ازدواجا فاذا جاء وعد الاخرة وعد عقوبة المرة الاخرة ليسوءوا وجوهكم اي بعثناهم ليسوءوا وجوهكم ليجعلوها بادية
آثار المساءة فيها فحذف لدلالة ذكره اولا عليه وقرأ ابن عامر وحمزة وابو بكر ليسوء على التوحيد والضمير فيه للوعد او البعث
او لله ويعضده قراءة الكسائي بالنون وقرئ لنسوءن بالنون والياء والنون المخففة والمثقلة ولنسوءن بفتح اللام على الاوجه الاربعة
على انه جواب اذا واللام في قوله وليدخلوا المسجد متعلق بمحذوف هو بعثناهم كما دخلوه اول مرة وليتبروا ليهلكوا ما علوا
ما غلبوه واستولوا عليه او مدة علوهم تتبيرا وذلك بان سلط الله تعالى عليهم الفرس مرة اخرى فغزاهم ملك بابل من ملوك
الطوائف اسمه جودرز وقيل حردوس قيل دخل صاحب الجيش مذبح قرابينهم فوجد فيه دما يغلي فسألهم عنه فقالوا
دم قربان لم يقبل منا فقال ما صدقوني فقتل عليه الوفا منهم فلم يهدأ الدم ثم قال ان لم تصدقوني ما تركت منكم احدا
فقالوا انه دم يحيى فقال لمثل هذا ينتقم ربكم منكم ثم قال يا يحيى قد علم ربي وربك ما اصاب قومك من اجلك فاهدأ باذن الله
قبل ان لا ابقي احدا منهم فهدأ عسى ربكم ان يرحمكم بعد المرة الاخرة وان عدتم نوبة اخرى عدنا مرة ثالثة الى
عقوبتكم وقد عادوا بتكذيب محمد صلى الله عليه وسلم وقصد قتله فعاد الله تعالى بتسليطه عليهم فقتل قريظة واجلى بني النضير
وضرب الجزية على الباقين هذا لهم في الدنيا وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا محبسا لا يقدرون الخروج منها ابد الآباد
وقيل بساطا كما يبسط الحصير ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم للحالة او الطريقة التي هي اقوم الحالات او الطرق ويبشر
المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا كبيرا وقرأ حمزة والكسائي يبشر بالتخفيف وان الذين لا يؤمنون
بالآخرة اعتدنا لهم عذابا اليما عطف على ان لهم اجرا كبيرا والمعنى انه يبشر المؤمنين ببشارتين ثوابهم وعقاب
اعدائهم او على يبشر باضمار يخبر ويدع الانسان بالشر ويدعو الله تعالى عند غضبه بالشر على نفسه واهله وماله او يدعو
بما يحسبه خيرا وهو شر دعاءه بالخير مثل دعائه بالخير وكان الانسان عجولا يسارع الى كل ما يخطر بباله لا ينظر عاقبته
وقيل المراد آدم عليه السلام فانه لما انتهى الروح الى سرته ذهب لينهض فسقط روي انه عليه السلام دفع اسيرا الى سودة بنت زمعة فرحمته
لانينه فارخت كتافه فهرب فدعا عليها بقطع اليد ثم ندم صلى الله عليه وسلم فقال اللهم انما انا بشر فمن دعوت عليه فاجعل
دعائي رحمة له فنزلت ويجوز ان يريد بالانسان الكافر وبالدعاء استعجاله بالعذاب استهزاء كقول النضر بن الحارث اللهم انصر خير الحزبين
اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك الآية فاجيب له فضرب عنقه يوم بدر صبرا وجعلنا الليل والنهار آيتين تدلان على القادر الحكيم بتعاقبهما على
نسق واحد بامكان غيره فمحونا آية الليل اي الآية التي هي الليل بالاشراق والاضافة فيهما للتبيين كاضافة العدد الى المعدود وجعلنا آية

مقصورا عليها همه عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد قيد المعجل والمعجل له بالمشية والارادة لانه لا يجد كل متمن ما يتمناه ولا كل

واحد جميع ما يهواه وليعلم ان الامر بالمشية والهم فضل ولمن نريد بدل من له بدل البعض وقرئ ما يشاء والضمير فيه لله

حتى يطابق المشهورة وقيل لمن فيكون مخصوصا بمن اراد به ذلك وقيل الاية في المنافقين كانوا يراؤون المسلمين ويغزون معهم

ولم يكن غرضهم الا مساهمتهم في الغنائم ونحوها ثم جعلنا له جهنم يصليها مذموما مدحورا مطرودا من رحمة الله ومن

اراد الاخرة وسعى لها سعيها حقها من السعي وهو الاتيان بالمامور والانتهاء عما نهي لا التقرب بما يخترعون بارائهم وفائدة

اللام اعتبار النية والاخلاص وهو مؤمن ايمانا صحيحا لا شرك معه ولا تكذيب فانه العمدة فاولئك الجامعون للشرائط

الثلاثة كان سعيهم مشكورا من الله تعالى اي مقبولا عنده مثابا عليه فان شكر الله الثواب على الطاعة كلا كل واحد من الفريقين

والتنوين بدل من المضاف اليه نمد بالعطاء مرة بعد اخرى ونجعل انفه مددا لسالفه هؤلاء وهؤلاء بدل من كلا من عطاء

ربك من معطاه متعلق بنمد وما كان عطاء ربك محظورا ممنوعا لا يمنعه في الدنيا من مؤمن ولا كافر تفضلا انظر كيف

فضلنا بعضهم على بعض في الرزق وانتصاب كيف بفضلنا على الحال وللاخرة اكبر درجات واكبر تفضيلا اي التفاوت

في الاخرة اكبر لان التفاوت فيها بالجنة ودرجاتها والنار ودركاتها لا تجعل مع الله الها اخر الخطاب للرسول والمراد

به امته او لكل احد فتقعد فتصير من قولهم شحذ الشفرة حتى قعدت كانها حربة او فتعجز من قولهم قعد عن الشيء اذا

عجز عنه مذموما مخذولا جامعا على نفسك الذم من الملائكة والمؤمنين والخذلان من الله تعالى ومفهومه ان الموحد يكون

ممدوحا منصورا وقضى ربك وامر امرا مقطوعا به الا تعبدوا الا اياه لان غاية التعظيم لا تحق الا لمن له غاية

العظمة ونهاية الانعام وهو كالتفصيل لسعي الاخرة ويجوز ان تكون ان مفسرة ولا ناهية وبالوالدين احسانا وبان

تحسنوا او واحسنوا بالوالدين احسانا لانهما السبب الظاهر للوجود والتعيش ولا يجوز ان يتعلق الباء بالاحسان لان صلته

لا يتقدم عليه اما يبلغن عندك الكبر احدهما او كلاهما اما ان الشرطية زيدت عليها ما تاكيدا ولذلك صح لحوق

النون المؤكدة للفعل واحدهما فاعل يبلغن او بدل على قراءة حمزة والكسائي من الف يبلغان الراجع الى الوالدين وكلاهما

عطف على احدهما فاعلا او بدلا ولذلك لم يجز ان يكون تاكيدا للالف ومعنى عندك ان يكونا في كنفك وكفالتك

فلا تقل لهما اف فلا تتضجر مما يستقذر منهما وتستثقل من مؤنهما وهو صوت يدل على تضجر وقيل اسم الفعل الذي هو

اتضجر وهو مبني على الكسر لالتقاء الساكنين وتنوينه في قراءة نافع وحفص للتنكير وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب

بالفتح على التخفيف وقرئ به منونا وبالضم للاتباع كمنذ منونا وغير منون والنهي عن ذلك يدل على المنع من سائر

انواع الاذى قياسا بطريق الاولى وقيل عرفا كقولك فلان لا يملك النقير والقطمير ولذلك منع رسول الله صلى

الله عليه وسلم حذيفة من قتل ابيه وهو في صف المشركين نهى عما يؤذيهما بعد الامر بالاحسان بهما ولا تنهرهما

ولا تزجرهما عما لا يعجبك باغلاظ وقيل النهي والنهر والنهم اخوات وقل لهما بدل التافيف والنهر قولا كريما جميلا لا شراسة فيه

واخفض لهما جناح الذل تذلل لهما وتواضع فيهما جعل للذل جناحا كما جعل لبيد في قوله • وغداة ريح قد كشفت

وقرة • اذ اصبحت بيد الشمال زمامها • للشمال يدا وللقرة زماما وامره بخفضه مبالغة او اراد جناحه كقوله واخفض

ما يصلحهم من الاضافة والامساك انه كان بعباده خبيرا بصيرا يعلم سرهم وعلنهم فيعلم من مصالحهم ما يخفى عليهم

ثم بادية البسط والقبض من امر الله تعالى العالم بالسرائر والظواهر فاما العبد فعليه ان يقتصد وان انه تعالى يبسط تارة

ويقبض تارة اخرى فاستنوا بسنته سبحانه وتعالى ولا تقبضوا كل القبض ولا تبسطوا كل البسط وان يكون تمهيدا لقوله

ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق مخافة فاقة وقتلهم اولادهم هو وأدهم بناتهم مخافة الفقر فنهاهم الله تعالى عنه وضمن

ارزاقهم فقال نحن نرزقهم واياكم ان قتلهم كان خطأ كبيرا ذنبا كبيرا لما فيه من قطع التناسل وانقطاع النوع و

الخطء الاثم يقال خطئ خطأ كاثم اثما وقرأ ابن عامر برواية ابن ذكوان خطأ وهو اسم من اخطأ يضاد الصواب وقيل لغة فيه

كمثل ومثل وحذر وحذر وقرأ ابن كثير خطاء بالمد والكسر وهو اما لغة او مصدر خاطأ وهو وان لم يسمع لكنه جاء

تخاطأ في قوله تخاطأه القناص حتى وجدته وخرطومه في منقع الماء راسب فهو مبني عليه وقرئ خطاء بالفتح والمد وخطأ بحذف

الهمزة مفتوحا ومكسورا ولا تقربوا الزنى بالقصد والاتيان بالمقدمات فضلا ان تباشروه انه كان فاحشة فعلة ظاهرة

القبح زائدة وساء سبيلا وبئس طريقا طريقه وهو الغصب على الابضاع المؤدي الى قطع الانساب وهيج الفتن ولا تقتلوا

النفس التي حرم الله الا بالحق الا باحدى ثلاث كفر بعد ايمان وزنا بعد احصان وقتل مؤمن معصوم عمدا ومن قتل

مظلوما غير مستوجب للقتل فقد جعلنا لوليه للذي يلي امره بعد وفاته وهو الوارث سلطانا تسلطا بالمؤاخذة بمقتضى

القتل على من عليه او بالقصاص على القاتل فان قوله مظلوما يدل على ان القتل عمد عدوان فان الخطأ لا يسمى ظلما فلا يسرف

اي القاتل في القتل بان يقتل من لا يحق قتله فان العاقل لا يفعل ما يعود عليه بالهلاك او الولي بالمثلة او قتل غير القاتل

ويؤيد الاول قراءة ابي فلا تسرفوا وقرأ حمزة والكسائي فلا تسرف على خطاب احدهما انه كان منصورا علة النهي على الاستئناف

والضمير اما للمقتول فانه منصور في الدنيا بثبوت القصاص بقتله وفي الآخرة بالثواب واما لوليه فان الله

نصره حيث اوجب القصاص له وامر الولاة بمعونته واما للذي يقتله الولي اسرافا بايجاب القصاص او التعزير

والوزر على المسرف ولا تقربوا مال اليتيم فضلا ان تتصرفوا فيه الا بالتي هي احسن الا بالطريقة التي هي احسن

حتى يبلغ اشده غاية لجواز التصرف الذي دل عليه الاستثناء واوفوا بالعهد بما عاهدكم الله تعالى من تكاليفه او ما عاهدتموه

وغيره ان العهد كان مسؤولا مطلوبا يطلب من المعاهد ان لا يضيعه ويفي به او مسؤولا عنه يسأل الناكث

ويعاتب عليه او يسأل العهد لم نكثت تبكيتا للناكث كما يقال للموءودة باي ذنب قتلت فيكون تخييلا ويجوز ان يراد ان

صاحب العهد كان مسؤولا واوفوا الكيل اذا كلتم ولا تبخسوا فيه وزنوا بالقسطاس المستقيم بالميزان السوي وهو رومي

عرب ولا يقدح ذلك في عربية القرآن لان العجمي اذا استعملته العرب واجرته مجرى كلامهم في الاعراب والتعريف والتنكير

ونحوها صار عربيا وقرأ حمزة والكسائي وحفص بكسر القاف هنا وفي الشعراء ذلك خير واحسن تأويلا واحسن عاقبة تفعيل

من آل اذا رجع ولا تقف ولا تتبع وقرئ ولا تقف من قاف اثره اذا قفاه ومنه القافة ما ليس لك به علم ما لم يتعلق به

علمك تقليدا او رجما بالغيب واحتج به من منع اتباع الظن وجوابه ان المراد بالعلم هو الاعتقاد الراجح المستفاد من سند

سواء كان قطعا او ظنا واستعماله بهذا المعنى شائع وقيل انه مخصوص بالعقائد وقيل بالرمي

ج

ويعقوب في ثلاثة ثلثان الاولى مما امر الرسول ان يخاطب المشركين به والثانية مما نزه به نفسه عن مقالتهم اذا لا

بتغوا الى ذي العرش سبيلا جواب عن قولهم وجزاء للو والمعنى لطلبوا الى من هو مالك الملك سبيلا بالمعازة كما يفعل

الملوك بعضهم مع بعض او بالتقرب اليه والطاعة لعلمهم بقدرته تعالى وعجزهم كقوله اولئك الذين يدعون يبتغون

الى ربهم الوسيلة سبحانه ينزه تنزيها وتعالى عما يقولون علوا تعاليا كبيرا متباعدا غاية البعد عما يقولونه فانه سبحانه

في اعلى مراتب الوجود وهو كونه واجب الوجود والبقاء لذاته واتخاذ الولد من ادنى مراتبه فانه من خواص ما يمتنع بقاؤه

تسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن وان من شيء الا يسبح بحمده ينزهه عما هو من لوازم الامكان وتوابع

الحدوث بلسان الحال حيث تدل بامكانها وحدوثها على الصانع القديم الواجب لذاته ولكن لا تفقهون تسبيحهم

ايها المشركون لاخلالكم بالنظر الصحيح الذي به يفهم تسبيحهم ويجوز ان يحمل التسبيح على المشترك بين اللفظ

والدلالة لاسناده الى ما يتصور منه اللفظ والى ما لا يتصور منه وعليهما عند من جوز اطلاق اللفظ على معنييه وقرا ابن

كثير ونافع وابن عامر وابو بكر يسبح بالياء انه كان حليما حيث لم يعاجلكم بالعقوبة على غفلتكم وشرككم غفورا

لمن تاب منكم واذا قرات القران جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالاخرة حجابا يحجبهم عن فهم ما تقرؤه

عليهم مستورا ذا ستر كقوله وعدا ماتيا وقوله سيل مفعم او مستورا عن الحس او بحجاب اخر لا يفهمون ولا يفهمون

انهم لا يفهمون نفى عنهم ان يفهموا ما انزل عليهم من الايات بعد ما نفى عنهم التفقه للدلالات المنصوبة

في الانفس والافاق تقريرا له وبيانا لكونهم مطبوعين على الضلالة كما صرح به بقوله وجعلنا على قلوبهم اكنة تكنها

وتحول دونها عن ادراك الحق وقبوله ان يفقهوه كراهة ان يفقهوه ويجوز ان يكون مفعولا لما دل عليه قوله وجعلنا على

قلوبهم اكنة اي منعناهم ان يفقهوه وفي اذانهم وقرا يمنعهم عن استماعه ولما كان القران معجزا من حيث اللفظ والمعنى اثبت

لمنكريه ما يمنع من فهم المعنى وادراك اللفظ واذا ذكرت ربك في القران وحده واحدا غير مشفوع به الهتهم مصدر وقع موقع

الحال واصله يحد وحده بمعنى واحدا وحده ولوا على ادبارهم نفورا هربا من استماع التوحيد ونفرة او تولية ويجوز

ان يكون جمع نافر كقاعد وقعود نحن اعلم بما يستمعون به بسببه ولاجله من الهزء بك وبالقران اذ يستمعون اليك

ظرف لاعلم وكذا واذ هم نجوى اي نحن اعلم بغرضهم من الاستماع حين هم مستمعون اليك مضمرون له وحين هم ذوو

نجوى يتناجون به ونجوى مصدر ويحتمل ان يكون جمع نجي اذ يقول الظالمون ان تتبعون الا رجلا مسحورا مقدر باذكر او بدل

من اذ هم نجوى على وضع الظالمين موضع الضمير للدلالة على ان تناجيهم بقولهم هذا والمسحور هو الذي سحر به فزال عقله

وقيل الذي له سحر وهو الرئة اي الا رجلا يتنفس وياكل ويشرب مثلكم انظر كيف ضربوا لك الامثال مثلوك

بالشاعر والساحر والكاهن والمجنون فضلوا عن الحق في جميع ذلك فلا يستطيعون سبيلا الى طعن موجه فيتهافتون ويخبطون

كالمتحير في امره لا يدري ما يصنع او الى الرشاد وقالوا ائذا كنا عظاما ورفاتا وحطاما ائنا لمبعوثون خلقا جديدا على

الانكار والاستبعاد لما بين غضاضة الحي ويبوسة الرميم من المباعدة والمنافاة والعامل في اذا ما دل عليه مبعوثون

لا نفسه لان ما بعد ان لا يعمل فيما قبلها وخلقا مصدر او حال قل جوابا لهم كونوا حجارة

والبلية كان ذلك في الكتاب في اللوح المحفوظ مسطورا مكتوبا وما منعنا أن نرسل بالآيات وما صرفنا عن إرسال

الآيات التي اقترحتها قريش إلا أن كذب بها الأولون إلا تكذيب الأولين الذين هم أمثالهم في الطبع كعاد وثمود وأنها

لو أرسلت لكذبوا بها تكذيب أولئك واستوجبوا الاستئصال على ما مضت به سنتنا وقد قضينا أن

لا نستأصلهم لأن فيهم من يؤمن أو يلد من يؤمن ثم ذكر بعض الأمم المهلكة بتكذيب الآيات المقترحة فقال وآتينا ثمود الناقة

مبصرة بينة ذات إبصار أو بصائر أو جاعلتهم ذوي بصائر وقرئ بالفتح فظلموا بها فكفروا بها أو ظلموا أنفسهم بسبب عقرها وما

نرسل بالآيات أي بالمقترحة إلا تخويفا من نزول العذاب المستأصل فإن لم يخافوا نزل أو بغير المقترحة كالمعجزات وآيات القرآن إلا تخويفا ب

عذاب الآخرة فإن أمر من بعثت إليهم مؤخر إلى يوم القيامة والباء مزيدة أو في موقع الحال والمفعول محذوف

وإذ قلنا لك واذكر إذ أوحينا إليك إن ربك أحاط بالناس فهم في قبضة قدرته أو أحاط بقريش بمعنى

من أحاط بهم العدو فهو بشارة بوقعة بدر والتعبير بلفظ الماضي لتحقق وقوعه وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس يعني ليلة

المعراج وتعلق به من قال إنه كان في المنام ومن قال إنه كان في اليقظة فسر الرؤيا بالرؤية أو عام الحديبية حين رأى أنه دخل

مكة وفيه أن الآية مكية إلا أن يقال رآها بمكة وحكاها حينئذ ولعله رؤيا رآها في وقعة بدر لقوله تعالى إذ يريكهم

الله في منامك قليلا ولما روي أنه لما ورد ماءه قال لكأني أنظر إلى مصارع القوم هذا مصرع فلان وهذا

مصرع فلان فتسامعت به قريش واستسخروا منه وقيل رأى قوما من بني أمية يرقون منبره وينزون عليه

نزو القردة فقال هو حظهم من الدنيا يعطونه بإسلامهم وعلى هذا كان المراد بقوله إلا فتنة للناس ما حدث

في أيامهم والشجرة الملعونة في القرآن عطف على الرؤيا وهي شجرة الزقوم لما سمع المشركون ذكرها قالوا إن محمدا

يزعم أن الجحيم تحرق الحجارة ثم يقول ينبت فيها الشجر ولم يعلموا أن من قدر أن يحمي وبر السمندل من

النار وأحشاء النعامة من أذى الجمر وقطع الحديد المحماة الحمر التي تبتلعها قدر أن يخلق في النار شجرة لا

تحرقها ولعنها في القرآن لعن طاعميها وصفت به على المجاز للمبالغة أو وصفها بأنها في أصل الجحيم فإنه أبعد مكان

من الرحمة أو بأنها مكروهة مؤذية من قولهم طعام ملعون لما كان ضارا وقد أولت بالشيطان وأبي جهل

والحكم بن أبي العاص وقرئت بالرفع على الابتداء والخبر محذوف أي والشجرة الملعونة في القرآن كذلك

ونخوفهم بأنواع التخويف فما يزيدهم إلا طغيانا كبيرا إلا عتوا متجاوز الحد وإذ قلنا للملائكة اسجدوا

لآدم فسجدوا إلا إبليس قال أأسجد لمن خلقت طينا لمن خلقته من طين فنصب بنزع الخافض ويجوز أن يكون حالا من الراجع إلى

الموصول أي خلقته وهو طين أو منه أي أأسجد له وأصله طين وفيه على الوجوه إيماء بعلة الإنكار قال أرأيتك

هذا الذي كرمت علي الكاف لتأكيد الخطاب لا محل له من الإعراب وهذا مفعول أول والذي صفته والمفعول الثاني

محذوف لدلالة صلته عليه والمعنى أخبرني عن هذا الذي كرمته علي بأمري بالسجود له لم كرمته علي لئن أخرتن إلى يوم القيامة

كلام مبتدأ واللام موطئة للقسم وجوابه لأحتنكن ذريته إلا قليلا أي لأستأصلنهم بالإغواء إلا قليلا لا

أقاوم شكيمتهم من احتنك الجراد الأرض إذا جرد ما عليها أكلا مأخوذ من الحنك وإنما علم أن ذلك يتسهل له

الى اسباب المعاش والمعاد والتسلط على ما فى الارض والتمكن من الصناعات وانسياق الاسباب والمسببات العلوية والسفلية
الى ما يعود عليهم بالمنافع الى غير ذلك مما يقف الحصر دون احصائه ومن ذلك ما ذكره ابن عباس رضى الله عنهما
وهو ان كل حيوان يتناول طعامه بفيه الا الانسان فانه يرفعه اليه بيده وحملناهم فى البر والبحر على الدواب
والسفن من حملته حملا اذا جعلت له ما يركبه او حملناهم فيهما حتى لم تخسف بهم الارض ولم يغرقهم الماء ورزقناهم
من الطيبات المستلذة مما يحصل بفعلهم وبغير فعلهم وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا بالغلبة والاستيلاء او
بالشرف والكرامة والمستثنى جنس الملائكة او الخواص منهم ولا يلزم من عدم تفضيل الجنس عدم تفضيل بعض افراده و
المسألة موضع نظر وقد اول الكثير بالكل وفيه تعسف يوم ندعو نصب باضمار اذكر او ظرف لما دل عليه ولا يظلمون وقرئ
يدعو ويُدعى ويُدعو على قلب الالف واوا فى لغة من يقول افعو او على ان الواو علامة الجمع كما فى قوله واسروا النجوى الذين
ظلموا او ضميره وكل بدل منه والنون محذوفة لقلة المبالاة بها فانها ليست الا علامة الرفع وهو قليل كقراءة كل
اناس بامامهم بمن ائتموا به من نبى او مقدم فى الدين او كتاب او دين وقيل بكتاب اعمالهم التى قدموها فيقال يا صاحب كتاب
كذا اى ينقطع علقة الانساب وتبقى نسبة الاعمال وقيل بالقوى الحاملة لهم على عقائدهم وافعالهم وقيل
بامهاتهم جمع ام كخف وخفاف والحكمة فى ذلك اجلال عيسى عليه السلام واظهار شرف الحسن والحسين عليهما السلام
وان لا يفتضح اولاد الزنا فمن اوتى من المدعوين كتابه بيمينه اى كتاب عمله فاولئك يقرءون كتابهم ابتهاجا
وتبجحا بما يرون فيه ولا يظلمون فتيلا ولا ينقصون من اجورهم ادنى شئ وجمع اسم الاشارة والضمير لان من اوتى
معنى الجمع وتعليق القراءة بايتاء الكتاب باليمين يدل على ان من اوتى كتابه بشماله اذا اطلع على ما فيه غشيهم من الخجل
والحيرة ما يحبس السنتهم من القراءة ولذلك لم يذكرهم مع ان قوله ومن كان فى هذه اعمى فهو فى الآخرة اعمى ايضا
مشعر بذلك فان الاعمى لا يقرأ الكتاب والمعنى ومن كان فى هذه الدنيا اعمى القلب لا يبصر رشده كان فى الآخرة اعمى
لا يرى طريق النجاة واضل سبيلا منه فى الدنيا لزوال الاستعداد وفقدان الآلة والمهلة وقيل لان الاهتداء
لا ينفعه والاعمى مستعار من فاقد الحاسة وقيل الثانى للتفضيل من عمى بقلبه كالاجهل والابله ولذلك لم يمله
ابو عمرو ويعقوب فان افعل التفضيل تمامه بمن فكانت الفه فى حكم المتوسطة كما فى اعمالكم بخلاف النعت فان الفه واقعة فى الطرف
لفظا وحكما وكانت معرضة للامالة من حيث انها تصير ياء فى التثنية وقد امالهما حمزة والكسائى وابو بكر وان كادوا
ليفتنونك نزلت فى ثقيف قالوا لا ندخل فى امرك حتى تعطينا خصالا نفتخر بها على العرب لا نعشر ولا نحشر ولا نجبى
فى صلاتنا وكل ربا لنا فهو لنا وكل ربا علينا فهو موضوع عنا وان تمتعنا باللات سنة وان تحرم وادينا كما حرمت مكة فان قالت
العرب لم فعلت ذلك فقل ان الله امرنى وقيل فى قريش قالوا لا نمكنك من استلام الحجر حتى تلم بآلهتنا وتمسها بيدك وان
هى المخففة واللام هى الفارقة والمعنى ان الشأن قاربوا بمبالغتهم ان يوقعوك فى الفتنة بالاستنزال عن الذى اوحينا
اليك من الاحكام لتفترى علينا غيره غير ما اوحينا اليك واذا لاتخذوك خليلا ولو اتبعت مرادهم لاتخذوك
بافتتانك وليا لهم بريئا من ولايتى ولولا ان ثبتناك ولولا تثبيتنا اياك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا

أن يشفع فيه لأمته وللإشعار بأن الناس يحمدونه لقيامه فيه وما ذاك إلا مقام الشفاعة وانتصابه على الظرف بإضمار
فعله أي فيقيمك مقاماً أو بتضمين يبعثك معناه أو الحال بمعنى أن يبعثك ذا مقام وقل رب أدخلني أي في القبر مدخل صدق
إدخالاً مرضياً وأخرجني أي منه عند البعث مخرج صدق إخراجاً ملقى بالكرامة وقيل المراد إدخال المدينة والإخراج
من مكة وقيل إدخاله مكة ظاهراً عليها وإخراجه منها آمناً من المشركين وقيل إدخاله الغار وإخراجه منه سالماً
وقيل إدخاله فيما حمله من أعباء الرسالة وإخراجه منه مؤدياً حقه وقيل إدخاله في كل ما يلابسه من مكان أو أمر وإخراجه
منه وقرئ مَدخل ومَخرج بالفتح على معنى أدخلني فأدخل دخولاً وأخرجني فأخرج خروجاً واجعل لي من لدنك سلطاناً
نصيراً حجة تنصرني على من خالفني أو ملكاً ينصر الإسلام على الكفر فاستجاب له بقوله فإن حزب الله هم الغالبون ليظهره على الدين
كله ليستخلفنهم في الأرض وقل جاء الحق الإسلام وزهق الباطل وذهب وهلك الشرك من زهق روحه إذا خرج
إن الباطل كان زهوقاً مضمحلاً غير ثابت عن ابن مسعود أنه عليه السلام دخل مكة يوم الفتح وفيها ثلاثمائة وستون صنماً
فجعل ينكت بمخصرة في عين واحد واحد منها فيقول جاء الحق وزهق الباطل فينكب لوجهه حتى ألقي جميعها وبقي صنم خزاعة
فوق الكعبة وكان من صفر فقال يا علي ارم به فصعد فرمى به فكسره وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ما هو في
تقويم دينهم واستصلاح نفوسهم كالدواء الشافي للمرضى ومن للبيان فإنه كله كذلك وقيل إنه للتبعيض والمعنى أن منه ما يشفي
من المرض كالفاتحة وآيات الشفاء وقرأ البصريان ننزل بالتخفيف ولا يزيد الظالمين إلا خساراً لتكذيبهم وكفرهم به
وإذا أنعمنا على الإنسان بالصحة والسعة أعرض عن ذكر الله ونأى بجانبه لوى عطفه وبعد بنفسه
عنه كأنه مستغن مستبد بأمره ويجوز أن يكون كناية عن الاستكبار لأنه من عادة المستكبرين وقرأ ابن عامر برواية
ابن ذكوان هنا وفي فصلت وناء على القلب أو على أنه بمعنى نهض وإذا مسه الشر من مرض أو فقر كان يؤوساً شديد اليأس من روح الله قل كل يعمل على شاكلته
قل كل أحد يعمل على طريقته التي تشاكل حاله في الهدى والضلالة أو جوهر روحه وأحواله التابعة لمزاج بدنه فربكم
أعلم بمن هو أهدى سبيلاً أسد طريقاً وأبين منهجاً وقد فسرت الشاكلة بالطبيعة والعادة والدين ويسألونك
عن الروح الذي يحيى به بدن الإنسان ويدبره قل الروح من أمر ربي من الإبداعيات الكائنة بكن من غير مادة وتولد
من أصل كأعضاء جسده أو وجد بحدوث مكونه على أن السؤال عن قدمه وحدوثه وقيل مما استأثره الله بعلمه
لما روي أن اليهود قالوا لقريش سلوه عن أصحاب الكهف وعن ذي القرنين وعن الروح فإن أجاب عنها أو سكت فليس بنبي
وإن أجاب عن بعض وسكت عن بعض فهو نبي فبين لهم القصتين وأبهم أمر الروح وهو مبهم في التوراة وقيل الروح جبريل
وقيل خلق أعظم من الملك وقيل القرآن ومن أمر ربي معناه من وحيه وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً تستفيدونه
بتوسط حواسكم فإن اكتساب العقل للمعارف النظرية إنما هو من الضروريات المستفادة من إحساس الجزئيات
ولذلك قيل من فقد حساً فقد فقد علماً ولعل أكثر الأشياء لا يدركه الحس ولا شيئاً من أحواله المعرفة لذاته وهو إشارة
إلى أن الروح مما لا يمكن معرفة ذاته إلا بعوارض تميزه عما يلتبس به فلذلك اقتصر على هذا الجواب كما اقتصر موسى في جواب وما رب
العالمين بذكر بعض صفاته روي أنه عليه السلام لما قال لهم ذلك قالوا أنحن مختصون بهذا الخطاب فقال بل نحن وأنتم فقالوا

اتيهم الهدى اي وما منعهم الايمان بعد نزول الوحي وظهور الحق الا ان قالوا ابعث الله بشرا رسولا الا قولهم هذا والمعنى
انه لم يبق لهم شبهة تمنعهم عن الايمان بمحمد والقران الا انكارهم ان يرسل الله تعالى بشرا قل جوابا لشبهتهم لو كان في الارض
ملائكة يمشون كما يمشي بنو ادم مطمئنين ساكنين فيها لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا لتمكنهم من الاجتماع به والتلقي
منه واما الانس فعامتهم عماة عن ادراك الملك والتلقف منه فان ذلك مشروط بنوع من التناسب والتجانس وملكا
يحتمل ان يكون حالا من رسولا وان يكون موصوفا به وكذلك بشرا والاول اوفق قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم على
اني رسول اليكم باظهاره تعالى المعجزة على وفق دعواي او على اني بلغت ما ارسلت به اليكم وانكم عاندتم وشهيدا نصب
على الحال او التمييز انه كان بعباده خبيرا بصيرا يعلم احوالهم الباطنة منها والظاهرة فيجازيهم عليه وفيه تسلية
للرسول وتهديد للكفار ومن يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد لهم اولياء من دونه يهدونه ونحشرهم يوم القيامة
على وجوههم يسحبون عليها او يمشون بها روي انه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يمشون على وجوههم قال ان
الذي امشاهم على اقدامهم قادر على ان يمشيهم على وجوههم عميا وبكما وصما لا يبصرون ما يقر اعينهم ولا يسمعون ما يلذ
مسامعهم ولا ينطقون بما يقبل منهم لانهم في دنياهم لم يستبصروا بالايات والعبر وتصاموا عن استماع الحق وابوا ان
ينطقوا بالصدق ويجوز ان يحشروا بعد الحساب من موقف الى النار مؤوفي القوى والحواس مأواهم جهنم كلما خبت سكن لهبها
بان اكلت جلودهم ولحومهم زدناهم سعيرا توقدا بان نبدل جلودهم ولحومهم فتعود ملتهبة مستعرة كانهم لما كذبوا
بالاعادة بعد الافناء جزاهم الله بان لا يزالوا على الاعادة والافناء واليه اشار بقوله ذلك جزاؤهم بانهم كفروا بآياتنا
وقالوا ءاذا كنا عظاما ورفاتا ءانا لمبعوثون خلقا جديدا لان الاشارة الى ما تقدمه من عذابهم اولم يروا اولم
يعلموا ان الله الذي خلق السموات والارض قادر على ان يخلق مثلهم فانهم ليسوا اشد خلقا منهن ولا الاعادة
اصعب عليه من الابداء وجعل لهم اجلا لا ريب فيه هو الموت او القيامة فابى الظالمون مع وضوح الحق الا كفورا الا جحودا
قل لو انتم تملكون خزائن رحمة ربي خزائن رزقه وسائر نعمه وانتم مرفوع بفعل يفسره ما بعده كقول حاتم لو ذات سوار
لطمتني وفائدة هذا الحذف والتفسير للمبالغة مع الايجاز والدلالة على الاختصاص اذا لامسكتم خشية الانفاق لبخلتم
مخافة النفاد بالانفاق اذ لا احد الا ويختار النفع لنفسه ولو آثر غيره بشيء فانما يؤثره لعوض يفوقه فهو اذن بخيل بالاضافة
الى جود الله تعالى وكرمه هذا وان البخلاء اغلب فيهم وكان الانسان قتورا بخيلا لان بناء امره على الحاجة والضنة
بما يحتاج اليه وملاحظة العوض فيما يبذله ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات هي العصا واليد والجراد والقمل والضفادع
والدم وانفجار الماء من الحجر وانفلاق البحر ونتق الطور على بني اسرائيل وقيل الطوفان والسنون ونقص الثمرات مكان
الثلاثة الاخيرة وعن صفوان ان يهوديا سأل النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان لا تشركوا بالله شيئا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا
تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ولا تسحروا ولا تاكلوا الربوا ولا تمشوا ببريء الى ذي سلطان ليقتله ولا تقذفوا
محصنة ولا تفروا من الزحف وعليكم خاصة اليهود ان لا تعتدوا في السبت فقبل اليهودي يده ورجله فعلى
هذا المراد بالآيات الاحكام العامة للملل الثابتة في كل الشرائع سميت بذلك لانها تدل على حال

إذ جاءهم الهدى أي وما منعهم الإيمان بعد نزول الوحي وظهور الحق إلا أن قالوا أبعث الله بشرا رسولا إلا قولهم هذا والمعنى

أنه لم يبق لهم شبهة تمنعهم من الإيمان بمحمد والقرآن إلا إنكارهم أن يرسل الله تعالى بشرا قل جوابا لشبهتهم لو كان في الأرض

ملائكة يمشون كما يمشي بنو آدم مطمئنين ساكنين فيها لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا لتمكنهم من الاجتماع به والتلقي

منه وأما الإنس فعامتهم عماة عن إدراك الملك والتلقف منه فإن ذلك مشروط بنوع من التناسب والتجانس وملكا

يحتمل أن يكون حالا من رسولا وأن يكون موصوفا به وكذلك بشرا والأول أوفق قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم على أني

رسول إليكم بإظهار المعجزة على وفق دعواي أو على أني بلغت ما أرسلت به إليكم وأنكم عاندتم وشهيدا نصب

على الحال أو التمييز إنه كان بعباده خبيرا بصيرا يعلم أحوالهم الباطنة منها والظاهرة فيجازيهم عليه وفيه تسلية

للرسول وتهديد للكفار ومن يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد لهم أولياء من دونه يهدونه ونحشرهم يوم القيامة

على وجوههم يسحبون عليها أو يمشون بها روي أنه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يمشون على وجوههم قال إن

الذي أمشاهم على أقدامهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم عميا وبكما وصما لا يبصرون ما يقر أعينهم ولا يسمعون ما يلذ

مسامعهم ولا ينطقون بما يقبل منهم لأنهم في دنياهم لم يستبصروا بالآيات والعبر وتصاموا عن استماع الحق وأبوا أن

ينطقوا بالصدق ويجوز أن يحشروا بعد الحساب من موقف إلى النار مؤوفي القوى والحواس مأواهم جهنم كلما خبت سكن لهبها

بأن أكلت جلودهم ولحومهم زدناهم سعيرا توقدا بأن نبدل جلودهم ولحومهم فتعود ملتهبة مستعرة بهم كأنهم لما كذبوا

بالإعادة بعد الإفناء جزاهم الله بأن لا يزالوا على الإعادة والإفناء وإليه أشار بقوله ذلك جزاؤهم بأنهم كفروا بآياتنا

وقالوا أإذا كنا عظاما ورفاتا أإنا لمبعوثون خلقا جديدا لأن الإشارة إلى ما تقدمه من عذابهم أولم يروا أولم

يعلموا أن الله الذي خلق السموات والأرض قادر على أن يخلق مثلهم فإنهم ليسوا أشد خلقا منهن ولا الإعادة

أصعب عليه من الإبداء وجعل لهم أجلا لا ريب فيه هو الموت أو القيامة فأبى الظالمون مع وضوح الحق إلا كفورا إلا جحودا

قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربي خزائن رزقه وسائر نعمه وأنتم مرفوع بفعل يفسره ما بعده كقول حاتم لو ذات سوار

لطمتني وفائدة هذا الحذف والتفسير المبالغة مع الإيجاز والدلالة على الاختصاص إذا لأمسكتم خشية الإنفاق لبخلتم

مخافة النفاد بالإنفاق إذ لا أحد إلا ويختار النفع لنفسه ولو آثر غيره بشيء فإنما يؤثره لعوض يفوقه فهو إذن بخيل بالإضافة

إلى جود الله وكرمه هذا وإن البخلاء أغلب فيهم وكان الإنسان قتورا بخيلا لأن بناء أمره على الحاجة والضنة

بما يحتاج إليه وملاحظة العوض فيما يبذله ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات هي العصا واليد والجراد والقمل والضفادع

والدم وانفجار الماء من الحجر وانفلاق البحر ونتق الطور على بني إسرائيل وقيل الطوفان والسنون ونقص الثمرات مكان

الثلاثة الأخيرة وعن صفوان أن يهوديا سأل النبي صلى الله عليه وسلم فقال أن لا تشركوا بالله شيئا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا

تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا تسحروا ولا تأكلوا الربا ولا تمشوا ببريء إلى ذي سلطان ليقتله ولا تقذفوا

محصنة ولا تفروا من الزحف وعليكم خاصة اليهود أن لا تعتدوا يوم السبت فقبل اليهودي يده ورجله صلى الله

عليه وسلم فعلى هذا المراد بالآيات الأحكام العامة للملل الثابتة في كل الشرائع سميت بذلك لأنها تدل على حال

ويخرون للاذقان يبكون كرره لاختلاف الحال والسبب فان الاول للشكر عند انجاز الوعد
والثاني لما اثر فيهم من مواعظ القران حال كونهم باكين من خشية الله تعالى وذكر الذقن لانه اول ما يلقى الارض من
وجه الساجد واللام فيه لاختصاص الخرور به ويزيدهم سماع القران خشوعا كما يزيدهم علما ويقينا بالله تعالى قل ادعوا
الله او ادعوا الرحمن نزلت حين سمع المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يا الله يا رحمن فقالوا انه ينهانا ان نعبد الهين
وهو يدعو الها اخر او قالت اليهود انك لتقل ذكر الرحمن وقد اكثره الله في التورية والمراد على الاول هو التسوية بين اللفظين
بانهما يطلقان على ذات واحد وان اختلف اعتبار اطلاقهما والتوحيد انما هو للذات الذي هو المعبود وعلى الثاني انهما
سيان في حسن الاطلاق والافضاء الى المقصود وهو اجود لقوله ايا ما تدعوا فله الاسماء الحسنى والدعاء في الاية بمعنى التسمية
وهو يتعدى الى مفعولين حذف اولهما استغناء عنه واو للتخيير والتنوين في ايا عوض عن المضاف اليه وما صلة لتاكيد ما في اي
من الابهام والضمير في فله للمسمى لان التسمية له لا للاسم وكان اصل الكلام ايا ما تدعو فهو حسن فوضع موضعه فله الاسماء
الحسنى للمبالغة والدلالة على ما هو الدليل عليه وكونها حسنى لدلالتها على صفات الجلال والاكرام ولا تجهر بصلاتك
بقراءة صلاتك حتى تسمع المشركين فان ذلك يحملهم على السب واللغو فيها ولا تخافت بها حتى لا تسمع من خلفك
من المؤمنين وابتغ بين ذلك سبيلا بين الجهر والمخافتة سبيلا وسطا فان الاقتصاد في جميع الامور محبوب روي ان
ابا بكر رضي الله عنه كان يخفت ويقول اناجي ربي وقد علم حاجتي وكان عمر رضي الله عنه يجهر ويقول اطرد الشيطان واوقظ
الوسنان فلما نزلت امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا بكر ان يرفع قليلا وعمر ان يخفض قليلا وقيل معناه لا تجهر بصلاتك
كلها ولا تخافت بها باسرها وابتغ بين ذلك سبيلا بالاخفات نهارا والجهر ليلا وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا
ولم يكن له شريك في الملك في الالوهية ولم يكن له ولي من الذل ولي يواليه من اجل مذلة به ليدفعها بموالاته نفى
عنه ان يكون له ما يشاركه من جنسه ومن غير جنسه اختيارا او اضطرارا وما يعاونه ويقويه ورتب الحمد عليه للدلالة
على انه الذي يستحق جنس الحمد لانه الكامل الذات المتفرد بالايجاد المنعم على الاطلاق وما عداه ناقص مملوك نعمة
او منعم عليه ولذلك عطف عليه قوله وكبره تكبيرا وفيه تنبيه على ان العبد وان بالغ في التنزيه والتمجيد واجتهد في العبادة والتحميد ينبغي
ان يعترف بالقصور عن حقه في ذلك روي انه عليه السلام اذا افصح الغلام من بني عبد المطلب علمه هذه الاية وعنه عليه السلام من قرأ سورة
بني اسرائيل فرق قلبه عند ذكر الوالدين كان له قنطار في الجنة والقنطار الف اوقية ومائتا اوقية سورة الكهف مكية وقيل الا قوله
واصبر نفسك الاية وهي مائة واحدى عشر اية بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب يعني القران رتب استحقاق الحمد على انزاله تعالى تنبيها على انه اعظم نعمائه
وذلك لانه الهادي الى ما فيه كمال العباد والداعي الى ما به ينتظم صلاح المعاش والمعاد ولم يجعل له عوجا شيئا
من العوج باختلال في اللفظ وتناف في المعنى او انحراف من الدعوة الى جناب الحق وهو في المعاني كالعوج في الاعيان قيما مستقيما
معتدلا لا افراط فيه ولا تفريط او قيما بمصالح العباد فيكون وصفا له بالتكميل بعد وصفه بالكمال او على الكتب السابقة
يشهد بصحتها وانتصابه بمضمر تقديره جعله قيما او على الحال من الضمير في له او من الكتاب على ان الواو في ولم يجعل

فانصدع الجبل حتى رأوا الضوء وقال الآخر كان لي فضل وأصاب الناس شدة فجاءتني امرأة فطلبت مني معروفا فقلت
والله ما هو دون نفسك فأبت وعادت ثم رجعت ثلاثا ثم ذكرت لزوجها فقال أجيبي له وأغيثي عيالك فأتت وسلمت
إلي نفسها فلما تكشفتها وهممت بها ارتعدت فقلت ما لك قالت أخاف الله فقلت لها خفتيه في الشدة ولم أخفه في الرخاء
فتركتها وأعطيتها ملتمسها اللهم إن فعلته لوجهك فافرج عنا فانصدع حتى تعارفوا وقال الثالث كان لي أبوان همّان
وكانت لي غنم وكنت أطعمهما وأسقيهما ثم أرجع إلى غنمي فحبسني ذات يوم غيث فلم أرح حتى أمسيت فأتيت أهلي وأخذت
محلبي فحلبت فيه ومضيت إليهما فوجدتهما نائمين فشق علي أن أوقظهما فتوقفت جالسا ومحلبي على يدي حتى أيقظهما الصبح
فسقيتهما اللهم إن فعلته لوجهك فافرج عنا ففرج الله عنهم فخرجوا وقد رفع ذلك نعمان بن بشير إذ أوى الفتية إلى
الكهف يعني فتية من أشراف الروم أرادهم دقيانوس على الشرك فأبوا وهربوا إلى الكهف فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة توجب
لنا المغفرة والرزق والأمن من العدو وهيئ لنا من أمرنا من الأمر الذي نحن عليه من مفارقة الكفار رشدا نصير بسببه
راشدين مهتدين أو اجعل أمرنا كله رشدا كقولك رأيت منك أسدا وأصل التهيئة إحداث هيئة الشيء فضربنا على
آذانهم أي ضربنا عليها حجابا يمنع السماع بمعنى أنمناهم إنامة لا تنبههم فيها الأصوات فحذف المفعول كما حذف في قولهم بنى على امرأته
في الكهف سنين ظرفان لضربنا عددا أي ذوات عدد ووصف السنين به يحتمل التكثير والتقليل فإن مدة لبثهم كبعض يوم
عنده تعالى ثم بعثناهم أيقظناهم لنعلم ليتعلق علمنا تعلقا حاليا مطابقا لتعلقه أولا تعلقا استقباليا أي الحزبين
المختلفين منهم أو من غيرهم في مدة لبثهم أحصى لما لبثوا أمدا ضبط أمدا لزمان لبثهم وما في أي من معنى الاستفهام
علق عنه لنعلم فهو مبتدأ وأحصى خبره وهو فعل ماض وأمدا مفعول له ولما لبثوا حال منه أو مفعول له وقيل إنه المفعول
واللام مزيدة وما موصولة وأمدا تمييز وقيل أحصى اسم تفضيل من الإحصاء بحذف الزوائد كقولهم هو أحصى للمال وأفلس من ابن المذلق وأمدا
نصب بفعل دل عليه كقوله + وأضرب منا بالسيوف القوانسا + نحن نقص عليك نبأهم بالحق بالصدق إنهم فتية شبان
جمع فتى كصبي وصبية آمنوا بربهم وزدناهم هدى بالتثبيت وربطنا على قلوبهم وقويناها بالصبر على هجر الوطن والأهل
والمال والجرأة على إظهار الحق والرد على دقيانوس الجبار إذ قاموا بين يديه فقالوا ربنا رب السماوات والأرض لن ندعو من دونه إلها
لقد قلنا إذا شططا والله لقد قلنا قولا ذا شطط أي ذا بعد عن الحق مفرط في الظلم هؤلاء قومنا مبتدأ وقومنا عطف بيان اتخذوا من
دونه آلهة خبره وهو إخبار في معنى إنكار لولا يأتون هلا يأتون عليهم على عبادتهم بسلطان بين ببرهان ظاهر فإن الدين لا يؤخذ
إلا به وفيه دليل على أن ما لا دليل عليه من الديانات مردود وأن التقليد فيه غير جائز فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا
بنسبة الشريك إليه تعالى وإذ اعتزلتموهم خطاب بعضهم لبعض وما يعبدون إلا الله عطف على الضمير المنصوب أي وإذ اعتزلتم
القوم ومعبوديهم إلا الله فإنهم كانوا يعبدون الله ويعبدون الأصنام كسائر المشركين ويجوز أن يكون ما
مصدرية على تقدير وإذ اعتزلتموهم وعبادتهم إلا عبادة الله وأن تكون نافية على أنه إخبار من الله تعالى عن الفتية
بالتوحيد معترض بين إذ وجوابه لتحقيق اعتزالهم فأووا إلى الكهف ينشر لكم ربكم يبسط لكم الرزق ويوسع عليكم من رحمته
في الدارين ويهيئ لكم من أمركم مرفقا ما ترتفقون به أي تنتفعون وجزمهم بذلك لنصوع يقينهم وقوة وثوقهم

لاطريق لهم الى علمه اخذوا فيما يهمهم وقالوا فابعثوا احدكم بورقكم هذه الى المدينة والورق الفضة مضروبة
كانت او غيرها وقرأ ابو عمرو وابو بكر وحمزة وروح عن يعقوب بالتخفيف وقرئ بالتثقيل وادغام القاف في الكاف وبالتخفيف
مكسور الواو مدغما وغير مدغم ورد الادغام لالتقاء الساكنين على غير حده وحملهم له دليل على ان التزود رأي
المتوكلين والمدينة طرسوس فلينظر ايها اي اهلها ازكى طعاما احل واطيب او اكثر وارخص فليأتكم برزق منه وليتلطف
وليتكلف اللطف في المعاملة حتى لا يغبن او في التخفي حتى لا يعرف ولا يشعرن بكم احدا ولا يفعلن ما يؤدي الى الشعور بكم
انهم ان يظهروا عليكم ان يطلعوا عليكم او يظفروا بكم والضمير للاهل المقدر في ايها يرجموكم يقتلوكم بالرجم او يعيدوكم في
ملتهم او يصيروكم اليها كرها من العود بمعنى الصيرورة وقيل كانوا اولا على دينهم فآمنوا ولن تفلحوا اذا ابدا ان دخلتم في
ملتهم وكذلك اعثرنا عليهم وكما انمناهم وبعثناهم لتزداد بصيرتهم اطلعنا عليهم ليعلموا ليعلم الذين اطلعناهم
على حالهم ان وعد الله بالبعث والموعود الذي هو البعث حق لان نومهم وانتباههم كحال من يموت ثم يبعث
وان الساعة لا ريب فيها وان القيامة لا ريب في امكانها فان من توفى نفوسهم وامسكها ثلثمائة سنين حافظا ابدانها
عن التحلل والتفتت ثم ارسلها اليها قادر ان يتوفى نفوس جميع الناس ممسكا اياها الى ان يحشر ابدانها فيردها عليها
اذ يتنازعون ظرف لاعثرنا اي اعثرناهم عليهم حين يتنازعون بينهم امرهم امر دينهم وكان بعضهم يقول تبعث
الارواح مجردة دون الاجساد وبعضهم يقول يبعثان معا ليرتفع الخلاف وليتبين انهما يبعثان معا او امر الفتية
حين اماتهم الله ثانيا بالموت فقال بعضهم ماتوا وقال الآخرون ناموا نومهم اول مرة او قالت طائفة تبنى عليهم
بنيانا يسكنه الناس ويتخذونه قرية وقال الآخرون لنتخذن عليهم مسجدا يصلى فيه كما قال الله تعالى فقالوا ابنوا
عليهم بنيانا ربهم اعلم بهم قال الذين غلبوا على امرهم لنتخذن عليهم مسجدا وقوله ربهم اعلم بهم اعتراض اما من الله تعالى
ردا على الخائضين في امرهم من اولئك المتنازعين او من المتنازعين فيهم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم او من
المتنازعين للرد الى الله تعالى بعدما تذكروا امرهم وتناقلوا الكلام في انسابهم واحوالهم فلم يتحقق لهم ذلك حكي ان المبعوث لما دخل
في السوق واخرج الدرهم وكان عليه اسم دقيانوس اتهموه بانه وجد كنزا فذهبوا به الى الملك وكان نصرانيا موحدا فقص
عليه القصص فقال بعضهم ان اباءنا اخبرونا ان فتية فروا بدينهم من دقيانوس فلعلهم هؤلاء فانطلق الملك واهل
المدينة من مؤمن وكافر وابصروهم وكلموهم ثم قالت الفتية للملك نستودعك الله تعالى ونعيذك به من شر الجن
والانس ثم رجعوا الى مضاجعهم فماتوا فدفنهم الملك في الكهف وبنى عليهم مسجدا وقيل لما انتهوا الى الكهف قال لهم الفتى مكانكم
حتى ادخل اولا لئلا يفزعوا فدخل فعمي عليهم المدخل فبنوا ثمة مسجدا سيقولون اي الخائضون في قصتهم في عهد
الرسول عليه السلام من اهل الكتاب والمؤمنين ثلاثة رابعهم كلبهم اي هم ثلاثة رجال يربعهم كلبهم بانضمامه اليهم
قيل هو قول اليهود وقيل هو قول السيد من نصارى نجران وكان يعقوبيا ويقولون خمسة سادسهم كلبهم قاله النصارى
او العاقب منهم وكان نسطوريا رجما بالغيب رميا بالخبر الخفي الذي لا مطلع لهم عليه واتيانا به او ظنا
بالغيب من قولهم رجم بالظن اذا ظن وانما لم يذكر بالسين اكتفاء بعطفه على ما هو فيه ويقولون سبعة

احوال العليا دار وخلق يخفى عليه تعالى علما الصفية واكبت ذكر بصيغة التعجب للدلالة على ان امره في الادراك خارج عما عليه
ادراك السامعين والمبصرين اذ لا يحجبه شيء ولا يتفاوت دونه لطيف وكثيف وصغير وكبير وخفي وجلي والهاء
لله تعالى ومحله الرفع على الفاعلية والباء مزيدة عند سيبويه وكان اصلها ابصر اي صار ذا بصر ثم نقل الى صيغة الامر بمعنى الانشاء
فبرز الضمير لعدم لياقة الصيغة له او لزيادة الباء كما في قوله تعالى وكفى به والنصب على المفعولية عند الاخفش والفاعل
ضمير المامور وهو كل احد والباء مزيدة ان كانت الهمزة للتعدية ومعدية ان كانت للصيرورة ما لهم الضمير
لاهل السموات والارض من دونه من ولي من يتولى امورهم ولا يشرك في حكمه في قضائه احدا منهم ولا يجعل له
فيه مدخلا وقرا ابن عامر وقالون عن يعقوب بالتاء والجزم على نهي كل احد عن الاشراك ثم لما دل اشتمال القران على قصة
اصحاب الكهف من حيث انها من المغيبات بالاضافة الى الرسول عليه السلام على انه وحي معجز امره بان يداوم درسه ويلازم اصحابه
فقال واتل ما اوحي اليك من كتاب ربك من القران ولا تسمع لقولهم ائت بقران غير هذا او بدله لا مبدل لكلماته
لا احد يقدر على تبديلها او تغييرها غيره ولن تجد من دونه ملتحدا ملتجا تعدل اليه ان هممت به واصبر
نفسك واحبسها وثبتها مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي في مجامعهم او في طرفي النهار وقرا ابن عامر بالغدوة
وفيه ان غدوة علم في الاكثر فيكون اللام فيه على تاويل التنكير يريدون وجهه رضاء الله تعالى وطاعته ولا تعد عيناك
عنهم ولا يجاوزهم نظرك الى غيرهم وتعديته بعن لتضمينه معنى نبا وقرئ ولا تعد عينيك ولا تعد من اعداه وعداه
والمراد نهي الرسول عليه السلام ان يزدري فقراء المؤمنين وتعلو عينه عن رثاثة زيهم طموحا الى طراوة زي الاغنياء
تريد زينة الحيوة الدنيا حال من الكاف في المشهورة ومن المستكن في الفعل في غيرها ولا تطع من اغفلنا قلبه من
جعلنا قلبه غافلا عن ذكرنا كامية بن خلف في دعائك الى طرد الفقراء عن مجلسك لصناديد قريش وفيه تنبيه على ان الداعي
له الى هذا الاستدعاء غفلة قلبه عن المعقولات وانهماكه في المحسوسات حتى خفي عليه ان الشرف بحلية النفس لا بزينة الجسد وانه
لو اطاعه كان مثله في الغباوة والمعتزلة لما غاظهم اسناد الاغفال الى الله تعالى قالوا انه مثل اجبنته اذا وجدته
كذلك او نسبته اليه او من اغفل ابله اذا تركها بغير سمة اي لم نسمه بالذكر ولم نجعلهم من الذين كتبنا في قلوبهم الايمان
على ان المراد ليس ظاهره اذكرا ولا يقوله واتبع هواه زجرا به ما مر غير مرة وقرئ اغفلنا باسناد الفعل الى القلب
معنى حسبنا قلبه غافلين عن ذكرنا ايانا بالمواخذة وكان امره فرطا اي تقدما على الحق ونبذا له وراء ظهره
يقال فرس فرط اي متقدم للخيل ومنه الفرط وقل الحق من ربكم الحق ما يكون من جهة الله تعالى لا ما يقتضيه الهوى
ويجوز ان يكون الحق خبر محذوف ومن ربكم حالا فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر لا ابالي بايمان من امن وكفر من كفر وهو
لا يقتضي استقلال العبد بفعله فانه وان كان بمشيته فمشيته ليست بمشيته انا اعتدنا للظالمين نارا احاط بهم سرادقها
فسطاطها شبه به ما يحيط بهم من النار وقيل السرادق الحجرة التي تكون حول الفسطاط وقيل سرادقها دخانها وقيل حائط
من نار وان يستغيثوا من العطش يغاثوا بماء كالمهل كالجسد المذاب وقيل كدردي الزيت وهو على طريقة قوله فاعتبوا
بالصيلم يشوي الوجوه اذا قدم ليشرب من فرط حرارته وهو صفة ثانية لماء او حال من المهل او الضمير في الكاف

لاعتقاده انه تعالى انما اولاه ما اولاه لاستيهاله واستحقاقه اياه لذاته وهو معه اينما يلقاه قال له صاحبه وهو
يحاوره اكفرت بالذي خلقك من تراب لانه اصل مادتك او مادة اصلك ثم من نطفة فانها مادتك القريبة ثم
سواك رجلا ثم عدلك وكملك انسانا ذكرا بالغا مبلغ الرجال جعل كفره بالبعث كفرا بالله لان منشاه الشك في كمال
قدرة الله تعالى ولذلك رتب الانكار على خلقه تعالى اياه من التراب فان من قدر على بدء خلقه منه قدر ان يعيده منه لكنا هو الله
ربي ولا اشرك بربي احدا اصله لكن انا فحذفت الهمزة بنقل الحركة او دونه فتلاقت النونان فكان الادغام وقرا ابن عامر ويعقوب
في رواية بالالف في الوصل لتعويضها من الهمزة او لاجراء الوصل مجرى الوقف وقد قرئ لكن انا على الاصل وهو ضمير الشان وهو
بالجملة الواقعة خبرا له خبر انا او ضمير الله تعالى والله بدله وربي خبره والجملة خبر انا والاستدراك من اكفرت كانه قال انت كافر
بالله تعالى لكني مومن به تعالى وقرئ لكن هو الله ربي ولكن انا لا اله الا هو ربي ولولا اذ دخلت جنتك قلت وهلا قلت عند دخولها
ما شاء الله الامر ما شاء الله تعالى او ما شاء الله تعالى كائن على ان ما موصولة او اي شيء شاء الله تعالى كان على انها شرطية والجواب محذوف
اقرارا بانها وما فيها بمشيئة الله تعالى ان شاء ابقاها وان شاء ابادها لا قوة الا بالله تعالى وقلت لا قوة الا بالله اعترافا بالعجز
على نفسك والقدرة لله وان ما تيسر لك من عمارتها وتدبير امرها فبمعونته واقداره وعن النبي عليه السلام من راى شيئا فاعجبه فقال ما شاء
الله لا قوة الا بالله لم يضره ان ترن انا اقل منك مالا وولدا يحتمل ان يكون انا فصلا وان يكون تاكيدا للمفعول الاول وقرئ اقل
بالرفع على انه خبر انا والجملة مفعول ثان لترن وفي قوله وولدا دليل لمن فسر النفر بالاولاد فعسى ربي ان يؤتين خيرا من جنتك في
الدنيا او في الاخرة لايماني وهو جواب الشرط ويرسل عليها على جنتك حسبانا من السماء مرامي جمع حسبانة وهي الصواعق
وقيل هو مصدر بمعنى الحساب والمراد به التقدير بتخريبها او عذاب حساب الاعمال السيئة فتصبح صعيدا زلقا ارضا ملساء يزلق
عليها باستيصال نباتها واشجارها او يصبح ماؤها غورا غائرا في الارض مصدر وصف به كالزلق فلن تستطيع
له طلبا للماء الغائر ترددا في رده واحيط بثمره واهلك امواله حسبما توقعه صاحبه وانذره منه وهو ماخوذ
من احاط به العدو فانه اذا احاط به غلبه واذا غلبه اهلكه ونظيره اتى عليه اذا اهلكه من اتى عليهم العدو
اذا جاءهم مستعليا عليهم فاصبح يقلب كفيه ظهرا لبطن تلهفا وتحسرا على ما انفق فيها في عمارتها وهو متعلق
بيقلب لان تقليب الكفين كناية عن الندم فكانه قيل فاصبح يندم او حال اي متحسرا على ما انفق فيها وهي خاوية اي
ساقطة على عروشها بان سقطت عروشها على الارض وسقطت الكروم فوقها ويقول عطف على يقلب او حال من
ضميره يا ليتني لم اشرك بربي احدا كانه تذكر موعظة اخيه وعلم انه اتي من قبل شركه فتمنى لو لم يكن مشركا فلم
يهلك الله تعالى بستانه ويحتمل ان يكون توبة من الشرك وندما على ما سبق منه ولم تكن له فئة وقرا حمزة والكسائي بالياء
لتقدمه ينصرونه يقدرون على نصره بدفع الاهلاك او رد المهلك او الاتيان بمثله من دون الله فانه القادر على
ذلك وحده وما كان منتصرا وما كان ممتنعا بقوته عن انتقام الله تعالى منه هنالك في ذلك المقام وتلك
الحال الولاية لله الحق النصرة له وحده لا يقدر عليها غيره تقريرا له ولم تكن له فئة تنصره او تنصر فيها اولياءه
المؤمنين على الكفرة كما نصر فيما فعل بالكافر اخاه المومن ويعضده قوله هو خير ثوابا وخير عقبا اي

واستشنع صنيعهم تقرير ذلك بانه من سنن ابليس او لما بين حال المغرورين بالدنيا والمعرضين عنها وكان سبب الاغترار بها
حب الشهوات وتسويل الشيطان زهدهم اولا في زخارف الدنيا بانها عرضة الزوال والاعمال الصالحات خير وابقى
من انفسها واعلاها ثم نفرهم عن الشيطان بتذكير ما بينهم من العداوة القديمة وهكذا مذهب كل تكرير في القرآن كان من الجن
حال باضمار قد او استيناف للتعليل كانه قيل ما له لم يسجد فقيل كان من الجن ففسق عن امر ربه فخرج عن امره بترك السجود
والفاء للتسبيب وفيه دليل على ان الملك لا يعصي البتة وانما عصى ابليس لانه كان جنيا في اصله والكلام المستقصى فيه في سورة
البقرة أفتتخذونه وذريته اعقيب ما وجد منه تتخذونه والهمزة للانكار والتعجيب وذريته اولاده او اتباعه وسماهم ذرية
مجازا اولياء من دوني وتستبدلونهم بي فتطيعونهم بدل طاعتي وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا من الله ابليس
وذريته ما اشهدتهم خلق السموات والارض ولا خلق انفسهم نفي احضار ابليس وذريته خلق السموات والارض
واحضار بعضهم خلق بعض ليدل على نفي الاعتضاد بهم في ذلك كما صرح به بقوله وما كنت متخذ المضلين عضدا
اي اعوانا ردا لاتخاذهم اولياء من دون الله تعالى شركاء له في العبادة فان استحقاق العبادة من توابع الخالقية والاشتراك
فيه يستلزم الاشتراك فيها فوضع المضلين موضع الضمير ذما لهم واستبعادا للاعتضاد بهم وقيل الضمير للمشركين
والمعنى ما اشهدتهم خلق ذلك وما خصصتهم بعلوم لا يعرفها غيرهم حتى لو آمنوا اتبعهم الناس كما يزعمون فلا
تلتفت الى قولهم طمعا في نصرتهم للدين فانه لا ينبغي لي ان اعتضد بالمضلين لديني ويعضده قراءة من قرأ وما
كنت على خطاب الرسول عليه السلام وقرئ متخذا المضلين على الاصل وعضدا بالتخفيف وعضدا بالاتباع وعضدا
كخدم جمع عاضد من عضده اذا قواه ويوم يقول اي الله للكفار وقرأ حمزة بالنون نادوا شركائي الذين زعمتم
انهم شركائي او شفعاؤكم ليمنعوكم من عذابي واضافة الشركاء على زعمهم للتوبيخ والمراد ما عبد من دونه وقيل ابليس
وذريته فدعوهم فنادوهم للاغاثة فلم يستجيبوا لهم فلم يغيثوهم وجعلنا بينهم بين الكفار والهتهم موبقا
مهلكا يشتركون فيه وهو النار او عداوة هي في شدتها هلاك كقول عمر رضي الله عنه لا يكن حبك كلفا ولا بغضك تلفا
مكانا او مصدرا من وبق يوبق وبقا او وبق يبق وبوقا اذا هلك وقيل البين الوصل اي وجعلنا تواصلهم في الدنيا
هلاكا يوم القيمة ورأى المجرمون النار فظنوا فايقنوا انهم مواقعوها مخالطوها واقعون فيها ولم يجدوا عنها
مصرفا انصرافا او مكانا ينصرفون اليه ولقد صرفنا في هذا القرآن للناس من كل مثل من كل جنس يحتاجون اليه
وكان الانسان اكثر شيء جدلا يتأتى منه الجدل خصومة بالباطل وانتصابه على التمييز وما منع الناس ان يؤمنوا
من الايمان اذ جاءهم الهدى وهو الرسول الداعي والقرآن المبين ويستغفروا ربهم ومن الاستغفار عن الذنوب
الا ان تأتيهم سنة الاولين الا طلب او انتظار او تقدير ان تأتيهم سنة الاولين وهو الاستيصال فحذف المضاف
واقيم المضاف اليه مقامه او يأتيهم العذاب عذاب الآخرة قبلا عيانا وقرأ الكوفيون قبلا بضمتين وهو لغة فيه او جمع قبيل بمعنى
انواع وقرئ بفتحتين وهو ايضا لغة يقال لقيته مقابلة وقبلا وقبلا وقبيلا وقبلا وانتصابه على الحال من الضمير او
العذاب وما نرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين للمؤمنين والكافرين ويجادل الذين كفروا

الى علمه عمان يصيب كلمة بلى الله تعالى هكذا وزده عن ربي فقال ان كان في عبادك اعلم مني فادللني عليه قال اعلم منك
الخضر قال اين اطلبه قال على الساحل عند الصخرة قال كيف لي به قال تاخذ حوتا في مكتل فحيث فقدته فهو هناك
فقال لفتاه اذا فقدت الحوت فاخبرني فذهبا يمشيان فلما بلغا مجمع بينهما اي مجمع البحرين وبينهما ظرف اضيف اليه
على الاتساع او بمعنى الوصل نسيا حوتهما نسي موسى ان يطلبه ويتعرف حاله ويوشع ان يذكر له ما راى من حيوته ووقوعه
في البحر روي ان موسى رقد فاضطرب الحوت المشوي ووثب في البحر معجزة لموسى او الخضر عليهما السلام وقيل توضا يوشع
من عين الحيوة فانتضح الماء عليه فعاش ووثب في الماء وقيل نسيا تفقد امره وما يكون منه امارة على الظفر بالمطلوب
فاتخذ سبيله في البحر سربا فاتخذ الحوت طريقه في البحر مسلكا من قوله وسارب بالنهار وقيل امسك الله تعالى جرية الماء
على الحوت فصار كالطاق عليه ونصبه على المفعول الثاني وفي البحر حال منه او من السبيل ويجوز تعلقه باتخذ فلما جاوزا
مجمع البحرين قال لفتاه آتنا غداءنا ما نتغدى به لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا قيل لم ينصب حتى جاوز الموعد فلما
جاوزه وسار الليلة والغد الى الظهر القي عليه الجوع والنصب وقيل لم يعي موسى في سفر غيره ويؤيده التقييد باسم الاشارة
قال ارايت اذ اوينا الى الصخرة يعني الصخرة التي رقد عندها موسى عليه السلام وقيل
هي الصخرة التي دون نهر الزيت فاني نسيت الحوت فقدته او نسيت ذكره بما رايت منه وما انسانيه الا الشيطان
ان اذكره اي وما انساني ذكره الا الشيطان فان ان اذكره بدل من الضمير وقرئ ان اذكركه وهو اعتذار عن نسيانه
بشغل الشيطان له بوساوسه والحال وان كانت عجيبة لا ينسى مثلها لكنه لما ضري بمشاهدة امثالها عند موسى
والفها قل اهتمامه بها ولعله نسي ذلك لاستغراقه في الاستبصار وانجذاب شراشره الى جناب القدس بما عراه من
مشاهدة الآيات الباهرة وانما نسبه الى الشيطان هضما لنفسه او لان عدم احتمال القوة للجانبين واشتغالها باحدهما
عن الآخر يعد من نقصان واتخذ سبيله في البحر عجبا سبيلا عجبا وهو كونه كالسرب او اتخاذا عجبا والمفعول الثاني
هو الظرف وقيل هو مصدر فعله المضمر اي قال في آخر كلامه او موسى في جوابه عجبا تعجبا من تلك الحال وقيل الفعل
لموسى اي اتخذ موسى سبيل الحوت في البحر عجبا قال ذلك اي امر الحوت ما كنا نبغ نطلب لانه امارة المطلوب فارتدا
على آثارهما فرجعا في الطريق الذي جاءا فيه قصصا يقصان قصصا اي يتبعان آثارهما اتباعا او مقتصين حتى
اتيا الصخرة فوجدا عبدا من عبادنا الجمهور على انه الخضر واسمه بليا بن ملكان وقيل اليسع وقيل الياس آتيناه رحمة من
عندنا هي الوحي والنبوة وعلمناه من لدنا علما مما يختص بنا ولا يعلم الا بتوفيقنا وهو علم الغيوب قال له موسى هل
اتبعك على ان تعلمن على شرط ان تعلمني وهو في موضع الحال من الكاف مما علمت رشدا علما ذا رشد وهو اصابة الخير وقرا
البصريان بفتحتين وهما لغتان كالبخل والبخل وهو مفعول تعلمني ومفعول علمت العائد المحذوف وكلاهما منقولان
من علم الذي له مفعول واحد ويجوز ان يكون علة لاتبعك او مصدرا باضمار فعله ولا ينافي نبوته وكونه صاحب شريعة ان
يتعلم من غيره ما لم يكن شرطا في ابواب الدين فان الرسول ينبغي ان يكون اعلم ممن ارسل اليه فيما بعث به من اصول الدين
وفروعه لا مطلقا وقد راعى في ذلك غاية التواضع والادب فاستجهل نفسه واستاذن ان يكون تابعا له وسال منه

صاحبك قد بلغت من لدني عذرا قد وجدت عذرا من قبلي لما خالفتك ثلث مرات وعن رسول الله صلى

الله عليه وسلم رحم الله اخي موسى استحيى فقال ذلك لو لبث مع صاحبه لابصر اعجب الاعاجيب وقرأ نافع لدني بتحريك

النون والاكتفاء بها عن نون الدعامة كقوله قدني من نصر الخبيبين قدي وابو بكر لدني بتحريك النون واسكان الدال اسكان الضاد

من عضد فانطلقا حتى اذا اتيا اهل قرية انطاكية وقيل ابلة البصرة وقيل باجروان ارمينية استطعما اهلها فابوا ان

يضيفوهما وقرئ يضيفوهما من اضافه يقال ضافه اذا نزل به ضيفا واضافه وضيفه انزله واصل التركيب للميل يقال ضاف

السهم عن الغرض اذا مال فوجدا فيها جدارا يريد ان ينقض يداني ان يسقط فاستعيرت الارادة للمشارفة كما استعير لها

الهم والعزم قال يريد الرمح صدر ابي براء ويرغب عن دماء بني عقيل وقال ان دهرا يلف شملي بجمل لزمان يهم بالاحسان

وانقض انفعل من قضضته اذا كسرته ومنه انقضاض الطير والكواكب لهويه او افعل من النقض وقرئ ان ينقض

وان ينقاص بالصاد المهملة من انقاصت السن اذا انشقت طولا فاقامه بعمارته او بعمود عمده به وقيل مسحه

بيده فقام وقيل نقضه وبناه قال لو شئت لاتخذت عليه اجرا تحريضا على اخذ الجعل لينتعشا به او تعريضا بانه

فضول لما في لو من النفي كانه لما راى الحرمان ومساس الحاجة واشتغاله بما لا يعنيه لم يتمالك نفسه واتخذ

افتعل من تخذ كاتبع من تبع وليس من الاخذ عند البصريين وقرأ ابن كثير والبصريان لتخذت اي لاخذت واظهر ابن كثير و

يعقوب وحفص الذال قال هذا فراق بيني وبينك الاشارة الى الفراق الموعود بقوله فلا تصاحبني

او الى الاعتراض الثالث او الوقت اي هذا الاعتراض سبب فراقنا او هذا الوقت وقته واضافة الفراق الى البين اضافة

المصدر الى الظرف على الاتساع وقد قرئ على الاصل سانبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا بالخبر الباطن

فيما لم تستطع الصبر عليه لكونه منكرا من حيث الظاهر اما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر لمحاويج وهو دليل

على ان المسكين يطلق على من يملك شيئا اذا لم يكفه وقيل سموا مساكين لعجزهم عن دفع الملك او لزمانتهم فانها كانت

لعشرة اخوة خمسة زمنى وخمسة يعملون في البحر فاردت ان اعيبها ان اجعلها ذات عيب وكان وراءهم ملك قدامهم

او خلفهم وكان رجوعهم عليه واسمه جلندى بن كركر وقيل منوار بن جلندى الازدي يأخذ كل سفينة غصبا من اصحابها

وكان حق النظم ان يتأخر قوله فاردت ان اعيبها عن قوله وكان وراءهم ملك لان ارادة التعييب مسببة

عن خوف الغصب وانما قدم للعناية او لان السبب لما كان مجموع الامرين خوف الغصب ومسكنة الملاك رتبه

على اقوى الجزئين وادعاهما وعقبه بالآخر على سبيل التقييد والتتميم وقرئ كل سفينة صالحة والمعنى عليها

واما الغلام فكان ابواه مؤمنين فخشينا ان يرهقهما ان يغشيهما طغيانا وكفرا لنعمتهما بعقوقه فيلحقهما

شرا او يقرن بايمانهما طغيانه وكفره فيجتمع في بيت واحد مؤمنان وطاغ كافر او يعديهما بدائه ويضلهما بضلاله

فيرتدا باضلاله او بممالأته على طغيانه وكفره حبا وانما خشي ذلك لان الله تعالى اعلمه وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان نجدة الحروري كتب اليه كيف

قتله وقد نهى النبي عليه السلام عن قتل الولدان فكتب اليه ان علمت من حال الولدان ما علمه عالم موسى

فلك ان تقتل وقرئ فخاف ربك اي فكره كراهة من خاف سوء عاقبته ويجوز ان يكون قوله فخشينا حكاية قول الله عز وجل

المحيط فراها كذلك اذ لم يكن في مطمح بصره غير الماء ولذلك قال وجدها تغرب ولم يقل كانت تغرب وقيل ان ابن عباس سمع معاوية يقرأ حامية فقال حمئة فبعث معاوية الى كعب الاحبار كيف تجد الشمس تغرب قال في ماء وطين كذلك نجده في التورية ووجد عندها عند تلك العين قوما قيل كان لباسهم جلود الوحش وطعامهم ما لفظه البحر وكانوا كفارا فخيره الله بين ان يعذبهم او يدعوهم الى الايمان كما حكى بقوله قلنا يا ذا القرنين اما ان تعذب اي بالقتل على كفرهم واما ان تتخذ فيهم حسنا بالارشاد وتعليم الشرائع وقيل خيره بين القتل والاسر وسماه احسانا في مقابلة القتل ويؤيد الاول قوله قال اما من ظلم فسوف نعذبه ثم يرد الى ربه فيعذبه عذابا نكرا اي فاختار الدعوة وقال اما من دعوته فظلم نفسه بالاصرار على كفره او استمر على ظلمه الذي هو الشرك فنعذبه انا ومن معي في الدنيا بالقتل ثم يعذبه الله تعالى في الآخرة عذابا منكرا لم يعهد مثله واما من آمن وعمل صالحا وهو ما يقتضيه الايمان فله في الدارين جزاء الحسنى فعلته الحسنى وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب وحفص جزاء منونا منصوبا على الحال اي فله المثوبة الحسنى مجزيا بها او على المصدر لفعله المقدر حالا اي يجزى بها جزاء او التمييز وقرئ منصوبا غير منون على ان تنوينه حذف لالتقاء الساكنين ومنونا مرفوعا على انه المبتدأ والحسنى بدله ويجوز ان يكون اما واما للتقسيم دون التخيير اي ليكن شأنك معهم اما التعذيب واما الاحسان فالاول لمن اصر على الكفر والثاني لمن تاب عنه ونداء الله تعالى اياه ان كان نبيا فبوحي وان كان غيره فبالهام او على لسان نبي وسنقول له من امرنا مما نأمره به يسرا سهلا ميسرا غير شاق وتقديره ذا يسر وقرئ بضمتين ثم اتبع سببا ثم اتبع طريقا يوصله الى المشرق وقرأ الكوفيون وابن عامر بقطع الالف مخففة التاء وكذلك ما بعده حتى اذا بلغ مطلع الشمس يعني الموضع الذي تطلع الشمس عليه اولا من معمورة الارض وقرئ بفتح اللام على اضمار مضاف اي مكان مطلع الشمس فانه مصدر وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا من اللباس او البناء فان ارضهم لا تمسك الابنية او انهم اتخذوا الاسراب بدل الابنية كذلك اي امر ذي القرنين كما وصفناه في رفعة المكان وبسطة الملك او امره فيهم كامره في اهل المغرب من التخيير والاختيار ويجوز ان يكون صفة مصدر محذوف لوجد او نجعل او صفة قوم اي على قوم مثل ذلك القبيل الذي تغرب عليهم الشمس في الكفر والحكم وقد احطنا بما لديه من الجنود والآلات والعدد والاسباب خبرا علما تعلق بظواهره وخفاياه والمراد ان كثرة ذلك بلغت مبلغا لا يحيط به الا علم اللطيف الخبير ثم اتبع سببا يعني طريقا ثالثا معترضا بين المشرق والمغرب آخذا من الجنوب الى الشمال حتى اذا بلغ بين السدين بين الجبلين المبني بينهما سده وهما جبلا ارمينية واذربيجان وقيل جبلان منيفان في اواخر الشمال في منقطع ارض الترك من ورائهما يأجوج ومأجوج وقرأ نافع وابن عامر وحمزة والكسائي وابو بكر ويعقوب بين السدين بالضم وهما لغتان وقيل المضموم لما خلقه الله تعالى والمفتوح لما عمله الناس لانه في الاصل مصدر سمي به حدث يحدثه الناس وقيل بالعكس وبين هاهنا مفعول به وهو من الظروف المتصرفة وجد من دونهما قوما لا يكادون يفقهون قولا لغرابة لغتهم وقلة فطنتهم وقرأ حمزة والكسائي يفقهون اي لا يفهمون السامع كلامهم ولا يبينونه لتلعثمهم فيه قالوا يا ذا القرنين اي قال مترجمهم وفي مصحف ابن مسعود قال الذين من دونهم ان يأجوج ومأجوج قبيلتان من ولد يافث بن نوح عليه السلام وقيل يأجوج من الترك ومأجوج من الجيل

وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين وابرزناها واظهرناها لهم عرضا الذين كانت اعينهم في غطاء عن ذكري عن اياتي
التي ينظر اليها فاذكر بالتوحيد والتعظيم وكانوا لا يستطيعون سمعا استماعا لذكري وكلامي لافراط صممهم عن الحق
فان الاصم قد يستطيع السمع اذا صيح به وهؤلاء كانهم اصمت مسامعهم بالكلية افحسب الذين كفروا افظنوا
والاستفهام للانكار ان يتخذوا عبادي اتخاذهم الملائكة والمسيح من دوني اولياء معبودين نافعهم او لا اعذبهم به
فحذف المفعول الثاني كما يحذف الخبر للقرينة او سد ان يتخذوا مسد مفعوليه وقرئ افحسب الذين كفروا اي افكافيهم
في النجاة وان بما في حيزه مرتفع بانه فاعل حسب فان النعت اذا اعتمد على الهمزة ساوى الفعل في العمل او خبر له
انا اعتدنا جهنم للكافرين نزلا ما يقام للنزيل وفيه تهكم وتنبيه على ان لهم وراءها من العذاب ما تستحقر دونه
قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا نصب على التمييز وجمع لانه من اسماء الفاعلين او لتنوع اعمالهم الذين ضل
سعيهم في الحياة الدنيا ضاع وبطل لكفرهم وعجبهم كالرهبانية فانهم خسروا دنياهم واخراهم ومحله الرفع على
الخبر المحذوف فانه جواب السؤال او الجر على البدل او النصب على الذم وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا لعجبهم
واعتقادهم انهم على الحق اولئك الذين كفروا بايات ربهم بالقران او بدلائله المنصوبة على التوحيد والنبوة
ولقائه بالبعث على ما هو عليه او لقاء عذابه فحبطت اعمالهم بكفرهم فلا يثابون عليها فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا
فنزدري بهم ولا نجعل لهم مقدارا واعتبارا او لا نضع لهم ميزانا يوزن به اعمالهم لانحباطها ذلك الامر ذلك وقوله
جزاؤهم جهنم جملة مبينة له ويجوز ان يكون ذلك مبتدأ والجملة خبره والعائد محذوف اي جزاؤهم به او جزاؤهم بدله
وجهنم خبره او جزاؤهم خبره وجهنم عطف بيان للخبر بما كفروا واتخذوا اياتي ورسلي هزوا اي بسبب ذلك ان الذين امنوا وعملوا
الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا فيما سبق من حكم الله تعالى ووعده والفردوس اعلى درجات الجنة واصله البستان
الذي يجمع الكرم والنخل خالدين فيها حال مقدرة لا يبغون عنها حولا تحولا اذ لا يجدون اطيب منها حتى تنازعهم اليه انفسهم
ويجوز ان يراد به تاكيد الخلود قل لو كان البحر مدادا وهو اسم ما تمد به الشيء كالحبر للدواة والسليط للسراج
لكلمات ربي لكلمات علمه وحكمته لنفد البحر لنفد جنس البحر باسره لان كل جسم متناه قبل ان تنفد كلمات ربي فانها
غير متناهية لا تنفد كعلمه ولو جئنا بمثله بمثل البحر الموجود مددا زيادة ومعونة لان مجموع المتناهيين متناه بل
مجموع ما يدخل في الوجود من الاجسام لا يكون الا متناهيا للدلائل القاطعة على تناهي الابعاد والمتناهي ينفد قبل ان ينفد
غير المتناهي لا محالة وقرأ حمزة والكسائي ينفد بالياء وقرئ مددا بكسر الميم جمع مدة وهي ما يستمده الكاتب ومدادا وسبب نزولها ان
اليهود قالوا في كتابكم ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا وتقرؤون وما اوتيتم من العلم الا قليلا قل انما انا بشر مثلكم
لا ادعي الاحاطة على كلماته يوحى الي انما الهكم اله واحد وانما تميزت عنكم بذلك فمن كان يرجو لقاء ربه يامل
حسن لقائه فليعمل عملا صالحا يرتضيه الله ولا يشرك بعبادة ربه احدا بان يرائيه او يطلب منه اجرا روي ان جندب بن زهير
قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اني لاعمل العمل لله تعالى فاذا اطلع عليه سرني فقال عليه السلام ان الله تعالى لا يقبل
ما شورك فيه فنزلت تصديقا له وعنه صلى الله عليه وسلم اتقوا الشرك الاصغر قالوا وما الشرك الاصغر قال

والقياس يقتضي الترقي من الادنى الى الاعلى لتقدم رحمة الدنيا ولانه صار كالعلم من حيث انه لا يوصف به غيره لان معناه المنعم الحقيقي
البالغ في الرحمة غايتها وذلك لا يصدق على غيره لان من عداه فهو مستعيض بلطفه وانعامه يريد به جزيل ثواب
او جميل ثناء او يزيح رقة الجنسية او حب المال عن القلب ثم انه كالواسطة في ذلك لان ذات النعم ووجودها والقدرة
على ايصالها والداعية الباعثة عليه والتمكن من الانتفاع بها والقوى التي بها يحصل الانتفاع الى غير ذلك من خلقه لا يقدر
عليها احد غيره او لان الرحمن لما دل على جلائل النعم واصولها ذكر الرحيم ليتناول ما خرج منها فيكون كالتتمة والرديف له او
للمحافظة على رؤس الآي والاظهر انه غير مصروف وان حظر اختصاصه بالله ان يكون له مؤنث على فعلى او فعلانة الحاقا
له بما هو الغالب في بابه وانما خص التسمية بهذه الاسماء ليعلم العارف ان المستحق لان يستعان به في مجامع الامور هو
المعبود الحقيقي الذي هو مولي النعم كلها عاجلها وآجلها جليلها وحقيرها فيتوجه بشراشره الى جناب القدس ويتمسك
بحبل التوفيق ويشغل سره بذكره والاستمداد به عن غيره **الحمد لله** الحمد هو الثناء على الجميل الاختياري من نعمة او غيرها و
المدح هو الثناء على الجميل مطلقا تقول حمدت زيدا على علمه وكرمه ولا تقول حمدته على حسنه بل مدحته وقيل هما اخوان
والشكر مقابلة النعمة قولا وعملا واعتقادا قال ٭ افادتكم النعماء مني ثلثة ٭ يدي ولساني والضمير المحجبا ٭ فهو اعم منهما من
وجه واخص من آخر ولما كان الحمد من شعب الشكر اشيع للنعمة وادل على مكانها لخفاء الاعتقاد وما في آداب الجوارح من الاحتمال
جعل راس الشكر والعمدة فيه فقال عليه وآله الصلوة والسلام الحمد راس الشكر ما شكر الله من لم يحمده والذم نقيض الحمد والكفران
نقيض الشكر ورفعه بالابتداء وخبره لله واصله النصب وقد قرئ به وانما عدل عنه الى الرفع ليدل على عموم الحمد وثباته له دون تجدده وحدوثه
وهو من المصادر التي تنصب بافعال مضمرة لا تكاد تستعمل معها والتعريف فيه للجنس ومعناه الاشارة الى ما يعرفه كل احد ان الحمد ما هو
او للاستغراق اذ الحمد في الحقيقة كله له اذ ما من خير الا وهو موليه بوسط او غير وسط كما قال الله تعالى وما بكم من نعمة فمن الله
وفيه اشعار بانه تعالى حي قادر مريد عالم اذ الحمد لا يستحقه الا من كان هذا شانه وقرئ الحمد لله باتباع الدال اللام وبالعكس تنزيلا
لهما من حيث انهما يستعملان معا منزلة كلمة واحدة **رب العالمين** الرب في الاصل بمعنى التربية وهي تبليغ الشيء الى كماله
شيئا فشيئا ثم وصف به للمبالغة كالصوم والعدل وقيل هو نعت من ربه يربه فهو رب كقولك نم ينم فهو نم ثم سمي به المالك لانه
يحفظ ما يملكه ويربيه ولا يطلق على غيره تعالى الا مقيدا كقوله ارجع الى ربك والعالم اسم لما يعلم به كالخاتم والقالب غلب فيما يعلم به
الصانع وهو كل ما سواه من الجواهر والاعراض فانها لامكانها وافتقارها الى مؤثر واجب لذاته تدل على وجوده وانما جمعه
ليشمل ما تحته من الاجناس المختلفة وغلب العقلاء منهم فجمعه بالياء والنون كسائر اوصافهم وقيل اسم وضع لذوي العلم
من الملائكة والثقلين وتناوله لغيرهم على سبيل الاستتباع وقيل عني به الناس ههنا فان كل واحد منهم عالم من حيث انه يشتمل على
نظائر ما في العالم الكبير من الجواهر والاعراض يعلم بها الصانع كما يعلم بما ابدعه في العالم ولذلك سوى بين النظر فيهما وقال الله تعالى وفي انفسكم
افلا تبصرون وقرئ رب العالمين بالنصب على المدح او النداء او بالفعل الذي دل عليه الحمد وفيه دليل على ان الممكنات كما هي مفتقرة الى المحدث حال حدوثها
فهي مفتقرة الى المبقي حال بقائها **الرحمن الرحيم** كرره للتعليل على ما سنذكره **مالك يوم الدين** قرأه عاصم والكسائي ويعقوب ويعضده قوله تعالى
يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والامر يومئذ لله وقرأ الباقون ملك وهو المختار لانه قراءة اهل الحرمين ولقوله تعالى لمن الملك اليوم ولما فيه من التعظيم

وغير الضروري به تحصيل ما يتيسر به العمل ويسهل كالراحلة في السفر للقادر على المشي او تقريب الفاعل الى الفعل وحثه

عليه وهذا القسم لا يتوقف عليه صحة التكليف والمراد طلب المعونة في المهمات كلها او في اداء العبادات

والضمير المستكن في الفعلين للقارئ ومن معه من الحفظة وحاضري صلوة الجماعة او له ولسائر الموحدين

ادرج عبادته في تضاعيف عبادتهم وخلط حاجته بحاجتهم لعلها تقبل ببركتها وتجاب اليها ولهذا شرعت

الجماعة وقدم المفعول للتعظيم والاهتمام به والدلالة على الحصر ولذلك قال ابن عباس معناه نعبدك

ولا نعبد غيرك وتقديم ما هو مقدم في الوجود والتنبيه على ان العابد ينبغي ان يكون نظره الى المعبود

اولا وبالذات ومنه الى العبادة لا من حيث انها عبادة صدرت عنه بل من حيث انها نسبة شريفة

اليه ووصلة سنية بينه وبين الحق فان العارف انما يحق وصوله اذا استغرق في ملاحظة جناب القدس

وغاب عما عداه حتى انه لا يلاحظ نفسه ولا حالا من احوالها الا من حيث انها ملاحظة له ومنتسبة اليه

ولذلك فضل ما حكى الله عن حبيبه حين قال لا تحزن ان الله معنا على ما حكاه عن كليمه حيث قال ان معي ربي

سيهدين وكرر الضمير للتنصيص على انه المستعان به لا غير وقدمت العبادة على الاستعانة ليتوافق رؤس الآي ويعلم منه

ان تقديم الوسيلة على طلب الحاجة ادعى الى الاجابة واقول لما نسب المتكلم العبادة الى نفسه اوهم ذلك تبجحا واعتدادا

منه بما يصدر عنه فعقبه بقوله واياك نستعين ليدل على ان العبادة ايضا مما لا يتم ولا يستتب له الا بمعونة منه

وتوفيق وقيل الواو للحال والمعنى نعبدك مستعينين بك وقرئ بكسر النون فيهما وهي لغة بني تميم فانهم يكسرون حروف

المضارعة سوى الياء اذا لم ينضم ما بعدها اهدنا الصراط المستقيم بيان للمعونة المطلوبة فكأنه قال كيف اعينكم فقالوا اهدنا

او افراد لما هو المقصود الاعظم والهداية دلالة بلطف ولذلك تستعمل في الخير وقوله تعالى فاهدوهم الى صراط الجحيم على التهكم و

منه الهدية وهوادي الوحش لمقدماتها والفعل منه هدى واصله ان يعدى باللام او الى فعومل معاملة اختار في قوله

واختار موسى قومه وهداية الله تعالى تتنوع انواعا لا يحصيها عد لكنها تنحصر في اجناس مترتبة الاول افاضة القوى التي بها يتمكن المرء

من الاهتداء الى مصالحه كالقوة العقلية والحواس الباطنة والمشاعر الظاهرة والثاني نصب الدلائل الفارقة بين

الحق والباطل والصلاح والفساد واليه اشار حيث قال وهديناه النجدين وقال فاما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى و

الثالث الهداية بارسال الرسل وانزال الكتب واياها عنى بقوله وجعلناهم ائمة يهدون بامرنا وقوله ان هذا القرآن يهدي

للتي هي اقوم والرابع ان يكشف على قلوبهم السرائر ويريهم الاشياء كما هي بالوحي او الالهام والمنامات الصادقة وهذا قسم يختص بنيله

الانبياء والاولياء واياه عنى بقوله اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده وقوله والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا فالمطلوب

اما زيادة ما منحوه من الهدى او الثبات عليه او حصول المراتب المرتبة عليه فاذا قاله العارف الواصل عنى به ارشدنا طريق السير

فيك لتمحو عنا ظلمات احوالنا وتميط غواشي ابداننا لنستضيء بنور قدسك فنراك بنورك والامر والدعاء يتشاركان لفظا ومعنى و

يتفاوتان بالاستعلاء والتسفل وقيل بالرتبة والسراط من سرط الطعام اذا ابتلعه فكانه يسرط السابلة ولذلك سمي

الطريق لقما لانه يلتقمهم والصراط من قلب السين صادا ليطابق الطاء في الاطباق وقد يشم الصاد صوت الزاء ليكون

مد ألفه وقصرها قال: ويرحم الله عبدا قال آمينا. وقال: أمين فزاد الله ما بيننا بعدا. وليس من القرآن وفاقا لكن يسن ختم السورة به لقوله عليه الصلاة والسلام علمني جبريل آمين عند فراغي من قراءة الفاتحة وقال إنه كالختم على الكتاب وفي معناه قول علي رضي الله عنه آمين خاتم رب العالمين ختم به دعاء عبده يقوله الإمام ويجهر به في الجهرية لما روي عن وائل بن حجر أنه صلى الله عليه وسلم إذا قرأ ولا الضالين قال آمين ورفع بها صوته وعن أبي حنيفة أنه لا يقوله والمشهور عنه أنه يخفيه كما رواه عبد الله بن مغفل وأنس والمأموم يؤمن معه لقوله إذا قال الإمام ولا الضالين فقولوا آمين فإن الملائكة تقول آمين فمن وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه وعن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأبي ألا أخبرك بسورة لم تنزل في التوراة والإنجيل والقرآن مثلها قلت بلى يا رسول الله قال فاتحة الكتاب إنها السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته وعن ابن عباس قال بينا نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ أتاه ملك فقال أبشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة لن تقرأ حرفا منهما إلا أعطيته وعن حذيفة بن اليمان أن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن القوم ليبعث الله عليهم العذاب حتما مقضيا فيقرأ صبي من صبيانهم في الكتاب الحمد لله رب العالمين فيسمعه الله تعالى فيرفع عنهم بذلك العذاب أربعين سنة

سورة البقرة مدنية وآيها مائتان وسبع وثمانون

بسم الله الرحمن الرحيم

الم وسائر الألفاظ التي يتهجى بها أسماء مسمياتها الحروف التي ركبت منها الكلم لدخولها في حد الاسم واعتوار ما يخص به من التعريف والتنكير والجمع والتصغير ونحو ذلك عليها وبه صرح الخليل وأبو علي وما روى ابن مسعود أنه قال من قرأ حرفا من كتاب الله فله حسنة والحسنة بعشر أمثالها لا أقول الم حرف بل ألف حرف ولام حرف وميم حرف فالمراد به غير المعنى الذي اصطلح عليه فإن تخصيصه به عرف مجدد بل المعنى اللغوي ولعله سماه باسم مدلوله ولما كانت مسمياتها حروفا وحدانا وهي مركبة صدرت بها لتكون تأديتها بالمسمى أول ما يقرع السمع واستعيرت الهمزة مكان الألف لتعذر الابتداء بها وهي ما لم تلها العوامل موقوفة خالية عن الإعراب لفقد موجبه ومقتضيه لكنها قابلة إياه ومعرضة له إذ لم تناسب مبني الأصل ولذلك قيل ص وق مجموعا فيهما بين الساكنين ولم يعامل معاملة أين وهؤلاء ثم إن مسمياتها لما كانت عنصر الكلام وبسائطه التي يتركب منها افتتحت السور بطائفة منها إيقاظا لمن تحدى بالقرآن وتنبيها على أن المتلو عليهم كلام منظوم مما ينظمون منه كلامهم فلو كان من عند غير الله لما عجزوا عن آخرهم مع تظاهرهم وقوة فصاحتهم عن الإتيان بما يدانيه وليكون أول ما يقرع الأسماع مستقلا بنوع من الإعجاز فإن النطق بأسماء الحروف مختص بمن خط ودرس فأما من الأمي الذي لم يخالط الكتاب فمستبعد مستغرب خارق للعادة كالكتابة والتلاوة سيما وقد راعى في ذلك ما يعجز عنه الأديب الأريب الفائق في فنه وهو أنه أورد في هذه الفواتح أربعة عشر اسما هي نصف أسامي حروف المعجم إن لم يعد فيها الألف حرفا برأسها في تسع وعشرين سورة بعدد الحروف إذا عد فيها الألف مشتملة على أنصاف أنواعها فذكر من المهموسة وهي ما يضعف الاعتماد على مخرجه ويجمعها ستشحثك خصفه نصفها الحاء والهاء والصاد والسين والكاف ومن البواقي المجهورة نصفها يجمعه لن يقطع أمر ومن الشديدة

او الى مدة اقوام واجال بحساب الجمل كما قاله ابو العالية متمسكا بما روى انه عليه الصلوة والسلام لما اتاه اليهود تلى عليهم الم البقرة فحسبوه وقالوا كيف ندخل
في دين مدته احدى وسبعون سنة فتبسم رسول الله صلعم فقالوا فهل غيره فقال المص والر والمر فقالوا خلطت علينا فلا ندرى بايها ناخذ
فان تلاوته اياها بهذا التركيب عليهم وتقريرهم على استنباطهم دليل على ذلك وهذه الدلالة وان لم تكن عربية لكنها لاشتهارها فيما بين
الناس حتى العرب تلحقها بالمعربات كالمشكوة والسجيل والقسطاس او دالة على الحروف المبسوطة مقسما بها لشرفها من حيث انها بسائط اسماء الله
ومادة خطابه هذا وان القول بانها اسماء السور يخرجها الى ما ليس في لغة العرب لان التسمية بثلثة اسماء فصاعدا مستكرهة عندهم ويؤدى
الى اتحاد الاسم والمسمى ويستدعى تاخر الجزء عن الكل من حيث ان الاسم يتاخر عن المسمى بالرتبة لانا نقول هذه الالفاظ لم تعهد مزيدة للتنبيه و
الدلالة على الانقطاع والاستيناف يلزمها وغيرها من حيث انها فواتح السور ولا يقتضى ذلك ان لا يكون لها معنى في حيزها ولم تستعمل
للاختصار من كلمات معينة في لغتهم اما الشعر فشاذ واما قول ابن عباس فتنبيه على ان هذه الحروف منبع الاسماء ومبادى الخطاب وتمثيل
بامثلة حسنة الا ترى انه عد كل حرف من كلمات متباينة لا تفسير ولا تخصيص بهذه المعانى دون غيرها اذ لا مخصص لفظا ولا معنى ولا بحساب
الجمل فتلحق بالمعربات والحديث لا دليل فيه لجواز انه تبسم تعجبا من جهلهم وجعلها مقسما بها وان كان غير ممتنع لكنه يحوج الى اضمار اشياء لا دليل عليها
والتسمية بثلثة اسماء انما تمتنع اذا ركبت وجعلت اسما واحدا على طريقة بعلبك فاما اذا نثرت نثر اسماء العدد فلا وناهيك
بتسوية سيبويه بين التسمية بالجملة والبيت من الشعر وطائفة من اسماء حروف المعجم والمسمى هو مجموع السورة والاسم جزؤها فلا اتحاد
وهو مقدم من حيث ذاته ومؤخر باعتبار كونه اسما فلا دور والوجه الاول اقرب الى التحقيق واوفق للطائف التنزيل واسلم من لزوم النقل
ووقوع الاشتراك في الاعلام من واضع واحد فانه يعود بالنقض على ما هو مقصود العلمية وقيل انها اسماء القران ولذلك اخبر عنها
بالكتاب والقران وقيل انها اسماء الله تع ويدل عليه ان عليا كرم الله وجهه كان يقول يا كهيعص يا حمعسق ولعله اراد يا
منزلهما وقيل الالف من اقصى الحلق وهو مبدء المخارج واللام من طرف اللسان وهو وسطها والميم من الشفة وهى اخرها
جمع بينها ايماء الى ان العبد ينبغى ان يكون اول كلامه واوسطه واخره ذكر الله تعالى وقيل انه سر استاثره الله بعلمه وقد روى عن الخلفاء
الاربعة وغيرهم من الصحابة ما يقرب منه ولعلهم ارادوا انها اسرار بين الله تع ورسوله ورموز لم يقصد بها افهام غيره اذ يبعد الخطاب بما
لا يفيد فان جعلتها اسماء الله تع او القران او السور كان لها حظ من الاعراب اما الرفع على الابتداء او الخبر او النصب بتقدير فعل القسم على
طريقة الله لافعلن بالنصب او غيره كاذكر او الجر على اضمار حرف القسم ويتاتى الاعراب لفظا والحكاية فيما كانت مفردة او موازنة
لمفرد كحم فانها كهابيل والحكاية ليست الا فيما عدا ذلك وسيعود اليك ذكره مفصلا ان شاء الله تع وان ابقيتها على معانيها فان قدرت
بالمؤلف من هذه الحروف كان في حيز الرفع بالابتداء او الخبر على ما مر وان جعلتها مقسما بها يكون كل كلمة منها منصوبا او مجرورا على اللغتين في
الله لافعلن ويكون جملة قسمية بالفعل المقدر له وان جعلتها ابعاض كلمات او اصواتا منزلة منزلة حروف التنبيه لم يكن لها محل من الاعراب كالجمل
المبتدأة والمفردات المعدودة ويوقف عليها وقف التمام اذا قدرت بحيث لا تحتاج الى ما بعدها وليس شئ منها اية عند غير
الكوفيين واما عندهم فالم في مواقعها والمص وكهيعص وطه وطسم ويس وحم اية وحمعسق ايتان والبواقى ليست بايات
وهذا توقيف لا مجال للقياس فيه ذلك الكتاب ذلك اشارة الى الم ان اول بالمؤلف من هذه الحروف او فسر بالسورة
او القران فانه لما تكلم به وتقضى او وصل من المرسل الى المرسل اليه صار متباعدا اشير اليه بما يشار به الى البعيد وتذكيره متى اريد

فحصت له وجوه الطرق وهذا التركيب وما شاركه في الفاء والعين نحو فلق وفلذ وفلى يدل على الشق والفتح و
تعريف المفلحين للدلالة على أن المتقين هم الناس الذين بلغك أنهم المفلحون في الآخرة أو الإشارة إلى
ما يعرفه كل واحد من حقيقة المفلحين وخصوصياتهم **تنبيه** تأمل كيف نبه سبحانه وتعالى على اختصاص
المتقين بنيل ما لا يناله أحد من وجوه شتى وبناء الكلام على اسم الإشارة للتعليل مع الإيجاز وتكريره وتعريف الخبر
وتوسيط الفصل لإظهار قدرهم والترغيب في اقتفاء أثرهم وقد تشبثت به الوعيدية في خلود الفساق من أهل القبلة في
العذاب ورد بأن المراد بالمفلحين الكاملون في الفلاح ويلزمه عدم كمال الفلاح لمن ليس على صفتهم لا عدم الفلاح له رأسا
إن الذين كفروا لما ذكر خاصة عباده وخالصة أوليائه بصفاتهم التي أهلتهم للهدى والفلاح عقبهم بأضدادهم
العتاة المردة الذين لا ينفع فيهم الهدى ولا تغني عنهم الآيات والنذر ولم يعطف قصتهم على قصة المؤمنين كما عطف
في قوله إن الأبرار لفي نعيم وإن الفجار لفي جحيم لتباينهما في الغرض فإن الأولى سيقت لذكر الكتاب وبيان شأنه والأخرى
مسوقة لشرح تمردهم وانهماكهم في الضلال وإن من الحروف التي شابهت الفعل في عدد الحروف والبناء على الفتح ولزوم الأسماء
وإعطاء معانيه والمتعدي خاصة في دخولها على اسمين ولذلك أعملت عمله الفرعي وهو نصب الجزء الأول ورفع الثاني إيذانا بأنه فرع
في العمل دخيل فيه وقال الكوفيون الخبر قبل دخولها كان مرفوعا بالخبرية وهي بعد باقية مقتضية للرفع قضية للاستصحاب
فلا يرفعه الحرف وأجيب بأن اقتضاء الخبرية الرفع مشروط بالتجرد لتخلفه عنها في خبر كان وقد زال بدخولها فتعين إعمال الحرف
وفائدتها تأكيد النسبة وتحقيقها ولذلك يتلقى بها القسم ويصدر بها الأجوبة ويذكر في معرض الشك مثل ويسألونك عن ذي القرنين
قل سأتلوا عليكم منه ذكرا إنا مكنا له في الأرض وقال موسى يا فرعون إني رسول من رب العالمين قال المبرد قولك عبد الله قائم
إخبار عن قيامه وإن عبد الله قائم جواب سائل عن قيامه وإن عبد الله لقائم جواب منكر لقيامه وتعريف الموصول
إما للعهد والمراد به ناس بأعيانهم كأبي لهب وأبي جهل والوليد بن المغيرة وأحبار اليهود أو للجنس متناولا من
صمم على الكفر وغيرهم فخص منهم غير المصرين بما أسند إليه والكفر لغة ستر النعمة وأصله الكفر بالفتح وهو الستر
ومنه قيل للزارع والليل كافر ولكمام الثمرة كافور وفي الشرع إنكار ما علم بالضرورة مجيء الرسول به وإنما عد لبس
الغيار وشد الزنار ونحوهما كفرا لأنها تدل على التكذيب فإن من صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يجترئ عليها
ظاهرا لا لأنها كفر في أنفسها واحتجت المعتزلة بما جاء في القرآن بلفظ الماضي على حدوثه لاستدعائه سابقة المخبر
عنه وأجيب بأنه مقتضى التعلق وحدوثه لا يستلزم حدوث الكلام كما في العلم **سواء عليهم أأنذرتهم**
أم لم تنذرهم خبر إن وسواء اسم بمعنى الاستواء نعت به كما نعت بالمصادر قال الله تعالى تعالوا إلى كلمة
سواء بيننا وبينكم رفع بأنه خبر إن وما بعده مرتفع به على الفاعلية كأنه قيل إن الذين كفروا مستو عليهم إنذارك وعدمه أو
بأنه خبر لما بعده بمعنى إنذارك وعدمه سيان عليهم والفعل إنما يمتنع الإخبار عنه إذا أريد به تمام ما وضع له أما لو أطلق وأريد
به اللفظ أو مطلق الحدث المدلول عليه ضمنا على الاتساع فهو كالاسم في الإضافة والإسناد إليه كقوله تعالى وإذا
قيل لهم آمنوا ويوم ينفع الصادقين صدقهم وقولهم تسمع بالمعيدي خير من أن تراه وإنما عدل ههنا عن المصدر إلى الفعل

ناعية عليهم شناعة صفتهم ووخامة عاقبتهم واضطربت المعتزلة فيه فذكروا وجوها من التأويل الاول
ان القوم لما اعرضوا عن الحق وتمكن ذلك في قلوبهم حتى صار كالطبيعة لهم شبه بالوصف الخلقي
المجبول عليه الثاني ان المراد به تمثيل حال قلوبهم بقلوب البهائم التي خلقها الله تعالى خالية عن
الفطن او قلوب مقدر ختم الله عليها ونظيره سال به الوادي اذا هلك وطارت به العنقاء
اذا طالت غيبته الثالث ان ذلك في الحقيقة فعل الشيطان او الكافر لكن لما كان صدوره عنه
باقداره تعالى اياه اسند اليه اسناد الفعل الى المسبب الرابع ان اعراقهم لما رسخت في الكفر واستحكمت
بحيث لم يبق طريق الى تحصيل ايمانهم سوى الالجاء والقسر ثم لم يقسرهم ابقاء على غرض التكليف
عبر عن تركهم بالختم فانه سد لايمانهم وفيه اشعار على ترامي امرهم في الغي وتناهي انهماكهم في الضلال
والبغي الخامس ان يكون حكاية لما كانت الكفرة يقولون مثل قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وفي اذاننا وقر
ومن بيننا وبينك حجاب تهكما واستهزاء بهم كقوله تعالى لم يكن الذين كفروا الآية السادس ان ذلك في الآخرة
وانما اخبر عنه بالماضي لتحققه وتيقن وقوعه ويشهد له قوله تعالى ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما وصما السابع
ان المراد بالختم وسم قلوبهم بسمة تعرفها الملائكة فيبغضونهم وينفرون عنهم وعلى هذا المنهاج كلامنا وكلام
فيما يضاف الى الله تعالى من طبع واضلال ونحوهما وعلى سمعهم معطوف على قلوبهم لقوله وختم على سمعه وقلبه وللوفاق على
الوقف عليه ولانهما لما اشتركا في الادراك من جميع الجوانب جعل ما يمنعهما من خاص فعلهما الختم الذي يمنع من جميع الجهات وادراك
الابصار لما اختص بجهة المقابلة جعل المانع لها عن فعلها الغشاوة المختصة بتلك الجهة وكرر الجار ليكون
ادل على شدة الختم في الموضعين واستقلال كل منهما بالحكم ووحد السمع للامن عن اللبس واعتبار الاصل فانه
مصدر في اصله والمصادر لا تجمع او على تقدير مضاف مثل وعلى حواس سمعهم والابصار جمع بصر وهو ادراك
العين وقد يطلق مجازا على القوة الباصرة وعلى العضو وكذا السمع ولعل المراد بهما في الآية العضو لانه اشد مناسبة
للختم والتغطية وبالقلب ما هو محل العلم وقد يطلق ويراد به العقل والمعرفة كما قال تعالى ان في ذلك لذكرى
لمن كان له قلب وانما جاز امالتها مع الصاد لان الراء المكسورة تغلب المستعلية لما فيها من التكرير و
غشاوة رفع بالابتداء عند سيبويه وبالجار والمجرور عند الاخفش ويؤيده العطف على الجملة الفعلية و
قرئ بالنصب على تقدير وجعل على ابصارهم غشاوة او على حذف الجار وايصال الختم بنفسه اليه والمعنى
ختم على ابصارهم بغشاوة وقرئ بالضم والرفع والفتح والنصب وهما لغتان فيها وغشوة بالكسر مرفوعة
وبالفتح مرفوعة ومنصوبة وعشاوة بالعين الغير المعجمة ولهم عذاب عظيم وعيد وبيان لما يستحقونه والعذاب
كالنكال بناء ومعنى تقول اعذب عن الشيء ونكل عنه اذا امسك ومنه الماء العذب لانه يقمع العطش ويردعه
ولذلك سمي نقاخا وفراتا ثم اتسع فاطلق على كل الم فادح وان لم يكن نكالا اي عقابا يردع الجاني عن المعاودة فهو اعم
منهما وقيل اشتقاقه من التعذيب الذي هو ازالة العذب كالتقذية والتمريض والعظيم نقيض الحقير والكبير نقيض

ناعية عليهم شناعة صفتهم ووخامة عاقبتهم واضطرب المعتزلة فيه فذكروا وجوها من التاويل الاول
ان القوم لما اعرضوا عن الحق وتمكن ذلك في قلوبهم حتى صار كالطبيعة لهم شبه بالوصف الخلقي
المجبول عليه الثاني ان المراد به تمثيل حال قلوبهم بقلوب البهائم التي خلقها الله تعالى خالية عن
الفطن او قلوب مقدر ختم الله عليها ونظيره سال به الوادي اذا هلك وطارت به العنقاء
اذا طالت غيبته الثالث ان ذلك في الحقيقة فعل الشيطان او الكافر لكن لما كان صدوره عنه
باقداره تعالى اياه اسند اليه اسناد الفعل الى المسبب الرابع ان اعراقهم لما رسخت في الكفر واستحكمت
بحيث لم يبق طريق الى تحصيل ايمانهم سوى الالجاء والقسر ثم لم يقسرهم ابقاء على غرض التكليف
عبر عن تركهم بالختم فانه سد لايمانهم وفيه اشعار على ترامي امرهم في الغي وتناهي انهماكهم في الضلال
والبغي الخامس ان يكون حكاية لما كانت الكفرة يقولون مثل قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وفي اذاننا وقر
ومن بيننا وبينك حجاب تهكما واستهزاء بهم كقوله تعالى لم يكن الذين كفروا الاية السادس ان ذلك في الاخرة
وانما اخبر عنه بالماضي لتحققه وتيقن وقوعه ويشهد له قوله تعالى ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما وصما السابع
ان المراد بالختم وسم قلوبهم بسمة تعرفها الملائكة فيبغضونهم وينفرون عنهم وعلى هذا المنهاج كلامنا وكلام
فيما يضاف الى الله تعالى من طبع واضلال ونحوهما وعلى سمعهم معطوف على قلوبهم لقوله وختم على سمعه وقلبه وللوفاق على
الوقف عليه ولانهما لما اشتركا في الادراك من جميع الجوانب جعل ما يمنعهما من خاص فعلهما الختم الذي يمنع من جميع الجهات وادراك
الابصار لما اختص بجهة المقابلة جعل المانع لها عن فعلها الغشاوة المختصة بتلك الجهة وكرر الجار ليكون
ادل على شدة الختم في الموضعين واستقلال كل منهما بالحكم ووحد السمع للامن عن اللبس واعتبار الاصل فانه
مصدر في اصله والمصادر لا تجمع او على تقدير مضاف مثل وعلى حواس سمعهم والابصار جمع بصر وهو ادراك
العين وقد يطلق مجازا على القوة الباصرة وعلى العضو وكذا السمع ولعل المراد بهما في الاية العضو لانه اشد مناسبة
للختم والتغطية وبالقلب ما هو محل العلم وقد يطلق ويراد به العقل والمعرفة كما قال تعالى ان في ذلك لذكرى
لمن كان له قلب وانما جاز امالتها مع الصاد لان الراء المكسورة تغلب المستعلية لما فيها من التكرير و
غشاوة رفع بالابتداء عند سيبويه وبالجار والمجرور عند الاخفش ويؤيده العطف على الجملة الفعلية و
قرئ بالنصب على تقدير وجعل على ابصارهم غشاوة او على حذف الجار وايصال الختم بنفسه اليه والمعنى
ختم على ابصارهم بغشاوة وقرئ بالضم والرفع والفتح والنصب وهما لغتان فيها وغشوة بالكسر مرفوعة
وبالفتح مرفوعة ومنصوبة وعشاوة بالعين الغير المعجمة ولهم عذاب عظيم وعيد وبيان لما يستحقونه والعذاب
كالنكال بناء ومعنى تقول اعذب عن الشيء ونكل عنه اذا امسك ومنه الماء العذب لانه يقمع العطش ويردعه
ولذلك سمي نقاخا وفراتا ثم اتسع فاطلق على كل الم فادح وان لم يكن نكالا اي عقابا يردع الجاني عن المعاودة فهو اعم
منهما وقيل اشتقاقه من التعذيب الذي هو ازالة العذب كالتقذية والتمريض والعظيم نقيض الحقير والكبير نقيض

الإيمان وخالف قلبه لسانه بالاعتقاد لم يكن مؤمناً لأن من تفوه بالشهادتين فارغ القلب عما يوافقه
أو ينافيه لم يكن مؤمناً والخلاف مع الكرامية في الثاني فلا ينهض حجة عليهم يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا
الخدع أن توهم غيرك خلاف ما تخفيه من المكروه لتزله عما هو بصدده من قولهم خدع الضب إذا توارى في
جحره وضب خادع وخدع إذا أوهم الحارش إقباله عليه ثم خرج من باب آخر وأصله الإخفاء ومنه المخدع للخزانة
والأخدعان لعرقين خفيين في العنق والمخادعة تكون بين اثنين وخداعهم مع الله ليس على ظاهره لأنه لا يخفى
عليه خافية ولأنهم لم يقصدوا خديعته بل المراد إما مخادعة رسوله على حذف المضاف أو على أن معاملة الرسول صلى الله
عليه وسلم معاملة الله من حيث إنه خليفته كما قال من يطع الرسول فقد أطاع الله إن الذين يبايعونك إنما يبايعون
الله وإما أن صورة صنيعهم مع الله من إظهار الإيمان واستبطان الكفر وصنع الله معهم بإجراء أحكام المسلمين
عليهم وهم عنده أخبث الكفار وأهل الدرك الأسفل من النار استدراجاً لهم وامتثال الرسول صلى الله
عليه وسلم والمؤمنين أمر الله في إخفاء حالهم وإجراء حكم الإسلام عليهم مجازاة لهم بمثل صنيعهم
صورة صنيع المتخادعين ويحتمل أن يراد بيخادعون يخدعون لأنه بيان ليقول أو استئناف بذكر ما
هو الغرض منه إلا أنه أخرج في زنة فاعل للمبالغة فإن الزنة لما كانت للمغالبة والفعل متى غولب فيه
كان أبلغ منه إذا جاء بلا مقابلة معارض ومبار استصحبت ذلك ويعضده قراءة من قرأ يخدعون
وكان غرضهم في ذلك أن يدفعوا عن أنفسهم ما يطرق به من سواهم من الكفرة وأن يفعل بهم ما يفعل
بالمؤمنين من الإكرام والإعطاء وأن يختلطوا بالمسلمين فيطلعوا على أسرارهم ويذيعوها إلى منابذيهم
إلى غير ذلك من الأغراض والمقاصد وَمَا يُخَادِعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو والمعنى
أن دائرة الخداع راجعة إليهم وضررها يحيق بهم أو أنهم في ذلك خدعوا أنفسهم لما غروها بذلك وخدعتهم
أنفسهم حيث حدثتهم بالأماني الفارغة وحملتهم على مخادعة من لا يخفى عليه خافية وقرأ الباقون وما
يخدعون لأن المخادعة لا تتصور إلا بين اثنين وقرئ ويُخدِعون من خدع ويخدّعون بمعنى يختدعون
ويُخدَعون ويُخادَعون على البناء للمفعول ونصب أنفسهم بنزع الخافض والنفس ذات الشيء وحقيقته ثم
قيل للروح لأن نفس الحي به وللقلب لأنه محل الروح أو متعلقه وللدم لأن قوامها به وللماء لفرط حاجتها
إليه وللرأي في قولهم فلان يؤامر نفسه لأنه ينبعث عنها أو يشبه ذاتاً تأمره وتشير عليه والمراد بالأنفس
ههنا ذواتهم ويحتمل حملها على أرواحهم وآرائهم وَمَا يَشْعُرُونَ لا يحسون بذلك لتمادي غفلتهم
جعل لحوق وبال الخداع ورجوع ضرره إليهم في الظهور كالمحسوس الذي لا يخفى إلا على مؤوف الحواس
والشعور الإحساس ومشاعر الإنسان حواسه وأصله الشعر ومنه الشعار فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ
اللَّهُ مَرَضًا المرض حقيقة فيما يعرض البدن فيخرجه عن الاعتدال الخاص به ويوجب الخلل في أفعاله
ومجاز في الأعراض النفسانية التي تخل بكمالها كالجهل وسوء العقيدة والحسد والضغينة وحب المعاصي

٢١

وان المقررة للنسبة وتعريف الخبر وتوسيط الفصل لرد ما في قولهم انما نحن مصلحون من التعريض للمؤمنين و
الاستدراك بلا يشعرون ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا﴾ من تمام النصح والارشاد فان كمال الايمان بمجموع الامرين الاعراض
عما لا ينبغي وهو المقصود بقوله لا تفسدوا والاتيان بما ينبغي وهو المطلوب بقوله آمنوا ﴿كَمَا آمَنَ النَّاسُ﴾
في حيز النصب على المصدر وما مصدرية او كافة مثلها في ربما واللام في الناس للجنس والمراد به الكاملون في الانسانية
العاملون بقضية العقل فان اسم الجنس كما يستعمل لمسماه مطلقا يستعمل لما يستجمع المعاني المخصوصة به والمقصودة منه و
لذلك يسلب عن غيره فيقال زيد ليس بانسان ومن هذا الباب قوله تعالى صم بكم عمي ونحوه وقد جمعهما الشاعر في قوله
اذ الناس ناس والزمان زمان او للعهد والمراد به الرسول صلى الله عليه وسلم ومن معه او من آمن من اهل جلدتهم
كابن سلام واصحابه والمعنى آمنوا ايمانا مقرونا بالاخلاص متمحضا عن شوائب النفاق مماثلا لايمانهم واستدل
به على قبول توبة الزنديق وان الاقرار باللسان ايمان والا لم يفد التقييد ﴿قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ﴾
الهمزة فيه للانكار واللام مشار بها الى الناس او الجنس باسره وهم مندرجون فيه على زعمهم وانما سفهوهم لاعتقادهم
فساد رأيهم او لتحقير شأنهم فان اكثر المؤمنين كانوا فقراء ومنهم موال كصهيب وبلال او للتجلد وعدم المبالاة
بمن آمن منهم ان فسر الناس بعبد الله بن سلام واشياعه والسفه خفة وسخافة رأي يقتضيهما نقصان
العقل والحلم يقابله ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِن لَّا يَعْلَمُونَ﴾ رد ومبالغة في تجهيلهم فان الجاهل بجهله
الجازم على خلاف ما هو الواقع اعظم ضلالة واتم جهالة من المتوقف المعترف بجهله فانه ربما يعذر وتنفعه الآيات
والنذر وانما فصلت الآية بلا يعلمون والتي قبلها بلا يشعرون لانه اكثر طباقا لذكر السفه ولان الوقوف
على امر الدين والتمييز بين الحق والباطل مما يفتقر الى نظر وتفكر واما النفاق وما فيه من الفتن والفساد فانما يدرك بادنى
تفطن وتأمل فيما يشاهد من اقوالهم وافعالهم ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا﴾ بيان لمعاملتهم مع المؤمنين والكفار
وما صدرت به القصة فمساقه لبيان مذهبهم وتمهيد نفاقهم فليس بتكرير روي ان ابن ابي واصحابه خرجوا ذات يوم فاستقبلهم نفر من
الصحابة فقال لقومه انظروا كيف ارد هؤلاء السفهاء عنكم فاخذ بيد ابي بكر فقال مرحبا بالصديق سيد بني تيم وشيخ الاسلام
وثاني رسول الله في الغار الباذل نفسه وماله لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اخذ بيد عمر فقال مرحبا بسيد بني عدي الفاروق القوي
في دينه الباذل نفسه وماله لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اخذ بيد علي فقال مرحبا بابن عم رسول الله وختنه وسيد
بني هاشم ما خلا رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية واللقاء المصادفة يقال لقيته ولاقيته اذا صادفته واستقبلته
ومنه القيته اذا طرحته فانك بطرحه جعلته بحيث يلقى ﴿وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ﴾ من خلوت بفلان واليه
اذا انفردت معه او من خلاك ذم اي عداك ومضى عنك ومنه القرون الخالية او من خلوت به اذا سخرت منه و
عدي بالى لتضمين معنى الانهاء والمراد بشياطينهم الذين ماثلوا الشيطان في تمردهم وهم المظهرون كفرهم واضافتهم
اليهم للمشاركة في الكفر او كبار المنافقين والقائلون صغارهم وجعل سيبويه نونه تارة اصلية على انه من شطن اذا بعد
فانه بعيد عن الصلاح ويشهد له قولهم تشيطن واخرى زائدة على انه من شاط اذا بطل ومن اسمائه الباطل ﴿قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ﴾

فبادله مشتريه واخذ بائعه ولذلك عدت الكلمتان من الاضداد ثم استعير للاعراض عما في يده محصلا به
غيره سواء كان من المعاني او الاعيان ومنه ◦ اخذت بالجمة راسا ازعرا + وبالثنايا الواضحات الدردرا +
وبالطويل العمر عمرا جيدرا + كما اشترى المسلم اذ تنصرا + ثم اتسع فيه فستعمل للرغبة عن الشي طمعا في غيره
والمعنى انهم اخلوا بالهدى الذي جعل الله لهم بالفطرة التي فطر الناس عليها محصلين الضلالة التي ذهبوا
اليها او اختاروا الضلالة واستحبوها على الهدى فما ربحت تجارتهم ترشيح للمجاز لما استعمل الاشتراء في معاملتهم اتبعه ما
يشاكله تمثيلا لخسارهم ونحوه + ولما رايت النسر عز ابن داية + وعشش في وكريه جاش له صدري +
التجارة طلب الربح بالبيع والشرى والربح الفضل على راس المال ولذلك سمي شفا واسناده الى التجارة وهو
لاربابها على الاتساع لتلبسها بالفاعل او لمشابهتها اياه من حيث انها سبب الربح والخسران وما كانوا مهتدين
لطرق التجارة فان المقصود منها سلامة راس المال والربح وهؤلاء قد اضاعوا الطلبتين لان راس مالهم
كان الفطرة السليمة والعقل الصرف فلما اعتقدوا هذه الضلالات بطل استعدادهم واختل عقلهم ولم يبق
لهم راس مال يتوسلون به الى درك الحق ونيل الكمال فبقوا خاسرين آيسين عن الربح فاقدين للاصل +
مثلهم كمثل الذي استوقد نارا لما جاء بحقيقة حالهم عقبها بضرب المثل زيادة في التوضيح والتقرير فانه اوقع
في القلب واقمع للخصم الالد لانه يريك المتخيل محققا والمعقول محسوسا ولامر ما اكثر الله في كتبه الامثال
وفشت في كلام الانبياء والحكماء والمثل في الاصل بمعنى النظير يقال مثل ومثل ومثيل كشبه وشبه وشبيه
ثم قيل للقول السائر الممثل مضربه بمورده ولا يضرب الا ما فيه غرابة ولذلك حوفظ عليه من التغيير ثم استعير
لكل حال او قصة او صفة لها شان وفيها غرابة مثل قوله تع مثل الجنة التي وعد المتقون وقوله تع ولله المثل الاعلى والمعنى حالهم
العجيبة الشان كحال من استوقد نارا والذي بمعنى الذين كما في قوله تع وخضتم كالذي خاضوا ان جعل مرجع الضمير في بنورهم
وانما جاز ذلك ولم يجز وضع القائم موضع القائمين لانه غير مقصود بالوصف بل الجملة التي هي صلته وهو وصلة
الى وصف المعرفة بها ولانه ليس باسم تام بل هو كالجزء منه فحقه ان لا يجمع كما لا يجمع اخواتها ويستوي فيه الواحد
والجمع وليس الذين جمعه المصحح بل ذو زيادة زيدت لزيادة المعنى ولذلك جاء بالياء ابدا على اللغة الفصيحة التي
عليها التنزيل ولكونه مستطالا بصلته استحق التخفيف ولذلك بولغ فيه فحذف ياؤه ثم كسرته ثم اقتصر على اللام في
اسماء الفاعلين والمفعولين او قصد به جنس المستوقدين او الفوج الذي استوقد والاستيقاد طلب الوقود والسعي
في تحصيله وهو سطوع النار وارتفاع لهبها واشتقاق النار من نار ينور نورا اذا نفر لان فيها حركة واضطرابا فلما اضاءت
ما حوله اي النار ما حول المستوقد ان جعلتها متعدية والا امكن ان تكون مسندة الى ما والتانيث لان ما
حوله اشياء واماكن او الى ضمير النار وما موصولة في معنى الامكنة نصب على الظرفية او مزيدة وحوله ظرف وتاليف
الحول للدوران وقيل للعام حول لانه يدور ذهب الله بنورهم جواب لما والضمير للذي وجمعه للحمل على المعنى وعلى
هذا انما قال بنورهم ولم يقل بنارهم لانه المراد من ايقادها او استيناف اجيب به اعتراض سائل يقول ما بالهم شبهت حالهم

والمعنى انهم لما اوقدوا نارا فذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات هائلة ادهشتهم بحيث اختلت
حواسهم وانتقصت قواهم وثلثتها قرئت بالنصب على الحال من مفعول تركهم والصمم اصله صلابة
من اكتناز الاجزاء ومنه قيل حجر اصم وقناة صماء وصمام القارورة سمي به فقدان حاسة السمع
لان سببه ان يكون باطن الصماخ مكتنزا لا تجويف فيه يشتمل على هواء يسمع الصوت بتموجه والبكم
الخرس والعمى عدم البصر عما من شانه ان يبصر وقد يقال لعدم البصيرة فهم لا يرجعون لا يعودون الى
الهدى الذي باعوه وضيعوه او عن الضلالة التي اشتروها او فهم متحيرون لا يدرون ايتقدمون ام
يتأخرون والى حيث ابتدؤا منه كيف يرجعون والفاء للدلالة على ان اتصافهم بالاحكام السابقة سبب
لتحيرهم واحتباسهم او كصيب من السماء عطف على الذي استوقد اي كمثل ذوي صيب لقوله يجعلون
اصابعهم واو في الاصل للتساوي في الشك ثم اتسع فيها فاطلقت للتساوي من غير شك مثل جالس الحسن او
ابن سيرين وقوله تعالى ولا تطع منهم آثما او كفورا فانها تفيد التساوي في حسن المجالسة ووجوب العصيان ومن
ذلك قوله او كصيب معناه ان قصة المنافقين مشبهة بهاتين القصتين وانهما سواء في صحة التشبيه
بهما وانت مخير في التمثيل بهما او بايهما شئت والصيب فيعل من الصوب وهو النزول يقال للمطر وللسحاب
قال الشماخ ❊ واسحم دان صادق الرعد صيب ❊ وفي الآية يحتملهما وتنكيره لانه اريد به نوع من المطر
شديد وتعريف السماء للدلالة على ان الغمام مطبق آخذ بآفاق السماء كلها فان كل افق منها يسمى سماء كما
ان كل طبقة منها سماء قال ❊ ومن بعد ارض بيننا وسماء ❊ امد به ما في صيب من المبالغة من جهة
الاصل والبناء والتنكير وقيل المراد بالسماء السحاب فاللام لتعريف الماهية فيه ظلمات ورعد وبرق ان
اريد بالصيب المطر فظلماته ظلمة تكاثفه بتتابع القطر وظلمة غمامه مع ظلمة الليل وجعله مكانا للرعد
والبرق لانهما في اعلاه ومنحدره ملتبسين به وان اريد السحاب فظلماته سحمته وتطبيقه مع ظلمة الليل
وارتفاعها بالظرف وفاقا لانه معتمد على موصوف والرعد صوت يسمع من السحاب والمشهور ان سببه
اضطراب اجرام السحاب واصطكاكها اذا حدتها الريح من الارتعاد والبرق ما يلمع من السحاب من برق الشيء بريقا وكلاهما
مصدر في الاصل ولذلك لم يجمعا يجعلون اصابعهم في آذانهم الضمير لاصحاب الصيب وهو وان حذف لفظه
واقيم الصيب مقامه لكن معناه باق فيجوز ان يعول عليه كما عول حسان في **قوله** يسقون من ورد البريص عليهم
بردى يصفق بالرحيق السلسل حيث ذكر الضمير لان المعنى ماء بردى والجملة استيناف فكانه لما ذكر ما يؤذن
بالشدة والهول قيل فكيف حالهم مع مثل ذلك فاجيب بها وانما اطلق الاصابع موضع الانامل للمبالغة
من الصواعق متعلق بيجعلون اي من اجلها يجعلون كقولهم سقاه من العيمة والصاعقة قصفة رعد هائل
معها نار لا تمر بشيء الا اتت عليه من الصعق وهو شدة الصوت وقد تطلق على كل هائل مسموع او مشاهد
يقال صعقته الصاعقة اذا اهلكته بالاحراق او شدة الصوت وقرئ من الصواقع وهو ليس بقلب من

فيها على عمومها بلا مثنوية وللمعتزلة لما قالوا الشيء ما يصح ان يوجد وهو يعم الواجب والممكن او ما يصح ان يعلم
ويخبر عنه فيعم الممتنع ايضاً لزمهم التخصيص بالممكن في الموضعين بدليل العقل والقدرة هي التمكن من ايجاد الشيء
وقيل صفة تقتضي التمكن وقيل قدرة الانسان هيئة بها يتمكن من الفعل وقدرة الله تعالى عبارة عن نفي العجز عنه والقادر
هو الذي ان شاء فعل وان لم يشأ لم يفعل والقدير الفعال لما يشاء على ما يشاء ولذلك قلما يوصف به غير الباري تعالى
واشتقاق القدرة من القدر لان القادر يوقع الفعل على مقدار قوته او على مقدار ما يقتضيه مشيئته وفيه دليل
على ان الحادث حال حدوثه والممكن حال بقائه مقدوران وان مقدور العبد مقدور لله تعالى لانه شيء وكل شيء مقدور له
والظاهر ان التمثيلين من جملة التمثيلات المؤلفة وهو ان تشبه كيفية منتزعة من مجموع تضامت اجزاؤه وتلاصقت
حتى صارت شيئاً واحداً باخرى مثلها كقوله تعالى مثل الذين حملوا التورية ثم لم يحملوها كمثل الحمار الاية فانه تشبيه
حال اليهود في جهلهم بما معهم من التورية بحال الحمار في جهله بما يحمل من اسفار الحكمة والغرض منهما تمثيل حال المنافقين
من الحيرة والشدة بما يكابد من طفئت ناره بعد ايقاده في ظلمة او بحال من اخذته السماء في ليلة مظلمة مع رعد
قاصف وبرق خاطف وخوف من الصواعق ويمكن جعلهما من قبيل التمثيل المفرد وهو ان تاخذ اشياء فرادى
فتشبهها بامثالها كقوله تعالى وما يستوي الاعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور وقول
امرئ القيس كأن قلوب الطير رطباً ويابساً لدى وكرها العناب والحشف البالي بان يشبه في الاول ذوات المنافقين
بالمستوقدين واظهارهم الايمان باستيقاد النار وما انتفعوا به من حقن الدماء وسلامة الاموال والاولاد وغير
ذلك باضاءة النار ما حول المستوقدين وزوال ذلك عنهم على القرب باهلاكهم وافشاء حالهم وابقائهم في
الخسار الدائم والعذاب السرمد باطفاء نارهم والذهاب بنورهم وفي الثاني انفسهم باصحاب الصيب وايمانهم
المخالط بالكفر والخداع بصيب فيه ظلمات ورعد وبرق من حيث انه وان كان نافعاً في نفسه لكنه لما وجد في هذه الصورة
عاد نفعه ضراً ونفاقهم حذراً عن نكايات المؤمنين وما يطرقون به من سواهم من الكفرة بجعل الاصابع في الاذان من
الصواعق حذر الموت من حيث انه لا يرد من قدر الله تعالى شيئاً ولا يخلص مما يريد بهم من المضار وتحيرهم لشدة الامر
وجهلهم بما يأتون ويذرون بانهم كلما صادفوا من البرق خفقة انتهزوها فرصة مع خوف ان يخطف ابصارهم
فخطوا خطى يسيرة ثم اذا خفي وفتر لمعانه بقوا متقيدين لا حراك لهم وقيل شبه الايمان والقران وسائر ما اوتي
الانسان من المعارف التي هي سبب الحيوة الابدية بالصيب الذي به حيوة الارض وما ارتكبت بها من الشبه المبطلة و
اعترضت دونها من الاعتراضات المشكلة بالظلمات وما فيها من الوعد والوعيد بالرعد وما فيها من الايات الباهرة بالبرق
وتصامهم عما يسمعون من الوعيد بحال من يهوله الرعد فيخاف صواعقه فيسد اذنه عنها مع انه لا خلاص لهم منها وهو
معنى قوله والله محيط بالكافرين واهتزازهم لما يلمع لهم من رشد يدركونه او رفد تطمح اليه ابصارهم بمشيهم في مطرح
ضوء البرق كلما اضاء لهم وتحيرهم وتوقفهم في الامر حين تعرض لهم شبهة او تعن لهم مصيبة بتوقفهم اذا اظلم عليهم ونبه بقوله
ولو شاء الله لذهب بسمعهم وابصارهم على انه تعالى جعل لهم السمع والابصار ليتوسلوا بها الى الهدى والفلاح ثم انهم

السالكين وهو التبرأ من كل شيء سوى الله الى الله وان العابد ينبغي ان لا يغتر بعبادته ويكون ذا خوف ورجاء
كما قال الله تعالى يدعون ربهم خوفا وطمعا يرجون رحمته ويخافون عذابه او معمول خلقكم والمعطوف عليه
على معنى انه خلقكم ومن قبلكم في صورة من يرجى منه التقوى لترجح امره باجتماع اسبابه وكثرة الدواعي
وغلب المخاطبين على الغائبين في اللفظ والمعنى على ارادتهم جميعا وقيل تعليل للخلق اي خلقكم لكي تتقوا كما قال وما خلقت
الجن والانس الا ليعبدون وهو ضعيف اذ لم يثبت في القرآن مثله والآية تدل على ان الطريق الى معرفة الله تعالى والعلم
بوحدانيته واستحقاقه للعبادة النظر في صنعه والاستدلال بافعاله وان العبد لا يستحق بعبادته ثوابا فانها لما
وجبت عليه شكرا لما عدده عليه من النعم السابقة فهو كاجير اخذ الاجر قبل العمل الذي جعل لكم الارض
فراشا صفة ثانية او مدح منصوب او مرفوع او مبتدأ خبره فلا تجعلوا وجعل من الافعال العامة يجيء على ثلثة
اوجه بمعنى صار وطفق فلا يتعدى كقوله فقد جعلت قلوص بني سهيل من الاكوار مرتعها قريب و
بمعنى اوجد فيتعدى الى مفعول واحد كقوله تعالى وجعل الظلمات والنور وبمعنى صير فيتعدى الى مفعولين
كقوله تعالى جعل لكم الارض فراشا والتصيير يكون بالفعل تارة وبالقول والعقد اخرى ومعنى جعلها فراشا ان
جعل بعض جوانبها بارزا عن الماء مع ما في طبعه من الاحاطة بها وصيرها متوسطة بين الصلابة واللطافة
حتى صارت مهيأة لان يقعدوا وينامو عليها كالفراش المبسوط وذلك لا يستدعي كونها مسطحة لان كرية شكلها مع
عظم حجمها واتساع جرمها لا تأبى الافتراش عليها والسماء بناء قبة مضروبة عليكم والسماء اسم جنس يقع على
الواحد والمتعدد كالدينار والدرهم وقيل جمع سماءة والبناء مصدر سمي به المبني بيتا كان او قبة او خباء ومنه بنى على امرأته
لانهم كانوا اذا تزوجوا ضربوا عليها خباء جديدا وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم عطف على
جعل وخروج الثمار بقدرة الله ومشيئته ولكن جعل الماء الممزوج بالتراب سببا في اخراجها ومادة لها كالنطفة للحيوان
بان اجرى عادته بافاضة صورها وكيفياتها على المادة الممتزجة منهما او ابدع في الماء قوة فاعلة وفي الارض قوة قابلة
يتولد من اجتماعهما انواع الثمار وهو قادر على ان يوجد الاشياء كلها بلا اسباب ومواد كما ابدع نفوس الاسباب
والمواد ولكن له في انشائها مدرجا من حال الى حال صنائع وحكما يجدد فيها لاولي الابصار عبرا وسكونا الى عظيم قدرته
ليس ذلك في ايجادها دفعة ومن الاولى للابتداء سواء اريد بالسماء السحاب فان ما علاك سماء او الفلك فان
المطر يبتدئ من السماء الى السحاب ومنه الى الارض على ما دلت عليه الظواهر او من اسباب سماوية تثير الاجزاء الرطبة
من اعماق الارض الى جو الهواء فينعقد سحابا ماطرا ومن الثانية للتبعيض بدليل قوله تعالى فاخرجنا به ثمرات واكتناف
المنكرين له اعني ماء ورزقا كانه قال وانزلنا من السماء بعض الماء فاخرجنا به بعض الثمرات ليكون بعض رزقكم وهكذا
الواقع اذ لم ينزل من السماء الماء كله ولا اخرج بالمطر كل الثمار ولا جعل كل المرزوق ثمارا او للتبيين ورزقا مفعول بمعنى
المرزوق كقولك انفقت من الدراهم الفا وانما ساغ الثمرات والموضع موضع الكثرة لانه اراد بالثمرات جماعة الثمرة
التي في قولك ادركت ثمرة بستانه ويؤيده قراءة من قرأ من الثمرة على التوحيد او لان الجموع يتعاور بعضها موقع بعض

الموصل إلى العلم بها ذكر عقيبه ما هو الحجة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وهو القرآن المعجز بفصاحته التي بذت
فصاحة كل منطيق وإفحامه من طولب بمعارضته من مصاقع الخطباء من العرب العرباء مع كثرتهم وإفراط حميتهم
والمضادة والمضارة وتهالكهم على المعازة والمعارضة وعرّف ما يتعرف به إعجازه ويتيقن أنه من عند الله كما
يدعيه وإنما قال مما نزلنا لأن نزوله نجماً فنجماً بحسب الوقائع على ما نرى عليه أهل الشعر والخطابة مما يريبهم
كما حكى الله عنهم فقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة وكان الواجب تحديهم على هذا الوجه
إزاحة للشبهة وإلزاماً للحجة وأضاف العبد إلى نفسه تنويهاً بذكره وتنبيهاً على أنه مختص به منقاد لحكمه وقرئ عبادنا
يريد محمداً صلى الله عليه وسلم وأمته والسورة الطائفة من القرآن المترجمة التي أقلها ثلاث آيات وهي إن جعلت
واوها أصلية منقولة من سور المدينة لأنها محيطة بطائفة من القرآن مفرزة محوزة على حيالها أو محتوية على
أنواع من العلم احتواء سور المدينة على ما فيها أو من السورة التي هي الرتبة قال ولرهط حراب وقد سورة
في المجد ليس غرابها بمطار لأن السور كالمنازل والمراتب يترقى فيها القارئ أو لها مراتب في الطول والقصر
والفضل والشرف وثواب القراءة وإن جعلت مبدلة من الهمزة فمن السؤرة التي هي البقية والقطعة من الشيء
والحكمة في تقطيع القرآن سوراً إفراد الأنواع وتلاحق الأشكال وتجاوب النظم وتنشيط القارئ وتسهيل
الحفظ والترغيب فيه فإنه إذا ختم سورة نفّس ذلك عنه كالمسافر إذا علم أنه قطع ميلاً أو طوى بريداً
والحافظ متى حذقها اعتقد أنه أخذ من القرآن حظاً تاماً وفاز بطائفة محدودة مستقلة بنفسها فعظم ذلك
عنده وابتهج به إلى غير ذلك من الفوائد من مثله صفة سورة أي بسورة كائنة من مثله والضمير
لما نزلنا ومن للتبعيض أو للتبيين وزائدة عند الأخفش أي بسورة مماثلة للقرآن في البلاغة وحسن
النظم أو لعبدنا ومن للابتداء أي بسورة كائنة ممن هو على حاله من كونه بشراً أمياً لم يقرأ الكتب ولم يتعلم
العلوم أو صلة فأتوا والضمير للعبد والرد إلى المنزل أوجه لأنه المطابق لقوله فأتوا بسورة من مثله ولسائر
آيات التحدي ولأن الكلام فيه لا في المنزل عليه فحقه أن لا ينفك عنه ليتسق الترتيب والنظم ولأن
مخاطبة الجم الغفير بأن يأتوا بمثل ما أتى به واحد من أبناء جلدتهم أبلغ في التحدي من أن يقال لهم ليأت
بنحو ما أتى به هذا آخر مثله ولأنه معجز في نفسه لا بالنسبة إليه لقوله تعالى قل لئن اجتمعت الإنس والجن
على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولأن رده إلى عبدنا يوهم إمكان صدوره ممن لم يكن على
صفته ولا يلائمه قوله تعالى وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ فإنه أمر بأن يستعينوا بكل من ينصرهم
ويعينهم والشهداء جمع شهيد بمعنى الحاضر أو القائم بالشهادة أو الناصر أو الإمام وكأنه سمي به لأنه
يحضر النوادي وتبرم بمحضره الأمور إذ التركيب للحضور إما بالذات أو بالتصور ومنه قيل للمقتول في
سبيل الله شهيد لأنه حضر ما كان يرجوه أو الملائكة حضروه ومعنى دون أدنى مكان من الشيء ومنه تدوين
الكتب لأنه إدناء البعض من البعض ودونك هذا أي خذه من أدنى مكان منك ثم استعير للرتب فقيل

جرمهم كما عذب الكافرين بما كنزوا او بنقيض ما كانوا يتوقعون زيادة في تحسرهم وقيل الذهب والفضة التي
كانوا يكنزونها ويغترون بها وعلى هذا لم يكن لتخصيص اعداد هذا النوع من العذاب بالكفار وجه وقيل
حجارة الكبريت وهو تخصيص بغير دليل وابطال للمقصود اذ الغرض تهويل شانها وتفاقم لهبها بحيث تتقد
بما لا يتقد به غيرها والكبريت تتقد به كل نار وان ضعفت فان صح هذا عن ابن عباس فلعله عنى
به ان الاحجار كلها لتلك النار كحجارة الكبريت لسائر النيران ولما كانت الاية مدنية نزلت بعد ما نزل
بمكة قوله تعالى في سورة التحريم نارا وقودها الناس والحجارة وسمعوه صح تعريف النار ووقوع الجملة
صلة فانها يجب ان يكون قصة معلومة أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ هيئت لهم وجعلت عدة لعذابهم وقرئ
اعتدت من العتاد بمعنى العدة والجملة استيناف او حال باضمار قد من النار لا من الضمير الذي في وقودها وان
جعلته مصدرا للفصل بينهما بالخبر وفي الايتين ما يدل على النبوة من وجوه الاول ما فيهما من التحدي والتحريض
على الجد وبذل الوسع في المعارضة بالتقريع والتهديد وتعليق الوعيد على عدم الاتيان بما يعارض اقصر سورة من
سور القران ثم انهم مع كثرتهم واشتهارهم بالفصاحة وتهالكهم على المضادة لم يتصدوا للمعارضة والتجؤا الى جلاء
الوطن وبذل المهج والثاني انهما تتضمنان الاخبار عن الغيب على ما هو به فانهم لو عارضوه بشيء لامتنع خفاؤه عادة سيما و
الطاعنون فيه اكثر من الذابين عنه في كل عصر والثالث انه عليه الصلوة والسلام لو شك في امره لما دعاهم
الى المعارضة بهذه المبالغة مخافة ان يعارض فتدحض حجته وقوله اعدت للكافرين دل على ان النار مخلوقة معدة لهم الآن
وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ عطف على الجملة السابقة والمقصود عطف حال من آمن بالقران
ووصف ثوابه على حال من كفر به وكيفية عقابه على ما جرت به العادة الالهية من ان يشفع الترغيب بالترهيب تنشيطا
لاكتساب ما ينجي وتثبيطا عن اقتراف ما يردي لا عطف الفعل نفسه حتى يجب ان يطلب له ما يشاكله من امر او نهي فيعطف عليه
او على فاتقوا لانهم اذا لم ياتوا بما يعارضه بعد التحدي ظهر اعجازه واذا ظهر ذلك فمن كفر به استوجب العقاب و
من آمن به استحق الثواب وذلك يستدعي ان يخوف هؤلاء ويبشر هؤلاء وانما امر الرسول صلى الله عليه وسلم او عالم كل عصر
او كل احد يقدر على البشارة بان يبشرهم ولم يخاطبهم بالبشارة كما خاطب الكفرة تفخيما لشانهم وايذانا بانهم احقاء بان
يبشروا ويهنؤا بما اعد لهم وقرئ وبشر على البناء للمفعول عطفا على اعدت فيكون استينافا والبشارة الخبر السار فانه يظهر
اثر السرور في البشرة ولذلك قال الفقهاء البشارة هو الخبر الاول حتى لو قال الرجل لعبيده من بشرني بقدوم ولدي فهو حر
فاخبروه فرادى عتق اولهم ولو قال من اخبرني عتقوا جميعا واما قوله تعالى فبشرهم بعذاب اليم فعلى التهكم او على طريقة قوله
تحية بينهم ضرب وجيع والصالحات جمع صالحة وهي من الصفات الغالبة التي تجري مجرى الاسماء كالحسنة قال
الحطيئة كيف الهجاء وما تنفك صالحة من آل لام بظهر الغيب تاتيني وهي من الاعمال ما سوغه الشرع وحسنه وتانيثها
على تاويل الخصلة او الخلة واللام فيها للجنس وعطف العمل على الايمان مرتبا للحكم عليهما اشعارا بان السبب في استحقاق
هذه البشارة مجموع الامرين والجمع بين الوصفين فان الايمان الذي هو عبارة عن التحقيق والتصديق اس

متشابه الصورة كما حكى عن الحسن ان احدهم يؤتى بالصحفة فيأكل منها ثم يؤتى باخرى فيراها مثل الاولى فيقول ذلك
فيقول الملك كل فاللون واحد والطعم مختلف او كما روى انه عليه الصلوة والسلام قال والذى نفس محمد بيده
ان الرجل من اهل الجنة ليتناول الثمرة ليأكلها فما هى واصلة الى فيه حتى يبدل الله مكانها مثلها فلعلهم اذا راوها
على الهيئة الاولى قالوا ذلك والاول اظهر لمحافظته على عموم كلما فانه يدل على ترديدهم هذا القول كل مرة
رزقوا والداعى لهم الى ذلك فرط استغرابهم وتبجحهم بما وجدوا من التفاوت العظيم فى اللذة والتشابه البليغ
فى الصورة واتوا به متشابها اعتراض يقرر ذلك والضمير على الاول راجع الى ما رزقوا فى الدارين فانه
مدلول عليه بقوله تعالى هذا الذى رزقنا من قبل ونظيره قوله تعالى ان يكن غنيا او فقيرا فالله اولى بهما اى
بجنسى الغنى والفقير وعلى الثانى الى الرزق فان قيل التشابه هو التماثل فى الصفة وهو مفقود بين ثمرات الدنيا
والآخرة كما قال ابن عباس ليس فى الجنة من اطعمة الدنيا الا الاسماء قلت التشابه بينهما حاصل فى الصورة دون
المقدار والطعم وهو كاف فى اطلاق التشابه هذا وان للآية محملا آخر وهو ان مستلذات اهل الجنة فى مقابلة
ما رزقوا فى الدنيا من المعارف والطاعات متفاوتة فى اللذة بحسب تفاوتها فيحتمل ان يكون المراد من هذا الذى
رزقنا انه ثوابه ومن تشابههما تماثلهما فى الشرف والمزية وعلو الطبقة فيكون هذا فى الوعد نظير قوله ذوقوا ما كنتم
تعملون فى الوعيد ولهم فيها ازواج مطهرة مما يستقذر من النساء ويذم من احوالهن كالحيض والدرن ودنس الطبع
وسوء الخلق فان التطهير يستعمل فى الاجسام والاخلاق والافعال وقرئ مطهرات وهما لغتان فصيحتان يقال النساء
فعلت وفعلن وهن فاعلة وفاعلات وفواعل قال * واذا العذارى بالدخان تقنعت * واستعجلت نصب القدور
فملت * فالجمع على اللفظ والافراد على تأويل الجماعة ومطهرة بتشديد الطاء وكسر الهاء بمعنى متطهرة ومطهرة ابلغ
من طاهرة ومتطهرة للاشعار بان مطهرا طهرهن وليس هو الا الله عز وجل والزوج يقال للذكر والانثى وهو فى
الاصل لماله قرين من جنسه كزوج الخف فان قيل فائدة المطعوم هو التغذى ودفع ضرر الجوع وفائدة المنكوح التوالد
وحفظ النوع وهى مستغنى عنها فى الجنة قلت مطاعم الجنة ومناكحها وسائر احوالها انما تشارك نظائرها
الدنيوية فى بعض الصفات والاعتبارات وتسمى باسمائها على سبيل الاستعارة والتمثيل ولا تشاركها فى
تمام حقيقتها حتى تستلزم جميع ما يلزمها وتفيد عين فائدتها وهم فيها خالدون * دائمون والخلد والخلود فى الاصل
الثبات المديد دام او لم يدم ولذلك قيل للاثافى والاحجار خوالد وللجزء الذى يبقى من الانسان على حاله ما دام
حيا خلد ولو كان وضعه للدوام كان التقييد بالتأبيد فى قوله خالدين فيها ابدا لغوا واستعماله حيث لا دوام كقوله
وقف مخلد يوجب اشتراكا او مجازا والاصل ينفيهما بخلاف ما لو وضع للاعم منه فاستعمل فيه بذلك
الاعتبار كاطلاق الجسم على الانسان مثل قوله تعالى وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد لكن المراد به الدوام
ههنا عند الجمهور لما يشهد له من الآيات والسنن فان قيل الابدان مركبة من اجزاء متضادة الكيفية معرضة
للاستحالات المؤدية الى الانفكاك والانحلال فكيف يعقل خلودها فى الجنان قلت انه تعالى يعيدها بحيث لا يعتورها

وما ابهامية تزيد النكرة ابهاماً وشياعاً وتسد عنها طرق التقييد كقولك اعطني كتاباً ما اي كتاب
كان او مزيدة للتاكيد كالتي في قوله تعالى فبما رحمة من الله ولا نعني بالمزيد اللغو الضائع فان القرآن كله هدى
وبيان بل ما لم يوضع لمعنى يراد منه وانما وضعت لان يذكر مع غيره فيفيده وثاقة وقوة وهو زيادة في الهدى
غير قادح فيه وبعوضة عطف بيان لمثلا او مفعول ليضرب ومثلا حال تقدمت عليه لانها نكرة او انهما
مفعولاه لتضمنه معنى الجعل وقرئت بالرفع على انه خبر مبتدأ وعلى هذا يحتمل ما وجهاً آخر ان يكون موصولة
حذف صدر صلتها كما حذف في قوله تعالى تماماً على الذي احسن وموصوفة بصفة كذلك ومحلها النصب بالبدلية
على الوجهين واستفهامية هي المبتدأ كانه لما رد استبعادهم ضرب الله الامثال قال بعده ما البعوضة فما
فوقها حتى لا يضرب به المثل بل له ان يمثل بما هو احقر من ذلك ونظيره فلان لا يبالي بما يهب ما دينار وديناران
والبعوض فعول من البعض وهو القطع كالبضع والعضب غلب على هذا النوع كالخموش فما فوقها عطف
على بعوضة او ما ان جعل اسماً ومعناه ما زاد عليها في الجثة كالذباب والعنكبوت كانه قصد به رد ما استنكروه
والمعنى انه لا يستحيي ضرب المثل بالبعوض فضلاً عما هو اكبر منه او في المعنى الذي جعلت فيه مثلاً وهو
الصغر والحقارة كجناحها فانه عليه الصلوة والسلام ضربه مثلاً للدنيا ونظيره في الاحتمالين ما روي
ان رجلاً بمنى خر على طنب فسطاط فقالت عائشة رضي الله عنها سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال ما من مسلم يشاك شوكة فما فوقها الا كتبت له بها درجة ومحيت عنه بها خطيئة فانه
يحتمل ما تجاوز الشوكة في الالم كالخرور وما زاد عليها في القلة كنخبة النمل لقوله عليه السلام
ما اصاب المؤمن من مكروه فهو كفارة لخطاياه حتى نخبة النملة فاما الذين آمنوا فيعلمون انه الحق من ربهم
اما حرف تفصل ما اجمل وتؤكد ما به صدر وتضمن معنى الشرط ولذلك يجاب بالفاء قال سيبويه اما زيد
فذاهب معناه مهما يكن من شيء فزيد ذاهب اي هو ذاهب لا محالة وانه منه عزيمة وكان
الاصل دخول الفاء على الجملة لانها الجزاء لكن كرهوا ايلاءها حرف الشرط فادخلوها على الخبر
وعوضوا المبتدأ عن الشرط لفظاً وفي تصدير الجملتين به احماد لامر المؤمنين واعتداد بعلمهم وذم بليغ
للكافرين على قولهم والضمير في انه للمثل او لان يضرب والحق الثابت الذي لا يسوغ انكاره يعم
الاعيان الثابتة والافعال الصائبة والاقوال الصادقة من قولهم حق الامر اذا ثبت ومنه ثوب محقق
محكم النسج واما الذين كفروا فيقولون كان من حقه واما الذين كفروا فلا يعلمون ليطابق قرينه
ويقابل قسيمه لكن لما كان قولهم هذا دليلاً واضحاً على كمال جهلهم عدل اليه على سبيل
الكناية ليكون كالبرهان عليه ماذا اراد الله بهذا مثلاً يحتمل وجهين ان يكون ما استفهامية وذا بمعنى
الذي وما بعده صلته والمجموع خبر ما وان يكون ما مع ذا اسماً واحداً بمعنى اي شيء منصوب المحل على
المفعولية مثل ما اراد الله والاحسن في جوابه الرفع على الاول والنصب على الثاني ليطابق الجواب السؤال والارادة

كان هذا الذي هو من روادفه وهو ان العهد مثل الحبل في ثبات الوصلة بين المتعاهدين كقولك شجاع
يفترس اقرانه وعالم يغترف منه الناس فان فيه تنبيها على انه اسد في شجاعته بحر بالنظر
الى افادته والعهد الموثق ووضعه لما من شانه ان يراعى ويتعهد كالوصية واليمين ويقال
للدار من حيث انها تراعى بالرجوع اليها والتاريخ لانه يحفظ وهذا العهد اما العهد الماخوذ
بالعقل وهو الحجة القائمة على عباده الدالة على توحيده ووجوب وجوده وصدق رسوله وعليه
اول قوله تعالى واشهدهم على انفسهم او الماخوذ بالرسل على الامم بانهم اذا بعث اليهم رسول
مصدق بالمعجزات صدقوه واتبعوه ولم يكتموا امره ولم يخالفوا حكمه واليه اشار بقوله تعالى واذ اخذ
الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب ونظائره وقيل عهود الله ثلثة عهد اخذه على جميع ذرية آدم بان
يقروا بربوبيته وعهد اخذه على النبيين بان يقيموا الدين ولا يتفرقوا فيه وعهد اخذه على العلماء
بان يبينوا الحق ولا يكتموه من بعد ميثاقه الضمير للعهد والميثاق اسم لما تقع به الوثاقة
وهي الاستحكام والمراد به ما وثق الله به عهده من الآيات والكتب وما وثقوه به من الالتزام و
القبول ويحتمل ان يكون بمعنى المصدر ومن للابتداء فان ابتداء النقض بعد الميثاق ويقطعون ما
امر الله به ان يوصل يحتمل كل قطيعة لا يرضاها الله تعالى كقطع الرحم والاعراض عن موالاة
المؤمنين والتفرقة بين الانبياء عليهم السلام والكتب في التصديق وترك الجماعات المفروضة
وسائر ما فيه رفض خير او تعاطي شر فانه يقطع الوصلة بين الله وبين العبد المقصودة بالذات من
كل وصل وفصل والامر هو القول الطالب للفعل وقيل مع العلو وقيل مع الاستعلاء وبه سمي الامر الذي
هو واحد الامور تسمية للمفعول به بالمصدر فانه مما يؤمر به كما قيل له شان وهو الطلب والقصد
يقال شانت شانه اذا قصدت قصده وان يوصل يحتمل النصب والخفض على انه بدل من ما او ضميره والثاني
احسن لفظا ومعنى ويفسدون في الارض بالمنع عن الايمان والاستهزاء بالحق وقطع الوصل التي بها
نظام العالم وصلاحه اولئك هم الخاسرون الذين خسروا باهمال العقل عن النظر واقتناص ما يفيدهم
الحيوة الابدية واستبدال الانكار والطعن في الآيات بالايمان بها والنظر في حقائقها والاقتباس من انوارها
واشتراء النقض بالوفاء والفساد بالصلاح والعقاب بالثواب كيف تكفرون بالله استخبار فيه انكار و
تعجيب لكفرهم بانكار الحال التي يقع الكفر عليها على الطريق البرهاني لان صدوره لا ينفك عن حال وصفة
فاذا انكر ان يكون لكفرهم حال يوجد عليها استلزم ذلك انكار وجوده فهو ابلغ واقوى في انكار الكفر من اتكفرون
واوفق لما بعده من الحال والخطاب مع الذين كفروا لما وصفهم بالكفر وسوء المقال وخبث الفعال خاطبهم على طريقة
الالتفات ووبخهم على كفرهم مع علمهم بحالهم المقتضية خلاف ذلك والمعنى اخبروني على اي حال تكفرون
وكنتم امواتا اي اجساما لا حيوة لها عناصر واغذية واخلاطا ونطفا ومضغا مخلقة وغير مخلقة

٤١

لما فيه من تسوية وضع الاجزاء ولا يمكن حمله عليه تعالى لانه من خواص الاجسام وقيل استوى استولى وملك قال
شعر قد استوى بشر على العراق ✦ من غير سيف ودم مهراق ✦ والاول اوفق للاصل والصلة المعدى بها
المرتبة عليها بالفاء والمراد بالسماء هذه الاجرام العلوية او جهات العلو ثم لعله لتفاوت ما بين الخلقين وفضل خلق
السماء على خلق الارض كقوله ثم كان من الذين آمنوا لا للتراخي في الوقت فانه يخالف ظاهر قوله تعالى و
الارض بعد ذلك دحاها فانه يدل على تاخر دحو الارض المتقدم على خلق ما فيها عن خلق السماء وتسويتها الا ان
تستانف بدحاها مقدرا لنصب الارض فعلا آخر دل عليه ءانتم اشد خلقا ام السماء بناها رفع سمكها مثل تعرف
الارض وتدبر امرها بعد ذلك لكنه خلاف الظاهر فسواهن عدلهن وخلقهن مصونة من العوج والفطور وهن
ضمير السماء ان فسرت بالاجرام لانه جمع او في معنى الجمع والا فمبهم يفسره ما بعده كقولهم ربه رجلا سبع سموات بدل
او تفسير فان قيل اليس ان اصحاب الارصاد اثبتوا تسعة افلاك قلت فيما ذكروه شكوك وان صح فليس في الاية
نفي الزائد مع انه ان ضم اليها العرش والكرسي لم يبق خلاف وهو بكل شيء عليم فيه تعليل كانه
قال ولكونه عالما بكنه الاشياء كلها خلق ما خلق على هذا النمط الاكمل والوجه الانفع واستدلال بان من كان
فعله على هذا النسق العجيب والترتيب الانيق كان عليما فان اتقان الافعال واحكامها وتخصيصها بالوجه الاحسن
الانفع لا يتصور الا من عالم حكيم رحيم وازاحة لما يختلج في صدورهم من ان الابدان بعد ما تبددت وتفتتت
اجزاؤها واتصلت بما يشاكلها كيف تجمع اجزاء كل بدن مرة ثانية بحيث لا يشذ شيء منها ولا ينضم اليها
ما لم يكن معها فيعاد منها كما كان ونظيره قوله تعالى وهو بكل خلق عليم واعلم ان صحة الحشر مبنية على ثلث
مقدمات وقد برهن عليها في هاتين الايتين اما الاولى فهي ان مواد الابدان قابلة للجمع والحيوة واشار الى البرهان
عليها بقوله وكنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم فان تعاقب الافتراق والاجتماع والموت والحيوة عليها يدل على انها
قابلة لها بذاتها وما بالذات يابى ان يزول ويتغير واما الثانية والثالثة فانه عالم بها وبمواقعها قادر على جمعها واحيائها
واشار الى وجه اثباتهما بانه تعالى قادر على ابدائهم وابداء ما هو اعظم خلقا واعجب صنعا فكان اقدر على اعادتهم
واحيائهم وانه خلق ما خلق خلقا مستويا محكما من غير تفاوت واختلال مراعى فيه مصالحهم وسد حاجاتهم وذلك
دليل على تناهي علمه وكمال حكمته جلت قدرته ودقت حكمته وقد سكن نافع وابو عمرو والكسائي الهاء من نحو
فهو وهو تشبيها له بعضد واذ قال ربك للملئكة اني جاعل في الارض خليفة تعداد لنعمة ثالثة تعم الناس
كلهم فان خلق آدم واكرامه وتفضيله على سكان ملكوته بان امرهم بالسجود له انعام يعم ذريته واذ ظرف وضع
لزمان نسبة ماضية وقع فيه اخرى كما وضع اذا لزمان نسبة مستقبلة يقع فيه اخرى ولذلك يجب اضافتهما
الى الجمل كحيث في المكان وبنيتا تشبيها لهما بالموصولات واستعملتا للتعليل والمجازاة ومحلهما النصب ابدا بالظرفية
فانهما من الظروف الغير المتصرفة لما ذكرناه واما قوله واذكر اخا عاد اذ انذر قومه ونحوه فعلى تاويل اذكر الحادث
اذ كان كذا فحذف الحادث واقيم الظرف مقامه وعامله في الاية قالوا او اذكر على التاويل المذكور لانه جاء معمولا له

بني ادم على وجه الغيبة فانهم اعلى من ان يظن بهم ذلك لقوله تعالى بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم
بامره يعملون وانما عرفوا ذلك باخبار من الله او تلق من اللوح واستنباط عما ركز في عقولهم ان العصمة من
خواصهم او قياس لاحد الثقلين على الآخر والسفك والسبك والسفح والشن انواع من الصب فالسفك يقال في
الدمع والدم والسبك في الجواهر المذابة والسفح في الصب من اعلى والشن في الصب عن فم القربة ونحوها وكذلك
السن وقرئ يسفك على البناء للمفعول فيكون الراجع الى من سواء جعل موصولا او موصوفا محذوفا اى يسفك
الدماء فيهم ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك حال مقررة لجهة الاشكال كقولك اتحسن الى اعدائك
وانا الصديق المحتاج والمعنى اتستخلف عصاة ونحن معصومون احقاء بذلك والمقصود منه الاستفسار عما
رجحهم مع ما هو متوقع منهم على الملائكة المعصومين في الاستخلاف لا العجب والتفاخر وكانهم علموا ان المجعول خليفة
ذو ثلث قوى عليها مدار امره شهوية وغضبية تؤديان به الى الفساد وسفك الدماء وعقلية تدعوه الى المعرفة و
الطاعة ونظروا اليها مفردة وقالوا ما الحكمة في استخلافه وهو باعتبار تلك القوتين لا يقتضي الحكمة ايجاده فضلا عن
استخلافه واما باعتبار القوة العقلية فنحن نقيم ما يتوقع منها سليما عن معارضة تلك المفاسد وغفلوا عن
فضيلة كل واحدة من القوتين اذا صارت مهذبة مطواعة للعقل متمرنة على الخير كالعفة والشجاعة ومجاهدة
الهوى والانصاف ولم يعلموا ان التركيب يفيد ما يقصر عنه الآحاد كالاحاطة بالجزئيات واستنباط الصناعات
واستخراج منافع الكائنات من القوة الى الفعل الذي هو المقصود من الاستخلاف واليه اشار تعالى اجمالا
بقوله قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝ والتسبيح تبعيد الله عن السوء وكذلك التقديس من سبح في الارض والماء
وقدس في الارض اذا ذهب فيها وابعد ويقال قدس اذا طهر لان مطهر الشيء مبعده عن الاقذار وبحمدك في موضع الحال
اى متلبسين بحمدك على ما الهمتنا معرفتك ووفقتنا لتسبيحك تداركوا به ما اوهم اسناد التسبيح الى انفسهم ونقدس
لك نطهر نفوسنا عن الذنوب لاجلك كانهم قابلوا الفساد المفسر بالشرك عند قوم بالتسبيح وسفك الدماء الذي
هو اعظم الافعال الذميمة بتطهير النفس عن الآثام وقيل نقدسك واللام زائدة وعلم آدم الاسماء كلها
اما بخلق علم ضروري بها فيه او القاء في روعه ولا يفتقر الى سابقة اصطلاح ليتسلسل والتعليم فعل يترتب
عليه العلم غالبا ولذلك يقال علمته فلم يتعلم وآدم اسم اعجمي كآزر وشالخ واشتقاقه من الادمة او
الادمة بالفتح بمعنى الاسوة او من اديم الارض لما روي عنه عليه السلام انه تعالى قبض
قبضة من جميع الارض سهلها وحزنها فخلق منها آدم فلذلك يأتي بنوه اخيافا او من الادم والادمة بمعنى الالفة
تعسف كاشتقاق ادريس من الدرس ويعقوب من العقب وابليس من الابلاس والاسم باعتبار الاشتقاق
ما يكون علامة للشيء ودليلا يرفعه الى الذهن من الالفاظ والصفات والافعال واستعماله عرفا في اللفظ
الموضوع لمعنى سواء كان مركبا او مفردا مخبرا عنه او خبرا او رابطة بينهما واصطلاحا في المفرد الدال على
معنى في نفسه غير مقترن باحد الازمنة الثلثة والمراد في الآية اما الاول او الثاني وهو يستلزم

لاختصاصه بمن تحرف به وان اللغات توقيفية فان الاسماء تدل على الالفاظ بخصوص او عموم وتعليمها
ظاهر في القائها على المتعلم مبينا له معانيها وذلك يستدعي سابقة وضع والاصل ينفي ان يكون ذلك
الوضع ممن كان قبل آدم فيكون من الله تعالى وان مفهوم الحكمة زائد على مفهوم العلم والا لتكرر قوله انك انت
العليم الحكيم وان علوم الملائكة وكمالاتهم تقبل الزيادة والحكماء منعوا ذلك في الطبقة العليا منهم وحملوا عليه
قوله تعالى وما منا الا له مقام معلوم وان آدم افضل من هؤلاء الملائكة لانه اعلم منهم والاعلم افضل لقوله تعالى
هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون وانه تعالى يعلم الاشياء قبل حدوثها واذ قلنا للملائكة اسجدوا
لآدم لما انباهم باسمائهم وعلمهم ما لم يعلموا امرهم بالسجود له اعترافا بفضله واداء لحقه واعتذارا عما قالوا فيه و
قيل امرهم به قبل ان يسوي خلقه لقوله تعالى فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين امتحانا لهم
واظهارا لفضله والعاطف عطف الظرف على الظرف السابق ان نصبته بمضمر والا عطفه بما يقدر عاملا فيه على
الجملة المتقدمة بل القصة باسرها على القصة الاخرى وهي نعمة رابعة عدها عليهم والسجود في الاصل تذلل
مع تطامن قال الشاعر ترى الاكم فيه سجدا للحوافر وقال وقلن له اسجد لليلى فاسجدا يعني البعير اذا طأطأ رأسه
وفي الشرع وضع الجبهة على قصد العبادة والمأمور به اما المعنى الشرعي فالمسجود له في الحقيقة هو الله تعالى وجعل آدم
قبلة سجودهم تفخيما لشأنه او سببا لوجوبه وكأنه تعالى لما خلقه بحيث يكون انموذجا للمبدعات كلها بل الموجودات
باسرها ونسخة لما في العالم الروحاني والجسماني وذريعة للملائكة الى استيفاء ما قدر لهم من الكمالات ووصلة الى
ظهور ما تباينوا فيه من المراتب والدرجات امرهم بالسجود تذللا لما رأوا فيه من عظيم قدرته وباهر آياته وشكرا لما انعم
عليهم بواسطته فاللام فيه كاللام في قول حسان اليس اول من صلى لقبلتكم واعرف الناس بالقرآن والسنن
او في قوله تعالى اقم الصلوة لدلوك الشمس واما المعنى اللغوي وهو التواضع لآدم تحية وتعظيما له كسجود اخوة يوسف له
او التذلل والانقياد بالسعي في تحصيل ما ينوط به معاشهم ويتم به كمالهم والكلام في ان المأمورين بسجود آدم
الملائكة كلهم او طائفة منهم ما سبق فسجدوا الا ابليس ابى واستكبر امتنع عما امر به استكبارا من ان يتخذه
وصلة في عبادة ربه او يعظمه ويتلقاه بالتحية او يخدمه ويسعى فيما فيه خيره وصلاحه والاباء امتناع
باختيار والتكبر ان يرى الرجل نفسه اكبر من غيره والاستكبار طلب ذلك بالتشبع وكان من الكافرين
اي في علم الله او صار منهم باستقباحه امر الله اياه بالسجود لآدم عليه السلام اعتقادا بانه افضل منه
والافضل لا يحسن ان يؤمر بالتخضع للمفضول والتوسل به كما اشعر به قوله انا خير منه جوابا لقوله ما منعك ان تسجد
لما خلقت بيدي استكبرت ام كنت من العالين لا بترك الواجب وحده والآية تدل على ان آدم افضل من
الملائكة المأمورين بالسجود له ولو من وجه وان ابليس كان من الملائكة والا لم يتناوله امرهم ولم يصح
استثناؤه منهم ولا يرد على ذلك قوله تعالى الا ابليس كان من الجن لجواز ان يقال انه كان من الجن فعلا ومن الملائكة
نوعا ولان ابن عباس رضي الله عنهما روى ان من الملائكة ضربا يتوالدون يقال لهم الجن ومنهم ابليس ولمن زعم انه

فازلهما الشيطان عنها اصدر زلتهما عن الشجرة وحملهما على الزلة بسببها ونظير عن هذه في قوله تعالى وما
فعلته عن امري او ازلهما عن الجنة بمعنى اذهبهما ويعضده قراءة حمزة فازالهما وهما متقاربان في المعنى غير ان
ازل يقتضي عثرة مع الزوال وازلاله قوله هل ادلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى وقوله ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا
ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين ومقاسمته اياهما بقوله اني لكما لمن الناصحين واختلف في انه تمثل لهما فقاولهما بذلك او القاه
اليهما على طريق الوسوسة وانه كيف توصل الى ازلالهما بعدما قيل له اخرج منها فانك رجيم فقيل انه منع من الدخول على جهة التكرمة كما
كان يدخل مع الملائكة ولم يمنع ان يدخل للوسوسة ابتلاء لادم وحواء وقيل قام عند الباب فناداهما وقيل تمثل بصورة دابة فدخل
ولم يعرفه الخزنة وقيل دخل في فم الحية حتى دخلت به وقيل ارسل بعض اتباعه فازلهما والعلم عند الله فاخرجهما مما كانا فيه
من الكرامة والنعيم وقلنا اهبطوا خطاب لادم وحواء لقوله قال اهبطا منها جميعا وجمع الضمير لانهما اصلا الانس فكانهما
الجنس كلهم او هما وابليس اخرج منها ثانيا بعدما كان يدخلها للوسوسة او دخلها مسارقة او من السماء بعضكم لبعض عدو حال
استغنى فيها عن الواو بالضمير والمعنى متعادين يبغي بعضكم على بعض بتضليله ولكم في الارض مستقر موضع استقرار او استقرار
ومتاع تمتع الى حين يريد به وقت الموت او القيامة فتلقى آدم من ربه كلمات استقبلها بالاخذ والقبول والعمل بها حين
علمها وقرأ ابن كثير بنصب ادم ورفع الكلمات على انها استقبلته وبلغته وهي قوله تعالى ربنا ظلمنا انفسنا الاية وقيل سبحانك
اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك لا اله الا انت ظلمت نفسي فاغفر لي انه لا يغفر الذنوب الا انت وعن ابن عباس قال يا رب
الم تخلقني بيدك قال بلى قال يا رب الم تنفخ فيّ الروح من روحك قال بلى قال الم تسبق رحمتك غضبك قال بلى قال الم تسكني جنتك
قال بلى قال يا رب ان تبت واصلحت اراجعي انت الى الجنة قال نعم واصل الكلمة الكلم وهو التاثير المدرك باحدى
الحاستين السمع والبصر كالكلام والجراحة فتاب عليه رجع عليه بالرحمة وقبول التوبة وانما رتبه بالفاء على تلقي الكلمات
لتضمنها معنى التوبة وهو الاعتراف بالذنب والندم عليه والعزم على ان لا يعود اليه واكتفى بذكر ادم لان حواء كانت تبعا له
في الحكم ولذلك طوي ذكر النساء في اكثر القران والسنن انه هو التواب الرجاع على عباده بالمغفرة او الذي يكثر اعانتهم
على التوبة واصل التوبة الرجوع فاذا وصف بها العبد كان رجوعا عن المعصية واذا وصف بها الباري تعالى اريد بها الرجوع
عن العقوبة الى المغفرة الرحيم المبالغ في الرحمة وفي الجمع بين الوصفين وعد للتائب بالاحسان مع العفو قلنا اهبطوا منها جميعا
كرر للتاكيد او لاختلاف المقصود فان الاول دل على ان هبوطهم الى دار بلية يتعادون فيها ولا يخلدون والثاني اشعر بانهم اهبطوا
للتكليف فمن اهتدى الهدى نجا ومن ضله هلك والتنبيه على ان مخافة الاهباط المقترن باحد هذين الامرين وحدها كافية
للحازم ان تعوقه عن مخالفة حكم الله تعالى فكيف بالمقترن بهما ولكنه نسي ولم نجد له عزما وان كل واحد منهما كفى به نكالا
لمن اراد ان يذكر وقيل الاول من الجنة الى سماء الدنيا والثاني منها الى الارض وهو كما ترى وجميعا حال في اللفظ تاكيد في
المعنى كانه قيل اهبطوا انتم اجمعون ولذلك لا يستدعي اجتماعهم على الهبوط في زمان واحد كقولك جاؤوا جميعا فاما ياتينكم
مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ۝ الشرط الثاني مع جوابه جواب الشرط الاول
وما مزيدة اكدت به ان ولذلك حسن تاكيد الفعل بالنون وان لم يكن فيه معنى الطلب والمعنى ان ياتينكم

ل نبوة المخبر بها من حيث اشتمالها على خلق الانسان واصوله وما هو اعظم من ذلك ثم دل على انه قادر على الاعادة كما كان
قادرا على الابداء خاطب اهل العلم والكتاب منهم وامرهم ان يذكروا نعم الله عليهم ويوفوا بعهده في اتباع الحق واقتفاء الحجج
ليكونوا اول من آمن بمحمد وبما انزل عليه فقال يا بني اسرائيل اي اولاد يعقوب والابن من البناء لانه مبنى ابيه ولذلك ينسب
المصنوع الى صانعه فيقال ابو الحرب وبنت فكر واسرائيل لقب يعقوب عليه السلام ومعناه بالعبرية صفوة الله وقيل
عبد الله وقرئ اسرائل بحذف الياء واسرال بحذفهما واسرائيل بقلب الهمزة ياء اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم اي بالتفكر
فيها والقيام بشكرها وتقييد النعمة بهم فان الانسان غيور وحسود بالطبع فاذا نظر الى ما انعم الله على غيره حمله الغيرة
والحسد على الكفران والسخط وان نظر الى ما انعم به عليه حمله حب النعمة على الرضاء والشكر وقيل اراد بها ما انعم على
ابائهم من الانجاء من فرعون والغرق ومن العفو عن اتخاذ العجل وعليهم من ادراك زمن محمد عليه السلام وقرئ اذكروا والاصل
اذتكروا ونعمتي باسكان الياء واسقاطها درجا وهو مذهب من لا يحرك الياء المكسور ما قبلها واوفوا بعهدي بالايمان والطاعة
اوف بعهدكم بحسن الاثابة والعهد يضاف الى المعاهد والمعاهد ولعل الاول مضاف الى الفاعل والثاني الى المفعول فانه
تعالى عهد اليهم بالايمان والعمل الصالح بنصب الدلائل وانزال الكتب ووعدهم بالثواب على حسناتهم وللوفاء بهما
عرض عريض فاول مراتب الوفاء منا هو الاتيان بكلمتي الشهادة ومن الله تعالى حقن الدم والمال واخرها منا الاستغراق
في بحر التوحيد بحيث يغفل عن نفسه فضلا عن غيره ومن الله تعالى الفوز باللقاء الدائم وما روي عن ابن عباس اوفوا بعهدي
في اتباع محمد صلى الله عليه وسلم اوف بعهدكم في رفع الآصار والاغلال وعن غيره اوفوا باداء الفرائض وترك الكبائر
اوف بالمغفرة والثواب او اوفوا بالاستقامة على الطريق المستقيم اوف بالكرامة والنعيم المقيم فبالنظر الى الوسائط وقيل
كلاهما مضاف الى المفعول والمعنى اوفوا بما عاهدتموني من الايمان والتزام الطاعة اوف بما عاهدتكم من حسن الاثابة وتفصيل
العهدين قوله تعالى ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرائيل الى قوله ولادخلنكم جنات وقرئ اوف بالتشديد للمبالغة
واياي فارهبون فيما تاتون وتذرون وخصوصا في نقض العهد وهو آكد في افادة التخصيص من اياك نعبد لما فيه مع
التقديم من تكرير المفعول والفاء الجزائية الدالة على تضمن الكلام معنى الشرط كانه قيل ان كنتم راهبين شيئا فارهبون
والرهبة خوف معه تحرز والآية متضمنة للوعد والوعيد دالة على وجوب الشكر والوفاء بالعهد وان المؤمن ينبغي
ان لا يخاف احدا الا الله وآمنوا بما انزلت مصدقا لما معكم افراد للايمان بالامر به والحث عليه لانه المقصود
والعمدة للوفاء بالعهود وتقييد المنزل بانه مصدق لما معهم من الكتب الالهية من حيث انه نازل حسب ما نعت فيها
او مطابق لها في القصص والمواعيد والدعاء الى التوحيد والامر بالعبادة والعدل بين الناس والنهي عن المعاصي والفواحش وفيما
يخالفها من جزئيات الاحكام بسبب تفاوت الاعصار في المصالح من حيث ان كل واحدة منها حق بالاضافة الى زمانها مراعى فيها صلاح
من خوطب بها حتى لو نزل المتقدم في ايام المتأخر لنزل على وفقه ولذلك قال عليه السلام لو كان موسى حيا لما وسعه
الا اتباعي تنبيه على ان اتباعها لا ينافي الايمان به بل يوجبه ولذلك عرض بقوله ولا تكونوا اول كافر به بان الواجب
ان تكونوا اول من آمن به ولانهم كانوا اهل النظر في معجزاته والعلم بشانه والمستفتحين به والمبشرين بزمانه اول كافر به

فان الاخلال باحد الامرين المامور بهما لا يوجب الاخلال بالآخر واستعينوا بالصبر والصلوة متصل بما قبله كانهم

لما امروا بما شق عليهم لما فيه من الكلفة وترك الرياسة والاعراض عن المال عولجوا بذلك والمعنى استعينوا على

حوائجكم بانتظار النجح والفرج توكلا على الله او بالصوم الذي هو صبر عن المفطرات لما فيه من كسر الشهوة وتصفية النفس

والتوسل بالصلوة والالتجاء اليها فانها جامعة لانواع العبادات النفسانية والبدنية من الطهارة وستر العورة وصرف

المال فيهما والتوجه الى الكعبة والعكوف للعبادة واظهار الخشوع بالجوارح واخلاص النية بالقلب ومجاهدة الشيطان ومناجاة الحق

وقراءة القرآن والتكلم بالشهادتين وكف النفس عن الاطيبين حتى تجابوا الى تحصيل المآرب وجبر المصائب روي انه عليه السلام كان اذا حزبه

امر فزع الى الصلوة ويجوز ان يراد بها الدعاء وانها اي الاستعانة بهما او الصلوة وتخصيصها برد الضمير اليها لعظم شانها واستجماعها

ضروبا من الصبر او جملة ما امروا بها ونهوا عنها لكبيرة لثقيلة شاقة لقوله تعالى كبر على المشركين ما تدعوهم اليه الا على الخاشعين

اي المخبتين والخشوع الاخبات ومنه الخشعة للرملة المتطامنة والخضوع اللين والانقياد ولذلك يقال الخشوع بالجوارح

والخضوع بالقلب الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم وانهم اليه راجعون اي يتوقعون لقاء الله ونيل ما عنده او يتيقنون

انهم يحشرون الى الله فيجازيهم ويؤيده ان في مصحف ابن مسعود يعلمون وكان الظن لما شابه العلم في الرجحان اطلق عليه

لتضمن معنى التوقع قال اوس بن حجر فارسلته مستيقن الظن انه مخالط ما بين الشراسيف جائف وانما لم تثقل عليهم

ثقلها على غيرهم فان نفوسهم مرتاضة بامثالها متوقعة في مقابلتها ما يستحقر لاجله مشاقها ويستلذ بسببه متاعبها ومن ثم قال

عليه السلام وجعلت قرة عيني في الصلوة يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم كرره للتوكيد وتذكير التفضيل

الذي هو من اجل النعم خصوصا وربطه بالوعيد الشديد تخويفا لمن غفل عنها واخل بحقوقها واني فضلتكم عطف على

نعمتي على العالمين اي عالمي زمانهم يريد به تفضيل آبائهم الذين كانوا في عصر موسى وبعده قبل ان يغيروا بما منحهم الله

من العلم والايمان والعمل الصالح وجعلهم انبياء وملوكا مقسطين واستدل به على تفضيل البشر على الملائكة وهو ضعيف

واتقوا يوما اي ما فيه من الحساب والعذاب لا تجزي نفس عن نفس شيئا لا تقضي عنها شيئا من الحقوق او شيئا من الجزاء فيكون نصبه

على المصدر وقرئ لا تجزئ من اجزأ عنه اذا اغنى عنه وعلى هذا تعين ان يكون مصدرا وايراده منكرا مع تنكير النفس

للتعميم والاقناط الكلي والجملة صفة ليوما والعائد فيها محذوف تقديره لا تجزي فيه ومن لم يجوز حذف العائد المجرور قال

اتسع فيه فحذف عنه الجار واجري مجرى المفعول به ثم حذف كما حذف من قوله ام مال اصابوا ولا يقبل منها شفاعة

ولا يؤخذ منها عدل اي من النفس الثانية العاصية او من الاولى وكانه اريد بالآية نفي ان يدفع العذاب احد

عن احد من كل وجه محتمل فانه اما ان يكون قهرا او غيره والاول النصرة والثاني اما ان يكون مجانا او غيره والاول ان يشفع له

والثاني اما باداء ما كان عليه وهو ان يجزي عنه او بغيره وهو ان يعطي عنه عدلا والشفاعة من الشفع كان المشفوع

له كان فردا فجعله الشفيع شفعا بضم نفسه اليه والعدل الفدية وقيل البدل واصله التسوية سمي به الفدية لانها سويت بالمفدي

وقرأ ابن كثير وابو عمرو ولا تقبل بالتاء ولا هم ينصرون يمنعون من عذاب الله والضمير لما دلت عليه النفس الثانية المنكرة الواقعة

في سياق النفي من النفوس الكثيرة وتذكيره بمعنى العباد او الاناسي والنصرة اخص من المعونة لاختصاصها بدفع الضر وقد تمسك

وأنتم ظالمون باشراككم ثم عفونا عنكم حين تبتم والعفو محو الجريمة من عفا اذا درس من بعد ذلك اي الاتخاذ

لعلكم تشكرون لكي تشكروا عفوه واذ آتينا موسى الكتاب والفرقان يعني التورية الجامع بين كونه كتابا وحجة

تفرق بين الحق والباطل وقيل اراد بالفرقان معجزاته الفارقة بين المحق والمبطل في الدعوى او بين الكفر والايمان وقيل

الشرع الفارق بين الحلال والحرام او النصر الذي فرق بينه وبين عدوه كقوله تعالى يوم الفرقان يريد به يوم بدر لعلكم

تهتدون لكي تهتدوا بتدبر الكتاب والتفكر في الآيات واذ قال موسى لقومه يا قوم انكم ظلمتم انفسكم باتخاذكم

العجل فتوبوا الى بارئكم فاعزموا على التوبة والرجوع الى من خلقكم بريئا من التفاوت وميز بعضكم عن بعض بصور

وهيئات مختلفة واصل التركيب لخلوص الشيء عن غيره اما على سبيل التفصي كقولهم برئ المريض من مرضه والمدين

من دينه او الانشاء كقولهم برأ الله آدم من الطين او فتوبوا فاقتلوا انفسكم تماما لتوبتكم بالبخع او قطع الشهوات كما

قيل من لم يعذب نفسه لم ينعمها ومن لم يقتلها لم يحيها وقيل امروا ان يقتل بعضهم بعضا وقيل امر من لم يعبد العجل ان

يقتل العبدة روي ان الرجل كان يرى بعضه وقريبه فلم يقدر على المضي لامر الله فارسل الله ضبابة وسحابة سوداء لا يتباصرون

فاخذوا يقتلون من الغداة الى العشي حتى دعا موسى وهرون فكشفت السحابة ونزلت التوبة وكانت القتلى سبعين الفا

والفاء الاولى للتسبيب والثانية للتعقيب ذلكم خير لكم عند بارئكم من حيث انه طهرة من الشرك ووصلة الى

الحيوة الابدية والبهجة السرمدية فتاب عليكم متعلق بمحذوف ان جعلته من كلام موسى عليه السلام لهم تقديره

ان فعلتم ما امرتم به فقد تاب عليكم او عطف على محذوف ان جعلته خطابا من الله لهم على طريقة الالتفات كانه قال

ففعلتم ما امرتم به فتاب عليكم بارئكم وذكر البارئ وترتيب الامر عليه اشعار بانهم بلغوا غاية الجهالة والغباوة حتى

تركوا عبادة خالقهم الحكيم الى عبادة البقر التي هي مثل في الغباوة وان من لم يعرف حق منعمه حقيق بان يسترد منه ولذلك

امروا بالقتل وفك التركيب انه هو التواب الرحيم الذي يكثر توفيق التوبة او قبولها من المذنبين ويبالغ في الانعام عليهم

واذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك لاجل قولك او لن نقر لك حتى نرى الله جهرة عيانا وهي في الاصل مصدر قولك جهرت

بالقراءة استعيرت للمعاينة ونصبها على المصدر لانها نوع من الرؤية او الحال من الفاعل او المفعول وقرئ جهرة بالفتح على انها

مصدر كالغلبة او جمع جاهر كالكتبة فيكون حالا والقائلون هم السبعون الذين اختارهم موسى عليه السلام للميقات وقيل عشرة

آلاف من قومه والمؤمن به ان الله الذي اعطاك التورية وكلمك او انك نبي فاخذتكم الصاعقة لفرط العناد والتعنت

وطلب المستحيل فانهم ظنوا انه تعالى يشبه الاجسام فطلبوا رؤيته رؤية الاجسام في الجهات والاحياز المقابلة للرائي وهي محال بل الممكن

ان يرى رؤية منزهة عن الكيفية وذلك للمؤمنين في الآخرة ولافراد من الانبياء في بعض الاحوال في الدنيا قيل جاءت نار

من السماء فاحرقتهم وقيل صيحة وقيل جنود سمعوا بحسيسها فخروا صعقين ميتين يوما وليلة وانتم تنظرون ما اصابكم بنفسه

او اثره ثم بعثناكم من بعد موتكم بسبب الصاعقة وقيد البعث بالموت لانه قد يكون عن اغماء او نوم كقوله تعالى ثم بعثناهم

لعلكم تشكرون نعمة البعث او ما كفرتموه لما رأيتم بأس الله بالصاعقة وظللنا عليكم الغمام سخر الله لهم السحاب يظلهم من الشمس حين كانوا في التيه

وانزلنا عليكم المن والسلوى الترنجبين والسماني قيل كان ينزل عليهم المن مثل الثلج من الفجر الى الطلوع وتبعث الجنوب عليهم السماني

انكر امثال هذه المعجزات فلغاية جهله بالله وقلة تدبره في عجائب صنعه فانه لما امكن ان يكون
من الاحجار ما يحلق الشعر وينفر الخل ويجذب الحديد لم يمتنع ان يخلق الله حجرا يسخره لجذب الماء من
تحت الارض او لجذب الهواء من الجوانب ويصيره ماء بقوة التبريد ونحو ذلك وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى
لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ يريد به ما رزقوا في التيه من المن والسلوى وبوحدته انه لا يختلف
ولا يتبدل كقولهم طعام مائدة الامير واحد يريدون انه لا تتغير الوانه ولذلك اجموا او ضرب
واحد لانهما معا طعام اهل التلذذ وهم كانوا فلاحة فنزعوا الى عكرهم واشتهوا ما الفوه فَادْعُ لَنَا
رَبَّكَ سله لنا بدعائك اياه يُخْرِجْ لَنَا يظهر لنا ويوجد وجزمه بانه جواب فادع فان دعوته سبب
الاجابة مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ من الاسناد المجازي واقامة القابل مقام الفاعل ومن للتبعيض مِنْ
بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا تفسير وبيان وقع موقع الحال وقيل بدل باعادة الجار و
البقل ما انبتته الارض من الخضر والمراد به اطايبه التي تؤكل والفوم الحنطة ويقال للخبز ومنه فوموا
لنا وقيل الثوم وقرئ قُثّائها بالضم وهي لغة فيه قَالَ اي الله او موسى أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى
اقرب منزلة وادون قدرا واصل الدنو القرب في المكان فاستعير للخسة كما استعير البعد في الشرف
والرفعة فقيل بعيد المحل بعيد الهمة وقرئ ادنأ من الدناءة بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ يريد به المن والسلوى
فانه خير في اللذة والنفع وعدم الحاجة الى السعي اهْبِطُوا مِصْرًا انحدروا اليه من التيه يقال هبط
الوادي اذا نزل به وهبط منه اذا خرج منه وقرئ بالضم والمصر البلد العظيم واصله الحد بين
الشيئين وقيل اراد به العلم وانما صرفه لسكون وسطه او على تاويل البلد ويؤيده انه غير منون في
مصحف ابن مسعود وقيل اصله مصرائم فعرب فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ
احيطت بهم احاطة القبة بمن ضربت عليه او الصقت بهم من ضرب الطين على الحائط مجازاة لهم على
كفران النعمة واليهود في غالب الامر اذلاء مساكين اما على الحقيقة او على التكلف مخافة ان تضاعف جزيتهم
وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ رجعوا به او صاروا احقاء بغضبه من باء فلان بفلان اذا كان حقيقا بان يقتل به واصل
البوء المساواة ذَلِكَ اشارة الى ما سبق من ضرب الذلة والمسكنة والبوء بالغضب بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ
اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ بسبب كفرهم بالمعجزات التي من جملتها ما عد عليهم من فلق البحر واظلال الغمام
وانزال المن والسلوى وانفجار العيون من الحجر او بالكتب المنزلة كالانجيل والفرقان واية الرجم والتي فيها
نعت محمد صلى الله عليه وسلم من التوراة وقتلهم الانبياء فانهم قتلوا شعيا وزكريا ويحيى
وغيرهم بغير الحق عندهم اذ لم يروا منهم ما يعتقدون به جواز قتلهم وانما حملهم على ذلك
اتباع الهوى وحب الدنيا كما اشار اليه بقوله ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ اي جرهم العصيان
والتمادي والاعتداء فيه الى الكفر بالآيات وقتل النبيين فان صغار الذنوب سبب

في مدح من أرسل ولو في الأصل لامتناع الشيء لامتناع غيره فإذا دخل على لا أفاد إثباتاً وهو امتناع الشيء
لثبوت غيره والاسم الواقع بعده عند سيبويه مبتدأ خبره واجب الحذف لدلالة الكلام عليه وسد
الجواب مسده وعند الكوفيين فاعل فعل محذوف ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ﴾ اللام موطئة
للقسم والسبت مصدر سبتت اليهود إذا عظمت يوم السبت وأصله القطع أمروا بأن يجردوه للعبادة فاعتدى
فيه ناس منهم في زمن داود عليه السلام واشتغلوا بالصيد وذلك أنهم كانوا يسكنون قرية
على الساحل يقال لها أيلة وإذا كان يوم السبت لم يبق حوت في البحر إلا حضر هناك وأخرج خرطومه وإذا مضى
تفرقت فحفروا حياضاً وشرعوا إليها الجداول وكانت الحيتان تدخلها يوم السبت فيصطادونها يوم الأحد
﴿فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ جامعين بين صورة القردة والخسوء وهو الصغار والطرد وقال مجاهد ما
مسخت صورهم ولكن قلوبهم فمثلوا بالقردة كما مثلوا بالحمار في قوله كمثل الحمار يحمل أسفاراً وقوله كونوا ليس
بأمر إذ لا قدرة لهم عليه وإنما المراد به سرعة التكوين وأنهم صاروا كذلك كما أراد بهم وقرئ قَرِدة بفتح القاف
وكسر الراء وخاسين بغير همزة ﴿فَجَعَلْنَاهَا﴾ أي المسخة أو العقوبة ﴿نَكَالًا﴾ عبرة تنكل المعتبر بها أي تمنعه ومنه النكل للقيد
﴿لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا﴾ لما قبلها وما بعدها من الأمم إذ ذكرت حالهم في زبر الأولين واشتهرت قصصهم في
الآخرين أو لمعاصريهم ومن بعدهم أو لما بحضرتها من القرى وما تباعد عنها أو لأهل تلك القرية وما حواليها أو لأجل
ما تقدم عليها من ذنوبهم وما تأخر منها ﴿وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ﴾ من قومهم أو لكل متق سمعها ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ
إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً﴾ أول هذه القصة قوله تعالى وإذ قتلتم نفساً فادارأتم فيها وإنما فكت عنه وقدمت
عليه لاستقلاله بنوع آخر من مساويهم وهو الاستهزاء بالأمر والاستقصاء في السؤال وترك المسارعة
إلى الامتثال وقصته أنه كان فيهم شيخ موسر فقتل ابنه بنو أخيه طمعاً في ميراثه وطرحوه إلى باب المدينة ثم جاؤا
يطالبون بدمه فأمرهم الله أن يذبحوا بقرة ويضربوه ببعضها ليحيى فيخبر بقاتله ﴿قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا﴾ أي مكان هزء أو أهله
أو مهزوءاً بنا أو الهزء نفسه لفرط الاستهزاء استبعاداً لما قاله واستخفافاً به وقرأ حمزة وإسمعيل عن نافع بسكون
وحفص عن عاصم بضم الزاي وقلب الهمزة واواً ﴿قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ لأن الهزء
في مثل ذلك جهل وسفه نفى عن نفسه ما رمي به على طريقة البرهان وأخرج ذلك في صورة الاستعاذة
استفظاعاً له ﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ﴾ أي ما حالها وصفتها وكان حقه أن يقولوا أي بقرة هي أو
كيف هي لأن ما يسأل به عن الجنس غالباً لكنهم لما رأوا ما أمروا به على حال لم يوجد بها شيء من جنسه أجروه مجرى
ما لم يعرفوا حقيقته ولم يروا مثله ﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ﴾ لا مسنة ولا فتية يقال فرضت
البقرة فروضاً من الفرض وهو القطع كأنها فرضت سنها وتركيب البكر للأولية ومنه البكرة والباكورة ﴿عَوَانٌ﴾
نصف قال * نواعم بين أبكار وعون * ﴿بَيْنَ ذَلِكَ﴾ أي بين ما ذكر من الفارض والبكر ولذلك أضيف إليه بين فإنه لا يضاف
إلا إلى متعدد وعود هذه الكنايات وإجراء تلك الصفات على بقرة يدل على أن المراد بها معينة ويلزمه تأخير

ذهبا وكانت البقرة اذ ذاك بثلثة دنانير وكاد من افعال المقاربة وضع لدنو الخبر حصولا فاذا دخل
عليه النفي قيل معناه الاثبات مطلقا وقيل ماضيا والصحيح انه كسائر الافعال ولا ينافي قوله وما كادوا يفعلون
قوله فذبحوها لاختلاف وقتيهما اذ المعنى انهم ما قاربوا ان يفعلوا حتى انتهت سؤالاتهم
وانقطعت تعللاتهم ففعلوا كالمضطر الملجأ الى الفعل وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا خطاب الجمع لوجود القتل
فيهم فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا اختصمتم في شأنها اذ المتخاصمان يدفع بعضهما بعضا او تدافعتم بان طرح كل
قتلها عن نفسه الى صاحبه واصله تدارأتم فادغمت التاء في الدال واجتلبت لها همزة الوصل
وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ مظهره لا محالة واعمل مخرج لانه حكاية مستقبل كما اعمل باسط
ذراعيه لانه حكاية حال ماضية فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ عطف على ادارأتم وما بينهما اعتراض والضمير
للنفس والتذكير على تأويل الشخص او القتيل بِبَعْضِهَا اي بعض كان وقيل باصغريها وقيل
بلسانها وقيل بفخذها اليمنى وقيل بالاذن وقيل بالعجب كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى يدل على ما حذف
وهو فضربوه فحيي والخطاب مع من حضر حيوة القتيل او نزول الآية وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ دلائله على كمال
قدرته لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ لكي يكمل عقلكم وتعلموا ان من قدر على احياء نفس قدر على احياء الانفس
كلها او تعملوا على قضيته ولعله تعالى انما لم يحيه ابتداء وشرط فيه ما شرط لما فيه من التقرب واداء
الواجب ونفع اليتيم والتنبيه على بركة التوكل والشفقة على الاولاد وان من حق الطالب ان يقدم قربة
والمتقرب ان يتحرى الاحسن ويغالي بثمنه كما روي عن عمر انه ضحى بنجيبة بثلث مائة دينار وان المؤثر
في الحقيقة هو الله تعالى والاسباب امارات لا اثر لها وان من اراد ان يعرف اعدى عدوه الساعي في
اماتته الموت الحقيقي فطريقه ان يذبح بقرة نفسه التي هي القوة الشهوية حين زال عنها شره الصبى
ولم يلحقها ضعف الكبر وكانت معجبة رائقة المنظر غير مذللة في طلب الدنيا مسلمة عن دنسها لا شية
بها من قبائحها بحيث يصل اثره الى نفسه فيحيى حيوة طيبة ويعرب عما به ينكشف الحال ويرتفع
ما بين العقل والوهم من التدارؤ والنزاع ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ القساوة عبارة عن الغلظ مع الصلابة
كما في الحجر وقساوة القلب مثل في نبوه عن الاعتبار وثم لاستبعاد القسوة مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ يعني
احياء القتيل وجميع ما عدد من الآيات فانها مما توجب لين القلب فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ في قسوتها أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً
منها والمعنى انها في القساوة مثل الحجارة او ازيد منها او انها مثلها او مثل ما هو اشد منها قسوة كالحديد
فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه ويعضده قراءة الجر بالفتح عطفا على الحجارة وانما لم يقل اقسى لما في اشد من
المبالغة والدلالة على اشتداد القسوتين واشتمال المفضل على زيادة واو للتخيير او للترديد بمعنى ان من عرف حالها شبهها
بالحجارة او بما هو اقسى منها وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ
مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ تعليل للتفضيل والمعنى ان الحجارة تتأثر وتنفعل فان منها ما يتشقق

سبون وإن هم إلا يظنون ما هم إلا قوم يظنون لا علم لهم فقد يطلق الظن بإزاء العلم على كل رأي واعتقاد
من غير قاطع وإن جزم به صاحبه كاعتقاد المقلد والزائغ عن الحق لشبهة فويل أي تحسر وهلك ومن
قال إنه واد أو جبل في جهنم فمعناه أن فيها موضعا يتبوأ فيه من جعل له الويل ولعله سماه بذلك مجازا وهو
في الأصل مصدر لا فعل له وإنما ساغ الابتداء به نكرة لأنه دعاء للذين يكتبون الكتاب يعني المحرف و
لعله أراد به ما كتبوه من التأويلات الزائغة بأيديهم تأكيد كقولك كتبته بيميني ثم يقولون هذا
من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا كي يحصلوا به عرضا من أعراض الدنيا فإنه وإن جل قليل بالنسبة
إلى ما استوجبوه من العقاب الدائم فويل لهم مما كتبت أيديهم يعني المحرف وويل لهم مما يكسبون يريد به
الرشى وقالوا لن تمسنا النار المس اتصال الشيء بالبشرة بحيث تتأثر الحاسة به واللمس كالطلب له ولذلك
يقال ألمسه فلا أجد إلا أياما معدودة محصورة قليلة روي أن بعضهم قالوا نعذب بعدد أيام
عبادة العجل أربعين يوما وبعضهم قالوا مدة الدنيا سبعة آلاف سنة وإنما نعذب مكان كل ألف
سنة يوما قل أتخذتم عند الله عهدا خبرا أو وعدا بما تزعمون وقرأ ابن كثير وحفص بإظهار الذال
والباقون بإدغامه فلن يخلف الله عهده جواب شرط مقدر أي إن اتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف
الله عهده وفيه دليل على أن الخلف في خبره محال أم تقولون على الله ما لا تعلمون أم معادلة
لهمزة الاستفهام بمعنى أي الأمرين كائن على سبيل التقرير للعلم بوقوع أحدهما أو منقطعة بمعنى
بل أتقولون على التقرير والتقريع بلى إثبات لما نفوه من مساس النار لهم زمانا مديدا ودهرا طويلا
على وجه أعم ليكون كالبرهان على بطلان قولهم وتختص بجواب النفي من كسب سيئة قبيحة و
الفرق بينها وبين الخطيئة أنها قد تقال فيما يقصد بالذات والخطيئة تغلب فيما يقصد بالعرض لأنها من الخطأ
والكسب استجلاب النفع وتعليقه بالسيئة على طريقة قوله فبشرهم بعذاب أليم وأحاطت به خطيئته
أي استولت عليه وشملت جملة أحواله حتى صار كالمحاط بها لا يخلو عنها شيء من جوانبه وهذا إنما يصح
في شأن الكافر لأن غيره إن لم يكن له سوى تصديق قلبه وإقرار لسانه فلم تحط الخطيئة به ولذلك
فسرها السلف بالكفر وتحقيق ذلك أن من أذنب ذنبا ولم يقلع عنه استجره إلى معاودة مثله والانهماك فيه و
ارتكاب ما هو أكبر منه حتى تستولي عليه الذنوب وتأخذ بمجامع قلبه فيصير بطبعه مائلا إلى المعاصي
مستحسنا إياها معتقدا أن لا لذة سواها مبغضا لمن يمنعه منها مكذبا لمن ينصحه فيها كما قال تعالى ثم كان عاقبة
الذين أساؤوا السوأى أن كذبوا بآيات الله وقرأ نافع خطيئاته وقرئ خطيته وخطياته على القلب والإدغام فيهما
فأولئك أصحاب النار ملازموها في الآخرة كما أنهم يلازمون أسبابها في الدنيا هم فيها خالدون دائمون
أو لابثون لبثا طويلا والآية كما ترى لا حجة فيها على خلود صاحب الكبيرة وكذا التي قبلها والذين
آمنوا وعملوا الصالحات أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون جرت عادته سبحانه وتعالى على أن يشفع

وإجلاء أهلها وإذا أسر أحد من الفريقين جمعوا له حتى يفدوه وقيل معناه إن يأتوكم أسارى في أيدي الشياطين تتصدون لإنقاذهم بالإرشاد والوعظ مع تضييعكم أنفسكم كقوله أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وقرأ حمزة أسرى وهو جمع أسير كجريح وجرحى وأسارى جمعه كسكرى وسكارى وقيل هو أيضا جمع أسير وكأنه شبه بالكسلان وجمع جمعه وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وحمزة وابن عامر تفدوهم وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ متعلق بقوله وتخرجون فريقا منكم من ديارهم وبينهما اعتراض والضمير للشأن أو مبهم ويفسره إخراجهم أو راجع إلى ما دل عليه تخرجون من المصدر وإخراجهم بدل أو بيان أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ يعني الفداء وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ يعني حرمة المقاتلة والإجلاء فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كقتل قريظة وسبيهم وإجلاء بني النضير وضرب الجزية على غيرهم وأصل الخزي ذل يستحيى منه ولذلك يستعمل في كل منهما وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ لأن عصيانهم أشد وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ تأكيد للوعيد أي الله سبحانه بالمرصاد لا يغفل عن أفعالهم وقرأ عاصم في رواية المفضل تردون على الخطاب لقوله منكم وابن كثير ونافع وعاصم في رواية أبي بكر ويعقوب يعملون على أن الضمير لمن أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ آثروا الحياة الدنيا على الآخرة فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ بنقص الجزية في الدنيا والتعذيب في الآخرة وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ بدفعهما عنهم وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ أي التوراة وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ أي أرسلنا على أثره الرسل كقوله ثم أرسلنا رسلنا تترى يقال قفاه إذا اتبعه وقفاه به أتبعه إياه من القفا نحو ذنبه من الذنب وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ المعجزات الواضحات كإحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص والإخبار بالمغيبات والإنجيل وعيسى بالعبرية أيشوع ومريم بمعنى الخادم وهو بالعربية من النساء كالزير من الرجال قال رؤبة قلت لزير لم تصله مريمه ووزنه مفعل إذ لم يثبت فعيل وَأَيَّدْنَاهُ قويناه وقرئ آيدناه بِرُوحِ الْقُدُسِ بالروح المقدسة كقولك حاتم الجود ورجل صدق أراد به جبريل وقيل روح عيسى ووصفها به لطهارته عن مس الشيطان أو لكرامته على الله ولذلك أضافها إلى نفسه أو لأنه لم تضمه الأصلاب ولا أرحام الطوامث أو الإنجيل أو اسم الله الأعظم الذي كان يحيي به الموتى وقرأ ابن كثير القدس بالإسكان في جميع القرآن أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمُ بما لا تحبه يقال هوي بالكسر هوى إذا أحب وهوى بالفتح هويا بالضم إذا سقط ووسطت الهمزة بين الفاء وما تعلقت به توبيخا لهم على تعقيبهم ذلك بهذا وتعجيبا من شأنهم ويحتمل أن يكون استئنافا والفاء للعطف على مقدر اسْتَكْبَرْتُمْ عن الإيمان واتباع الرسل فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ كموسى وعيسى والفاء للسببية أو للتفصيل وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ۝ كزكريا ويحيى وإنما ذكر بلفظ المضارع على حكاية الحال الماضية استحضارا لها في النفوس فإن الأمر فظيع ومراعاة للفواصل أو للدلالة على أنكم بعد فيه فإنكم حول قتل محمد لولا

وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ يعني الآيات التسع المذكورة في قوله تعالى ولقد آتينا موسى تسع
آيات بينات ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ أي إلهاً مِنْ بَعْدِهِ من بعد مجيء موسى بالبينات او ذهابه الى الطور وَأَنْتُمْ
ظَالِمُونَ حال بمعنى اتخذتم العجل ظالمين بعبادته او بالاخلال بآيات الله او اعتراض بمعنى وانتم قوم عادتكم
الظلم ومساق الآية ايضاً لابطال قولهم نؤمن بما انزل علينا والتنبيه على ان طريقتهم مع الرسول عليه السلام
طريقة اسلافهم مع موسى عليه السلام لا لتكرير القصة وكذا ما بعدها وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا
فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا اي قلنا لهم خذوا ما امرتم به في التوراة بجد واسمعوا
سماع طاعة قَالُوا سَمِعْنَا قولك وَعَصَيْنَا امرك وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ تداخلهم حبه ورسخ في
قلوبهم صورته لفرط شغفهم به كما يتداخل الصبغ الثوب والشراب اعماق البدن وفي قلوبهم بيان
لمكان الاشراب كقوله تعالى انما يأكلون في بطونهم نارا بِكُفْرِهِمْ بسبب كفرهم وذلك لانهم كانوا مجسمة
او حلولية ولم يروا جسما اعجب منه فتمكن في قلوبهم ما سول لهم السامري قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ اي
بالتوراة والمخصوص بالذم محذوف نحو هذا الامر او ما يعمه وغيره من قبائحهم المعدودة في الآيات الثلث
الزاما عليهم إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ تقرير للقدح في دعواهم الايمان بالتوراة وتقديره ان كنتم مؤمنين
بها لم يأمركم بهذه القبائح ولا رخص لكم فيها ايمانكم بها او ان كنتم مؤمنين بها فبئسما يأمركم
به ايمانكم بها لان المؤمن ينبغي ان لا يتعاطى الا ما يقتضيه ايمانه لكن الايمان بها لا يأمر به فاذاً لستم
بمؤمنين قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً خاصة بكم كما قلتم لن يدخل الجنة
الا من كان هودا ونصبها على الحال من الدار الآخرة مِنْ دُونِ النَّاسِ سائرهم او المسلمين واللام
للعهد فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ لان من ايقن انه من اهل الجنة اشتاقها واحب التخلص
اليها من الدار ذات الشوائب كما قال امير المؤمنين علي كرم الله وجهه لا ابالي سقطت على الموت
او سقط الموت علي وقال عمار بصفين الآن الاقي الاحبة محمدا صلى الله عليه وسلم وحزبه وقال
حذيفة حين احتضر جاء حبيب على فاقة لا افلح من ندم اي على التمني سيما اذا علم انها سالمة
له لا يشاركه فيها غيره وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَداً بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ من موجبات النار كالكفر بمحمد
صلى الله عليه وسلم والقرآن وتحريف التوراة ولما كانت اليد العاملة مختصة بالانسان
آلة لقدرته بها عامة صنائعه ومنها اكثر منافعه عبر بها عن النفس تارة والقدرة اخرى
وهذه الجملة اخبار بالغيب وكان كما اخبر لانهم لو تمنوا الموت لنقل واشتهر فان
التمني ليس من عمل القلب ليخفى بل هو ان يقول ليت لي كذا وان كان بالقلب لقالوا
تمنينا وعن النبي صلى الله عليه وسلم لو تمنوا الموت لغص كل انسان بريقه فمات مكانه
وما بقي يهودي على وجه الارض وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ تهديد لهم وتنبيه على انهم ظالمون

الشرط فانه نزله والمعنى من عادى منهم جبريل فقد خلع ربقة الانصاف او كفر بما معه من الكتاب
بمعاداته اياه لنزوله عليك بالوحي لانه نزل كتابا مصدقا للكتب المتقدمة فحذف الجواب
واقيم علته مقامه او من عاداه فالسبب في عداوته انه نزل عليك وقيل محذوف مثل فليمت
غيظا او فهو عدو لي وانا عدوه كما قال مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلّٰهِ وَمَلٰٓئِكَتِهٖ وَرُسُلِهٖ وَجِبْرِيْلَ وَمِيْكٰلَ فَاِنَّ
اللّٰهَ عَدُوٌّ لِّلْكٰفِرِيْنَ اراد بعداوة الله مخالفته عنادا او معاداة المقربين من عباده وصدر الكلام
بذكره تفخيما لشأنهم كقوله والله ورسوله احق ان يرضوه وافرد الملكان بالذكر لفضلهما كأنهما من
جنس آخر والتنبيه على ان معاداة الواحد والكل سواء في الكفر واستجلاب العداوة من الله تعالى
وان من عادى احدهم فكأنه عادى الجميع اذ الموجب لمحبتهم وعداوتهم على الحقيقة واحد ولان المحاجة
كانت فيهما ووضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على انه تعالى عاداهم لكفرهم وان عداوة الملائكة
والرسل كفر وقرأ نافع ميكائل كميكاعل وابو عمرو ويعقوب وعاصم رواية حفص ميكال كميعاد وقرئ
ميكئل ميكئيل وَلَقَدْ اَنْزَلْنَآ اِلَيْكَ اٰيٰتٍۭ بَيِّنٰتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ اِلَّا الْفٰسِقُوْنَ اي المتمردون من
الكفرة والفسق اذا استعمل في نوع من المعاصي دل على اعظمه كأنه تجاوز عن حده نزل في ابن صوريا حين
قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما جئتنا بشيء نعرفه وما انزل عليك من آية فنتبعك اَوَكُلَّمَا عٰهَدُوْا
عَهْدًا الهمزة للانكار والواو للعطف على محذوف تقديره اكفروا بالآيات وكلما عاهدوا وقرئ بسكون
الواو على ان التقدير الا الذين فسقوا وكلما عاهدوا وقرئ عوهدوا وعهدوا نَّبَذَهٗ فَرِيْقٌ مِّنْهُمْ نقضه
واصل النبذ الطرح لكنه يغلب فيما ينسى وانما قال فريق لان بعضهم لم ينقض بَلْ اَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُوْنَ
رد لما يتوهم ان الفريق هم الاقلون او ان من لم ينبذ جهارا فهم يؤمنون به خفاء وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُوْلٌ مِّنْ
عِنْدِ اللّٰهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ كعيسى ومحمد عليهما السلام نَبَذَ فَرِيْقٌ مِّنَ الَّذِيْنَ اُوْتُوا الْكِتٰبَ كِتٰبَ اللّٰهِ يعني
التوراة لان كفرهم بالرسول المصدق لها كفر بها فيما تصدقه ونبذ لما فيها من وجوب الايمان بالرسل المؤيدين
بالآيات وقيل ما مع الرسول القرآن وَرَآءَ ظُهُوْرِهِمْ مثل لاعراضهم عنه رأسا بالاعراض عما
يرمى به وراء الظهر لعدم الالتفات اليه كَاَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُوْنَ انه كتاب الله يعني ان علمهم به رصين و
لكن يتجاهلون عنادا واعلم انه تعالى دل بالآيتين على ان جل اليهود اربع فرق فرقة آمنوا بالتوراة وقاموا بحقوقها
كمؤمني اهل الكتاب وهم الاقلون المدلول عليهم بقوله بل اكثرهم لا يؤمنون وفرقة جاهروا بنبذ عهودها و
تخطي حدودها تمردا وفسوقا وهم المعنيون بقوله نبذه فريق منهم وفرقة لم يجاهروا بنبذها ولكن نبذوا
لجهلهم بها وهم الاكثرون وفرقة تمسكوا بها ظاهرا ونبذوها خفية عالمين بالحال بغيا وعنادا وهم المتجاهلون
وَاتَّبَعُوْا مَا تَتْلُوا الشَّيٰطِيْنُ عطف على نبذ اي نبذوا كتاب الله واتبعوا كتب السحر التي تقرؤها او تتبعها
الشياطين من الجن او الانس او منهما عَلٰى مُلْكِ سُلَيْمٰنَ اي عهده وتتلو حكاية حال ماضية قيل

مل المسبب على ما مر لو كانوا يعلمون يتفكرون فيه او يعلمون قبحه على التعيين او حقيقة ما يتبعه
من العذاب والمثبت لهم اولا على التاكيد القسمي العقل الغريزي او العلم الاجمالي بقبح الفعل او ترتب العقاب
من غير تحقيق وقيل معناه لو كانوا يعملون بعلمهم فان من لم يعمل بما علم فهو كمن لم يعلم ولو انهم آمنوا بالرسول
والكتاب واتقوا بترك المعاصي كنبذ كتاب الله واتباع السحر لمثوبة من عند الله خير جواب لو واصله
لاثيبوا مثوبة من الله خيرا مما شروا به انفسهم فحذف الفعل وركب الباقي جملة اسمية ليدل على ثبات
المثوبة والجزم بخيريتها وحذف المفضل عليه اجلالا للمفضل من ان ينسب اليه وتنكير المثوبة لان المعنى لشيء من
الثواب خير وقيل لو للتمني ولمثوبة كلام مبتدأ وقرئ لمثوبة كمشورة وانما سمي الجزاء ثوابا ومثوبة لان المحسن يثوب
اليه لو كانوا يعلمون ان ثواب الله خير وجهلهم لترك التدبر او العمل بالعلم يا ايها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا
وقولوا انظرنا الرعي حفظ الغير لمصلحته وكان المسلمون يقولون للرسول راعنا اي راقبنا وتأن بنا
فيما نلقنه حتى نفهمه وسمع اليهود فافترصوه وخاطبوه به مريدين نسبته الى الرعن او سبه بالكلمة العبرانية
التي كانوا يتسابون بها وهي راعينا فنهي المؤمنون عنها وامروا بما يفيد تلك الفائدة ولا يقبل
التلبيس وانظرنا بمعنى انظر الينا وانتظرنا من نظره اذا انتظره وقرئ انظرنا من الانظار اي امهلنا
لنحفظ وقرئ راعونا على لفظ الجمع للتوقير وراعنا بالتنوين اي قولا ذا رعن نسبة الى الرعن وهو الهوج
لما شابه قولهم راعينا وتسبب للسب واسمعوا واحسنوا الاستماع حتى لا تفتقروا الى طلب المراعاة
او واسمعوا سماع قبول لا كسماع اليهود او واسمعوا ما امرتم به بجد حتى لا تعودوا الى ما نهيتم عنه وللكافرين
عذاب اليم يعني الذين تهاونوا بالرسول وسبوه ما يود الذين كفروا من اهل الكتاب ولا المشركين
نزلت تكذيبا لجمع من اليهود يظهرون مودة المؤمنين ويزعمون انهم يودون لهم الخير والود محبة الشيء
مع تمنيه ولذلك يستعمل في كل منهما ومن للتبيين كما في قوله لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب و
المشركين ان ينزل عليكم من خير من ربكم مفعول يود ومن الاولى مزيدة للاستغراق والثانية للابتداء و
فسر الخير بالوحي والمعنى انهم يحسدونكم به وما يحبون ان ينزل عليكم شيء منه وبالعلم وبالنصرة ولعل المراد به
جميع ذلك والله يختص برحمته من يشاء يستنبئه ويعلمه الحكمة وينصره لا يجب عليه شيء وليس لاحد عليه حق
والله ذو الفضل العظيم اشعار بان النبوة من الفضل وان حرمان بعض عباده ليس لضيق فضله بل لمشيئته وما عرف
فيه من حكمته ما ننسخ من آية او ننسها نزلت لما قال المشركون او اليهود الا ترون الى محمد صلى الله عليه وسلم
يامر اصحابه بامر ثم ينهاهم عنه ويامر بخلافه والنسخ في اللغة ازالة الصورة عن الشيء واثباتها في غيره كنسخ الظل
الشمس والنقل ومنه التناسخ ثم استعمل لكل واحد منهما كقولك نسخت الريح الاثر ونسخت الكتاب ونسخ الاية بيان
انتهاء التعبد بقراءتها او الحكم المستفاد منها او بهما جميعا وانساؤها اذهابها عن القلوب وما شرطية جازمة لننسخ
منتصبة به على المفعولية وقرأ ابن عامر ما ننسخ من انسخ اي نامرك او جبريل بنسخها او نجدها منسوخة وابن كثير

عطف على فاعفوا كأنه امرهم بالصبر والمخالقة والالتجاء الى الله بالعبادة والبر وما تقدموا لأنفسكم

من خير كصلوة او صدقة وقرئ تقدموا من اقدم تجدوه عند الله اى ثوابه ان الله بما تعملون

بصير لا يضيع عنده عمل وقرئ بالياء فيكون وعيدا وقالوا عطف على ود والضمير لاهل

الكتاب من اليهود والنصارى لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى لف بين قولى الفريقين

كما فى قوله وقالوا كونوا هودا او نصارى ثقة بفهم السامع وهود جمع هائد كعائذ وعوذ وتوحيد

الاسم المضمر وجمع الخبر لاعتبار اللفظ والمعنى تلك امانيهم اشارة الى الامانى المذكورة وهى ان لا ينزل

على المؤمنين خير من ربهم وان يردوهم كفارا وان لا يدخل الجنة غيرهم او الى ما فى الآية على حذف

المضاف اى امثال تلك الامنية امانيهم والجملة اعتراض والامنية افعولة من التمنى كالاضحوكة والاعجوبة

قل هاتوا برهانكم على اختصاصكم بدخول الجنة ان كنتم صادقين فى دعواكم فان كل قول

لا دليل عليه غير ثابت بلى اثبات لما نفوه من دخول غيرهم الجنة من اسلم وجهه لله اخلص له نفسه

او قصده واصله العضو وهو محسن فى عمله فله اجره الذى وعد له على عمله عند ربه ثابتا عنده لا يضيع ولا ينقص

والجملة جواب من ان كانت شرطية وخبرها ان كانت موصولة والفاء فيها لتضمنها معنى الشرط فيكون الرد بقوله بلى

ويحسن الوقف عليه ويجوز ان يكون من اسلم فاعل فعل مقدر مثل بلى يدخلها من اسلم ولا خوف عليهم

ولا هم يحزنون فى الآخرة وقالت اليهود ليست النصارى على شىء وقالت النصارى ليست اليهود

على شىء اى امر يعتد به نزلت لما قدم وفد نجران على رسول الله صلى الله عليه وسلم و

اتاهم احبار اليهود فتناظروا وتقاولوا بذلك وهم يتلون الكتاب والواو للحال والكتاب للجنس اى قالوا

ذلك وهم من اهل العلم والكتاب كذلك اى مثل ذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم كعبدة الاصنام

والمعطلة وبخهم على المكابرة والتشبه بالجهال فان قيل لم وبخهم وقد صدقوا فان كلا الدينين بعد النسخ

ليس بشىء قلنا لم يقصدوا ذلك وانما قصد به كل فريق ابطال دين الآخر من اصله والكفر بنبيه و

كتابه مع ان ما لم ينسخ منهما حق واجب القبول والعمل به فالله يحكم بينهم بين الفريقين يوم

القيامة فيما كانوا فيه يختلفون بما يقسم لكل فريق ما يليق به من العقاب وقيل حكمه بينهم ان

يكذبهم ويدخلهم النار ومن اظلم ممن منع مساجد الله عام لكل من خرب مسجدا او سعى فى تعطيل

مكان مرشح للصلوة وان نزل فى الروم لما غزوا بيت المقدس وخربوه وقتلوا اهله او المشركين لما منعوا رسول الله

صلى الله عليه وسلم ان يدخل المسجد الحرام عام الحديبية ان يذكر فيها اسمه ثانى مفعولى منع وسعى فى خرابها

بالهدم والتعطيل اولئك اى المانعون ما كان لهم ان يدخلوها الا خائفين ما كان ينبغى لهم ان

يدخلوها الا بخشية وخضوع فضلا عن ان يجترئوا على تخريبها او ما كان الحق ان يدخلوها الا خائفين

من المؤمنين ان يبطشوا بهم فضلا ان يمنعوهم منها او ما كان لهم فى علم الله تعالى وقضائه فيكون

توجيه فإنما يقول له كن فيكون من كان التامة أي أحدث فيحدث وليس المراد به حقيقة أمر وامتثال بل تمثيل
حصول ما تعلقت به إرادته بلا مهلة بطاعة المأمور المطيع بلا توقف وفيه تقرير لمعنى الإبداع وإيماء إلى حجة
خامسة وهو أن اتخاذ الولد مما يكون بأطوار ومهلة وفعله تعالى يستغني عن ذلك وقرأ ابن عامر فيكون بالنصب
واعلم أن السبب في هذه الضلالة أن أرباب الشرائع المتقدمة كانوا يطلقون الأب على الله تعالى باعتبار أنه السبب الأول
حتى قالوا إن الأب هو الرب الأصغر والله سبحانه وتعالى هو الرب الأكبر ثم ظنت الجهلة منهم أن المراد به معنى الولادة
فاعتقدوا ذلك تقليدا ولذلك كفر قائله ومنع منه مطلقا حسما لمادة الفساد وقال الذين لا يعلمون أي
جهلة المشركين أو المتجاهلون من أهل الكتاب لولا يكلمنا الله هلا يكلمنا الله كما يكلم الملائكة أو يوحي إلينا بأنك
رسوله أو تأتينا آية حجة على صدقك والأول استكبار والثاني جحود لأن ما أتاهم آيات الله استهانة به وعناد
كذلك قال الذين من قبلهم من الأمم الماضية مثل قولهم فقالوا أرنا الله جهرة هل يستطيع ربك أن ينزل
علينا مائدة من السماء تشابهت قلوبهم قلوب هؤلاء ومن قبلهم في العمى والعناد وقرئ بتشديد الشين
قد بينا الآيات لقوم يوقنون أي يطلبون اليقين أو يوقنون الحقائق لا يعتريهم شبهة ولا عناد وفيه إشارة
إلى أنهم ما قالوا ذلك لخفاء في الآيات أو لطلب مزيد يقين وإنما قالوه عتوا وعنادا إنا أرسلناك بالحق ملتبسا مؤيدا
به بشيرا ونذيرا فلا عليك إن أصروا وكابروا ولا تسأل عن أصحاب الجحيم ما لهم لم يؤمنوا بعد أن بلغت وقرأ
نافع ويعقوب ولا تسأل على أنه نهي للرسول عليه الصلوة والسلام عن السؤال عن حال أبويه أو تعظيم لعقوبة
الكفار كأنها لفظاعتها لا يقدر أن يخبر عنها أو السامع لا يصبر على استماع خبرها فنهاه عن السؤال والجحيم المتأجج من
النار ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم مبالغة في إقناط الرسول عن إسلامهم فإنهم إذا
لم يرضوا منك حتى تتبع ملتهم فكيف يتبعون ملتك ولعلهم قالوا مثل ذلك فحكى الله عنهم ولذلك قال قل تعليما
للجواب إن هدى الله هو الهدى أي هدى الله الذي هو الإسلام هو الهدى إلى الحق لا ما تدعون
إليه ولئن اتبعت أهواءهم آراءهم الزائغة والملة ما شرعه الله لعباده على لسان أنبيائه من أمللت
الكتاب إذا أمليته والهوى رأي يتبع الشهوة بعد الذي جاءك من العلم أي من الوحي أو الدين المعلوم
صحته ما لك من الله من ولي ولا نصير يدفع عنك عقابه وهو جواب لئن الذين آتيناهم الكتاب
يريد به مؤمني أهل الكتاب يتلونه حق تلاوته بمراعاة اللفظ عن التحريف والتدبر في معناه والعمل
بمقتضاه وهو حال مقدرة والخبر ما بعده أو خبر على أن المراد بالموصول مؤمنو أهل الكتاب أولئك
يؤمنون به بكتابهم دون المحرفين ومن يكفر به بالتحريف والكفر بما يصدقه فأولئك هم
الخاسرون حيث اشتروا الكفر بالإيمان يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأني فضلتكم
على العالمين واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة
ولا هم ينصرون لما صدر قصتهم بالأمر بذكر النعم والقيام بحقوقها والحذر عن إضاعتها والخوف

رفع بناء البيت وهو موضعه اليوم روي انه عليه الصلوة والسلام اخذ بيد عمر فقال هذا مقام
ابراهيم فقال عمر افلا نتخذه مصلى فقال لم اومر بذلك فلم تغب الشمس حتى نزلت وقيل المراد به
الامر بركعتي الطواف لما روى جابر انه عليه الصلوة والسلام لما فرغ من طوافه عمد الى مقام ابراهيم
فصلى خلفه ركعتين وقرأ واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى وللشافعي في وجوبهما قولان وقيل
مقام ابراهيم الحرم كله وقيل مواقف الحج واتخاذها مصلى ان يدعى فيها ويتقرب الى الله تعالى وقرأ
نافع وابن عامر واتخذوا بلفظ الماضي عطفا على جعلنا اي واتخذ الناس مقامه الموسوم به يعني الكعبة
قبلة يصلون اليها وعهدنا الى ابراهيم واسمعيل امرناهما ان طهرا بيتي بان طهراه ويجوز ان تكون
مفسرة لتضمن العهد معنى القول يريد طهراه من الاوثان والانجاس وما لا يليق به او اخلصاه للطائفين
حوله والعاكفين المقيمين عنده او المعتكفين فيه والركع السجود اي المصلين جمع راكع وساجد واذ قال
ابراهيم رب اجعل هذا يريد البلد او المكان بلدا امنا ذا امن كقوله عيشة راضية او امنا اهله كقولك
ليل نائم وارزق اهله من الثمرات من امن منهم بالله واليوم الاخر ابدل من امن من اهله بدل البعض للتخصيص
قال ومن كفر عطف على من امن والمعنى وارزق من كفر قاس ابراهيم الرزق على الامامة فنبه سبحانه على
ان الرزق رحمة دنيوية تعم المؤمن والكافر بخلاف الامامة والتقدم في الدين او مبتدأ تضمن معنى الشرط
فامتعه قليلا خبره والكفر وان لم يكن سبب التمتيع لكنه سبب تقليله بان يجعله مقصورا بحظوظ الدنيا غير
متوسل به الى نيل الثواب ولذلك عطف عليه ثم اضطره الى عذاب النار اي الجئه اليه لكفره وتضييعه
ما متعته به من النعم وقليلا نصب على المصدر او الظرف وقرئ بلفظ الامر فيهما على انه من دعاء ابراهيم
وفي قال ضميره وقرأ ابن عامر فامتعه من امتع وقرئ فنمتعه ثم نضطره واضطره بكسر الهمزة على لغة من يكسر
حروف المضارعة واطره بادغام الضاد وهو ضعيف لان حروف ضم شفر يدغم فيها ما يجاورها دون العكس
وبئس المصير المخصوص بالذم محذوف وهو العذاب واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت حكاية
حال ماضية والقواعد جمع قاعدة وهي الاساس صفة غالبة من القعود بمعنى الثبات ولعله مجاز من المقابل
للقيام ومنه قعدك الله ورفعها البناء عليها فانه ينقلها عن هيئة الانخفاض الى هيئة الارتفاع ويحتمل ان
يراد بها سافات البناء فان كل ساف قاعدة ما يوضع فوقه ويرفعها بناؤها وقيل المراد رفع مكانته واظهار
شرفه بتعظيمه ودعاء الناس الى حجه وفي ابهام القواعد وتبيينها تفخيم لشانها واسمعيل كان يناوله الحجارة ولكنه
لما كان له مدخل في البناء عطف عليه وقيل كانا يبنيان في طرفين او على التناوب ربنا تقبل منا اي يقولان ربنا وقد قرئ به والجملة حال
منهما انك انت السميع لدعائنا العليم بنياتنا ربنا واجعلنا مسلمين لك مخلصين لك من اسلم وجهه او مستسلمين من اسلم
اذا استسلم وانقاد والمراد طلب الزيادة في الاخلاص والاذعان او الثبات عليه وقرئ مسلمين على ان المراد انفسهما وهاجر او ان التثنية من مراتب الجمع
ومن ذريتنا امة مسلمة لك اي واجعل بعض ذريتنا وانما خص الذرية بالدعاء لانهم احق بالشفقة ولانهم

ومتعلق وصى عند الكوفيين لانه نوع منه ونظيره رجلان من ضبة اخبرانا * انا رأينا رجلا عريانا بالكسر وبنو
ابراهيم كانوا اربعة اسمعيل واسحاق ومدين ومدان وقيل ثمانية وقيل اربعة عشر وبنو يعقوب اثنا عشر روبيل
وشمعون ولاوي ويهوذا ويشسوخور وزبولون ودوني ونفتولي وكوذا واوشير وبنيامين ويوسف ان الله اصطفى
لكم الدين دين الاسلام الذي هو صفوة الاديان لقوله فلا تموتن الا وانتم مسلمون ظاهره النهي عن
الموت على خلاف حال الاسلام والمقصود هو النهي عن ان يكونوا على غير تلك الحال اذا ماتوا والامر بالثبات على الاسلام
كقولك لا تصل الا وانت خاشع وتغيير العبارة للدلالة على ان موتهم لا على الاسلام موت لا خير فيه وان من حقه ان لا يحل بهم
ونظيره في الامر مت وانت شهيد روي ان اليهود قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم الست تعلم ان يعقوب
اوصى بنيه باليهودية يوم مات فنزلت ام كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت ام منقطعة ومعنى الهمزة
فيها الانكار اي ما كنتم حاضرين اذ حضر يعقوب الموت وقال لبنيه ما قال فلم تدعون اليهودية عليه او متصلة
بمحذوف تقديره اكنتم غائبين ام كنتم شهداء وقيل الخطاب للمؤمنين والمعنى ما شاهدتم ذلك وانما علمتموه من الوحي
وقرئ حضر بالكسر اذ قال لبنيه بدل من اذ حضر ما تعبدون من بعدي اي شيء تعبدونه اراد به تقريرهم
على التوحيد والاسلام واخذ ميثاقهم على الثبات عليهما وما يسأل به عن كل شيء ما لم يعرف فاذا عرف
خص العقلاء بمن اذا سئل عن تعيينه وان سئل عن وصفه قيل ما زيد افقيه ام طبيب قالوا نعبد الهك
واله آبائك ابراهيم واسمعيل واسحق المتفق على وجوده والوهيته ووجوب عبادته وعد اسمعيل
من آبائه تغليبا للاب والجد او لانه كالاب لقوله عليه الصلوة والسلام عم الرجل صنو ابيه كما قال في العباس رضي الله عنه
هذا بقية آبائي وقرئ اله ابيك على انه جمع بالواو والنون كما قال * ولما تبين اصواتنا * بكين وفديننا بالابينا * او
مفرد وابراهيم وحده عطف بيان الها واحدا بدل من اله آبائك كقوله تعالى بالناصية ناصية كاذبة
وفائدته التصريح بالتوحيد ونفي التوهم الناشئ من تكرير المضاف لتعذر العطف على المجرور والتاكيد او نصب على
الاختصاص ونحن له مسلمون حال من فاعل نعبد او مفعوله او منهما ويحتمل ان يكون اعتراضا تلك
امة قد خلت يعني ابراهيم ويعقوب وبنيهما والامة في الاصل المقصود وسمي بها الجماعة لان الفرق تؤمها
لها ما كسبت ولكم ما كسبتم لكل اجر عمله والمعنى ان انتسابكم اليهم لا يوجب انتفاعكم باعمالهم وانما تنتفعون
بموافقتهم واتباعهم كما قال عليه الصلوة والسلام يا بني هاشم لا يأتيني الناس باعمالهم وتأتوني بانسابكم ولا
تسألون عما كانوا يعملون ولا تؤاخذون بسيئاتهم كما لا تثابون بحسناتهم وقالوا كونوا هودا او نصارى
الضمير الغائب لاهل الكتاب واو للتنويع والمعنى مقالتهم احد هذين القولين قالت اليهود كونوا هودا وقالت النصارى
كونوا نصارى تهتدوا جواب الامر قل بل ملة ابراهيم بل نكون ملة ابراهيم اي اهل ملته او بل نتبع ملة ابراهيم
وقرئ بالرفع اي ملته ملتنا او عكسه او نحن ملته بمعنى نحن اهل ملته حنيفا مائلا عن الباطل الى الحق حال من
المضاف او المضاف اليه كقوله تعالى ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا وما كان من المشركين تعريض

وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ فلا يبعد ان يكرمنا باعمالنا كأنه الزمهم على كل مذهب ينتحونه افحاما وتبكيتا فان كرامة النبوة اما تفضل من الله على من يشاء والكل فيه سواء واما افاضة حق على المستعدين لها بالمواظبة على الطاعة والتحلي بالاخلاص فكما ان لكم اعمالا ربما يعتبرها الله في اعطائها فلنا ايضا اعمال وَنَحْنُ لَهُ

مُخْلِصُونَ موحدون نخلصه بالايمان والطاعة دونكم أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى ام منقطعة والهمزة للانكار وعلى قراءة ابن عامر وحمزة والكسائي وحفص بالتاء يحتمل ان يكون معادلة للهمزة في اتحاجوننا بمعنى اي الامرين تأتون المحاجة او ادعاء اليهودية او النصرانية على الانبياء قُلْ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ وقد نفى الامرين عن ابراهيم بقوله ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا واحتج عليه بقوله وما انزلت التورية والانجيل الا من بعده وهؤلاء المعطوفون عليه اتباعه في الدين وفاقا وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ يعني شهادة الله لابراهيم بالحنيفية والبراءة عن اليهودية والنصرانية والمعنى لا احد اظلم من اهل الكتاب لانهم كتموا هذه الشهادة او منا لو كتمنا هذه الشهادة وفيه تعريض بكتمانهم شهادة الله لمحمد صلعم بالنبوة في كتبهم وغيرها ومن للابتداء كما في قوله براءة من الله وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ وعيد لهم وقرئ بالياء تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ تكرير للمبالغة في التحذير والزجر عما استحكم في الطباع من الافتخار بالآباء والاتكال عليهم وقيل الخطاب فيما سبق لهم وفي الآية لنا تحذيرا عن الاقتداء بهم وقيل المراد بالامة في الاول الانبياء وفي الثاني اسلاف اليهود والنصارى سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ الَّذِينَ خف احلامهم واستمهنوها بالتقليد والاعراض عن النظر يريد المنكرين لتغيير القبلة من المنافقين واليهود والمشركين وفائدة تقديم الاخبار به توطين النفس واعداد الجواب مَا وَلَّاهُمْ ما صرفهم عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا

يعني بيت المقدس والقبلة في الاصل الحال التي عليها الانسان من الاستقبال فصارت عرفا للمكان المتوجه نحوه للصلوة قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ لا يختص به مكان دون مكان لخاصية ذاتية تمنع اقامة غيره مقامه وانما العبرة بارتسام امره لا بخصوص المكان يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ وهو ما ترتضيه الحكمة وتقتضيه المصلحة من التوجه الى بيت المقدس تارة والكعبة اخرى وَكَذَلِكَ اشارة الى مفهوم الآية المتقدمة اي كما جعلناكم مهديين الى الصراط المستقيم او جعلنا قبلتكم افضل القبل جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا اي خيارا او عدولا مزكين بالعلم والعمل وهو في الاصل اسم للمكان الذي يستوي اليه المساحة من الجوانب ثم استعير للخصال المحمودة لوقوعها بين طرفي افراط وتفريط كالجود بين الاسراف والبخل والشجاعة بين التهور والجبن ثم اطلق على المتصف بها مستويا فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث كسائر الاسماء التي يوصف بها واستدل به على ان الاجماع حجة اذ لو كان فيما اتفقوا عليه باطل لانثلمت به عدالتهم لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا علة للجعل اي لتعلموا بالتأمل فيما نصب لكم من الحجج وانزل عليكم من الكتاب انه تعالى ما بخل على احد وما ظلم بل اوضح السبل وارسل

الرسل فبلغوا ونصحوا ولكن الذين كفروا حملهم الشقاء على اتباع الشهوات والاعراض عن الآيات فتشهدون بذلك

تليه ولنمكننك من استقبالها من قولك وليته كذا اذا صيرته واليا له او فلنجعلنك تلي جهتها ترضاها تحبها و
تتشوق اليها لمقاصد دينية وافقت مشية الله وحكمته فول وجهك اصرف وجهك شطر المسجد الحرام
نحوه وقيل الشطر في الاصل لما انفصل عن الشيء من شطر اذا انفصل ودار شطور منفصلة عن الدور ثم استعمل
لجانبه وان لم ينفصل كالقطر والحرام المحرم اي محرم فيه القتال او ممنوع عن الظلمة ان يتعرضوه وانما ذكر المسجد دون
الكعبة لانه عليه السلام كان في المدينة والبعيد يكفيه مراعاة الجهة فان استقبال عينها حرج عليه بخلاف القريب
روي انه عليه السلام قدم المدينة فصلى نحو بيت المقدس ستة عشر شهرا ثم وجه الى الكعبة في رجب بعد الزوال
قبل قتال بدر بشهرين وقد صلى باصحابه في مسجد بني سلمة ركعتين من الظهر فتحول في الصلوة واستقبل الميزاب و
تبادل الرجال والنساء صفوفهم فسمي المسجد مسجد القبلتين وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره خص الرسول
بالخطاب تعظيما له وايجابا لرغبته ثم عمم تصريحا بعموم الحكم وتاكيدا لامر القبلة وتحضيضا للامة على المتابعة و
ان الذين اوتوا الكتاب ليعلمون انه الحق من ربهم جملة لعلمهم بان عادته تعالى تخصيص كل شريعة
بقبلة وتفصيلا لتضمن كتبهم انه يصلي الى القبلتين والضمير للتحويل او التوجه وما الله بغافل عما
يعملون وعد ووعيد للفريقين وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي بالتاء ولئن اتيت الذين اوتوا الكتاب
بكل اية برهان وحجة على ان الكعبة قبلة واللام موطئة للقسم المضمر ما تبعوا قبلتك جواب القسم المضمر
والقسم وجوابه ساد مسد جواب الشرط والمعنى ما تركوا قبلتك لشبهة تزيلها بحجة وانما خالفوك مكابرة وعنادا وما
انت بتابع قبلتهم قطع لاطماعهم فانهم قالوا لو ثبت على قبلتنا لكنا نرجو ان يكون صاحبنا الذي ننتظره تغريرا
له وطمعا في رجوعه وقبلتهم وان تعددت لكنها متحدة بالبطلان ومخالفة الحق وما بعضهم بتابع قبلة بعض فان
اليهود تستقبل الصخرة والنصارى مطلع الشمس لا يرجى توافقهم كما لا يرجى موافقتهم لك لتصلب كل حزب فيما
هو فيه ولئن اتبعت اهواءهم من بعد ما جاءك من العلم على سبيل الفرض والتقدير اي ولئن اتبعتهم مثلا
بعدما بان لك الحق وجاءك فيه الوحي انك اذا لمن الظالمين واكد تهديده وبالغ فيه من سبعة اوجه تعظيما للحق
المعلوم وتحريضا على اقتفائه وتحذيرا عن متابعة الهوى واستفظاعا لصدور الذنب عن الانبياء الذين اتيناهم الكتاب يعني
علماءهم يعرفونه الضمير لرسول الله صلى الله عليه وسلم وان لم يسبق ذكره لدلالة الكلام عليه وقيل للعلم او القران او التحويل
كما يعرفون ابناءهم يشهد للاول اي يعرفونه باوصافه كمعرفتهم ابناءهم لا يلتبسون عليهم بغيرهم عن عمر انه سال عبد الله
ابن سلام عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انا اعلم به مني بابني قال ولم قال لاني لست اشك في محمد انه نبي
فاما ولدي فلعل والدته خانت وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون تخصيص لمن عاند واستثناء لمن امن
الحق من ربك كلام مستانف والحق اما مبتدأ خبره من ربك واللام للعهد والاشارة الى ما عليه الرسول او الحق
الذي يكتمونه او للجنس والمعنى ان الحق ما ثبت انه من الله كالذي انت عليه لا ما لم يثبت كالذي عليه اهل الكتاب
واما خبر مبتدأ محذوف اي هو الحق ومن ربك حال او خبر بعد خبر وقرئ بالنصب على انه

تمام النعمة دخول الجنة وعن علي رضي الله عنه تمام النعمة الموت على الاسلام كما ارسلنا فيكم رسولا منكم
متصل بما قبله اي ولاتم نعمتي عليكم في امر القبلة او في الآخرة كما اتممتها بارسال رسول منكم او بما بعده
اي كما ذكرتكم بالارسال فاذكروني يتلوا عليكم آياتنا ويزكيكم يحملكم على ما تصيرون به ازكياء قدمه
باعتبار القصد واخره في دعوة ابراهيم باعتبار الفعل ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا
تعلمون بالفكر والنظر اذ لا طريق الى معرفته سوى الوحي وكرر الفعل ليدل على انه جنس آخر
فاذكروني بالطاعة اذكركم بالثواب واشكروا لي ما انعمت به عليكم ولا تكفرون بجحد
النعم وعصيان الامر يا ايها الذين آمنوا استعينوا بالصبر عن المعاصي وحظوظ النفس والصلوة التي
هي ام العبادات ومعراج المؤمنين ومناجاة رب العالمين ان الله مع الصابرين بالنصرة و
اجابة الدعوة ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله اموات اي هم اموات بل احياء اي بل هم احياء
ولكن لا تشعرون ما حالهم وهو تنبيه على ان حيوتهم ليست بالجسد ولا من جنس ما يحس به من
الحيوانات وانما هي امر لا يدرك بالعقل بل بالوحي وعن الحسن ان الشهداء احياء عند الله تعرض
ارزاقهم على ارواحهم فيصل اليهم الروح والفرح كما تعرض النار على ارواح آل فرعون غدوا وعشيا
فيصل اليهم الوجع والآية نزلت في شهداء بدر وكانوا اربعة عشر وفيها دلالة على ان الارواح جواهر قائمة
بانفسها مغايرة لما يحس به من البدن تبقى بعد الموت دراكة وعليه جمهور الصحابة والتابعين وبه نطقت الآيات
والسنن وعلى هذا فتخصيص الشهداء لاختصاصهم بالقرب من الله تعالى ومزيد البهجة والكرامة ولنبلونكم
ولنصيبنكم اصابة من يختبر لاحوالكم هل تصبرون على البلاء وتستسلمون للقضاء بشيء من الخوف والجوع
اي بقليل من ذلك وانما قلله بالاضافة الى ما وقاهم عنه ليخفف عليهم ويريهم ان رحمته لا تفارقهم او
بالنسبة الى ما يصيب به معانديهم في الآخرة وانما اخبرهم به قبل وقوعه ليوطنوا عليه نفوسهم ونقص من
الاموال والانفس والثمرات عطف على شيء او الخوف وعن الشافعي رح الخوف خوف الله والجوع
صوم رمضان والنقص من الاموال الزكوة والصدقات ومن الانفس الامراض ومن الثمرات موت الاولاد و
عن النبي صلى الله عليه وسلم اذا مات ولد العبد قال الله تعالى للملائكة اقبضتم ولد عبدي فيقولون
نعم فيقول اقبضتم ثمرة قلبه فيقولون نعم فيقول الله تعالى ماذا قال عبدي فيقولون حمدك
واسترجع فيقول الله ابنوا لعبدي بيتا في الجنة وسموه بيت الحمد وبشر الصابرين الذين اذا اصابتهم مصيبة
قالوا انا لله وانا اليه راجعون الخطاب للرسول صلعم ولمن يتأتى منه البشارة والمصيبة تعم ما يصيب الانسان
من مكروه لقوله عليه السلام كل شيء يؤذي المؤمن فهو له مصيبة وليس الصبر بالاسترجاع باللسان
بل وبالقلب بان يتصور ما خلق لاجله وانه راجع الى ربه ويتذكر نعم الله عليه ليرى ان ما بقي عليه اضعاف ما استرده منه
فيهون على نفسه ويستسلم له والمبشر به محذوف دل عليه اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة الصلوة في الاصل

لا يستحق العبادة احد غيره وهما خبران آخران لقوله والهكم او للمبتدا محذوف قيل لما سمعه المشركون
تعجبوا وقالوا ان كنت صادقا فأت باية نعرف بها صدقك فنزلت إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ
انما جمع السموات وافراد الارض لانها طبقات متفاضلة بالذات مختلفة بالحقيقة بخلاف الارضين
وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ تعاقبهما كقوله جعل الليل والنهار خلفة وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا
يَنْفَعُ النَّاسَ اي بنفعهم او بالذي ينفعهم والقصد به الى الاستدلال بالبحر واحواله وتخصيص الفلك بالذكر
لانه سبب الخوض فيه والاطلاع على عجائبه ولذلك قدمه على ذكر المطر والسحاب لان منشاهما
البحر في غالب الامر وتانيث الفلك لانه بمعنى السفينة وقرئ بضمتين على الاصل او الجمع وضمة الجمع غير
ضمة الواحد عند المحققين وَمَا أَنْزَلَ اللّٰهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ من الاولى للابتداء والثانية للبيان و
السما يحتمل الفلك والسحاب وجهة العلو فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا بالنبات وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ
عطف على انزل كانه استدل بنزول المطر وتكوين النبات به وبث الحيوانات في الارض او على احيى فان
الدواب ينمون بالخصب ويعيشون بالحيا والبث النشر والتفريق وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ في مهابها واحوالها
وقرأ حمزة والكسائي على الافراد وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لا ينزل ولا ينقشع مع ان
الطبع يقتضي احدهما حتى ياتي امر الله وقيل مسخر للرياح تقلبه في الجو بمشية الله واشتقاقه من
السحب لان بعضه يجر بعضا لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ يتفكرون فيها وينظرون اليها بعيون عقولهم و
عنه عليه السلام ويل لمن قرأ هذه الاية فمج بها اي لم يتفكر فيها واعلم ان دلالة هذه الايات على وجود
الاله ووحدته من وجوه كثيرة يطول شرحها مفصلا والكلام المجمل انها امور ممكنة وجد كل منها
بوجه مخصوص من وجوه محتملة وانحاء مختلفة اذ كان من الجائز مثلا ان لا تتحرك السموات او بعضها كالارض
وان تتحرك بعكس حركاتها وبحيث تصير المنطقة دائرة مارة بالقطبين وان لا يكون لها اوج وحضيض اصلا
او على هذا الوجه لبساطتها وتساوي اجزائها فلا بد لها من موجد قادر حكيم يوجدها على ما تستدعيه
حكمته وتقتضيه مشيته متعاليا عن معارضة غيره اذ لو كان معه اله يقدر على ما يقدر عليه فان توافقت
ارادتهما فالفعل ان كان لهما لزم اجتماع موثرين على اثر واحد وان كان لاحدهما لزم ترجيح الفاعل
بلا مرجح وعجز الاخر المنافي لالهيته وان اختلفت لزم التمانع والتطارد كما اشار اليه بقوله تعالى
لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا وفي الاية تنبيه على شرف علم الكلام واهله وحث على البحث و
النظر فيه وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللّٰهِ أَنْدَادًا من الاصنام وقيل من الرؤساء الذين كانوا
يطيعونهم لقوله اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ولعل المراد اعم منهما وهو ما يشغله عن الله تعالى
يُحِبُّونَهُمْ يعظمونهم ويطيعونهم كَحُبِّ اللّٰهِ كتعظيمه والميل الى طاعته اي يسوون بينه وبينهم
في المحبة والطاعة والمحبة ميل القلب من الحب استعير لحبة القلب ثم اشتق منه الحب لانه اصابها ورسخ

ووجوب التحرز عن متابعته واستعير الامر لتزيينه وبعثه لهم على الشر تسفيها لرأيهم وتحقيرا لشأنهم والسوء
والفحشاء ما انكره العقل واستقبحه الشرع والعطف لاختلاف الوصفين فانه سوء لاغتمام العاقل به و
فحشاء لاستقباحه اياه وقيل السوء يعم القبائح والفحشاء ما تجاوز الحد في القبح من الكبائر وقيل الاول ما لا
حد فيه والثاني ما شرع فيه الحد وان تقولوا على الله ما لا تعلمون كاتخاذ الانداد وتحليل المحرمات وتحريم
الطيبات وفيه دليل على المنع من اتباع الظن رأسا واما اتباع المجتهد لما ادى اليه ظن مستند الى مدرك
شرعي فوجوبه قطعي والظن في طريقه كما بيناه في الكتب الاصولية واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله الضمير
للناس وعدل عن الخطاب عنهم للنداء على ضلالهم كانه التفت الى العقلاء وقال لهم انظروا الى هؤلاء
الحمقى ماذا يجيبون قالوا بل نتبع ما الفينا عليه آباءنا ما وجدنا هم عليه نزلت في المشركين امروا باتباع
القران وسائر ما انزل الله من الحجج والآيات فجنحوا الى التقليد وقيل في طائفة من اليهود دعاهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم الى الاسلام فقالوا نتبع ما وجدنا عليه آباءنا لانهم كانوا خيرا منا واعلم وعلى هذا فيعم
ما انزل الله التورية لانها ايضا تدعو الى الاسلام أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون الواو للحال
او العطف والهمزة للرد والتعجب وجواب لو محذوف اي لو كان آباؤهم جهلة لا يتفكرون في امر الدين ولا
يهتدون الى الحق لاتبعوهم وهو دليل على المنع من التقليد لمن قدر على النظر والاجتهاد واما اتباع الغير في الدين
اذا علم بدليل ما انه محق كالانبياء والمجتهدين في الاحكام فهو في الحقيقة ليس بتقليد بل اتباع لما انزل الله تعالى
ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع الا دعاء ونداء على حذف مضاف تقديره ومثل
داعي الذين كفروا كمثل الذي ينعق او مثل الذين كفروا كمثل بهائم الذي ينعق والمعنى ان الكفرة
لانهماكهم في التقليد لا يلقون اذهانهم الى ما يتلى عليهم ولا يتأملون فيما يقرر معهم فهم في
ذلك كالبهائم التي ينعق عليها فتسمع الصوت ولا تعرف مغزاه وتحس بالنداء ولا تفهم معناه وقيل
هو تمثيلهم في اتباع آبائهم على ظاهر حالهم جاهلين بحقيقتها بالبهائم التي تسمع الصوت ولا تفهم
ما تحته او تمثيلهم في دعائهم الاصنام بالناعق في نعقه وهو التصويت على البهائم وهذا
يغني عن الاضمار ولكن لا يساعده قوله الا دعاء ونداء لان الاصنام لا تسمع الا ان يجعل ذلك
من باب التمثيل المركب صم بكم عمي رفع على الذم فهم لا يعقلون اي بالفعل للاخلال بالنظر
يا ايها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم لما وسع الامر على الناس كافة واباح لهم ما
في الارض سوى ما حرم عليهم امر المؤمنين منهم ان يتحروا طيبات ما رزقوا ويقوموا بحقوقها
فقال واشكروا لله على ما رزقكم واحل لكم ان كنتم اياه تعبدون ان صح انكم تختصونه
بالعبادة وتقرون بانه مولى النعم فان عبادته لا تتم الا بالشكر فالمعلق بفعل العبادة هو الامر بالشكر
لا تمامه وهو عدم عند عدمه وعن النبي صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى اني والانس والجن في نبأ

لأهل الكتاب فإنهم أكثروا الخوض في أمر القبلة حين حولت وادعى كل طائفة أن البر هو التوجه
إلى قبلته فرد الله عليه وقال ليس البر ما أنتم عليه فإنه منسوخ ولكن البر ما بينه الله تعالى واتبعه
المؤمنون وقيل عام لهم وللمسلمين أي ليس البر مقصوراً بأمر القبلة أو ليس البر العظيم الذي
يحسن أن تذهلوا بشأنه عن غيره أمرها وقرأ حمزة وحفص البر بالنصب مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَ
الْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ أي ولكن البر الذي ينبغي أن يهتم به بر من آمن أو ولكن ذا البر من آمن ويؤيده
قراءة ولكن البار والأول أوفق وأحسن والمراد بالكتاب الجنس أو القرآن وقرأ نافع وابن عامر ولكن بالتخفيف و
رفع البر وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ أي على حب المال كما قال عليه السلام لما سئل أي الصدقة أفضل أن تؤتيه
وأنت صحيح شحيح تأمل العيش وتخشى الفقر وقيل الضمير لله أو للمصدر والجار والمجرور في موضع الحال
ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ يريد المحاويج منهم ولم يقيد لعدم الالتباس وقدم ذوي القربى لأن إيتاءهم
أفضل كما قال عليه السلام صدقتك على المسكين صدقة وعلى ذي رحمك اثنتان صدقة وصلة وَ
الْمَسَاكِينَ جمع المسكين وهو الذي أسكنته الخلة وأصله دائم السكون كالمسكير للدائم السكر
وَابْنَ السَّبِيلِ المسافر سمي به لملازمته السبيل كما سمي القاطع ابن الطريق وقيل الضيف لأن السبيل
يرعف به وَالسَّائِلِينَ الذين ألجأتهم الحاجة إلى السؤال وقال عليه السلام للسائل حق وإن جاء على
فرسه وَفِي الرِّقَابِ وفي تخليصها بمعاونة المكاتبين أو فك الأسارى أو ابتياع الرقاب لعتقها وَأَقَامَ
الصَّلَاةَ المفروضة وَآتَى الزَّكَاةَ يحتمل أن يكون المقصود منه ومن قوله وآتى المال الزكاة المفروضة
ولكن الغرض من الأول بيان مصارفها وبالثاني أداؤها والحث عليها ويحتمل أن يكون المراد بالأول نوافل
الصدقات أو حقوقاً كانت في المال سوى الزكاة وفي الحديث نسخت الزكاة كل صدقة وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا
عَاهَدُوا عطف على من آمن وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ نصبه على المدح ولم يعطف لفضل الصبر على
سائر الأعمال وعن الأزهري البأساء في الأموال كالفقر والضراء في الأنفس كالمرض وَحِينَ الْبَأْسِ وقت مجاهدة
العدو أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا في الدين واتباع الحق وطلب البر وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ۝ عن الكفر وسائر
الرذائل والآية كما ترى جامعة للكمالات الإنسانية بأسرها دالة عليها صريحاً أو ضمناً فإنها
بكثرتها وتشعبها منحصرة في ثلاثة أشياء صحة الاعتقاد وحسن المعاشرة وتهذيب النفس وقد
أشير إلى الأول بقوله من آمن إلى والنبيين وإلى الثاني بقوله وآتى المال إلى وفي الرقاب وإلى الثالث
بقوله وأقام الصلاة إلى آخرها ولذلك وصف المستجمع لها بالصدق نظراً إلى إيمانه واعتقاده
وبالتقوى اعتباراً بمعاشرته للخلق ومعاملته مع الحق وإليه أشار بقوله عليه
الصلاة والسلام من عمل بهذه الآية فقد استكمل الإيمان يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَىٰ بِالْأُنْثَىٰ

غير القاتل والجماعة بالواحد فتثور الفتنة بينهم فاذا اقتص من القاتل سلم الباقون ويصير ذلك سببا لحيوتهم وعلى الاول فيه اضمار وعلى الثاني تخصيص وقيل المراد بها الحيوة الاخروية فان القاتل اذا اقتص منه في الدنيا لم يواخذ به في الاخرة ولكم في القصاص يحتمل ان يكونا خبرين لحيوة وان يكون احدهما خبرا والاخر صلة له او حالا عن الضمير المستكن فيه وقرئ في القصص اي فيما قص عليكم من حكم القتل حيوة او في القران حيوة للقلوب يا أولي الألباب ذوي العقول الكاملة ناداهم للتامل في حكمة القصاص من استبقاء الارواح وحفظ النفوس لعلكم تتقون في المحافظة على القصاص والحكم به والاذعان له او عن القصاص فتكفوا عن القتل كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت اي حضر اسبابه وظهر اماراته إن ترك خيرا اي مالا وقيل مالا كثيرا لما روي عن علي رضي الله عنه ان مولى له اراد ان يوصي وله سبعمائة درهم فمنعه وقال قال الله تعالى ان ترك خيرا والخير هو المال الكثير وعن عائشة رضي الله عنها ان رجلا اراد ان يوصي فسالته كم مالك فقال ثلثة الاف فقالت كم عيالك قال اربعة قالت انما قال الله تعالى ان ترك خيرا وان هذا الشيء يسير فاتركه لعيالك الوصية للوالدين والأقربين مرفوع بكتب وتذكير فعلها للفصل او على تاويل ان يوصي او الايصاء ولذلك ذكر الراجع في قوله فمن بدله بعد ما سمعه والعامل في اذا مدلول كتب لا الوصية لتقدمه عليها وقيل مبتدأ خبره للوالدين والجملة جواب الشرط باضمار الفاء كقوله * من يفعل الحسنات الله يشكرها * ورد بانه ان صح فمن ضرورات الشعر وكان هذا الحكم في بدء الاسلام فنسخ باية المواريث وبقوله عليه السلام ان الله اعطى كل ذي حق حقه الا لا وصية لوارث وفيه نظر لان اية المواريث لا تعارضه بل تؤكده من حيث انها تدل على تقديم الوصية مطلقا والحديث من الاحاد وتلقي الامة له بالقبول لا يلحقه بالمتواتر ولعله احترز عنه من فسر الوصية بما اوصى به الله من توريث الوالدين والاقربين بقوله يوصيكم الله او بايصاء المحتضر لهم بتوفير ما اوصى به الله عليهم بالمعروف بالعدل فلا يفضل الغني ولا يجاوز الثلث حقا على المتقين * مصدر مؤكد اي حق ذلك حقا فمن بدله غيره من الاوصياء والشهود بعد ما سمعه وصل اليه وتحقق عنده فإنما إثمه على الذين يبدلونه فما اثم الايصاء المغير او التبديل الا على مبدله لانه الذي خاف وخالف الشرع إن الله سميع عليم * وعيد للمبدل بغير حق فمن خاف من موص اي توقع وعلم من قولهم اخاف ان يرسل السماء وقرأ حمزة والكسائي وابو بكر ويعقوب موص مشددا جنفا ميلا بالخطأ في الوصية أو إثما تعمدا للحيف فأصلح بينهم بين الموصى لهم باجرائهم على نهج الشرع فلا إثم عليه في هذا التبديل لانه تبديل باطل بخلاف الاول إن الله غفور رحيم * وعد للمصلح وذكر المغفرة لمطابقة ذكر الاثم وكونه من جنس ما يؤثم يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم

اضمار صوموا او على انه مفعول وان تصوموا وفيه ضعف او بدل من ايام معدودات والشهر
من الشهرة ورمضان مصدر رمض اذا احترق فاضيف اليه الشهر وجعل علما ومنع من الصرف
للعلمية والالف والنون كما منع داية في ابن داية علما للغراب للعلمية والتانيث وقوله عليه
السلام من صام رمضان على حذف المضاف لامن الالتباس وانما سموه بذلك اما لارتماضهم
من حر الجوع والعطش او لارتماض الذنوب فيه او لوقوعه في ايام رمض الحر حينما نقلوا اسماء الشهور
عن اللغة القديمة الذي انزل فيه القران اي ابتدئ فيه انزاله وكان ذلك ليلة القدر او انزل
فيه جملة الى السماء الدنيا ثم نزل منجما الى الارض او انزل في شانه القران وهو قوله كتب
عليكم الصيام وعن النبي صلى الله عليه وسلم انزلت صحف ابراهيم اول ليلة من رمضان و
انزلت التورية لست مضين والانجيل لثلث عشرة والقران لاربع وعشرين والموصول بصلته
خبر المبتدا او صفته والخبر فمن شهد والفاء لوصف المبتدا بما تضمن معنى الشرط وفيه اشعار
بان الانزال فيه سبب اختصاصه بوجوب الصوم فيه هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان
حالان من القران اي انزل وهو هداية للناس باعجازه وايات واضحات مما يهدي الى الحق ويفرق بينه
وبين الباطل بما فيه من الحكم والاحكام فمن شهد منكم الشهر فليصمه فمن حضر منكم في الشهر و
لم يكن مسافرا فليصم فيه والاصل فمن شهد فيه فليصم فيه ولكن وضع المظهر موضع المضمر الاول للتعظيم
ونصب على الظرف وحذف الجار ونصب الضمير الثاني على الاتساع وقيل فمن شهد منكم هلال الشهر
فليصمه على انه مفعول به كقولك شهدت الجمعة اي صلوتها فيكون ومن كان مريضا او على
سفر فعدة من ايام اخر مخصصا له لان المسافر والمريض ممن شاهد الشهر ولعل تكريره لذلك او لئلا
يتوهم نسخه كما نسخ قرينه يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر يريد ان ييسر عليكم
لا يعسر ولذلك اباح الفطر للسفر والمرض ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم
تشكرون علل لفعل محذوف دل عليه ما سبق اي وشرع جملة ما ذكر من امر الشاهد بصوم
الشهر والمرخص بالقضاء ومراعاة عدة ما افطر فيه والترخيص لتكملوا العدة الى اخرها على سبيل
اللف فان قوله ولتكملوا علة الامر بمراعاة العدة ولتكبروا الله علة الامر بالقضاء وبيان كيفيته
ولعلكم تشكرون علة الترخيص والتيسير او لافعال كل لفعله او معطوفة على
علة مقدرة مثل ليسهل عليكم او لتعلموا ما تعلمون ويجوز ان يعطف على اليسر اي ويريد
بكم لتكملوا كقوله يريدون ليطفئوا والمعنى بالتكبير تعظيم الله بالحمد والثناء عليه ولذلك
عدي بعلى وقيل تكبير يوم الفطر وقيل التكبير عند الاهلال وما تحتمل المصدر والخبر اي
الذي هداكم اليه وعن عاصم برواية ابي بكر ولتكملوا بالتشديد واذا سالك عبادي عني فاني

للتبعيض فان ما يبدو بعض الفجر وما روي انها نزلت ولم ينزل من الفجر فعمد رجال الى خيطين اسود
وابيض ولا يزالون يأكلون ويشربون حتى يتبينا لهم فنزلت ان صح فلعله كان قبل دخول رمضان
وتاخير البيان الى وقت الحاجة جائز او اكتفى اولا باشتهارهما في ذلك ثم صرح بالبيان لما التبس
على بعضهم وفي تجويز المباشرة الى الصبح الدلالة على جواز تاخير الغسل اليه وصحة صوم المصبح
جنبا ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ بيان آخر وقته واخراج الليل عنه فينفي صوم الوصال وَلَا
تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ معتكفون فيها والاعتكاف هو اللبث في المسجد
بقصد القربة والمراد بالمباشرة الوطء وعن قتادة كان الرجل يعتكف فيخرج الى امرأته فيباشرها
ثم يرجع فنهوا عن ذلك وفيه دليل على ان الاعتكاف يكون في المسجد ولا يختص بمسجد دون
مسجد وان الوطء يحرم فيه ويفسده لان النهي في العبادات يوجب الفساد تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ
اي الاحكام التي ذكرت فَلَا تَقْرَبُوهَا نهى ان يقرب الحد الحاجز بين الحق والباطل لئلا يداني الباطل
فضلا ان يتخطى عنه كما قال عليه السلام ان لكل ملك حمى وان حمى الله محارمه فمن رتع حول
الحمى يوشك ان يقع فيه وهو ابلغ من قوله فلا تعتدوها ويجوز ان يريد بحدود الله محارمه ومناهيه
كَذَلِكَ مثل ذلك التبيين يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ مخالفة الاوامر والنواهي وَلَا
تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ اي ولا يأكل بعضكم مال البعض بالوجه الذي لم يبحه الله وبين نصب
على الظرف او الحال من الاموال وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ عطف على المنهي او نصب باضمار ان والادلاء
الالقاء اي ولا تلقوا حكومتها الى الحكام لِتَأْكُلُوا بالتحاكم فَرِيقًا طائفة مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ بما يوجب
اثما كشهادة الزور واليمين الكاذبة او ملتبسين بالاثم وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ انكم مبطلون فان ارتكاب
المعصية مع العلم بها اقبح روي ان عبدان الحضرمي ادعى على امرئ القيس الكندي قطعة ارض ولم يكن
له بينة فحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم بان يحلف امرؤ القيس فهم به فقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الذين
يشترون بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا فارتدع عن اليمين وسلم الارض الى عبدان فنزلت وهي دليل على ان
حكم القاضي لا ينفذ باطنا ويؤيده قوله عليه السلام انما انا بشر وانتم تختصمون الي ولعل بعضكم يكون الحن
بحجته من بعض فاقضي له على نحو ما اسمع منه فمن قضيت له بشيء من حق اخيه فانما اقضي له بقطعة من نار
يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ سأله معاذ بن جبل وثعلبة بن غنم فقالا ما بال الهلال يبدو دقيقا كالخيط ثم يزيد حتى يستوي
ثم لا يزال ينقص حتى يعود كما بدأ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ انهم سالوا عن الحكمة في اختلاف حال القمر وتبدل
امره فامره الله ان يجيب بان الحكمة الظاهرة في ذلك ان تكون معالم للناس يوقتون بها امورهم ومعالم
للعبادات الموقتة يعرف بها اوقاتها وخصوصا الحج فان الوقت مراعى فيه اداء وقضاء
والمواقيت جمع ميقات من الوقت والفرق بينه وبين المدة والزمان ان المدة المطلقة امتداد

كذلك جزاء الكافرين يفعل بهم مثل ما فعلوا فان انتهوا عن القتال والكفر

فان الله غفور رحيم يغفر لهم ما قد سلف وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة شرك ويكون الدين

لله خالصا له ليس للشيطان فيه نصيب فان انتهوا عن الشرك فلا عدوان الا على الظالمين اى

فلا تعتدوا على المنتهين اذ لا يحسن ان يظلم الا من ظلم فوضع العلة موضع الحكم وسمى جزاء الظلم

باسمه للمشاكلة كقوله فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه او انكم ان تعرضتم للمنتهين صرتم ظالمين

وينعكس الامر عليكم والفاء الاولى للتعقيب والثانية للجزاء الشهر الحرام بالشهر الحرام قاتلهم المشركون

عام الحديبية فى ذى القعدة واتفق خروجهم لعمرة القضاء فيه وكرهوا ان يقاتلوهم لحرمته فقيل

لهم هذا الشهر بذاك وهتكه بهتكه فلا تبالوا به والحرمات قصاص احتجاج عليه اى كل حرمة

وهو ما يجب ان يحافظ عليها يجرى فيه القصاص فلما هتكوا حرمة شهركم بالصد فافعلوا بهم

مثله وادخلوا عليهم عنوة واقتلوهم ان قاتلوكم كما قال فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه

بمثل ما اعتدى عليكم وهو فذلكة التقرير واتقوا الله فى الانتصار ولا تعتدوا الى ما لم يرخص لكم

واعلموا ان الله مع المتقين فيحرسهم ويصلح شانهم وانفقوا فى سبيل الله ولا تمسكوا كل الامساك ولا

تلقوا بايديكم الى التهلكة بالاسراف وتضييع وجه المعاش او بالكف عن الغزو والانفاق فيه فانه يقوى

العدو ويسلطهم على اهلاككم ويؤيده ما روى عن ابى ايوب الانصارى انه قال لما اعز الله الاسلام و

كثر اهله رجعنا الى اهالينا واموالنا نقيم فيها ونصلحها فنزلت او بالامساك وحب المال فانه يؤدى

الى الهلاك المؤبد ولذلك سمى البخل هلاكا وهو فى الاصل انتهاء الشىء فى الفساد والالقاء طرح الشىء و

عدى بالى لتضمن معنى الانتهاء والباء مزيدة والمراد بالايدى الانفس والتهلكة والهلاك والهلك واحد فهى

مصدر كالتضرة والتسرة اى لا توقعوا انفسكم فى الهلاك وقيل معناه لا تجعلوها آخذة بايديكم او لا تلقوا بايديكم

انفسكم اليها فحذف المفعول واحسنوا اعمالكم واخلاقكم او تفضلوا على المحاويج ان الله يحب المحسنين و

اتموا الحج والعمرة لله ائتوا بهما تامين مستجمعى المناسك لوجه الله وهو على هذا يدل على وجوبهما ويؤيده

قراءة من قرا واقيموا الحج والعمرة وما روى جابر انه قيل يا رسول الله العمرة واجبة مثل الحج فقال

لا ولكن ان تعتمر خير لك معارض بما روى ان رجلا قال لعمر رضى الله عنه انى وجدت

الحج والعمرة مكتوبين على اهللت بهما جميعا فقال هديت لسنة نبيك ولا يقال انه فسر

وجدت انهما مكتوبين بقوله اهللت بهما فجاز ان يكون الوجوب بسبب اهلاله بهما لانه

رتب الاهلال على الوجدان وذلك يدل على انه سبب الاهلال دون العكس وقيل اتمامهما ان تحرم بهما

من دويرة اهلك او ان تفرد لكل منهما سفرا او ان تجرده لهما لا تشوبهما بغرض دنيوى او ان يكون النفقة

حلالا فان احصرتم منعتم يقال حصره العدو واحصره اذا حبسه ومنعه عن المضى مثل صده واصده

على مسافة القصر عندنا فإن من كان على أقل فهو مقيم الحرم أو في حكمه ومن مسكنه وراء الميقات عنده وأهل
الحل عند طاوس وغير المكي عند مالك واتقوا الله في المحافظة على أوامره ونواهيه وخصوصا في الحج واعلموا
أن الله شديد العقاب لمن لم يتقه كي يصدكم العلم به عن العصيان الحج أشهر أي وقته كقولك البرد شهران
معلومات معروفات وهي شوال وذو القعدة وتسع من ذي الحجة بليلة النحر عندنا والعشر عند أبي حنيفة
وذو الحجة كله عند مالك وبناء الخلاف على أن المراد بوقته وقت إحرامه أو وقت أعماله ومناسكه أو ما
لا يحسن فيه غيره من المناسك مطلقا فإن مالكا كره العمرة في بقية ذي الحجة وأبو حنيفة وإن صحح الإحرام به
قبل شوال فقد استكرهه وإنما سمي شهرين وبعض شهر أشهرا إقامة للبعض مقام الكل أو إطلاقا للجمع على ما فوق
الواحد فمن فرض فيهن الحج فمن أوجبه على نفسه بالإحرام فيهن عندنا أو بالتلبية أو سوق الهدي عند
أبي حنيفة وهو دليل على ما ذهب إليه الشافعي وأن من أحرم بالحج لزمه الإتمام فلا رفث فلا جماع أو
فلا فحش من الكلام ولا فسوق ولا خروج عن حدود الشرع بالسيئات وارتكاب المحظورات ولا جدال ولا مراء مع
الخدم والرفقة في الحج في أيامه نفى الثلاثة على قصد النهي للمبالغة والدلالة على أنها حقيقة بأن لا تكون وما كانت
مستقبحة في أنفسها ففي الحج أقبح كلبس الحرير في الصلاة والتطريب بقراءة القرآن لأنه خروج عن مقتضى الطبع و
العادة إلى محض العبادة وقرأ ابن كثير وأبو عمرو الأولين بالرفع على معنى لا يكونن رفث ولا فسوق والثالث
بالفتح على معنى الإخبار بانتفاء الخلاف في الحج وذلك أن قريشا كانت تخالف سائر العرب فتقف بالمشعر الحرام فارتفع
الخلاف بأن أمروا بأن يقفوا أيضا بعرفة وما تفعلوا من خير يعلمه الله حث على الخير عقيب النهي عن الشر ليستبدل به
ويستعمل مكانه وتزودوا فإن خير الزاد التقوى وتزودوا لمعادكم التقوى فإنه خير زاد وقيل نزلت في أهل اليمن
كانوا يحجون ولا يتزودون ويقولون نحن متوكلون فيكونون كلا على الناس فأمروا أن يتزودوا ويتقوا الإبرام
في السؤال والتثقيل على الناس واتقون يا أولي الألباب فإن قضية اللب خشية الله وتقواه حثهم على التقوى
ثم أمرهم بأن يكون المقصود بها هو الله فيتبرؤوا عن كل شيء سواه وهو مقتضى العقل المعرى عن شوائب
الهوى فلذلك خص أولي الألباب بهذا الخطاب ليس عليكم جناح أن تبتغوا أي في أن تبتغوا أي تطلبوا فضلا من ربكم
عطاء ورزقا منه يريد الربح بالتجارة وقيل كان عكاظ ومجنة وذو المجاز أسواقهم في الجاهلية يقيمونها مواسم الحج
وكانت معايشهم منها فلما جاء الإسلام تأثموا منه فنزلت فإذا أفضتم من عرفات دفعتم منها بكثرة من أفضت الماء
إذا صببته بكثرة وأصله أفضتم أنفسكم فحذف المفعول كما حذف في دفعت من البصرة وعرفات جمع سمي به كأذرعات وإنما
نون وكسر وفيه العلمية والتأنيث لأن تنوين الجمع تنوين المقابلة لا تنوين التمكن ولذلك يجمع مع اللام وذهاب
الكسرة تبع ذهاب التنوين من غير عوض لعدم الصرف وهنا ليس كذلك أو لأن التأنيث إما أن يكون بالتاء المذكورة وهي
ليست تاء تأنيث وإنما هي مع الألف التي قبلها علامة جمع المؤنث أو بتاء مقدرة كما في سعاد ولا يصح تقديرها لأن المذكورة
تمنعه من حيث إنها كالبدل لها لاختصاصها بالمؤنث كتاء بنت وإنما سمي الموقف عرفة لأنه نعت لإبراهيم عليه السلام

الحسنة وما أعد للأبرار وعذاب النار معناه احفظنا من الشهوات والذنوب المؤدية إلى النار أمثلة للمراد بها أُولَئِكَ إشارة
إلى الفريق الثاني وقيل إليهما لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا أي من جنسه وهو جزاؤه أو من أجله كقوله تعالى مما خطيئاتهم
أغرقوا أو مما دعوا به نعطيهم منه ما قدرناه فسمي الدعاء كسباً لأنه من الأعمال وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ يحاسب العباد
على كثرتهم وكثرة أعمالهم في مقدار لمحة أو يوشك أن يقيم القيامة ويحاسب الناس فبادروا إلى الطاعات
واكتساب الحسنات وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ كبروه في أدبار الصلوات وعند ذبح القرابين ورمي
الجمار وغيرها وأيام التشريق فَمَنْ تَعَجَّلَ فمن استعجل النفر فِي يَوْمَيْنِ يوم القر والذي بعده أي فمن نفر في ثاني
أيام التشريق بعد رمي الجمار عندنا وقبل طلوع الفجر عنده فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ باستعجاله وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ
ومن تأخر في النفر حتى رمى في اليوم الثالث بعد الزوال وقال أبو حنيفة يجوز تقديم رميه على الزوال ومعنى
نفي الإثم بالتعجيل والتأخير التخيير بينهما والرد على أهل الجاهلية فإن منهم من أثّم المتعجل ومنهم من أثّم المتأخر
لِمَنِ اتَّقَى أي الذي ذكر من التخيير أو من الأحكام لمن اتقى لأنه الحاج على الحقيقة والمنتفع به أو لأجله حتى
لا يتضرر بترك ما يهمه منهما وَاتَّقُوا اللَّهَ في مجامع أموركم ليعبأ بكم وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ للجزاء بعد الإحياء
وأصل الحشر الجمع وضم المتفرق وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ يروقك ويعظم في نفسك والتعجب حيرة تعرض الإنسان
لجهله بسبب المتعجب منه فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا متعلق بالقول أي ما يقوله في أمور الدنيا وأسباب المعاش أو في معنى الدنيا فإنها
مراده من ادعاء المحبة وإظهار الإيمان أو بيعجبك أي يعجبك قوله في الدنيا حلاوة وفصاحة ولا يعجبك في الآخرة لما تعتريه من
الدهشة والحبسة أو لأنه لا يؤذن له في الكلام وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ يحلف ويستشهد الله على أن ما في قلبه موافق لكلامه
وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ شديد العداوة والجدال للمسلمين والخصام المخاصمة ويجوز أن يكون جمع خصم كصعب وصعاب بمعنى أشد الخصوم
خصومة قيل نزلت في الأخنس بن شريق الثقفي وكان حسن المنظر حلو المنطق يوالي رسول الله صلعم ويدعي الإسلام وقيل في
المنافقين كلهم وَإِذَا تَوَلَّى أدبر وانصرف عنك وقيل إذا غلب وصار والياً سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ
وَالنَّسْلَ كما فعله الأخنس بثقيف إذ بيتهم وأحرق زروعهم وأهلك مواشيهم أو كما يفعله ولاة السوء بالقتل والإتلاف أو
بالظلم حتى يمنع الله بشؤمه القطر فيهلك الحرث والنسل وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ لا يرتضيه فاحذروا غضبه عليه وَإِذَا قِيلَ لَهُ
اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ حملته الأنفة وحمية الجاهلية على الإثم الذي يؤمر باتقائه لجاجاً من قولك أخذته بكذا إذا حملته
عليه وألزمته إياه فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ كفته جزاءً وعذاباً وجهنم علم لدار العقاب وهي في الأصل مرادف للنار وقيل معرب وَ
لَبِئْسَ الْمِهَادُ جواب قسم مقدر والمخصوص بالذم محذوف للعلم به وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ
يبيعها ببذلها في الجهاد أو يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر حتى يقتل ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ طلباً لرضاه وقيل إنها نزلت في صهيب بن سنان
الرومي أخذه المشركون وعذبوه ليرتد فقال إني شيخ كبير لا ينفعكم إن كنت معكم ولا يضركم إن كنت عليكم فخلوني وما أنا
عليه وخذوا مالي فقبلوا منه وأتى المدينة وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ حيث أرشدهم إلى مثل هذا الشراء وكلفهم
بالجهاد فعرضهم لثواب الغزاة والشهداء يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً السلم بالكسر والفتح الاستسلام

السخرية منهم والذين اتقوا فوقهم يوم القيامة لانهم في عليين وهم في اسفل السافلين ولانهم في كرامة
وهم في مذلة او لانهم يتطاولون عليهم فيسخرون منهم كما سخروا منهم في الدنيا وانما قال والذين اتقوا بعد
قوله من الذين امنوا ليدل على انهم متقون وان استعلاءهم للتقوى والله يرزق من يشاء في الدارين بغير
حساب بغير تقدير فيوسع في الدنيا استدراجا تارة وابتلاء اخرى كان الناس امة واحدة متفقين على
الحق فيما بين ادم وادريس او نوح او بعد الطوفان او متفقين على الجهالة والكفر في فترة ادريس او نوح فبعث
الله النبيين مبشرين ومنذرين اي فاختلفوا فبعث الله وانما حذف لدلالة قوله فيما اختلفوا فيه وعن كعب الذي
علمته من عدد الانبياء مائة واربعة وعشرون الفا والمرسل منهم ثلثمائة وثلثة عشر والمذكور في القران باسم
العلم ثمانية وعشرون وانزل معهم الكتاب يريد به الجنس ولا يريد به انه انزل مع كل واحد كتابا يخصه فان اكثرهم لم يكن
لهم كتاب يخصهم وانما كانوا ياخذون بكتب من قبلهم بالحق حال من الكتاب اي ملتبسا بالحق شاهدا به ليحكم بين الناس
اي الله او النبي المبعوث او كتابه فيما اختلفوا فيه اي في الحق الذي اختلفوا فيه او فيما التبس عليهم وما اختلف فيه في الحق
او الكتاب الا الذين اوتوه اي الكتاب المنزل لازالة الخلاف اي عكسوا الامر فجعلوا ما انزل مزيحا للاختلاف سببا
لاستحكامه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم حسدا بينهم وظلما لحرصهم على الدنيا فهدى الله الذين امنوا لما
اختلفوا فيه اي للحق الذي اختلف فيه من اختلف من الحق بيان لما اختلفوا فيه باذنه بامره او بارادته ولطفه و
الله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم لا يضل سالكه ام حسبتم ان تدخلوا الجنة خاطب به النبي والمؤمنين بعد
ما ذكر اختلاف الامم على الانبياء بعد مجيء الايات تشجيعا لهم على الثبات مع مخالفيهم وام منقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار
ولما ياتكم ولم ياتكم واصل لما لم زيدت عليها ما وفيها توقع ولذلك جعلت مقابل قد مثل الذين خلوا من قبلكم حالهم التي هي
مثل في الشدة مستهم البأساء والضراء بيان له على الاستئناف وزلزلوا وازعجوا ازعاجا شديدا بما اصابهم من الشدائد حتى
يقول الرسول والذين امنوا معه لتناهي الشدة واستطالة المدة بحيث تقطعت حبال الصبر وقرأ نافع يقول بالرفع على
انها حكاية حال ماضية كقولك مرض حتى لا يرجونه متى نصر الله استبطاء له لتاخره الا ان نصر الله قريب استئناف على ارادة القول اي
فقيل لهم ذلك اسعافا لهم الى طلبتهم من عاجل النصر وفيه اشارة الى ان الوصول الى الله والفوز بالكرامة عنده برفض الهوى
واللذات ومكابدة الشدائد والرياضات كما قال عليه السلام حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات يسألونك
ماذا ينفقون عن ابن عباس ان عمرو بن الجموح الانصاري كان شيخا هما ذا مال عظيم فقال يا رسول الله ماذا ننفق
من اموالنا واين نضعها فنزلت قل ما انفقتم من خير فللوالدين والاقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل
سئل عن المنفق فاجيب ببيان المصرف لانه اهم فان اعتداد النفقة باعتباره ولانه كان في سؤال عمرو وان
لم يكن مذكورا في الاية واقتصر في بيان المنفق على ما تضمنه قوله ما انفقتم من خير وما تفعلوا من خير في
معنى الشرط فان الله به عليم جوابه اي ان تفعلوا خيرا فان الله يعلم كنهه ويوفي ثوابه وليس في
الاية ما ينافيه فرض الزكوة لينسخ به كتب عليكم القتال وهو كره لكم شاق عليكم مكروه طبعا وهو مصدر نعت

لما ظن بهم انهم ان سلموا من الاثم فليس لهم اجر والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله كرر الموصول
لتعظيم الهجرة والجهاد وكأنهما مستقلان في تحقيق الرجاء أولئك يرجون رحمة الله ثوابه اثبت لهم الرجاء
اشعارا بان العمل غير موجب ولا قاطع في الدلالة على الثواب سيما والعبرة بالخواتيم والله غفور لما فعلوا خطأ وقلة
احتياط رحيم باجزال الاجر والثواب يسألونك عن الخمر والميسر روي انه نزل بمكة قوله ومن ثمرات النخيل و
الاعناب تتخذون منه سكرا فاخذ المسلمون يشربونها ثم ان عمر ومعاذا في نفر من الصحابة رض قالوا افتنا يا رسول الله
في الخمر فانها مذهبة للعقل فنزلت هذه الآية فشربها قوم وتركها آخرون ثم دعا عبد الرحمن بن عوف ناسا منهم فشربوا
فسكروا فام احدهم فقرأ اعبد ما تعبدون فنزلت لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى فقل من يشربها ثم دعا عتبان ابن
مالك سعد بن ابي وقاص في نفر فلما سكروا افتخروا وتناشدوا فانشد سعد شعرا فيه هجاء الانصار فضربه انصاري بلحي
بعير فشجه فشكا الى رسول الله فقال عمر اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا فنزلت انما الخمر والميسر الى قوله فهل انتم
منتهون فقال عمر انتهينا يا رب والخمر في الاصل مصدر خمره اذا ستره سمي بها عصير العنب والتمر اذا اشتد وغلا كأنه
يخمر العقل كما سمي سكرا لانه يسكره اي يحجزه وهي حرام مطلقا وكذا كل ما اسكر عند اكثر العلماء وقال ابو حنيفة نقيع
الزبيب والتمر اذا طبخ حتى ذهب ثلثاه ثم اشتد حل شربه ما دون السكر والميسر ايضا مصدر كالموعد سمي به القمار لانه
اخذ مال الغير بيسر او سلب يساره والمعنى يسألونك عن تعاطيهما لقوله قل فيهما اي في تعاطيهما اثم كبير من حيث انه يؤدي الى
الانتكاب عن المأمور وارتكاب المحظور وقرأ حمزة والكسائي كثير بالثاء ومنافع للناس من كسب المال والطرب والالتذاذ ومصادقة
الفتيان وفي الخمر خصوصا تشجيع الجبان وتوفير المروءة وتقوية الطبيعة واثمهما اكبر من نفعهما اي المفاسد التي تنشأ منهما
اعظم من المنافع المتوقعة منهما ولذلك قيل انها المحرمة للخمر فان المفسدة اذا ترجحت على المصلحة اقتضت تحريم
الفعل والاظهر انه ليس كذلك لما مر ويسألونك ماذا ينفقون قيل سائله ايضا عمرو بن الجموح سأل اولا
عن المنفق والمصرف ثم سأل عن كيفية الانفاق قل العفو العفو نقيض الجهد ومنه يقال للارض السهلة العفو وهو
ان ينفق ما تيسر له بذله ولا يبلغ منه الجهد قال خذي العفو مني تستديمي مودتي وروي ان رجلا اتى النبي
عليه السلام ببيضة من ذهب اصابها في بعض المغانم فقال خذها مني صدقة فاعرض عنه حتى كرره مرارا فقال هاتها
مغضبا فاخذها فحذفها حذفا لو اصابه لشجه ثم قال يأتي احدكم بماله كله يتصدق به ويجلس يتكفف الناس انما الصدقة
عن ظهر غنى وقرأ ابو عمرو برفع الواو كذلك يبين الله لكم الآيات اي مثل ما بين ان العفو اصلح من الجهد او ما ذكر
من الاحكام والكاف في موضع النصب صفة لمصدر محذوف اي تبيينا مثل هذا التبيين وانما وحد
العلامة والمخاطب به جمع على تأويل القبيل والجمع لعلكم تتفكرون في الدلائل والاحكام في الدنيا والآخرة
في امور الدارين فتأخذون بالاصلح والانفع منهما وتجتنبون عما يضركم ولا ينفعكم او يضركم اكثر مما ينفعكم ويسألونك
عن اليتامى لما نزلت ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما اعتزلوا اليتامى ومخالطتهم والاهتمام بامرهم فشق
ذلك عليهم فذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت قل اصلاح لهم خير اي مداخلتهم لاصلاحهم او

من حيث امركم الله اي المأتى الذي امركم به وحلله لكم ان الله يحب التوابين من الذنوب ويحب
المتطهرين المتنزهين عن الفواحش والاقذار كمجامعة الحائض والاتيان في غير المأتى نساؤكم حرث لكم
مواضع حرث لكم شبههن بها تشبيها لما يلقى في ارحامهن من النطف بالبذور فأتوا حرثكم اي فأتوهن
كما تأتون المحارث وهو كالبيان لقوله فأتوهن من حيث امركم الله انى شئتم من اي جهة شئتم روي ان اليهود
كانوا يقولون من جامع امرأته من دبرها في قبلها كان ولدها احول فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم
فنزلت وقدموا لانفسكم ما يدخر لكم الثواب وقيل هو طلب الولد وقيل التسمية على الوطء واتقوا الله بالاجتناب عن
معاصيه واعلموا انكم ملاقوه فتزودوا ما لا تفتضحون به وبشر المؤمنين الكاملين في الايمان بالكرامة والنعيم الدائم
امر الرسول صلى الله عليه وسلم ان ينصحهم ويبشر من صدقه وامتثل امره منهم ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم
نزلت في الصديق لما حلف ان لا ينفق على مسطح لافترائه على عائشة او في عبد الله بن
رواحة حلف ان لا يكلم ختنه بشير بن النعمان ولا يصلح بينه وبين اخته والعرضة فعلة بمعنى المفعول كالقبضة يطلق
لما يعرض دون الشيء وللمعرض للامر ومعنى الاية على الاول لا تجعلوا الله حاجزا لما حلفتم عليه من انواع الخير
فيكون المراد بالايمان الامور المحلوف عليها كقوله عليه السلام لابن سمرة اذا حلفت على يمين فرأيت غيرها خيرا منها
فأت الذي هو خير وكفر عن يمينك وان مع صلتها عطف بيان لها واللام صلة عرضة لما فيها من معنى الاعتراض
ويجوز ان يكون للتعليل ويتعلق ان بالفعل او بعرضة اي ولا تجعلوا الله عرضة لان تبروا لاجل ايمانكم به وعلى
الثاني ولا تجعلوه معرضا لايمانكم فتبتذلوه بكثرة الحلف به ولذلك ذم الحلاف بقوله ولا تطع كل حلاف مهين وان
تبروا علة النهي اي انهاكم عنه ارادة بركم وتقواكم واصلاحكم بين الناس فان الحلاف مجترئ على الله والمجترئ على الله
لا يكون برا متقيا ولا موثوقا به في اصلاح ذات البين والله سميع لايمانكم عليم بنياتكم لا يؤاخذكم الله باللغو
في ايمانكم اللغو الساقط الذي لا يعتد به من كلام وغيره ولغو اليمين ما لا عقد معه كما سبق به اللسان او تكلم به
جاهلا لمعناه كقول العرب لا والله وبلى والله لمجرد التأكيد لقوله ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم والمعنى لا
يؤاخذكم الله بعقوبة ولا كفارة بما لا قصد معه ولكن يؤاخذكم بهما او باحدهما بما قصدتم من الايمان وواطأت فيها قلوبكم
ألسنتكم وقال ابو حنيفة اللغو ان يحلف الرجل بناء على ظنه الكاذب والمعنى لا يعاقبكم بما اخطأتم فيه من الايمان ولكن
يعاقبكم بما تعمدتم الكذب فيها والله غفور حيث لم يؤاخذكم باللغو حليم حيث لم يعجل بالمؤاخذة على يمين
الجد تربصا للتوبة للذين يؤلون من نسائهم اي يحلفون على ان لا يجامعوهن والايلاء الحلف وتعديته بعلى
ولكن لما ضمن هذا القسم معنى البعد عدي بمن تربص اربعة اشهر مبتدأ ما قبله خبره او فاعل الظرف على
خلاف سبق والتربص الانتظار والتوقف اضيف الى الظرف على الاتساع اي للمولي حق التلبث في هذه المدة فلا
يطالب بفيء ولا طلاق ولذلك قال الشافعي رضي الله عنه لا ايلاء الا في اكثر من اربعة اشهر ويؤيده
فان فاؤا اي رجعوا في اليمين بالحنث فان الله غفور رحيم للمولي اثم حنثه اذا كفر او ما توخى بالايلاء من ضرار

فإمساك بمعروف بالمراجعة وحسن المعاشرة وهو يؤيد المعنى الاول او تسريح باحسان بالطلقة الثالثة او بان لا
يراجعها حتى تبين وعلى المعنى الاخير حكم مبتدأ وتخيير مطلق عقب به تعليمهم كيفية التطليق ولا يحل لكم
ان تاخذوا مما آتيتموهن شيئا اي من الصدقات روي ان جميلة بنت اخت عبد الله بن ابي سلول كانت تبغض
زوجها ثابت بن قيس فاتت رسول الله فقالت لا انا ولا ثابت لا يجمع راسي وراسه شيء والله ما اعتبه في
دين ولا خلق ولكني اكره الكفر في الاسلام ما اطيقه بغضا اني رفعت جانب الخباء فرايته اقبل في عدة فاذا هو اشدهم
سوادا واقصرهم قامة واقبحهم وجها فنزلت فاختلعت منه بحديقة اصدقها والخطاب مع الحكام واسناد الاخذ
والايتاء اليهم لانهم الآمرون بهما عند الترافع وقيل انه خطاب مع الازواج وما بعده خطاب الحكام وهو يشوش
النظم على القراءة المشهورة الا ان يخافا اي الزوجان وقرئ يظنا وهو يؤيد تفسير الخوف بالظن الا يقيما حدود الله
بترك اقامة احكامه من مواجب الزوجية وقرأ حمزة ويعقوب يخافا على البناء للمفعول وابدال ان بصلته من الضمير
بدل الاشتمال وقرئ تخافا وتقيما بتاء الخطاب فان خفتم ايها الحكام الا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما
افتدت به على الرجل في اخذ ما افتدت به نفسها واختلعت وعلى المرأة في اعطائه تلك حدود الله اشارة الى ما
حد من الاحكام فلا تعتدوها فلا تتعدوها بالمخالفة ومن يتعد حدود الله فاولئك هم الظالمون تعقيب للنهي
بالوعيد مبالغة في التهديد واعلم ان ظاهر الآية تدل على ان الخلع لا يجوز من غير كراهة وشقاق ولا بجميع ما ساق الزوج
اليها فضلا عن الزائد ويؤيد ذلك قوله عليه السلام ايما امرأة سألت زوجها طلاقا في غير بأس فحرام عليها رائحة
الجنة وما روي انه عليه السلام قال لجميلة اتردين عليه حديقته فقالت اردها وازيد عليها فقال عليه السلام اما الزائد
فلا والجمهور استكرهوه ولكن نفذوه فان المنع عن العقد لا يدل على فساده وانه يصح بلفظ المفاداة فانه سماه افتداء واختلف في
انه اذا جرى بغير لفظ الطلاق فسخ او طلاق ومن جعله فسخا احتج بقوله فان طلقها فان تعقيبه للخلع بعد ذكر الطلقتين يقتضي
ان يكون طلقة رابعة لو كان الخلع طلاقا والاظهر انه طلاق لانه فرقة باختيار الزوج فهو كالطلاق بالعوض
وقوله فان طلقها متعلق بقوله الطلاق مرتان تفسير لقوله او تسريح باحسان اعترض بينهما ذكر الخلع دلالة
على ان الطلاق يقع مجانا تارة وبعوض اخرى والمعنى فان طلقها بعد الثنتين فلا تحل له من بعد من بعد
ذلك الطلاق حتى تنكح زوجا غيره حتى تتزوج غيره والنكاح يسند الى كل منهما كالتزوج وتعلق بظاهره من
اقتصر على العقد كابن المسيب واتفق الجمهور على انه لا بد من الاصابة لما روي ان امرأة رفاعة قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان رفاعة
طلقني فبت طلاقي وان عبد الرحمن بن الزبير تزوجني وانما معه مثل هدبة الثوب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتريدين
ان ترجعي الى رفاعة قالت نعم قال عليه السلام لا حتى تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك فالآية مطلقة قيدتها السنة ويحتمل ان
يفسر النكاح بالاصابة ويكون العقد مستفادا من لفظ الزوج والحكمة في هذا الحكم الردع عن التسرع الى الطلاق
والعود الى المطلقة ثلاثا والرغبة فيها والنكاح بشرط التحليل فاسد عند الاكثر وجوزه ابو حنيفة مع الكراهة وقد لعن
رسول الله صلى الله عليه وسلم المحلل والمحلل له فان طلقها الزوج الثاني فلا جناح عليهما ان يتراجعا ان يرجع كل من المرأة

والوالدات تعم المطلقات وغيرهن وقيل يختص بهن اذ الكلام فيهن حولين كاملين اكده بصفة الكمال لانه مما يتسامح

فيه لمن اراد ان يتم الرضاعة بيان للمتوجه اليه الحكم اي ذلك لمن اراد اتمام الرضاعة او متعلق بيرضعن فان الاب يجب

عليه الارضاع كالنفقة والام ترضع له وهو دليل على ان اقصى مدة الارضاع حولان ولا عبرة به بعدهما وانه يجوز ان ينقص عنه

وعلى المولود له اي الذي يولد له يعني الوالد فان الولد يولد له وينسب اليه وتغيير العبارة للاشارة الى المعنى المقتضي لوجوب الارضاع

ومؤن المرضعة عليه رزقهن وكسوتهن اجرة لهن واختلف في استئجار الام فجوزه الشافعي ومنعه ابو حنيفة ما دامت زوجة او

معتدة نكاح بالمعروف حسب ما يراه الحاكم ويفي به وسعه لا تكلف نفس الا وسعها تعليل لايجاب المؤن والتقييد بالمعروف ودليل على

انه تعالى لا يكلف العبد بما لا يطيقه وذلك لا يمنع امكانه لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده تفصيل له وتقريب اي لا

يكلف كل منهما الآخر ما ليس في وسعه ولا يضاره بسبب الولد وقرأ ابن كثير وابو عمرو ويعقوب لا تضار بالرفع بدلا من قوله لا تكلف

واصله على القراءتين تضارر بالكسر على البناء للفاعل او الفتح على البناء للمفعول وعلى الوجه الاول يجوز ان يكون بمعنى تضر والباء من صلته

اي لا تضر الوالدان بالولد فيفرط في تعهده ويقصر فيما ينبغي له وقرئ لا تضار بالسكون مع التشديد على نية الوقف ومع التخفيف

على انه من ضاره يضيره واضافة الولد اليها تارة واليه اخرى استعطاف لهما عليه وتنبيه على انه حقيق بان يتفقا على استصلاحه والاشفاق

فلا ينبغي ان يضرا به او يتضارا بسببه وعلى الوارث مثل ذلك عطف على قوله وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن وما

بينهما تعليل معترض والمراد بالوارث وارث الاب وهو الصبي اي مؤن المرضعة من ماله اذا مات الاب وقيل الباقي من الابوين من قوله عليه السلام

واجعله الوارث منا وكلا القولين يوافق مذهب الشافعي اذ لا نفقة عنده فيما عدا الولاد وقيل وارث الطفل واليه ذهب ابن ابي ليلى وقيل

وارثه المحرم منه وهو مذهب ابي حنيفة وقيل عصبته وبه قال ابو زيد وذلك اشارة الى ما وجب على الاب من الرزق والكسوة فان ارادا

فصالا عن تراض منهما وتشاور اي فصالا صادرا عن التراضي منهما والتشاور بينهما قبل الحولين والتشاور والمشاورة والمشورة

والمشورة استخراج الرأي من شرت العسل اذا استخرجته فلا جناح عليهما في ذلك وانما اعتبر تراضيهما مراعاة لصلاح

الطفل وحذرا ان يقدم احدهما على ما يضر به لغرض وان اردتم ان تسترضعوا اولادكم اي تسترضعوا المراضع لاولادكم يقال ارضعت المرأة

الطفل واسترضعتها اياه كقولك انجح الله حاجتي واستنجحته اياها فحذف المفعول الاول للاستغناء عنه فلا جناح عليكم فيه وظاهره يدل على

ان للزوج ان يسترضع للولد ويمنع الزوجة من الارضاع اذا سلمتم الى المراضع ما آتيتم ما اردتم ايتاءه كقوله اذا قمتم الى الصلوة وقرأ ابن كثير ما اتيتم من اتى

اليه احسانا اذا فعله وقرئ اوتيتم اي ما آتاكم الله واقدركم عليه من الاجرة بالمعروف صلة سلمتم اي بالوجه المتعارف المستحسن شرعا وجواب الشرط محذوف دل عليه ما قبله وليس اشتراط

التسليم لجواز الاسترضاع بل لسلوك ما هو الاصلح والاولى للطفل واتقوا الله مبالغة في المحافظة على ما شرع في امر الاطفال والمراضع واعلموا ان الله

بما تعملون بصير حث وتهديد والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا يتربصن بانفسهن اربعة اشهر وعشرا اي وازواج الذين

يتوفون منكم يتربصن بعدهم كقولهم السمن منوان بدرهم وقرئ يتوفون بفتح الياء اي يستوفون

آجالهم وتأنيث العشر باعتبار الليالي لانها غرر الشهور والايام ولذلك لا يستعملون التذكير في مثله قط ذهابا

الى الايام حتى انهم يقولون صمت عشرا ويشهد له قوله ان لبثتم الا عشرا ثم ان لبثتم الا يوما ولعل المقتضي لهذا التقدير

ان الجنين في غالب الامر يتحرك لثلاثة اشهر ان كان ذكرا ولاربعة ان كانت انثى فاعتبر اقصى الاجلين وزيد عليه العشر

وعلى المقتر قدره اى على كل من الذى له سعة والمقتر الضيق الحال ما يطيقه ويليق به ويدل عليه قوله عليه
السلام لانصارى طلق امرأته المفوضة قبل ان يمسها متعها بقلنسوتك وقال ابو حنيفة هى درع وملحفة وخمار على
حسب الحال الا ان يقل مهر مثلها عن ذلك فلها نصف مهر المثل ومفهوم الاية يقتضى تخصيص ايجاب المتعة للمفوضة التى
لم يمسها الزوج والحق بها الشافعى فى احد قوليه الممسوسة المفوضة وغيرها قياسا وهو مقدم على المفهوم وقرأ حمزة
والكسائى وحفص وابن ذكوان بفتح الدال متاعا تمتيعا بالمعروف بالوجه الذى يستحسنه الشرع والمروءة حقا صفة
لمتاعا او مصدر مؤكد اى حق ذلك حقا على المحسنين الذين يحسنون الى انفسهم بالمسارعة الى الامتثال او الى
المطلقات بالتمتيع وسماهم محسنين للمشارفة ترغيبا وتحريضا وان طلقتموهن من قبل ان تمسوهن وقد فرضتم
لهن فريضة لما ذكر حكم المفوضة اتبعه حكم قسيمها فنصف ما فرضتم اى فلهن او فالواجب نصف ما فرضتم لهن
وهو دليل على ان الجناح المنفى ثم تبعة المهر وان لا متعة مع التشطير لانه قسيمها الا ان يعفون اى المطلقات فلا يأخذن
شيئا والصيغة تحتمل التذكير والتأنيث والفرق ان الواو فى الاول ضمير والنون علامة الرفع وفى الثانى لام الفعل والنون ضمير
والفعل مبنى ولذلك لم يؤثر فيه ان ههنا ونصب المعطوف عليه او يعفو الذى بيده عقدة النكاح اى الزوج المالك لعقده
وحله عما يعود اليه بالتشطير فيسوق المهر اليها كاملا وهو مشعر بان الطلاق قبل المسيس مخير للزوج غير مشطر
بنفسه واليه ذهب بعض اصحابنا والحنفية وقيل الولى الذى يلى عقد نكاحهن وذلك اذا كانت المرأة صغيرة وهو قول
قديم للشافعى وان تعفوا اقرب للتقوى يؤيد الوجه الاول وعفو الزوج على وجه الحمد ظاهر وعلى الوجه الاخر عبارة
عن الزيادة على الحق وتسميتها عفوا اما على المشاكلة واما لانهم يسوقون المهر الى النساء عند التزوج فمن طلق قبل المسيس
استحق استرداد النصف فاذا لم يسترده فقد عفا عنه وعن جبير بن مطعم انه تزوج امرأة وطلقها قبل الدخول فاكمل
لها الصداق وقال انا احق بالعفو ولا تنسوا الفضل بينكم اى ولا تنسوا ان يتفضل بعضكم على بعض ان الله بما تعملون
بصير لا يضيع تفضلكم واحسانكم حافظوا على الصلوات بالاداء لوقتها والمداومة عليها ولعل الامر بها فى تضاعيف
احكام الاولاد والازواج لئلا يلهيهم الاشتغال بشأنهم عنها والصلوة الوسطى اى الوسطى بينها او الفضلى منها خصوصا
وهى صلوة العصر لقوله عليه السلام يوم الاحزاب شغلونا عن صلوة الوسطى صلوة العصر ملأ الله بيوتهم نارا وفضلها
لكثرة اشتغال الناس فى وقتها واجتماع الملائكة وقيل صلوة الظهر لانها فى وسط النهار وكانت اشق الصلوات عليهم فكانت افضل
لقوله عليه السلام افضل العبادات احمزها وقيل الفجر لانها بين صلوتى الليل والنهار والواقعة فى الحد المشترك بينهما ولانها مشهودة وقيل
المغرب لانها المتوسطة بالعدد ووتر النهار وقيل العشاء لانها بين جهريتين واقعتين طرفى الليل وعن عائشة انه عليه السلام كان يقرأ
والصلوة الوسطى وصلوة العصر فتكون صلوة من الاربع خصت بالذكر مع العصر لانفرادها بالفضل وقرئ بالنصب
على الاختصاص والمدح وقوموا لله فى الصلوة قانتين ذاكرين له فى القيام والقنوت الذكر فيه وقيل خاشعين وقال
ابن المسيب المراد به القنوت فى الصبح فان خفتم من عدو او غيره فرجالا او ركبانا فصلوا راجلين او راكبين ورجال جمع
راجل او رجل بمعناه كقائم وقيام وفيه دليل على وجوب الصلوة حال المسايفة واليه ذهب الشافعى وقال ابو حنيفة

سبيل الله لما بين ان الفرار عن الموت غير مخلص منه وان المقدر لا محالة واقع امرهم بالقتال اذ لو جاء اجلهم ففي

سبيل الله والا فالنصر والثواب واعلموا ان الله سميع لما يقوله المتخلف والسابق عليم بما يضمرانه وهو من وراء الجزاء

من ذا الذي يقرض الله من استفهامية مرفوعة الموضع بالابتداء وذا خبره والذي صفة ذا او بدله واقراض الله مثل لتقديم العمل

الذي به يطلب ثوابه قرضا حسنا اقراضا حسنا مقرونا بالاخلاص وطيب النفس او مقرضا حلالا طيبا وقيل القرض الحسن المجاهدة

والانفاق في سبيل الله فيضاعفه له فيضاعف جزاءه اخرجه على صورة المغالبة للمبالغة وقرا عاصم بالنصب على جواب

الاستفهام حملا على المعنى فان من ذا الذي يقرض الله في معنى ايقرض الله احد وقرا ابن كثير فيضعفه بالرفع والتشديد وابن

عامر ويعقوب بالنصب اضعافا كثيرة كثرة لا يقدرها الا الله وقيل الواحد بسبعمائة واضعاف جمع ضعف ونصبه

على الحال من الضمير المنصوب او المفعول الثاني لتضمن المضاعفة معنى التصيير او المصدر على ان الضعف اسم المصدر

وجمعه للتنويع والله يقبض ويبسط يقتر على بعض ويوسع على بعض حسبما اقتضت حكمته فلا تبخلوا عليه بما وسع عليكم

كيلا يبدل حالكم وقرا نافع والكسائي والبزي وابو بكر بالصاد ومثله في الاعراف في قوله تعالى في الخلق بسطة واليه ترجعون

فيجازيكم على ما قدمتم الم تر الى الملا من بني اسرائيل الملا جماعة يجتمعون للتشاور ولا واحد له كالقوم ومن للتبعيض

من بعد موسى اي من بعد وفاته ومن للابتداء اذ قالوا لنبي لهم هو يوشع او شمعون او شمويل ابعث لنا ملكا نقاتل

في سبيل الله اقم لنا اميرا ننهض معه للقتال يدبر امره ونصدر فيه عن رايه وجزم نقاتل على الجواب وقرئ بالرفع على انه حال اي

ابعثه لنا مقدرين القتال ويقاتل بالياء مجزوما ومرفوعا على الجواب والوصف لملكا قال هل عسيتم ان كتب عليكم القتال

الا تقاتلوا فصل بين عسى وخبره بالشرط والمعنى اتوقع جبنكم عن القتال ان كتب عليكم فادخل هل على فعل التوقع مستفهما

عما هو المتوقع عنده تقريرا وتثبيتا وقرا نافع عسيتم بكسر السين قالوا وما لنا الا نقاتل في سبيل الله وقد اخرجنا من ديارنا

وابنائنا اي واي غرض لنا في ترك القتال وقد عرض لنا ما يوجبه ويحث عليه من الاخراج عن الاوطان والافراد عن الاولاد وذلك ان

جالوت ومن معه من العمالقة كانوا يسكنون ساحل بحر الروم بين مصر وفلسطين فظهروا على بني اسرائيل فاخذوا ديارهم وسبوا

اولادهم واسروا من ابناء الملوك اربعمائة واربعين فلما كتب عليهم القتال تولوا الا قليلا منهم ثلثمائة وثلثة عشر بعدد

اهل بدر والله عليم بالظالمين وعيد لهم على ظلمهم في ترك الجهاد وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا طالوت

علم عبري كداود وجعله فعلوتا من الطول يدفعه منع صرفه روي ان نبيهم عليه السلام لما دعا الله ان يملكهم اتي بعصا

يقاس بها من يملك عليهم فلم يساوها الا طالوت قالوا انى يكون له الملك علينا ونحن احق بالملك منه ولم يؤت

سعة من المال والحال انا احق منه بالملك وراثة ومكنة وانه فقير لا مال له ليعتضد به وانما قالوا ذلك لان طالوت كان فقيرا راعيا او سقاء او

دباغا من اولاد بنيامين ولم يكن فيهم النبوة والملك وانما كانت النبوة في اولاد لاوي بن يعقوب والملك في اولاد يهوذا وكان فيهم من السبطين خلق كثير قال ان

الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم والله يؤتي ملكه من يشاء والله واسع عليم لما استبعدوا تملكه لفقره وسقوط

نسبه رد عليهم ذلك اولا بان العمدة فيه اصطفاء الله وقد اختاره عليكم وهو اعلم بالمصالح منكم وثانيا بان الشرط فيه وفور العلم ليتمكن به من معرفة

الامور السياسية وجسامة البدن ليكون اعظم خطرا في القلوب واقوى على مقاومة العدو ومكابدة الحروب لا ما ذكرتم وقد زاده الله فيهما وكان الرجل القائم

او من اجابوه وقوّ بها صبراً وثقة والله مع الصابرين بالنصر والاثابة ولما برزوا لجالوت وجنوده اي ظهروا لهم ودنوا منهم
قالوا ربنا افرغ علينا صبراً وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين التجؤا الى الله بالدعاء وفيه ترتيب بليغ اذ سألوا اولاً افراغ
الصبر في قلوبهم الذي هو ملاك الامر ثم ثبات القدم في مداحض الحرب المسبب عنه ثم النصر على العدو المرتب عليهما غالباً فهزموهم باذن الله
فكسروهم بنصره او مصاحبين لنصره اياهم اجابة لدعائهم وقتل داود جالوت قيل كان ايشى ابو داود في عسكر طالوت مع ستة من بنيه و
كان داود سابعهم وكان صغيراً يرعى الغنم فاوحى الله الى نبيهم انه الذي يقتل جالوت فطلبه من ابيه فجاء وقد كلمه في الطريق ثلاثة
احجار وقالت انك بنا تقتل جالوت فحملها في مخلاته ورماه بها فقتله ثم زوجه طالوت بنته وآتاه الله الملك اي ملك بني اسرائيل
ولم يجتمعوا قبل داود على ملك والحكمة النبوة وعلمه مما يشاء كالسرد وكلام الدواب والطير ولولا دفع الله الناس بعضهم
ببعض لفسدت الارض ولكن الله ذو فضل على العالمين ولولا انه تعالى يدفع بعض الناس ببعض وينصر المسلمين على الكفار ويكف
بهم فسادهم لغلبوا وافسدوا في الارض او لفسدت الارض بشؤمهم وقرأ نافع هنا وفي الحج دفاع الله تلك آيات الله اشارة الى ما قص
من حديث الالوف وتمليك طالوت واتيان التابوت وانهزام الجبابرة وقتل داود جالوت نتلوها عليك بالحق بالوجه المطابق الذي لا يشك فيه
اهل الكتاب وارباب التواريخ وانك لمن المرسلين لما اخبرت بها من غير تعرف واستماع تلك الرسل اشارة الى الجماعة المذكورة قصصها
في السورة او المعلومة للرسول او جماعة الرسل واللام للاستغراق فضلنا بعضهم على بعض بان خصصناه بمنقبة ليست لغيره منهم من
كلم الله تفصيل له وهو موسى وقيل موسى ومحمد عليهما السلام كلم موسى ليلة الحيرة وفي الطور ومحمداً ليلة المعراج حين كان قاب قوسين او ادنى وبينهما
بون بعيد وقرئ كلم الله وكالم الله بالنصب فانه كلم الله كما ان الله كلمه ولذلك قيل كليم الله بمعنى مكالمه ورفع بعضهم درجات بان
فضله على غيره من وجوه متعددة او بمراتب متباعدة وهو محمد صلى الله عليه وسلم فانه خص بالدعوة العامة والحجج المتكاثرة والمعجزات المستمرة والآيات
المتعاقبة بتعاقب الدهر والفضائل العلمية والعملية الفائتة للحصر والابهام لتفخيم شأنه كأنه العلم المتعين لهذا الوصف المستغني عن التعيين وقيل ابراهيم
خصصه بالخلة التي هي اعلى المراتب وقيل ادريس لقوله ورفعناه مكاناً علياً وقيل اولو العزم من الرسل وآتينا عيسى ابن مريم البينات و
ايدناه بروح القدس خصه بالتعيين لافراط اليهود والنصارى في تحقيره وتعظيمه وجعل معجزاته سبب تفضيله لانها آيات واضحة ومعجزات عظيمة لم يستجمعها
غيره ولو شاء الله هدى الناس جميعاً ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد الرسل من بعد ما جاءتهم البينات المعجزات الواضحة لاختلافهم في الدين وتضليل
بعضهم بعضاً ولكن اختلفوا فمنهم من آمن بتوفيقه التزام دين الانبياء تفضلاً ومنهم من كفر لاعراضه عنه بخذلانه ولو شاء الله ما
اقتتلوا كرره للتأكيد ولكن الله يفعل ما يريد فيوفق من يشاء فضلاً ويخذل من يشاء عدلاً والآية دليل على ان الانبياء متفاوتة
الاقدام وانه يجوز تفضيل بعضهم على بعض ولكن بقاطع لان اعتبار الظن فيما يتعلق بالعمل وان الحوادث بيد الله تعالى تابعة لمشيئته خيراً كان او شراً
ايماناً او كفراً يا ايها الذين آمنوا انفقوا مما رزقناكم ما اوجبت عليكم انفاقه من قبل ان يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة
من قبل ان يأتي يوم لا تقدرون على تدارك ما فرطتم والخلاص من عذابه اذ لا بيع فيه فتحصلون ما تنفقونه او تفتدون به من العذاب
ولا خلة حتى يعينكم عليه اخلاؤكم او يسامحوكم به ولا شفاعة الا لمن اذن له الرحمن ورضي له قولاً حتى تتكلوا على شفعاء تشفع لكم في حط
ما في ذممكم وانما رفعت ثلاثتها مع قصد التعميم لانها في التقدير جواب هل فيه بيع او خلة او شفاعة وقد فتحها ابن كثير وابو عمرو و
يعقوب على الاصل والكافرون هم الظالمون يريد والتاركون للزكاة هم الظالمون الذين ظلموا انفسهم او وضعوا المال في غير موضعه وصرفوه على

تميز الايمان من الكفر بالايات الواضحة ودلت الدلائل على ان الايمان رشد يوصل الى السعادة الابدية والكفر غي يؤدي الى الشقاوة السرمدية

والعاقل متى تبين له ذلك بادرت نفسه الى الايمان طلبا للفوز بالسعادة والنجاة ولم يحتج الى الاكراه والالجاء وقيل اخبار في معنى النهي اي

لا تكرهوا في الدين وهو اما عام منسوخ بقوله جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم او خاص باهل الكتاب لما روي ان انصاريا كان له ابنان

تنصرا قبل البعث ثم قدما المدينة فلزمهما ابوهما وقال والله لا ادعكما حتى تسلما فابيا فاختصموا الى رسول الله فنزلت فمن يكفر بالطاغوت

بالشيطان او الاصنام او كل ما عبد من دون الله او صد عن عبادة الله فعلوت من الطغيان قلبت عينه ولامه ويؤمن بالله بالتوحيد

وتصديق الرسل فقد استمسك بالعروة الوثقى طلب الامساك من نفسه بالعروة الوثقى من الحبل الوثيق وهي مستعار للمتمسك المحق

من النظر الصحيح والراي القويم لا انفصام لها لا انقطاع لها يقال فصمته فانفصم اذا كسرته والله سميع بالاقوال عليم بالنيات ولعله تهديد على

النفاق الله ولي الذين آمنوا محبهم او متولي امرهم والمراد بهم من اراد ايمانه وثبت في علمه انه يؤمن يخرجهم بهدايته وتوفيقه من الظلمات

ظلمات الجهل واتباع الهوى وقبول الوساوس والشبه المؤدية الى الكفر الى النور الى الهدى الموصل الى الايمان والجملة خبر بعد خبر او حال من المستكن في الخبر

او من الموصول او منهما او استيناف مبين او مقرر للولاية والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت اي الشياطين او المضلات من الهوى والشيطان وغيرهما

يخرجونهم من النور الى الظلمات من النور الذي منحوه بالفطرة الى الكفر وفساد الاستعداد او من نور البينات الى ظلمات الشكوك

والشبهات وقيل نزلت في قوم ارتدوا عن الاسلام واسناد الاخراج الى الطاغوت باعتبار التسبب لا يابى تعلق قدرته تعالى وارادته به اولئك اصحاب

النار هم فيها خالدون وعيد وتحذير ولعل عدم مقابلته بوعد المؤمنين تعظيم لشانهم الم تر الى الذي حاج ابراهيم في ربه تعجيب من محاجة

نمرود وحماقته ان آتاه الله الملك لان آتاه اي ابطره ايتاء الملك وحمله على المحاجة او حاج لاجله شكرا له على طريقة العكس كقولك

عاديتني لاني احسنت اليك او وقت ان آتاه الله الملك وهو حجة على من منع ايتاء الله الملك الكافر من المعتزلة اذ قال ابراهيم ظرف

لحاج او بدل من آتاه على الوجه الثاني ربي الذي يحيي ويميت بخلق الحياة والموت في الاجساد وقرا حمزة رب بحذف الياء قال انا احيي

واميت بالعفو عن القتل والقتل وقرا نافع انا بالالف قال ابراهيم فان الله ياتي بالشمس من المشرق فات بها من المغرب اعرض ابراهيم

عن الاعتراض على معارضته الفاسدة الى الاحتجاج بما لا يقدر فيه على نحو هذا التمويه دفعا للمشاغبة وهو في الحقيقة عدول عن مثال خفي الى مثال

جلي من مقدوراته التي يعجز عن الاتيان بها غيره لا عن حجة الى اخرى ولعل نمرود زعم انه يقدر ان يفعل كل جنس يفعله الله فنقضه ابراهيم بذلك وانما

حمله عليه بطر الملك وحماقته او اعتقاد الحلول وقيل لما كسر ابراهيم الاصنام سجنه اياما ثم اخرجه ليحرقه فقال من ربك الذي تدعو اليه وحاجه فيه

فبهت الذي كفر فصار مبهوتا وقرئ فبهت اي فغلب ابراهيم الكافر والله لا يهدي القوم الظالمين الذين ظلموا انفسهم بالامتناع عن

قبول الهداية وقيل لا يهديهم محجة الاحتجاج او سبيل النجاة او طريق الجنة يوم القيامة او كالذي مر على قرية تقديره او ارايت مثل

الذي فحذف لدلالة الم تر عليه وتخصيصه بحرف التشبيه لان المنكر للاحياء كثير والجاهل بكيفيته اكثر من ان يحصى بخلاف مدعي الربوبية

وقيل الكاف مزيدة وتقدير الكلام الم تر الى الذي حاج او الذي مر وقيل انه عطف محمول على المعنى كانه قيل الم تر كالذي حاج او كالذي مر وقيل انه

من كلام ابراهيم عليه السلام ذكره جوابا لمعارضته وتقديره او ان كنت تحيي فاحي كاحياء الله الذي مر وهو عزير بن شرخيا او الخضر او كافر بالبعث ويؤيده

نظمه مع نمرود والقرية بيت المقدس حين خربه بختنصر وقيل القرية التي خرج منها الالوف وقيل غيرهما واشتقاقها من القري وهو الجمع وهي خاوية

على عروشها خالية ساقطة حيطانها على سقوفها قال انى يحيي هذه الله بعد موتها اعترافا بالقصور عن معرفة طريق الاحياء واستعظاما

في دعائه من اعمية العقل والشرع ذكره لك شاهدا على فضل ابراهيم ويمن الضراعة في الدعاء وحسن الادب في السؤال انه تعالى اراه ما اراد
ان يريه في الحال على ايسر الوجوه واراه عزيرا بعد ان اماته مائة عام واعلم ان الله عزيز لا يعجز عما يريده حكيم ذو حكمة بالغة في كل ما
يفعله ويذره مثل الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله كمثل حبة اي مثل نفقتهم كمثل حبة او مثلهم كمثل باذر حبة على حذف المضاف
انبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة اسند الانبات الى الحبة لما كانت من الاسباب كما يسند الى الارض والماء والمنبت على
الحقيقة هو الله تعالى والمعنى انه يخرج منها ساق يتشعب منها سبع شعب لكل منها سنبلة فيها مائة حبة وهو تمثيل لا يقتضي
وقوعه وقد يكون في الذرة والدخن وفي البر في الاراضي المغلة والله يضاعف تلك المضاعفة لمن يشاء بفضله وعلى حسب
حال المنفق من اخلاصه وتعبه ومن اجله تفاوتت الاعمال في مقادير الثواب والله واسع لا يضيق عليه ما يتفضل به من الزيادة
عليم بنية المنفق وقدر انفاقه الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما انفقوا منا ولا اذى نزلت في عثمان فانه جهز
جيش العسرة بالف بعير باقتابها واحلاسها وعبد الرحمن بن عوف فانه اتى النبي صلى الله عليه وسلم باربعة آلاف درهم صدقة والمن
ان يعتد باحسانه على من احسن اليه والاذى ان يتطاول عليه بسبب ما انعم عليه وثم للتفاوت بين الانفاق وترك المن والاذى لهم اجرهم
عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون لعله لم يدخل الفاء فيه وقد تضمن ما اسند اليه معنى الشرط ايهاما بانهم اهل لذلك
وان لم يفعلوا فكيف بهم اذا فعلوا قول معروف رد جميل ومغفرة وتجاوز عن السائل والحاجة او نيل مغفرة من الله بالرد الجميل
او عفو من السائل بان يعذره ويغتفر رده خير من صدقة يتبعها اذى خبر عنهما وانما صح الابتداء بالنكرة لاختصاصها بالصفة والله
غني عن انفاق بمن وايذاء حليم عن معاجلة من يمن ويؤذي بالعقوبة يا ايها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى لا تحبطوا اجرها
بكل واحد منهما كالذي ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر كابطال المنافق الذي يرائي بانفاقه ولا يريد به رضا الله ولا
ثواب الآخرة او مماثلين الذي ينفق رئاء فالكاف في محل النصب على المصدر او الحال ورئاء نصب على المفعول له او الحال بمعنى مرائيا او
على انفاقا رئاء فمثله كمثل صفوان كمثل حجر املس عليه تراب فاصابه وابل مطر عظيم القطر فتركه
صلدا املس نقيا من التراب لا يقدرون على شيء مما كسبوا لا ينتفعون بما فعلوا رئاء ولا يجدون ثوابه والضمير للذي ينفق باعتبار المعنى
لان المراد به الجنس او الجمع كما في قوله وان الذي حانت بفلج دماؤهم والله لا يهدي القوم الكافرين الى الخير والرشاد وفيه تعريض بان الرياء والمن
والاذى على الانفاق من صفة الكفار ولا بد للمؤمن ان يتجنب عنها ومثل الذين ينفقون اموالهم ابتغاء مرضات الله وتثبيتا من انفسهم وتثبيت
بعض انفسهم على الايمان فان المال شقيق الروح فمن بذل ماله لوجه الله ثبت بعض نفسه ومن بذل ماله وروحه ثبتها
كلها او تصديقا للاسلام وتحقيقا للجزاء مبتدءا من اصل انفسهم وفيه تنبيه على ان حكمة الانفاق للمنفق تزكية
النفس عن البخل وحب المال كمثل جنة بربوة اي ومثل نفقة هؤلاء في الزكاء كمثل بستان بموضع مرتفع فان شجره يكون
احسن منظرا وازكى ثمرا وقرأ ابن عامر وعاصم بربوة بالفتح وقرئ بالكسر وثلاثتها لغات فيها اصابها وابل مطر عظيم القطر
فآتت اكلها ثمرتها وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو بالسكون للتخفيف ضعفين مثلي ما كانت تثمر بسبب الوابل والمراد بالضعف المثل
كما اريد بالزوج الواحد في قوله من كل زوجين اثنين وقيل اربعة امثاله ونصبه على الحال اي مضاعفا فان لم
يصبها وابل فطل اي فيصيبها او فالذي يصيبها طل او فطل يكفيها لكرم منبتها وبرودة هوائها لارتفاع مكانها وهو المطر الصغير

ولا يوفون بالنذر من أنصار من ينصرهم من الله ويمنعهم من عقابه إن تبدوا الصدقات فنعما هي فنعم شيئا إبداؤها وقرأ ابن عامر

وحمزة والكسائي بفتح النون وكسر العين على الأصل وقرأ أبو عمرو وأبو بكر وقالون بكسر النون وسكون العين وروي عنهم بكسر

النون وإخفاء حركة العين وهو أقيس وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء أي تعطوها مع الإخفاء فهو خير لكم فالإخفاء خير لكم وهذا

في التطوع ولمن لم يعرف بالمال فإن إبداء الفرض لغيره أفضل لنفي التهمة عن ابن عباس رضي الله عنهما صدقة السر في التطوع تفضل علانيتها سبعين ضعفا

وصدقة الفريضة علانيتها أفضل من سرها بخمسة وعشرين ضعفا ويكفر عنكم من سيئاتكم قرأ ابن عامر وعاصم في رواية

حفص بالياء أي والله يكفر أو الإخفاء وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم في رواية ابن عياش ويعقوب بالنون مرفوعا على أنه جملة فعلية مبتدأة أو

اسمية معطوفة على ما بعد الفاء أي ونحن نكفر وقرأ نافع وحمزة والكسائي به مجزوما على محل الفاء وما بعده وقرئ بالتاء مرفوعا ومجزوما

والفعل للصدقات والله بما تعملون خبير ترغيب في الإسرار ليس عليك هداهم لا يجب عليك أن تجعل الناس مهديين وإنما

عليك الإرشاد والحث على المحاسن والنهي عن القبائح كالمن والأذى وإنفاق الخبيث ولكن الله يهدي من يشاء صريح بأن

الهداية من الله وبمشيئته وأنها تخص بقوم دون قوم وما تنفقوا من خير من نفقة معروفة فلأنفسكم فهو لأنفسكم لا ينتفع به غيركم

فلا تمنوا عليه ولا تنفقوا الخبيث وما تنفقون إلا ابتغاء وجه الله حال وكأنه قال وما تنفقوا من خير لأنفسكم غير منفقين إلا ابتغاء

وجه الله وطلب ثوابه أو عطف على ما قبله أي وليس نفقتكم إلا لابتغاء وجهه فما لكم تمنون بها وتنفقون الخبيث وقيل نفي في معنى النهي وما

تنفقوا من خير يوف إليكم ثوابه أضعافا مضاعفة فهو تأكيد للشرطية السابقة أو ما يخلف المنفق استجابة لقوله عليه السلام اللهم اجعل لمنفق خلفا ولممسك تلفا

روي أن ناسا من المسلمين كانت لهم أصهار ورضاع في اليهود وكانوا ينفقون عليهم فكرهوا لما أسلموا أن ينفقوهم فنزلت وهذا في غير الواجب أما الواجب فلا يجوز صرفه إلى

الكفار وأنتم لا تظلمون أي لا تنقصون ثواب نفقتكم للفقراء متعلق بمحذوف أي اعمدوا للفقراء أو اجعلوا ما تنفقونه للفقراء أو صدقاتكم

للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله أحصرهم الجهاد لا يستطيعون لاشتغالهم به ضربا في الأرض ذهابا فيها للكسب وقيل هم أهل الصفة كانوا

نحوا من أربعمائة من فقراء المهاجرين يسكنون صفة المسجد يستغرقون أوقاتهم بالتعلم والعبادة وكانوا يخرجون في كل سرية بعثها رسول الله صلى الله عليه وسلم يحسبهم الجاهل بحالهم

أغنياء من التعفف من أجل تعففهم عن السؤال تعرفهم بسيماهم من الضعف ورثاثة الحال والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم أو لكل أحد لا يسألون

الناس إلحافا إلحاحا وهو أن يلازم المسؤول حتى يعطيه من قولهم لحفني من فضل لحافه أي أعطاني من فضل ما عنده والمعنى أنهم لا يسألون وإن سألوا عن ضرورة لم يلحوا وقيل هو نفي

للأمرين كقوله على لاحب لا يهتدى بمناره ونصبه على المصدر فإنه كنوع من السؤال أو على الحال وما تنفقوا من خير فإن الله به عليم ترغيب في الإنفاق وخصوصا على هؤلاء

الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية أي يعمون الأوقات والأحوال بالخير نزلت في أبي بكر حين تصدق بأربعين ألف دينار عشرة بالليل وعشرة بالنهار

وعشرة بالسر وعشرة بالعلانية وقيل في علي لم يملك إلا أربعة دراهم فتصدق بدرهم ليلا ودرهم نهارا ودرهم سرا ودرهم علانية وقيل في ربط الخيل في سبيل الله والإنفاق عليها فلهم أجرهم عند

ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون خبر الذين ينفقون والفاء للسببية وقيل للعطف والخبر محذوف أي ومنهم الذين ولذلك جوز الوقف على وعلانية الذين يأكلون الربا أي

الآخذون له وإنما ذكر الأكل لأنه أعظم منافع المال ولأن الربا شائع في المطعومات وهو زيادة في الأجل بأن يباع مطعوم بمطعوم أو نقد بنقد إلى

أجل أو في العوض بأن يباع أحدهما بأكثر منه من جنسه وإنما كتب بالواو كالصلوة للتفخيم على لغة وزيدت الألف بعدها تشبيها بواو الجمع لا يقومون إذا بعثوا من قبورهم إلا كما يقوم

الذي يتخبطه الشيطان إلا قياما كقيام المصروع وهو وارد على ما يزعمون أن الشيطان يخبط الإنسان فيصرع والخبط ضرب على غير اتساق كخبط العشواء من المس أي

الجنون وهذا أيضا من زعماتهم أن الجني يمسه فيختلط عقله ... وهو متعلق بلا يقومون أي لا يقومون من المس الذي بهم بسبب

امر بها بعد النهي عن الاباء عنها ويجوز ان تتعلق الكاف بالامر فيكون النهي عن الامتناع منها مطلقا ثم الامر بها مقيدة وليملل الذي عليه الحق
وليكن المملي من عليه الحق لانه المقر المشهود عليه والاملال والاملاء واحد وليتق الله ربه اي المملي او الكاتب ولا يبخس ولا ينقص منه شيئا اي من الحق او مما
املى عليه فان كان الذي عليه الحق سفيها ناقص العقل مبذرا او ضعيفا صبيا او شيخا مختلا او لا يستطيع ان يمل هو او غير مستطيع
للاملاء بنفسه لخرس او جهل باللغة فليملل وليه بالعدل اي الذي يلي امره ويقوم مقامه من قيم ان كان صبيا او مختل عقل او وكيل او
مترجم ان كان غير مستطيع وهو دليل جريان النيابة في الاقرار ولعله مخصوص بما تعاطاه القيم او الوكيل واستشهدوا شهيدين واطلبوا ان يشهد
على الدين شاهدان من رجالكم من رجال المسلمين وهو دليل اشتراط اسلام الشهود واليه ذهب عامة العلماء وقال ابو حنيفة تقبل شهادة
الكفار بعضهم على بعض فان لم يكونا رجلين فان لم يكن الشهيدان رجلين فرجل وامرأتان فليشهد او فالمستشهد رجل وامرأتان وهذا
مخصوص بالاموال عندنا وبما عدا الحدود والقصاص عند ابي حنيفة ممن ترضون من الشهداء لعلمكم بعدالتهم ان تضل احداهما فتذكر احداهما الاخرى
علة اعتبار العدد اي لاجل ان احداهما ان ضلت الشهادة بان نسيتها ذكرتها الاخرى والعلة في الحقيقة التذكير ولكن لما كان الضلال سببا له نزل منزلته كقولهم اعددت
السلاح ان يجيء عدو فادفعه وكانه قيل ارادة ان تذكر احداهما الاخرى ان ضلت وفيه اشعار بنقصان عقلهن وقلة ضبطهن وقرأ حمزة ان تضل على الشرط
فتذكر بالرفع وابن كثير وابو عمرو ويعقوب فتذكر من الاذكار ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا لاداء الشهادة او التحمل وسموا شهداء تنزيلا لما
يشارف منزلة الواقع وما مزيدة ولا تسأموا ان تكتبوه ولا تملوا من كثرة مداينتكم ان تكتبوا الدين او الحق او الكتاب وقيل كنى بالسأم عن الكسل لانه صفة
المنافق ولذلك قال عليه السلام لا يقول المؤمن كسلت صغيرا او كبيرا صغيرا كان الحق او كبيرا او مختصرا كان الكتاب او مشبعا الى اجله الى وقت حلوله الذي اقر به
المديون ذلكم اشارة الى ان تكتبوه اقسط عند الله اكثر قسطا واقوم للشهادة واثبت لها واعون على اقامتها وهما مبنيان من اقسط واقام
على غير قياس او من قاسط بمعنى ذي قسط وقويم وانما صحت الواو في اقوم كما صحت في التعجب لجموده وادنى ألا ترتابوا واقرب في ان لا تشكوا في جنس الدين وقدره
واجله والشهود ونحو ذلك الا ان تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم فليس عليكم جناح الا تكتبوها استثناء عن الامر بالكتابة والتجارة الحاضرة
تعم المبايعة بدين او عين وادارتها بينهم تعاطيهم اياها يدا بيد اي الا ان تتبايعوا يدا بيد فلا بأس ان لا تكتبوا لبعده عن التنازع والنسيان ونصب عاصم
تجارة على انه الخبر والاسم مضمر تقديره الا ان تكون التجارة تجارة حاضرة كقوله بني اسد هل تعلمون بلاءنا اذا كان يوما ذا كواكب اشنعا ورفعها الباقون على انها الاسم
والخبر تديرونها او على كان التامة واشهدوا اذا تبايعتم هذا التبايع او مطلقا لانه احوط والاوامر التي في هذه الاية للاستحباب عند اكثر الائمة وقيل
انها للوجوب ثم اختلف في احكامها ونسخها ولا يضار كاتب ولا شهيد يحتمل البناءين ويدل عليه انه قرئ ولا يضارر بالكسر والفتح وهو نهيهما عن ترك
الاجابة والتحريف والتغيير في الكتبة والشهادة او النهي عن الضرار بهما مثل ان يعجلا عن مهم ويكلفا الخروج عما حد لهما ولا يعطى الكاتب جعله والشهيد مؤنة مجيئه حيث كان وان
تفعلوا الضرار وما نهيتم عنه فانه فسوق بكم خروج عن الطاعة لاحق بكم واتقوا الله في مخالفة امره ونهيه ويعلمكم الله احكامه المتضمنة لمصالحكم والله
بكل شيء عليم كرر لفظة الله في الجمل الثلاث لاستقلالها فان الاولى حث على التقوى والثانية وعد بانعامه والثالثة تعظيم لشأنه ولانه ادخل في التعظيم من الكناية
وان كنتم على سفر اي مسافرين ولم تجدوا كاتبا فرهان مقبوضة فالذي يستوثق به رهان او فعليكم رهان او فليؤخذ رهان وليس هذا التعليق لاشتراط السفر في
الارتهان كما ظنه مجاهد والضحاك لانه عليه السلام رهن درعه في المدينة من يهودي على عشرين صاعا من شعير اخذه لاهله بل لاقامة التوثق بالارتهان مقام التوثق بالكتب في السفر الذي هو
مظنة اعوازه والجمهور على اعتبار القبض فيه غير مالك وقرأ ابن كثير وابو عمرو فرهن كسقف وكلاهما جمع رهن بمعنى مرهون وقرئ باسكان الهاء على التخفيف
فان امن بعضكم بعضا اي بعض الدائنين بعض المديونين واستغنى بامانته عن الارتهان فليؤد الذي اؤتمن امانته اي دينه سماه امانة لائتمانه عليه بترك

سورة آل عمران مدنية وآيها مائتان

بسم الله الرحمن الرحيم

الم الله لا إله إلا هو إنما فتح الميم في المشهور وكان حقها أن يوقف عليها لالقاء حركة الهمزة عليها ليدل على أنها في حكم الثابت لأنها
أسقطت للتخفيف لا للدرج فإن الميم في حكم الوقف كقولهم واحد اثنان لا لالتقاء الساكنين فإنه غير محذور في باب الوقف ولذلك
لم يحرك في لام وقرئ بكسرها على توهم التحريك لالتقاء الساكنين وقرأ أبو بكر بسكونها والابتداء بما بعدها على الأصل الحي القيوم روي أنه
عليه السلام قال إن اسم الله الأعظم في ثلث سور في البقرة الله لا إله إلا هو الحي القيوم وفي آل عمران الله لا إله إلا هو الحي القيوم وفي
طه وعنت الوجوه للحي القيوم نزل عليك الكتاب القرآن نجوما بالحق بالعدل أو بالصدق في أخباره أو بالحجج المحققة أنه من
عند الله وهو في موضع الحال مصدقا لما بين يديه من الكتب وأنزل التوراة والإنجيل جملة على موسى وعيسى
واشتقاقهما من الوري والنجل ووزنهما بتفعلة وإفعيل تعسف لأنهما أعجميان ويؤيد ذلك أنه قرئ الأنجيل بفتح
الهمزة وهو ليس من أبنية العرب وقرأ أبو عمرو وابن ذكوان والكسائي التوراة بالإمالة في جميع القرآن وحمزة ونافع بين
اللفظين إلا قالون فإنه يقرأ بالفتح كقراءة الباقين من قبل من قبل تنزيل القرآن هدى للناس على العموم إن قلنا إنا متعبدون
بشرع من قبلنا وإلا فالمراد به قوم موسى وعيسى وأنزل الفرقان يريد به جنس الكتب الإلهية فإنها فارقة بين الحق والباطل ذكر ذلك بعد ذكر الكتب
الثلاثة ليعم ما عداها كأنه قال وأنزل سائر ما يفرق به بين الحق والباطل أو الزبور أو القرآن وكرر ذكره بما هو نعت له مدحا
وتعظيما وإظهارا لفضله من حيث إنه يشاركهما في كونه وحيا منزلا ويتميز بأنه معجز يفرق به بين المحق والمبطل أو المعجزات إن الذين
كفروا بآيات الله من كتبه المنزلة وغيرها لهم عذاب شديد بسبب كفرهم والله عزيز غالب لا يمنع من التعذيب ذو انتقام
لا يقدر على مثله منتقم والنقمة عقوبة المجرم والفعل منه نقم بالفتح والكسر وهو وعيد جيء به بعد تقرير التوحيد والإشارة
إلى ما هو العمدة في إثبات النبوة تعظيما للأمر وزجرا عن الإعراض عنه إن الله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء أي شيء كائن
في العالم كليا كان أو جزئيا إيمانا أو كفرا فعبر عنه بالسماء والأرض إذ الحس لا يتجاوزهما وإنما قدم الأرض ترقيا من الأدنى إلى الأعلى ولأن
المقصود بالذكر ما اقترف فيها وهو كالدليل على كونه حيا وقوله هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء أي من الصور المختلفة
كالدليل على القيومية والاستدلال على أنه عالم بإتقان فعله في خلق الجنين وتصويره وقرئ تصوركم أي صوركم لنفسه وعبادته
لا إله إلا هو إذ لا يعلم غيره جملة ما يعلمه ولا يقدر على مثل ما يفعله العزيز الحكيم إشارة إلى كمال قدرته وتناهي حكمته
قيل هذا حجاج على من زعم أن عيسى كان ربا فإن وفد نجران لما حاجوا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم نزلت السورة من أولها إلى نيف
وثمانين آية تقريرا لما احتج به عليهم وأجاب عن شبههم هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات أحكمت عبارتها بأن حفظت من
الاحتمال والاشتباه هن أم الكتاب أصله يرد إليها غيرها والقياس أمهات فأفرد على تأويل كل واحدة أو على أن الكل بمنزلة آية واحدة وأخر
متشابهات محتملات لا يتضح مقصودها لإجمال أو مخالفة ظاهر إلا بالفحص والنظر ليظهر فيها فضل العلماء ويزداد حرصهم على أن
يجتهدوا في تدبرها وتحصيل العلوم المتوقف عليها استنباط المراد بها فينالوا بها وبإتعاب القرائح في استخراج معانيها والتوفيق بينها
وبين المحكمات معالي الدرجات وأما قوله الر كتاب أحكمت آياته فمعناه أنها حفظت من فساد المعنى وركاكة اللفظ وقوله كتابا متشابها

بالحرب لئن قاتلتنا لتعلمن انا نحن الناس فنزلت وقد صدق الله وعده بقتل بني قريظة واجلاء بني النضير وفتح خيبر وضرب الجزية
على من عداهم وهو من دلائل النبوة وقرأ حمزة والكسائي بالياء فيهما على ان الامر بان يحكي لهم ما اخبره به من وعيدهم بلفظه
وبئس المهاد تمام ما يقال لهم او استئناف وتقديره بئس المهاد جهنم او ما مهدوه لانفسهم قد كان لكم آية الخطاب لقريش او لليهود
وقيل للمؤمنين في فئتين التقتا يوم بدر فئة تقاتل في سبيل الله واخرى كافرة يرونهم مثليهم يرى المشركون المؤمنين مثلي عدد
المشركين وكان قريبا من الف او مثلي عدد المسلمين وكانوا ثلاثمائة وبضعة عشر وذلك كان بعدما قللهم في اعينهم حتى اجترؤا عليهم
وتوجهوا اليهم فلما لاقوهم كثروا في اعينهم حتى غلبوا مددا من الله للمؤمنين او يرى المؤمنون المشركين مثلي المؤمنين وكانوا ثلاثة امثالهم
ليثبتوا لهم ويتيقنوا بالنصر الذي وعدهم الله به في قوله ان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين ويؤيده قراءة نافع ويعقوب
بالتاء وقرئ بهما على البناء للمفعول اي يريهم الله او يريكم ذلك بقدرته وفئة بالجر على البدل من فئتين والنصب على الاختصاص
او الحال من فاعل التقتا رأي العين رؤية ظاهرة معاينة والله يؤيد بنصره من يشاء نصره كما ايد اهل بدر ان في ذلك
اي في التقليل والتكثير او غلبة القليل عديم العدة على الكثير شاكي السلاح وكون الواقعة آية ايضا يحتملهما ويحتمل
وقوع الامر على ما اخبر به الرسول لعبرة لاولي الابصار لعظة لذوي البصائر وقيل لمن ابصرهم زين للناس حب الشهوات
اي المشتهيات سماها شهوات مبالغة وايماء على انهم انهمكوا في حبها حتى احبوا شهوتها كقوله احببت حب الخير والمزين هو الله تعالى
لانه الخالق للافعال والدواعي ولعله زينه ابتلاء او لانه يكون وسيلة الى السعادة الاخروية اذا كان على وجه يرتضيه الله
او لانه من اسباب التعيش وبقاء النوع وقيل الشيطان فان الآية في معرض الذم وفرق الجبائي بين المباح والمحرم من النساء
والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث بيان للشهوات والقنطار المال
الكثير وقيل مائة الف دينار وقيل ملء مسك ثور واختلف في انه فعلال او فنعال والمقنطرة مأخوذة منه للتأكيد كقولهم
بدرة مبدرة والمسومة المعلمة من السومة وهي العلامة او المرعية من اسام الدابة وسومها او المطهمة والانعام الابل والبقر
والغنم ذلك متاع الحيوة الدنيا اشارة الى ما ذكر والله عنده حسن المآب اي المرجع وهو تحريض على استبدال ما عنده
من اللذات الحقيقية الابدية بالشهوات المخدجة الفانية قل اؤنبئكم بخير من ذلكم يريد به تقرير ان ثواب الله خير من
مستلذات الدنيا للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها استئناف لبيان ما هو خير ويجوز
ان يتعلق اللام بخير وترتفع جنات على هو جنات ويؤيده قراءة من جرها بدلا من خير وازواج مطهرة مما يستقذر
من النساء ورضوان من الله قرأ عاصم في رواية ابي بكر في جميع القرآن بضم الراء ما خلا الحرف الثاني في المائدة وهو قوله
من اتبع رضوانه سبل السلام وهما لغتان والله بصير بالعباد اي باعمالهم فيثيب المحسن ويعاقب المسيء او باحوال الذين اتقوا فلذلك اعد لهم جنات وقد
نبه بهذه الآية على نعم عباده فادناها متاع الدنيا واعلاها رضوان الله لقوله ورضوان من الله اكبر واوسطها الجنة ونعيمها الذين
يقولون ربنا اننا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار صفة للمتقين او للعباد او مدح منصوب او مرفوع وفي ترتيب السؤال على
مجرد الايمان دليل على انه كاف في استحقاق المغفرة او الاستعداد لها الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين
والمستغفرين بالاسحار حصر لمقامات السالك على احسن ترتيب فان معاملته مع الله تعالى اما توسل واما طلب والتوسل اما

هم اهل الكتاب الذين في عصره قتل أولوهم الانبياء ومتابعيهم وهم رضوا به وقصدوا قتل النبي والمؤمنين ولكن الله
عصمهم وقد سبق مثله في سورة البقرة وقرأ حمزة ويقاتلون الذين وقد منع سيبويه ادخال الفاء في خبر ان كليت ولعل ولذلك
قيل الخبر أولئك الذين حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة كقولك زيد فافهم رجل صالح والفرق انه لا يغير معنى الابتداء
بخلافهما وما لهم من ناصرين يدفع عنهم العذاب ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب اي التورية او جنس
الكتب السماوية ومن للتبعيض او البيان وتنكير النصيب يحتمل التعظيم والتحقير يدعون إلى كتاب الله ليحكم بينهم الداعي
محمد صلى الله عليه وكتاب الله القرآن او التورية لما روي انه عليه السلام دخل مدراسهم فقال له نعيم بن عمرو والحارث
بن زيد على اي دين انت فقال صلعم على دين ابراهيم فقالا له ان ابراهيم كان يهوديا فقال هلموا الى التورية فانها بيننا وبينكم فابيا فنزلت
وقيل نزلت في الرجم وقرئ ليحكم على البناء للمفعول فيكون الاختلاف فيما بينهم وفيه دليل على ان الادلة السمعية حجة في الاصول
ثم يتولى فريق منهم استبعاد لتوليهم مع علمهم بان الرجوع اليه واجب وهم معرضون وهم قوم عادتهم الاعراض والجملة حال من فريق و
انما ساغ لتخصصه بالصفة ذلك اشارة الى التولي والاعراض بأنهم قالوا لن تمسنا النار إلا أياما معدودات بسبب تسهيلهم امر العقاب
على انفسهم لهذا الاعتقاد الزائغ والطمع الفارغ وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون من ان النار لن تمسهم الا اياما قلائل وان
اباءهم الانبياء يشفعون لهم او انه تعالى وعد يعقوب عليه السلام ان لا يعذب اولاده الا تحلة القسم فكيف إذا جمعناهم
ليوم لا ريب فيه استعظام لما يحيق بهم في الآخرة وتكذيب لقولهم لن تمسنا النار الا اياما روي ان اول راية ترفع يوم القيمة
من رايات الكفار راية اليهود فيفضحهم الله على رؤس الاشهاد ثم يأمر بهم الى النار ووفيت كل نفس ما كسبت جزاء ما كسبت
فيه دليل على ان العبادة لا تحبط وان المؤمن لا يخلد في النار لان توفية ايمانه وعمله لا تكون في النار ولا قبل دخولها فاذن
بعد الخلاص منها وهم لا يظلمون الضمير لكل نفس على المعنى لانه في معنى كل انسان قل اللهم الميم عوض عن يا ولذلك
لا يجتمعان وهو من خصائص هذا الاسم كدخولها عليه مع لام التعريف وقطع همزته وتاء القسم وقيل اصله يا الله امنا بخير فخفف
بحذف حرف النداء ومتعلقات الفعل وهمزته مالك الملك تتصرف فيما يمكن التصرف فيه تصرف الملاك وهو نداء ثان عند سيبويه
فان الميم عنده تمنع الوصفية تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء تعطي منه ما تشاء من تشاء وتسترد فالملك
الاول عام والآخران بعضان منه وقيل المراد بالملك النبوة ونزعها نقلها من قوم الى قوم وتعز من تشاء وتذل من
تشاء في الدنيا او في الآخرة او فيهما بالنصر والادبار والتوفيق والخذلان بيدك الخير انك على كل شيء قدير ذكر
الخير وحده لانه المقضي بالذات والشر مقضي بالعرض اذ لا يوجد شر جزئي ما لم يتضمن خيرا كليا او لمراعاة الادب في
الخطاب او لان الكلام وقع فيه اذ روي انه عليه السلام لما خط الخندق وقطع لكل عشرة اربعين ذراعا واخذوا
يحفرون فظهر فيه صخرة عظيمة لم تعمل فيها المعاول فوجهوا سلمان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبره فجاء فاخذ المعول منه
فضربها ضربة صدعتها وبرق منها برق اضاء ما بين لابتيها لكأن مصباحا في جوف بيت مظلم فكبر وكبر معه المسلمون وقال
اضاءت لي منها قصور الحيرة كانها انياب الكلاب ثم ضرب الثانية فقال اضاءت لي منها القصور الحمر من ارض الروم ثم ضرب الثالثة
فقال اضاءت لي قصور صنعاء واخبرني جبريل ان امتي ظاهرة على كلها فابشروا فقال المنافقون الا تعجبون يمنيكم

يقربكم من جنابه عزّ وبوّأكم في جوار قدسه عبّر عن ذلك بالمحبة على طريق الاستعارة او المقابلة والله غفور رحيم لمن تحبّب اليه
بطاعته واتباع نبيه روي انها نزلت لما قالت اليهود نحن ابناء الله واحباؤه وقيل نزلت في وفد نجران لما قالوا انما نعبد المسيح
حبا لله وقيل في اقوام زعموا على عهده عليه السلام انهم يحبون الله فأمروا ان يجعلوا لقولهم تصديقا من العمل قل اطيعوا الله
والرسول فان تولوا يحتمل المضي والمضارع بمعنى فان تتولوا فان الله لا يحب الكافرين لا يرضى عنهم ولا يثني عليهم وانما لم يقل
لا يحبهم لقصد العموم والدلالة على ان التولي كفر وانه من هذه الحيثية ينفي محبة الله وان محبته مخصوصة بالمؤمنين ان الله
اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين بالرسالة والخصائص الروحانية والجسمانية ولذلك قووا على ما لم
يقو عليه غيرهم لما اوجب طاعة الرسل وبين انها الجالبة لمحبة الله عقّب ذلك ببيان مناقبهم تحريضا عليها وبه استدل على
فضلهم على الملائكة وآل ابراهيم اسمعيل واسحق واولادهما وقد دخل فيهم الرسول صلى الله عليه وسلم وآل عمران موسى وهرون ابنا
عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب او عيسى وامه مريم بنت عمران بن ماثان بن العازر بن ابي يوذ بن يوزن بن زربابل بن ساليان بن يوحنا بن اوشيا
ابن امون بن منشكن بن حازقا بن احاز بن يوثام بن عزريا بن يورام بن ساقط بن ايشا بن راجعيم بن سليمان بن داود بن ايشي بن عويد
بن سلمون بن باعز بن نحشون بن عمياذب بن رام بن حصرون بن فارص بن يهوذا بن يعقوب وكان بين العمرانين الف وثمانمائة سنة
ذرية بعضها من بعض حال او بدل من الآلين او منهما ومن نوح اي انهم ذرية واحدة متشعبة بعضها من بعض وقيل
بعضها من بعض في الدين والذرية الولد يقع على الواحد والجمع فعلية من الذر او فعولة من الذرء ابدلت همزتها
ياء ثم قلبت الواو ياء وادغمت والله سميع عليم باقوال الناس واعمالهم فيصطفي من كان مستقيم القول والعمل او سميع
بقول امرأة عمران عليم بنيتها اذ قالت امرأت عمران رب اني نذرت لك ما في بطني فينتصب به وقيل باضمار اذكر وهذه
حنة بنت فاقوذا جدة عيسى وكانت لعمران بن يصهر بنت اسمها مريم اكبر من هرون فظن ان المراد زوجته ويرده كفالة زكريا
فانه كان معاصرا لابن ماثان وتزوج بنته ايشاع وكان يحيى وعيسى ابني خالة من الاب روي انها كانت عاقرا عجوزا فبينا
هي في ظل شجرة اذ رأت طائرا يطعم فرخه فحنت الى الولد وتمنته فقالت اللهم ان لك علي نذرا ان رزقتني ولدا ان اتصدق به
على بيت المقدس فيكون من خدمه فحملت بمريم وهلك عمران وكان هذا النذر مشروعا في عهدهم في الغلمان فلعلها بنت الامر
على التقدير او طلبت ذكرا محررا معتقا لخدمته لا اشغله بشيء او مخلصا للعبادة ونصبه على الحال فتقبل مني انك انت
السميع العليم لقولي ونيتي فلما وضعتها قالت رب اني وضعتها انثى الضمير لما في بطنها وتأنيثه لانه كان انثى وجاز انتصاب انثى
حالا عنه لان تأنيثها علم منه فان الحال وصاحبها بالذات واحد او على تأويل مؤنث كالنفس والجبلة وانما قالته تحسرا وتحزنا الى ربها
لانها كانت ترجو ان تلد ذكرا ولذلك نذرت تحريره والله اعلم بما وضعت اي بالشيء الذي وضعت وهو استئناف من الله تعالى تعظيما
لموضوعها وتجهيلا لها بشأنها وقرأ ابن عامر وابو بكر عن عاصم ويعقوب وضعتُ على انه من كلامها تسلية لنفسها اي
ولعل لله فيه سرا او الانثى كانت خيرا وقرئ وضعتِ على خطاب الله لها وليس الذكر كالانثى بيان لقوله والله اعلم او لبيان الذكر الذي
طلبت كالانثى التي وهبت واللام فيهما للعهد ويجوز ان يكون من قولها بمعنى وليس الذكر والانثى سيين فيما نذرت فيكون اللام للجنس
واني سميتها مريم عطف على ما قبلها من مقالها وما بينهما اعتراض وانما ذكرت ذلك لربها تقربا اليه وطلبا لان

١٣٥

اي بعيسى سمي بذلك لانه وجد بامره دون اب فشابه البدعيات التي هي عالم الامر او بكتاب الله سمي كلمة كما قيل كلمة الحويدرة
لقصيدته وسيدا يسود قومه ويفوقهم وكان فائقا للناس كلهم في انه ما هم بمعصية قط وحصورا مبالغا في حبس النفس عن
الشهوات والملاهي روي انه مر في صباه بصبيان فدعوه الى اللعب فقال ما للعب خلقت ونبيا من الصالحين ناشئا منهم او كائنا من عداد
من لم يات كبيرة ولا صغيرة قال رب انى يكون لي غلام استبعاد من حيث العادة او استعظام او تعجب او استفهام عن
كيفية حدوثه وقد بلغني الكبر ادركني كبر السن واثر في وكان له تسع وتسعون سنة ولامرأته ثمان وتسعون وامرأتي عاقر لا تلد
من العقر وهو القطع لانها ذات عقر من الاولاد قال كذلك الله يفعل ما يشاء اي يفعل ما يشاء من العجائب مثل ذلك الفعل وهو انشاء
الولد من شيخ فان وعجوز عاقر او كما انت عليه وزوجك من الكبر والعقر يفعل ما يشاء من خلق الولد او كذلك الله مبتدأ وخبر اي
الله على مثل هذه الصفة ويفعل ما يشاء بيان له او كذلك خبر مبتدأ محذوف اي الامر كذلك والله يفعل ما يشاء بيان له قال رب
اجعل لي آية علامة اعرف بها الحبل لاستقبله بالبشاشة والشكر وتزيح مشقة الانتظار قال آيتك الا تكلم الناس ثلثة
ايام ان لا تقدر على تكليم الناس ثلثا وانما حبس لسانه عن مكالمتهم خاصة ليخلص المدة لذكر الله وشكره قضاء لحق النعمة
كانه قال آيتك ان يحبس لسانك الا عن الشكر واحسن الجواب ما اشتق من السؤال الا رمزا اشارة بنحو يد او راس واصله التحرك
ومنه الراموز للبحر والاستثناء منقطع وقيل متصل والمراد بالكلام ما دل على الضمير وقرئ رمزا بفتحتين جمع رامز كخدم وبضمتين
جمع رموز كرسل على انه حال منه ومن الناس بمعنى مترامزين كقوله متى ما تلقني فردين ترجف * روانف اليتيك وتستطارا واذكر
ربك كثيرا في ايام الحبسة وهو مؤكد لما قبله مبين للغرض منه وتقييد الامر بالكثرة يدل على انه لا يفيد التكرار وسبح بالعشي من
الزوال الى الغروب وقيل من العصر او الغروب الى ذهاب صدر الليل والابكار من طلوع الفجر الى الضحى وقرئ بفتح الهمزة جمع بكر كسحر و
اسحار واذ قالت الملائكة يا مريم ان الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين كلموها شفاها كرامة لها و
من انكر الكرامة زعم ان ذلك كانت معجزة لزكريا او ارهاصا لنبوة عيسى عليه السلام فان الاجماع على انه سبحانه لم يستنبئ امرأة لقوله وما ارسلنا قبلك
الا رجالا وقيل الهمها والاصطفاء الاول تقبلها من امها ولم تقبل قبلها انثى وتفريغها للعبادة واغناؤها برزق الجنة عن الكسب
وتطهيرها عما يستقذر من النساء والثاني هدايتها وارسال الملائكة اليها وتخصيصها بالكرامات السنية كالولد
من غير اب وتبرئتها مما قذفته اليهود بانطاق الطفل وجعلها وابنها آية للعالمين يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي
مع الراكعين امرت بالصلاة في الجماعة بذكر اركانها مبالغة في المحافظة عليها وقدم السجود على الركوع اما لكونه
كذلك في شريعتهم او للتنبيه على ان الواو لا توجب الترتيب او ليقترن اركعي بالراكعين للايذان بان من ليس في صلاتهم
ليس مصليا وقيل المراد بالقنوت ادامة الطاعة كقوله تعالى امن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما وبالسجود الصلاة
كقوله وادبار السجود وبالركوع الخشوع والاخبات ذلك من انباء الغيب نوحيه اليك اي ما ذكرنا من القصص من الغيوب
التي لم تعرفها الا بالوحي وما كنت لديهم اذ يلقون اقلامهم اقداحهم للاقتراع وقيل اقترعوا بأقلامهم التي كانوا
يكتبون بها التوراة تبركا والمراد تقرير كونه وحيا على سبيل التهكم بمنكريه فان طريق معرفة الوقائع المشاهدة والسماع
وعدم السماع معلوم لا شبهة فيه عندهم فبقي ان يكون الاتهام باحتمال العيان ولا يظن به عاقل ايهم يكفل مريم

من التوراة عطف على رسولا على الوجهين او منصوب باضمار فعل دل عليه قد جئتكم اي وجئتكم مصدقا ولاحل لكم
مقدر باضمار او مردود على قوله قد جئتكم باية او معطوف على معنى مصدقا كقولهم جئتك معتذرا ولاطيب قلبك بعض الذي
حرم عليكم اي في شريعة موسى كالشحوم والثروب والسمك ولحوم الابل والعمل في السبت وهو يدل على ان شرعه كان ناسخا لشرع
موسى ولا يخل ذلك بكونه مصدقا للتوراة كما لا يعود نسخ القرآن بعضه ببعض عليه بتناقض وتكاذب فان النسخ في الحقيقة بيان
وتخصيص في الازمان وجئتكم باية من ربكم فاتقوا الله واطيعون ان الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم
اي جئتكم باية اخرى الهمنيها ربكم وهي قولي ان الله ربي وربكم فانه دعوة الحق المجمع عليها فيما بين الرسل الفارقة بين
النبي والساحر او جئتكم باية على ان الله ربي وربكم وقوله فاتقوا الله واطيعون اعتراض والظاهر انه تكرير لقوله قد جئتكم
باية من ربكم اي جئتكم باية بعد اخرى مما ذكرت لكم والاول لتمهيد الحجة والثاني لتقريبها الى الحكم ولذلك رتب عليه
بالفاء قوله فاتقوا الله اي لما جئتكم بالمعجزات القاهرة والايات الباهرة فاتقوا الله في المخالفة واطيعون فيما ادعوكم اليه ثم
شرع في الدعوة واشار اليها بالقول المجمل فقال ان الله ربي وربكم اشارة الى استكمال القوة النظرية بالاعتقاد الحق الذي غايته التوحيد
وقال فاعبدوه اشارة الى استكمال القوة العملية فانه بملازمة الطاعة التي هي الاتيان بالاوامر والانتهاء عن المناهي ثم قرر ذلك بان بين
ان الجمع بين الامرين هو الطريق المشهود له بالاستقامة ونظيره قوله عليه السلام قل آمنت بالله ثم استقم فلما احس عيسى منهم الكفر
تحقق كفرهم عنده تحقق ما يدرك بالحواس قال من انصاري الى الله ملتجئا الى الله او ذاهبا او ضاما اليه ويجوز ان يتعلق الجار بانصاري
مضمنا معنى الاضافة اي من الذين يضيفون انفسهم الى الله في نصرتي وقيل الى ههنا بمعنى مع او في او اللام قال الحواريون حواري الرجل خالصته
من الحور وهو البياض الخالص ومنه الحواريات للحضريات لخلوص الوانهن سمي به اصحاب عيسى عليه السلام لخلوص نيتهم ونقاء سريرتهم
وقيل كانوا ملوكا يلبسون البيض استنصر بهم عيسى من اليهود وقيل قصارين يحورون الثياب اي يبيضونها نحن انصار الله
اي انصار دينه آمنا بالله واشهد بانا مسلمون لتشهد لنا يوم القيامة حين يشهد الرسل لقومهم وعليهم ربنا آمنا
بما انزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين اي مع الشاهدين بوحدانيتك او مع الانبياء الذين يشهدون
لاتباعهم او امة محمد عليه السلام فانهم شهداء على الناس ومكروا اي الذين احس منهم الكفر من اليهود بان
وكلوا عليه من يقتله غيلة ومكر الله حين رفع عيسى والقى شبهه على من قصد اغتياله حتى قتل والمكر من حيث انه في الاصل
حيلة يجلب بها غيره الى مضرة لا يسند الى الله الا على سبيل المقابلة والازدواج والله خير الماكرين اقواهم
مكرا واقدرهم على ايصال الضرر من حيث لا يحتسب اذ قال الله ظرف لمكر الله او خير الماكرين او لمضمر مثل وقع ذلك يا
عيسى اني متوفيك اي مستوفي اجلك ومؤخرك الى اجلك المسمى عاصما اياك من قتلهم او قابضك من الارض من توفيت مالي
او متوفيك نائما اذ روي انه رفع نائما او مميتك عن الشهوات العائقة عن العروج الى عالم الملكوت وقيل اماته الله سبع ساعات
ثم رفعه الى السماء واليه ذهبت النصارى ورافعك الي الى محل كرامتي ومقر ملائكتي ومطهرك من الذين كفروا من
سوء جوارهم او قصدهم وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة يعلونهم بالحجة او السيف في غالب الامر
ومتبعوه من آمن بنبوته من المسلمين والنصارى والى الان لم يسمع غلبة اليهود عليهم ولم يتفق لهم ملك ودولة ثم الي مرجعكم

دونه الهاً ولا نعمل ولا يتخذ بعضنا بعضاً ارباباً من دون الله ولا نقول عزير ابن الله ولا المسيح ابن الله ولا نطيع الاحبار فيما احدثوا من التحريم والتحليل لان كلاً منهم بعضنا بشر مثلنا روي انها لما نزلت اتخذوا احبارهم ورهبانهم ارباباً من دون الله قال عدي بن حاتم ما كنا نعبدهم يا رسول الله قال اليس كانوا يحلون لكم ويحرمون فتاخذون بقولهم قال نعم قال هو ذاك فان تولوا عن التوحيد فقولوا اشهدوا بانا مسلمون اي لزمتكم الحجة فاعترفوا بانا مسلمون دونكم او اعترفوا بانكم كافرون بما نطقت به الكتب وتطابقت عليه الرسل **تنبيه** انظر الى ما راعى في هذه القصة من المبالغة في الارشاد وحسن التدرج في الحجاج بين اولاً احوال عيسى وما تعاور عليه من الاطوار المنافية للالهية ثم ذكر ما يحل عقدتهم ويزيح شبهتهم فلما راى عنادهم ولجاجهم دعاهم الى المباهلة بنوع من الاعجاز ثم لما اعرضوا عنها وانقادوا بعض الانقياد عاد عليهم بالارشاد وسلك طريقاً اسهل والزم بان دعاهم الى ما وافق عليه عيسى والانجيل وسائر الانبياء والكتب ثم لما لم يجد ذلك ايضاً عليهم وعلم ان الآيات والنذر لا تغني عنهم اعرض عن ذلك وقال اشهدوا بانا مسلمون يا اهل الكتاب لم تحاجون في ابراهيم وما انزلت التوراة والانجيل الا من بعده تنازعت اليهود والنصارى في ابراهيم وزعم كل فريق انه منهم وترافعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت والمعنى ان اليهودية والنصرانية حدثت بنزول التوراة والانجيل على موسى وعيسى وكان ابراهيم قبل موسى بالف سنة وعيسى بالفين فكيف يكون عليهما افلا تعقلون فتدعون المحال ها

انتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم ها حرف تنبيه نبهوا بها على حالهم التي غفلوا عنها وانتم مبتدأ وهؤلاء خبره وحاججتم جملة اخرى مبينة للاولى اي انتم هؤلاء الحمقى وبيان حماقتكم انكم جادلتم فيما لكم به علم مما وجدتموه في التوراة والانجيل عناداً او تدعون وروده فيه فلم تجادلون فيما لا علم لكم به ولا ذكر له في كتابكم من دين ابراهيم وقيل هؤلاء بمعنى الذين وحاججتم صلته وقيل ها انتم اصله أأنتم على الاستفهام للتعجب من حماقتهم فقلبت الهمزة هاء وقرأ نافع وابو عمرو هاانتم حيث وقع بالمد من غير همز وورش اقل مداً وقنبل بالهمز من غير الف بعد الهاء والباقون بالمد والهمز والبزي يقصر المد على اصله والله يعلم ما حاججتم فيه وانتم لا تعلمون وانتم جاهلون به ما

كان ابراهيم يهودياً ولا نصرانياً تصريح بمقتضى ما قرره من البرهان ولكن كان حنيفاً مائلاً عن العقائد الزائغة مسلماً منقاداً لله وليس المراد انه كان على ملة الاسلام والا لاشترك الالزام وما كان من المشركين تعريض بانهم مشركون لاشراكهم به عزيراً والمسيح ورد لادعاء المشركين انهم على ملة ابراهيم ان اولى الناس بابراهيم ان اخصهم به واقربهم منه من الولي وهو القرب للذين اتبعوه من امته وهذا النبي والذين آمنوا لموافقتهم له في اكثر ما شرع لهم على الاصالة وقرئ والنبيَّ بالنصب عطفاً على الهاء في اتبعوه وبالجر عطفاً على ابراهيم والله ولي المؤمنين ينصرهم ويجازيهم الحسنى لايمانهم ودت طائفة من اهل الكتاب لو يضلونكم نزلت في اليهود لما دعوا حذيفة وعماراً ومعاذاً الى اليهودية ولو بمعنى ان وما يضلون الا انفسهم وما يتخطاهم الاضلال ولا يعود وباله الا عليهم اذ يضاعف به عذابهم او ما يضلون الا امثالهم وما يشعرون وزره واختصاص ضرره بهم يا اهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله بما نطقت به التوراة والانجيل ودلت على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وانتم تشهدون انها آيات الله او بالقرآن وانتم تشهدون نعته في الكتابين

١٤١

وهو خطاب ... لا ايمانه فانها مؤداة الى البر والفاجر بلى اثبات لما نفوه اى بلى عليهم فيهم سبيل من اوفى بعهده و
اتقى فان الله يحب المتقين استئناف مقرر للجملة التى سدت بلى مسدها والضمير المجرور لمن او لله وعموم المتقين ناب مناب
الراجع من الجزاء الى من واشعر بان التقوى ملاك الامر وهو يعم الوفاء وغيره من اداء الواجبات والاجتناب عن المناهى ان الذين
يشترون يستبدلون بعهد الله بما عاهدوا عليه من الايمان بالرسول والوفاء بالامانات وايمانهم وبما حلفوا به من
قولهم والله لنؤمنن به ولننصرنه ثمنا قليلا متاع الدنيا اولئك لا خلاق لهم فى الآخرة ولا يكلمهم الله بما يسرهم او
بشىء اصلا وان الملائكة يسألونهم يوم القيمة او لا ينتفعون بكلمات الله وآياته والظاهر انه كناية عن غضبه عليهم
لقوله ولا ينظر اليهم يوم القيمة فان من سخط على غيره واستهان به اعرض عنه وعن التكلم معه والالتفات نحوه كما
ان من اعتد بغيره يقاوله ويكثر النظر اليه ولا يزكيهم ولا يثنى عليهم ولهم عذاب اليم على ما فعلوه قيل انها نزلت فى
احبار حرفوا التوراة وبدلوا نعت محمد ﷺ وحكم الامانات وغيرهما واخذوا على ذلك رشوة وقيل نزلت فى رجل اقام سلعة
فى السوق فحلف لقد اشتراها بما لم يشترها به وقيل فى ترافع كان بين اشعث بن قيس ويهودى فى بئر او ارض وتوجه الحلف
على اليهودى وان منهم يعنى المحرفين ككعب ومالك وحيى لفريقا يلوون ألسنتهم بالكتاب يفتلونها بقراءته فيميلونها
عن المنزل الى المحرف او يعطفونها بشبه الكتاب وقرئ يلون على قلب الواو المضمومة همزة ثم تخفيفها بحذفها والقاء حركتها
على الساكن قبلها لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب الضمير للمحرف المدلول عليه بقوله يلوون وقرئ ليحسبوه بالياء و
الضمير ايضا للمسلمين ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله تأكيد لقوله وما هو من الكتاب وتشنيع عليهم وبيان
لانهم يزعمون ذلك تصريحا لا تعريضا اى ليس هو نازلا من عند الله وهذا لا يقتضى ان لا يكون فعل العبد فعل الله ويقولون على
الله الكذب وهم يعلمون تأكيد وتسجيل عليهم بالكذب على الله والتعمد فيه ما كان لبشر ان يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة
ثم يقول للناس كونوا عبادا لى من دون الله تكذيب ورد على عبدة عيسى وقيل ان ابا رافع القرظى والسيد النجرانى
قالا يا محمد اتريد ان نعبدك ونتخذك ربا فقال معاذ الله ان نعبد غير الله وان نأمر بغير عبادة الله فما بذلك بعثنى ولا بذلك
امرنى فنزلت وقيل قال رجل يا رسول الله نسلم عليك كما يسلم بعضنا على بعض افلا نسجد لك قال لا ينبغى ان يسجد لاحد من دون
الله ولكن اكرموا نبيكم واعرفوا الحق لاهله ولكن كونوا ربانيين ولكن يقول كونوا ربانيين والربانى منسوب الى الرب
بزيادة الالف والنون كاللحيانى والرقبانى وهو الكامل فى العلم والعمل بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون بسبب كونكم
معلمين الكتاب وبسبب كونكم دارسين له فان فائدة التعليم والتعلم معرفة الحق والخير للاعتقاد والعمل وقرأ ابن كثير و
نافع وابو عمرو ويعقوب تعلمون بمعنى عالمين وقرئ تدرسون من التدريس وتدرسون من ادرس بمعنى درس كأكرم وكرم
ويجوز ان يكون القراءة المشهورة ايضا بهذا المعنى على تقدير وبما تدرسونه على الناس ولا يأمركم ان تتخذوا الملئكة والنبيين
اربابا نصبه ابن عامر وحمزة وعاصم ويعقوب عطفا على ثم يقول ويكون لا مزيدة لتأكيد معنى النفى فى قوله ما كان اى ما كان لبشر ان
يستنبئه الله ثم يأمر الناس بعبادة نفسه ويأمر باتخاذ الملئكة والنبيين اربابا او غير مزيدة على معنى انه ليس له ان يأمر بعبادته
ولا يأمر باتخاذ اكفائه اربابا بل ينهى عنه وهو ادنى من العبادة ورفعه الباقون على الاستئناف ويحتمل الحال وقرأ ابو عمرو

وجاءهم البينات استبعاد لان يهديهم الله فان الحائد عن الحق بعدما وضح له منهمك في الضلال بعيد عن الرشاد وقيل نفي و
انكار له وذلك يقتضي ان لا تقبل توبة المرتد وشهدوا عطف على ما في ايمانهم من معنى الفعل ونظيره فاصدق واكن او حال
باضمار قد من كفروا وهو على الوجهين دليل على ان الاقرار باللسان خارج عن حقيقة الايمان والله لا يهدي القوم الظالمين الذين
ظلموا انفسهم بالاخلال بالنظر ووضع الكفر موضع الايمان فكيف من جاءه الحق وعرفه ثم اعرض عنه اولئك جزاؤهم ان عليهم
لعنة الله والملائكة والناس اجمعين يدل بمنطوقه على جواز لعنهم وبمفهومه ينفي جواز لعن غيرهم ولعل الفرق انهم مطبوعون
على الكفر ممنوعون عن الهدى مأيوسون عن الرحمة رأسا بخلاف غيرهم والمراد بالناس المؤمنون او العموم فان الكافر ايضا يلعن
منكر الحق والمرتد عنه ولكن لا يعرف الحق بعينه خالدين فيها في اللعنة او العقوبة او النار وان لم يجر ذكرهما لدلالة الكلام
عليهما لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون الا الذين تابوا من بعد ذلك اي من بعد الارتداد واصلحوا ما افسدوا
ويجوز ان لا يقدر له مفعول بمعنى ودخلوا في الصلاح فان الله غفور يقبل توبته رحيم يتفضل عليه قيل انها
نزلت في الحارث بن سويد حين ندم على ردته فارسل الى قومه ان سلوا هل لي من توبة فارسل اليه اخوه الجلاس بالآية
فرجع الى المدينة فتاب ان الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا كاليهود كفروا بعيسى والانجيل بعد الايمان بموسى
والتوراة ثم ازدادوا كفرا بمحمد والقرآن او كفروا بمحمد بعدما آمنوا به قبل مبعثه ثم ازدادوا كفرا بالاصرار والعناد والطعن
فيه والصد عن الايمان ونقض الميثاق او كقوم ارتدوا ولحقوا بمكة ثم ازدادوا كفرا بقولهم نتربص بمحمد ريب المنون او
نرجع اليه وننافقه باظهاره لن تقبل توبتهم لانهم لا يتوبون او لا يتوبون الا اذا اشرفوا على الهلاك فكنى عن عدم توبتهم
بعدم قبولها تغليظا في شأنهم وابرازا لحالهم في صورة حال الآيسين من الرحمة او لان توبتهم لا تكون الا نفاقا لارتدادهم وزيادة
كفرهم ولذلك لم يدخل الفاء فيه واولئك هم الضالون الثابتون على الضلال ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل
من احدهم ملء الارض ذهبا لما كان الموت على الكفر سببا لامتناع قبول الفدية ادخل الفاء ههنا للاشعار به وملء الشيء ما يملؤه و
ذهبا نصب على التمييز وقرئ بالرفع على البدل من ملء او الخبر لمحذوف ولو افتدى به محمول على المعنى كأنه قيل فلن يقبل
من احدهم فدية ولو افتدى بملء الارض ذهبا او معطوف على مضمر تقديره فلن يقبل من احدهم ملء الارض ذهبا لو
تقرب به في الدنيا ولو افتدى به من العذاب في الآخرة او المراد ولو افتدى بمثله كقوله تعالى ولو ان للذين ظلموا ما
في الارض جميعا ومثله معه والمثل يحذف ويراد كثيرا لان المثلين في حكم شيء واحد اولئك لهم عذاب اليم مبالغة
في التحذير واقناط لان من لا يقبل منه الفداء ربما يعفى عنه تكرما وما لهم من ناصرين في دفع العذاب ومن مزيدة
للاستغراق لن تنالوا البر اي لن تبلغوا حقيقة البر الذي هو كمال الخير او لن تنالوا بر الله الذي هو الرحمة والرضى
والجنة حتى تنفقوا مما تحبون اي من المال او ما يعمه وغيره كبذل الجاه في معاونة الناس والبدن في طاعة الله والمهجة في
سبيله روي انها لما نزلت جاء ابو طلحة فقال يا رسول الله ان احب اموالي الي بيرحاء فضعها حيث اراك الله فقال بخ بخ
ذاك مال رابح او رائح واني ارى ان تجعلها في الاقربين وجاء زيد بن حارثة بفرس كان يحبها فقال هذه في سبيل الله
فحمل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم اسامة بن زيد فقال زيد انما اردت ان اتصدق به فقال عليه السلام

من المستكن في الظرف وهدى للعالمين لانه قبلتهم ومتعبدهم ولان فيه ايات عجيبة كما قال فيه ايات بينات
كانحراف الطيور عن موازاة البيت على مدى الاعصار وان ضواري السباع تخالط الصيود في الحرم ولا تتعرض لها
وان كل جبار قصده بسوء قهر كاصحاب الفيل والجملة مفسرة للهدى او حال اخرى مقام ابرهيم مبتدأ محذوف
خبره اي منها مقام ابرهيم او بدل من ايات بدل البعض من الكل وقيل عطف بيان على ان المراد بالايات اثر القدم
في الصخرة الصماء وغوصها فيها الى الكعبين وتخصيصها بهذه الالانة من بين الصخار وابقاؤه دون سائر اثار الانبياء
وحفظه مع كثرة اعدائه الوف سنة ويؤيده انه قرئ اية بينة على التوحيد وسبب هذا الاثر انه لما ارتفع بنيان
الكعبة قام على هذا الحجر ليتمكن من رفع الحجارة فغاصت فيه قدماه ومن دخله كان امنا جملة ابتدائية او شرطية معطوفة
من حيث المعنى على مقام ابرهيم لانه في معنى امن من دخله اي ومنها امن من دخله او فيه ايات بينات مقام
ابرهيم وامن من دخله اقتصر بذكرهما من الايات الكثيرة وطوى ذكر غيرهما كقوله عليه السلام حبب الي من
دنياكم ثلث الطيب والنساء وقرة عيني في الصلوة لان فيهما غنية عن غيرهما في الدارين بقاء الاثر مدى الدهر
والامن من العذاب يوم القيمة قال عليه السلام من مات في احد الحرمين بعث يوم القيمة امنا وعند ابي حنيفة من
لزمه القتل بردة او قصاص او غيرهما والتجأ الى الحرم لم يتعرض له ولكن يلجأ الى الخروج ولله على الناس حج البيت قصد للزيارة
على الوجه المخصوص وقرا حمزة والكسائي وعاصم في رواية حفص حج بالكسر وهي لغة اهل نجد من استطاع اليه
سبيلا بدل من الناس مخصص له وقد فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم الاستطاعة بالزاد والراحلة وهو
يؤيد قول الشافعي انها بالمال ولذلك اوجب الاستنابة على الزمن اذا وجد اجرة من ينوب عنه وقال مالك انها بالبدن
فيجب على من قدر على المشي والكسب في الطريق وقال ابو حنيفة انها بمجموع الامرين والضمير في اليه للبيت او الحج وكل ما اتى
الى الشيء فهو سبيله ومن كفر فان الله غني عن العالمين وضع كفر موضع لم يحج تاكيدا لوجوبه وتغليظا على
تاركه ولذلك قال عليه السلام من مات ولم يحج فليمت ان شاء يهوديا او نصرانيا وقد اكد امر الحج في هذه الاية من
وجوه الدلالة على وجوبه بصيغة الخبر وابرازه في صورة الاسمية وايراده على وجه يفيد انه حق واجب لله في رقاب الناس وتعميم
الحكم اولا وتخصيصه ثانيا فانه كايضاح بعد ابهام وتثنية وتكرير للمراد وتسمية ترك الحج كفرا من حيث انه فعل الكفرة وذكر
الاستغناء فانه في هذا الموضع مما يدل على المقت والخذلان وقوله عن العالمين يدل عليه لما فيه من مبالغة التعميم والدلالة على الاستغناء
عنه بالبرهان والاشعار بعظم السخط لانه تكليف شاق جامع بين كسر النفس واتعاب البدن وصرف
المال والتجرد عن الشهوات والاقبال على الله روي انه لما نزل صدر الاية جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم
ارباب الملل فخطبهم وقال ان الله كتب عليكم الحج فحجوا فامنت به ملة واحدة وكفرت به خمس ملل فنزل ومن كفر قل يا اهل الكتاب لم
تكفرون بايات الله اي باياته السمعية والعقلية الدالة على صدق محمد صلى الله عليه وسلم فيما يدعيه من وجوب الحج وغيره وتخصيص اهل الكتاب بالخطاب
دليل على ان كفرهم اقبح وانهم وان زعموا انهم مؤمنون بالتورية والانجيل فهم كافرون بهما والله شهيد على ما تعملون والحال انه شهيد مطلع على اعمالكم
فيجازيكم عليها لا ينفعكم التحريف والاستسرار قل يا اهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من امن كرر الخطاب والاستفهام مبالغة

بالإسلام فأصبحتم بنعمته إخواناً متحابين مجتمعين على الأخوة في الله وقيل كان الأوس والخزرج أخوين لأبوين فوقع بين
أولادهما العداوة وتطاولت الحروب مائة وعشرين سنة حتى أطفأها الله بالإسلام وألف بينهم برسوله
عليه السلام وكنتم على شفا حفرة من النار مشفين على الوقوع في نار جهنم لكفركم إذ لو أدرككم الموت في تلك
الحال لوقعتم في النار فأنقذكم منها بالإسلام والضمير للحفرة أو للنار أو للشفا وتأنيثه لتأنيث ما أضيف إليه أو لأنه
بمعنى الشفة فإن شفا البئر وشفتها طرفها كالجانب والجانبة وأصله شفو فقلبت الواو ألفاً في المذكر وحذفت في المؤنث
كذلك مثل ذلك التبيين يبين الله لكم آياته دلائله لعلكم تهتدون إرادة ثباتكم على الهدى وازديادكم فيه ولتكن
منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر من للتبعيض لأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من
فروض الكفاية ولأنه لا يصلح له كل أحد إذ للمتصدي له شروط لا يشترك فيها جميع الأمة كالعلم بالأحكام ومراتب الاحتساب
وكيفية إقامتها والتمكن من القيام بها خاطب الجميع وطلب فعل بعضهم ليدل على أنه واجب على الكل حتى لو تركوه رأساً أثموا جميعاً ولكن
يسقط بفعل بعضهم وهكذا كل ما هو فرض كفاية أو للتبيين بمعنى وكونوا أمة تأمرون كقوله كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف و
الدعاء إلى الخير يعم الدعاء إلى ما فيه صلاح ديني أو دنيوي وعطف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عليه عطف الخاص على العام للإيذان
بفضله وأولئك هم المفلحون المخصوصون بكمال الفلاح روي أنه عليه السلام سئل من خير الناس فقال آمرهم بالمعروف وأنهاهم
عن المنكر وأتقاهم لله وأوصلهم للرحم والأمر بالمعروف يكون واجباً ومندوباً على حسب ما يؤمر به والنهي عن المنكر واجب كله
لأن جميع ما أنكره الشرع حرام والأظهر أن العاصي يجب عليه أن ينهى عما يرتكبه لأنه يجب عليه تركه وإنكاره فلا يسقط بترك أحدهما
وجوب الآخر ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا كاليهود والنصارى اختلفوا في التوحيد والتنزيه وأحوال الآخرة على ما عرفت
من بعد ما جاءهم البينات الآيات والحجج المبينة للحق الموجبة للاتفاق عليه والأظهر أن النهي فيه مخصوص بالتفرق في
الأصول دون الفروع لقوله عليه السلام اختلاف أمتي رحمة ولقوله من اجتهد فأصاب فله أجران ومن أخطأ فله أجر واحد
وأولئك لهم عذاب عظيم وعيد للذين تفرقوا وتهديد على التشبه بهم يوم تبيض وجوه وتسود وجوه نصب بما في لهم
من معنى الفعل أو بإضمار اذكر وبياض الوجه وسواده كنايتان عن ظهور بهجة السرور وكآبة الخوف فيه وقيل يوسم أهل الحق ببياض الوجه
والصحيفة وإشراق البشرة وسعي النور بين يديه وبيمينه وأهل الباطل بأضداد ذلك فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم
بعد إيمانكم على إرادة القول أي فيقال لهم أكفرتم والهمزة للتوبيخ والتعجيب من حالهم وهم المرتدون أو أهل الكتاب كفروا برسول
الله صلى الله عليه وسلم بعد إيمانهم به قبل مبعثه أو جميع الكفار كفروا بعدما أقروا به حين أشهدهم على أنفسهم أو تمكنوا
من الإيمان بالنظر في الدلائل والآيات فذوقوا العذاب أمر إهانة بما كنتم تكفرون بسبب كفركم أو جزاء لكفركم
وأما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله يعني الجنة والثواب المخلد عبر عن ذلك بالرحمة تنبيهاً على أن المؤمن وإن
استغرق عمره في طاعة الله تعالى لا يدخل الجنة إلا برحمته وفضله وكان حق الترتيب أن يقدم ذكرهم ولكن قصد أن
يكون مطلع الكلام ومقطعه حلية المؤمنين وثوابهم هم فيها خالدون أخرجه مخرج الاستئناف للتأكيد كأنه قيل كيف
يكونون فيها فقال هم فيها خالدون تلك آيات الله الواردة في وعده ووعيده نتلوها عليك بالحق ملتبسة بالحق لا شبهة فيها

فانهم منحرفون عن الحق غير متعبدين بالليل مشركون بالله ملحدون في صفاته واصفون اليوم الآخر بخلاف صفته
مداهنون في الاحتساب متباطئون عن الخيرات وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ اى الموصوفون بتلك الصفات ممن صلحت
احوالهم عند الله واستحقوا رضاه وثناءه وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ فلن يضيع ولا ينقص ثوابه البتة
سمى ذلك كفرانا كما سمى توفية الثواب شكرا وتعديته الى مفعولين لتضمنه معنى الحرمان وقرأ حمزة والكسائي و
حفص وما يفعلوا من خير فلن يكفروه بالياء والباقون بالتاء وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ بشارة لهم واشعار بان التقوى مبدأ الخير
وحسن العمل وان الفائز عند الله هو اهل التقوى إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ
شَيْئًا من العذاب او من الغناء فيكون مصدرا وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ مَثَلُ مَا
يُنْفِقُونَ ما ينفق الكفرة قربة او مفاخرة وسمعة او المنافقون رياء وخوفا فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ برد شديد
والشائع اطلاقه في الريح الباردة كالصرصر فهو في الاصل مصدر نعت به او نعت وصف به البرد للمبالغة كقولك برد بارد
أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ بالكفر والمعاصي فَأَهْلَكَتْهُ عقوبة لهم لان الاهلاك عن سخط اشد والمراد تشبيه
ما انفقوا في ضياعه بحرث كفار ضربته صر فاستأصلته ولم يبق لهم فيه منفعة ما في الدنيا والآخرة وهو من التشبيه المركب
ولذلك لم يبال بايلاء كلمة التشبيه الريح دون الحرث ويجوز ان يقدر كمثل مهلك ريح وهو الحرث وَمَا ظَلَمَهُمُ
اللَّهُ وَلَكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ اى ما ظلم المنفقين بضياع نفقاتهم ولكنهم ظلموا انفسهم لما لم ينفقوها بحيث يعتد
بها او ما ظلم اصحاب الحرث باهلاكه ولكنهم ظلموا انفسهم بارتكاب ما استحقوا به العقوبة وقرئ ولكن بالتشديد اى
ولكن انفسهم يظلمونها ولا يجوز ان يقدر ضمير الشان لانه لا يحذف الا في الشعر كقوله ع ولكن من يبصر جفونك
يعشق يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً وليجة وهو الذي يعرفه الرجل اسراره ثقة به شبه ببطانة الثوب
كما شبه بالشعار قال عليه الصلوة والسلام الانصار شعار والناس دثار مِنْ دُونِكُمْ من دون المسلمين وهو متعلق
بلا تتخذوا او بمحذوف هو صفة بطانة اى بطانة كائنة من دونكم لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا اى لا يقصرون لكم في الفساد و
الالو التقصير واصله ان يعدى بالحرف ثم عدى الى مفعولين كقولهم لا آلوك نصحا على تضمين معنى المنع او
النقص وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ تمنوا عنتكم وهو شدة الضرر والمشقة وما مصدرية قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ اى في كلامهم
لانهم لا يتمالكون انفسهم لفرط بغضهم وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ مما بدا لان بدوه ليس عن روية واختيار قَدْ
بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ الدالة على وجوب الاخلاص وموالاة المؤمنين ومعاداة الكافرين إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ما بين لكم
والجمل الاربع جاءت مستأنفات على التعليل ويجوز ان يكون الثلث الاول صفات لبطانة هَا أَنْتُمْ أُولَاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا
يُحِبُّونَكُمْ اى انتم اولاء الخاطئون في موالاة الكفار وتحبونهم ولا يحبونكم بيان لخطائهم في موالاتهم او هو خبر ثان او
خبر لاولاء والجملة خبر انتم كقولك انت زيد تحبه او صلته او حال والعامل فيها معنى الاشارة ويجوز ان ينتصب اولاء
بفعل يفسره ما بعده وتكون الجملة خبرا وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ بجنس الكتاب كله وهو حال من لا يحبونكم
والمعنى انهم لا يحبونكم والحال انكم تؤمنون بكتابهم ايضا فما بالكم تحبونهم وهم لا يؤمنون بكتابكم وفيه توبيخ بانهم في باطلهم

151

باتباعه فعصمهم الله فمضوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم والظاهر انها ما كانت عزيمة لقوله تعالى والله وليهما اي عاصمهما عن اتباع تلك الخطرة ويجوز ان يراد والله ناصرهما فما لهما تفشلان وعلى الله فليتوكل المؤمنون اي فليتوكلوا عليه لا يتوكلوا على غيره لينصرهم كما نصرهم ببدر ولقد نصركم الله ببدر تذكير ببعض ما افادهم التوكل وبدر ماء بين مكة والمدينة كان لرجل يسمى بدرا فسمي به وانتم اذلة حال من الضمير وانما قال اذلة ولم يقل ذلائل ليدل على قلتهم مع ذلتهم لضعف الحال وقلة المراكب والسلاح فاتقوا الله في الثبات لعلكم تشكرون ما انعم به عليكم بتقواكم من نصره او لعلكم ينعم الله عليكم فتشكرون فوضع الشكر موضع الانعام لانه سببه اذ تقول للمؤمنين ظرف لنصركم وقيل بدل ثان من اذ غدوت على ان قوله لهم يوم احد كان مع اشتراط الصبر والتقوى عن المخالفة فلما لم يصبروا عن الغنائم وخالفوا امر الرسول لم تنزل الملائكة الن يكفيكم ان يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين انكار ان لا يكفيهم ذلك وانما جيء بلن اشعارا بانهم كانوا كالآيسين من النصر لضعفهم وقلتهم وقوة العدو وكثرتهم قيل امدهم الله يوم بدر اولا بالف من الملائكة ثم صاروا ثلاثة آلاف ثم صاروا خمسة وقرأ ابن عامر منزلين بالتشديد للتكثير او للتدريج بلى ايجاب لما بعد لن اي بلى يكفيكم ثم وعد لهم الزيادة على الصبر والتقوى حثا عليهما وتقوية لقلوبهم فقال ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم اي المشركون من فورهم هذا من ساعتهم هذه وهو في الاصل مصدر فارت القدر اذا غلت فاستعير للسرعة ثم اطلق للحال التي لا ريث فيها ولا تراخي والمعنى ان يأتوكم في الحال يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة في حال اتيانهم بلا تراخ ولا تأخير مسومين معلمين من التسويم الذي هو اظهار سيما الشيء لقوله صلعم لاصحابه تسوموا فان الملائكة قد تسومت او مرسلين من التسويم بمعنى الاسامة وقرأ ابن كثير وابو عمرو وعاصم ويعقوب بكسر الواو وما جعله الله وما جعل امدادكم بالملائكة الا بشرى لكم الا بشارة لكم بالنصر ولتطمئن قلوبكم به ولتسكن اليه من الخوف وما النصر الا من عند الله لا من العدة والعدد وهو تنبيه على انه لا حاجة في نصرهم الى مدد وانما امدهم ووعد لهم به بشارة لهم وربطا على قلوبهم من حيث ان نظر العامة الى الاسباب اكثر وحث على ان لا يبالوا بمن تأخر عنهم العزيز الذي لا يغالب في اقضيته الحكيم الذي ينصر ويخذل بوسط وغير وسط على مقتضى الحكمة والمصلحة ليقطع طرفا من الذين كفروا متعلق بنصركم او وما النصر ان كان اللام فيه للعهد والمعنى لينقص منهم بقتل بعض واسر آخرين وهو ما كان يوم بدر من قتل سبعين واسر سبعين من صناديدهم او يكبتهم او يخزيهم والكبت شدة غيظ او وهن يقع في القلب واو للتنويع دون الترديد فينقلبوا خائبين فينهزموا منقطعي الآمال ليس لك من الامر شيء اعتراض او يتوب عليهم او يعذبهم عطف على قوله او يكبتهم والمعنى ان الله مالك امرهم فاما ان يهلكهم او يكبتهم او يتوب عليهم ان اسلموا او يعذبهم ان اصروا وليس لك من امرهم شيء وانما انت عبد مأمور لانذارهم وجهادهم ويحتمل ان يكون معطوفا على الامر او شيء باضمار ان اي ليس لك من امرهم او من التوبة عليهم او من تعذيبهم شيء او ليس لك من امرهم شيء او التوبة عليهم او تعذيبهم وان يكون او بمعنى الا ان اي ليس لك من امرهم شيء الا

المتقين او على الذين ينفقون ولا يلزم من اعداد الجنة للمتقين والتائبين جزاء لهم ان لا يدخلها المصرون كما لا يلزم من
اعداد النار للكافرين جزاء لهم ان لا يدخلها غيرهم وتنكير جنات على الاول يدل على ان ما لهم ادون مما للمتقين الموصوفين بـ
الصفات المذكورة في الآية المتقدمة وكفاك فارقا بين القبيلين انه فصل آيتهم بان بين انهم محسنون مستوجبون
لمحبة الله تعالى وذلك لانهم حافظوا على حدود الشرع وتخطوا الى التخصص بمكارمه وفصل آية هؤلاء
بقوله ونعم اجر العاملين لان المتدارك لتقصيره كالعامل لتحصيل بعض ما فوت على نفسه وكم بين المحسن و
المتدارك والمحبوب والاجير ولعل تبديل لفظ الجزاء بالاجر لهذه النكتة والمخصوص بالمدح محذوف تقديره
ونعم اجر العاملين ذلك يعني المغفرة والجنات قد خلت من قبلكم سنن وقائع سنها الله في الامم المكذبة
كقوله تعالى وقتلوا تقتيلا سنة الله في الذين خلوا من قبل وقيل امم قال ما عاين الناس من فضل
كفضلكم ولا راوا مثله في سالف السنن فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين لتعتبروا
بما ترون من آثار هلاكهم هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين اشارة الى قوله قد خلت
او مفهوم قوله فانظروا اي انه مع كونه بيانا للمكذبين فهو زيادة بصيرة وموعظة للمتقين او الى ما لخص من امر
المتقين والتائبين وقوله قد خلت اعتراض للبعث على الايمان والتوبة وقيل الى القرآن ولا تهنوا ولا تحزنوا
تسلية لهم عما اصابهم يوم احد والمعنى لا تضعفوا عن الجهاد بما اصابكم ولا تحزنوا على من قتل
منكم وانتم الاعلون وحالكم انكم اعلى منهم شأنا فانكم على الحق وقتالكم لله وقتلاكم في الجنة وانهم
على الباطل وقتالهم للشيطان وقتلاهم في النار او لانكم اصبتم منهم يوم بدر اكثر مما اصابوا منكم اليوم وانتم
الاعلون في العاقبة فيكون بشارة لهم بالنصر والغلبة ان كنتم مؤمنين متعلق بالنهي اي لا تهنوا ان صح ايمانكم فانه
يقتضي قوة القلب بالوثوق على الله او بالاعلون ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله قرأ حمزة والكسائي وابن عياش
عن عاصم بضم القاف والباقون بالفتح وهما لغتان كالضعف والضعف وقيل هو بالفتح الجراح وبالضم المها والمعنى ان
نالوا منكم يوم احد فقد اصبتم منهم يوم بدر مثله ثم انهم لم يضعفوا ولم يجبنوا فانتم اولى بان لا تضعفوا فانكم
ترجون من الله ما لا يرجون وقيل كلا المسين كان يوم احد فان المسلمين نالوا منهم قبل ان يخالفوا امر الرسول
صلى الله عليه وسلم وتلك الايام نداولها بين الناس نصرفها بينهم نديل لهؤلاء تارة ولهؤلاء اخرى كقوله فيوما
علينا ويوما لنا ويوما نساء ويوما نسر والمداولة كالمعاودة يقال داولت الشيء بينهم فتداولوه والايام تحتمل
الوصف والخبر ونداولها يحتمل الخبر والحال والمراد بها اوقات النصر والغلبة وليعلم الله الذين آمنوا عطف على علة
محذوفة اي نداولها ليكون كيت وكيت وليعلم الله ايذانا بان العلة فيه غير واحدة وان ما يصيب المؤمن
من المصالح ما لا يعلم او الفعل المعلل به محذوف تقديره وليتميز الثابتون على الايمان من الذين على
حرف فعلنا ذلك والقصد في امثاله ونقائضه ليس الى اثبات علمه تعالى ونفيه بل الى اثبات المعلوم ونفيه
بطريقة البرهان وقيل معناه ليعلمهم علما يتعلق به الجزاء وهو العلم بالشيء موجودا ويتخذ منكم شهداء

ن والمسلمون فلما رأى الرماة ذلك اقبلوا على النهب وخلوا امكانهم فانتهز المشركون وحملوا عليهم من ورائهم فهزموهم
ن يرد ثواب الآخرة نؤته منها اي من ثوابها وسنجزي الشاكرين الذين شكروا نعمة الله تعالى فلم يشغلهم شيء عن
اد وكأين اصلها اي دخلت الكاف عليها وصارت بمعنى كم والنون تنوين اثبت في الخط على غير القياس وقرأ
كثير وكائن ككاعن ووجهه انه قلب الكلمة الواحدة كقولهم رعملي في لعمري فصار كيئن ثم حذفت الياء
انية للتخفيف ثم ابدلت الياء الاخرى الفا كما ابدلت من طائي من نبي بيان له قاتل معه ربيون كثير ربانيون
اما اتقياء او عابدون لربهم وقيل جماعات والربي منسوب الى الربة وهي الجماعة للمبالغة وقرأ ابن كثير ونافع ابو عمرو ويعقوب
اسناده الى ربيون او ضمير النبي ومعه ربيون حال عنه ويؤيد الاول انه قرئ بالتشديد وقرئ ربيون بالفتح على الاصل
ثم هو من تغييرات النسب كالكسر فما وهنوا لما اصابهم في سبيل الله فما فتروا ولم ينكسر جدهم لما اصابهم من قتل
او بعضهم وما ضعفوا عن العدو او في الدين وما استكانوا وما خضعوا للعدو واصله استكن من السكون
لخاضع يسكن لصاحبه ليفعل به ما يريده والالف من اشباع الفتحة او استكون من الكون لانه يطلب من
ه ان تكون لمن يخضع له وهذا تعريض بما اصابهم عند الارجاف بقتله صلى الله عليه وسلم والله يحب
ابرين فينصرهم ويعظم قدرهم وما كان قولهم الا ان قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا في امرنا وثبت اقدامنا
رنا على القوم الكافرين اي وما كان قولهم مع ثباتهم وقوتهم في الدين وكونهم ربانيين الا هذا القول وهو
ة الذنوب والاسراف الى انفسهم هضما لها واضافة لما اصابهم الى سوء اعمالهم والاستغفار عنها ثم طلب
ت في مواطن الحرب والنصر على العدو ليكون عن خضوع وطهارة فيكون اقرب الى الاجابة وانما جعل قولهم خبرا
ن قالوا اعرف لدلالته على جهة النسبة وزمان الحدث فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة
يحب المحسنين فآتاهم الله بسبب الاستغفار واللجأ الى الله النصر والغنيمة والعز وحسن الذكر في الدنيا
والنعيم في الآخرة وخص ثوابها بالحسن اشعارا بفضله وانه المعتد به عنده يا ايها الذين آمنوا ان تطيعوا
كفروا يردوكم على اعقابكم فتنقلبوا خاسرين نزلت في قول المنافقين للمؤمنين عند الهزيمة ارجعوا الى
اخوانكم لو كان محمد نبيا لما قتل وقيل ان تستكينوا لابي سفيان واشياعه وتستأمنوهم يردوكم الى دينهم
عام في مطاوعة الكفرة والنزول على حكمهم فانه يجر الى موافقتهم بل الله مولاكم ناصركم وقرئ
ب تقدير بل اطيعوا الله مولاكم وهو خير الناصرين فاستغنوا به عن ولاية غيره ونصره سنلقي في
ذين كفروا الرعب يريد ما قذف في قلوبهم من الخوف يوم احد حتى تركوا القتال ورجعوا من غير سبب ونادى
ا يا محمد موعدنا موسم بدر لقابل ان شئت فقال صلى الله عليه وسلم ان شاء الله تعالى وقيل لما رجعوا وكانوا
طريق ندموا وعزموا ان يعودوا عليهم ليستأصلوهم فالقى الله الرعب في قلوبهم وقرأ ابن عامر والكسائي
رب بالضم على الاصل في كل القرآن بما اشركوا بالله بسبب اشراكهم به ما لم ينزل به سلطانا اي آلهة
س على اشراكها حجة ولم ينزل به عليهم سلطانا وهو كقوله ولا ترى الضب بها ينجحر واصل السلطنة القوة

بالله غير الظن الحق الذي يحق ان يظن به وظن الجاهلية بدله وهو الظن المختص بالملة الجاهلية واهلها يقولون

اى لرسول الله وهو بدل من يظنون هل لنا من الامر من شيء اى هل لنا مما امر الله ووعد من النصر والظفر نصيب

قط وقيل اخبر ابن ابى بقتل بنى الخزرج فقال ذلك والمعنى انا منعنا تدبير انفسنا وتصريفها باختيارنا فلم يبق لنا من الامر

شيء او هل يزول عنا هذا القهر فيكون لنا من الامر شيء قل ان الامر كله لله اى الغلبة الحقيقة لله ولاوليائه فان

حزب الله هم الغالبون او القضاء له يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد وهو اعتراض وقرأ ابو عمرو ويعقوب كله

بالرفع على الابتداء يخفون في انفسهم ما لا يبدون لك حال من ضمير يقولون اى يقولون مظهرين انهم مسترشدون

طالبون للنصر مبطنين الانكار والتكذيب يقولون اى في انفسهم او اذا خلا بعضهم الى بعض وهو بدل

من يخفون او استئناف على وجه البيان له لو كان لنا من الامر شيء كما وعد محمد وزعم ان الامر كله

لله ولاوليائه او لو كان لنا اختيار وتدبير لم نبرح كما كان رأى ابن ابى وغيره ما قتلنا ههنا لما غلبنا ولما قتل من

قتل منا في هذه المعركة قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم اى لخرج الذين قدر الله

عليهم القتل وكتب في اللوح المحفوظ الى مصارعهم ولم تنفع الاقامة بالمدينة ولم ينج منه احد فانه قدر الامور ودبرها

في سابق قضائه لا معقب لحكمه وليبتلى الله ما في صدوركم وليمتحن ما في صدوركم ويظهر سرائرها من الاخلاص

والنفاق وهو علة فعل محذوف اى وفعل ذلك ليبتلى او عطف على محذوف اى لبرز لنفاذ القضاء

او لمصالح جمة وللابتلاء او على قوله لكيلا تحزنوا وليمحص ما في قلوبكم وليكشفه ويميزه او يخلصه من الوساوس والله

عليم بذات الصدور بخفياتها قبل اظهارها وفيه وعد ووعيد وتنبيه على انه غنى عن الابتلاء وانما فعل ذلك لتمرين

المؤمنين واظهار حال المنافقين ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا

يعنى ان الذين انهزموا يوم احد انما كان السبب في انهزامهم ان الشيطان طلب منهم الزلل فاطاعوه واقترفوا ذنوبا

لمخالفة النبي صلى الله عليه وسلم بترك المركز والحرص على الغنيمة او الحياة فمنعوا التأييد وقوة القلب وقيل استزلال الشيطان

توليهم وذلك بسبب ذنوب تقدمت لهم فان المعاصى يجر بعضها بعضا كالطاعة وقيل استزلهم بذكر ذنوب سلفت منهم وكرهوا

القتل قبل اخلاص التوبة والخروج عن المظلمة ولقد عفا الله عنهم لتوبتهم واعتذارهم ان الله غفور للذنوب حليم

لا يعاجل بعقوبة المذنب كى يتوب يا ايها الذين امنوا لا تكونوا كالذين كفروا يعنى المنافقين وقالوا لاخوانهم لاجلهم وفيهم

ومعنى اخوتهم اتفاقهم في النسب او المذهب اذا ضربوا في الارض اذا سافروا فيها وابعدوا للتجارة او غيرها وكان حقه

اذ لقوله قالوا لكنه جاء على حكاية الحال الماضية او كانوا غزى جمع غاز كعاف وعفى لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا

مفعول قالوا وهو يدل على ان اخوانهم لم يكونوا مخاطبين به ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم متعلق بقالوا على ان اللام

لام العاقبة مثلها في ليكون لهم عدوا وحزنا او لا تكونوا اى لا تكونوا مثلهم في النطق بذلك القول والاعتقاد ليجعله حسرة في

قلوبهم خاصة فذلك اشارة الى ما دل عليه قولهم من الاعتقاد وقيل الى ما دل عليه النهى اى لا تكونوا مثلهم ليجعل

انتفاء كونكم مثلهم حسرة في قلوبهم فان مخالفتهم ومضادتهم مما يغمهم والله يحيى ويميت رد لقولهم اى هو

لكونه كالبرهان على المقصود والمبالغة فيه اذ كان كل كاسب مجزيا بعمله فالغال مع عظم جرمه بذلك
اولى وهم لا يظلمون فلا ينقص ثواب مطيعهم ولا يزاد في عقاب عاصيهم افمن اتبع رضوان الله بالطاعة كمن باء
رجع بسخط من الله بسبب المعاصي ومأواه جهنم وبئس المصير والفرق بينه وبين المرجع ان المصير يجب ان
يخالف الحالة الاولى ولا كذلك المرجع هم درجات عند الله شبهوا بالدرجات لما بينهم من التفاوت في
الثواب والعقاب او هم ذوو درجات والله بصير بما يعملون عالم باعمالهم ودرجاتها صادرة عنهم فيجازيهم
على حسبها لقد من الله على المؤمنين انعم على من آمن مع الرسول صلى الله عليه وسلم من قومه وتخصيصهم مع ان نعمة
البعثة عامة لزيادة انتفاعهم بها وقرئ لمن من الله على انه خبر مبتدأ محذوف مثل منه او بعثه اذ بعث فيهم رسولا من
انفسهم من نسبهم او من جنسهم عربيا مثلهم ليفهموا كلامه بسهولة ويكونوا واقفين على حاله في الصدق والامانة
مفتخرين به وقرئ من انفسهم اي من اشرفهم لانه صلى الله عليه وسلم كان من اشرف قبائل العرب وبطونهم يتلو
عليهم آياته اي القرآن بعد ما كانوا جهالا لم يسمعوا الوحي ويزكيهم يطهرهم من دنس الطبائع وسوء العقائد
والاعمال ويعلمهم الكتاب والحكمة القرآن والسنة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين ان هي المخففة واللام هي
الفارقة والمعنى وان الشان كانوا من قبل بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم في ضلال ظاهر اولما اصابتكم مصيبة
قد اصبتم مثليها قلتم انى هذا الهمزة للتقريع والتقرير والواو عاطفة للجملة على ما سبق من قصة احد او على محذوف
مثل فعلتم كذا وقلتم كذا ولما ظرف قلتم المضاف الى اصابتكم اي حين اصابتكم مصيبة وهي قتل سبعين منكم يوم احد والحال انكم
نلتم ضعفها يوم بدر من قتل سبعين واسر سبعين قلتم انى هذا من اين هذا اصابنا وقد وعدنا الله النصر قل هو من عند
انفسكم اي مما اقترفته انفسكم من مخالفة الامر بترك المركز فان الوعد كان مشروطا بالثبات والمطاوعة او اختيار الخروج
من المدينة وعن علي رضي الله عنه باختياركم الفداء يوم بدر ان الله على كل شيء قدير فيقدر على النصر ومنعه وعلى
ان يصيب بكم ويصيب منكم وما اصابكم يوم التقى الجمعان جمع المسلمين وجمع المشركين يريد يوم احد فباذن الله
فهو كائن بقضائه وتخليته الكفار سماها اذنا لانها من لوازمه وليعلم المؤمنين وليعلم الذين نافقوا وليتميز المؤمنون و
المنافقون فيظهر ايمان هؤلاء وكفر هؤلاء وقيل لهم عطف على نافقوا داخل في الصلة او كلام مبتدأ تعالوا قاتلوا في
سبيل الله او ادفعوا تقسيم للامر عليهم وتخيير بين ان يقاتلوا للآخرة او للدفع عن الانفس والاموال وقيل معناه
قاتلوا الكفرة او ادفعوهم بتكثيركم سواد المجاهدين فان كثرة السواد مما يروع العدو ويكسر منه قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم
لو نعلم ما يصح ان يسمى قتالا لاتبعناكم فيه لكن ما انتم عليه ليس بقتال بل القاء بالانفس الى التهلكة او لو نحسن قتالا لاتبعناكم
وانما قالوه دغلا واستهزاء هم للكفر يومئذ اقرب منهم للايمان لانخزالهم وكلامهم هذا فانهما اول امارات
ظهرت منهم مؤذنة بكفرهم وقيل هم لاهل الكفر اقرب نصرة منهم لاهل الايمان اذ كان انخزالهم ومقالهم
تقوية للمشركين وتخذيلا للمؤمنين يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم يظهرون خلاف ما يضمرون لا تواطئ
قلوبهم السنتهم بالايمان واضافة القول الى الافواه تاكيد وتصوير والله اعلم بما يكتمون من النفاق وبما يخلو به

بالرجوع فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فندب اصحابه للخروج في طلبه وقال لا يخرجن معنا الا من حضر يومنا
بالامس فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم مع جماعة حتى بلغوا حمراء الاسد وهي على ثمانية اميال من المدينة
وكان باصحابه القرح فتحاملوا على انفسهم حتى لا يفوتهم الاجر والقى الله الرعب في قلوب المشركين فذهبوا فنزلت
الذين قال لهم الناس يعني الركب الذين استقبلهم من عبد قيس او نعيم بن مسعود الاشجعي واطلق عليه الناس
لانه من جنسه كما يقال فلان يركب الخيل وما له الا فرس واحد او لانه انضم اليه ناس من المدينة
واذاعوا كلامه ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم يعني ابا سفيان واصحابه روي انه نادى عند انصرافه من
احد يا محمد موعدنا موسم بدر لقابل ان شئت فقال صلى الله عليه وسلم ان شاء الله فلما كان القابل خرج في اهل مكة
حتى نزل مر الظهران فانزل الله الرعب في قلبه وبدا له ان يرجع فمر به ركب من عبد قيس يريدون المدينة للميرة
فشرط لهم حمل بعير من زبيب ان ثبطوا المسلمين وقيل لقي نعيم بن مسعود وقد قدم معتمرا فسأله ذلك والتزم له عشرا
من الابل فخرج نعيم فوجد المسلمين يتجهزون فقال لهم اتوكم في دياركم فلم يفلت منكم احد الا شريد افترون ان
تخرجوا وقد جمعوا لكم ففتروا فقال صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لاخرجن ولو لم يخرج معي احد فخرج في
سبعين راكبا وهم يقولون حسبنا الله فزادهم ايمانا الضمير المستكن للمقول او لمصدر قال او لفاعله ان اريد به نعيم
وحده والبارز للمقول لهم والمعنى انهم لم يلتفتوا اليه ولم يضعفوا بل ثبت به يقينهم بالله وازداد ايمانهم واظهروا
حمية الاسلام واخلصوا النية عنده وهو دليل على ان الايمان يزيد وينقص ويعضده قول ابن عمر رضي الله عنهما
قلنا يا رسول الله الايمان يزيد وينقص قال نعم يزيد حتى يدخل صاحبه الجنة وينقص حتى يدخل صاحبه النار وهذا
ظاهر ان جعل الطاعة من جملة الايمان وكذا ان لم يجعل فان اليقين يزداد بالالف وكثرة التأمل وتناصر الحجج وقالوا حسبنا
الله محسبنا وكافينا من احسبه اذا كفاه ويدل على انه بمعنى المحسب انه لا يستفيد بالاضافة تعريفا في قولك هذا رجل
حسبك ونعم الوكيل ونعم الموكول اليه هو فانقلبوا فرجعوا من بدر بنعمة من الله عافية وثبات على الايمان وزيادة
فيه وفضل وربح في التجارة فانهم لما اتوا بدرا وافوا بها سوقا فاتجروا وربحوا لم يمسسهم سوء من جراحة وكيد عدو
واتبعوا رضوان الله الذي هو مناط الفوز بخير الدارين بجرأتهم وخروجهم والله ذو فضل عظيم قد تفضل عليهم بالتثبيت
وزيادة الايمان والتوفيق للمبادرة الى الجهاد والتصلب في الدين واظهار الجراءة على العدو وبالحفظ عن كل ما يسوءهم
واصابة النفع مع ضمان الاجر حتى انقلبوا بنعمة من الله وفضل وفيه تحسير للمتخلف وتخطئة رأيه حيث حرم نفسه
ما فازوا به انما ذلكم الشيطان يريد به المثبط نعيما او ابا سفيان والشيطان خبر ذلكم وما بعده بيان لشيطنته
او صفته وما بعده خبره ويجوز ان يكون الاشارة الى قوله على تقدير مضاف اي انما ذلكم قول الشيطان يعني ابليس
يخوف اولياءه القاعدين عن الخروج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم او يخوفكم اولياءه الذين هم ابو سفيان واصحابه
فلا تخافوهم الضمير للناس الثاني على الاول والى الاولياء على الثاني وخافون في مخالفة امري فجاهدوا مع رسولي
ان كنتم مؤمنين فان الايمان يقتضي ايثار خوف الله تعالى على خوف الناس ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر

من يكفر فنزلت وعن السدي انه صلى الله عليه وسلم قال عرضت على امتي واعلمت من يؤمن بي ومن يكفر فقال المنافقون انه يزعم انه يعرف من يؤمن به ومن يكفر ونحن معه ولا يعرفنا فنزلت وان تؤمنوا حق الايمان وتتقوا النفاق فلكم اجر عظيم لا يقادر قدره ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم القراءة فيه ما سبق ومن قرأ بالتاء قدر مضافا ليطابق مفعولاه اي لا تحسبن بخل الذين يبخلون هو خيرا لهم وكذا من قرأ بالياء ان جعل الفاعل ضمير الرسول صلى الله عليه وسلم او من يحسب وان جعله الموصول كان المفعول الاول محذوفا لدلالة يبخلون عليه اي ولا يحسبن البخلاء بخلهم هو خيرا لهم بل هو اي البخل شر لهم لاستجلاب العقاب عليهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيمة بيان لذلك والمعنى سيلزمون وبال ما بخلوا به الزام الطوق وعنه عليه السلام ما من رجل لا يؤدي زكوة ماله الا جعل الله له شجاعا في عنقه يوم القيمة ولله ميراث السموات والارض وله ما فيهما مما يتوارث فما لهؤلاء يبخلون عليه بماله ولا ينفقونه في سبيله او انه يرث منهم ما يمسكونه ولا ينفقونه في سبيله بهلاكهم ويبقى عليهم الحسرة والعقوبة والله بما تعملون من المنع والاعطاء خبير فمجازيهم وقرأ نافع وابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي بالتاء على الالتفات وهو ابلغ في الوعيد لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء قاله اليهود لما سمعوا من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا وروي انه عليه السلام كتب مع ابي بكر رضي الله عنه الى يهود بني قينقاع يدعوهم الى الاسلام واقام الصلوة وايتاء الزكوة وان يقرضوا الله قرضا حسنا فقال فنحاص بن عازوراء ان الله فقير حين سأل القرض فلطمه ابو بكر رضي الله عنه وقال لولا ما بيننا من العهد لضربت عنقك فشكاه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وجحد ما قاله فنزلت والمعنى انه لم يخف عليه وانه اعد لهم العقاب عليه سنكتب ما قالوا وقتلهم الانبياء بغير حق اي سنكتبه في صحائف الكتبة او سنحفظه في علمنا لا نهمله لانه كلمة عظيمة اذ هو كفر بالله تعالى واستهزاء بالقران والرسول صلى الله عليه وسلم ولذلك نظمه مع قتل الانبياء وفيه تنبيه على انه ليس اول جريمة ارتكبوه وان من اجترأ على قتل الانبياء لم يستبعد منه امثال هذا القول وقرئ سيكتب بالياء وضمها وفتح التاء وقتلهم بالرفع ويقول بالياء ونقول ذوقوا عذاب الحريق اي وننتقم منهم بان نقول لهم ذوقوا العذاب المحرق وفيه مبالغات في الوعيد والذوق ادراك الطعوم وعلى الاتساع يستعمل لادراك سائر المحسوسات والحالات وذكره ههنا لان العذاب مرتب على قولهم الناشئ عن البخل والتهالك على المال وغالب حاجة الانسان اليه لتحصيل المطاعم ومعظم بخله للخوف من فقدانه ولذلك كثر ذكر الاكل مع المال ذلك اشارة الى العذاب بما قدمت ايديكم من قتل الانبياء وقولهم هذا وسائر معاصيهم عبر بالايدي عن الانفس لان اكثر اعمالها بهن وان الله ليس بظلام للعبيد عطف على ما قدمت وسببيته للعذاب من حيث ان نفي الظلم يستلزم العدل المقتضي اثابة المحسن ومعاقبة المسيء الذين قالوا هم كعب بن الاشرف ومالك وفنحاص ووهب بن يهوذا ان الله عهد الينا امرنا في التورية واوصانا الا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار بان لا نؤمن لرسول حتى يأتينا بهذه المعجزة الخاصة التي كانت لانبياء بني اسرائيل وهو ان يقرب بقربان

وعن النبي صلى الله عليه وسلم من كتم علما من اهله الجم بلجام من نار وعن علي كرم الله وجهه ما اخذ الله على اهل الجهل ان يتعلموا حتى اخذ على اهل العلم ان يعلموا لا تحسبن الذين يفرحون بما اتوا ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ومن ضم الباء جعل الخطاب له وللمومنين والمفعول الاول الذين يفرحون والثاني بمفازة وقوله فلا تحسبنهم تاكيد والمعنى لا تحسبن الذين يفرحون بما فعلوا من التدليس وكتمان الحق ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا من الوفاء بالميثاق واظهار الحق والاخبار بالصدق بمفازة بمنجاة من العذاب اي فائزين بالنجاة منه وقرا ابن كثير وابو عمرو بالياء وفتح الباء في الاول وضمها في الثاني على ان الذين فاعل ومفعولا يحسبن محذوف فان دل عليهما مفعولا مؤكده وهو يحسبنهم الثاني وكانه قيل لا يحسبن الذين يفرحون بما اتوا فلا يحسبن انفسهم بمفازة او المفعول الاول محذوف وقوله فلا تحسبنهم تاكيد للفعل وفاعله الاول ولهم عذاب اليم بكفرهم وتدليسهم روي انه صلى الله عليه وسلم سال اليهود عن شيء مما في التورية فاخبروه بخلاف ما كان فيه واروه انهم قد صدقوه واستحمدوا اليه وفرحوا بما فعلوا فنزلت وقيل نزلت في قوم تخلفوا عن الغزو ثم اعتذروا بانهم راوا المصلحة في التخلف واستحمدوا به وقيل نزلت في المنافقين فانهم يفرحون بمنافقتهم ويستحمدون الى المسلمين بالايمان الذي لم يفعلوه على الحقيقة ولله ملك السموات والارض فهو يملك امرهم والله على كل شيء قدير فيقدر على عقابهم وقيل هو رد لقولهم ان الله فقير ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لايات لاولي الالباب لدلائل واضحة على وجود الصانع ووحدته وكمال علمه وقدرته لذوي العقول المجلوة الخالصة عن شوائب الحس والوهم كما سبق في سورة البقرة ولعل الاقتصار على هذه الثلثة في هذه الاية لان مناط الاستدلال هو التغير وهذه الثلثة متعرضة لجملة انواعه فانه اما ان يكون في ذات الشيء كتغير الليل والنهار او جزئه كتغير العناصر بتبدل صورها او الخارج عنه كتغير الافلاك بتبدل اوضاعها وعن النبي صلى الله عليه وسلم ويل لمن قراها ولم يتفكر فيها الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم اي يذكرونه دائما على الحالات كلها قائمين وقاعدين ومضطجعين وعنه عليه السلام من احب ان يرتع في رياض الجنة فليكثر ذكر الله تعالى وقيل معناه يصلون على الهيئات الثلث حسب طاقتهم لقوله صلى الله عليه وسلم لعمران بن الحصين صل قائما فان لم تستطع فقاعدا فان لم تستطع فعلى جنب تومي ايماء فهو حجة للشافعي رحمه الله تعالى في ان المريض يصلي مضطجعا على جنبه الايمن مستقبلا بمقاديم بدنه ويتفكرون في خلق السموات والارض استدلالا واعتبارا وهو افضل العبادات كما قال صلى الله عليه وسلم لا عبادة كالتفكر لانه المخصوص بالقلب والمقصود من الخلق وعنه عليه الصلوة والسلام بينا رجل مستلق على فراشه اذ رفع راسه فنظر الى السماء والنجوم فقال اشهد ان لك ربا وخالقا اللهم اغفر لي فنظر الله اليه فغفر له وهذا دليل واضح على شرف علم الاصول وفضل اهله ربنا ما خلقت هذا باطلا على ارادة القول اي يتفكرون قائلين ذلك وهذا اشارة الى المتفكر فيه والخلق على انه اريد به المخلوق من السموات والارض او اليهما لانهما في معنى المخلوق والمعنى

جنات تجري من تحتها الانهار ثوابا من عند الله اي اثيبهم بذلك اثابة من عند الله تفضلا منه فهو مصدر مؤكد
والله عنده حسن الثواب على الطاعات قادر عليه لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد الخطاب للنبي صلى الله
عليه وسلم والمراد امته او تثبيته على ما كان عليه كقوله تعالى ولا تطع المكذبين او لكل احد والنهي في المعنى للمخاطب وانما جعل
للتقلب تنزيلا للسبب منزلة المسبب للمبالغة والمعنى لا تنظر الى ما الكفرة عليه من السعة والحظ ولا تغتر بظاهر ما ترى من
تبسطهم في مكاسبهم ومتاجرهم ومزارعهم روي ان بعض المؤمنين كانوا يرون المشركين في رخاء ولين عيش فيقولون
ان اعداء الله فيما نرى من الخير وقد هلكنا من الجوع والجهد فنزلت متاع قليل خبر مبتدأ محذوف اي ذلك التقلب
متاع قليل لقصر مدته وفي جنب ما اعد الله للمؤمنين قال صلى الله عليه وسلم ما الدنيا في الآخرة الا مثل ما يجعل احدكم
اصبعه في اليم فلينظر بم يرجع ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد اي ما مهدوا لانفسهم لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات
تجري من تحتها الانهار خالدين فيها نزلا من عند الله النزل والنزل ما يعد للنازل من طعام وشراب وصلة قال
ابو الشعر الضبي وكنا اذا الجبار بالجيش ضافنا جعلنا القنا والمرهفات له نزلا وانتصابه على الحال من جنات
والعامل فيها الظرف وقيل انه مصدر مؤكد والتقدير انزلوها نزلا وما عند الله لكثرته ودوامه خير للابرار مما
يتقلب فيه الفجار لقلته وسرعة زواله وان من اهل الكتاب لمن يؤمن بالله نزلت في ابن سلام واصحابه وقيل
في اربعين من نجران واثنين وثلاثين من الحبشة وثمانية من الروم كانوا نصارى فاسلموا وقيل في اصحمة النجاشي
لما نعاه جبريل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج وصلى عليه فقال المنافقون انظروا الى هذا يصلي على علج نصراني
لم يره قط وانما دخلت اللام على الاسم للفصل بينه وبين ان بالظرف وما انزل اليكم من القرآن وما انزل اليهم من الكتابين
خاشعين لله حال من فاعل يؤمن وجمعه باعتبار المعنى لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا كما يفعله المحرفون من احبارهم
اولئك لهم اجرهم عند ربهم ما خص بهم من الاجر ووعدوه في قوله تعالى اولئك يؤتون اجرهم مرتين ان الله
سريع الحساب لعلمه بالاعمال وما يستوجبه كل عامل من الجزاء او استغنائه عن التأمل والاحتياط والمراد ان الاجر
الموعود سريع الوصول فان سرعة الحساب تستدعي سرعة الجزاء يا ايها الذين آمنوا اصبروا على مشاق الطاعات وما يصيبكم
من الشدائد وصابروا وغالبوا اعداء الله في الصبر على شدائد الحرب واعدى عدوكم في الصبر على مخالفة الهوى
وتخصيصه بعد الامر بالصبر مطلقا لشدته ورابطوا ابدانكم وخيولكم في الثغور مترصدين للغزو وانفسكم
على الطاعة كما قال عليه الصلاة والسلام من الرباط انتظار الصلاة بعد الصلاة وعنه صلى الله عليه وسلم من رابط
يوما وليلة في سبيل الله كان كعدل صيام شهر رمضان وقيامه لا يفطر ولا ينفتل عن صلاته الا لحاجة واتقوا
الله لعلكم تفلحون واتقوا الله بالتبري عما سواه لكي تفلحوا غاية الفلاح او اتقوا القبائح لعلكم تفلحون بنيل المقامات الثلث
المترتبة التي هي الصبر على مضض الطاعات ومصابرة النفس في رفض العادات ومرابطة السر على جناب الحق لترصد
الواردات المعبر عنها بالشريعة والطريقة والحقيقة عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة آل عمران اعطي بكل آية منها امانا على
جسر جهنم وعنه صلى الله عليه وسلم من قرأ السورة التي يذكر فيها آل عمران يوم الجمعة صلى الله عليه وملائكته حتى تحجب الشمس

١١٩

من غيرهن اذ كان الرجل يجد يتيمة ذات مال وجمال فيتزوجها ضنا بها فربما يجتمع عنده منهن عدد و
لا يقدر على القيام بحقوقهن او ان خفتم ان لا تعدلوا في حقوق اليتامى فتحرجتم منها فخافوا ايضا ان لا تعدلوا بين النساء فانكحوا
مقدارا يمكنكم الوفاء بحقه لان المتحرج من الذنب ينبغي ان يتحرج من الذنوب كلها على ما روي انه تعالى لما عظم
امر اليتامى تحرجوا من ولايتهم وما كانوا يتحرجون من تكثير النساء واضاعتهن فنزلت وقيل كانوا يتحرجون من
ولاية اليتامى ولا يتحرجون من الزنا فقيل لهم ان خفتم ان لا تعدلوا في امر اليتامى فخافوا الزنا فانكحوا ما حل لكم
وانما عبر عنهن بما ذهابا الى الصفة او اجراء لهن مجرى غير العقلاء لنقصان عقلهن ونظيره او ما ملكت
ايمانكم وقرئ تقسطوا بفتح التاء على ان لا مزيدة اي ان خفتم ان تجوروا مثنى وثلاث ورباع معدولة
عن اعداد مكررة هي ثنتين ثنتين وثلث ثلث واربع اربع وهي غير منصرفة للعدل والصفة فانها بنيت صفات
وان كانت اصولها لم تبن لها وقيل لتكرير العدل فانها معدولة باعتبار الصيغة والتكرير منصوبة على الحال من
فاعل طاب ومعناها الاذن لكل ناكح يريد الجمع ان ينكح ما شاء من العدد المذكور متفقين فيه ومختلفين كقولك
اقتسموا هذه البدرة درهمين درهمين وثلثة ثلثة ولو افردت كان المعنى تجويز الجمع بين هذه الاعداد دون التوزيع ولو ذكرت
باو لذهب تجويز الاختلاف في العدد فان خفتم الا تعدلوا بين هذه الاعداد ايضا فواحدة اي فاختاروا او فانكحوا واحدة وذروا
وقرئ بالرفع على انه فاعل محذوف او خبره تقديره فيكفيكم واحدة او فالمقنع واحدة او ما ملكت ايمانكم سوى بين الواحدة من الازواج
والعدد من السراري لخفة مؤنتهن وعدم وجوب القسم بينهن ذلك اي التقليل منهن او اختيار الواحدة او التسري ادنى
الا تعولوا اقرب من ان لا تميلوا يقال عال الميزان اذا مال وعال الحاكم اذا جار وعول الفريضة الميل عن حد السهام
المسماة وفسر بان لا تكثر عيالكم على انه من عال الرجل عياله يعولهم اذا مانهم فعبر عن كثرة العيال بكثرة
المؤنة على الكناية ويؤيده قراءة ان لا تعيلوا من اعال الرجل اذا كثر عياله ولعل المراد بالعيال الازواج وان اريد الاولاد
فلان التسري مظنة قلة الولد بالاضافة الى التزوج لجواز العزل فيه كتزوج الواحدة بالاضافة الى تزوج الاربع وآتوا النساء
صدقاتهن مهورهن وقرئ بفتح الصاد وسكون الدال على التخفيف وبضم الصاد وسكون الدال جمع صدقة كغرفة وبضمهما على التوحيد
وهو تثقيل صدقة كظلمة في ظلمة نحلة عطية يقال نحله كذا نحلة ونحلا اذا اعطاه اياه عن طيب نفس بلا توقع عوض ومن فسرها
بالفريضة ونحوها نظر الى مفهوم الآية لا الى موضوع اللفظ ونصبها على المصدر لانها في معنى الايتاء او الحال من الواو او الصدقات
اي اعطوهن مهورهن ناحلين او منحولة وقيل المعنى نحلة من الله وتفضلا منه عليهن فيكون حالا من الصدقات وقيل ديانة
من قولهم انتحل فلان كذا اذا دان به على انه مفعول له او حال من الصدقات اي دينا من الله شرعه والخطاب للازواج وقيل
للاولياء لانهم كانوا ياخذون مهور موليا تهم فان طبن لكم عن شيء منه نفسا الضمير للصداق حملا على المعنى او يجري
مجرى اسم الاشارة كقول رؤبة في قوله + كانه في الجلد توليع البهق + اي كان ذاك وقيل للايتاء ونفسا تمييز لبيان الجنس ولذلك وحد
والمعنى فان وهبن لكم من الصداق شيئا عن طيب نفس لكن جعل العمدة طيب النفس للمبالغة وعداه بعن لتضمين معنى التجافي والتجاوز
[illegible] على تقليل الموهوب فكلوه هنيئا مريئا فخذوه وانفقوه حلالا بلا تبعة والهنيء والمريء صفتان من هنؤ الطعام

نصيبه لم يسقط روي ان اوس بن صامت الانصاري خلف زوجته ام كجة وثلث بنات فزوى ابنا عمه سويد
وقتادة وعرفجة ميراثه عنهن على سنة الجاهلية فانهم ما كانوا يورثون النساء والاطفال ويقولون انما يرث من يحارب ويذب عن
الحوزة فجاءت ام كجة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجد الفضيخ فشكت اليه فقال لها ارجعي حتى انظر ما يحدث
الله فنزلت فبعث اليهما لا تفرقا من مال اوس شيئا فان الله قد جعل لهن نصيبا ولم يبين حتى يبين فنزلت يوصيكم
الله في اولادكم فاعطى ام كجة الثمن والبنات الثلثين والباقي ابني العم وهو دليل على جواز تاخير البيان عن الخطاب وإذا
حضر القسمة اولوا القربى ممن لا يرث واليتامى والمساكين فارزقوهم منه فاعطوهم شيئا من المقسوم تطييبا لقلوبهم
وتصدقا عليهم وهو امر ندب للبلغ من الورثة وقيل امر وجوب ثم اختلف في نسخه والضمير لما ترك او ما دل عليه
القسمة وقولوا لهم قولا معروفا وهو ان يدعوا لهم ويستقلوا ما اعطوهم ولا يمنوا عليهم وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية
ضعافا خافوا عليهم امر للاوصياء بان يخشوا الله ويتقوه في امر اليتامى فيفعلوا بهم ما يحبون ان يفعل بذراريهم الضعاف
بعد وفاتهم او للحاضرين المريض عند الايصاء بان يخشوا ربهم او يخشوا على اولاد المريض ويشفقوا عليهم شفقتهم على اولادهم
فلا يتركوه ان يضر بهم بصرف المال عنهم او للورثة بالشفقة على من حضر القسمة من ضعفاء الاقارب واليتامى والمساكين
متصورين انهم لو كانوا اولادهم بقوا خلفهم ضعافا امثالهم هل يجوزون حرمانهم او للموصين بان ينظروا للورثة فلا يسرفوا في
الوصية ولو بما في حيزه جعل صلة للذين على معنى وليخش الذين حالهم وصفتهم انهم لو شارفوا ان يخلفوا ذرية
ضعافا خافوا عليهم الضياع وفي ترتيب الامر عليه اشارة الى المقصود منه والعلة فيه وبعث على الترحم وان يحب
لاولاد غيره ما يحب لاولاده وتهديد للمخالف بحال اولاده فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا امرهم بالتقوى التي هي غاية
الخشية بعد ما امرهم بها مراعاة للمبدا والمنتهى اذ لا ينفع الاول دون الثاني ثم امرهم ان يقولوا لليتامى مثل ما يقولون
لاولادهم بالشفقة وحسن الادب او للمريض ما يصده عن الاسراف في الوصية وتضييع الورثة ويذكره التوبة وكلمة
الشهادة او لحاضري القسمة عذرا جميلا ووعدا حسنا او ان يقولوا في الوصية ما لا يؤدي الى مجاوزة الثلث وتضييع الورثة
ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما ظالمين او على وجه الظلم انما ياكلون في بطونهم ملء بطونهم نارا ما يجر الى
النار ويؤول اليها وعن ابي بردة انه صلى الله عليه وسلم قال يبعث الله قوما من قبورهم تتأجج افواههم نارا فقيل من هم
فقال الم تر ان الله يقول ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما انما ياكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا
سيدخلون نارا واي نار وقرا ابن عامر وابن عياش عن عاصم بضم الياء مخففا وقرئ به مشددا يقال صلي النار
قاسى حرها وصليته شويته واصليته القيته فيها والسعير فعيل بمعنى مفعول من سعرت النار اذا
الهبتها يوصيكم الله يامركم ويعهد اليكم في اولادكم في شان ميراثهم وهو اجمال تفصيله للذكر مثل حظ الانثيين
اي يعد كل ذكر بانثيين حيث اجتمع الصنفان فيضعف نصيبه وتخصيص الذكر بالتنصيص على حظه لان القصد الى بيان
فضله والتنبيه على ان التضعيف كاف للتفضيل فلا يحرمن بالكلية وقد اشتركا في الجهة والمعنى للذكر
منه فحذف للعلم به فان كن نساء اي ان كان الاولاد نساء خلصا ليس معهن ذكر فانث الضمير باعتبار الخبر

بعد وصية يوصين بها أو دين ولهن الربع مما تركتم إن لم يكن لكم ولد فإن كان لكم ولد فلهن الثمن مما
تركتم من بعد وصية توصون بها أو دين فرض للرجل بحق الزوج ضعف ما للمرأة كما في النسب وهكذا قياس كل رجل وامرأة
اشتركا في الجهة والقرب ولا يستثنى منه إلا أولاد الأم والمعتق والمعتقة وتستوي الواحدة والعدد منهن في الربع والثمن وإن كان
رجل أي الميت يورث أي يورث منه من ورث صفة رجل كلالة خبر كان أو يورث خبره وكلالة حال من الضمير
فيه وهو من لم يخلف ولدا ولا والدا أو مفعول له والمراد بها قرابة ليست من جهة الوالد والولد ويجوز أن يكون
الرجل الوارث ويورث من أورث وكلالة من ليس بوالد ولا ولد وقرئ يورث على البناء للفاعل فالرجل الميت وكلالة
يحتمل المعاني الثلاثة وعلى الأول خبر أو حال وعلى الثاني مفعول له وعلى الثالث مفعول به وهي في الأصل مصدر بمعنى
الكلال قال الأعشى: فآليت لا أرثي لها من كلالة ÷ ولا من حفى حتى تلاقي محمدا × فاستعيرت للقرابة ليست
بالبعضية لأنها كالة بالإضافة إليها ثم وصف بها المورث والوارث بمعنى ذي كلالة كقولك فلان من قرابتي
أو امرأة عطف على رجل وله أي وللرجل واكتفى بحكمه عن حكم المرأة لدلالة العطف على تشاركهما فيه أخ أو أخت أي
من الأم ويدل عليه قراءة أبي وسعد بن مالك وله أخ أو أخت من الأم وأنه ذكر في آخر السورة أن للأختين الثلثين
وللإخوة الكل وهو لا يليق بأولاد الأم وأن ما قدر ههنا فرض الأم فيناسب أن يكون لأولادها فلكل
واحد منهما السدس فإن كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث سوى بين الذكر والأنثى في القسمة لأن
الإدلاء بمحض الأنوثة ومفهوم الآية أنهم لا يرثون ذلك مع الأم والجدة كما لا يرثون مع البنت وبنت الابن
فخص فيه بالإجماع من بعد وصية يوصى بها أو دين غير مضار أي غير مضار لورثته بالزيادة على الثلث أو قصد
المضارة بالوصية دون القربة والإقرار بدين لا يلزمه وهو حال من فاعل يوصى المذكور في هذه القراءة والمدلول
عليه بقوله يوصى على البناء للمفعول في قراءة ابن عامر وابن كثير وابن عياش عن عاصم وصية من الله مصدر مؤكد
أو منصوب بغير مضار على المفعول به ويؤيده أنه قرئ غير مضار وصية بالإضافة أي لا يضار وصية من
الله وهو الثلث فما دونه بالزيادة أو وصية منه بالأولاد بالإسراف في الوصية والإقرار الكاذب والله عليم بالمضار
وغيره حليم لا يعاجل بعقوبته تلك إشارة إلى الأحكام التي تقدمت في أمر اليتامى والوصايا والمواريث حدود الله شرائعه
التي هي كالحدود المحدودة التي لا يجوز مجاوزتها ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين
فيها وذلك الفوز العظيم ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله
عذاب مهين توحيد الضمير في يدخله وجمع خالدين للفظ والمعنى وقرأ نافع وابن عامر ندخله بالنون وخالدين حال
مقدرة كقولك مررت برجل معه صقر صائدا به غدا وكذلك خالدا وليسا صفتين لجنات ونارا وإلا لوجب
إبراز الضمير لأنهما جريا على غير من هما له واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم أي يفعلنها يقال أتى الفاحشة
وجاءها وغشيها ورهقها إذا فعلها والفاحشة الزنا لزيادة قبحها وشناعتها فاستشهدوا عليهن أربعة
منكم فاطلبوا ممن قذفهن أربعة من رجال المؤمنين تشهد عليهن فإن شهدوا فأمسكوهن في البيوت فاحبسوهن

١٧٥

مع الازواج كانوا يحبسون النساء من غير حاجة ورغبة حتى يرثوهن او يختلعن بمهورهن وقيل تم الكلام
بقوله كرها ثم خاطب الازواج ونهاهم عن العضل الا ان يأتين بفاحشة مبينة كالنشوز وسوء العشرة وعدم التعفف
والاستثناء من اعم عام الظرف او المفعول له تقديره ولا تعضلوهن للافتداء الا وقت ان يأتين بفاحشة او لا
لعلة الا ان يأتين بفاحشة وقرأ ابن كثير وابو بكر بفاحشة مبينة هنا وفي الاحزاب والطلاق بفتح الياء
والباقون بكسرها وعاشروهن بالمعروف بالانصاف في الفعل والاجمال في القول فان كرهتموهن فعسى ان تكرهوا
شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا اى فلا تفارقوهن لكراهة النفس فانها قد تكره ما هو اصلح دينا واكثر خيرا وقد تحب
ما هو بخلافه وليكن نظركم الى ما هو اصلح للدين وادنى الى الخير وعسى في الاصل علة الجزاء فاقيم مقامه والمعنى فان كرهتموهن
فاصبروا عليهن فعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وان اردتم استبدال زوج مكان زوج تطليق امرأة وتزوج اخرى وآتيتم احداهن
اى احدى الزوجات جمع الضمير لانه اراد بالزوج الجنس قنطارا مالا كثيرا فلا تأخذوا منه شيئا اى من القنطار
أتأخذونه بهتانا واثما مبينا استفهام انكار وتوبيخ اى اتأخذونه باهتين وآثمين ويحتمل النصب على العلة
كما في قولك قعدت عن الحرب جبنا لان الاخذ بسبب بهتانهم واقترافهم المآثم قيل كان الرجل منهم اذا اراد جديدة
بهت التي تحته بفاحشة حتى يلجئها الى الافتداء منه بما اعطاها ليصرفه الى تزوج الجديدة فنهوا عن ذلك والبهتان
الكذب الذي يبهت المكذوب عليه وقد يستعمل في الفعل الباطل ولذلك فسر ههنا بالظلم وكيف تأخذونه وقد افضى
بعضكم الى بعض انكار لاسترداد المهر والحال انه وصل اليها بالملامسة ودخل بها وتقرر المهر واخذن منكم ميثاقا
غليظا عهدا وثيقا وهو حق الصحبة والممازجة او ما اوثق الله عليهم في شأنهن بقوله فامساك بمعروف او تسريح باحسان
او ما اشار اليه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله اخذتموهن بامانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم
ولا تنكحوا التي نكحها آباؤكم وانما ذكر ما دون من لانه اريد به الصفة وقيل ما مصدرية على ارادة المفعول من المصدر
من النساء بيان ما نكح على الوجهين الا ما قد سلف استثناء من المعنى اللازم للنهي وكأنه قيل وتستحقون العقاب بنكاح ما نكح آباؤكم
الا ما قد سلف او من اللفظ للمبالغة في التحريم والتعميم كقوله + ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم + بهن فلول من قراع الكتائب
والمعنى ولا تنكحوا حلائل آبائكم الا ما قد سلف ان امكنكم ان تنكحوهن وقيل الاستثناء منقطع ومعناه لكن ما قد سلف فانه
لا مؤاخذة عليه لانه مقرر انه كان فاحشة ومقتا علة للنهي اى ان نكاحهن كان فاحشة عند الله ما رخص فيه لامة
من الامم ممقوتا عند ذوي المروءات ولذلك سمي ولد الرجل من زوجة ابيه المقتي وساء سبيلا سبيل من يراه ويفعله
حرمت عليكم امهاتكم وبناتكم واخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الاخ وبنات الاخت ليس المراد تحريم ذواتهن
بل تحريم نكاحهن لانه معظم ما يقصد منهن ولانه المتبادر الى الفهم كتحريم الاكل من قوله حرمت عليكم الميتة ولان ما قبله وما بعده
في النكاح وامهاتكم تعم من ولدتك او ولدت من ولدك وان علت وبناتكم تتناول من ولدتها او ولدت من ولدها
وان سفلت واخواتكم الاخوات من الاوجه الثلاثة وكذلك الباقيات والعمة كل انثى ولدها من ولد ذكرا
ولدك والخالة كل انثى ولدها من ولد انثى ولدتك قريبا او بعيدا وبنات الاخ وبنات الاخت تتناول القربى

تعالى لو سبي الزوجان لم يرتفع النكاح ولم تحل للسابي واطلاق الاية والحديث حجة عليه كتاب الله عليكم مصدر
مؤكد اي كتب الله عليكم تحريم هولاء كتابا وقرئ كتب الله بالجمع والرفع اي هذه فرائض الله عليكم وكتب الله
الفعل واحل لكم عطف على الفعل المضمر الذي نصب كتاب الله وقرا حمزة والكسائي وحفص عن عاصم على البناء
للمفعول عطفا على حرمت ما وراء ذلكم ما سوى المحرمات الثمان المذكورة وخص عنه بالسنة ما في معنى المذكورات
كسائر محرمات الرضاع والجمع بين المراة وعمتها وخالتها ان تبتغوا باموالكم محصنين غير مسافحين مفعول له وتعني
احل لكم ما وراء ذلكم ارادة ان تبتغوا النساء باموالكم بالصرف في مهورهن او اثمانهن في حال كونكم محصنين غير مسافحين
ويجوز ان لا يقدر مفعول تبتغوا وكانه قيل ارادة ان تصرفوا اموالكم محصنين غير مسافحين او بدل من ما وراء ذلكم بدل
الاشتمال واحتج به الحنفية على ان المهر لا بد ان يكون مالا ولا حجة فيه والاحصان العفة فانها تحصين للنفس عن اللوم والعقاب
والسفاح الزنا من السفح وهو صب المني فانه الغرض منه فما استمتعتم به منهن فمن تمتعتم به من المنكوحات او فما استمتعتم به منهن
من جماع او عقد عليهن فآتوهن اجورهن مهورهن فان المهر في مقابلة الاستمتاع فريضة حال من الاجور بمعنى مفروضة
او صفة مصدر محذوف اي ايتاء مفروضا او مصدر مؤكد ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة فيما
يزاد على المسمى او يحط عنه بالتراضي او فيما تراضيا به من نفقة او مقام او فراق وقيل نزلت الاية في المتعة التي كانت
ثلثة ايام حين فتحت مكة ثم نسخت كما روي انه صلى الله عليه وسلم اباحها ثم اصبح يقول يا ايها الناس اني كنت امرتكم بالاستمتاع
من هذه النساء الا ان الله تعالى حرم ذلك الى يوم القيمة وهي النكاح الموقت بوقت معلوم سميت بها اذ الغرض منه مجرد
الاستمتاع بالمراة وتمتيعها بما تعطى وجوزها ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ثم رجع عنه ان الله كان عليما بالمصالح
حكيما فيما شرع من الاحكام ومن لم يستطع منكم طولا غنى واعتلاء واصله الفضل والزيادة ان ينكح المحصنات
المؤمنات في موضع النصب بطولا او بفعل مقدر صفة له اي ومن لم يستطع منكم ان يعتلي نكاح المحصنات او لم يستطع
ما يبلغ به نكاح المحصنات يعني الحرائر فمن ما ملكت ايمانكم من فتياتكم المؤمنات يعني الاماء المؤمنات وظاهر الاية حجة للشافعي رحمه الله
في تحريم نكاح الامة على من ملك ما يجعله صداق حرة ومنع نكاح الامة الكتابية مطلقا واول ابو حنيفة رحمه الله تعالى
طول المحصنات بان يملك فراشهن على ان النكاح هو الوطي وحمل قوله تعالى من فتياتكم المؤمنات على الافضل كما حمل
عليه في قوله تعالى المحصنات المؤمنات ومن اصحابنا من حمله ايضا على التقييد وجوز نكاح الامة لمن قدر على
الحرة الكتابية دون المؤمنة حذرا من مخالطة الكفار وموالاتهم والمحذور في نكاح الامة رق الولد وما فيه
من المهانة ونقصان حق الزوج والله اعلم بايمانكم فاكتفوا بظاهر الايمان فانه العالم بالسرائر وبتفاضل ما بينكم
في الايمان فرب امة تفضل الحرة فيه ومن حقكم ان تعتبروا فضل الايمان لا فضل النسب والمراد تانيسهم بنكاح الاماء وتركهم
عن الاستنكاف منه ويؤيده بعضكم من بعض اي انتم وارقاؤكم متناسبون نسبكم من ادم على نبينا وعليه الصلوة والسلام
ودينكم الاسلام فانكحوهن باذن اهلهن يريد اربابهن واعتبار اذنهم مطلقا لا اشعار له على ان لهن ان يباشرن
العقد بانفسهن حتى يحتج به الحنفية وآتوهن اجورهن وادوا اليهن مهورهن باذن اهلهن فحذف ذلك لتقدم

للمؤمنين كنفس واحدة جمع في التوصية بين حفظ النفس والمال الذي هو شقيقها من حيث انه سبب قوامها استبقاء
لهم ريثما تستكمل النفوس وتستوفي فضائلها رأفة بهم ورحمة كما اشار اليه بقوله إن الله كان بكم رحيما اي امر ما امر ونهى عما
نهى لفرط رحمته عليكم معناه انه كان بكم يا امة محمد صلى الله عليه وسلم رحيما لما امر بني اسرائيل بقتل الانفس ونهاكم عنه ومن يفعل ذلك
اشارة الى القتل او ما سبق من المحرمات عدوانا وظلما افراطا في التجاوز عن الحق واتيانا بما لا يستحقه وقيل اراد بالعدوان
التعدي على الغير وبالظلم ظلم النفس بتعريضها للعقاب فسوف نصليه نارا ندخله اياها وقرئ بالتشديد من صلى وبفتح
النون من صلاه يصليه ومنه شاة مصلية ويصليه بالياء والضمير لله او لذلك من حيث انه سبب الصلي وكان ذلك
على الله يسيرا لا عسر فيه ولا صارف عنه إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه كبائر الذنوب التي نهاكم الله ورسوله
صلى الله عليه وسلم عنها وقرئ كبير على ارادة الجنس نكفر عنكم سيئاتكم نغفر لكم صغائركم ونمحها عنكم واختلف في الكبائر
والاقرب ان الكبيرة كل ذنب رتب الشارع عليه حدا او صرح بالوعيد فيه وقيل ما علم حرمته بقاطع وعن النبي صلى الله عليه وسلم
انها سبع الاشراك بالله وقتل النفس التي حرم الله تعالى وقذف المحصنة واكل مال اليتيم والربوا والفرار من الزحف وعقوق
الوالدين وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما الكبائر الى سبعمائة اقرب منها الى السبع وقيل اراد به هنا انواع الشرك
لقوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وقيل صغر الذنوب وكبرها بالاضافة الى ما فوقها
وما تحتها فاكبر الكبائر الشرك واصغر الصغائر حديث النفس وبينهما وسائط يصدق عليها الامران فمن عن له امران
ودعت نفسه اليهما بحيث لا يتمالك فكفها عن اكبرهما كفر عنه ما ارتكبه لما استحق من الثواب على
اجتناب الاكبر ولعل هذا مما يتفاوت باعتبار الاشخاص والاحوال الا ترى انه تعالى عاتب نبيه صلى الله عليه وسلم
في كثير من خطراته التي لم تعد على غيره خطيئة فضلا ان يؤاخذ عليها وندخلكم مدخلا كريما الجنة وما وعد
من الثواب او ادخالا مع كرامة وقرأ نافع هنا وفي الحج بفتح الميم وهو ايضا يحتمل المكان والمصدر ولا تتمنوا ما فضل
الله به بعضكم على بعض من الامور الدنيوية كالجاه والمال فلعل عدمه خير والمقتضي للمنع كونه ذريعة الى التحاسد والتعادي
معربة عن عدم الرضا بما قسم الله تعالى له وانه تشهي لحصول الشيء له من غير طلب وهو مذموم لان تمني ما لم يقدر له معارضة
لحكمة القدر وتمني ما قدر له بكسب بطالة وتضييع حظ وتمني ما قدر له بغير كسب ضائع ومحال للرجال نصيب
مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن بيان لذلك اي لكل من الرجال والنساء فضل ونصيب بسبب ما
اكتسب ومن اجله فاطلبوا الفضل بالعمل لا بالحسد والتمني كما قال صلى الله عليه وسلم ليس الايمان بالتمني وقيل المراد
نصيب الميراث وتفضيل الورثة بعضهم على بعض فيه وجعل ما قسم لكل منهم على حسب ما عرف من حاله الموجبة للزيادة
والنقص كالمكتسب له واسألوا الله من فضله اي لا تتمنوا ما للناس واسألوا الله مثله من خزائنه التي لا تنفد وهو دليل
على ان النهي عن الحسد او لا تتمنوا واسألوا الله من فضله بما يقربه ويسوقه اليكم وقرأ ابن كثير والكسائي وسلوا الله من فضله
وسلهم فسل الذين وشبهه اذا كان امرا مواجها به وقبل السين واو او فاء بغير همز وحمزة في الوقف على اصله والباقون بالهمز
إن الله كان بكل شيء عليما فهو يعلم ما يستحقه كل انسان فيفضل عن علم وتبيان روي ان ام سلمة قالت يا رسول الله

منصوب المحل على انه اسم لا النافية للجنس العاملة عمل ان لانها نقيضتها ولازمة للاسماء لزومها وفي قراءة ابي الشعثاء
مرفوع بلا التي بمعنى ليس وفيه خبره ولم يقدم كما قدم في قوله تعالى لا فيها غول لانه لم يقصد تخصيص نفي الريب
به من بين سائر الكتب كما قصد ثمه او صفته وللمتقين خبره وهدى نصب على الحال او الخبر محذوف
كما في لا ضير ولذلك وقف على ريب على ان فيه خبر هدى قدم عليه لتنكيره والتقدير لا ريب فيه فيه
هدى وان يكون ذلك مبتدأ والكتاب خبره على معنى انه الكتاب الكامل الذي يستاهل ان يسمى كتابا
او صفته وما بعده خبره والجملة خبر الم والاولى ان يقال انها اربع جمل متناسقة تقرر اللاحقة منها السابقة
ولذلك لم يدخل العاطف بينها فالم جملة دلت على ان المتحدى به هو المؤلف من جنس ما يركبون منه كلامهم
وذلك الكتاب جملة ثانية مقررة لجهة التحدي بانه الكتاب المنعوت بغاية الكمال ثم لا
ريب فيه ولا ريب فيه ثالثة تشهد على كماله اذ لا كمال اعلى مما للحق واليقين وهدى للمتقين بما يقدر له
مبتدأ رابعة تؤكد كونه حقا لا يحوم الشك حوله بانه هدى للمتقين او تستتبع السابقة منها اللاحقة
استتباع الدليل للمدلول وبيانه انه لما نبه اولا على اعجاز المتحدى به من حيث انه من جنس كلامهم وقد
عجزوا عن معارضته استنتج منه انه الكتاب البالغ حد الكمال واستلزم ذلك ان لا يتشبث الريب باطرافه اذ
لا انقص مما يعتريه الشك والشبهة وما كان كذلك كان لا محالة هدى للمتقين وفي كل واحدة منها نكتة ذات
جزالة ففي الاولى الحذف والرمز الى المقصود مع التعليل وفي الثانية فخامة التعريف وفي الثالثة تاخير
الظرف حذرا عن ايهام الباطل وفي الرابعة الحذف والتوصيف بالمصدر للمبالغة وايراده منكرا للتعظيم وتخصيص الهدى
بالمتقين باعتبار الغاية وتسمية المشارف للتقوى متقيا ايجازا وتفخيما لشانه الذين يؤمنون بالغيب اما
موصول بالمتقين على انه صفة مجرورة مقيدة له ان فسر التقوى بترك ما لا ينبغي مترتبة عليه
ترتب التحلية على التخلية والتصوير على التصقيل او موضحة ان فسر بما يعم فعل الحسنات وترك السيئات
لاشتماله على ما هو اصل الاعمال واساس الحسنات من الايمان والصلوة والصدقة فانها امهات الاعمال
النفسانية والعبادات البدنية والمالية المستتبعة لسائر الطاعات والتجنب عن المعاصي غالبا الا ترى
الى قوله تعالى ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر وقوله عليه الصلوة والسلام الصلوة عماد الدين
والزكوة قنطرة الاسلام او مادحة بما تضمنه وتخصيص الايمان بالغيب واقام الصلوة وايتاء
الزكوة بالذكر اظهار لفضلها على سائر ما يدخل تحت اسم التقوى او على انه مدح منصوب
او مرفوع بتقدير اعني او هم الذين واما مفصول عنه مرفوع بالابتداء وخبره اولئك على
هدى فيكون الوقف على المتقين تاما والايمان في اللغة عبارة عن التصديق ماخوذ من
الامن كان المصدق امن المصدق من التكذيب والمخالفة وتعديته بالباء لتضمينه معنى الاعتراف وقد يطلق بمعنى
الوثوق من حيث ان الواثق صار ذا امن ومنه ما امنت ان اجد صحابة وكلا الوجهين حسن في يؤمنون بالغيب

هما وان لم يجر ذكرهما لجري ما يدل عليهما واضافة الشقاق الى الظرف اما لاجرائه مجرى المفعول به كقوله يا سارق
الليلة اهل الدار او الفاعل كقولهم نهاره صائم فابعثوا حكما من اهله وحكما من اهلها فابعثوا ايها الحكام متى اشتبه عليكم حالهما لتبيين
الامر او اصلاح ذات البين رجلا وسطا يصلح للحكومة والاصلاح من اهله واخر من اهلها فان الاقارب اعرف ببواطن
الاحوال واطلب للصلاح وهذا على وجه الاستحباب فلو نصبا من الاجانب جاز وقيل الخطاب للازواج والزوجات واستدل
به على جواز التحكيم والاظهر ان النصب لاصلاح ذات البين او لتبيين الامر ولا يليان الجمع والتفريق الا باذن الزوجين وقال
مالك رحمه الله تعالى لهما ان يتخالعا ان وجدا الصلاح فيه ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما الضمير الاول للحكمين
والثاني للزوجين اي ان قصدا الاصلاح اوقع الله تعالى بحسن سعيهما الموافقة بين الزوجين وقيل
كلاهما للحكمين اي ان قصدا الاصلاح يوفق الله تعالى بينهما لتتفق كلمتهما ويحصل مقصودهما وقيل للزوجين اي ان ارادا
الاصلاح وزوال الشقاق اوقع الله تعالى بينهما الالفة والوفاق وفيه تنبيه على ان من اصلح نيته فيما يتحراه اصلح الله تعالى مبتغاه ان
الله كان عليما خبيرا بالظواهر والبواطن فيعلم كيف يرفع الشقاق ويوقع الوفاق واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا صنما
او غيره او شيئا من الاشراك جليا او خفيا وبالوالدين احسانا واحسنوا بهما احسانا وبذي القربى وبصاحب القرابة واليتامى
والمساكين والجار ذي القربى الذي قرب جواره وقيل الذي له مع الجوار قرب واتصال بنسب او دين وقرئ بالنصب
على الاختصاص تعظيما لحقه والجار الجنب البعيد او الذي لا قرابة له وعنه صلى الله عليه وسلم الجيران ثلاثة
فجار له ثلاثة حقوق حق الجوار وحق القرابة وحق الاسلام وجار له حقان حق الجوار وحق الاسلام وجار له حق واحد
حق الجوار وهو المشرك من اهل الكتاب والصاحب بالجنب الرفيق في امر حسن كتعلم وتصرف وصناعة وسفر فانه صحبك وحصل
بجنبك وقيل المرأة وابن السبيل المسافر او الضيف وما ملكت ايمانكم العبيد والاماء ان الله لا يحب من كان
مختالا متكبرا يأنف عن اقاربه وجيرانه واصحابه ولا يلتفت اليهم فخورا يتفاخر عليهم الذين يبخلون ويأمرون
الناس بالبخل بدل من قوله من كان او نصب على الذم او رفع عليه اي هم الذين او مبتدأ خبره محذوف تقديره الذين يبخلون بما منحوا
به احقاء بكل ملامة وقرأ حمزة والكسائي بالبخل بفتح الحرفين ههنا وفي الحديد وهي لغة
ويكتمون ما آتاهم الله من فضله الغنى والعلم واعتدنا للكافرين عذابا مهينا وضع الظاهر فيه موضع المضمر
اشعارا بان من هذا شأنه فهو كافر لنعمة الله تعالى ومن كان كافرا لنعمة فله عذاب يهينه كما اهان النعمة بالبخل والاخفاء والآية
نزلت في طائفة من اليهود كانوا يقولون للانصار تنصيحا لا تنفقوا اموالكم فانا نخشى عليكم الفقر وقيل في الذين كتموا صفة
محمد صلى الله عليه وسلم والذين ينفقون اموالهم رئاء الناس عطف على الذين يبخلون او الكافرين وانما شاركهم في الذم
والوعيد لان البخل والسرف الذي هو الانفاق لا على ما ينبغي من حيث انهما طرفا افراط وتفريط سواء في القبح
واستجلاب الذم او مبتدأ خبره محذوف مدلول عليه بقوله ومن يكن الشيطان ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ليتحروا بالانفاق مراضيه
وثوابه وهم مشركو مكة وقيل المنافقون ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا تنبيه على ان الشيطان قرنهم فحملهم على ذلك
وزين لهم كقوله تعالى ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين والمراد ابليس واعوانه الداخلة والخارجة ويجوز ان

والجنب الذي اصابته الجنابة يستوي فيه المذكر والمونث والواحد والجمع لانه يجري مجرى المصدر الا عابري سبيل متعلق
بقوله ولا جنبا استثناء من اعم الاحوال اي لا تقربوا الصلوة جنبا في عامة الاحوال الا في السفر وذلك اذا لم يجد الماء
وتيمم ويشهد له تعقيبه بذكر التيمم او صفة لقوله جنبا اي جنبا غير عابري سبيل وفيه دليل على ان التيمم
لا يرفع الحدث ومن فسر الصلوة بمواضعها فسر عابري سبيل بالمجتازين فيها وجوز للجنب عبور المسجد وبه قال الشافعي
تعالى وقال ابو حنيفة رحمه الله تعالى لا يجوز له المرور في المسجد الا اذا كان فيه الماء او الطريق حتى تغتسلوا غاية النهي
عن القربان حال الجنابة وفي الآية تنبيه على ان المصلي ينبغي ان يتحرز عما يلهيه ويشغل قلبه ويزكي نفسه عما يجب تطهيرها
عنه وان كنتم مرضى مرضا يخاف معه من استعمال الماء فان الواجد له كالفاقد او مرضا يمنعه عن الوصول اليه او على سفر
لا تجدونه فيه او جاء احد منكم من الغائط فاحدث بخروج الخارج من احد السبيلين واصل الغائط المطمئن من الارض
او لامستم النساء او ماسستم بشرتهن ببشرتكم وبه استدل الشافعي رحمه الله تعالى على ان اللمس ينقض الوضوء وقيل
او جامعتموهن وقرا حمزة والكسائي هنا وفي المائدة لمستم واستعماله كناية عن الجماع اقل من الملامسة فلم تجدوا
ماء فلم تتمكنوا من استعماله اذ الممنوع عنه كالمفقود ووجه هذا التقسيم ان المترخص بالتيمم اما محدث او جنب والحال المقتضية
له في غالب الامر مرض او سفر والجنب لما سبق ذكره اقتصر على بيان حاله والمحدث لما لم يجر ذكره ذكر اسبابه ما يحدث بالذات وما
يحدث بالعرض واستغنى عن تفصيل احواله بتفصيل حال الجنب وبيان العذر مجملا وكانه قيل وان كنتم جنبا مرضى او على سفر
او محدثين جئتم من الغائط او لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وايديكم اي فتعمدوا
شيئا من وجه الارض طاهرا ولذلك قالت الحنفية لو ضرب المتيمم يده على حجر صلد ومسح اجزاه وقال اصحابنا لا بد من ان
يعلق باليد شيء من التراب لقوله تعالى في المائدة فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه اي من بعضه وجعل من لابتداء الغاية
تعسف اذ لا يفهم من نحو ذلك الا التبعيض واليد اسم العضو الى المنكب وما روي انه صلى الله عليه وسلم تيمم ومسح يديه الى مرفقيه
والقياس على الوضوء دليل على ان المراد ههنا وايديكم الى المرافق ان الله كان عفوا غفورا فلذلك يسر الامر عليكم
ورخص لكم الم تر الى الذين اوتوا من رؤية البصر اي الم تنظر اليهم او القلب وعدي بالى لتضمين معنى الانتهاء نصيبا
من الكتاب حظا يسيرا من علم التوراة لان المراد احبار اليهود يشترون الضلالة يختارونها على الهدى
او يستبدلونها بها بعد تمكنهم منه او حصوله لهم بانكار نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل ياخذون الرشى ويحرفون
التوراة ويريدون ان تضلوا ايها المؤمنون السبيل سبيل الحق والله اعلم منكم باعدائكم وقد اخبركم بعداوة
هؤلاء وما يريدون بكم فاحذروهم وكفى بالله وليا يلي امركم وكفى بالله نصيرا يعينكم فثقوا عليه واكتفوا به عن غيره
والباء تزاد في فاعل كفى لتوكيد الاتصال الاسنادي بالاتصال الاضافي من الذين هادوا بيان للذين اوتوا نصيبا
فانه يحتملهم وغيرهم وما بينهما اعتراض او بيان لاعدائكم او صلة لنصيرا اي ينصركم من الذين هادوا او يتعلق
او خبر مبتدا محذوف صفته يحرفون الكلم عن مواضعه اي من الذين هادوا قوم يحرفون الكلم اي يميلونه عن
مواضعه التي وضعه الله تعالى فيها بازالته عنها واثبات غيره فيها او يؤولونه على ما يشتهون فيميلونه عما انزل

ولكن لذلك الاختلاف ألم تر إلى الذين يزكون أنفسهم يعني أهل الكتاب قالوا نحن أبناء الله وأحباؤه وقيل ناس
من اليهود جاؤوا بأطفالهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا هل على هؤلاء ذنب قال صلى الله عليه وسلم لا قالوا والله ما نحن
إلا كهيئتهم ما عملنا بالنهار كفر عنا بالليل وما عملنا بالليل كفر عنا بالنهار وفي معناهم من زكى نفسه وأثنى عليها
بل الله يزكي من يشاء تنبيه على أن تزكيته هو المعتد به دون تزكية غيره فإنه العالم بما ينطوي عليه الإنسان من حسن
وقبح وقد ذمهم وزكى المرتضين من عباده المؤمنين وأصل التزكية نفي ما يستقبح فعلا أو قولا ولا يظلمون
بالذم والعقاب على تزكيتهم أنفسهم بغير حق فتيلا أدنى ظلم وأصغره وهو الخيط الذي في شق النواة يضرب به
المثل في الحقارة انظر كيف يفترون على الله الكذب في زعمهم أنهم أبناء الله تعالى وأزكياء عنده وكفى به بزعمهم هذا
أو بالافتراء إثما مبينا لا يخفى كونه مأثما من بين آثامهم ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت و
الطاغوت نزلت في يهود كانوا يقولون إن عبادة الأصنام أرضى عند الله مما يدعو إليه محمد صلى الله عليه وسلم وقيل في
حيي بن أخطب وكعب بن الأشرف في جمع من اليهود خرجوا إلى مكة يحالفون قريشا على محاربة رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقالوا أنتم أهل الكتاب وأنتم أقرب إلى محمد منكم إلينا فلا نأمن مكركم فاسجدوا لآلهتنا حتى نطمئن
إليكم ففعلوا والجبت في الأصل اسم صنم فاستعمل في كل ما عبد من دون الله وقيل أصله الجبس وهو الذي لا خير فيه
فقلبت سينه تاء والطاغوت يطلق لكل باطل من معبود أو غيره ويقولون للذين كفروا لأجلهم وفيهم هؤلاء
إشارة إليهم أهدى من الذين آمنوا سبيلا أقوم دينا وأرشد طريقا أولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله
فلن تجد له نصيرا يمنع العذاب عنه بشفاعة أو غيرها أم لهم نصيب من الملك أم منقطعة ومعنى الهمزة إنكار
أن يكون لهم نصيب من الملك وجحد لما زعمت اليهود من أن الملك سيصير إليهم فإذا لا يؤتون الناس نقيرا أي لو كان
لهم نصيب من الملك فإذا لا يؤتون أحدا ما يوازي نقيرا وهو النقرة في ظهر النواة وهذا هو الإغراق في بيان شحهم فإنهم
بخلوا بالنقير وهم ملوك فما ظنك بهم إذا كانوا أذلاء متفاقرين ويجوز أن يكون المعنى إنكار أنهم أوتوا نصيبا من الملك
على الكناية وأنهم لا يؤتون الناس شيئا وإذن إذا وقع بعد الواو والفاء لا لتشريك مفرد جاز فيه الإلغاء والإعمال
ولذلك قرئ فإذا لا يؤتوا على النصب أم يحسدون الناس بل أيحسدون رسول الله صلى الله عليه وسلم و
أصحابه أو العرب أو الناس جميعا لأن من حسد على النبوة فكأنما حسد الناس كلهم كمالهم ورشدهم وبخهم
وأنكر عليهم الحسد كما ذمهم على البخل وهما شر الرذائل وكأن بينهما تلازما وتجاذبا على ما آتاهم الله من فضله يعني النبوة
والكتاب والنصرة والإعزاز وجعل النبي الموعود منهم فقد آتينا آل إبراهيم الذين هم أسلاف محمد صلى الله عليه وسلم
وأبناء عمه الكتاب والحكمة النبوة وآتيناهم ملكا عظيما فلا يبعد أن يؤتيه الله تعالى مثل ما آتاهم فمنهم من اليهود
من آمن به بمحمد صلى الله عليه وسلم أو بما ذكر من حديث آل إبراهيم ومنهم من صد عنه أعرض عنه ولم يؤمن
به وقيل معناه فمن آل إبراهيم من آمن به ومنهم من كفر به ولم يكن في ذلك توهين أمره فكذلك لا يوهن
كفر هؤلاء أمرك وكفى بجهنم سعيرا نارا مسعورة يعذبون بها أي إن لم يعجلوا بالعقوبة فقد كفاهم ما أعد لهم من سعير

الى كعب بن الاشرف ثم انهما احتكما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فحكم لليهودي فلم يرض المنافق وقال نتحاكم الى عمر رضي
الله عنه فقال اليهودي لعمر قضى لي رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يرض بقضائه وخاصم اليك فقال عمر للمنافق اكذلك فقال
نعم فقال مكانكما حتى اخرج اليكما فدخل فاخذ سيفه ثم خرج فضرب عنق المنافق حتى برد وقال هكذا اقضي لمن لم يرض بقضاء
الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم فنزلت وقال جبريل عليه السلام ان عمر رضي الله تعالى عنه فرق بين الحق والباطل فسمي
الفاروق والطاغوت على هذا كعب بن الاشرف وفي معناه من يحكم بالباطل ويؤثر لاجله سمي بذلك لفرط طغيانه
او لتشبيهه بالشيطان او لان التحاكم اليه تحاكم الى الشيطان من حيث انه الحامل عليه كما قال وقد امروا ان يكفروا
به ويريد الشيطان ان يضلهم ضلالا بعيدا وقرئ ان يكفروا بها على ان الطاغوت جمع كقوله تعالى اولياؤهم الطاغوت
يخرجونهم واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول وقرئ تعالوا بضم اللام على انه حذف لام الفعل اعتباطا
ثم ضم اللام بواو الضمير رايت المنافقين يصدون عنك صدودا هو مصدر او اسم للمصدر الذي هو الصد والفرق
بينه وبين السد انه غير محسوس والسد محسوس ويصدون في موضع الحال فكيف يكون حالهم اذا اصابتهم مصيبة كقتل
عمر المنافق او النقمة من الله بما قدمت ايديهم من التحاكم الى غيرك وعدم الرضا بحكمك ثم جاؤوك حين يصابون
للاعتذار عطف على اصابتهم وقيل على يصدون وما بينهما اعتراض يحلفون بالله ان اردنا الا احسانا وتوفيقا
ما اردنا بذلك الا الفصل بالوجه الاحسن والتوفيق بين الخصمين ولم نرد مخالفتك وقيل جاء اصحاب القتيل طالبين بدمه
وقالوا ما اردنا بالتحاكم الى عمر رضي الله عنه الا ان يحسن الى صاحبنا ويوفق بينه وبين خصمه اولئك الذين يعلم الله ما في
قلوبهم من النفاق فلا يغني عنهم الكتمان والحلف الكاذب من العقاب فاعرض عنهم اي عن عقابهم لمصلحة في
استبقائهم او عن قبول معذرتهم وعظهم بلسانك وكفهم عما هم عليه وقل لهم في انفسهم اي في معنى انفسهم او
خاليا بهم فان النصح في السر انجع قولا بليغا يبلغ منهم ويؤثر فيهم امرهم بالتجافي عن ذنوبهم والنصح لهم والمبالغة
فيه بالترغيب والترهيب وذلك مقتضى شفقة الانبياء وتعليق الظرف ببليغا على معنى بليغا في انفسهم مؤثرا فيها
ضعيف لان معمول الصفة لا يتقدم على الموصوف والقول البليغ في الاصل هو الذي يطابق مدلوله المقصود به وما
ارسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله بسبب اذنه في طاعته وامره المبعوث اليهم بان يطيعوه كانه احتج
بذلك على ان الذي لم يرض بحكمه وان اظهر الاسلام كان كافرا مستوجب القتل وتقريره ان ارسال الرسول
لما لم يكن الا ليطاع كان من لم يطعه ولم يرض بحكمه لم يقبل رسالته ومن كان كذلك كان كافرا مستوجب القتل ولو انهم
اذ ظلموا انفسهم بالنفاق او التحاكم الى الطاغوت جاؤوك تائبين من ذلك وهو خبر ان واذ متعلق به فاستغفروا
الله بالتوبة والاخلاص واستغفر لهم الرسول واعتذروا اليك حتى انتصبت لهم شفيعا وانما عدل عن الخطاب تفخيما
لشانه وتنبيها على ان من حق الرسول ان يقبل اعتذار التائب وان عظم جرمه ويشفع له ومن منصبه ان يشفع
في كبائر الذنوب لوجدوا الله توابا رحيما لعلموه قابلا لتوبتهم متفضلا عليهم بالرحمة وان فسر وجد بصادف
كان توابا حالا ورحيما بدلا منه او حالا من الضمير فيه فلا وربك اي فوربك ولا مزيدة لتاكيد القسم لا تظاهر

في معنى التعجب ورفيقا نصب على التميز او الحال ولم يجمع لانه يقال للواحد والجمع كالصديق او لانه اريد وحسن كل واحد منهم
رفيقا روي ان ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم اتاه يوما وقد تغير وجهه ونحل جسمه فسأله عن حاله فقال ما بي
من وجع غير اني اذا لم اراك اشتقت اليك واستوحشت وحشة شديدة حتى القاك ثم ذكرت الآخرة فخفت ان لا اراك
هناك لاني عرفت انك ترفع مع النبيين وان ادخلت الجنة كنت في منزل دون منزلك وان لم ادخل فذلك حين لا اراك
ابدا فنزلت ذلك اشارة الى ما للمطيعين من الاجر ومزيد الهداية ومرافقة المنعم عليهم او الى فضل هؤلاء المنعم عليهم ومزيتهم
الفضل صفته من الله خبره او الفضل خبره ومن الله حال والعامل فيه معنى الاشارة وكفى بالله عليما بجزاء من اطاعه
او بمقادير الفضل واستحقاق اهله يا ايها الذين آمنوا خذوا حذركم تيقظوا واستعدوا للاعداء والحذر والحذر
كالاثر والاثر وقيل ما يحذر به كالحزم والسلاح فانفروا فاخرجوا الى الجهاد ثبات جماعات متفرقة جمع ثبة من ثبيت
على فلان تثبية اذا ذكرت متفرق محاسنه ويجمع ايضا على ثبين جبرا لما حذف من عجزه او انفروا جميعا مجتمعين
كوكبة واحدة والآية وان نزلت في الحرب لكن يقتضي اطلاق لفظها وجوب المبادرة الى الخيرات كلها كيفما امكن قبل الفوات وان منكم
لمن ليبطئن الخطاب لعسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤمنين منهم والمنافقين والمبطئون منافقوهم تثاقلوا وتخلفوا عن الجهاد
من بطأ بمعنى ابطأ وهو لازم او ثبطوا غيرهم كما ثبط ابن ابي ناسا يوم احد من بطأ منقولا من بطؤ ككثل من ثقل واللام
الاولى للابتداء دخلت اسم ان للفصل بالخبر والثانية جواب قسم محذوف والقسم بجوابه صلة من والراجع اليه ما استكن
في ليبطئن والقتل روان منكم لمن اقسم بالله ليبطئن فان اصابتكم مصيبة كقتل وهزيمة قال اي المبطئ قد انعم الله
علي اذ لم اكن معهم شهيدا حاضرا فيصيبني ما اصابهم ولئن اصابكم فضل من الله كفتح وغنيمة ليقولن اكده تنبيها على فرط
تحسرهم وقرئ بضم اللام اعادة للضمير على معنى من كأن لم يكن بينكم وبينه مودة اعتراض بين الفعل ومفعوله وهو يا ليتني
كنت معهم فافوز فوزا عظيما للتنبيه على ضعف عقيدتهم وان قولهم هذا قول من لا مواصلة بينكم وبينه وانما يريد
ان يكون معكم لمجرد المال او حال عن الضمير في ليقولن او داخل في المقول اي يقول المبطئ لمن يثبطه من المنافقين وضعفة المسلمين تضريبا
وحسدا كأن لم يكن بينكم وبين محمد صلى الله عليه وسلم مودة حيث لم يستعن بكم فتفوزوا بما فاز يا ليتني كنت معهم وقيل انه متصل بالجملة
الاولى وهو ضعيف اذ لا يفصل ابعاض الجملة بما لا يتعلق بها لفظا ومعنى وكأن مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن وهو
محذوف وقرأ ابن كثير وحفص عن عاصم ورويس عن يعقوب تكن بالتاء لتأنيث لفظ المودة والمنادى في يا ليتني محذوف اي
يا قوم وقيل يا اطلق للتنبيه على الاتساع فافوز نصب على جواب التمني وقرئ بالرفع على تقدير فانا افوز في ذلك الوقت
او العطف على كنت فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة اي الذين يبيعونها بها والمعنى ان بطأ
هؤلاء عن القتال فليقاتل المخلصون الباذلون انفسهم في طلب الآخرة او الذين يشترونها ويختارونها على الآخرة
وهم المبطئون والمعنى حثهم على ترك ما حكي عنهم ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل او يغلب فسوف نؤتيه اجرا عظيما وعد له الاجر
العظيم غلب او غلب ترغيبا في القتال وتكذيبا لقولهم قد انعم الله علي اذ لم اكن معهم شهيدا وانما قال فيقتل او يغلب تنبيها
على ان المجاهد ينبغي ان يثبت في المعركة حتى يعز نفسه بالشهادة او الدين بالظفر والغلبة وان لا يكون قصده بالذات

مشيدة وصفها بوصف فاعلها كقولهم قصيدة شاعرة ومشيدة من شاد القصر اذا رفعه وان تصبهم حسنة
يقولوا هذه من عند الله وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك كما تقع الحسنة والسيئة على الطاعة والمعصية
يقعان على النعمة والبلية وهما المراد في الآية اي وان تصبهم نعمة كخصب نسبوها الى الله تعالى وان تصبهم بلية كقحط اضافوها
اليك وقالوا ان هي الا بشؤمك كما قالت اليهود منذ دخل محمد المدينة نقصت ثمارها وغلت اسعارها قل كل من عند
الله يبسط ويقبض حسب ارادته فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا يوعظون به وهو القرآن فانهم
لو فهموه وتدبروا معانيه لعلموا ان الكل من الله تعالى او حديثا ما كبهائم لا افهام لهم او حادثا من صروف الزمان فيتفكروا
فيها فيعلموا ان الباسط والقابض هو الله تعالى ما اصابك يا انسان من حسنة من نعمة فمن الله تفضلا منه فان
كل ما فعله الانسان من الطاعة لا يكافئ نعمة الوجود فكيف يقتضي غيره ولذلك قال صلى الله عليه وسلم ما احد يدخل
الجنة الا برحمة الله تعالى قيل ولا انت قال ولا انا وما اصابك من سيئة من بلية فمن نفسك لانها السبب فيها لاستجلابها
بالمعاصي وهو لا ينافي قوله كل من عند الله فان الكل منه ايجادا وايصالا غير ان الحسنة احسان وامتحان و
السيئة مجازاة وانتقام كما قالت عائشة رضي الله تعالى عنها ما من مسلم يصيبه وصب ولا نصب حتى الشوكة يشاكها
وحتى انقطاع شسع نعله الا بذنب وما يعفو الله اكثر والآيتان كما ترى لا حجة فيهما لنا وللمعتزلة وارسلناك للناس رسولا
حال قصد بها التأكيد ان علق الجار بالفعل والتعميم ان علق بها اي رسولا للناس جميعا كقوله وما ارسلناك الا كافة
للناس ويجوز نصبه على المصدر كقوله ولا خارجا من فيّ زور كلام وكفى بالله شهيدا على رسالتك بنصب المعجزات من يطع
الرسول فقد اطاع الله لانه في الحقيقة مبلغ والآمر هو الله تعالى روي انه صلى الله عليه وسلم قال من احبني فقد احب الله
ومن اطاعني فقد اطاع الله تعالى فقال المنافقون لقد قارف الشرك وهو ينهى عنه ما يريد الا ان نتخذه ربا
كما اتخذت النصارى عيسى عليه السلام فنزلت ومن تولى عن طاعته فما ارسلناك عليهم حفيظا تحفظ عليهم اعمالهم
وتحاسبهم عليها انما عليك البلاغ وعلينا الحساب وهو حال من الكاف ويقولون اذا امرتهم بامر طاعة اي امرنا طاعة او منا طاعة
واصلها النصب على المصدر ورفعها للدلالة على الثبات فاذا برزوا من عندك خرجوا بيت طائفة منهم غير الذي
تقول اي زورت خلاف ما قلت لها او ما قالت لك من القبول وضمان الطاعة والتبييت اما من البيتوتة
لان الامور تدبر بالليل او من بيت الشعر او البيت المبني لانه يسوى ويدبر وقرأ حمزة وابو عمرو بيت طائفة بالادغام
لقربهما في المخرج والله يكتب ما يبيتون يثبته في صحائفهم للمجازاة او في جملة ما يوحى اليك لتطلع على اسرارهم
فاعرض عنهم قلل المبالاة بهم او تجاف عنهم وتوكل على الله في الامور كلها سيما في شأنهم وكفى بالله وكيلا يكفيك مضرتهم
وينتقم لك منهم افلا يتدبرون القرآن يتأملون في معانيه ويتبصرون ما فيه واصل التدبر النظر في ادبار الشيء
ولو كان من عند غير الله ولو كان من كلام البشر كما زعم الكفار لوجدوا فيه اختلافا كثيرا من تناقض المعنى وتفاوت النظم وكان
بعضه فصيحا وبعضه ركيكا وبعضه يصعب معارضته وبعضه يسهل ومطابقة بعض اخباره المستقبلة للواقع دون بعض وموافقة
العقل لبعض احكامه دون بعض على ما دل عليه الاستقراء لنقصان القوة البشرية ولعل ذكره ههنا للتنبيه على ان اختلاف

القران وفى الحمام وعند قضاء الحاجة ونحوها والتحية فى الاصل مصدر حياك الله على الاخبار من الحيوة ثم استعمل للحكم والدعاء بذلك ثم قيل لكل دعاء فغلب فى السلام وقيل المراد بالتحية العطية فاوجب الثواب او الرد على المتهب وهو قول الشافعى رحمه الله تعالى ان الله كان على كل شىء حسيبا يحاسبكم على التحية وغيرها الله لا اله الا هو مبتدأ وخبر او الله وليجمعنكم الى يوم القيمة اى الله والله ليحشرنكم من قبوركم الى يوم القيمة او مفضين اليه فى يوم القيمة ولا اله الا هو اعتراض والقيامة القيمة كالطلاب والطلابة وهى قيام الناس من القبور او للحساب لا ريب فيه فى اليوم او فى الجمع فهو حال من اليوم او صفة للمصدر ومن اصدق من الله حديثا انكار ان يكون احد اكثر صدقا منه فانه لا يتطرق الكذب الى خبره بوجه لانه نقص وهو على الله تعالى محال فما لكم فى المنافقين فئتين فما لكم تفرقتم فى امر المنافقين فئتين اى فرقتين ولم تتفقوا على كفرهم وذلك ان ناسا منهم استأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الخروج الى البدو لاجتواء المدينة فلما خرجوا لم يزالوا راحلين مرحلة مرحلة حتى لحقوا بالمشركين فاختلف المسلمون فى اسلامهم وقيل نزلت فى المتخلفين يوم احد او فى قوم هاجروا ثم رجعوا معتلين باجتواء المدينة والاشتياق الى الوطن او فى قوم اظهروا الاسلام وقعدوا عن الهجرة وفئتين حال عاملها لكم او عاملها ما لكم كقولك ما لك قائما وفى المنافقين حال من فئتين اى متفرقتين فيهم او من الضمير اى فما لكم تفترقون فيهم ومعنى الافتراق مستفاد من فئتين والله اركسهم بما كسبوا ردهم الى حكم الكفرة او نكسهم بان صيرهم للنار واصل الركس رد الشىء مقلوبا اتريدون ان تهدوا من اضل الله ان تجعلوه من المهتدين ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا الى الهدى ودوا لو تكفرون كما كفروا تمنوا ان تكفروا ككفرهم فتكونون سواء فتكونون معهم سواء فى ضلال وهو عطف على تكفرون ولو نصب على جواب التمنى لجاز فلا تتخذوا منهم اولياء حتى يهاجروا فى سبيل الله فلا توالوهم حتى يؤمنوا ويحققوا ايمانهم بهجرة هى لله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم لا لاغراض الدنيا وسبيل الله ما امر بسلوكه فان تولوا عن الايمان الظاهر بالهجرة او عن اظهار الايمان فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم كسائر الكفرة ولا تتخذوا منهم وليا ولا نصيرا اى جانبوهم رأسا ولا تقبلوا منهم ولاية ولا نصرة الا الذين يصلون الى قوم بينكم وبينهم ميثاق استثناء من قوله فخذوهم واقتلوهم اى الا الذين يتصلون وينتهون الى قوم عاهدوكم ويفارقون محاربتكم والقوم هم خزاعة وقيل الاسلميون فانه عليه السلام وادع وقت خروجه الى مكة هلال بن عويمر الاسلمى على ان لا يعينه ولا يعين عليه ومن لجأ اليه فله من الجوار مثل ما له وقيل بنو بكر بن زيد مناة او جاؤكم عطف على الصلة اى الذين جاؤكم كافين عن قتالكم وقتال قومهم استثنى عن المامور باخذهم وقتلهم من ترك المحاربين فلحق بالمعاهدين او اتى الرسول صلى الله عليه وسلم وكف عن قتال الفريقين او على صفة قوم وكانه قيل الا الذين يصلون الى قوم معاهدين او قوم كافين عن القتال لكم وعليكم والاول اظهر لقوله فان اعتزلوكم وقرئ بغير العاطف على انه صفة بعد صفة او بيان ليصلون او استئناف حصرت صدورهم حال باضمار قد ويدل عليه انه قرئ حصرة صدورهم وحصرات او بيان لجاؤكم وقيل صفة محذوف اى جاؤكم قوما حصرت صدورهم وهم بنو مدلج جاؤا رسول الله صلى الله عليه وسلم غير مقاتلين والحصر الضيق والانقباض ان يقاتلوكم او يقاتلوا قومهم اى عن ان او

195

والتهديد العظيم قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما لا تقبل توبة قاتل المومن عمدًا ولعله اراد به التشديد
اذ روي عنه خلافه والجمهور على انه مخصوص بمن لم يتب لقوله تعالى واني لغفار لمن تاب ونحوه وهو عندنا اما مخصوص
بالمستحل له كما ذكره عكرمة وغيره ويؤيده انه نزل في مقيس بن ضبابة وجد اخاه هشامًا قتيلا في بني النجار ولم
يظهر قاتله فامرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يدفعوا اليه ديته فدفعوا اليه ثم حمل على مسلم فقتله ورجع الى مكة مرتدًا او المراد
بالخلود المكث الطويل فان الدلائل متظاهرة على ان عصاة المسلمين لا يدوم عذابهم يا ايها الذين آمنوا اذا ضربتم
في سبيل الله سافرتم وذهبتم للغزو فتبينوا فاطلبوا بيان الامر وثباته ولا تعجلوا فيه وقرأ حمزة والكسائي فتثبتوا
من التثبت في الموضعين هنا وفي الحجرات ولا تقولوا لمن القى اليكم السلام لمن حياكم بتحية الاسلام وقرأ نافع وابن
عامر وحمزة السلم بغير الف اي الاستسلام والانقياد وفسر به السلام ايضا لست مؤمنا وانما فعلت ذلك متعوذا و
قرئ مؤمنا بالفتح اي مبذولا له الامان تبتغون عرض الحياة الدنيا تطلبون ماله الذي هو حطام سريع النفاد وهو حال
من الضمير في تقولوا مشعر بما هو الحامل لهم على العجلة وترك التثبت فعند الله مغانم كثيرة تغنيكم عن قتل امثاله لماله
كذلك كنتم من قبل اي اول ما دخلتم في الاسلام تفوهتم بكلمتي الشهادة فحصنت بها دماؤكم واموالكم من غير
ان يعلم مواطاة قلوبكم لالسنتكم فمن الله عليكم بالاشتهار بالايمان والاستقامة في الدين فتبينوا وافعلوا بالداخل
في الاسلام كما فعل الله تعالى بكم ولا تبادروا الى قتلهم ظنا بانهم دخلوا فيه اتقاء وخوفا فان ابقاء الف كافر اهون
عند الله تعالى من قتل امرئ مسلم وتكريره تاكيد لتعظيم الامر وترتيب الحكم على ما ذكر من حالهم ان الله كان بما تعملون
خبيرًا عالما به وبالغرض منه فلا تتهافتوا في القتل واحتاطوا فيه روي ان سرية لرسول الله صلى الله عليه وسلم غزت
اهل فدك فهربوا وبقي مرداس ثقة باسلامه فلما رأى الخيل الجأ غنمه الى عاقول من الجبل وصعد فلما تلاحقوا وكبروا
كبر ونزل وقال لا اله الا الله محمد رسول الله السلام عليكم فقتله اسامة واستاق غنمه فنزلت وقيل نزلت في المقداد
مر برجل في غنيمة فاراد قتله فقال لا اله الا الله فقتله وقال ود لو فر باهله وماله وفيه دليل على صحة ايمان
المكره وان المجتهد قد يخطئ وان خطأه مغتفر لا يستوي القاعدون عن الحرب من المؤمنين في موضع الحال من
القاعدين او من الضمير الذي فيه غير اولي الضرر بالرفع صفة للقاعدين لانه لم يقصد به قوم باعيانهم او بدل
منه وقرأ نافع وابن عامر والكسائي بالنصب على الحال او الاستثناء وقرئ بالجر على انه صفة للمؤمنين او بدل منه
وعن زيد بن ثابت انها نزلت ولم يكن فيها غير اولي الضرر فقال ابن ام مكتوم وكيف وانا اعمى فغشي رسول الله صلى
الله عليه وسلم الوحي في مجلسه فوضعت فخذه على فخذي حتى خشيت ان ترضها ثم سري عنه فقال اكتب لا يستوي
القاعدون من المؤمنين غير اولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله باموالهم وانفسهم اي لا مساواة
بينهم وبين من قعد عن الجهاد من غير علة وفائدته تذكير ما بينهما من التفاوت ليرغب القاعد في الجهاد
رفعا لرتبته وانفة عن انحطاط منزلته فضل الله المجاهدين باموالهم وانفسهم على القاعدين درجة جملة
موضحة لما نفي الاستواء فيه والقاعدون على التقييد السابق ودرجة نصب بنزع الخافض اي بدرجة

وهو ايضا من الرغام وسعة في الرزق واظهار الدين ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت وقرئ يدركه
بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف اي ثم هو يدركه وبالنصب على اضمار ان كقوله . والحق بالحجاز فاستريحا . فقد وقع اجره على الله
وكان الله غفورا رحيما الوقوع والوجوب متقاربان والمعنى ثبت اجره عند الله تعالى ثبوت الامر الواجب والآية نزلت في جندب بن ضمرة
حملوه على سرير متوجها الى المدينة فلما بلغ التنعيم اشرف على الموت فصفق بيمينه على شماله فقال اللهم هذه لك وهذه لرسولك ابايعك على
ما بايع عليه رسولك فمات حميدا واذا ضربتم في الارض سافرتم فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلاة بتنصيف ركعاتها ونفي الحرج
فيه يدل على جوازه دون وجوبه ويؤيده انه صلى الله عليه وسلم اتم في السفر وان عائشة رضي الله تعالى عنها اعتمرت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت
يا رسول الله قصرت واتممت وصمت وافطرت فقال احسنت يا عائشة واوجبه ابو حنيفة رحمه الله تعالى لقول عمر رضي الله تعالى عنه صلاة
السفر ركعتان تمام غير قصر على لسان نبيكم صلى الله عليه وسلم ولقول عائشة رضي الله تعالى عنها اول ما فرضت الصلاة فرضت ركعتين ركعتين
فاقرت في السفر وزيدت في الحضر وظاهرهما يخالف الآية فان صحا فالاول مأول بانه كالتام في الصحة والاجزاء والثاني لا ينفي جواز
الزيادة فلا حاجة الى تأويل الآية بانهم الفوا الاربع فكان مظنة لان يخطر ببالهم ان ركعتي السفر قصر ونقصان فسمي الاتيان بهما قصرا
على ظنهم ونفي الجناح فيه لتطيب انفسهم واقل سفر تقصر فيه اربعة برد عندنا وستة عند ابي حنيفة رحمه الله تعالى وقرئ تقصروا من
اقصر بمعنى قصر ومن الصلاة صفة محذوف اي شيئا من الصلاة عند سيبويه ومفعول تقصروا بزيادة من عند الاخفش ان خفتم ان
يفتنكم الذين كفروا ان الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا شرط باعتبار الغالب في ذلك الوقت ولذلك لم يعتبر مفهومه كما لم
يعتبر في قوله تعالى فان خفتم الا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به وقد تظاهرت السنن على جوازه ايضا في حال الامن
وقرئ من الصلاة ان يفتنكم بغير ان خفتم بمعنى كراهة ان يفتنكم وهو القتال والتعرض بما يكره واذا كنت فيهم فاقمت
لهم الصلاة تعلق بمفهومه من خص صلاة الخوف بحضرة رسول الله صلى الله عليه وسلم لفضل الجماعة وعامة الفقهاء على انه تعالى علم
الرسول صلى الله عليه وسلم كيفيتها ليأتم به الائمة بعده فانهم نواب عنه فيكون حضورهم كحضوره فلتقم طائفة منهم معك فاجعلهم
طائفتين فلتقم احداهما معك يصلون وتقوم الطائفة الاخرى تجاه العدو وليأخذوا اسلحتهم اي المصلون حزما وقيل الضمير للطائفة
الاخرى وذكر الطائفة الاولى يدل عليهم فاذا سجدوا يعني المصلين فليكونوا اي غير المصلين من ورائكم يحرسونكم يعني
النبي صلى الله عليه وسلم ومن يصلي معه فغلب المخاطب على الغائب ولتأت طائفة اخرى لم يصلوا لاشتغالهم بالحراسة فليصلوا
معك ظاهره يدل على ان الامام يصلي مرتين بكل طائفة مرة كما فعله الرسول صلى الله عليه وسلم ببطن النخل وان
اريد به ان يصلي بكل ركعة ان كانت الصلاة ركعتين فكيفيته ان يصلي بالاولى ركعة وينتظر قائما حتى يتموا صلاتهم
منفردين ويذهبوا الى وجه العدو وتأتي الاخرى فيتم بهم الركعة الثانية ثم ينتظرهم قاعدا حتى يتموا صلاتهم ويسلم بهم
كما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم بذات الرقاع وقال ابو حنيفة رحمه الله تعالى يصلي بالاولى ركعة ثم تذهب
هذه وتقف بازاء العدو وتأتي الاخرى فتصلي معه ركعة ويتم صلاته ثم تعود الى وجه العدو وتأتي الاولى فتؤدي
الركعة الثانية بغير قراءة وتتم صلاتها ثم تعود وتأتي الاخرى فتؤدي الركعة بقراءة وتتم صلاتها وليأخذوا حذرهم
واسلحتهم جعل الحذر آلة يتحصن بها الغازي فجمع بينه وبين الاسلحة في وجوب الاخذ ونظيره قوله تعالى والذين

من الله ولا يستحيون منه وهو احق بان يستحيى ويخاف منه وهو معهم لا يخفى عليه سرهم فلا طريق معه الا ترك
ما يستقبحه ويؤاخذ عليه اذ يبيتون يدبرون ويزورون ما لا يرضى من القول من رمي البريء والحلف الكاذب وشهادة
الزور وكان الله بما يعملون محيطا لا يفوت عنه شيء ها انتم هؤلاء مبتدأ وخبر جادلتم عنهم في الحيوة الدنيا
جملة مبينة لوقوع اولاء خبرا او صلة عند من يجعله موصولا فمن يجادل الله عنهم يوم القيمة ام من يكون عليهم وكيلا محاميا
يحميهم من عذاب الله تعالى ومن يعمل سوءا قبيحا يسوء به غيره او يظلم نفسه بما يختص به ولا يتعداه وقيل المراد بالسوء ما دون الشرك وبالظلم الشرك
وقيل الصغيرة والكبيرة ثم يستغفر الله بالتوبة يجد الله غفورا لذنوبه رحيما متفضلا عليه وفيه حث لطعمة وقومه على التوبة
والاستغفار ومن يكسب اثما فانما يكسبه على نفسه فلا يتعداه وباله كقوله تعالى وان اسأتم فلها وكان الله عليما حكيما فهو عالم بفعله حكيم
في مجازاته ومن يكسب خطيئة صغيرة او ما لا عمد فيه او اثما كبيرة او ما كان عن عمد ثم يرم به بريئا كما رمى طعمة زيدا ووحد الضمير
لمكان او فقد احتمل بهتانا واثما مبينا بسبب رمي البريء وتبرئة النفس الخاطئة ولذلك سوى بينهما وان كان مقترف
احدهما دون مقترف الاخر ولولا فضل الله عليك ورحمته باعلام ما هم عليه بالوحي لهمت طائفة منهم من بني ظفر ان
يضلوك عن القضاء بالحق مع علمهم بالحال والجملة جواب لولا وليس القصد فيه الى نفي همهم بل الى نفي تاثيره فيه وما يضلون
الا انفسهم لانه ما ازلك عن الحق وعاد وباله عليهم وما يضرونك من شيء فان الله عاصمك وما خطر ببالك كان
اعتمادا منك على ظاهر الامر لا ميلا في الحكم ومن شيء في موضع النصب على المصدر اي شيئا من الضرر وانزل الله عليك الكتاب والحكمة
وعلمك ما لم تكن تعلم من خفيات الامور او من امور الدين والاحكام وكان فضل الله عليك عظيما اذ لا فضل اعظم من النبوة
لا خير في كثير من نجواهم من متناجيهم كقوله تعالى واذ هم نجوى او من تناجيهم فقوله الا من امر بصدقة او معروف
على حذف مضاف اي الا نجوى من امر او على الانقطاع بمعنى ولكن من امر بصدقة ففي نجواه الخير والمعروف كل ما يستحسنه
الشرع ولا ينكره العقل ويندرج فيه القرض واعانة الملهوف وصدقة التطوع وسائر ما فسر به او اصلاح بين الناس او اصلاح
ذات البين ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف نؤتيه اجرا عظيما بنى الكلام على الامر ورتب الجزاء على الفعل
ليدل على انه لما دخل الآمر في زمرة الخيرين كان الفاعل ادخل فيهم وان العمدة والغرض هو الفعل واعتبار الامر من حيث انه وصلة
اليه وقيد الفعل بان يكون لطلب مرضاة الله تعالى لان الاعمال بالنيات وان من فعل خيرا رياء وسمعة لم يستحق به
من الله تعالى اجرا ووصف الاجر بالعظم تنبيها على حقارة ما فات في جنبه من اعراض الدنيا وقرأ حمزة وابو عمرو يؤتيه
ومن يشاقق الرسول يخالفه من الشق فان كلا من المتخالفين في شق غير شق الآخر من بعد ما تبين له الهدى ظهر له
الحق بالوقوف على المعجزات ويتبع غير سبيل المؤمنين غير ما هم عليه من اعتقاد او عمل نوله ما تولى نجعله واليا لما تولى
من الضلال ونخل بينه وبين ما اختاره ونصله جهنم وندخله فيها وقرئ بفتح النون من صلاه وساءت مصيرا جهنم
والآية تدل على حرمة مخالفة الاجماع لانه تعالى رتب الوعيد الشديد على المشاقة واتباع غير سبيل المؤمنين وذلك اما لحرمة كل واحد منهما
او احدهما او الجمع بينهما والثاني باطل اذ يقبح ان يقال من شرب الخمر واكل الخبز استوجب الحد وكذا الثالث لان المشاقة محرمة ضم
اليها غيرها او لم يضم واذا كان اتباع غير سبيلهم محرما كان اتباع سبيلهم واجبا لان ترك اتباع سبيلهم ممن

٢٠١

ما يجوّز على ما أمره الله تعالى به ويتجاوز به عن طاعة الله تعالى فقد خسر خسرانا مبينا اذ ضيع رأس
ماله وبدل مكانه من الجنة بمكانه من النار يعدهم ما لا ينجز ويمنيهم ما لا ينالون وما يعدهم الشيطان الا غرورا
وهو اظهار النفع فيما فيه الضرر وهذا الوعد اما بالخواطر الفاسدة او بلسان اوليائه اولئك مأواهم جهنم ولا يجدون عنها
محيصا معدلا ومهربا من حاص يحيص اذا عدل وعنها حال من محيصا وليس صلة له لانه اسم مكان وان جعل مصدرا فلا يعمل ايضا فيما قبله
والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا وعد الله حقا اي
وعده وعدا وحق ذلك حقا فالاول مؤكد لنفسه لان مضمون الجملة الاسمية التي قبلها وعد والثاني مؤكد
لغيره ويجوز ان ينصب الموصول بفعل يفسره ما بعده ووعد الله بقوله سندخلهم لانه بمعنى نعدهم ادخالهم وحقا على انه
حال من المصدر ومن اصدق من الله قيلا جملة مؤكدة بليغة والمقصود من الآية معارضة المواعيد الشيطانية الكاذبة
لقرنائه بوعد الله تعالى الصادق لاوليائه والمبالغة في توكيده ترغيبا للعباد في تحصيله ليس بامانيكم ولا اماني
اهل الكتاب اي ليس ما وعد الله تعالى من الثواب ينال بامانيكم ايها المسلمون ولا باماني اهل الكتاب وانما ينال بالايمان والعمل
الصالح وقيل ليس الايمان بالتمني ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل وروي ان المسلمين واهل الكتاب افتخروا فقال
اهل الكتاب نبينا قبل نبيكم وكتابنا قبل كتابكم ونحن اولى بالله تعالى منكم وقال المسلمون نحن اولى منكم نبينا
خاتم النبيين وكتابنا يقضي على الكتب المتقدمة فنزلت وقيل الخطاب مع المشركين ويدل عليه تقدم ذكرهم اي ليس الامر باماني
المشركين وهو قولهم لا جنة ولا نار وقولهم ان كان الامر كما يزعم هؤلاء لنكونن خيرا منهم واحسن حالا ولا اماني اهل الكتاب وهو
قولهم لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى وقولهم لن تمسنا النار الا اياما معدودة ثم قرر ذلك وقال من يعمل سوءا
يجز به عاجلا او آجلا لما روي انه لما نزلت قال ابو بكر رضي الله تعالى عنه فمن ينجو مع هذا يا رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم اما تحزن
اما تمرض اما يصيبك اللأواء قال بلى يا رسول الله قال هو ذاك ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا ولا
يجد لنفسه اذا جاوز موالاة الله تعالى ونصرته من يواليه وينصره في دفع العذاب عنه ومن يعمل من الصالحات
بعضها او شيئا منها فان كل احد لا يتمكن من كلها وليس مكلفا بها من ذكر او انثى في موضع الحال من المستكن
في يعمل ومن للبيان او من الصالحات اي كائنة من ذكر او انثى ومن للابتداء وهو مؤمن حال شرط اقتران العمل
بها في استدعاء الثواب المذكور وتنبيها على انه لا اعتداد به دونه فاولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا بنقص شيء
من الثواب واذا لم ينقص ثواب المطيع فبالحري ان لا يزاد عقاب العاصي لان المجازي ارحم الراحمين ولذلك اقتصر على ذكره عقيب
الثواب وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابو بكر يدخلون الجنة هنا وفي مريم وغافر بضم الياء وفتح الخاء والباقون بفتح الياء وضم
الخاء ومن احسن دينا ممن اسلم وجهه لله اخلص نفسه لله تعالى لا يعرف لها ربا سواه وقيل بذل وجهه لله في السجود
وفي هذا الاستفهام تنبيه على ان ذلك منتهى ما تبلغه القوة البشرية وهو محسن آت بالحسنات تارك للسيئات
واتبع ملة ابراهيم الموافقة لدين الاسلام المتفق على صحتها حنيفا مائلا عن سائر الاديان وهو حال
من المتبع او الملة او ابراهيم واتخذ الله ابراهيم خليلا اصطفاه وخصصه بكرامة تشبه

الله كان به عليما وعد لمن آثر الخير في ذلك وان امرأة خافت من بعلها توقعت منه لما ظهر لها من
المخايل وامرأة فاعل فعل يفسره الظاهر نشوزا تجافيا عنها وترفعا عن صحبتها كراهة لها ومنعا لحقوقها او اعراضا بان يقل
مجالستها ومحادثتها فلا جناح عليهما ان يصالحا بينهما صلحا ان يتصالحا بان تحط له بعض المهر او القسم او تهب له شيئا
تستميله به وقرأ الكوفيون ان يصلحا من اصلح بين المتنازعين وعلى هذا جاز ان ينتصب صلحا على المفعول به وبينهما
ظرف او حال منه او على المصدر كما في القراءة الاولى والمفعول بينهما او هو محذوف وقرئ يصّلحا من اصّلح بمعنى اصطلح
والصلح خير من الفرقة وسوء العشرة او من الخصومة ويجوز ان لا يراد به التفضيل بل بيان انه من الخيور كما ان
الخصومة من الشرور وهو اعتراض وكذا قوله واحضرت الانفس الشح ولذلك اغتفر عدم تجانسهما والاول
للترغيب في المصالحة والثاني لتمهيد العذر في المماكسة ومعنى احضار الانفس الشح جعلها حاضرة له مطبوعة عليه
فلا تكاد المرأة تسمح بالاعراض عنها والتقصير في حقها ولا الرجل يسمح بان يمسكها ويقوم بحقها على ما ينبغي اذا كرهها
او احب غيرها وان تحسنوا في العشرة وتتقوا النشوز والاعراض ونقص الحق فان الله كان بما تعملون من الاحسان
والخصومة خبيرا عليما به وبالغرض فيه فيجازيكم عليه اقام كونه عالما باعمالهم مقام اثابته اياهم عليها الذي هو في الحقيقة جواب
الشرط اقامة للسبب مقام المسبب ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء لان العدل ان لا يقع ميل البتة وهو متعذر
ولذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم بين نسائه فيعدل ويقول هذه قسمتي فيما املك فلا تؤاخذني فيما تملك
ولا املك ولو حرصتم على تحري ذلك وبالغتم فيه فلا تميلوا كل الميل بترك المستطاع والجور على المرغوب
عنها فان ما لا يدرك كله لا يترك كله فتذروها كالمعلقة التي ليست ذات بعل ولا مطلقة وعن النبي صلى الله
عليه وسلم من كانت له امرأتان يميل مع احداهما جاء يوم القيامة واحد شقيه مائل وان تصلحوا ما كنتم تفسدون
من امورهن وتتقوا فيما يستقبل فان الله كان غفورا رحيما يغفر لكم ما مضى من ميلكم وان يتفرقا وقرئ وان
يتفارقا اي وان يفارق كل واحد منهما صاحبه يغن الله كلا منهما عنه بالبدل او السلو من سعته غناه وقدرته
وكان الله واسعا حكيما مقتدرا متقنا في افعاله واحكامه ولله ما في السموات وما في الارض تنبيه على كمال سعته
وقدرته ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم يعني اليهود والنصارى ومن قبلهم والكتاب للجنس ومن متعلقة
بوصينا او باوتوا ومساق الآية لتأكيد الامر بالاخلاص واياكم عطف على الذين ان اتقوا الله بان اتقوا الله ويجوز ان
يكون ان مفسرة لان التوصية في معنى القول وان تكفروا فان لله ما في السموات وما في الارض على ارادة القول
اي وقلنا لهم ولكم ان تكفروا فان الله مالك الملك كله لا يتضرر بكفركم ومعاصيكم كما لا ينتفع بشكركم وتقواكم
وانما وصاكم لرحمته لا لحاجته ثم قرر ذلك بقوله وكان الله غنيا عن الخلق وعبادتهم حميدا في ذاته حمد او لم يحمد ولله
ما في السموات وما في الارض كرره ثالثا للدلالة على كونه غنيا حميدا فان جميع المخلوقات تدل بحاجتها على
غناه وبما افاض عليها من الوجود وانواع الخصائص والكمالات على كونه حميدا وكفى بالله وكيلا راجع الى قوله يغن الله
كلا من سعته فانه توكل بكفايتهما وما بينهما تقرير لذلك ان يشأ يذهبكم ايها الناس يفنكم ومفعول يشا محذوف

في المنافقين وهم قد آمنوا في الظاهر وكفروا في السر مرة بعد أخرى ثم ازدادوا بالإصرار على النفاق وإفساد الأمر على المؤمنين

ووضع بشر مكان أنذر تهكماً بهم الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين في محل النصب أو الرفع على

الذم بمعنى أريد الذين أو هم الذين أيبتغون عندهم العزة أيتعززون بموالاتهم فإن العزة لله جميعاً

لا يتعزز إلا من أعزه وقد كتب العزة لأوليائه فقال ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين فلا يؤبه بعزة غيرهم بالإضافة

إليهم وقد نزل عليكم في الكتاب يعني القرآن وقرأ غير عاصم نُزّل والقائم مقام فاعله أن إذا سمعتم آيات الله

وهي المخففة والمعنى أنه إذا سمعتم يكفر بها ويستهزأ بها حالان من الآيات جيء بهما لتقييد النهي عن المجالسة

في قوله فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره الذي هو جزاء الشرط بما إذا كان من يجالسه هازئاً

معانداً غير مرجو ويؤيده الغاية وهذا تذكار لما نزل عليهم بمكة من قوله وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا

الآية والضمير في معهم للكفرة المدلول عليهم بقوله يكفر بها ويستهزأ بها إنكم إذاً مثلهم في الإثم لأنكم قادرون على

الإعراض عنهم والإنكار عليهم أو الكفر إن رضيتم بذلك أو لأن الذين يقاعدون الخائضين في القرآن من الأحبار كانوا

منافقين ويدل عليه إن الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعاً يعني القاعدين والمقعود معهم وإذاً ملغاة

لوقوعها بين الاسم والخبر ولذلك لم يذكر بعدها الفعل وإفراد مثلهم لأنه كالمصدر أو للاستغناء بالإضافة إلى الجمع وقرئ

بالفتح على البناء لإضافته إلى مبني كقوله مثل ما أنكم تنطقون الذين يتربصون بكم ينتظرون وقوع أمر بكم وهو بدل

من الذين يتخذون أو صفة للمنافقين والكافرين أو ذم مرفوع أو منصوب أو مبتدأ خبره فإن كان لكم فتح من الله

قالوا ألم نكن معكم مظاهرين لكم فأسهموا لنا فيما غنمتم وإن كان للكافرين نصيب من الحرب فإنها سجال قالوا ألم

نستحوذ عليكم أي قالوا للكفرة ألم نغلبكم ونتمكن من قتلكم فأبقينا عليكم والاستحواذ الاستيلاء وكان القياس أن

يقال استحاذ يستحيذ استحاذة فجاءت على الأصل ونمنعكم من المؤمنين بأن خذلناهم بتخييل ما ضعفت به قلوبهم

وتوانينا في مظاهرتهم فأشركونا فيما أصبتم وإنما سمى ظفر المسلمين فتحاً وظفر الكافرين نصيباً لخسة حظهم فإنه مقصور

على أمر دنيوي سريع الزوال فالله يحكم بينكم يوم القيامة ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً حينئذ أو في الدنيا

والمراد بالسبيل الحجة واحتج به أصحابنا على فساد شراء الكافر المسلم والحنفية على حصول البينونة بنفس الارتداد وهو ضعيف لأنه لا ينفي أن يكون

إذا عاد إلى الإيمان قبل مضي العدة إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم سبق الكلام فيه أول سورة البقرة وإذا قاموا إلى

الصلاة قاموا كسالى متثاقلين كالمكره على الفعل وقرئ كسالى بالفتح وهما جمعا كسلان يراءون الناس ليخالوهم مؤمنين

والمراءاة مفاعلة بمعنى التفعيل كنعّم وناعم أو للمقابلة فإن المرائي يري من يرائيه عمله وهو يريه استحسانه ولا يذكرون

الله إلا قليلاً إذ المرائي لا يفعل إلا بحضرة من يرائيه وهو أقل أحواله أو لأن ذكرهم باللسان قليل بالإضافة

إلى الذكر بالقلب وقيل المراد بالذكر الصلاة وقيل الذكر فيها فإنهم لا يذكرون فيها غير التكبير والتسليم مذبذبين بين ذلك

حال من واو يراءون كقوله ولا يذكرون أي يراءونهم غير ذاكرين مذبذبين أو واو يذكرون أو منصوب على الذم والمعنى

مرددين بين الإيمان والكفر من الذبذبة وهو جعل الشيء مضطرباً وأصله الذب بمعنى الطرد وقرئ بكسر الذال

الكافرين عذابا مهينا والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين أحد منهم أضدادهم ومقابلوهم وإنما دخل بين
على أحد وهو يقتضي متعددا لعمومه من حيث إنه وقع في سياق النفي أولئك سوف يؤتيهم أجورهم الموعودة لهم وتصديره
بسوف لتوكيد الوعد والدلالة على أنه كائن لا محالة وإن تأخر وقرأ حفص عن عاصم وقالون عن يعقوب بالياء على
تلوين الخطاب وكان الله غفورا لما فرط منهم رحيما عليهم بتضعيف حسناتهم يسألك أهل الكتاب أن تنزل
عليهم كتابا من السماء نزلت في أحبار اليهود قالوا إن كنت صادقا فأتنا بكتاب من السماء جملة كما أتى به موسى عليه السلام وقيل
كتابا محررا بخط سماوي على ألواح كما كانت التوراة أو كتابا نعاينه حين ينزل أو كتابا إلينا بأعياننا بأنك رسول الله
فقد سألوا موسى أكبر من ذلك جواب شرط مقدر أي إن استكبرت ما سألوه منك فقد سألوا موسى أكبر منه وإنما أسند
هذا السؤال وإن كان من آبائهم أسند إليهم لأنهم كانوا آخذين بمذهبهم تابعين لهديهم والمعنى أن عرقهم راسخ
في ذلك وأن ما اقترحوا عليك ليس بأول جهالاتهم وخيالاتهم فقالوا أرنا الله جهرة عيانا أي أرناه نره جهرة أو
مجاهرين معاينين له فأخذتهم الصاعقة نار جاءت من السماء فأهلكتهم بظلمهم بسبب ظلمهم وهو تعنتهم
وسؤالهم لما يستحيل في تلك الحال التي كانوا عليها وذلك لا يقتضي امتناع الرؤية مطلقا ثم اتخذوا العجل من بعد ما جاءتهم
البينات هذه الجناية الثانية التي اقترفها أيضا أوائلهم والبينات المعجزات ولا يجوز حملها على التوراة إذ لم
تأتهم بعد فعفونا عن ذلك ولم نستأصلهم وآتينا موسى سلطانا مبينا تسلطا ظاهرا عليهم حين أمرهم بأن يقتلوا أنفسهم توبة عن اتخاذهم
ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم بسبب ميثاقهم ليقبلوه وقلنا لهم ادخلوا الباب سجدا على لسان موسى عليه السلام والطور
مظل عليهم وقلنا لهم لا تعدوا في السبت على لسان داود عليه السلام ويحتمل أن يراد على لسان موسى عليه السلام
حين ظلل الجبل عليهم فإنه شرع السبت ولكن كان الاعتداء فيه والمسخ به في زمن داود عليه السلام وقرأ ورش
عن نافع لا تعدّوا على أن أصله لا تعتدوا فأدغمت التاء في الدال وقرأ قالون بإخفاء حركة العين وتشديد
الدال والنص عنه بالإسكان وأخذنا منهم ميثاقا غليظا على ذلك وهو قولهم سمعنا وأطعنا فبما نقضهم
ميثاقهم أي فخالفوا ونقضوا ففعلنا بهم ما فعلنا بنقضهم وما مزيدة للتأكيد والباء متعلقة بالفعل المحذوف
ويجوز أن تتعلق بحرمنا عليهم طيبات فيكون التحريم بسبب النقض وما عطف عليه إلى قوله فبظلم لا بما دل عليه
قوله بل طبع الله عليها مثل لا يؤمنون لأنه رد لقولهم قلوبنا غلف فيكون من صلة وقولهم المعطوف على المجرور
فلا يعمل في جاره وكفرهم بآيات الله بالقرآن أو بما في كتابهم وقتلهم الأنبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف
أوعية للعلوم أو في أكنة مما تدعونا إليه بل طبع الله عليها بكفرهم فجعلها محجوبة عن العلم أو خذلها ومنعها التوفيق
للتدبر في الآيات والتذكر بالمواعظ فلا يؤمنون إلا قليلا منهم كعبد الله بن سلام أو إيمانا قليلا لا عبرة به لنقصانه
وبكفرهم بعيسى عليه السلام وهو معطوف على بكفرهم لأنه من أسباب الطبع أو على قوله فبما نقضهم ويجوز أن يعطف مجموع
هذا وما عطف عليه على مجموع ما قبله ويكون تكرير ذكر الكفر إيذانا بتكرر كفرهم فإنهم كفروا بموسى عليه السلام ثم بعيسى عليه
السلام ثم بمحمد صلى الله عليه وسلم وقولهم على مريم بهتانا عظيما يعني نسبتها إلى الزنا وقولهم

ويوم القيمة يكون عليهم شهيدا فيشهد على اليهود بالتكذيب وعلى النصارى بانهم دعوه ابن الله فبظلم من الذين هادوا اى
فباى ظلم منهم حرمنا عليهم طيبات احلت لهم يعنى ما ذكره فى قوله وعلى الذين هادوا حرمنا وبصدهم عن سبيل
الله كثيرا اناسا كثيرا او صدا كثيرا واخذهم الربوا وقد نهوا عنه كان الربوا محرما عليهم كما هو محرم علينا وفيه دليل
على دلالة النهى على التحريم واكلهم اموال الناس بالباطل بالرشوة وسائر الوجوه المحرمة واعتدنا للكافرين منهم عذابا اليما
دون من تاب وآمن لكن الراسخون فى العلم منهم كعبد الله بن سلام واصحابه والمؤمنون اى منهم او من المهاجرين والانصار
يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك خبر المبتدأ والمقيمين الصلوة نصب على المدح ان جعل يؤمنون
الخبر لاولئك او عطف على ما انزل اليك والمراد بهم الانبياء اى يؤمنون بالكتب والانبياء وقرئ بالرفع عطفا على
الراسخون او الضمير فى يؤمنون او على انه مبتدأ والخبر اولئك سنؤتيهم والمؤتون الزكوة رفعه لاحد الاوجه
المذكورة والمؤمنون بالله واليوم الآخر قدم عليه الايمان بالانبياء والكتب وما يصدقه من اتباع الشرائع لانه المقصود بالآية
اولئك سنؤتيهم اجرا عظيما على جمعهم بين الايمان الصحيح والعمل الصالح وقرأ حمزة بالياء انا اوحينا اليك كما اوحينا
الى نوح والنبيين من بعده جواب لاهل الكتاب عن اقتراحهم ان ينزل عليهم كتابا من السماء واحتجاج عليهم بان امره
فى الوحى كسائر الانبياء واوحينا الى ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وعيسى وايوب ويونس وهرون
وسليمن خصهم بالذكر مع اشتمال النبيين عليهم تعظيما لهم فان ابراهيم اول اولى العزم منهم وعيسى آخرهم والباقون
اشراف الانبياء ومشاهيرهم وآتينا داود زبورا وقرأ حمزة زبورا بالضم وهو جمع زبر بمعنى مزبور ورسلا نصب بمضمر دل عليه
اوحينا اليك كارسلنا او فسره قد قصصناهم عليك من قبل اى من قبل هذه السورة او اليوم ورسلا لم نقصصهم عليك
وكلم الله موسى تكليما وهو منتهى مراتب الوحى خص به موسى من بينهم عليهم السلام وقد فضل الله محمدا صلى الله عليه وسلم بان
اعطاه مثل ما اعطى كل واحد منهم رسلا مبشرين ومنذرين نصب على المدح او باضمار ارسلنا
او على الحال ويكون رسلا موطئا لما بعده كقولك مررت بزيد رجلا صالحا لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل
فيقولوا لولا ارسلت الينا رسولا فينبهنا ويعلمنا ما لم نكن نعلم وفيه تنبيه على ان بعثة الانبياء الى الناس ضرورة لقصور
الكل عن ادراك جزئيات المصالح والاكثر عن ادراك كلياتها واللام متعلقة بارسلنا او بقوله مبشرين ومنذرين وحجة اسم
كان وخبره للناس او على الله والآخر حال ولا يجوز تعلقه بحجة لانه مصدر وبعد ظرف لها او صفة وكان الله عزيزا لا يغلب
فيما يريده حكيما فيما دبره من امر النبوة وخص كل نبى بنوع من الوحى والاعجاز لكن الله يشهد استدراك عن مفهوم
ما قبله كانه لما تعنتوا عليه بسؤال كتاب ينزل عليهم من السماء واحتج عليهم بقوله انا اوحينا اليك قال انهم
ولكن الله يشهد او انهم انكروه ولكن الله يثبته ويقرره بما انزل اليك من القرآن المعجز الدال
لما نزل انا اوحينا اليك قالوا ما نشهد لك فنزلت انزله بعلمه انزله متلبسا بعلمه الخاص به وهو العلم بتأليفه
البليغ او بحال من يستعد للنبوة ويستاهل نزول الكتاب عليه او بعلمه الذى يحتاج اليه الناس فى
معاشهم ومعادهم والجار والمجرور على الاولين حال من الفاعل وعلى الثالث من المفعول والجملة كالتفسير لما قبلها

أي ولا يستنكف الملائكة المقربون أن يكونوا عبيدا لله واحتج به من زعم فضل الملائكة على الأنبياء وقال مساقه لرد قول النصارى في رفع المسيح عليه السلام عن مقام العبودية وذلك يقتضي أن يكون المعطوف عليه أعلى درجة منه حتى يكون عدم استنكافهم كالدليل على عدم استنكافه وجوابه أن الآية للرد على عبدة المسيح عليه السلام والملائكة فلا يتجه ذلك وإن سلم اختصاصها بالنصارى فلعله أراد بالعطف المبالغة باعتبار التكثير دون التكبير كقولك أصبح الأمير لا يخالفه رئيس ولا مرؤوس وإن أراد به التكبير فغايته تفضيل المقربين من الملائكة وهم الكروبيون الذين حول العرش أو من أعلى منهم رتبة من الملائكة على المسيح من الأنبياء وذلك لا يستلزم فضل أحد الجنسين على الآخر مطلقا والنزاع فيه ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر ويترفع عنها والاستكبار دون الاستنكاف ولذلك عطف عليه وإنما يستعمل حيث لا استحقاق بخلاف التكبر فإنه قد يكون باستحقاق فسيحشرهم إليه جميعا فيجازيهم فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله وأما الذين استنكفوا واستكبروا فيعذبهم عذابا أليما ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا تفصيل للمجازاة العام المدلول عليها من فحوى الكلام وكأنه قال فسيحشرهم إليه جميعا يوم يحشر العباد للمجازاة أو لمجازاتهم فإن إثابة مقابليهم والإحسان إليهم تعذيب لهم بالغم والحسرة يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا إليكم نورا مبينا عنى بالبرهان المعجزات وبالنور القرآن أي جاءكم دلائل العقل وشواهد النقل ولم يبق لكم عذر ولا علة وقيل البرهان الدين أو رسول الله صلى الله عليه وسلم أو القرآن فأما الذين آمنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم في رحمة منه ثواب قدره بإزاء إيمانه وعمله رحمة منه لا قضاء لحق واجب عليه وفضل إحسان زائد عليه ويهديهم إليه إلى الله تعالى وقيل إلى الموعود صراطا مستقيما هو الإسلام والطاعة في الدنيا وطريق الجنة في الآخرة يستفتونك أي في الكلالة حذف لدلالة الجواب عليه روي أن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنه كان مريضا فعاده رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إني كلالة فكيف أصنع في مالي فنزلت وهي آخر ما نزل في الأحكام

قل الله يفتيكم في الكلالة سبق تفسيرها في أول السورة إن امرؤ هلك ليس له ولد وله أخت فلها نصف ما ترك ارتفع امرؤ بفعل يفسره الظاهر وليس له ولد صفة له أو حال من المستكن في هلك والواو في وله يحتمل الحال والعطف والمراد بالأخت الأخت من الأبوين أو الأب لأنه جعل أخوها عصبة وابن الأم لا يكون عصبة والولد على ظاهره فإن الأخت وإن ورثت مع البنت عند عامة العلماء غير ابن عباس لكنها لا ترث النصف وهو يرثها أي والمرء يرث إن كان الأمر بالعكس إن لم يكن لها ولد ذكرا كان أو أنثى إن أريد بيرثها يرث جميع مالها وإلا فالمراد به الولد الذكر إذ البنت لا تحجب الأخ والآية كما لم تدل على سقوط الإخوة بغير الولد لم تدل على عدم سقوطهم به وقد دلت السنة على أنهم لا يرثون مع الأب وكذا مفهوم قوله تعالى الله يفتيكم في الكلالة فإن كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك الضمير لمن يرث بالأخوة وتثنيته محمول على المعنى وفائدة الإخبار عنه باثنتين التنبيه على أن الحكم باعتبار العدد دون الصغر والكبر وغيرهما وإن كانوا إخوة رجالا ونساء فللذكر مثل حظ الأنثيين أصله وإن كانوا إخوة وأخوات فغلب المذكر يبين الله لكم أن تضلوا أي يبين لكم ضلالكم الذي من شأنكم إذا خليتم وطباعكم لتحترزوا عنه وتتحروا خلافه أو يبين لكم الحق والصواب كراهة أن تضلوا وقيل لئلا تضلوا فحذف لا وهو قول الكوفيين والله بكل شيء عليم فهو عالم بمصالح العباد في المحيا والممات عن النبي صلى الله عليه وسلم

ان تعتدوا بالانتقام وهو ثاني مفعولي يجرمنكم فانه يتعدى الى واحد والى اثنين ككسب ومن قرأ يجرمنكم بضم الياء جعله منقولا من المتعدي الى مفعول بالهمزة الى مفعولين وتعاونوا على البر والتقوى على العفو والاغضاء ومتابعة الامر ومجانبة الهوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان للتشفي والانتقام واتقوا الله ان الله شديد العقاب فانتقامه اشد حرمت عليكم الميتة بيان ما يتلى عليكم والميتة ما فارقه الروح من غير تذكية والدم اي الدم المسفوح لقوله او دما مسفوحا وكان اهل الجاهلية يصبونه في الامعاء ويشوونها ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به اي رفع الصوت لغير الله به كقولهم باسم اللات والعزى عند ذبحه والمنخنقة التي ماتت بالخنق والموقوذة المضروبة بنحو خشب او حجر حتى تموت من وقذته اذا ضربته والمتردية التي تردت من علو او في بئر فماتت والنطيحة التي نطحتها اخرى فماتت والتاء فيها للنقل وما اكل السبع اي وما اكل منه السبع فمات وهو يدل على ان جوارح الصيد اذا اكلت مما اصطادته لم تحل الا ما ذكيتم الا ما ادركتم ذكاته وفيه حيوة مستقرة من ذلك وقيل الاستثناء مخصوص بما اكل السبع والذكوة في الشرع بقطع الحلقوم والمري بمحدد وما ذبح على النصب النصب واحد الانصاب وهي احجار كانت منصوبة حول البيت يذبحون عليها ويعدون ذلك قربة وقيل هي الاصنام وعلى بمعنى اللام او على اصلها بتقدير وما ذبح مسمى على الاصنام وقيل هو جمع والواحد نصاب وان تستقسموا بالازلام اي وحرم عليكم الاستقسام بالازلام وذلك انهم اذا قصدوا فعلا ضربوا ثلاثة اقداح مكتوب على احدها امرني ربي وعلى الاخر نهاني ربي والثالث غفل فان خرج الامر مضوا على ذلك وان خرج الناهي تجنبوا عنه وان خرج الغفل اجالوها ثانيا فمعنى الاستقسام طلب معرفة ما قسم لهم دون ما لم يقسم بالازلام وقيل هو استقسام الجزور بالاقداح على الانصباء المعلومة وواحد الازلام زلم كجمل وزلم كصرد ذلكم فسق اشارة الى الاستقسام وكونه فسقا لانه دخول في علم الغيب وضلال باعتقاد ان ذلك طريق اليه وافتراء على الله تعالى ان اريد بربي الله وجهالة وشرك ان اريد به الصنم والميسر المحرم او الى تناول ما حرم عليهم اليوم لم يرد به يوما بعينه وانما اراد الحاضر وما يتصل به من الازمنة الآتية وقيل اراد يوم نزولها وقد نزلت بعد عصر يوم الجمعة في حجة الوداع يئس الذين كفروا من دينكم اي من ابطاله ورجوعكم عنه بتحليل هذه الخبائث وغيرها او من ان يغلبوكم عليه فلا تخشوهم ان يظهروا عليكم واخشون واخلصوا الخشية لي اليوم اكملت لكم دينكم بالنصر والاظهار على الاديان كلها او بالتنصيص على قواعد العقائد والتوقيف على اصول الشرائع وقوانين الاجتهاد واتممت عليكم نعمتي بالهداية والتوفيق او باكمال الدين او بفتح مكة وهدم منار الجاهلية ورضيت لكم الاسلام اخترته لكم دينا من بين الاديان وهو الدين عند الله تعالى لا غير فمن اضطر متصل بذكر المحرمات وما بينهما اعتراض بما يوجب التجنب عنها وهو ان تناولها فسوق وحرمتها من جملة الدين الكامل والنعمة التامة والاسلام المرضي والمعنى فمن اضطر الى تناول شيء من هذه المحرمات في مخمصة مجاعة غير متجانف لاثم غير مائل له ومنحرف اليه بان يأكلها تلذذا او مجاوزا حد الرخصة لقوله غير باغ ولا عاد فان الله غفور رحيم لا يؤاخذه باكله يسألونك ماذا احل لهم لما تضمن السؤال معنى القول اوقع على الجملة وقد سبق الكلام في ماذا وانما قال لهم ولم يقل لنا على الحكاية

٢١٥

اريد به التقييد والمعنى اذا قصدتم الى الصلوة محدثين وقيل الامر فيه للندب وقيل كان ذلك اول الامر ثم
نسخ وهو ضعيف لقوله عليه الصلوة والسلام المائدة من آخر القرآن نزولا فاحلوا حلالها وحرموا حرامها
{فاغسلوا وجوهكم} امروا الماء عليها ولا حاجة الى الدلك خلافا لمالك رحمه الله تعالى {وايديكم الى المرافق}
الجمهور على دخول المرفقين في المغسول ولذلك قيل الى بمعنى مع كقوله تعالى ويزدكم قوة الى قوتكم او متعلقة بمحذوف
تقديره وايديكم مضافة الى المرافق ولو كان كذلك لم يبق معنى التحديد ولا لذكره مزيد فائدة لان مطلق
اليد يشتمل عليها وقيل الى تفيد الغاية مطلقا واما دخولها في الحكم او خروجها منه فلا دلالة لها
عليه وانما يعلم من خارج ولم يكن في الآية وكان الايدي متناولة لها فحكم بدخولها احتياطا وقيل الى من
حيث انها تفيد الغاية تقتضي خروجها والا لم تكن غاية كقوله تعالى فنظرة الى ميسرة وقوله تعالى ثم اتموا الصيام الى الليل
لكن لما لم يتميز الغاية ههنا عن ذي الغاية وجب ادخالها احتياطا {وامسحوا برؤسكم} الباء مزيدة وقيل للتبعيض
فانه الفارق بين قولك مسحت المنديل وبالمنديل ووجهه ان يقال انها تدل على تضمين الفعل معنى الالصاق
فكانه قيل والصقوا المسح برؤسكم وذلك لا يقتضي الاستيعاب بخلاف ما لو قيل وامسحوا رؤسكم فانه كقوله
فاغسلوا وجوهكم واختلف العلماء في قدر الواجب فاوجب الشافعي رحمه الله تعالى اقل ما يقع عليه الاسم اخذا باليقين
وابو حنيفة رحمه الله تعالى ربع الرأس لانه صلى الله عليه وسلم مسح على ناصيته وهو قريب من الربع ومالك
رحمه الله تعالى مسح كله اخذا بالاحتياط {وارجلكم الى الكعبين} نصبه نافع وابن عامر وحفص والكسائي
ويعقوب عطفا على وجوهكم ويؤيده السنة الشائعة وعمل الصحابة وقول اكثر الائمة والتحديد اذ المسح
لم يحد وجره الباقون على الجوار ونظيره كثير في القرآن والشعر كقوله تعالى عذاب يوم محيط وحور عين بالجر
في قراءة حمزة والكسائي وقولهم جحر ضب خرب وللنحاة باب في ذلك وفائدته التنبيه على انه ينبغي ان
يقتصد في صب الماء عليها ويغسل غسلا يقرب من المسح وفي الفصل بينه وبين اخواته ايماء على وجوب الترتيب
وقرئ بالرفع على وارجلكم مغسولة {وان كنتم جنبا فاطهروا} فاغتسلوا {وان كنتم مرضى او على سفر او جاء احد منكم
من الغائط او لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه} سبق تفسيره ولعل
تكريره ليتصل الكلام في بيان انواع الطهارة {ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج} اي ما يريد الامر بالطهارة للصلوة او الامر بالتيمم
تضييقا عليكم {ولكن يريد ليطهركم} لينظفكم او ليطهركم عن الذنوب فان الوضوء تكفير للذنوب او ليطهركم بالتراب
اذا اعوزكم التطهير بالماء فمفعول يريد في الموضعين محذوف واللام للعلة وقيل مزيدة والمعنى ما يريد الله تعالى
ان يجعل عليكم من حرج حتى لا يرخص لكم في التيمم ولكن يريد ان يطهركم وهو ضعيف لان ان لا تقدر بعد المزيدة
{وليتم نعمته عليكم} ليتم بشرعه ما هو مطهرة لابدانكم ومكفرة لذنوبكم نعمته عليكم في الدين او ليتم برخصه
انعامه عليكم بعزائمه {لعلكم تشكرون} نعمته والآية مشتملة على سبعة امور كلها مثنى طهارتان اصل
وبدل والاصل اثنان مستوعب وغير مستوعب وغير المستوعب باعتبار الفعل غسل ومسح وباعتبار المحل

اسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا شاهدا من كل سبط ينقب عن احوال قومه ويفتش عنها او كفيلا يكفل
عليهم بالوفاء بما امروا به روي ان بني اسرائيل لما فرغوا من فرعون واستقروا بمصر امرهم الله تعالى بالمسير
الى اريحا ارض الشام وكان يسكنها الجبابرة الكنعانيون وقال اني كتبتها لكم دارا وقرارا فاخرجوا اليها وجاهدوا
من فيها فاني ناصركم وامر موسى عليه السلام ان ياخذ من كل سبط كفيلا عليهم بالوفاء بما امروا به فاخذ عليهم الميثاق
واختار منهم النقباء وسار بهم فلما دنا من ارض كنعان بعث النقباء يتجسسون الاخبار ونهاهم ان يحدثوا قومهم
فرأوا اجراما عظيمة وباسا شديدا فهابوا فرجعوا وحدثوا قومهم الا كالب بن يوفنا من سبط يهوذا ويوشع
بن نون من سبط افرائيم بن يوسف عليهم السلام وقال الله اني معكم بالنصرة لئن اقمتم الصلوة
وآتيتم الزكوة وآمنتم برسلي وعزرتموهم نصرتموهم وقويتموهم واصله الذب ومنه التعزير واقرضتم الله
قرضا حسنا بالانفاق في سبيل الخير وقرضا يحتمل المصدر والمفعول لاكفرن عنكم سيئاتكم جواب القسم المدلول
عليه باللام في لئن ساد مسد جواب الشرط ولادخلنكم جنات تجري من تحتها الانهار فمن كفر بعد ذلك
بعد ذلك الشرط المؤكد المعلق به الوعد العظيم منكم فقد ضل سواء السبيل ضلالا لا شبهة فيه ولا عذر معه
بخلاف من كفر قبل ذلك اذ قد يمكن ان يكون له شبهة ويتوهم له معذرة فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم طردناهم
من رحمتنا او مسخناهم او ضربنا عليهم الجزية وجعلنا قلوبهم قاسية لا تنفعل عن الآيات والنذر وقرأ حمزة
والكسائي قسية وهي اما مبالغة قاسية او بمعنى رديئة من قولهم درهم قسي اذا كان مغشوشا وهو ايضا
من القسوة فان المغشوش فيه يبس وصلابة وقرئ قسية باتباع القاف للسين يحرفون الكلم عن مواضعه استيناف
لبيان قسوة قلوبهم فانه لا قسوة اشد من تغيير كلام الله تعالى والافتراء عليه ويجوز ان يكون حالا من مفعول لعناهم
لا من القلوب اذ لا ضمير له فيه ونسوا حظا وتركوا نصيبا وافيا مما ذكروا به من التورية او من اتباع محمد صلى الله عليه وسلم
والمعنى انهم حرفوا التورية وتركوا حظهم مما انزل عليهم فلم ينالوه وقيل معناه انهم حرفوها فزلت بشؤمه اشياء
منها عن حفظهم لما روي عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال قد ينسى المرء بعض العلم بالمعصية وتلا هذه الآية
ولا تزال تطلع على خائنة منهم خيانة او فرقة خائنة او خائن والتاء للمبالغة والمعنى ان الخيانة
والغدر من عادتهم وعادة اسلافهم لا تزال ترى ذلك منهم الا قليلا منهم لم يخونوا وهم الذين آمنوا منهم
وقيل الاستثناء من قوله وجعلنا قلوبهم قاسية فاعف عنهم واصفح ان تابوا وآمنوا او عاهدوا والتزموا
الجزية وقيل مطلق نسخ بآية السيف ان الله يحب المحسنين تعليل للامر بالصفح وحث عليه وتنبيه على
ان العفو عن الكافر الخائن احسان فضلا عن العفو عن غيره ومن الذين قالوا انا نصارى اخذنا ميثاقهم اي واخذنا
من النصارى ميثاقهم كما اخذنا ممن قبلهم وقيل تقديره ومن الذين قالوا انا نصارى قوم اخذنا وانما
قال قالوا انا نصارى ليدل على انهم سموا انفسهم بذلك ادعاء لنصرة الله فنسوا حظا مما ذكروا به فاغرينا
بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيمة فالزمنا من غري بالشيء اذا لصق به بين فرق

متعلق بجاءكم على حين فترة من الرسل لانقطاع من الوحي وبين ... فيه ان تقولوا ما جاءنا من بشير

ولا نذير كراهة ان تقولوا ذلك وتعتذروا بانهم فقد جاءكم بشير ونذير متعلق بمحذوف اي لا تعتذروا فقد جاءكم

والله على كل شيء قدير فيقدر على الارسال تترى كما فعل بين موسى وعيسى عليهما السلام اذ كان بينهما الف وسبعمائة

سنة والفترة على الارسال على فترة كما فعل بين عيسى ومحمد عليهما السلام اذ كان بينهما ستمائة او خمسمائة وتسع وستون سنة

انبياء ثلثة من بني اسرائيل وواحد من العرب خالد بن سنان العبسي وفي الآية امتنان عليهم بان بعث اليهم حين

انطمست آثار الوحي وكانوا احوج ما يكونون اليه واذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم انبياء

فارشدكم وشرفكم بهم ولم يبعث في امة ما بعث في بني اسرائيل من الانبياء وجعلكم ملوكا اي جعل منكم او فيكم

وقد تكاثر فيهم الملوك تكاثر الانبياء بعد فرعون حتى قتلوا يحيى عليه السلام وهموا بقتل عيسى عليه السلام وقيل لما كانوا مملوكين

في ايدي القبط فانقذهم الله تعالى وجعلهم مالكين لانفسهم وامورهم سماهم ملوكا وآتاكم ما لم يؤت احدا من العالمين

من فلق البحر وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى ونحوها مما آتاهم وقيل المراد بالعالمين عالمي زمانهم يا قوم ادخلوا الارض المقدسة

ارض بيت المقدس سميت بذلك لانها كانت قرار الانبياء ومسكن المؤمنين وقيل الطور وما حوله وقيل دمشق و

فلسطين وبعض الاردن وقيل الشام التي كتب الله لكم قسمها لكم او كتب في اللوح المحفوظ انها تكون مسكنا لكم ولكن

ان آمنتم واطعتم لقوله لهم بعد ما عصوا فانها محرمة عليهم ولا ترتدوا على ادباركم ولا ترجعوا مدبرين خوفا من الجبابرة قيل

لما سمعوا احوالهم من النقباء بكوا وقالوا ليتنا متنا بمصر تعالوا نجعل علينا رأسا ينصرف بنا الى مصر او ولا ترتدوا في دينكم بالعصيان

وعدم الوثوق على الله تعالى فتنقلبوا خاسرين ثواب الدارين ويجوز في فتنقلبوا الجزم على العطف والنصب على الجواب قالوا يا موسى ان

فيها قوما جبارين متغلبين لا يتأتى لنا مقاومتهم والجبار فعال من جبره على الامر بمعنى اجبره وهو الذي يجبر الناس

على ما يريد وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فان يخرجوا منها فانا داخلون اذ لا طاقة لنا بهم قال رجلان كالب

ويوشع من الذين يخافون اي يخافون الله تعالى ويتقونه وقيل كان رجلين من الجبابرة اسلما وصارا الى موسى عليه السلام فعلى هذا

الواو لبني اسرائيل والراجع الى الموصول محذوف اي من الذين يخافهم بنو اسرائيل ويشهد له انه قرئ الذين يخافون

بالضم اي المخوفين وعلى المعنى الاول يكون هذا من الاخافة اي من الذين يخوفون من الله تعالى بالتذكير

او يخوفهم الوعيد انعم الله عليهما بالايمان والتثبيت وهو صفة ثانية لرجلين او اعتراض ادخلوا

عليهم الباب باب قريتهم اي باغتوهم وضيقوا عليهم في المضيق وامنعوهم من الاصحار فاذا دخلتموه فانكم غالبون

لتعسر الكر عليهم في المضائق من عظم اجسامهم ولانهم اجسام لا قلوب فيها ويجوز ان يكون علمهما بذلك من اخبار موسى

عليه السلام وقوله كتب الله لكم او مما علماه من عادته تعالى في نصرة رسله وما عهداه من صنعه تعالى لموسى عليه السلام في قهر

اعدائه وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين اي مؤمنين به ومصدقين لوعده قالوا يا موسى انا لن ندخلها

ابدا نفوا دخولهم على التأكيد والتأبيد ما داموا فيها بدل من ابدا بدل البعض فاذهب انت وربك فقاتلا

انا ههنا قاعدون وانما قالوا ذلك استهانة بالله تعالى ورسوله وعدم مبالاة بهما وقيل تقديره اذهب

٢٢١

فجوابه اي انما اتيت من قبل نفسك بترك التقوى لا من قبلي فلم تقتلني وفيه اشارة الى ان الحاسد ينبغي
ان يرى حرمانه من تقصيره ويجتهد في تحصيل ما به صار المحسود محظوظا لا في ازالة حظه فان ذلك مما يضره
ولا ينفعه وان الطاعة لا تقبل الا من مؤمن متق لئن بسطت الي يدك لتقتلني ما انا بباسط يدي اليك لاقتلك
اني اخاف الله رب العالمين قيل كان هابيل اقوى منه ولكن تحرج عن قتله واستسلم له خوفا من
الله تعالى لان الدفع لم يبح بعد او تحريا لما هو الافضل قال عليه الصلوة والسلام كن عبد الله المقتول ولا تكن
عبد الله القاتل وانما قال ما انا بباسط في جواب لئن بسطت للتبري عن هذا الفعل الشنيع راسا والتحرز
من ان يوصف به ويطلق عليه ولذلك اكد النفي بالباء اني اريد ان تبوء باثمي واثمك فتكون من اصحاب
النار وذلك جزاء الظالمين تعليل ثان للامتناع عن المعارضة والمقاومة والمعنى انما استسلم لك
ارادة ان تحمل اثمي لو بسطت اليك يدي واثمك ببسطك يدك الي ونحوه المستبان ما قالا فعلى البادي
ما لم يعتد المظلوم وقيل باثمي باثم قتلي وباثمك الذي لم يتقبل من اجله قربانك وكلاهما في موضع
الحال اي ترجع ملتبسا بالاثمين حاملا لهما ولعله لم يرد معصية اخيه وشقاوته بل قصده بهذا الكلام
الى ان ذلك ان كان لا محالة واقعا فاريد ان يكون لك لا لي فالمراد بالذات ان لا يكون له لا ان
يكون لاخيه ويجوز ان يكون المراد بالاثم عقوبته وارادة عقاب العاصي جائزة فطوعت له نفسه قتل اخيه
فسهلته له ووسعته من طاع له المرتع اذا اتسع وقرئ فطاوعت على انه فاعل بمعنى فعل او على ان قتل اخيه
كانه دعاها الى الاقدام عليه فطاوعته وله لزيادة الربط كقولك حفظت لزيد ماله فقتله فاصبح من
الخاسرين دينا ودنيا اذ بقي مدة عمره مطرودا محزونا قيل قتل هابيل وهو ابن عشرين سنة عند عقبة حراء
وقيل بالبصرة في موضع المسجد الاعظم فبعث الله غرابا يبحث في الارض ليريه كيف يواري سوأة اخيه
روي انه لما قتله تحير في امره ولم يدر ما يصنع به اذ كان اول ميت من بني آدم فبعث الله تعالى غرابين فاقتتلا
فقتل احدهما الآخر فحفر له بمنقاره ورجليه ثم القاه في الحفرة والضمير في ليريه لله تعالى او للغراب وكيف حال
في يواري والجملة ثاني مفعولي يري والمراد بسوأة اخيه جسده الميت فانه مما يستقبح ان يرى قال يا ويلتى كلمة
جزع وتحسر والالف فيها بدل من ياء المتكلم والمعنى يا ويلتي احضري فهذا اوانك والويل والويلة الهلكة
أعجزت ان اكون مثل هذا الغراب فاواري سوأة اخي لا اهتدي الى ما اهتدى اليه وقوله فاواري
عطف على اكون وليس جواب الاستفهام اذ ليس المعنى لو عجزت لواريت وقرئ بالسكون على فانا اواري او على
تسكين المنصوب تخفيفا فاصبح من النادمين على قتله لما كابد فيه من التحير في امره وحمله على رقبته
سنة او اكثر على ما قيل وتلمذه للغراب واسوداد لونه وتبرؤ ابويه منه اذ روي انه لما قتله اسود
جسده فساله آدم عليه السلام عن اخيه فقال ما كنت عليه وكيلا فقال بل قتلته ولذلك
اسود جسدك وتبرأ منه ومكث بعد ذلك مائة سنة لا يضحك وعدم الظفر بما فعله من اجله

عذاب مقيم واللام متعلقة بمحذوف يستدعيه لو اذ التقدير لو ثبت ان لهم ما في الارض وتوحيد الضمير
في به والمذكور شيئان اما لاجرائه مجرى اسم الاشارة في نحو قوله تعالى عوان بين ذلك او لان الواو في ومثله بمعنى مع
ما تقبل منهم جواب لو ولو بما في حيزه خبر ان والجملة تمثيل للزوم العذاب لهم وانه لا سبيل لهم الى الخلاص منه
ولهم عذاب اليم تصريح بالمقصود منه وكذلك قوله يريدون ان يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها
ولهم عذاب مقيم وقرئ يخرجوا من اخرج وانما قال وما هم بخارجين بدل وما يخرجون للمبالغة والسارق
والسارقة فاقطعوا ايديهما جملتان عند سيبويه اذ التقدير فيما يتلى عليكم السارق والسارقة اي حكمهما وجملة
عند المبرد والفاء للسببية دخل الخبر لتضمنهما معنى الشرط اذ المعنى والذي سرق والتي سرقت وقرئ بالنصب وهو المختار
في امثاله لان الانشاء لا يقع خبرا الا باضمار وتاويل والسرقة اخذ مال الغير في خفية وانما توجب القطع اذا
كانت من حرز والماخوذ ربع دينار او ما يساويه لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم القطع في ربع دينار فصاعدا وللعلماء
خلاف في ذلك لاحاديث وردت فيه وقد استقصيت الكلام فيه في شرح المصابيح فمن شاء فليطلب منه
والمراد بالايدي الايمان ويؤيده قراءة ابن مسعود رضي الله تعالى عنه ايمانهما ولذلك ساغ وضع الجمع موضع
المثنى كما في قوله تعالى فقد صغت قلوبكما اكتفاء بتثنية المضاف اليه واليد اسم لتمام العضو
ولذلك ذهب الخوارج الى ان المقطع هو المنكب والجمهور على انه الرسغ لانه صلى الله عليه وسلم اتي
بسارق فامر بقطع يمينه منه جزاء بما كسبا نكالا من الله منصوبان على المفعول له او المصدر ودل
على فعلهما فاقطعوا والله عزيز حكيم فمن تاب من السراق من بعد ظلمه اي سرقته واصلح امره
بالتفصي عن التبعات والعزم على ان لا يعود اليها فان الله يتوب عليه ان الله غفور رحيم يقبل توبته فلا يعذبه
في الآخرة اما القطع فلا يسقط بها عند الاكثرين لان فيه حق المسروق منه الم تعلم ان الله له ملك السموات
والارض الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم او لكل احد يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء والله على كل شيء قدير
قدم التعذيب على المغفرة اتيانا على ترتيب ما سبق او لان استحقاق التعذيب مقدم على المغفرة او لان المراد به
القطع وهو في الدنيا يا ايها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر اي صنيع الذين يقعون في الكفر
سريعا اي في اظهاره اذا وجدوا منه فرصة من الذين قالوا آمنا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم اي من المنافقين
والباء متعلقة بقالوا لا بآمنا والواو يحتمل الحال والعطف ومن الذين هادوا عطف على من الذين قالوا
سماعون للكذب خبر محذوف اي هم سماعون والضمير للفريقين او للذين يسارعون ويجوز ان يكون
مبتدأ ومن الذين خبره اي ومن اليهود قوم سماعون واللام في للكذب اما مزيدة للتاكيد او لتضمن السماع
معنى القبول اي قابلون لما يفتريه الاحبار او للعلة والمفعول محذوف اي سماعون كلامك
ليكذبوا عليك فيها سماعون لقوم آخرين لم ياتوك اي لجمع آخر من اليهود لم يحضروا مجلسك وتجافوا
عنك تكبرا او افراطا في البغضاء والمعنى على الوجهين اي مصغون لهم قابلون كلامهم او سماعون منك

يعرضون عن حكمك الموافق لكتابهم بعد التحكيم وهو عطف على يحكمونك داخل في حكم التعجيب وما أولئك

بالمؤمنين بكتابهم لاعراضهم عنه اولا وعما يوافقه ثانيا او بك وبه إنا أنزلنا التوراة فيها هدى يهدي

الى الحق ونور يكشف ما استبهم من الاحكام يحكم بها النبيون يعني انبياء بني اسرائيل او موسى عليه السلام

ومن بعده ان قلنا شرع من قبلنا شرع لنا ما لم ينسخ وبهذه الآية تمسك القائل به الذين أسلموا صفة اجريت على

النبيين مدحا لهم وتنويها بشأن المسلمين وتعريضا باليهود وانهم بمعزل عن دين الانبياء واقتفاء هديهم للذين

هادوا متعلق بانزل او بيحكم اي يحكمون بها في تحاكمهم وهو يدل على ان النبيين انبياؤهم والربانيون

والأحبار زهادهم وعلماؤهم السالكون طريقة انبيائهم عطف على النبيون بما استحفظوا من كتاب الله

بسبب امر الله اياهم بان يحفظوا كتابه من التضييع والتحريف والراجع الى ما محذوف ومن للتبيين وكانوا

عليه شهداء رقباء لا يتركون ان يغيروا او شهداء يبينون ما يخفى منه كما فعل ابن صوريا فلا تخشوا الناس

واخشون نهي للحكام ان يخشوا غير الله في حكوماتهم ويداهنوا فيها خشية ظالم او مراقبة كبير ولا تشتروا

بآياتي ولا تستبدلوا باحكامي التي انزلتها ثمنا قليلا هو الرشوة والجاه ومن لم يحكم بما أنزل الله مستهينا

به منكرا له فأولئك هم الكافرون لاستهانتهم به وتمردهم بان حكموا بغيره ولذلك وصفهم بقوله الظالمون

والفاسقون فكفرهم لانكاره وظلمهم بالحكم على خلافه وفسقهم بالخروج عنه ويجوز ان يكون كل واحدة من

الصفات الثلاث باعتبار حال انضمت الى الامتناع عن الحكم به ملائمة لها او لطائفة كما قيل هذه في المسلمين

لاتصالها بخطابهم والظالمون في اليهود والفاسقون في النصارى وكتبنا عليهم وفرضنا على اليهود فيها في التوراة

أن النفس بالنفس اي ان النفس تقتل بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن

بالسن رفعها الكسائي على انها جمل معطوفة على ان وما في حيزها باعتبار المعنى وكأنه قيل وكتبنا عليهم النفس

بالنفس والعين بالعين فان الكتابة والقراءة تقعان على الجمل كالقول او جمل مستأنفة ومعناها وكذلك العين مفقوءة

بالعين والانف مجدوع بالانف والاذن مصلومة بالاذن والسن مقلوعة بالسن او على ان المرفوع منها معطوف

على المستكن في قوله بالنفس وانما ساغ لانه في الاصل مفصول عنه بالظرف والجار والمجرور حال مبينة

للمعنى والجروح قصاص اي ذات قصاص وقرأه الكسائي ايضا بالرفع ووافقه ابن كثير وابو عمرو وابن عامر على انه

اجمال للحكم بعد التفصيل فمن تصدق من المستحقين به بالقصاص اي فمن عفا عنه فهو فالتصدق

كفارة له للمتصدق يكفر الله به ذنوبه وقيل للجاني يسقط عنه ما لزمه وقرئ فهو كفارته له اي فالمتصدق كفارته التي يستحقها

بالتصدق له لا ينقص منها شيء ومن لم يحكم بما أنزل الله من القصاص وغيره فأولئك هم الظالمون وقفينا على

آثارهم اي واتبعناهم على آثارهم فحذف المفعول لدلالة الجار والمجرور عليه والضمير للنبيين بعيسى ابن مريم مفعول ثان

عدي اليه الفعل بالباء مصدقا لما بين يديه من التوراة وآتيناه الإنجيل وقرئ بفتح الهمزة فيه هدى ونور

في موضع النصب بالحال ومصدقا لما بين يديه من التوراة عطف عليه وكذا قوله وهدى وموعظة للمتقين

افحكم الجاهلية يبغون الذى هو الميل والمداهنة فى الحكم والمراد بالجاهلية الملة الجاهلية التى هى متابعة الهوى
وقيل نزلت فى بنى قريظة والنضير طلبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يحكم بما كان يحكم به اهل الجاهلية
من التفاضل بين القتلى وقرئ برفع الحكم على انه مبتدأ ويبغون خبره والراجع محذوف حذفه فى الصلة فى قوله تعالى اهذا
الذى بعث الله رسولا واستضعف فى غير الشعر وقرئ افحكم الجاهلية اى يبغون حاكما كحكام الجاهلية
يحكم بحسب شهيتهم وقرأ ابن عامر تبغون بالتاء على قل لهم افحكم الجاهلية تبغون ومن احسن من الله حكما
لقوم يوقنون اى عندهم واللام للبيان كما فى قوله تعالى هيت لك اى هذا الاستفهام لقوم يوقنون فانهم هم
الذين يتدبرون الامور ويتحققون الاشياء بانظارهم فيعلمون ان لا احسن حكما من الله تعالى يا ايها الذين
آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء فلا تعتمدوا عليهم ولا تعاشروهم معاشرة الاحباب
بعضهم اولياء بعض ايماء الى علة النهى اى فانهم متفقون على خلافكم يوالى بعضهم بعضا لاتحادهم فى الدين
واجتماعهم على مضادتكم ومن يتولهم منكم فانه منهم اى ومن والاهم منكم فانه من جملتهم وهذا التشديد
فى وجوب مجانبتهم كما قال عليه الصلوة والسلام لا تتراءى ناراهما او لان الموالين لهم كانوا منافقين ان الله
لا يهدى القوم الظالمين اى الذين ظلموا انفسهم بموالاة الكفار او المؤمنين بموالاة اعدائهم فترى الذين فى
قلوبهم مرض يعنى ابن ابى واضرابه يسارعون فيهم اى فى موالاتهم ومعاونتهم يقولون نخشى ان تصيبنا
دائرة يعتذرون بانهم يخافون ان تصيبهم دائرة من الدوائر بان ينقلب الامر ويكون الدولة للكفار
روى ان عبادة بن الصامت قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان لى موالى من اليهود كثيرا عددهم وانى
ابرأ الى الله تعالى ورسوله من ولايتهم واوالى الله تعالى ورسوله فقال ابن ابى انى رجل اخاف الدوائر لا ابرأ من
ولاية موالى فنزلت فعسى الله ان يأتى بالفتح لرسول الله صلى الله عليه وسلم على اعدائه واظهار المسلمين او امر من
عنده يقطع شأفة اليهود من القتل والاجلاء او الامر باظهار اسرار المنافقين وقتلهم فيصبحوا اى
هؤلاء المنافقون على ما اسروا فى انفسهم نادمين على ما استبطنوه من الكفر والشك فى امر الرسول فضلا
عما اظهروه مما اشعر على نفاقهم ويقول الذين آمنوا بالرفع قراءة عاصم وحمزة والكسائى على انه كلام مبتدأ
ويؤيده قراءة ابن كثير ونافع وابن عامر مرفوعا بغير واو على انه جواب قائل يقول فماذا يقول المؤمنون حينئذ
وبالنصب قراءة ابى عمرو ويعقوب عطفا على ان يأتى باعتبار المعنى وكأنه قال عسى ان يأتى الله بالفتح ويقول
الذين آمنوا او يجعله بدلا من اسم الله داخلا فى اسم عسى مغنيا عن الخبر بما تضمنه من الحدث او على الفتح بمعنى
عسى الله ان يأتى بالفتح وبقول المؤمنين فان الاتيان بما يوجبه كالاتيان به اهؤلاء الذين اقسموا بالله جهد
ايمانهم انهم لمعكم يقوله المؤمنون بعضهم لبعض تعجبا من حال المنافقين وتبجحا بما من الله تعالى عليهم
من الاخلاص او يقولونه لليهود فان المنافقين حلفوا لهم بالمعاضدة كما حكى الله تعالى عنهم وان قوتلتم
لننصرنكم وجهد الايمان اغلظها وهو فى الاصل مصدر ونصبه على الحال على تقدير واقسموا بالله

بمنحه ويوفق له والله واسع كثير الفضل عليم بمن هو اهله انما وليكم الله ورسوله والذين امنوا لما نهى عن موالاة

الكفرة ذكر عقيبه من هو حقيق بها وانما قال وليكم ولم يقل اولياؤكم للتنبيه على ان الولاية لله على الاصالة ولرسوله

وللمؤمنين على التبع الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة صفة للذين امنوا فانه جرى مجرى الاسم او بدل

منه ويجوز رفعه ونصبه على المدح وهم راكعون متخشعون في صلوتهم وزكوتهم وقيل هو حال مخصوصة بيؤتون اي

يؤتون الزكوة في حال ركوعهم في صلوة حرصا على الاحسان ومسارعة اليه وانها نزلت في علي رضي الله تعالى عنه حين سأله

سائل وهو راكع في صلوته فطرح له خاتمه واستدل بها الشيعة على امامته زاعمين ان المراد بالولي المتولي

للامور والمستحق للتصرف فيهم والظاهر ما ذكرناه مع ان حمل الجمع على الواحد ايضا خلاف الظاهر وان صح انه

نزل فيه فلعله جيء بلفظ الجمع لترغيب الناس في مثل فعله فيندرجوا فيه وعلى هذا يكون دليلا على ان الفعل القليل

في الصلوة لا يبطلها وان صدقة التطوع تسمى زكوة ومن يتول الله ورسوله والذين امنوا ومن يتخذهم

اولياء فان حزب الله هم الغالبون اي فانهم الغالبون ولكن وضع الظاهر موضع المضمر تنبيها على البرهان عليه

وكانه قيل ومن يتول هؤلاء فهم حزب الله وحزب الله تعالى هم الغالبون وتنويها بذكرهم وتعظيما لشانهم وتشريفا

لهم بهذا الاسم وتعريضا لمن يوالي غير هؤلاء بانه حزب الشيطان واصل الحزب القوم يجتمعون لامر حزبهم

يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم والكفار اولياء

نزلت في رفاعة بن زيد وسويد بن الحارث اظهرا الاسلام ثم نافقا وكان رجال من المسلمين يوادونهما وقد رتب النهي

عن موالاتهم على اتخاذهم دينهم هزوا ولعبا ايماء على العلة وتنبيها على ان من هذا شانه بعيد عن الموالاة جدير

بالمعاداة وفصل المستهزئين باهل الكتاب والكفار على قراءة من جره وهم ابو عمرو والكسائي ويعقوب والكفار وان

عم اهل الكتاب يطلق على المشركين خاصة لتضاعف كفرهم ومن نصبه عطفه على الذين اتخذوا على ان النهي

عن موالاة من ليس على الحق راسا سواء من كان ذا دين تبع فيه الهوى وحرفه عن الصواب كاهل الكتاب ومن لم يكن

كالمشركين واتقوا الله بترك المناهي ان كنتم مؤمنين لان الايمان حقا يقتضي ذلك وقيل ان كنتم مؤمنين بوعده

ووعيده واذا ناديتم الى الصلوة اتخذوها هزوا ولعبا اي اتخذوا الصلوة او المناداة وفيه دليل على ان الاذان مشروع للصلوة

روي ان نصرانيا بالمدينة كان اذا سمع المؤذن يقول اشهد ان محمدا رسول الله قال احرق الله الكاذب فدخل خادمه ذات

ليلة بنار واهله نيام فتطاير شررها في البيت فاحرقته واهله ذلك بانهم قوم لا يعقلون فان السفه يؤدي الى

الجهل بالحق والهزء به والعقل يمنع منه قل يا اهل الكتاب هل تنقمون منا هل تنكرون منا وتعيبون يقال نقم منه

كذا اذا انكره وانتقم اذا كافاه وقرئ تنقمون بفتح القاف وهو لغة الا ان امنا بالله وما انزل الينا وما انزل من قبل الايمان بالكتب المنزلة كلها

وان اكثركم فاسقون عطف على ان امنا وكان المستثنى لازم الامرين وهو المخالفة اي ما تنكرون منا الا مخالفتكم

حيث دخلنا الايمان وانتم خارجون منه او كان الاصل واعتقاد ان اكثركم فاسقون فحذف المضاف او على ما اي وما تنقمون

منا الا الايمان بالله تعالى وبما انزل وبان اكثركم او على علة محذوفة والتقدير هل تنقمون منا الا ان امنا

وغل اليد وبسطها مجاز عن البخل والجود ولا قصد فيه الى اثبات يد وغل او بسط ولذلك تستعمل حيث لا يتصور ذلك
كقوله ❊ جاد الحمى بسط اليدين بوابل ❊ شكرت نداه تلاعه ووهاده ❊ ونظيره من المجازات المركبة شابت لمة الليل
وقيل معناه انه فقير لقوله تعالى لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء غلت ايديهم ولعنوا بما
قالوا دعاء عليهم بالبخل والنكد او بالفقر والمسكنة او بغل الايدي حقيقة يغلون اسارى في الدنيا ومسحبين الى النار في
الآخرة فيكون المطابقة من حيث اللفظ وملاحظة الاصل كقولك سبني سب الله دابره بل يداه مبسوطتان ثنى اليد مبالغة
في الرد ونفي البخل عنه واثباتا لغاية الجود فان غاية ما يبذله السخي من ماله ان يعطيه بيديه وتنبيها على منح الدنيا
والآخرة وعلى ما يعطي للاستدراج وما يعطي للاكرام ينفق كيف يشاء تاكيد لذلك اي هو مختار في انفاقه يوسع
تارة ويضيق اخرى على حسب مشيئته ومقتضى حكمته لا على تعاقب سعة وضيق في ذات يد ولا يجوز جعله
حالا من الهاء للفصل بينهما بالخبر ولانها مضاف اليها ولا من اليدين اذ لا ضمير لهما فيه ولا من ضميرهما لذلك والآية
نزلت في فنحاص بن عازوراء فانه قال ذلك لما كف الله تعالى عن اليهود ما بسط عليهم من السعة بشؤم تكذيبهم محمدا
صلى الله عليه وسلم واشرك فيه الآخرون لانهم رضوا بقوله وليزيدن كثيرا منهم ما انزل اليك من ربك طغيانا
وكفرا اي هم طاغون كافرون ويزدادون طغيانا وكفرا بما يسمعون من القرآن كما يزداد المريض مرضا من تناول الغذاء
الصالح للاصحاء والقينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة فلا تتوافق قلوبهم ولا تتطابق اقوالهم كلما اوقدوا نارا
للحرب اطفأها الله كلما ارادوا حرب الرسول صلى الله عليه وسلم واثارة شر عليه صلى الله تعالى عليه وسلم ردهم الله تعالى بان اوقع
بينهم منازعة كف بها عنه شرهم او كلما ارادوا حرب احد غلبوا فانهم لما خالفوا حكم التوراة سلط الله تعالى عليهم
بخت نصر ثم افسدوا فسلط فطرس الرومي ثم افسدوا فسلط عليهم المجوس ثم افسدوا فسلط عليهم المسلمين
وللحرب صلة اوقدوا او صفة نارا ويسعون في الارض فسادا اي للفساد وهو اجتهادهم في الكيد واثارة الحروب
والفتن وهتك المحارم والله لا يحب المفسدين فلا يجازيهم الا شرا ولو ان اهل الكتاب آمنوا بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم
وبما جاء به واتقوا ما عددنا من معاصيهم ونحوه لكفرنا عنهم سيئاتهم التي فعلوها ولم نؤاخذهم بها ولادخلناهم
جنات النعيم ولجعلناهم من الداخلين فيها وفيه تنبيه على عظم معاصيهم وكثرة ذنوبهم وان الاسلام يجب
ما قبله وان جل وان الكتابي لا يدخل الجنة ما لم يسلم ولو انهم اقاموا التوراة والانجيل باذاعة ما فيهما و
القيام باحكامهما وما انزل اليهم من ربهم يعني سائر الكتب المنزلة فانها من حيث انهم مكلفون بالايمان بها
كالمنزل اليهم او القرآن لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم لوسع عليهم ارزاقهم بان يفيض عليهم بركات من
السماء والارض او بكثرة ثمرة الاشجار وغلة الزروع او يرزقهم الجنان اليانعة الثمار فيجتنون ما تهدل منها من راس الشجر ويلتقطون
ما تساقط على الارض بين بذلك ان ما كف عنهم بشؤم كفرهم ومعاصيهم لا لقصور الفيض ولو انهم آمنوا
واقاموا ما امروا به لوسع الله تعالى عليهم وجعل لهم خير الدارين منهم امة مقتصدة عادلة غير غالية
ولا مقصرة وهم الذين آمنوا بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم وقيل مقتصدة متوسطة في عداوته وكثير منهم ساء ما يعملون

تقلب الهمزة ياء والصابئون بحذفها من صبا بابدال الهمزة الفا او من صبوت لانهم صبوا الى اتباع الشهوات ولم يتبعوا
شرعا ولا عقلا لقد اخذنا ميثاق بني اسرائيل وارسلنا اليهم رسلا ليذكروهم وليبينوا لهم امر دينهم كلما جاءهم
رسول بما لا تهوى انفسهم بما يخالف هواهم من الشرائع ومشاق التكاليف فريقا كذبوا وفريقا يقتلون جواب الشرط والجملة
صفة رسلا والراجع محذوف اي رسول منهم وقيل الجواب محذوف دل عليه ذلك وهو استئناف وانما جيء بيقتلون
موضع قتلوا على حكاية الحال الماضية استحضارا لها واستفظاعا للقتل وتنبيها على ان ذلك ديدنهم ماضيا
ومستقبلا ومحافظة على رؤس الآي وحسبوا ان لا تكون فتنة وحسب بنو اسرائيل ان لا يصيبهم بلاء وعذاب
بقتل الانبياء وتكذيبهم وقرأ ابو عمرو وحمزة والكسائي ويعقوب لا تكون بالرفع على ان ان هي المخففة من الثقيلة
واصله انه لا تكون وادخال فعل الحسبان عليها وهي للتحقيق تنزيل له منزلة العلم لتمكنه في قلوبهم وان او ان
بما في حيزها ساد مسد مفعوليه فعموا عن الدين او الدلائل والهدى وصموا عن استماع الحق كما فعلوا حين عبدوا
العجل ثم تاب الله عليهم اي ثم تابوا فتاب الله عليهم ثم عموا وصموا كرة اخرى وقرئ بالضم فيهما على ان الله
عماهم وصمهم اي رماهم بالعمى والصمم وهو قليل واللغة الفاشية اعمى واصم كثير منهم بدل من الضمير او فاعل
والواو علامة الجمع كقولهم اكلوني البراغيث او خبر مبتدأ محذوف اي العمي والصم كثير منهم وقيل مبتدأ والجملة
خبره وهو ضعيف لان تقديم الخبر في مثله ممتنع والله بصير بما يعملون فيجازيهم وفق اعمالهم لقد كفر الذين قالوا
ان الله هو المسيح ابن مريم وقال المسيح يا بني اسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم اي اني عبد مربوب مثلكم فاعبدوا
خالقي وخالقكم انه من يشرك بالله في عبادته او فيما يختص به من الصفات والافعال فقد حرم الله عليه الجنة
يمنعه من دخولها كما يمنع المحرم عليه من المحرم فانها دار الموحدين ومأواه النار فانها المعدة للمشركين وما
للظالمين من انصار اي وما لهم احد ينصرهم من النار فوضع الظاهر موضع المضمر تسجيلا على انهم ظلموا بالاشراك
وعدلوا عن طريق الحق وهو يحتمل ان يكون من تمام كلام عيسى صلوات الله تعالى على نبينا وعليه وان يكون
من كلام الله تعالى نبه به على انهم قالوا ذلك تعظيما لعيسى على نبينا وعليه الصلوة والسلام وتقربا اليه وهو معاديهم
بذلك ومخاصمهم فيه فما ظنك بغيره لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلثة اي احد ثلثة وهو حكاية عما قاله
النسطورية والملكانية منهم القائلون بالاقانيم الثلثة وما سبق قول اليعقوبية القائلين بالاتحاد وما من
اله الا اله واحد وما في الوجود ذات واجب مستحق للعبادة من حيث انه مبدأ جميع الموجودات الا اله
موصوف بالوحدانية متعال عن قبول الشركة ومن مزيدة للاستغراق وان لم ينتهوا عما يقولون ولم يوحدوا
ليمسن الذين كفروا منهم عذاب اليم اي ليمسن الذين بقوا منهم على الكفر او ليمسن الذين كفروا من النصارى
وضع موضع ليمسنهم تكريرا للشهادة على كفرهم وتنبيها على ان العذاب على من دام على الكفر ولم ينقلع عنه
ولذلك عقبه بقوله افلا يتوبون الى الله ويستغفرونه اي ألا يتوبون بالانتهاء عن تلك العقائد والاقوال الزائغة
ويستغفرون بالتوحيد والتنزيه عن الاتحاد والحلول بعد هذا التقرير والتهديد والله غفور رحيم

في العذاب وعليه الذم والمخصوص محذوف اي لبئس شيئاً ذلك لانه كسبهم السخط والخلود ولو كانوا يؤمنون بالله
والنبي يعني نبيهم وان كانت الآية في المنافقين فالمراد نبينا وما أنزل إليه ما اتخذوهم أولياء اذ الايمان يمنع ذلك ولكن
كثيراً منهم فاسقون خارجون عن دينهم او متمردون في نفاقهم لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا
لشدة شكيمتهم وتضاعف كفرهم وانهماكهم في اتباع الهوى وركونهم الى التقليد وبعدهم عن التحقيق وتمرنهم
على تكذيب الانبياء ومعاداتهم ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى للين جانبهم ورقة
قلوبهم وقلة حرصهم على الدنيا وكثرة اهتمامهم بالعلم والعمل واليه اشار بقوله ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم
لا يستكبرون من قبول الحق اذا فهموه او يتواضعون ولا يتكبرون كاليهود وفيه دليل على ان التواضع والاقبال على
العلم والعمل والاعراض عن الشهوات محمودة وان كانت في كافر وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى
أعينهم تفيض من الدمع عطف على لا يستكبرون وهو بيان لرقة قلوبهم وشدة خشيتهم ومسارعتهم الى قبول الحق
وعدم تأبيهم عنه والفيض انصباب عن امتلاء فوضع موضع الامتلاء للمبالغة او جعلت اعينهم من فرط البكاء كأنها
تفيض بانفسها مما عرفوا من الحق من الاولى للابتداء والثانية لتبيين ما عرفوا او للتبعيض فانه بعض الحق والمعنى
انهم عرفوا بعض الحق فابكاهم فكيف اذا عرفوا كله يقولون ربنا آمنا بذلك او بمحمد صلى الله عليه وسلم فاكتبنا مع الشا
هدين الذين شهدوا بانه حق او بنبوته او من امته الذين هم شهداء على الامم يوم القيامة وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا
من الحق ونطمع ان يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين استفهام انكار واستبعاد لانتفاء الايمان مع قيام الداعي وهو
الطمع في الانخراط مع الصالحين والدخول مداخلهم او جواب سائل قال لم آمنتم ولا نؤمن حال من الضمير والعامل
ما في اللام من معنى الفعل اي اي شيء حصل لنا غير مؤمنين بالله تعالى او بوحدانيته فانهم كانوا مثلثين او بكتابه
ورسوله فان الايمان بهما ايمان به حقيقة وذكره توطئة وتعظيما ونطمع عطف على نؤمن او خبر محذوف
والواو للحال اي ونحن نطمع والعامل فيها عامل الاولى مقيدا بها او نؤمن فأثابهم الله بما قالوا اي عن اعتقاد من قولك
هذا قول فلان اي معتقده جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك جزاء المحسنين الذين احسنوا
النظر والعمل او الذين اعتادوا الاحسان في الامور والآيات الاربع روي انها نزلت في النجاشي واصحابه بعث اليه رسول الله
صلى الله عليه وسلم بكتابه فقرأه ثم دعا جعفر بن ابي طالب والمهاجرين معه وحضر الرهبان والقسيسين فأمر جعفرا ان
يقرأ عليهم القرآن فقرأ سورة مريم فبكوا وآمنوا بالقرآن وقيل نزلت في ثلاثين او سبعين رجلا من قومه وفدوا
على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأ عليهم سورة يس فبكوا وآمنوا والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب
الجحيم عطف التكذيب بآيات الله تعالى على الكفر وهو ضرب منه لان القصد الى بيان حال المكذبين وذكرهم
في معرض المصدقين بها جمعا بين الترغيب والترهيب يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم
اي ما طاب ولذ منه كأنه لما تضمن ما قبله مدح النصارى على ترهبهم والحث على كسر النفس ورفض الشهوات عقبه
النهي عن الافراط في ذلك والاعتداء عما حد الله تعالى بجعل الحلال حراما فقال ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين

تضنوا بها ولا تبذلوها لكل امر او بان تبروا فيها ما استطعتم ولم يفت بها خير او بان تكفروها اذا حنثتم كذلك اي
مثل ذلك البيان يبين الله لكم آياته اعلام شرائعه لعلكم تشكرون نعمة التعليم او نعمه الواجب شكرها فان مثل
هذا التبيين يسهل لكم المخرج منه يا ايها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والانصاب اي الاصنام التي نصبت للعبادة
والازلام سبق تفسيرها في اول السورة رجس قذر تعاف عنه العقول وافرده لانه خبر للخمر وخبر المعطوفات محذوف
او لمضاف محذوف فكانه قال انما تعاطي الخمر والميسر رجس من عمل الشيطان لانه مسبب من تسويله وتزيينه فاجتنبوه
الضمير للرجس او لما ذكر او للتعاطي لعلكم تفلحون لكي تفلحوا بالاجتناب عنه واعلم انه تعالى اكد تحريم الخمر والميسر في هذه
الآية بان صدر الجملة بانما وقرنهما بالاصنام والازلام وسماهما رجسا وجعلهما من عمل الشيطان تنبيها على ان
الاشتغال بهما شر بحت او غالب وامر بالاجتناب عن عينهما وجعله سببا يرجى منه الفلاح ثم قرر ذلك
بان بين ما فيهما من المفاسد الدنيوية والدينية المقتضية للتحريم فقال انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة
والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلوة وانما خصهما باعادة الذكر وشرح ما فيهما من الوبال تنبيها
على انهما المقصود بالبيان وذكر الانصاب والازلام للدلالة على انهما مثلهما في الحرمة والشرارة لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم
شارب الخمر كعابد الوثن وخص الصلوة من الذكر بالافراد للتعظيم والاشعار بان الصاد عنها كالصاد عن
الايمان من حيث انها عماده والفارق بينه وبين الكفر ثم اعاد الحث على الانتهاء بصيغة الاستفهام مرتبا
على ما تقدم من انواع الصوارف وقال فهل انتم منتهون ايذانا بان الامر في المنع والتحذير بلغ الغاية وان الاعذار
قد انقطعت واطيعوا الله واطيعوا الرسول فيما امرا به واحذروا عما نهيا عنه او مخالفتهما فان توليتم فاعلموا
انما على رسولنا البلاغ المبين اي فاعلموا انكم لم تضروا الرسول بتوليكم فانما عليه البلاغ وقد ادى وانما ضررتم
انفسكم ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا مما لم يحرم عليهم لقوله اذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا
الصالحات اي اتقوا المحرم وثبتوا على الايمان والاعمال الصالحة ثم اتقوا ما حرم عليهم بعد كالخمر وآمنوا بتحريمه ثم اتقوا
ثم استمروا وثبتوا على اتقاء المعاصي واحسنوا وتحروا الاعمال الجميلة واشتغلوا بها روي انه لما نزل تحريم الخمر قالت الصحابة
يا رسول الله فكيف باخواننا الذين ماتوا وهم يشربون الخمر وياكلون الميسر فنزلت ويحتمل ان يكون هذا التكرير
باعتبار الاوقات الثلثة او باعتبار الحالات الثلث استعمال الانسان التقوى والايمان بينه وبين نفسه وبينه
وبين الناس وبينه وبين الله تعالى ولذلك بدل الايمان بالاحسان في الكرة الثالثة اشارة الى ما قال عليه الصلوة
والسلام في تفسيره او باعتبار المراتب الثلث المبدأ والوسط والمنتهى او باعتبار ما يتقى فانه ينبغي ان يترك المحرمات
توقيا من العقاب والشبهات تحرزا عن الوقوع في الحرام وبعض المباحات تحفظا للنفس عن الخسة وتهذيبا لها عن دنس
الطبيعة والله يحب المحسنين فلا يؤاخذهم بشيء وفيه ان من فعل ذلك صار محسنا ومن صار محسنا صار لله
محبوبا يا ايها الذين آمنوا ليبلونكم الله بشيء من الصيد تناله ايديكم ورماحكم نزلت عام الحديبية ابتلاهم الله
بالصيد وكانت الوحوش تغشاهم في رحالهم بحيث يتمكنون من صيدها اخذا بايديهم وطعنا برماحهم وهم محرمون

٢٣٩

الشافعي رحمه الله تعالى ان يكفر باطعام مساكين ما يساوي قيمة الهدي من غالب قوت البلد فيعطي كل مسكين مدا او عدل ذلك صياما او ما ساواه من الصوم فيصوم عن طعام كل مسكين يوما وهو في الاصل مصدر اطلق للمفعول وقرئ بكسر العين وهو ما عدل بالشيء في المقدار كعدل الحمل وذلك اشارة الى الطعام وصياما تمييز للعدل ليذوق وبال امره متعلق بالمحذوف اي فعليه الجزاء او الطعام او الصوم ليذوق ثقل فعله وسوء عاقبة هتكه لحرمة الاحرام او الثقل الشديد على مخالفة امر الله تعالى واصل الوبل الثقل ومنه الطعام الوبيل عفا الله عما سلف من قتل الصيد محرما في الجاهلية او قبل التحريم او في هذه المرة ومن عاد الى مثل هذا فينتقم الله منه فهو ينتقم الله تعالى منه وليس فيه ما يمنع الكفارة على العائد كما حكي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وشريح رحمه الله تعالى والله عزيز ذو انتقام ممن اصر على عصيانه احل لكم صيد البحر ما صيد منه مما لا يعيش الا في الماء وهو حلال كله لقوله عليه السلام في البحر هو الطهور ماؤه والحل ميتته وقال ابو حنيفة رحمه الله لا يحل منه الا السمك وقيل يحل السمك وما يؤكل نظيره في البر وطعامه ما قذفه او نضب عنه وقيل الضمير للصيد وطعامه اكله متاعا لكم تمتيعا لكم نصب على الغرض وللسيارة اي لسيارتكم يتزودونه قديدا وحرم عليكم صيد البر اي ما صيد فيه او الصيد فيه فعلى الاول يحرم على المحرم ايضا ما صاده الحلال وان لم يكن له فيه مدخل والجمهور على حله لقوله عليه السلام لحم الصيد حلال لكم ما لم تصطادوه او يصد لكم ما دمتم حرما اي محرمين وقرئ بكسر الدال من دام يدام واتقوا الله الذي اليه تحشرون جعل الله الكعبة صيرها وانما سمي البيت الكعبة لتكعبه البيت الحرام عطف بيان على جهة المدح او المفعول الثاني قياما للناس انتعاشا لهم اي سبب انتعاشهم في امر معاشهم ومعادهم يلوذ به الخائف ويأمن فيه الضعيف ويربح فيه التجار ويتوجه اليه الحجاج والعمار او ما يقوم به امر دينهم ودنياهم وقرأ ابن عامر قيما على انه مصدر على فعل كالشبع اعل عينه كما اعل في فعله ونصبه على المصدر او الحال والشهر الحرام والهدي والقلائد سبق تفسيرها والمراد بالشهر الشهر الذي يؤدى فيه الحج وهو ذو الحجة لانه المناسب لقرنائه وقيل الجنس ذلك اشارة الى الجعل او الى ما ذكر من الامر بحفظ حرمة الاحرام وغيره لتعلموا ان الله يعلم ما في السموات وما في الارض فان شرع الاحكام لدفع المضار قبل وقوعها وجلب المنافع المترتبة عليها دليل حكمة الشارع وكمال علمه وان الله بكل شيء عليم تعميم بعد تخصيص ومبالغة بعد اطلاق اعلموا ان الله شديد العقاب وان الله غفور رحيم وعيد ووعد لمن هتك محارمه ولمن حافظ عليها او لمن اصر عليه ولمن انقلع عنه ما على الرسول الا البلاغ تشديد في ايجاب القيام بما امر اي الرسول اتى بما امر به من التبليغ ولم يبق لكم عذر في التفريط والله يعلم ما تبدون وما تكتمون من تصديق وتكذيب وفعل وعزيمة قل لا يستوي الخبيث والطيب حكم عام في نفي المساواة عند الله تعالى بين الردي من الاشخاص والاعمال والاموال وجيدها رغب به في صالح العمل وحلال المال ولو اعجبك كثرة الخبيث فان العبرة بالجودة والرداءة دون القلة والكثرة فان المحمود

على الابتداء لا يضركم من ضل إذا اهتديتم لا يضركم الضلال إذا كنتم مهتدين ومن الاهتداء أن ينكر
المنكر حسب طاقته كما قال عليه السلام من رأى منكم منكرا واستطاع أن يغيره بيده فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع
فبقلبه والآية نزلت لما كان المؤمنون يتحسرون على الكفرة ويتمنون إيمانهم وقيل كان الرجل إذا أسلم قالوا
له سفهت آباءك فنزلت ولا يضركم يحتمل الرفع على أنه مستأنفة ويؤيده أن قرئ لا يضيركم والجزم على الجواب والنهي
لكنه ضمت الراء اتباعا للضمة الضاد المنقولة إليها من الراء المدغمة وتنصره قراءة من قرأ لا يضركم بالفتح ولا يضركم
بكسر الضاد وضمها من ضاره يضيره ويضوره إلى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم تعملون وعد ووعيد للفريقين
وتنبيه على أن أحدا لا يؤاخذ بذنب غيره يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم أي فيما أمرتم شهادة بينكم والمراد
بالشهادة الإشهاد وإضافتها إلى الظرف على الاتساع وقرئ شهادةٌ بالنصب والتنوين على ليقم إذا حضر أحدكم الموت
إذا شارفه وظهرت أماراته وهو ظرف للشهادة حين الوصية بدل منه وفي إبداله تنبيه على أن الوصية مما ينبغي أن
لا يتهاون فيه أو ظرف حضر اثنان فاعل شهادة ويجوز أن يكون خبرها على حذف المضاف ذوا عدل منكم أي
من أقاربكم أو من المسلمين وهما صفتان لاثنان أو آخران من غيركم عطف على اثنان ومن فسر الغير بأهل الذمة
جعله منسوخا فإن شهادته على المسلم لا تسمع إجماعا إن أنتم ضربتم في الأرض أي سافرتم فيها فأصابتكم مصيبة
الموت أي قاربتم الأجل تحبسونهما تقفونهما وتصبرونهما صفة لآخران والشرط بجوابه المحذوف المدلول
عليه بقوله أو آخران من غيركم اعتراض فائدته الدلالة على أنه ينبغي أن يشهد اثنان منكم فإن تعذر كما في السفر فمن
غيركم أو استئناف كأنه قيل كيف نعمل إن ارتبنا بالشاهدين فقال تحبسونهما من بعد الصلاة صلاة العصر لأنه وقت
اجتماع الناس وتصادم ملائكة الليل والنهار وقيل أي صلاة فيقسمان بالله إن ارتبتم أي إن ارتاب الوارث منكم
لا نشتري به ثمنا مقسم عليه وإن ارتبتم اعتراض يفيد اختصاص القسم بحال الارتياب والمعنى لا نستبدل بالقسم أو بالله
عرضا من الدنيا أي لا نحلف بالله كاذبا لطمع ولو كان ذا قربى ولو كان المقسم له قريبا منا وجوابه أيضا محذوف
ولا نكتم شهادة الله أي الشهادة التي أمرنا الله بإقامتها وعن الشعبي أنه وقف على شهادة ثم ابتدأ آلله بالمد على حذف
حرف القسم وتعويض حرف الاستفهام منه وروي عنه بغير مد كقولهم الله لأفعلن إنا إذا لمن الآثمين أي إن كتمنا وقرئ
لملآثمين بحذف الهمزة وإلقاء حركتها على اللام وإدغام النون فيها فإن عثر فإن اطلع على أنهما استحقا إثما
أي فعلا ما أوجب إثما كتحريف فآخران فشاهدان آخران يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم من الذين
جني عليهم وهم الورثة وقرأ حفص استحق على البناء للفاعل وهو الأوليان الأحقان بالشهادة لقرابتهما ومعرفتهما
وهو خبر محذوف أي هما الأوليان أو خبر آخران أو مبتدأ خبره آخران أو بدل منهما أو من الضمير في يقومان وقرأ حمزة
ويعقوب وأبو بكر عن عاصم الأولين على أنه صفة للذين أو بدل منه أي من الأولين الذين استحق عليهم وقرئ الأولين على
التثنية وانتصابه على المدح والأولان وإعرابه إعراب الأوليان فيقسمان بالله لشهادتنا أحق من شهادتهما أصدق
منها وأولى بأن تقبل وما اعتدينا وما تجاوزنا فيها الحق إنا إذا لمن الظالمين الواضعين الباطل موضع الحق أو الظالمين

طرف تعرفوا حاله منه ويقوى ايدتك بروح القدس بجبريل او بالكلام الذى يحيى به الدين او النفس حيوة ابدية
وتطهر من الآثام ويؤيده قوله تكلم الناس في المهد وكهلا اى كائنا في المهد وكهلا والمعنى تكلمهم في الطفولة
والكهولة على سواء والمعنى الحاق حاله في الطفولية بحال الكهولية في كمال العقل والتكلم وبه استدل على انه
سينزل فانه رفع قبل ان اكتهل واذ علمتك الكتاب والحكمة والتورية والانجيل واذ تخلق من الطين كهيئة
الطير باذنى فتنفخ فيها فتكون طيرا باذنى وتبرئ الاكمه والابرص باذنى واذ تخرج الموتى باذنى سبق تفسيره
في سورة آل عمران وقرأ نافع ويعقوب طائرا ويحتمل الافراد والجمع كالباقر واذ كففت بنى اسرائيل عنك يعنى اليهود
حين هموا بقتله اذ جئتهم بالبينات ظرف لكففت فقال الذين كفروا منهم ان هذا الا سحر مبين اى
ما هذا الذى جئت به الا سحر وقرأ حمزة والكسائى الا ساحر فالاشارة الى عيسى عليه السلام واذ اوحيت
الى الحواريين اى امرتهم على السنة رسلى ان آمنوا بى وبرسولى يجوز ان تكون ان مصدرية وان تكون مفسرة
قالوا آمنا واشهد باننا مسلمون مخلصون اذ قال الحواريون يا عيسى ابن مريم منصوب باذكر او ظرف لقالوا
تنبيها على ان ادعاءهم الاخلاص مع قولهم هل يستطيع ربك ان ينزل علينا مائدة من السماء لم يكن بعد عن
تحقيق واستحكام معرفة وقيل هذه الاستطاعة على ما تقتضيه الحكمة والارادة لا على ما تقتضيه القدرة
وقيل المعنى هل يطيع ربك اى هل يجيبك واستطاع بمعنى اطاع كاستجاب واجاب وقرأ الكسائى هل تستطيع ربك اى سؤال
ربك والمعنى هل تسأله ذلك من غير صارف والمائدة الخوان اذا كان عليه الطعام من ماد الماء يميد اذا تحرك او من
ماده اذا اعطاه كانها تميد من تقدم اليه ونظيرها قولهم شجرة مطعمة قال اتقوا الله من امثال هذا السؤال ان
كنتم مؤمنين بكمال قدرته وصحة نبوتى او صدقتم في ادعاء الايمان قالوا نريد ان نأكل منها تمهيد عذر وبيان
لما دعاهم الى السؤال وهو ان يتمتعوا بالاكل منها وتطمئن قلوبنا بانضمام علم المشاهدة الى علم الاستدلال بكمال
قدرته ونعلم ان قد صدقتنا في ادعاء النبوة او ان الله يجيب دعوتنا ونكون عليها من الشاهدين اذا استشهدتنا
او من الشاهدين للعين دون السامعين للخبر قال عيسى ابن مريم لما رأى ان لهم غرضا صحيحا
في ذلك او انهم لا يقلعون عنه واراد الزامهم الحجة بكمالها اللهم ربنا انزل علينا مائدة من السماء تكون
لنا عيدا اى يكون يوم نزولها عيدا نعظمه وقيل العيد السرور العائد ولذلك يسمى يوم العيد عيدا وقرئ تكن
جواب الامر لاولنا وآخرنا بدل من لنا باعادة العامل اى عيدا لمتقدمينا ومتأخرينا روى انها نزلت يوم الاحد
فلذلك اتخذه النصارى عيدا وقيل يأكل منه اولنا وآخرنا وقرئ لاولانا واخرانا بمعنى الامة والطائفة
وآية عطف على عيدا منك صفة لها اى آية كائنة منك دالة على كمال قدرتك وصحة نبوتى وارزقنا المائدة
والشكر عليها وانت خير الرازقين اى خير من يرزق لانه خالق الرزق ومعطيه بلا عوض قال الله انى منزلها
عليكم اجابة الى سؤالكم فمن يكفر بعد منكم فانى اعذبه عذابا اى تعذيبا ويجوز ان يجعل مفعولا به على السعة لا اعذبه
الضمير للمصدر او للعذاب ان اريد به ما يعذب به على حذف حرف الجر احدا من العالمين اى من عالمى

من شرط البدل جواز طرح المبدل منه مطلقا ليلزم منه بقاء الموصول بلا راجع او خبر مضمر او مفعول له مثل هو او اعني ولا يجوز ابدال ان اعبدوا الله مما امرتني به فان المصدر لا يكون مفعول القول ولا ان يكون ان مفسرة لان الامر مسند الى الله تعالى وهو لا يقول اعبدوا الله ربي وربكم والقول لا يفسر بل الجملة تحكى بعده الا ان يأول القول بالامر فكان قيل ما امرتهم الا بما امرتني به ان اعبدوا الله وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم اي رقيبا عليهم امنعهم ان يقولوا ذلك ويعتقدوه او مشاهدا لاحوالهم من كفر وايمان فلما توفيتني بالرفع الى السماء لقوله تعالى اني متوفيك ورافعك والتوفي اخذ الشيء وافيا والموت نوع منه قال الله تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها كنت انت الرقيب عليهم المراقب لاحوالهم فتمنع من اردت عصمته من القول به بالارشاد الى الدلائل والتنبيه عليها بارسال الرسل وانزال الآيات وانت على كل شيء شهيد مطلع عليه مراقب له ان تعذبهم فانهم عبادك اي ان تعذبهم فانك تعذب عبادك ولا اعتراض على المالك المطلق فيما يفعل بملكه وفيه تنبيه على انهم استحقوا ذلك لانهم عبادك وقد عبدوا غيرك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم فلا عجز ولا استقباح فانك القادر القوي على الثواب والعقاب الذي لا يثيب ولا يعاقب الا عن حكمة وصواب فان المغفرة مستحسنة لكل مجرم فان عذبت فعدل وان غفرت ففضل وعدم غفران الشرك مقتضى الوعيد فلا امتناع فيه لذاته ليمتنع الترديد والتعليق بان قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم وقرأ نافع يوم بالنصب على انه ظرف لقال وخبر هذا محذوف او ظرف مستقر وقع خبرا والمعنى هذا الذي مر من كلام عيسى عليه السلام واقع يوم ينفع وقيل انه خبر ولكن بني على الفتح لاضافته الى الفعل وليس بصحيح لان المضاف اليه معرب والمراد بالصدق الصدق في الدنيا فان النافع ما كان حال التكليف لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك الفوز العظيم بيان للنفع لله ملك السموات والارض وما فيهن وهو على كل شيء قدير تنبيه على كذب النصارى وفساد دعواهم في المسيح وامه وانما لم يقل ومن فيهن تغليبا للعقلاء وقال وما فيهن اتباعا على ان اولي العقل في غاية القصور عن معنى الربوبية والنزول عن رتبة العبودية واهانة لهم وتنبيها على المجانسة المنافية للالوهية ولان ما يطلق متناولا للاجناس كلها فهو اولى بارادة العموم عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المائدة اعطي من الاجر عشر حسنات ومحي عنه عشر سيئات ورفع له عشر درجات بعدد كل يهودي ونصراني يتنفس في الدنيا

سورة الانعام مكية غير ست آيات او ثلاث من قوله تعالى قل تعالوا وهي مائة وخمس وستون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي خلق السموات والارض اخبر بانه تعالى حقيق بالحمد ونبه على انه المستحق له على هذه النعم الجسام حمد او لم يحمد ليكون حجة على الذين هم بربهم يعدلون وجمع السموات دون الارض وهي مثلهن لان طبقاتها مختلفة بالذات متفاوتة الآثار والحركات وقدمها لشرفها وعلو مكانها وتقدم وجودها وجعل الظلمات والنور انشأهما والفرق بين خلق وجعل الذي له مفعول واحد

فكيف لا يعرضون عن غيره ولذلك رتب عليه بالفاء فسوف يأتيهم انباء ما كانوا به يستهزؤن اي سيظهر لهم ما
كانوا به يستهزؤن عند نزول العذاب بهم في الدنيا والاخرة او عند ظهور الاسلام وارتفاع امره الم يروا كم
اهلكنا من قبلهم من قرن اي من اهل زمان والقرن مدة اغلب اعمار الناس وهي سبعون سنة وقيل ثلثون وقيل
اهل عصر فيه نبي او فائق في العلم قلت المدة او كثرت واشتقاقه من قرنت مكناهم في الارض جعلنا لهم فيها مكانا
وقررناهم فيها او اعطيناهم من القوى والآلات ما تمكنوا بها من انواع التصرف فيها ما لم نمكن لكم ما لم نجعل لكم
من السعة وطول المقام يا اهل مكة او ما لم نعطكم من القوة والسعة في المال والاستظهار بالعدد والاسباب وارسلنا السماء
عليهم اي المطر او السحاب او المظلة فان مبدأ المطر منها مدرارا مغزارا وجعلنا الانهار تجري من تحتهم فعاشوا
في الخصب والريف بين الانهار والثمار فاهلكناهم بذنوبهم اي لم يغن ذلك عنهم شيئا وانشأنا واحدثنا من
بعدهم قرنا آخرين بدلا منهم والمعنى انه تعالى كما قدر ان يهلك من قبلكم كعاد وثمود وينشئ مكانهم آخرين
يعمر بهم بلاده يقدر ان يفعل ذلك بكم ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس مكتوبا في ورق فلمسوه بايديهم
فمسوه وتخصيص اللمس لان التزوير لا يقع فيه فلا يمكنهم ان يقولوا انما سكرت ابصارنا ولانه يتقدمه الابصار
لا مانع وتقييده بالايدي لدفع التجوز فانه قد يتجوز به للفحص لقوله وانا لمسنا السماء لقال الذين كفروا ان هذا
الا سحر مبين تعنتا وعنادا وقالوا لولا انزل عليه ملك هلا انزل معه ملك يكلمنا انه نبي كقوله لولا انزل
اليه ملك فيكون معه نذيرا ولو انزلنا ملكا لقضي الامر جواب لقولهم وبيان لما هو المانع مما اقترحوه والخلل فيه
والمعنى ان الملك لو انزل بحيث عاينوه كما اقترحوا لحق اهلاكهم فان سنة الله تعالى جرت بذلك فيمن قبلهم
ثم لا ينظرون بعد نزوله طرفة عين ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون جواب
ثان ان جعل الهاء للمطلوب وان جعل للرسول فهو جواب اقتراح ثان فانهم تارة يقولون لولا انزل عليه ملك وتارة
يقولون لو شاء ربنا لانزل ملائكة والمعنى ولو جعلنا قرينا لك ملكا يعاينونه او الرسول ملكا لمثلناه رجلا كما
مثل جبريل في صورة دحية فان القوة البشرية لا تقوى على رؤية الملك في صورته وانما راهم كذلك الافراد
من الانبياء بقوتهم القدسية وللبسنا جواب محذوف ولو جعلناه رجلا للبسنا اي لخلطنا عليهم ما يخلطون على انفسهم
فيقولون ما هذا الا بشر مثلكم وقرئ ولبسنا بلام واحدة وللبّسنا بالتشديد للمبالغة ولقد استهزئ برسل من قبلك تسلية
لرسول الله صلى الله عليه وسلم على ما يرى من قومه فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزؤن فاحاط بهم
الذي كانوا يستهزؤن به حيث اهلكوا لاجله او فنزل بهم وبال استهزائهم قل سيروا في الارض ثم انظروا كيف
كان عاقبة المكذبين كيف اهلكهم الله تعالى بعذاب الاستيصال كي تعتبروا والفرق بينه وبين قوله قل سيروا
في الارض فانظروا ان السير ثمة لاجل النظر ولا كذلك ههنا ولذلك قيل معناه اباحة السير للتجارة وغيرها وايجاب
النظر في آثار الهالكين قل لمن ما في السموات والارض خلقا وملكا وهو سؤال تبكيت قل لله تقرير لهم وتنبيه على انه المتعين للجواب
بحيث لا يمكنهم ان يذكروا غيره كتب على نفسه الرحمة التزمها تفضلا واحسانا والمراد بالرحمة ما يعم الدارين ومن

لذكر الإنذار عن ذكر البشارة ومن بلغ عطف على ضمير المخاطبين أي لأنذركم به يا أهل مكة وسائر من بلغه من
الأسود والأحمر أو من الثقلين أو لأنذركم به أيها الموجودون ومن بلغه إلى يوم القيامة وهو دليل على أن أحكام القرآن
تعم الموجودين وقت نزوله ومن بعدهم وأنه لا يؤاخذ بها من لم تبلغه أئنكم لتشهدون أن مع الله آلهة أخرى تقرير لهم
مع إنكار واستبعاد قل لا أشهد بما تشهدون قل إنما هو إله واحد أي بل أشهد أن لا إله إلا هو وإنني بريء مما تشركون يعني
الأصنام الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه يعرفون رسول الله صلى الله عليه وسلم بحليته المذكورة في التوراة
والإنجيل كما يعرفون أبناءهم بحلاهم الذين خسروا أنفسهم من أهل الكتاب والمشركين فهم لا يؤمنون لتضييعهم
ما به يكتسب الإيمان ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا كقولهم الملائكة بنات الله تعالى وهؤلاء شفعاؤنا عند
الله أو كذب بآياته كأن كذبوا القرآن والمعجزات وسموها سحرا وإنما ذكروا أو وهم قد جمعوا بين الأمرين تنبيها على
أن كلا منهما وحده بالغ غاية الإفراط في الظلم على النفس إنه الضمير للشأن لا يفلح الظالمون فضلا عمن لا أحد أظلم منه
ويوم نحشرهم جميعا منصوب بمضمر تهويلا للأمر ثم نقول للذين أشركوا أين شركاؤكم أي آلهتكم التي جعلتموها
شركاء لله تعالى وقرأ يعقوب يحشرهم ويقول بالياء الذين كنتم تزعمون أي تزعمونهم شركاء فحذف المفعولان
والمراد من الاستفهام التوبيخ ولعله يحال بينهم وبين آلهتهم حينئذ ليفقدوها في الساعة التي علقوا بها الرجاء فيها
ويحتمل أن يشاهدوهم ولكن لما لم ينفعوهم فكأنهم غيب عنهم ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا أي كفرهم والمراد عاقبته
وقيل معذرتهم التي يتوهمون أن يتخلصوا بها من فتنت الذهب إذا خلصته وقيل جوابهم وإنما سماه فتنة لأنه كذب أو
لأنهم قصدوا به الخلاص وقرأ ابن كثير وابن عامر وحفص لم يكن بالتاء وفتنتهم بالرفع على أنها الاسم ونافع وأبو عمرو
وأبو بكر بالتاء والنصب على أن الاسم أن قالوا والتأنيث للخبر كقولهم من كانت أمك والباقون بالياء والنصب والله
ربنا ما كنا مشركين يكذبون ويحلفون عليه مع علمهم بأنه لا ينفع من فرط الحيرة والدهشة كما يقولون ربنا
أخرجنا منها وقد أيقنوا بالخلود وقيل معناه ما كنا مشركين عند أنفسنا وهو لا يوافق قوله انظر كيف كذبوا
على أنفسهم أي بنفي الشرك عنها وحمله على كذبهم في الدنيا تعسف يخل بالنظم ونظير ذلك قوله يوم يبعثهم الله جميعا
فيحلفون له كما يحلفون لكم وقرأ حمزة والكسائي ربنا بالنصب على النداء أو المدح وضل عنهم ما كانوا يفترون
من الشركاء ومنهم من يستمع إليك حين تتلو القرآن والمراد أبو سفيان والوليد والنضر وعتبة وشيبة وأبو جهل وأضرابهم
اجتمعوا فسمعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ فقالوا للنضر ما يقول فقال والذي جعلها بيته ما أدري ما يقول إلا
أنه يحرك لسانه ويقول أساطير الأولين مثل ما حدثتكم عن القرون الماضية وجعلنا على قلوبهم أكنة أغطية جمع كنان وهو ما يستر
أن يفقهوه كراهة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا صمما وثقلا يمنع من استماعه وقد مر تحقيق ذلك في أول البقرة وإن يروا كل
آية لا يؤمنوا بها لفرط عنادهم واستحكام التقليد فيهم حتى إذا جاءوك يجادلونك أي بلغ تكذيبهم الآيات إلى
أنهم جاؤوك يجادلونك وحتى هي التي تقع بعدها الجمل لا عمل لها والجملة إذا وجوابه وهو يقول الذين كفروا
إن هذا إلا أساطير الأولين فإنه جعل أصدق الحديث خرافات الأولين غاية التكذيب ويجادلونك حال

لا يكذبونك في الحقيقة وقرأ نافع والكسائي لا يكذبونك من اكذبه اذا وجده كاذبا او نسبه الى الكذب ولكن الظالمين
بآيات الله يجحدون ولكنهم يجحدون بآيات الله تعالى ويكذبونها فوضع الظالمين موضع الضمير للدلالة على انهم
ظلموا بجحودهم او جحدوا لتمرنهم على الظلم والباء لتضمين الجحود معنى التكذيب روي ان ابا جهل كان يقول ما نكذبك
وانك عندنا لصادق وانما نكذب ما جئتنا به فنزلت ولقد كذبت رسل من قبلك تسلية لرسول الله صلى الله
عليه وسلم وفيه دليل على ان قوله لا يكذبونك ليس بنفي تكذيبه مطلقا فصبروا على ما كذبوا واوذوا على تكذيبهم
وايذائهم فتأس بهم واصبر حتى أتاهم نصرنا فيه ايماء بوعد النصر للصابرين ولا مبدل لكلمات الله لمواعيده
من قوله ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين الآيات ولقد جاءك من نبأ المرسلين اي من قصصهم وما كابدوا
من قومهم وان كان كبر عليك عظم وشق اعراضهم عنك وعن الايمان بما جئت به فان استطعت ان تبتغي
نفقا في الارض او سلما في السماء فتأتيهم بآية منفذا تنفذ فيه الى الارض فتطلع لهم آية او مصعدا تصعد به الى السماء
فتنزل منها آية وفي الارض صفة لنفقا وفي السماء صفة لسلما ويجوز ان يكونا متعلقين بتبتغي او حالين من المستكن
وجواب الشرط الثاني محذوف تقديره فافعل والجملة جواب الاول والمقصود بيان حرصه البالغ على اسلام قومه وانه لو
ان يأتيهم بآية من تحت الارض او من فوق السماء لأتى بها رجاء ايمانهم ولو شاء الله لجمعهم على الهدى اي ولو شاء
الله تعالى جمعهم على الهدى لوفقهم للايمان حتى يؤمنوا ولكن لم يتعلق به مشيئته فلا تتهالك عليه والمعتزلة اولوه
بانه لو شاء لجمعهم على الهدى بان يأتيهم بآية ملجئة ولكن لم يفعل لخروجه عن الحكمة فلا تكونن من الجاهلين
بالحرص على ما لا يكون والجزع في مواطن الصبر فان ذلك من دأب الجهلة انما يستجيب الذين يسمعون انما يستجيب الذين
يسمعون بفهم وتأمل كقوله تعالى او القى السمع وهو شهيد وهؤلاء كالموتى الذين لا يسمعون والموتى يبعثهم الله فيعلمهم حين
لا ينفعهم الايمان ثم اليه يرجعون للجزاء وقالوا لولا نزل عليه آية من ربه آية مما اقترحوه او آية اخرى سوى ما انزل
من الآيات المتكاثرة لعدم اعتدادهم بها عنادا قل ان الله قادر على ان ينزل آية مما اقترحوه او آية تضطرهم
الى الايمان كنتق الجبل او آية ان جحدوها هلكوا ولكن اكثرهم لا يعلمون ان الله تعالى قادر على انزالها وان انزالها
يستجلب عليهم البلاء وان لهم فيما انزل مندوحة عن غيره وقرأ ابن كثير ينزل بالتخفيف والمعنى واحد وما من
دابة في الارض تدب على وجهها ولا طائر يطير بجناحيه في الهواء وصفه به قطعا لمجاز السرعة ونحوها وقرئ ولا طائر بالرفع
على المحل الا امم امثالكم محفوظة احوالها مقدرة ارزاقها وآجالها والمقصود من ذلك الدلالة على كمال
قدرته وشمول علمه وسعة تدبيره ليكون كالدليل على انه قادر على ان ينزل آية وجمع الامم حملا على
المعنى ما فرطنا في الكتاب من شيء يعني اللوح المحفوظ فانه مشتمل على ما يجري في العالم من جليل ودقيق لم يهمل فيه
امر حيوان ولا جماد او القرآن فانه قد دون فيه ما يحتاج اليه من امر الدين مفصلا او مجملا ومن مزيدة وشيء في موضع المصدر لا المفعول
به فان فرط لا يعدى بنفسه وقد عدي بفي الى الكتاب وقرئ ما فرطنا بالتخفيف ثم الى ربهم يحشرون يعني الامم كلها
فينصف بعضها من بعض كما روي انه يأخذ للجماء من القرناء وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما حشرها موتها والذين

الله بغتة من غير مقدمة او جهرة بتقدم امارة تؤذن بحلوله وقيل ليلا او نهارا وقرئ بغتة وجهرة هل
يهلك اي ما يهلك به هلاك سخط وتعذيب الا القوم الظالمون ولذلك صح الاستثناء المفرغ منه وقرئ
بفتح الياء وما نرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين مبشرين المؤمنين بالجنة ومنذرين الكافرين بالنار ولم نرسلهم ليقترح
عليهم ويتلهى بهم فمن آمن واصلح ما يجب اصلاحه على ما شرع لهم فلا خوف عليهم من العذاب ولا هم يحزنون بفوت
الثواب والذين كذبوا بآياتنا يمسهم العذاب جعل العذاب ماسا كانه الطالب للوصول اليهم واستغنى بتعريفه
عن التوصيف بما كانوا يفسقون بسبب خروجهم عن التصديق والطاعة قل لا اقول لكم عندي خزائن الله
مقدوراته او خزائن رزقه ولا اعلم الغيب ما لم يوح الي ولم ينصب عليه دليل وهو من جملة المقول ولا اقول لكم
اني ملك اي من جنس الملائكة او اقدر على ما يقدرون عليه ان اتبع الا ما يوحى الي تبرأ عن دعوى الالوهية
والملكية وادعى النبوة التي هي من كمالات البشر ردا لاستبعادهم دعواه وجزمهم على فساد مدعاه قل هل يستوي
الاعمى والبصير مثل للضال والمهتدي او الجاهل والعالم او مدعي المستحيل كالالوهية والملكية ومدعي المستقيم كالنبوة
افلا تتفكرون فتهتدوا او فتميزوا بين ادعاء الحق والباطل او فتعلموا ان اتباع الوحي مما لا محيص عنه وانذر به
الضمير لما يوحى الذين يخافون ان يحشروا الى ربهم هم المؤمنون المفرطون في العمل او المجوزون للحشر مؤمنا كان
او كافرا مقرا به او مترددا فيه فان الانذار ينجع فيهم دون الفارغين الجازمين باستحالته ليس لهم من دونه ولي
ولا شفيع في موضع الحال من يحشروا فان المخوف هو الحشر على هذه الحال لعلهم يتقون لكي يتقوا ولا تطرد الذين
يدعون ربهم بالغداة والعشي بعد ما امره بانذار غير المتقين ليتقوا امره باكرام المتقين وتقريبهم وان لا يطردهم
ترضية لقريش روي انهم قالوا لو طردت هؤلاء الاعبد يعنون فقراء المسلمين كعمار وصهيب وخباب وسلمان
وحادثناك فقال ما انا بطارد المؤمنين قالوا فاقمهم عنا اذا جئنا قال نعم روي ان عمر رضي الله تعالى عنه قال له لو فعلت حتى
ننظر الى ما يصيرون فدعا بالصحيفة وبعلي كرم الله تعالى وجهه ليكتب فنزلت والمراد بذكر الغداة والعشي الدوام وقيل صلاتا
الصبح والعصر وقرأ ابن عامر بالغدوة هنا وفي الكهف يريدون وجهه حال من يدعون اي يدعون ربهم مخلصين
فيه قيد الدعاء بالاخلاص تنبيها على انه ملاك الامر ورتب النهي عليه اشعارا بانه يقتضي اكرامهم وينافي
ابعادهم ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء اي ليس عليك حساب ايمانهم فلعل
ايمانهم عند الله تعالى اعظم من ايمان من تطردهم بسؤالهم طمعا في ايمانهم لو آمنوا وليس عليك اعتبار بواطنهم واخلاصهم
لما اتسموا بسيرة المتقين وان كان لهم باطن غير مرضي كما ذكره المشركون وطعنوا في دينهم فحسابهم عليهم لا يتعداهم
اليك كما ان حسابك عليك لا يتعداك اليهم وقيل ما عليك من حساب رزقهم اي من فقرهم وقيل الضمير للمشركين
والمعنى لا تؤاخذ بحسابهم ولا هم بحسابك حتى يهمك ايمانهم بحيث تطرد المؤمنين طمعا فيه فتطردهم فتبعدهم وهو جواب
النفي فتكون من الظالمين جواب النهي ويجوز عطفه على فتطردهم على وجه التسبب وفيه نظر وكذلك فتنا
بعضهم ببعض ومثل ذلك الفتن وهو اختلاف احوال الناس في امور الدنيا فتنا اي ابتلينا بعضهم ببعض

الحق ويدبره من قولهم قضى الدرع اذا صنعها فيما يقضي من تعجيل وتاخير واصل القضاء الفصل بتمام الامر واصل
الحكم المنع فكانه منع الباطل وقرأ ابن كثير ونافع وعاصم يقص من قص الاثر او قص الخبر وهو خير الفاصلين القاضين
قل لو ان عندي اي في قدرتي ومكنتي ما تستعجلون به من العذاب لقضي الامر بيني وبينكم لاهلكتكم عاجلا غضبا لربي وانقطع
ما بيني وبينكم والله اعلم بالظالمين في معنى الاستدراك كانه قال ولكن الامر الى الله تعالى وهو اعلم بمن ينبغي ان يؤخذ وبمن
ينبغي ان يمهل منهم وعنده مفاتح الغيب خزائنه جمع مفتح بفتح الميم وهو المخزن او ما يتوصل به الى المغيبات مستعار
من المفتح الذي هو جمع مفتح بالكسر وهو المفتاح ويؤيده انه قرئ مفاتيح والمعنى انه تعالى المتوصل الى المغيبات المحيط علمه بها لا يعلمها
الا هو فيعلم اوقاتها وما في تعجيلها وتاخيرها من الحكم فيظهرها على ما اقتضته حكمته تعالى وتعلقت به مشيئته وفيه
دليل على انه تعالى يعلم الاشياء قبل وقوعها ويعلم ما في البر والبحر عطف للاخبار عن تعلق علمه بالمشاهدات على الاخبار
عن اختصاص العلم بالغيبيات به وما تسقط من ورقة الا يعلمها مبالغة في احاطة علمه تعالى بالجزئيات ولا حبة
في ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس معطوفات على ورقة وقوله الا في كتاب مبين بدل من الاستثناء الاول بدل
الكل على ان الكتاب المبين علم الله تعالى او بدل الاشتمال ان اريد به اللوح وقرئت بالرفع للعطف على محل من ورقة
او الابتداء والخبر في كتاب مبين وهو الذي يتوفاكم بالليل ينيمكم ويراقبكم فيه استعير التوفي من الموت للنوم
لما بينهما من المشاركة في زوال الاحساس والتمييز فان اصله قبض الشيء بتمامه ويعلم ما جرحتم بالنهار كسبتم فيه
خص الليل بالنوم والنهار بالكسب جريا على المعتاد ثم يبعثكم يوقظكم اطلق البعث ترشيحا للتوفي فيه في النهار ليقضى اجل
مسمى ليبلغ المتيقظ آخر اجله المسمى له في الدنيا ثم اليه مرجعكم بالموت ثم ينبئكم بما كنتم تعملون بالمجازاة عليه وقيل
الآية خطاب للكفرة والمعنى انكم ملقون كالجيف بالليل وكاسبون للآثام بالنهار وانه تعالى مطلع على اعمالكم يبعثكم
من القبور في شأن ذلك الذي قطعتم به اعماركم من النوم بالليل وكسب الآثام بالنهار ليقضى الاجل الذي سماه وضربه لبعث
الموتى وجزائهم على اعمالهم ثم اليه مرجعكم بالحساب ثم ينبئكم بما كنتم تعملون بالجزاء وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم
حفظة ملائكة تحفظ اعمالكم وهم الكرام الكاتبون والحكمة فيه ان المكلف اذا علم ان اعماله تكتب عليه وتعرض على
الاشهاد كان ازجر عن المعاصي وان العبد اذا وثق بلطف سيده واعتمد على عفوه وستره لم يحتشم منه احتشامه من
خدمه المطلعين عليه حتى اذا جاء احدكم الموت توفته رسلنا ملك الموت واعوانه وقرأ حمزة توفاه بالف ممالة
وهم لا يفرطون بالتواني والتاخير وقرئ بالتخفيف والمعنى لا يجاوزون ما حد لهم بزيادة او نقصان ثم ردوا
الى الله الى حكمه وجزائه مولاهم الذي يتولى امرهم الحق العدل الذي لا يحكم الا بالحق وقرئ بالنصب على المدح الا له الحكم
يومئذ لا حكم لغيره فيه وهو اسرع الحاسبين يحاسب الخلائق في مقدار حلب شاة لا يشغله حساب عن حساب
قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر من شدائدهما استعيرت الظلمة للشدة لمشاركتهما في الهول وابطال
الابصار فقيل لليوم الشديد يوم مظلم ويوم ذو كواكب او من الخسف في البر والغرق في البحر وقرأ يعقوب ينجيكم
بالتخفيف والمعنى واحد تدعونه تضرعا وخفية معلنين ومسرين او اعلانا واسرارا وقرأ ابو بكر هنا وفي الاعراف خفية

وكل ينصب على المصدر لا يؤخذ منها الفعل مسند الى منها لا الى ضميره بخلاف قوله ولا يوخذ منها عدل فانه
المفدى به اولئك الذين ابسلوا بما كسبوا اى سلموا الى العذاب بسبب اعمالهم القبيحة وعقائدهم الزائغة لهم شراب من حميم
وعذاب اليم بما كانوا يكفرون تاكيد وتفصيل لذلك والمعنى هم بين ماء مغلى يتجرجر فى بطونهم ونار تشتعل بابدانهم
بسبب كفرهم قل اندعوا انعبد من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا ما لا يقدر على نفعنا وضرنا ونرد على اعقابنا
ونرجع الى الشرك بعد اذ هدانا الله فانقذنا منه ورزقنا الاسلام كالذى استهوته الشياطين كالذى ذهبت به
مردة الجن فى المهامه استفعال من هوى يهوى هويا اذا ذهب وقرأ حمزة استهواه بالف ممالة ومحل الكاف النصب
على الحال من فاعل نرد اى مشبهين الذى استهوته او على المصدر اى ردا مثل رد الذى استهوته فى الارض
حيران متحيرا ضالا عن الطريق له اصحاب لهذا المستهوى رفقة يدعونه الى الهدى الى ان يهدوه الطريق المستقيم
او الى الطريق المستقيم وسماه هدى تسمية للمفعول بالمصدر ائتنا يقولون له ائتنا قل ان هدى الله
الذى هو الاسلام هو الهدى وحده وما عداه ضلال وامرنا لنسلم لرب العالمين من جملة المقول عطف على
ان هدى الله واللام لتعليل الامر اى امرنا بذلك لنسلم وقيل هى بمعنى الباء وقيل هى زائدة وان اقيموا الصلوة
واتقوه عطف على لنسلم اى للاسلام ولاقامة الصلوة او على موقعه كانه قيل وامرنا ان نسلم وان اقيموا روى ان
عبد الرحمن بن ابى بكر دعا اباه الى عبادة الاوثان فنزلت وعلى هذا كان امر الرسول بهذا القول اجابة عن الصديق رضى الله
عنه تعظيما لشانه واظهارا للاتحاد الذى كان بينهما وهو الذى اليه تحشرون يوم القيمة وهو الذى خلق السموات
والارض بالحق قائما بالحق والحكمة ويوم يقول كن فيكون قوله الحق جملة اسمية قدم فيها الخبر اى قوله
الحق يوم يقول كقولك القتال يوم الجمعة والمعنى انه الخالق للسموات والارضين وقوله الحق نافذ فى
الكائنات وقيل يوم منصوب بالعطف على السموات او الهاء فى واتقوه او بمحذوف دل عليه بالحق وقوله الحق
مبتدأ وخبر او فاعل يكون على معنى وحين يقول لقوله الحق اى لقضائه كن فيكون والمراد به حين يكون الاشياء
ويحدثها او حين يقوم القيمة فيكون التكوين حشر الاموات واحياءها وله الملك يوم ينفخ فى الصور كقوله لمن الملك
اليوم لله الواحد القهار عالم الغيب والشهادة اى هو عالم الغيب وهو الحكيم الخبير كالفذلكة للآية واذ قال ابرهيم
لابيه آزر عطف بيان لابيه وفى كتب التواريخ ان اسمه تارخ فقيل هما علمان له كاسرائيل ويعقوب وقيل
العلم تارخ وآزر وصف معناه الشيخ او المعوج ولعل منع صرفه لانه اعجمى حمل على موازنه او نعت مشتق من
الازر او الوزر والاقرب انه علم اعجمى على فاعل كعابر وشالخ وقيل اسم صنم يعبده فلقب به للزوم عبادته او
اطلق عليه بحذف المضاف وقيل المراد به الصنم ونصبه بفعل مضمر يفسره ما بعده اى اتعبد آزر ثم قال اتتخذ اصناما
آلهة تفسيرا وتقريرا ويدل عليه انه قرئ أأزرا تتخذ اصناما بفتح همزة آزر وكسرها وهو اسم صنم وقرأ يعقوب بالضم
على النداء وهو يدل على انه علم انى اراك وقومك فى ضلال عن الحق مبين ظاهر الضلالة وكذلك نرى ابرهيم
ومثل هذا التبصير نبصره وهو حكاية حال ماضية وقرئ ترى بالتاء ورفع الملكوت ومعناه تبصره دلائل الربوبية

على قومه متعلق بحجتنا ان جعل خبر تلك وبمحذوف ان جعل بدله اى آتيناها حجة على قومه نرفع درجات من
نشاء في العلم والحكمة وقرأه الكوفيون ويعقوب بالتنوين ان ربك حكيم في رفعه وخفضه عليم بحال من يرفعه واستعداده
له ووهبنا له اسحق ويعقوب كلا هدينا اى كلا منهما ونوحا هدينا من قبل من قبل ابراهيم عليه وعلى نبينا الصلوة
والسلام عد هداه نعمة على ابراهيم عليه السلام من حيث انه كان اباه وشرف الوالد يتعدى الى الولد ومن ذريته الضمير
لابراهيم اذ الكلام فيه وقيل لنوح لانه اقرب ولان يونس ولوطا عليهما وعلى نبينا السلام ليسا من
ذرية ابراهيم عليه السلام فلو كان لابراهيم عليه السلام لاختص البيان بالمعدودين في تلك الاية والتى بعدها
والمذكورون في الاية الثالثة عطف على نوحا داود وسليمان وايوب ايوب بن اموص من اسباط عيص بن اسحق
ويوسف وموسى وهرون وكذلك نجزي المحسنين اى نجزي المحسنين جزاء مثل ما جزينا ابراهيم برفع درجاته
وكثرة اولاده والنبوة فيهم وزكريا ويحيى وعيسى هو ابن مريم وفي ذكره دليل على ان الذرية تتناول اولاد
والياس قيل هو ادريس جد نوح فيكون البيان مخصوصا بمن في الاية الاولى وقيل هو من اسباط هرون اخي موسى عليهما
وعلى نبينا الصلوة والسلام كل من الصالحين الكاملين في الصلاح وهو الاتيان بما ينبغي والتحرز عما لا ينبغي واسمعيل واليسع
هو اليسع بن اخطوب عليه السلام وقرأ حمزة والكسائي والليسع وعلى القراءتين علم اعجمي ادخل عليه اللام كما ادخل على اليزيد
في قوله. رأيت الوليد بن اليزيد مباركا ✽ شديدا باعباء الخلافة كاهله ✽ ويونس هو يونس بن متى ولوطا هو ابن
هاران ابن اخي ابراهيم عليهما السلام وكلا فضلنا على العالمين بالنبوة وفيه دليل فضلهم على من عداهم من الخلق
ومن آبائهم وذرياتهم واخوانهم عطف على كلا او نوحا اى فضلنا كلا منهم او هدينا هؤلاء وبعض آبائهم وذرياتهم
واخوانهم فان منهم من لم يكن نبيا ولا مهديا واجتبيناهم عطف على فضلنا او هدينا وهديناهم الى صراط مستقيم
تكرير لبيان ما هدوا اليه ذلك هدى الله اشارة الى ما دانوا به يهدي به من يشاء من عباده دليل على انه متفضل بالهداية
ولو اشركوا اى ولو اشرك هؤلاء الانبياء مع فضلهم وعلو شانهم لحبط عنهم ما كانوا يعملون لكانوا كغيرهم في حبوط اعمالهم
بسقوط ثوابها اولئك الذين آتيناهم الكتاب يريد به الجنس والحكم الحكمة او فصل الامر على ما يقتضيه الحق
والرسالة فان يكفر بها اى بهذه الثلثة هؤلاء يعنى قريشا فقد وكلنا بها اى بمراعاتها قوما ليسوا بها بكافرين وهم
الانبياء المذكورون ومتابعوهم وقيل هم الانصار او اصحاب النبي وكل من آمن به صلى الله تعالى عليه وسلم او الفرس وقيل
الملائكة اولئك الذين هدى الله يريد الانبياء المتقدم ذكرهم فبهداهم اقتده فاختص طريقهم بالاقتداء والمراد
بهداهم ما توافقوا عليه من التوحيد واصول الدين دون الفروع المختلف فيها فانها ليست هدى مضافا الى الكل
ولا يمكن التأسي بهم جميعا فليس فيه دليل على انه صلى الله تعالى عليه وسلم متعبد بشرع من قبله والهاء في اقتده للوقف
ومن اثبتها في الدرج ساكنة كابن كثير ونافع وابي عمرو وعاصم اجرى الوصل مجرى الوقف وحذفها في الوصل خاصة حمزة
والكسائي واشبعها ابن عامر برواية ابن ذكوان على انها كناية المصدر وكسرها بغير اشباع برواية هشام قل لا اسألكم
عليه اى على التبليغ او القرآن اجرا جعلا من جهتكم كما لم يسأل من قبلي من النبيين وهذا من جملة

٢٦١

باسطوا ايديهم بقبض ارواحهم كالمتقاضى الملظ او بالعذاب اخرجوا انفسكم اى يقولون لهم اخرجوها الينا من اجسادكم

تغليظا وتعنيفا عليهم او اخرجوها من العذاب وخلصوها من ايدينا اليوم يريدون به وقت الاماتة او الوقت الممتد من الاماتة الى ما لا

نهاية له تجزون عذاب الهون اى الهوان يريد العذاب المتضمن لشدة واهانة واضافته الى الهون لعراقته وتمكنه فيه بما كنتم

تقولون على الله غير الحق كاتخاذ الولد والشريك له ودعوى النبوة والوحى كاذبا وكنتم عن آياته تستكبرون

فلا تتاملون فيها ولا تؤمنون ولقد جئتمونا للحساب والجزاء فرادى منفردين عن الاموال والاولاد وسائر ما آثرتموه من الدنيا

او عن الاعوان والاوثان التى زعمتم انها شفعاؤكم وهو جمع فرد والالف للتانيث ككسالى وقرئ فرادا كرخال وفراد

كثلاث وفردى كسكرى كما خلقناكم اول مرة بدل منه اى على الهيئة التى ولدتم عليها فى الانفراد او حال ثانية ان جوز

التعدد فيها او حال من الضمير فى فرادى اى مشبهين ابتداء خلقكم عراة حفاة غرلا بهما او صفة مصدر جئتمونا اى مجيئا كخلقنا

لكم وتركتم ما خولناكم ما تفضلنا به عليكم فى الدنيا فشغلتم به عن الآخرة وراء ظهوركم ما قدمتم منه شيئا ولم تحتملوا

نقيرا وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم انهم فيكم شركاء اى شركاء الله تعالى فى ربوبيتكم واستحقاق عبادتكم لقد

تقطع بينكم اى تقطع وصلكم وتشتت جمعكم والبين من الاضداد يستعمل للوصل والفصل وقيل هو الظرف اسند اليه الفعل

على الاتساع والمعنى وقع التقطع بينكم ويشهد له قراءة نافع والكسائى وحفص عن عاصم بالنصب على اضمار الفاعل لدلالة ما قبله

عليه او اقيم مقام موصوفه واصله لقد تقطع ما بينكم وقد قرئ به وضل عنكم ضاع وبطل ما كنتم تزعمون انها شفعاؤكم

او ان لا بعث ولا جزاء ان الله فالق الحب والنوى بالنبات والشجر وقيل المراد به الشقاق الذى فى الحنطة والنواة يخرج

الحى يريد به ما ينمو من الحيوان والنبات ليطابق ما قبله من الميت مما لا ينمو كالنطف والحب ومخرج الميت من الحى ومخرج ذلك

من الحيوان والنبات ذكره بلفظ الاسم حملا على فالق الحب والنوى فان قوله يخرج الحى واقع موقع البيان له ذلكم الله اى ذلكم

المحيى والمميت هو الذى يحق له العبادة فانى تؤفكون تصرفون عنه الى غيره فالق الاصباح شاق عمود الصبح عن ظلمة الليل

او عن بياض النهار او شاق ظلمة الاصباح وهو الغبش الذى يليه والاصباح فى الاصل مصدر اصبح اذا دخل فى الصبح

سمى به الصبح وقرئ بفتح الهمزة على الجمع وقرئ فالق بالنصب على المدح وجاعل الليل سكنا يسكن اليه التعب بالنهار لاستراحته

فيه من سكن اليه اذا اطمان اليه استئناسا به او يسكن فيه الخلق من قوله لتسكنوا فيه ونصبه بفعل دل عليه

جاعل لا به فانه فى معنى الماضى ويدل عليه قراءة الكوفيين وجعل الليل حملا على معنى المعطوف عليه فان فالق

بمعنى فلق ولذلك قرئ به او به على ان المراد منه جعل مستمر فى الازمنة المختلفة وعلى هذا يجوز ان يكون و

الشمس والقمر عطفا على محل الليل ويشهد له قراءتهما بالجر والاحسن نصبهما بجعل مقدرا وقرئ بالرفع على الابتداء

والخبر محذوف اى مجعولان حسبانا اى على ادوار مختلفة يحسب بها الاوقات ويكونان علمى الحسبان وهو مصدر حسب بالفتح

كما ان الحسبان بالكسر مصدر حسب وقيل جمع حساب كشهاب وشهبان ذلك اشارة الى جعلهما حسبانا اى ذلك

التسيير بالحساب المعلوم تقدير العزيز الذى قهرهما وسيرهما على الوجه المخصوص العليم بتدبيرهما والانفع من التداوير

الممكنة لهما وهو الذى جعل لكم النجوم لتهتدوا بها فى ظلمات البر والبحر فى ظلمات الليل فى البر

على الاضافة للتبيين وخلقهم حال بتقدير قد والمعنى وقد علموا ان الله خالقهم دون الجن وليس من يخلق كمن لا يخلق
وقرئ وخلقهم عطفا على الجن اى وما يخلقونه من الاصنام او على شركاء اى وجعلوا له اختلاقهم للافك حيث نسبوه
اليه وخرقوا له افتعلوا وافتروا له وقرأ نافع بتشديد الراء للتكثير وقرئ وحرّفوا اى وزوّروا بنين وبنات فقالت اليهود
عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله وقالت العرب الملائكة بنات الله بغير علم من غير ان يعلموا حقيقة ما قالوه
ويروا عليه دليلا وهو فى موضع الحال من الواو او المصدر اى خرقا بغير علم سبحانه وتعالى عما يصفون وهو ان له شريكا
او ولدا بديع السموات والارض من اضافة الصفة المشبهة الى فاعلها او الى الظرف كقولهم ثبت الغدر بمعنى انه عديم النظير
فيهما وقيل معناه المبدع وقد سبق الكلام فيه ورفعه على الخبر والمبتدأ محذوف او على الابتداء وخبره انى يكون
له ولد اى من اين او كيف يكون له ولد ولم تكن له صاحبة يكون منها الولد وقرئ بالياء للفصل او لان الاسم ضمير الله
او ضمير الشان وخلق كل شىء وهو بكل شىء عليم لا يخفى عليه خافية وانما لم يقل به لتطرق التخصيص الى الاول وفى الآية استدلال
على نفى الولد من وجوه الاول ان من مبدعاته السموات والارضين وهى مع انها من جنس ما يوصف بالولادة مبرأة عنها
لاستمرارها وطول مدتها فهو اولى بان يتعالى عنها او ان ولد الشىء نظيره ولا نظير له فلا ولد والثانى ان المعقول من
الولد ما يتولد من ذكر وانثى متجانسين والله تعالى منزه عن المجانسة والثالث ان الولد كفو الوالد ولا كفو له لوجهين
الاول ان كل ما عداه مخلوقه فلا يكافئه والثانى انه لذاته عالم بكل المعلومات ولا كذلك غيره بالاجماع ذلكم
اشارة الى الموصوف بما سبق من الصفات وهو مبتدأ الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شىء اخبار مترادفة ويجوز ان يكون البعض
بدلا او صفة والبعض خبرا فاعبدوه حكم مسبب عن مضمونها فان من استجمع هذه الصفات استحق العبادة وهو على كل
شىء وكيل اى وهو مع تلك الصفات متولى اموركم فكلوها اليه وتوسلوا بعبادته الى انجاح مآربكم ورقيب على اعمالكم فيجازيكم
عليها لا تدركه الابصار جمع بصر وهى حاسة النظر وقد يقال للعين من حيث انها محلها واستدل به المعتزلة على
امتناع الرؤية وهو ضعيف لانه ليس الادراك مطلق الرؤية ولا النفى فى الآية عاما فى الاوقات فلعله مخصوص ببعض الحالات
ولا فى الاشخاص فانه فى قوة قولنا لا كل بصر يدركه مع ان النفى لا يوجب الامتناع وهو يدرك الابصار يحيط بها
علمه وهو اللطيف الخبير فيدرك ما لا تدركه الابصار كالابصار ويجوز ان يكون من باب اللف اى لا تدركه الابصار
لانه اللطيف وهو يدرك الابصار لانه الخبير فيكون اللطيف مستعارا من مقابل الكثيف لما لا يدرك بالحاسة ولا
ينطبع فيها قد جاءكم بصائر من ربكم البصائر جمع بصيرة وهى للنفس كالبصر للبدن سميت بها الدلالة لانها تجلى لها الحق
وتبصرها فمن ابصر اى ابصر الحق وآمن به فلنفسه ابصر لان نفعه لها ومن عمى عن الحق وضل فعليها وباله وما انا عليكم بحفيظ
وانما انا منذر والله هو الحفيظ عليكم يحفظ اعمالكم ويجازيكم عليها هذا كلام ورد على لسان الرسول صلى الله عليه وسلم وكذلك
نصرف الآيات ومثل ذلك التصريف نصرف وهو اجراء المعنى الدائر فى المعانى المتعاقبة من الصرف وهو نقل الشىء من حال الى حال
وليقولوا درست اى وليقولوا درست صرفنا واللام لام العاقبة والدرس القراءة والتعلم وقرأ ابن كثير وابو عمرو دارست اى دارست اهل
الكتاب وذاكرتهم وابن عامر ويعقوب درست من الدروس اى قدمت هذه الآيات وعفت كقولهم اساطير الاولين

او مصدر بمعنى مقابلة كقبلاً وهو قراءة نافع وابن عامر ونصبه على الحال من كل وانما جاز ذلك لعمومه ما كانوا ليؤمنوا

لما سبق عليهم القضاء بالكفر الا ان يشاء الله استثناء من اعم الاحوال اى لا يؤمنون فى حال الا حال مشية الله تعالى ايمانهم

وقيل منقطع وهو حجة واضحة على المعتزلة ولكن اكثرهم يجهلون انهم لو اوتوا بكل آية لم يؤمنوا فيقسمون بالله جهد ايمانهم

على ما لا يشعرون ولذلك اسند الجهل الى اكثرهم مع ان مطلق الجهل يعمهم او ولكن اكثر المسلمين يجهلون انهم لا يؤمنون فيتمنون

نزول الآية طمعا فى ايمانهم وكذلك جعلنا لكل نبى عدواً اى كما جعلنا لك عدواً جعلنا لكل نبى سبقك عدواً وهو دليل

على ان عداوة الكفرة للانبياء بفعل الله تعالى وخلقه شياطين الانس والجن مردة الفريقين وهو بدل من عدوا

او اول مفعولى جعلنا وعدوا مفعوله الثانى ولكل متعلق به او حال منه يوحى بعضهم الى بعض يوسوس شياطين الجن

الى شياطين الانس او بعض الجن الى بعض وبعض الانس الى بعض زخرف القول الاباطيل المموهة من زخرفه اذا زينه غروراً

مفعول له او مصدر فى موقع الحال ولو شاء ربك ايمانهم ما فعلوه اى ما فعلوا ذلك يعنى معاداة الانبياء وايحاء

الزخارف ويجوز ان يكون الضمير للايحاء او الزخرف او الغرور وهو ايضا دليل على المعتزلة فذرهم وما يفترون وكفرهم

ولتصغى اليه افئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة عطف على غرورا ان جعل علة او متعلق بمحذوف اى وليكون

ذلك جعلنا لكل نبى عدوا والمعتزلة لما اضطروا فيه قالوا اللام لام العاقبة او لام القسم كسرت لما لم يؤكد الفعل

بالنون او لام الامر وضعفه اظهر والصغو الميل والضمير لما له الضمير فى فعلوه وليرضوه لانفسهم وليقترفوا وليكتسبوا

ما هم مقترفون من الآثام افغير الله ابتغى حكماً على ارادة القول اى قل لهم يا محمد افغير الله اطلب من يحكم بينى وبينكم

ويفصل المحق منا من المبطل وغير مفعول ابتغى وحكما حال منه ويحتمل عكسه وحكما ابلغ من حاكم ولذلك لا يوصف به غير

العادل وهو الذى انزل اليكم الكتاب القرآن المعجز مفصلاً مبينا فيه الحق والباطل بحيث ينفى التخليط والالتباس

وفيه تنبيه على ان القرآن باعجازه وتقريره مغن عن سائر الآيات والذين آتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل من ربك

بالحق تأييد لدلالة الاعجاز على ان القرآن حق منزل من عند الله تعالى بعلم اهل الكتاب به لتصديقه ما عندهم مع انه صلى الله تعالى

عليه لم يمارس كتبهم ولم يخالط علماءهم وانما وصف جميعهم بالعلم لان اكثرهم يعلمونه ومن لم يعلم فهو متمكن منه

بادنى تأمل وقيل المراد مؤمنو اهل الكتاب وقرأ ابن عامر وحفص عن عاصم منزل بالتشديد فلا تكونن من الممترين

فى انهم يعلمون ذلك او فى انه منزل لجحود اكثرهم وكفرهم به فيكون من باب التهييج كقوله ولا تكونن من المشركين او خطاب

الرسول والمراد به الامة وقيل الخطاب لكل احد على معنى ان الادلة لما تعاضدت على صحته فلا ينبغى لاحد ان يمترى فيه وتمت كلمت

ربك بلغت الغاية اخباره واحكامه ومواعيده صدقا فى الاخبار والمواعيد وعدلاً فى الاقضية والاحكام و

نصبهما يحتمل التمييز والحال والمفعول له لا مبدل لكلماته لا احد يبدل شيئا منها بما هو اصدق واعدل او لا احد

يقدر ان يحرفها شائعا ذائعا كما فعل بالتوراة على ان المراد بها القرآن فيكون ضمانا لها من الله بالحفظ كقوله

وانا له لحافظون او لا نبى ولا كتاب بعدها ينسخها ويبدل احكامها وقرأ الكوفيون ويعقوب كلمة ربك اى ما تكلم به او القرآن

وهو السميع لما يقولون العليم بما يضمرون فلا يهملهم وان تطع اكثر من فى الارض اى اكثر الناس يريد الكفار او الجهال او اتباع الهوى

اي جعلنا في مكة اكابر مجرميها ليمكروا فيها جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها ليمكروا فيها وجعلنا بمعنى صيرنا ومفعولاه اكابر
مجرميها على تقديم المفعول الثاني او في كل قرية اكابر ومجرميها بدل ويجوز ان يكون مضافا اليه ان فسر الجعل بالتمكين وافعل التفضيل
اذا اضيف جاز فيه الافراد والمطابقة ولذلك قرئ اكابر مجرميها وتخصيص الاكابر لانهم اقوى على استتباع الناس والمكر بهم وما
يمكرون الا بانفسهم لان وباله يحيق بهم وما يشعرون ذلك واذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما اوتي
رسل الله يعني كفار قريش لما روي ان ابا جهل قال زاحمنا بني عبد مناف في الشرف حتى اذا صرنا كفرسي رهان قالوا منا نبي يوحى
اليه والله لا نرضى به الا ان يأتينا وحي كما يأتيه فنزلت الله اعلم حيث يجعل رسالته استئناف للرد عليهم بان النبوة
ليست بالنسب والمال وانما هي بفضائل نفسانية يخص الله تعالى بها من يشاء من عباده فيجتبي لرسالته من علم انه يصلح لها وهو اعلم
الذي فيه يضعها وقرأ ابن كثير وحفص عن عاصم رسالته سيصيب الذين اجرموا صغار ذل وحقارة بعد كبرهم عند الله
يوم القيامة وقيل تقديره من عند الله وعذاب شديد بما كانوا يمكرون بسبب مكرهم او جزاء على مكرهم فمن يرد الله ان يهديه
يعرفه طريق الحق ويوفقه للايمان يشرح صدره للاسلام فيتسع له وينفسح فيه مجاله وهو كناية عن جعل النفس قابلة
للحق مهيأة لحلوله فيها مصفاة عما يمنعه وينافيه واليه اشار صلى الله تعالى عليه وسلم حين سئل عنه فقال نور يقذفه
الله تعالى في قلب المؤمن فينشرح له وينفسح فقالوا هل لذلك امارة يعرف بها فقال نعم الانابة الى دار الخلود والتجافي عن دار
الغرور والاستعداد للموت قبل نزوله ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا بحيث ينبو عن قبول الحق فلا يدخله
الايمان وقرأ ابن كثير ضيقا بالتخفيف ونافع وابو بكر عن عاصم حرجا بالكسر اي شديد الضيق والباقون بالفتح
وصفا بالمصدر كأنما يصعد في السماء شبهه مبالغة في ضيق صدره بمن يزاول ما لا يقدر عليه فان صعود السماء مثل فيما
يبعد عن الاستطاعة ونبه به على ان الايمان يمتنع منه كما يمتنع عليه الصعود وقيل معناه كأنما يتصاعد الى السماء
نبوا عن الحق وتباعدا في الهرب منه واصل يصعد يتصعد وقد قرئ به وقرأ ابن كثير يصعد وابو بكر عن عاصم يصاعد
بمعنى يتصاعد كذلك اي كما يضيق صدره ويبعد قلبه عن الحق يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون يجعل العذاب
او الخذلان عليهم فوضع الظاهر موضع المضمر للتعليل وهذا اشارة الى البيان الذي جاء به القرآن او الى الاسلام او الى
ما سبق من التوفيق والخذلان صراط ربك الطريق الذي ارتضاه او عادته او الطريق الذي اقتضته حكمته مستقيما
لا عوج فيه او عادلا مطردا وهو حال مؤكدة كقوله وهو الحق مصدقا او مقيدة والعامل فيها معنى الاشارة قد فصلنا
الآيات لقوم يذكرون فيعلمون ان القادر هو الله تعالى وان كل ما يحدث من خير او شر فهو بقضائه وخلقه وانه عالم باحوالهم
حكيم عادل فيما يفعل بهم لهم دار السلام دار الله تعالى اضاف الجنة الى نفسه تعظيما لها او دار السلامة من المكاره او دار تحيتهم
فيها سلام عند ربهم في ضمانه او ذخيرة لهم عنده لا يعلم كنهها غيره وهو وليهم مواليهم او ناصرهم بما كانوا يعملون
بسبب اعمالهم او متوليهم بجزائها فيتولى ايصاله اليهم ويوم يحشرهم جميعا نصب باضمار اذكر او نقول والضمير لمن يحشر من الثقلين
وقرأ حفص عن عاصم وروح عن يعقوب بالياء يا معشر الجن يعني الشياطين قد استكثرتم من الانس اي من اغوائهم واضلالهم او منهم
بان جعلتموهم اتباعكم فحشروا معكم كقولهم استكثر الامير من الجنود وقال اولياؤهم من الانس الذين اطاعوهم ربنا استمتع

تعلمون اي [illegible] عن الذي تكون له العاقبة وفيه مع الانذار انصاف في المقال وحسن الادب وتنبيه على وثوق المنذر
بانه محق وقرأ حمزة والكسائي [illegible] يكون بالياء لان تانيث العاقبة غير حقيقي انه لا يفلح الظالمون وضع
الظالمين موضع الكافرين لانه اعم واكثر فائدة وجعلوا اي مشركو العرب لله مما ذرأ خلق من الحرث والانعام
نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل الى الله وما كان لله فهو يصل الى شركائهم
روي انهم كانوا يعينون شيئا من حرث ونتاج لله ويصرفونه الى الضيفان والمساكين وشيئا منهما لالهتهم وينفقون
على سدنتها ويذبحون عندها ثم ان راوا ما عينوا لله ازكى بدلوه بما لالهتهم وان راوا ما لالهتهم ازكى تركوه
لالهتهم وفي قوله مما ذرأ تنبيه على فرط جهالتهم فانهم اشركوا الخالق في خلقه جمادا لا يقدر على شيء ثم رجحوه عليه بان
جعلوا الزاكي له وفي قوله بزعمهم تنبيه على ان ذلك مما اخترعوه لم يامرهم الله تعالى به وقرأ الكسائي بالضم في الموضعين
وهو لغة فيه وقد يروى [illegible] ساء ما يحكمون حكمهم هذا وكذلك ومثل ذلك التزيين في قسمة القربان زين لكثير
من المشركين قتل اولادهم بالوأد ونحرهم لالهتهم شركاؤهم من الجن او من السدنة وهو فاعل زين وقرأ ابن عامر زين على
البناء للمفعول الذي هو القتل ونصب الاولاد وجر الشركاء باضافة القتل اليه مفصولا بينهما بمفعوله وهو ضعيف في العربية
معدود من ضرورات الشعر كقوله فزججتها بمزجة زج القلوص ابي مزادة وقرئ بالبناء للمفعول وجر اولادهم ورفع شركاؤهم
باضمار فعل دل عليه زين ليردوهم ليهلكوهم بالاغواء وليلبسوا عليهم دينهم وليخلطوا عليهم ما كانوا عليه من دين اسمعيل او
ما وجب عليهم ان يتدينوا به واللام للتعليل ان كان التزيين من الشياطين وللعاقبة ان كان من السدنة ولو شاء
الله ما فعلوه ما فعل المشركون ما زين لهم او الشركاء التزيين او الفريقان جميع ذلك فذرهم وما يفترون افتراءهم
او وما يفترونه من الافك وقالوا هذه اشارة الى ما جعل لالهتهم انعام وحرث حجر حرام فعل بمعنى مفعول كالذبح يستوي
فيه الواحد والكثير والذكر والانثى وقرئ حجر بالضم وحرج اي مضيق لا يطعمها الا من نشاء يعنون خدم الاوثان والرجال
دون النساء بزعمهم من غير حجة وانعام حرمت ظهورها يعنون البحائر والسوائب والحوامي وانعام لا يذكرون اسم الله
عليها في الذبح وانما يذكرون اسماء الاصنام عليها وقيل لا يحجون على ظهورها افتراء عليه نصب على المصدر لان ما قالوا
تقول على الله تعالى والجار متعلق بقالوا او بمحذوف هو صفة له او على الحال او المفعول له والجار متعلق به او بالمحذوف
سيجزيهم بما كانوا يفترون بسببه او بدله وقالوا ما في بطون هذه الانعام يعنون اجنة البحائر والسوائب خالصة لذكورنا
ومحرم على ازواجنا حلال للذكور خاصة دون الاناث ان ولد حيا لقوله وان يكن ميتة فهم فيه شركاء فالذكور والاناث
فيه سواء وتانيث الخالصة للمعنى فان ما في معنى الاجنة ولذلك وافق عاصم في رواية ابي بكر ابن عامر في تكن بالتاء
[illegible] هو وابن كثير في ميتة بالنصب كغيرهما او التاء فيه للمبالغة كما في رواية الشعر او هو مصدر كالعافية وقع
موقع الخالص وقرئ بالنصب على انه مصدر مؤكد والخبر لذكورنا او حال من الضمير الذي في الظرف لا من الذي في
لذكورنا لانها لا تتقدم على العامل المعنوي وعلى صاحبه المجرور وقرئ خالص بالرفع والنصب وخالصة
بالرفع والاضافة الى الضمير على انه بدل من ما او مبتدأ ثان والمراد به ما كان حيا والتذكير في فيه لان المراد بالميتة

كم شهداء اذ وصاكم الله بهذا حين وصاكم بهذا التحريم اذ انتم لا تؤمنون بنبي فلا طريق لكم الى معرفة امثال ذلك الا المشاهدة
والسماع فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا فنسب اليه تحريم ما لم يحرم والمراد كبراؤهم المقررون لذلك او عمرو بن لحي
ليضل الناس بغير علم ان الله لا يهدي القوم الظالمين قل لا اجد في ما اوحي الي اي في القرآن او فيما اوحي الي مطلقا وفيه
تنبيه على ان التحريم انما يعلم بالوحي لا بالهوى محرما طعاما محرما على طاعم يطعمه الا ان يكون ميتة الا ان يكون الطعام
ميتة وقرأ ابن كثير وحمزة تكون بالتاء لتأنيث الخبر وقرأ ابن عامر بالتاء ورفع ميتة على ان كان هي التامة وقوله او دما
عطف على ان مع ما في حيزه اي الا وجود ميتة او دما مسفوحا اي مصبوبا كالدم في العروق لا كالكبد والطحال او لحم خنزير فانه
رجس فان الخنزير او لحمه قذر لتعوده اكل النجاسة او خبيث مخبث او فسقا عطف على لحم خنزير وما بينهما اعتراض للتعليل
اهل لغير الله به صفة له موضحة وانما سمي ما ذبح على اسم الصنم فسقا لتوغله في الفسق ويجوز ان يكون فسقا مفعولا له من
اهل وهو عطف على يكون والمستكن فيه راجع الى ما رجع اليه المستكن في يكون فمن اضطر فمن دعته الضرورة الى تناول شيء
من ذلك غير باغ على مضطر مثله ولا عاد قدر الضرورة فان ربك غفور رحيم لا يؤاخذه والآية محكمة لانها تدل على انه
صلى الله عليه وسلم لم يجد فيما اوحي اليه الى تلك الغاية محرما غير هذه وذلك لا ينافي ورود التحريم في شيء آخر فلا يصح الاستدلال بها
على نسخ الكتاب بخبر الواحد ولا على حل الاشياء غيرها الا مع الاستصحاب وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر كل ما له اصبع
كالابل والسباع والطيور وقيل كل ذي مخلب وحافر وسمي الحافر ظفرا مجازا ولعل المسبب عن الظلم تعميم التحريم ومن البقر
والغنم حرمنا عليهم شحومهما كالثروب وشحوم الكلى والاضافة لزيادة الربط الا ما حملت ظهورهما الا ما علقت
بظهورهما او الحوايا او ما اشتمل على الامعاء جمع حاوية او حاوياء كقاصعاء وقواصع او حوية كسفينة وسفائن وقيل هو عطف على
شحومهما واو بمعنى الواو او ما اختلط بعظم هو شحم الالية لاتصالها بالعصعص ذلك التحريم او الجزاء جزيناهم ببغيهم
بسبب ظلمهم وانا لصادقون في الاخبار او الوعد والوعيد فان كذبوك فقل ربكم ذو رحمة واسعة يمهلكم على التكذيب
فلا تغتروا بامهاله فانه لا يهمل ولا يرد بأسه عن القوم المجرمين حين ينزل او ذو رحمة واسعة للمطيعين وذو بأس
شديد للمجرمين فاقام مقامه ولا يرد بأسه لتضمنه التنبيه على انزال البأس عليهم مع الدلالة على انه لازب بهم لا يمكن
رده عنهم سيقول الذين اشركوا اخبار عن مستقبل ووقوع مخبره يدل على اعجازه لو شاء الله ما اشركنا ولا
آباؤنا ولا حرمنا من شيء اي لو شاء خلاف ذلك مشيئة ارتضاء لقوله فلو شاء لهداكم اجمعين لما فعلنا نحن
ولا آباؤنا ارادوا بذلك انهم على الحق المشروع المرضي عند الله تعالى لا الاعتذار عن ارتكاب هذه القبائح بارادة الله
تعالى اياها منهم حتى ينهض ذمهم به دليلا للمعتزلة ويؤيد ذلك قوله كذلك كذب الذين من قبلهم اي مثل هذا
التكذيب لك في ان الله تعالى منع من الشرك ولم يحرم ما حرموه كذب الذين من قبلهم الرسل وعطف آباؤنا على الضمير
في اشركنا من غير تأكيد للفصل بلا حتى ذاقوا بأسنا الذي انزلنا عليهم بتكذيبهم قل هل عندكم من علم من امر معلوم
يصح الاحتجاج به على ما زعمتم فتخرجوه لنا فتظهروه لنا ان تتبعون الا الظن ما تتبعون في ذلك الا الظن وان انتم الا تخرصون
تكذبون على الله تعالى وفيه دليل على المنع من اتباع الظن سيما في الاصول ولعل ذلك حيث يعارضه قاطع اذ الآية

حمزة والكسائي إن بالكسر على الاستيناف وابن عامر ويعقوب بالفتح والتخفيف والباقون به مشددة بتقدير اللام على
أنه علة لقوله فاتبعوه وقرأ ابن عامر صراطي بفتح الياء وقرئ وهذا صراطي وهذا صراط ربكم وهذا صراط ربك فاتبعوه و
لا تتبعوا السبل الأديان المختلفة والطرق التابعة للهوى فإن مقتضى الحجة واحد ومقتضى الهوى متعدد لاختلاف
الطبائع والعادات فتفرق بكم فتفرقكم وتزيلكم عن سبيله الذي هو اتباع الوحي واقتفاء البرهان ذلكم الإتباع وصاكم
به لعلكم تتقون الضلال والتفرق عن الحق ثم آتينا موسى الكتاب عطف على وصاكم وثم للتراخي في الإخبار أو للتفاوت
في الرتبة كأنه قيل ذلكم وصاكم به قديما وحديثا ثم أعظم من ذلك أنا آتينا موسى الكتاب تماما للكرامة والنعمة على الذي
أحسن على من أحسن القيام به ويؤيده أن قرئ على الذين أحسنوا أو على الذي أحسن تبليغه وهو موسى عليه السلام أو تماما
على ما أحسنه أي أجاده من العلم والشرائع أي زيادة على علمه إتماما له وقرئ بالرفع على أنه خبر
مبتدأ محذوف أي على الدين الذي هو أحسن أو على الوجه الذي هو أحسن ما يكون عليه الكتب وتفصيلا لكل شيء وبيانا
مفصلا لكل ما يحتاج إليه في الدين وهو عطف على تماما ونصبهما يحتمل العلة والحال والمصدر وهدى ورحمة لعلهم
لعل بني إسرائيل بلقاء ربهم يؤمنون أي بلقائه للجزاء وهذا كتاب يعني القرآن أنزلناه مبارك كثير النفع فاتبعوه و
اتقوا لعلكم ترحمون بواسطة اتباعه والعمل بما فيه أن تقولوا كراهة أن تقولوا علة لأنزلناه إنما أنزل الكتاب على طائفتين
من قبلنا اليهود والنصارى ولعل الاختصاص في إنما لأن الباقي المشهور حينئذ من الكتب السماوية لم يكن غير كتبهم وإن
كنا إن هي المخففة ولذلك دخلت اللام الفارقة على خبر كان والله كنا عن دراستهم قراءتهم لغافلين لا ندري
ما هي أو لا نعرف مثلها أو تقولوا عطف على الأول لو أنا أنزل علينا الكتاب لكنا أهدى منهم لحدة أذهاننا وثقابة
أفهامنا ولذلك تلقفنا فنونا من العلم كالقصص والأشعار والخطب على أنا أميون فقد جاءكم بينة من ربكم حجة
واضحة تعرفونها وهدى ورحمة لمن تأمل فيه وعمل به فمن أظلم ممن كذب بآيات الله بعد أن عرف صحتها أو تمكن من
معرفتها وصدف أعرض أو صد عنها فضل وأضل سنجزي الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب شدته بما
كانوا يصدفون بإعراضهم وصدهم هل ينظرون أي ما ينتظرون يعني أهل مكة وهم ما كانوا منتظرين لذلك ولكن
لما كان يلحقهم لحوق المنتظر شبهوا بالمنتظرين إلا أن تأتيهم الملائكة ملائكة الموت أو العذاب وقرأ حمزة والكسائي
بالياء أو يأتي ربك أي أمره بالعذاب أو كل آياته يعني آيات القيامة والهلاك الكلي لقوله أو يأتي بعض آيات ربك يعني أشراط
الساعة وعن حذيفة والبراء بن عازب رضي الله تعالى عنهما كنا نتذاكر الساعة إذ أشرف علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما
تذاكرون قلنا نتذاكر الساعة قال إنها لا تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات الدخان ودابة الأرض وخسفا بالمشرق
وخسفا بالمغرب وخسفا بجزيرة العرب والدجال وطلوع الشمس من مغربها ويأجوج ومأجوج ونزول عيسى عليه السلام ونارا
تخرج من عدن يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا إيمانها كالمحتضر إذا صار الأمر عيانا والإيمان برهاني
وقرئ تنفع بالتاء لإضافة الإيمان إلى ضمير المؤنث لم تكن آمنت من قبل صفة نفسا أو كسبت في إيمانها خيرا عطف
على آمنت والمعنى أنه لا ينفع الإيمان حينئذ نفسا غير مقدمة إيمانها أو مقدمة إيمانها غير كاسبة في إيمانها خيرا وهو دليل

مسلح فيها عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انزلت علي سورة الانعام جملة واحدة يشيعها سبعون الف ملك لهم زجل بالتسبيح والتحميد فمن قرأ الانعام صلى عليه واستغفر له اولئك السبعون الف ملك بعدد كل آية من سورة الانعام يوما وليلة

سورة الاعراف مكية الا ثماني آيات من قوله واسئلهم الى قوله واذ نتقنا محكم كلها وقيل الا قوله واعرض عن الجاهلين وآيها مائتان وخمس

بسم الله الرحمن الرحيم

المص سبق الكلام في مثله كتاب خبر مبتدأ محذوف اي هو كتاب او خبر المص والمراد به السورة او القرآن انزل اليك صفته فلا يكن في صدرك حرج منه اي شك فان الشاك حرج الصدر او ضيق قلب من تبليغه مخافة ان تكذب فيه او تقصر في القيام بحقه وتوجيه النهي اليه للمبالغة كقولهم لا اريتك هاهنا والفاء يحتمل العطف والجواب فكانه قيل اذا انزل اليك لتنذر به فلا يحرج صدرك لتنذر به متعلق بانزل او بلا يكن لانه اذا ايقن انه من عند الله تعالى تشجع على الانذار وكذا اذا لم يخفهم او علم انه موفق للقيام بتبليغه وذكرى للمؤمنين يحتمل النصب باضمار فعلها اي لتنذر به وتذكر ذكرى فانها بمعنى التذكير والجر عطفا على محل لتنذر والرفع عطفا على كتاب او خبرا لمحذوف اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم يعم القرآن والسنة لقوله تعالى وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى ولا تتبعوا من دونه اولياء يضلونكم من الجن والانس وقيل الضمير في من دونه لما انزل اي ولا تتبعوا من دون دين الله تعالى دين اولياء وقرئ ولا تبتغوا قليلا ما تذكرون اي تذكرا قليلا او زمانا قليلا تذكرون حيث تتركون دين الله تعالى وتتبعون غيره وما مزيدة لتاكيد القلة وان جعلت مصدرية لم ينتصب قليلا بتذكرون وقرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم تذكرون بحذف التاء وابن عامر يتذكرون بالياء على ان الخطاب بعد مع النبي صلى الله عليه وسلم وكم من قرية وكثيرا من القرى اهلكناها اردنا اهلاك اهلها او اهلكناها بالخذلان فجاءها فجاء اهلها بأسنا عذابنا بياتا بائتين كقوم لوط مصدر وقع موقع الحال او هم قائلون عطف عليه اي قائلين نصف النهار كقوم شعيب عليه السلام وانما حذف واو الحال استثقالا لاجتماع حرفي عطف فانها واو عطف استعيرت للوصل لا اكتفاء بالضمير فانه غير فصيح وفي التعبيرين مبالغة في غفلتهم وامنهم من العذاب ولذلك خص الوقتين ولانهما وقت دعة واستراحة فيكون مجيء العذاب فيهما افظع فما كان دعواهم اي دعاؤهم واستغاثتهم او ما كانوا يدعونه من دينهم اذ جاءهم بأسنا الا ان قالوا انا كنا ظالمين الا اعترافهم بظلمهم فيما كانوا عليه وبطلانه تحسرا عليه فلنسألن الذين ارسل اليهم عن قبول الرسالة واجابتهم الرسل ولنسألن المرسلين عما اجيبوا والمراد من هذا السؤال توبيخ الكفرة وتقريعهم والمنفي في قوله ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون سؤال الاستعلام او الاول في موقف الحساب وهذا عند حصولهم على العقوبة فلنقصن عليهم على الرسل حين يقولون لا علم لنا انك انت علام الغيوب او على الرسل والمرسل اليهم ما كانوا عليه بعلم عالمين بظواهرهم وبواطنهم او بمعلومهم منهم وما كنا غائبين عنهم فيخفى علينا شيء من احوالهم والوزن يومئذ اي يوم يسأل الله الامم ورسلهم الوزن اي القضاء او وزن الاعمال وهو مقابلتها بالجزاء والجمهور على ان صحائف الاعمال توزن بميزان له لسان وكفتان ينظر اليه الخلائق اظهارا للمعدلة وقطعا للمعذرة كما يسألهم عن اعمالهم فتعترف بها السنتهم وتشهد بها جوارحهم ويؤيده ما روي ان الرجل يؤتى به الى الميزان فينشر عليه تسعة وتسعون سجلا كل سجل مد البصر فيخرج له بطاقة فيها كلمتا الشها

كقوله كما عسل الطريق الثعلب وقيل تقديره على صراطك كقولهم ضرب زيد الظهر والبطن ثم لآتينهم من بين ايديهم

ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم اي من جميع الجهات الاربع مثل قصده اياهم بالتسويل والاضلال من اي وجه يمكنه باتيان

العدو من الجهات الاربع ولذلك لم يقل من فوقهم ومن تحت ارجلهم وقيل لم يقل من فوقهم لان الرحمة تنزل منه ولم يقل

من تحتهم لان الاتيان منه يوحش وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما من بين ايديهم من قبل الآخرة ومن خلفهم من قبل

الدنيا وعن ايمانهم وعن شمائلهم من جهة حسناتهم وسيئاتهم ويحتمل ان يقال من بين ايديهم من حيث يعلمون ويقدرون على التحرز

عنه ومن خلفهم من حيث لا يعلمون ولا يقدرون وعن ايمانهم وعن شمائلهم من حيث يتيسر لهم ان يعلموا ويتحرزوا ولكن

لم يفعلوا لعدم تيقظهم واحتياطهم وانما عدى الفعل الى الاولين بحرف الابتداء لانه منهما متوجه اليهم والى الآخرين بحرف

المجاوزة فان الآتي منهما كالمنحرف عنهم المار على عرضهم ونظيره قولهم جلست عن يمينه ولا تجد اكثرهم شاكرين مطيعين

وانما قاله ظنا لقوله تعالى ولقد صدق عليهم ابليس ظنه لما رأى فيهم مبدأ الشر متعددا ومبدأ الخير واحدا وقيل سمعه من الملائكة

قال اخرج منها مذءوما من ذأمه اذا ذمه وقرئ مذوما كمسول في مسئول او كمكول في مكيل من ذامه يذيمه ذيما

مدحورا مطرودا لمن تبعك منهم اللام فيه لتوطئة القسم وجوابه لاملأن جهنم منكم اجمعين وهو ساد

مسد جواب الشرط وقرئ لمن بكسر اللام على انه خبر لاملأن على معنى لمن تبعك هذا الوعيد او علة لاخرج ولاملأن

جواب قسم محذوف ومعنى منكم منك ومنهم فغلب المخاطب ويا آدم اي وقلنا يا آدم اسكن انت وزوجك الجنة فكلا من حيث

شئتما ولا تقربا هذه الشجرة وقرئ هذي وهو الاصل لتصغيره على ذيا والهاء بدل من الياء فتكونا من الظالمين فتصيرا من الذين ظلموا

انفسهم وتكونا يحتمل الجزم على العطف والنصب على الجواب فوسوس لهما الشيطان اي فعل الوسوسة لاجلهما وهي في الاصل الصوت

الخفي كالهينمة والخشخشة ومنه وسوس الحلي وقد سبق في البقرة كيفية وسوسته ليبدي لهما ليظهر لهما واللام للعاقبة

او للغرض على انه اراد ايضا بوسوسته ان يسوءهما بانكشاف عورتيهما ولذلك عبر عنها بالسوأة وفيه دليل على ان

كشف العورة في الخلوة وعند الزوج من غير حاجة قبيح مستهجن في الطباع ما ووري عنهما من سوآتهما ما غطي عنهما من عوراتهما

وكانا لا يريانها من انفسهما ولا احدهما من الآخر وانما لم تقلب الواو المضمومة همزة في المشهور كما قلبت في اويصل تصغير واصل

لان الثانية مدة وقرئ سوتهما بحذف الهمزة والقاء حركتها على الواو وبقلبها واوا وادغام الواو الساكنة فيها وقال ما نهاكما

ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين الا كراهة ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين الذين لا يموتون او يخلدون في الجنة

واستدل به على فضل الملائكة على الانبياء عليهم السلام وجوابه انه كان من المعلوم ان الحقائق لا تنقلب وانما كانت

رغبتهما في ان يحصل لهما ايضا ما للملائكة من الكمالات الفطرية والاستغناء عن الاطعمة والاشربة وذلك لا يدل

على فضلهم مطلقا وقاسمهما اني لكما لمن الناصحين اي اقسم لهما على ذلك واخرجه على زنة المفاعلة للمبالغة

وقيل اقسما له بالقبول وقيل اقسما عليه بالله انه لمن الناصحين فجعل ذلك مقاسمة فدلاهما فنزلهما الى الاكل من الشجرة

نبه به على انه اهبطهما بذلك من درجة عالية الى رتبة سافلة فان التدلية والادلاء ارسال الشيء من اعلى الى اسفل

بغرور بما غرهما به من القسم فانهما ظنا ان احدا لا يحلف بالله كاذبا او ملتبسين بغرور فلما ذاقا الشجرة

على الاول لطيف ... ورد الثاني بقوله قل ان الله لا يأمر بالفحشاء لان عادته جرت على الامر بمحاسن الافعال
والحث على مكارم الخصال ولا دلالة فيه على ان قبح الفعل بمعنى ترتب الذم عليه عاجلا عقلي فان المراد بالفاحشة ما ينفر عنه
الطبع السليم ويستنقصه العقل المستقيم وقيل هما جوابا سؤالين مترتبين كانه قيل لهم لما فعلوها لم فعلتم فقالوا
وجدنا عليها اباءنا فقيل ومن اين اخذ اباؤكم فقالوا الله امرنا بها وعلى الوجهين يمنع التقليد اذا قام الدليل على خلافه
لا مطلقا اتقولون على الله ما لا تعلمون انكار يتضمن النهي عن الافتراء على الله تعالى قل امر ربي بالقسط بالعدل وهو الوسط
من كل امر المتجافي عن طرفي الافراط والتفريط واقيموا وجوهكم وتوجهوا الى عبادته مستقيمين غير عادلين الى غيرها
او اقيموها نحو القبلة عند كل مسجد في كل وقت سجود او مكانه وهو الصلاة او في اي مسجد حضرتكم الصلاة
ولا تؤخروها حتى تعودوا الى مساجدكم وادعوه واعبدوه مخلصين له الدين اي الطاعة فان اليه مصيركم كما بدأكم
تعودون كما انشأكم ابتداء تعودون باعادته فيجازيكم على اعمالكم فاخلصوا له العبادة وانما شبه الاعادة بالابداء تقريرا لامكانها والقدرة عليها وقيل كما بدأكم
من التراب تعودون اليه وقيل كما بدأكم حفاة عراة غرلا تعودون وقيل كما بدأكم مؤمنا وكافرا يعيدكم فريقا هدى بان وفقهم
للايمان وفريقا حق عليهم الضلالة بمقتضى القضاء السابق وانتصابه بفعل يفسره ما بعده اي وخذل فريقا انهم اتخذوا الشياطين
اولياء من دون الله تعليل لخذلانهم او تحقيق لضلالتهم ويحسبون انهم مهتدون يدل على ان الكافر المخطئ و
المعاند سواء في استحقاق الذم وللفارق ان يحمله على المقصر في النظر يا بني ادم خذوا زينتكم ثيابكم لمواراة عورتكم عند كل مسجد
لطواف او صلاة ومن السنة ان ياخذ الرجل احسن هيئته للصلاة وفيه دليل على وجوب ستر العورة في الصلاة وكلوا واشربوا
ما طاب لكم روي ان بني عامر في ايام حجهم كانوا لا ياكلون الطعام الا قوتا ولا ياكلون دسما يعظمون بذلك حجهم فهم المسلمون به
فنزلت ولا تسرفوا بتحريم الحلال او بالتعدي الى الحرام او بافراط الطعام والشره عليه وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما كل ما
شئت والبس ما شئت ما اخطاتك خصلتان سرف ومخيلة وقال علي بن الحسين بن واقد رحمه الله تعالى الطب في نصف اية فقال
كلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين اي لا يرتضي فعلهم قل من حرم زينة الله من الثياب وسائر ما يتجمل به التي اخرج
لعباده من النبات كالقطن والكتان ومن الحيوان كالحرير والصوف ومن المعادن كالدروع والطيبات من الرزق
المستلذات من المآكل والمشارب وفيه دليل على ان الاصل في المطاعم والملابس وانواع التجملات الاباحة لان الاستفهام
في من للانكار قل هي للذين امنوا في الحياة الدنيا بالاصالة والكفرة وان شاركوهم فيها فتبع خالصة يوم القيمة
لا يشاركهم فيها غيرهم وانتصابها على الحال وقرأ نافع بالرفع على انها خبر بعد خبر كذلك نفصل الايات لقوم يعلمون اي
كتفصيلنا هذا الحكم نفصل سائر الاحكام لهم قل انما حرم ربي الفواحش ما تزايد قبحه وقيل ما يتعلق بالفروج ما ظهر منها وما بطن
جهرها وسرها والاثم وما يوجب الاثم تعميم بعد تخصيص وقيل شرب الخمر والبغي الظلم او الكبر افرده بالذكر للمبالغة بغير الحق متعلق
بالبغي مؤكد له معنى وان تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا تهكم بالمشركين وتنبيه على تحريم اتباع ما لم يدل عليه برهان
وان تقولوا على الله ما لا تعلمون بالالحاد في صفاته والافتراء عليه كقولهم والله امرنا بها ولكل امة اجل مدة او وقت
لنزول العذاب بهم وهو وعيد لاهل مكة فاذا جاء اجلهم انقرضت مدتهم او حان وقتهم لا يستاخرون ساعة

والكلام مع التعذيب بالنار تنبيها على انه اعظم الاجرام والذين امنوا وعملوا الصالحات لا نكلف نفسا الا وسعها اولئك
اصحاب الجنة هم فيها خالدون على عادته سبحانه في ان يشفع الوعد بالوعيد ولا نكلف نفسا الا وسعها اعتراض بين المبتدا
والخبر للترغيب في اكتساب النعيم المقيم بما تسعه طاقتهم ويسهل عليهم وقرئ لا تكلف نفس ونزعنا ما في صدورهم
من غل اي نخرج من قلوبهم اسباب الغل او نطهرها منه حتى لا يكون بينهم الا التواد وعن علي رضي الله تعالى عنه اني لارجو ان
اكون انا وعثمان وطلحة والزبير منهم تجري من تحتهم الانهار زيادة في لذتهم وسرورهم وقالوا الحمد لله الذي هدانا
لهذا لما جزاؤه هذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله لولا هداية الله تعالى وتوفيقه واللام لتوكيد النفي وجواب لولا محذوف
دل عليه ما قبله وقرأ ابن عامر ما كنا بغير واو على انها مبينة للاولى لقد جاءت رسل ربنا بالحق فاهتدينا بارشادهم
يقولون ذلك اغتباطا وتبجحا بان ما علموه يقينا في الدنيا صار لهم عين اليقين في الآخرة ونودوا ان تلكم الجنة
اذا راوها من بعيد او بعد دخولها والمنادى له بالذات اورثتموها بما كنتم تعملون اي اعطيتموها بسبب اعمالكم وهو حال
من الجنة والعامل فيها معنى الاشارة او خبر والجنة صفة تلكم وان في المواقع الخمسة هي المخففة او المفسرة لان المناداة
والتأذين من القول وكذا ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار ان قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا
انما قالوه تبجحا بحالهم وشماتة باصحاب النار وتحسيرا لهم وانما لم يقل ما وعدكم كما قال ما وعدنا لان ما ساءهم من الموعود
لم يكن باسره مخصوصا وعدا بهم كالبعث والحساب ونعيم اهل الجنة قالوا نعم وقرأ الكسائي بكسر العين وهما لغتان فاذن مؤذن
قيل هو صاحب الصور بينهم بين الفريقين ان لعنة الله على الظالمين وقرأ ابن كثير في رواية البزي وابن عامر وحمزة والكسائي
ان لعنة الله بالتشديد والنصب وقرئ ان بالكسر على ارادة القول او اجراء اذن مجرى قال الذين يصدون عن سبيل الله
صفة للظالمين مقررة او ذم مرفوع او منصوب ويبغونها عوجا زيغا وميلا عما هو عليه والعوج بالكسر في المعاني والاعيان
ما لم تكن منتصبة وبالفتح في المنتصبة كالحائط والرمح وهم بالآخرة كافرون وبينهما حجاب اي بين الفريقين
كقوله تعالى فضرب بينهم بسور او بين الجنة والنار ليمنع وصول اثر احدهما الى الاخرى وعلى الاعراف وعلى اعراف الحجاب اي اعاليه
وهو السور المضروب بينهما جمع عرف مستعار من عرف الفرس وقيل العرف ما ارتفع من الشيء فانه يكون لظهوره اعرف من
غيره رجال طائفة من الموحدين قصروا في العمل فيحبسون بين الجنة والنار حتى يقضي الله تعالى فيهم ما يشاء وقيل قوم علت
درجاتهم كالانبياء والشهداء او خيار المؤمنين وعلماؤهم او ملائكة يرون في صورة الرجال يعرفون كلا من اهل الجنة
والنار بسيماهم بعلامتهم التي اعلمهم الله تعالى بها كبياض الوجه وسواده فعلى من سام ابله اذا ارسلها في المرعى معلمة او
من الوسم على القلب كالجاه من الوجه وانما يعرفون ذلك بالالهام او تعليم الملائكة ونادوا اصحاب الجنة ان سلام عليكم
اي اذا نظروا اليهم سلموا عليهم لم يدخلوها وهم يطمعون حال من الواو وعلى الوجه الاول من اصحاب على الوجوه واذا صرفت
ابصارهم تلقاء اصحاب النار قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين اي في النار ونادى اصحاب الاعراف
رجالا يعرفونهم بسيماهم من رؤساء الكفرة قالوا ما اغنى عنكم جمعكم كثرتكم او جمعكم المال وما كنتم تستكبرون عن الحق
او على الخلق وقرئ تستكثرون من الكثرة اهؤلاء الذين اقسمتم لا ينالهم الله برحمة من تتمة قولهم للرجال والاشارة الى ضعفاء

٢٨٣

والظلم التعذيب بالنار تنبيها على انه اعظم الاجرام والذين امنوا وعملوا الصالحات لا نكلف نفسا الا وسعها او
لئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون على عادته سبحانه في ان يشفع الوعد بالوعيد ولا نكلف نفسا الا وسعها اعتراض بين المبتدا
وخبره للترغيب في اكتساب النعيم المقيم بما تسعه طاقتهم ويسهل عليهم وقرئ لا تكلف نفس ونزعنا ما في صدورهم
من غل اي نخرج من قلوبهم اسباب الغل او نطهرها منه حتى لا يكون بينهم الا التواد وعن علي رضي الله تعالى عنه اني لارجو ان
اكون انا وعثمان وطلحة والزبير منهم تجري من تحتهم الانهار زيادة في لذتهم وسرورهم وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا
لما جزاؤه هذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله لولا هداية الله تعالى وتوفيقه واللام لتوكيد النفي وجواب لولا محذوف
دل عليه ما قبله وقرأ ابن عامر ما كنا بغير واو على انها مبينة للاولى لقد جاءت رسل ربنا بالحق فاهتدينا بارشادهم
يقولون ذلك اغتباطا وتبجحا بان ما علموه يقينا في الدنيا صار لهم عيانا عين اليقين في الآخرة ونودوا ان تلكم الجنة
اذا راوها من بعيد او بعد دخولها والمنادى له بالذات اورثتموها بما كنتم تعملون اي اعطيتموها بسبب اعمالكم وهو حال
من الجنة والعامل فيها معنى الاشارة او خبر والجنة صفة تلكم وان في المواقع الخمس هي المخففة او المفسرة لان المناداة
والتاذين من القول ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار ان قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا
انما قالوه تبجحا بحالهم وشماتة باصحاب النار وتحسيرا لهم وانما لم يقل ما وعدكم كما قال ما وعدنا لان ما ساءهم من الموعود
لم يكن باسره مخصوصا بهم كالبعث والحساب ونعيم اهل الجنة قالوا نعم وقرأ الكسائي بكسر العين وهما لغتان فاذن مؤذن
قيل هو صاحب الصور بينهم بين الفريقين ان لعنة الله على الظالمين وقرأ ابن كثير في رواية البزي وابن عامر وحمزة والكسائي
ان لعنة الله بالتشديد والنصب وقرئ ان بالكسر على ارادة القول او اجراء اذن مجرى قال الذين يصدون عن سبيل الله
صفة للظالمين مقررة او ذم مرفوع او منصوب ويبغونها عوجا زيغا وميلا عما هو عليه والعوج بالكسر في المعاني والاعيان
ما لم تكن منتصبة وبالفتح في المنتصبة كالحائط والرمح وهم بالآخرة كافرون وبينهما حجاب اي بين الفريقين
لقوله تعالى فضرب بينهم بسور او بين الجنة والنار ليمنع وصول اثر احداهما الى الاخرى وعلى الاعراف وعلى اعراف الحجاب اي اعاليه
وهو السور المضروب بينهما جمع عرف مستعار من عرف الفرس وقيل العرف ما ارتفع من الشيء فانه يكون لظهوره اعرف من
غيره رجال طائفة من الموحدين قصروا في العمل فيحبسون بين الجنة والنار حتى يقضي الله فيهم ما يشاء وقيل قوم علت
درجاتهم كالانبياء او الشهداء او خيار المؤمنين وعلمائهم او ملائكة يرون في صورة الرجال يعرفون كلا من اهل الجنة
والنار بسيماهم بعلامتهم التي اعلمهم الله تعالى بها كبياض الوجه وسواده فعلى من سام ابله اذا ارسلها في المرعى معلمة او
من الوسم على القلب كالجاه من الوجه وانما يعرفون ذلك بالالهام او تعليم الملائكة ونادوا اصحاب الجنة ان سلام عليكم
اي اذا نظروا اليهم سلموا عليهم لم يدخلوها وهم يطمعون حال من الواو على الوجه الاول ومن اصحاب على الوجوه الباقية واذا صرفت
ابصارهم تلقاء اصحاب النار قالوا تعوذا بالله تعالى ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين اي في النار ونادى اصحاب الاعراف
رجالا يعرفونهم بسيماهم من رؤساء الكفرة قالوا ما اغنى عنكم جمعكم كثرتكم او جمعكم المال وما كنتم تستكبرون عن الحق
او على الخلق وقرئ تستكثرون من الكثرة اهؤلاء الذين اقسمتم لا ينالهم الله برحمة من تتمة قولهم للرجال والاشارة الى ضعفاء

٢٨٣

الآية والله تعالى اعلم ان الكفرة كانوا متخذين اربابا فبين لهم ان المستحق للربوبية واحد وهو الله تعالى لانه الذي له الخلق
والامر فانه تعالى خلق العالم على ترتيب قويم وتدبير حكيم فابدع الافلاك ثم زينها بالكواكب كما اشار اليه بقوله فقضاهن سبع سموات
في يومين وعمد سبحانه الى ايجاد الاجرام السفلية فخلق جسما قابلا للصور المتبدلة والهيئات المختلفة ثم قسمها بصور نوعية متضادة
الآثار والافعال واشار اليه بقوله وخلق الارض في يومين اي ما في جهة السفل في يومين ثم انشأ انواع المواليد الثلاثة
بتركيب موادها اولا وتصويرها ثانيا كما قال تعالى بعد قوله وخلق الارض في يومين وجعل فيها رواسي من فوقها
وبارك فيها وقدر فيها اقواتها في اربعة ايام اي مع اليومين الاولين لقوله في سورة السجدة الله الذي خلق السموات والارض
وما بينهما في ستة ايام ثم لما تم له عالم الملك عمد الى تدبيره كالملك الجالس على عرشه لتدبير المملكة فدبر الامر من السماء
الى الارض بتحريك الافلاك وتسيير الكواكب وتكوير الليالي والايام ثم صرح بما هو فذلكة التقرير ونتيجته فقال الا له الخلق و
الامر تبارك الله رب العالمين ثم امرهم بان يدعوه متذللين مخلصين فقال ادعوا ربكم تضرعا وخفية اي
ذوي تضرع وخفية فان الاخفاء دليل الاخلاص انه لا يحب المعتدين المجاوزين ما امروا به في الدعاء وغيره نبه به
على ان الداعي ينبغي ان لا يطلب ما لا يليق به كرتبة الانبياء والصعود الى السماء وقيل هو الصياح في الدعاء والاسهاب فيه وعن النبي صلى الله
عليه وسلم سيكون قوم يعتدون في الدعاء وحسب المرء ان يقول اللهم اني اسألك الجنة وما قرب اليها من قول وعمل واعوذ بك من النار
وما قرب اليها من قول وعمل ثم قرأ انه لا يحب المعتدين ولا تفسدوا في الارض بالكفر والمعاصي بعد اصلاحها ببعث الانبياء وشرع
الاحكام وادعوه خوفا وطمعا ذوي خوف من الرد لقصور اعمالكم وعدم استحقاقكم وطمع في اجابته تفضلا واحسانا لفرط رحمته
ان رحمت الله قريب من المحسنين ترجيح للطمع وتنبيه على ما يتوسل به الى الاجابة وتذكير قريب لان الرحمة بمعنى الرحم
او لانه صفة محذوف اي امر قريب او على تشبيهه بفعيل الذي هو بمعنى مفعول او الذي هو مصدر كالنقيض او للفرق بين القريب من النسب والقريب
من غيره وهو الذي يرسل الرياح وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي الريح على الوحدة نشرا جمع نشور بمعنى ناشر وقرأ ابن عامر نشرا
بالتخفيف حيث ما وقع وحمزة والكسائي نشرا بفتح النون حيث وقع على انه مصدر في موقع الحال بمعنى ناشرات او مفعول مطلق
فان الارسال والنشر متقاربان وعاصم بشرا وهو تخفيف بشر جمع بشير وقد قرئ به وبشرا بفتح الباء مصدر بشره بمعنى باشرات
اي للبشارة وبشرى بين يدي رحمته قدام رحمته يعني المطر فان الصبا تثير السحاب والشمال تجمعه والجنوب تدره والدبور
تفرقه حتى اذا اقلت حملت واشتقاقه من القلة فان المقل للشيء يستقله سحابا ثقالا بالماء جمعه لان السحاب بمعنى السحائب سقناه
اي السحاب وافراد الضمير باعتبار اللفظ لبلد ميت لاجله او لاحيائه او لسقيه وقرئ ميت فانزلنا به الماء بالبلد او بالسحاب
او بالسوق او بالريح وكذلك فاخرجنا به ويحتمل فيه عود الضمير الى الماء واذا كان للبلد فالباء للالصاق في الاول وللظرفية
في الثاني واذا كان لغيره فهي للسببية من كل الثمرات من كل انواعها كذلك نخرج الموتى الاشارة فيه الى اخراج الثمرات او الى
احياء البلد الميت اي كما نحييه باحداث القوة النامية فيه وتطريتها بانواع النبات والثمرات نخرج الموتى من الاجداث
ونحييها برد النفوس الى مواد ابدانها بعد جمعها وتطريتها بالقوى والحواس لعلكم تذكرون فتعلمون ان من قدر على ذلك قدر على
هذا والبلد الطيب الارض الكريمة التربة يخرج نباته باذن ربه بمشيئته وتيسيره عبر به عن كثرة النبات وحسنه وغزارته

قوماً وإنا لنظنك من الكاذبين قال يا قوم ليس بي سفاهة ولكني رسول من رب العالمين أبلغكم رسالات ربي
وأنا لكم ناصح أمين أو عجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم سبق تفسيره وفي إجابة الأنبياء الكفرة عن كلماتهم
الحمقاء بما أجابوا والإعراض عن مقابلتهم كمال النصح والشفقة وهضم النفس وحسن المجادلة وهكذا ينبغي لكل ناصح وفي قوله وأنا لكم ناصح أمين
تنبيه على أنهم عرفوه بالأمرين واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح أي في مساكنهم من رمل عالج إلى شحر عمان أو في الأرض
بأن جعلكم ملوكاً فإن شداد بن عاد ممن ملك معمورة الأرض خوفهم من عقاب الله تعالى ثم ذكرهم بإنعامه وزادكم في الخلق بسطة قامة
وقوة فاذكروا آلاء الله تعميم بعد تخصيص لعلكم تفلحون لكي يفضي بكم ذكر النعم إلى شكرها المؤدي إلى الفلاح قالوا أجئتنا لنعبد الله وحده ونذر
ما كان يعبد آباؤنا استبعدوا اختصاص الله تعالى بالعبادة والإعراض عما أشرك به آباؤهم انهماكاً في التقليد وحباً لما ألفوه
ومعنى المجيء في أجئتنا إما المجيء من مكان اعتزل به عن قومه أو من السماء على التهكم أو القصد على المجاز كقولهم ذهب يسبني فأتنا
بما تعدنا من العذاب المدلول عليه بقوله أفلا تتقون إن كنت من الصادقين فيه قال قد وقع عليكم قد وجب وحق عليكم
أو نزل عليكم على أن المتوقع كالواقع من ربكم رجس عذاب من الارتجاس وهو الاضطراب وغضب إرادة انتقام أتجادلونني
في أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما نزل الله بها من سلطان أي في أشياء سميتموها آلهة وليس فيها معنى الإلهية لأن المستحق
للعبادة بالذات هو الموجد للكل وإنها لو استحقت كان استحقاقها بجعله تعالى إما بإنزال آية أو نصب حجة بين أن منتهى حجتهم و
سندهم أن الأصنام تسمى آلهة من غير دليل يدل على تحقق المسمى وإسناد الإطلاق إلى من لا يؤبه بقوله إظهاراً لغاية
جهالتهم وفرط غباوتهم واستدل به على أن الاسم هو المسمى وأن اللغات توقيفية إذ لو لم يكن كذلك لم يتوجه الذم
والإبطال بأنها أسماء مخترعة لم ينزل الله تعالى بها سلطاناً وضعفهما ظاهر فانتظروا لما وضح الحق وأنتم مصرون على العناد نزول
العذاب إني معكم من المنتظرين فأنجيناه والذين معه في الدين برحمة منا عليهم وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا
أي استأصلناهم وما كانوا مؤمنين تعريض بمن آمن منهم وتنبيه على أن الفارق بين من نجا ومن هلك هو الإيمان روي
أنهم كانوا يعبدون الأصنام فبعث الله تعالى إليهم هوداً فكذبوه وازدادوا عتواً فأمسك الله تعالى القطر عنهم ثلاث سنين حتى جهدهم وكان
الناس حينئذ مسلمهم ومشركهم إذا نزل بهم بلاء توجهوا إلى البيت الحرام وطلبوا من الله تعالى الفرج فجهزوا إليه قيل بن عنز ومرثد
بن سعد في سبعين من أعيانهم وكان إذ ذاك بمكة العمالقة أولاد عمليق بن لاوذ بن سام وسيدهم معاوية بن بكر
فلما قدموا عليه وهو بظاهر مكة أنزلهم وأكرمهم وكانوا أخواله وأصهاره فلبثوا عنده شهراً يشربون الخمر وتغنيهم الجرادتان قينتان له
فلما رأى ذهولهم باللهو عما بعثوا له أهمه ذلك واستحيى أن يكلمهم فيه مخافة أن يظنوا به ثقل مقامهم فعلّم القينتين *
ألا يا قيل ويحك قم فهينم * لعل الله يسقينا غماما * فيسقي أرض عاد إن عاداً * قد امسوا ما يبينون الكلاما حتى
غنتا به فأزعجهم ذلك فقال مرثد والله لا تسقون بدعائكم ولكن إن أطعتم نبيكم وتبتم إلى الله تعالى سقيتم فقالوا لمعاوية
احبسه عنا لا يقدمن معنا مكة فإنه قد اتبع دين هود وترك ديننا ثم دخلوا مكة فقال قيل اللهم اسق عاداً ما كنت
تسقيهم فأنشأ الله تعالى سحابات ثلاثاً بيضاء وحمراء وسوداء ثم ناداه مناد من السماء يا قيل اختر لنفسك ولقومك فقال اخترت السوداء
فإنها أكثرهن ماء فخرجت السحابة على عاد من وادي المغيث فاستبشروا بها وقالوا هذا عارض ممطرنا فجاءتهم منها

٢٨٧

منها انعامهم الى بطنه فتهرب مواشيهم الى ظهره فشق ذلك عليهم فزينت عقرها لهم عنيزة ام غنم وصدقة
بنت المختار فعقروها واقتسموا لحمها فرقى سقبها جبلا اسمه قارة فرغا ثلثا فقال صالح لهم ادركوا الفصيل عسى ان يرفع عنكم
العذاب فلم يقدروا عليه اذ انفجت الصخرة بعد رغائه فدخلها فقال لهم صالح تصبح وجوهكم غدا مصفرة وبعد غد محمرة واليوم
الثالث مسودة ثم يصبحكم العذاب فلما راوا العلامات طلبوا ان يقتلوه فانجاه الله تعالى الى ارض فلسطين ولما كان ضحوة
اليوم الرابع تحنطوا وتكفنوا بالانطاع فاتتهم صيحة من السماء فتقطعت قلوبهم فهلكوا فتولى عنهم وقال يا قوم لقد
ابلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين ظاهره ان توليه عنهم كان بعد ان ابصرهم جاثمين
ولعله خاطبهم به بعد هلاكهم كما خاطب رسول الله صلى الله عليه وسلم اهل قليب بدر وقال انا وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل
وجدتم ما وعد ربكم حقا او ذكر ذلك على سبيل التحسر عليهم ولوطا وارسلنا لوطا اذ قال لقومه وقت قوله لهم او واذكر لوطا واذ بدل
اتاتون الفاحشة توبيخ وتقريع على تلك الفعلة المتمادية في القبح ما سبقكم بها من احد من العالمين ما فعلها قبلكم احد
قط والباء للتعدية ومن الاولى لتاكيد النفي والاستغراق والثانية للتبعيض والجملة استيناف مقررة للانكار كانه
وبخهم اولا باتيان الفاحشة ثم باختراعها فانه اسوأ انكم لتاتون الرجال شهوة من دون النساء بيان لقوله اتاتون
الفاحشة وهو ابلغ في الانكار والتوبيخ وقرا نافع وحفص انكم على الاخبار المستانف وشهوة مفعول له او مصدر في موقع الحال
وفي التقييد بها وصفهم بالبهيمية الصرفة وتنبيه على ان العاقل ينبغي ان يكون الداعي له الى المباشرة طلب الولد وبقاء النوع
لا قضاء الوطر بل انتم قوم مسرفون اضراب عن الانكار الى الاخبار عن حالهم التي ادت بهم الى ارتكاب امثالها وهي اعتياد الاسراف
في كل شيء او عن الانكار عليها الى الذم على جميع معايبهم او عن محذوف مثل لا عذر لكم فيه بل انتم قوم عادتكم الاسراف وما كان جواب
قومه الا ان قالوا اخرجوهم من قريتكم اي ما جاؤا بما يكون جوابا عن كلامه ولكنهم قابلوا نصيحته بالامر باخراجه فيمن معه من
المؤمنين من قريتهم والاستهزاء بهم فقالوا انهم اناس يتطهرون اي من الفواحش فانجيناه واهله اي من امن به الا امراته
واهلية فانها كانت تسر الكفر كانت من الغابرين من الذين بقوا في ديارهم فهلكوا والتذكير لتغليب الذكور وامطرنا عليهم
مطرا اي نوعا من المطر عجيبا وهو مبين بقوله وامطرنا عليهم حجارة من سجيل فانظر كيف كان عاقبة المجرمين روي ان
لوط بن هاران بن تارخ لما هاجر مع عمه ابراهيم عليهما السلام الى الشام نزل بالاردن فارسله الله تعالى الى اهل سدوم
ليدعوهم الى الله تعالى وينهاهم عما اخترعوه من الفاحشة فلم ينتهوا عنها فامطر الله تعالى عليهم الحجارة فهلكوا وقيل خسف
بالمقيمين منهم وامطرت الحجارة على مسافريهم والى مدين اخاهم شعيبا اي وارسلنا اليهم وهم اولاد مدين بن ابراهيم شعيب
بن ميكائيل بن يشجر بن مدين وكان يقال له خطيب الانبياء لحسن مراجعته قومه قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره
قد جاءتكم بينة من ربكم يريد المعجزة التي كانت له وليس في القران انها ما هي وما روي من محاربة عصا موسى عليه وعلى نبينا
السلام التنين وولادة الغنم التي دفعها اليه الدرع خاصة وكانت الموعودة له من اولادها ووقوع عصا ادم عليه
السلام على يده في المرات السبع متاخر عن هذه المقاولة ويحتمل ان يكون كرامة لموسى عليه السلام او ارهاصا لنبوته
فاوفوا الكيل اي آلة الكيل على الاضمار او اطلاق الكيل على المكيال كالعيش على المعاش لقوله والميزان كما قال ...

... وبعضها كانت من مباديها فاصبحوا في دارهم جاثمين اي في

مدينتهم الذين كذبوا شعيبا مبتدأ خبره كأن لم يغنوا فيها اي استؤصلوا كأن لم يقيموا بها والمغنى المنزل الذين كذبوا

شعيبا كانوا هم الخاسرين دينا ودنيا لا الذين صدقوه واتبعوه كما زعموا فانهم الرابحون في الدارين وللتنبيه على هذا و

المبالغة فيه كرر الموصول واستأنف بالجملتين واتى بهما اسميتين فتولى عنهم وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالات ربي ونصحت

لكم فكيف آسى على قوم كافرين اشتد حزنه عليهم ثم انكر على نفسه فقال فكيف آسى على قوم ليسوا اهل حزن لاستحقاقهم ما نزل عليهم

بكفرهم او قاله اعتذارا عن عدم شدة حزنه عليهم والمعنى لقد بالغت في الابلاغ والانذار وبذلت وسعي في النصح والاشفاق

فلم تصدقوا قولي فكيف آسى عليكم وقرئ فكيف ايسى بامالتين وما ارسلنا في قرية من نبي الا اخذنا اهلها بالبأساء

والضراء بالبؤس والفقر لعلهم يضرعون كي يتضرعوا ويتذللوا ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة اي اعطيناهم بدل ما كانوا

فيه من البلاء والشدة السلامة والسعة ابتلاء لهم بالامرين حتى عفوا كثروا عددا وعددا يقال عفا النبات اذا كثر ومنه

اعفاء اللحى وقالوا قد مس آباءنا الضراء والسراء كفرانا لنعمة الله تعالى ونسيانا لذكره واعتقادا بانه من عادة الدهر يعاقب

في الناس بين الضراء والسراء وقد مس آباءنا منه مثل ما مسنا فاخذناهم بغتة فجاءة وهم لا يشعرون بنزول العذاب ولو ان

اهل القرى يعني القرى المدلول عليها بقوله وما ارسلنا في قرية من نبي وقيل مكة وما حولها آمنوا واتقوا مكان كفرهم وعصيانهم

لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض لوسعنا عليهم الخير ويسرناه لهم من كل جانب وقيل المراد المطر والنبات وقرأ ابن عامر

لفتحنا بالتشديد ولكن كذبوا الرسل فاخذناهم بما كانوا يكسبون من الكفر والمعاصي أفأمن اهل القرى عطف على قوله فاخذناهم بغتة

وهم لا يشعرون وما بينهما اعتراض والمعنى ابعد ذلك أمن اهل القرى ان يأتيهم بأسنا بياتا تبييتا او وقت بيات او مبيتا او مبيتين

وهو في الاصل مصدر بمعنى البيتوتة ويجيء بمعنى التبييت كالسلام بمعنى التسليم وهم نائمون حال من ضميرهم البارز او المستتر

في بياتا اوأمن اهل القرى وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر او بالسكون على الترديد ان يأتيهم بأسنا ضحى ضحوة النهار وهو في

الاصل ضوء الشمس اذا ارتفعت وهم يلعبون يلهون من فرط الغفلة او يشتغلون بما لا ينفعهم أفأمنوا مكر الله تكرير لقوله

أفأمن اهل القرى ومكر الله استعارة لاستدراج العبد واخذه من حيث لا يحتسب فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون الذين

خسروا بالكفر وترك النظر والاعتبار اولم يهد للذين يرثون الارض من بعد اهلها اي يخلفون من خلا قبلهم

ويرثون ديارهم وانما عدي يهد باللام لانه بمعنى يبين ان لو نشاء اصبناهم بذنوبهم ان الشأن لو نشاء اصبناهم بجزاء ذنوبهم كما اصبنا

من قبلهم وهو فاعل يهد ومن قرأه بالنون جعله مفعولا ونطبع على قلوبهم عطف على ما دل عليه اولم

يهد اي يغفلون عن الهداية او منقطع عنه بمعنى ونحن نطبع ولا يجوز عطفه على اصبناهم على انه

بمعنى وطبعنا لانه في سياقه جواب لو لافضائه الى نفي الطبع عنهم فهم لا يسمعون سماع تفهم واعتبار

تلك القرى يعني قرى الامم المار ذكرهم نقص عليك من انبائها حال ان جعل القرى خبرا ويكون افادته

بالتقييد بها وخبر ان جعلته صفة ويجوز ان يكونا خبرين ومن للتبعيض اي نقص بعض انبائها ولها انباء غيرها

لا نقصها ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات بالمعجزات فما كانوا ليؤمنوا عند مجيئهم بها بما كذبوا من قبل بما كذبوه من قبل الرسل

على الاصل في الضمير او ارجئهي من ارجيت كما قرأ نافع في رواية ورش واسمعيل والكسائي ولما قراءته في رواية قالون
ارجه بحذف الياء فللاكتفاء بالكسرة عنها واما قراءة حمزة وحفص ارجه بسكون الهاء فلتشبيه المنفصل بالمتصل وجعل جه
كابل في اسكان وسطه واما قراءة ابن عامر في رواية ابن ذكوان ارجئه بالهمزة وكسر الهاء فلا يرتضيه النحاة فان الهاء لا تكسر الا اذا كان قبلها كسرة
او ياء ساكنة ووجهه ان الهمزة لما كانت تقلب ياء اجريت مجراها وقرأ حمزة والكسائي بكل سحار فيه وفي يونس ويؤيده اتفاقهم عليه في
الشعراء وجاء السحرة فرعون بعدما ارسل الشرط في طلبهم قالوا ان لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين استئناف كانه جواب سائل قال
ما قالوا اذ جاؤا وقرأ ابن كثير ونافع وحفص عن عاصم ان لنا على الاخبار وايجاب الاجر كانهم قالوا لا بد لنا من اجر والتنكير للتعظيم
قال نعم وانكم لمن المقربين عطف على ما سد مسده نعم وزيادة على الجواب لتحريضهم قالوا يا موسى اما ان تلقي واما
ان نكون نحن الملقين خيروا موسى عليه وعلى نبينا الصلوة والسلام مراعاة للادب او اظهارا للجلادة ولكن كانت رغبتهم
في ان يلقوا قبله فنبهوا عليها بتغيير النظم الى ما هو ابلغ وتعريف الخبر وتوسيط الفصل او تأكيد ضميرهم المتصل بالمنفصل فلذلك
قال القوا كرما وتسامحا او ازدراء بهم ووثوقا على شانه فلما القوا سحروا اعين الناس بان خيلوا اليها ما الحقيقة بخلافه
واسترهبوهم وارهبوهم ارهابا شديدا كانهم طلبوا رهبتهم وجاؤا بسحر عظيم في فنه روي انهم القوا حبالا غلاظا وخشبا طوالا
كانها حيات ملأت الوادي وركب بعضها بعضا واوحينا الى موسى ان الق عصاك فالقاها فصارت حية فاذا هي تلقف ما يأفكون
اي ما يزورونه من الافك وهو الصرف وقلب الشيء عن وجهه ويجوز ان يكون ما مصدرية وهي مع الفعل بمعنى المفعول
روي انها لما تلقفت حبالهم وعصيهم وابتلعتها باسرها اقبلت على الحاضرين فهربوا وازدحموا حتى هلك جمع عظيم ثم
اخذها موسى فصارت عصا كما كانت فقال السحرة لو كان هذا سحرا لبقيت حبالنا وعصينا وقرأ حفص تلقف هنا وفي
طه والشعراء فوقع الحق فثبت لظهور امره وبطل ما كانوا يعملون من السحر والمعارضة فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين
صاروا اذلاء مبهوتين او رجعوا الى المدينة اذلاء مقهورين والضمير لفرعون وقومه والقي السحرة ساجدين جعلوا ملقين على
وجوههم تنبيها على ان الحق بهرهم واضطرهم الى السجود بحيث لم يبق لهم تمالك او ان الله تعالى الهمهم ذلك وحملهم عليه حتى ينكسر فرعون
بالذين اراد بهم كسر موسى عليه السلام وينقلب الامر عليه او مبالغة في سرعة خرورهم وشدته قالوا آمنا برب العالمين رب موسى
وهرون ابدلوا الثاني من الاول لئلا يتوهم انهم ارادوا به فرعون قال فرعون آمنتم به بالله تعالى او بموسى عليه السلام والاستفهام
فيه للانكار وقرأ حمزة والكسائي وابو بكر عن عاصم وروح عن يعقوب وهشام بتحقيق الهمزتين على الاصل وقرأ حفص
آمنتم به على الاخبار وقرأ قنبل قال فرعون وآمنتم يبدل في حال الوصل من همزة الاستفهام واوا مفتوحة ويمد
بعدها مدة في تقدير الفين وقرأ في طه على الخبر بهمزة والف وقرأ في الشعراء على الاستفهام بهمزة ومدة مطولة في تقدير الفين وقرأ
الباقون بتحقيق الهمزة الاولى وتليين الثانية قبل ان آذن لكم ان هذا لمكر مكرتموه اي ان هذا الصنيع لحيلة احتلتموها انتم
وموسى في المدينة في مصر قبل ان تخرجوا الى الميعاد لتخرجوا منها اهلها يعني القبط وتخلص لكم ولبني اسرائيل فسوف تعلمون
عاقبة ما فعلتم وهو تهديد مجمل تفصيله لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف من كل شق طرفا ثم لاصلبنكم اجمعين
تفضيحا لكم وتنكيلا لامثالكم قيل انه اول من سن ذلك فشرعه الله تعالى للقطاع تعظيما لجرمهم ولذلك سماه محاربة الله ورسوله

٢٩٣

ولكن أكثرهم لا يعلمون أن ما يصيبهم من الله تعالى أو من شؤم أعمالهم وقالوا مهما أصلها ما الشرطية ضمت إليها ما المزيدة للتأكيد
ثم قلبت ألفها هاء استثقالا للتكرير وقيل مركبة من مه الذي يصوت به الكاف وما الجزائية ومحلها الرفع على الابتداء
أو النصب بفعل يفسره تأتنا به أي أيما شيء تحضرنا تأتنا به من آية بيان لمهما وإنما سموها آية على زعم موسى عليه السلام لا
لاعتقادهم ولذلك قالوا لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين أي لتسحر بها أعيننا وتشبه علينا والضمير في به وبها لما ذكر قبل
باعتبار اللفظ وأنث بعده باعتبار المعنى فأرسلنا عليهم الطوفان ما طاف بهم وغشي أماكنهم وحروثهم من مطر أو سيل وقيل الجدري
وقيل الموتان وقيل الطاعون والجراد والقمل قيل هو كبار القردان وقيل أولاد الجراد قبل نبات أجنحتها والضفادع والدم روي أنهم
مطروا ثمانية أيام في ظلمة شديدة لا يقدر أحد أن يخرج من بيته ودخل الماء بيوتهم حتى قاموا فيه إلى تراقيهم وكانت بيوت بني إسرائيل
مشتبكة ببيوتهم ولم تدخل فيها قطرة وركد على أراضيهم فمنعهم من الحرث والتصرف فيها ودام ذلك عليهم أسبوعا فقالوا لموسى عليه السلام
ادع لنا ربك يكشف عنا ونحن نؤمن بك فدعا فكشف عنهم ونبت لهم من الكلأ والزرع ما لم يعهد مثله ولم يؤمنوا فبعث الله تعالى عليهم
الجراد فأكلت زروعهم وثمارهم ثم أخذت تأكل الأبواب والسقوف والثياب ففزعوا إليه ثانيا فدعا وخرج إلى الصحراء وأشار بعصاه
نحو المشرق والمغرب فرجعت إلى النواحي التي جاءت منها فلم يؤمنوا فسلط الله تعالى عليهم القمل فأكل ما أبقاه الجراد وكان
يقع في أطعمتهم ويدخل بين أثوابهم وجلودهم فيمصها ففزعوا إليه فرفع عنهم فقالوا قد تحققنا الآن أنك ساحر ثم أرسل الله
عليهم الضفادع بحيث لا يكشف ثوب ولا طعام إلا وجدت فيه وكانت تمتلئ منها مضاجعهم وتثب إلى قدورهم وهي تغلي وإلى
أفواههم عند التكلم ففزعوا إليه وتضرعوا فأخذ عليهم العهود ودعا فكشف الله تعالى عنهم فنقضوا العهد ثم أرسل الله تعالى عليهم
الدم فصارت مياههم دماء حتى كان يجتمع القبطي مع الإسرائيلي على إناء فيكون ما يليه دما وما يلي الإسرائيلي ماء ويمص الماء من فم
الإسرائيلي فيصير دما في فيه وقيل سلط الله تعالى عليهم الرعاف آيات نصب على الحال مفصلات مبينات لا يشكل على عاقل أنها آيات الله تعالى
ونقمته عليهم أو مفصلات لامتحان أحوالهم إذ كان بين كل اثنين منها شهر وكان امتداد كل واحدة أسبوعا وقيل إن موسى عليه
السلام لبث فيهم بعد ما غلب السحرة عشرين سنة يريهم هذه الآيات على مهل فاستكبروا عن الإيمان وكانوا قوما مجرمين
ولما وقع عليهم الرجز يعني العذاب المفصل والطاعون أرسل الله تعالى عليهم بعد ذلك قالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد
عندك بعهده عندك وهو النبوة أو بالذي عهده إليك أن تدعوه به فيجيبك كما أجابك في آياتك وهو صلة لادع أو حال من الضمير
فيه بمعنى ادع الله تعالى متوسلا إليه بما عهد عندك أو متعلق بفعل محذوف دل عليه التماسهم مثل أسعفنا إلى ما نطلب منك
بحق ما عهد عندك أو قسم مجاب بقوله لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني إسرائيل أي أقسمنا بعهد الله
تعالى عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن ولنرسلن فلما كشفنا عنهم الرجز إلى أجل هم بالغوه إلى حد من الزمان هم بالغوه فمعذبون
فيه أو مهلكون وهو وقت الغرق أو الموت وقيل إلى أجل عينوه لإيمانهم إذا هم ينكثون جواب لما أي فلما كشفنا عنهم فاجؤوا
النكث من غير توقف وتأمل فيه فانتقمنا منهم فأردنا الانتقام منهم فأغرقناهم في اليم أي البحر الذي لا يدرك قعره وقيل لجته
بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين أي كان إغراقهم بسبب تكذيبهم بالآيات وعدم فكرهم فيها حتى صاروا كالغافلين عنها
وقيل الضمير للنقمة المدلول عليها بقوله فانتقمنا وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون أي بالاستعباد وذبح الأبناء من مستضعفيهم

انظر اليك ارني نفسك بان تمكنني من رويتك او تتجلى لي فانظر اليك واراك وهو دليل على ان رويته تعا جائزة
في الجملة لان طلب المستحيل من الانبياء محال وخصوصا ما يقتضي الجهل بالله تعا ولذلك رده بقوله لن تراني دون لن ارى
او لن اريك او لن تنظر الي تنبيها على انه قاصر عن رويته لتوقفها على معد في الرائي لم يوجد فيه بعد وجعل السوال
لتبكيت قومه الذين قالوا ارنا الله جهرة خطأ اذ لو كانت الروية ممتنعة لوجب ان يجهلهم ويزيح شبهتهم كما فعل بهم حين قالوا
اجعل لنا الها ولا يتبع سبيلهم كما قال لاخيه ولا تتبع سبيل المفسدين والاستدلال بالجواب على استحالتها اشد خطأ اذ لا يدل الاخبار
عن عدم رويته اياه على ان لا يراه ابدا وان لا يراه غيره اصلا فضلا عن ان يدل على استحالتها ودعوى الضرورة
فيه مكابرة او جهالة بحقيقة الروية قال لن تراني ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني استدراك
يريد ان يبين به انه لا يطيقه وفي تعليق الروية بالاستقرار ايضا دليل الجواز ضرورة ان المعلق على الممكن ممكن والجبل قيل
جبل زبير فلما تجلى ربه للجبل ظهر له عظمته وتصدى له اقتداره وامره وقيل اعطى له حياة وروية حتى رآه جعله دكا
مدكوكا مفتتا والدك والدق اخوان كالشك والشق وقرأ حمزة والكسائي دكاء اي ارضا مستوية ومنه ناقة دكاء للتي
لا سنام لها وقرئ دكا اي قطعا جمع دكاء وخر موسى صعقا مغشيا عليه من هول ما راى فلما افاق قال تعظيما لما راى سبحانك تبت
اليك من الجراة والاقدام على السوال بغير اذن وانا اول المؤمنين مر تفسيره وقيل معناه وانا اول من امن بانك
لا ترى في الدنيا قال يا موسى اني اصطفيتك اخترتك على الناس اي الموجودين في زمانك وهرون وان كان نبيا كان مامورا
باتباعه ولم يكن كليما ولا صاحب شرع برسالاتي يعني اسفار التورية وقرأ ابن كثير ونافع برسالتي وبكلامي وبتكليمي اياك
فخذ ما اتيتك اعطيتك من الرسالة وكن من الشاكرين على النعمة فيه روى ان سوال الروية كان يوم عرفة واعطاء التورية
يوم النحر وكتبنا له في الالواح من كل شيء مما يحتاجون اليه في امر الدين موعظة وتفصيلا لكل شيء بدل من الجار والمجرور اي كتبنا
كل شيء من المواعظ وتفصيل الاحكام واختلف في ان الالواح كانت عشرة او سبعة وكانت من زمرد او زبرجد او ياقوت احمر
او صخرة صماء لينها الله تعا لموسى عليه السلام فقطعها بيده او شقها باصابعه وكان فيها التورية او غيرها فخذها على
اضمار القول عطفا على كتبنا او بدل من قوله فخذ ما اتيتك والهاء للالواح او لكل شيء فانه بمعنى الاشياء او للرسالات بقوة بجد
وعزيمة وامر قومك ياخذوا باحسنها اي باحسن ما فيها كالصبر والعفو بالاضافة الى الانتصار والاقتصاص على طريقة الندب
والحث على الافضل كقوله تعا واتبعوا احسن ما انزل اليكم او بواجباتها فان الواجب احسن من غيره ويجوز ان يراد بالاحسن
البالغ في الحسن مطلقا لا بالاضافة وهو المامور به كقولهم الصيف احر من الشتاء ساريكم دار الفاسقين دار فرعون
وقومه بمصر خاوية على عروشها او منازل عاد وثمود واضرابهم لتعتبروا فلا تفسقوا او دارهم في الاخرة وهي جهنم وقرئ سأورثكم
بمعنى سأورثكم ويؤيده قوله تعا واورثنا القوم ساصرف عن اياتي المنصوبة في الافاق والانفس
الذين يتكبرون في الارض بالطبع على قلوبهم فلا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها وقيل ساصرفهم عن ابطالها وان
اجتهدوا كما فعل فرعون فعاد عليه باعلائها او باهلاكهم بغير الحق صلة يتكبرون اي يتكبرون بما ليس بحق وهو دينهم
الباطل او حال من فاعله وان يروا كل اية منزلة او معجزة لا يؤمنوا بها لعنادهم واختلال عقولهم بسبب انهماكهم في الهوى و

واستضعفوني وقاربوا قتلي فلا تشمت بي الاعداء فلا تفعل بي ما يشمتون بي لاجله ولا تجعلني مع القوم الظالمين
معدودا في عدادهم بالمؤاخذة او نسبة التقصير قال رب اغفر لي ما صنعت باخي ولاخي ان فرط في كفهم ضم اليه نفسه
في الاستغفار ترضية له ودفعا للشماتة عنه وادخلنا في رحمتك بمزيد الانعام علينا وانت ارحم الراحمين فانت ارحم
بنا منا على انفسنا ان الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وهو ما امرهم به من قتل انفسهم وذلة في الحيوة
الدنيا وهي خروجهم من ديارهم وقيل الجزية وكذلك نجزي المفترين على الله تعالى ولا فرية اعظم من فريتهم هذا الهكم واله موسى
ولعله لم يفتر مثلها احد قبلهم ولا بعدهم والذين عملوا السيئات من الكفر والمعاصي ثم تابوا من بعدها من بعد السيئات
وامنوا واشتغلوا بالايمان وما هو مقتضاه من الاعمال الصالحة ان ربك من بعدها من بعد التوبة لغفور رحيم وان
عظم الذنب كجريمة عبدة العجل وكثر كجرائم بني اسرائيل ولما سكت سكن وقد قرئ به عن موسى الغضب باعتذار هارون
او بتوبتهم وفي هذا الكلام مبالغة وبلاغة من حيث انه جعل الغضب الحامل له على ما فعل كالآمر به والمغري عليه حتى عبر
عن سكونه بالسكوت وقرئ سكت واسكت على ان المسكت هو الله تعالى او اخوه او الذين تابوا اخذ الالواح التي
القاها وفي نسختها وفيما نسخ فيها اي كتب فعلة بمعنى مفعول كالخطبة وقيل فيما نسخ منها اي من الالواح المنكسرة هدى بيان
للحق ورحمة ارشاد الى الصلاح والخير للذين هم لربهم يرهبون دخلت اللام على المفعول لضعف الفعل بالتأخير او حذف
المفعول واللام للتعليل والتقدير يرهبون معاصي الله تعالى لربهم واختار موسى قومه اي من قومه فحذف الجار واوصل
الفعل اليه سبعين رجلا لميقاتنا فلما اخذتهم الرجفة روي انه تعالى امره بان يأتيه في سبعين من بني اسرائيل فاختار
من كل سبط ستة فزاد اثنان فقال ليتخلف منكم رجلان فتشاحوا فقال ان لمن قعد اجر من خرج فقعد كالب ويوشع
وذهب مع الباقين فلما دنوا من الجبل غشيه غمام فدخل موسى عليه السلام بهم الغمام وخروا سجدا فسمعوه تكلم موسى يأمره
وينهاه ثم انكشف الغمام فاقبلوا اليه وقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فاخذتهم الرجفة اي الصاعقة او رجفة
الجبل فصعقوا منها قال رب لو شئت اهلكتهم من قبل واياي تمنى هلاكهم وهلاكه قبل ان يرى ما رأى او بسبب
آخر او عنى به انك قدرت على اهلاكهم قبل ذلك بحمل فرعون على اهلاكهم وباغراقهم في البحر وغيرهما فترحمت
عليهم بالانقاذ منها فان ترحمت عليهم مرة اخرى لم يبعد من عميم احسانك اتهلكنا بما فعل السفهاء منا من العناد
والتجاسر على طلب الرؤية وكان ذلك قاله بعضهم وقيل المراد بما فعل السفهاء عبادة العجل والسبعون اختارهم
موسى عليه السلام لميقات التوبة عنها فغشيتهم هيبة قلقوا منها ورجفوا حتى كادت تبين مفاصلهم واشرفوا على
الهلاك فخاف عليهم موسى عليه وعلى نبينا الصلوة والسلام فبكى ودعا فكشفها الله تعالى عنهم ان هي الا فتنتك ابتلاؤك حين
اسمعتهم كلامك حتى طمعوا في الرؤية او اوجدت في العجل خوارا فزاغوا به تضل بها من تشاء ضلاله بالتجاوز
عن حده او باتباع المخايل وتهدي من تشاء هداه فيقوى بها ايمانه انت ولينا القائم بامرنا فاغفر لنا بمغفرة ما قارفنا
وارحمنا وانت خير الغافرين تغفر السيئة وتبدلها بالحسنة واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة حسن معيشة و
توفيق طاعة وفي الآخرة الجنة انا هدنا اليك تبنا اليك من هاد يهود اذا رجع وقرئ بالكسر من هاده يهيده

او حال وتانيث الحمل على الامة او القطعة اسباطا بدل منه ولذلك جمع او تمييز له على ان كل واحدة من اثنتي عشرة اسباطا
فكانه قيل اثنتي عشرة قبيلة وقرئ بكسر الشين واسكانها امما على الاول بدل بعد بدل او نعت اسباطا وعلى الثاني بدل من اسباطا واوحينا الى
موسى اذ استسقاه قومه ان اضرب بعصاك الحجر فانبجست اي فضرب فانبجست وحذفه للايماء على ان موسى عليه السلام لم
يتوقف في الامتثال وان ضربه لم يكن مؤثرا يتوقف عليه الفعل في ذاته منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل اناس
كل سبط مشربهم وظللنا عليهم الغمام ليقيهم حر الشمس وانزلنا عليهم المن والسلوى كلوا اي وقلنا لهم كلوا من طيبات
ما رزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا انفسهم يظلمون سبق تفسيره في سورة البقرة واذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية باضمار اذكر والقرية
بيت المقدس وكلوا منها حيث شئتم وقولوا حطة وادخلوا الباب سجدا مثل ما في البقرة معنى غير ان قوله فكلوا فيها بالفاء
افاد تسبب سكناهم للاكل منها ولم يتعرض له ههنا اكتفاء بذكره ثمة او بدلالة الحال عليه واما تقديم قولوا على وادخلوا فلا اثر
في المعنى لانه لا يوجب الترتيب وكذا الواو العاطفة بينهما نغفر لكم خطيئاتكم سنزيد المحسنين وعد بالغفران والزيادة
عليه بالاثابة وانما اخرج الثاني مخرج الاستيناف للدلالة على انه تفضل محض ليس في مقابلة ما امروا به وقرأ نافع وابن عامر
ويعقوب تغفر بالتاء والبناء للمفعول وخطيئاتكم بالرفع والجمع غير ابن عامر فانه وحد وقرأ ابو عمرو خطاياكم
فبدل الذين ظلموا منهم قولا غير الذي قيل لهم فارسلنا عليهم رجزا من السماء بما كانوا يظلمون مضى تفسيره
فيها واسألهم للتقرير والتقريع بقديم كفرهم وعصيانهم والاعلام بما هو من علومهم التي لا تعلم الا بتعليم او وحي ليكون ذلك
معجزة عليهم عن القرية عن خبرها وما وقع باهلها التي كانت حاضرة البحر قريبة منه وهي ايلة قرية بين مدين والطور
على شاطئ البحر وقيل مدين وقيل طبرية اذ يعدون في السبت يتجاوزون حدود الله تعالى بالصيد يوم السبت واذ ظرف
لكانت او حاضرة او للمضاف المحذوف او بدل منه بدل الاشتمال اذ تأتيهم حيتانهم ظرف ليعدون او بدل بعد بدل وقرئ
يعدون واصله يعتدون ويعدون من الاعداد اي يعدون آلات الصيد يوم السبت وقد نهوا ان يشتغلوا فيه
بغير العبادة يوم سبتهم شرعا يوم تعظيمهم امر السبت مصدر سبتت اليهود اذا عظمت سبتها بالتجرد للعبادة
وقيل اسم اليوم والاضافة لاختصاصهم باحكام فيه ويؤيد الاول ان قرئ يوم اسباتهم وقوله ويوم لا يسبتون
لا تأتيهم وقرئ لا يسبتون من اسبت ولا يسبتون على البناء للمفعول بمعنى لا يدخلون في السبت وشرعا حال من
الحيتان ومعناه ظاهرة على وجه الماء من شرع علينا اذا دنا واشرف كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون مثل ذلك البلاء الشديد
نبلوهم بسبب فسقهم وقيل كذلك متصل بما قبله اي لا تأتيهم مثل اتيانهم يوم السبت والباء متعلق بيعدون واذ قالت
عطف على اذ يعدون امة منهم جماعة من اهل القرية يعني صلحاءهم الذين اجتهدوا في موعظتهم حتى ايسوا من اتعاظهم
لم تعظون قوما الله مهلكهم مخترمهم او معذبهم عذابا شديدا في الآخرة لتماديهم في العصيان قالوه مبالغة في
ان الوعظ لا ينفع فيهم او سؤالا عن علة الوعظ ونفعه وكانه تقاول بينهم او قول من ارعوى عن الوعظ لمن لم يرعو
منهم وقيل المراد طائفة من الفرقة الهالكة اجابوا به وعاظهم ردا عليهم وتهكما بهم قالوا معذرة الى ربكم جواب للسؤال
اي موعظتنا انهاء عذر الى الله تعالى حتى لا ننسب الى تفريط في النهي عن المنكر وقرأ حفص معذرة بالنصب على

بان لا يقولوا على الله تعالى الا الحق والمراد توبيخهم على البت بالمغفرة مع عدم التوبة والدلالة على انه افتراء على الله تعالى
وخروج عن ميثاق الكتاب ودرسوا ما فيه عطف على الم يوخذ من حيث المعنى فانه تقرير او على ورثوا وهو اعتراض
والدار الآخرة خير للذين يتقون مما ياخذ هؤلاء افلا تعقلون فيعلموا ذلك ولا يستبدلوا الادنى الدني المودي الى
العقاب بالنعيم المخلد وقرأ نافع وابن عامر وحفص ويعقوب بالتاء على التلوين والذين يمسكون بالكتاب واقاموا الصلوة
عطف على الذين يتقون وقوله افلا تعقلون اعتراض او مبتدأ خبره انا لا نضيع اجر المصلحين على تقدير منهم او وضع الظاهر موضع
المضمر تنبيها على ان الاصلاح كالمانع من التضييع وقرأ ابو بكر يمسكون بالتخفيف وافراد الاقامة لانافتها على سائر
التمسكات واذ نتقنا الجبل فوقهم اى قلعناه ورفعناه فوقهم واصل النتق الجذب كانه ظلة سقيفة وهي
كل ما اظلك وظنوا وتيقنوا انه واقع بهم ساقط عليهم لان الجبل لا يثبت في الجو ولانهم كانوا يوعدون به وانما
اطلق الظن لانه لم يقع متعلقه وذلك انهم ابوا ان يقبلوا احكام التورية لثقلها فرفع الله تعالى الطور فوقهم وقيل لهم
ان قبلتم ما فيها والا ليقعن عليكم خذوا على اضمار القول اى قلنا خذوا او قائلين خذوا ما آتيناكم من الكتاب
بقوة بجد وعزم على تحمل مشاقه وهو حال من الواو واذكروا ما فيه بالعمل به ولا تتركوه كالمنسي لعلكم تتقون قبائح
الاعمال ورذائل الاخلاق واذ اخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم اى اخرج من اصلابهم نسلهم على ما
يتوالدون قرنا بعد قرن ومن ظهورهم بدل من بني آدم بدل البعض وقرأ نافع وابو عمرو وابن عامر ويعقوب
ذرياتهم واشهدهم على انفسهم الست بربكم اى ونصب لهم دلائل ربوبيته وركب في عقولهم ما يدعوهم الى
الاقرار بها حتى صاروا بمنزلة من قيل لهم الست بربكم قالوا بلى فنزل تمكينهم من العلم بها وتمكنهم منه منزلة الاشهاد
والاعتراف على طريقة التمثيل ويدل عليه قوله قالوا بلى شهدنا ان تقولوا يوم القيمة اى كراهة ان تقولوا انا
كنا عن هذا غافلين لم ننبه عليه بدليل او تقولوا عطف على ان تقولوا وقرأ ابو عمرو كليهما بالياء لان اول الكلام
على الغيبة انما اشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم فاقتدينا بهم لان التقليد عند قيام الدليل والتمكن
من العلم به لا يصلح عذرا افتهلكنا بما فعل المبطلون يعني آباءهم المبطلين بتأسيس الشرك وقيل لما خلق الله تعالى
آدم عليه وعلى نبينا الصلوة والسلام اخرج من ظهره ذرية كالذر واحياهم وجعل لهم العقل والنطق والهمهم ذلك
لحديث رواه عمر رضي الله تعالى عنه وقد حققت الكلام فيه في شرحي لكتاب المصابيح والمقصود من ايراد هذا الكلام
ههنا الزام اليهود بمقتضى الميثاق العام بعد ما الزمهم بالميثاق المخصوص بهم والاحتجاج عليهم بالحجج السمعية و
العقلية ومنعهم عن التقليد وحملهم على النظر والاستدلال كما قال وكذلك نفصل الآيات ولعلهم
يرجعون اى عن التقليد اتباع الباطل واتل عليهم اى على اليهود نبأ الذي آتيناه آياتنا هو احد علماء بني اسرائيل
او امية بن ابي الصلت فانه كان قد قرأ الكتب وعلم ان الله تعالى مرسل رسولا في ذلك الزمان ورجا ان يكون هو فلما بعث محمد صلى الله تعالى
عليه وعلى آله وسلم حسده وكفر به او بلعم بن باعوراء من الكنعانيين اوتي علم بعض كتب الله تعالى فانسلخ منها من الآيات
بان كفر بها واعرض عنها فاتبعه الشيطان حتى لحقه وقيل استتبعه فكان من الغاوين فصار من الضالين روي ان

فيه اذ ربما يوهم معنى فاسدا كقولهم يا ابا المكارم يا ابيض الوجه او لا تبالوا بانكارهم ما سمى به نفسه كقولهم ما نعرف الا رحمن
اليمامة او ذروهم والحادهم فيها باطلاقها على الاصنام واشتقاق اسمائها منها كاللات من الله والعزى من العزيز ولا توافقوهم
عليه او اعرضوا عنهم فان الله تعالى مجازيهم كما قال سيجزون ما كانوا يعملون وقرأ حمزة هنا وفي فصلت يلحدون بالفتح
يقال لحد والحد اذا مال عن القصد وممن خلقنا امة يهدون بالحق وبه يعدلون ذكر ذلك بعد ما بين انه خلق
للنار طائفة ضالين ملحدين عن الحق للدلالة على انه خلق ايضا للجنة امة هادين بالحق عادلين في الامر واستدل به على صحة
الاجماع لان المراد منه ان في كل قرن طائفة بهذه الصفة لقوله عليه الصلوة والسلام لا تزال من امتي طائفة على الحق
الى ان يأتي امر الله تعالى اذ لو اختص بعهد الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم او غيره لم يكن لذكره فائدة فانه معلوم والذين
كذبوا بآياتنا سنستدرجهم سنستدنيهم الى الهلاك قليلا قليلا واصل الاستدراج الاستصعاد او الاستنزال
درجة بعد درجة من حيث لا يعلمون ما نريد بهم وذلك ان تتواتر عليهم النعم فيظنوا انها لطف من الله تعالى بهم
فيزدادوا بطرا وانهماكا في الغي حتى يحق عليهم كلمة العذاب واملي لهم وامهلهم عطف على سنستدرجهم ان كيدي متين
ان اخذي شديد وانما سماه كيدا لان ظاهره احسان وباطنه خذلان اولم يتفكروا ما بصاحبهم يعني محمدا
صلى الله عليه وسلم من جنة جنون روي انه صلى الله تعالى عليه وسلم علا الصفا فدعاهم فخذا فخذا يحذرهم باس الله تعالى
فقال قائلهم ان صاحبكم لمجنون بات يهوت الى الصباح فنزلت ان هو الا نذير مبين موضح انذاره بحيث لا يخفى على
ناظر اولم ينظروا نظر استدلال في ملكوت السموات والارض وما خلق الله من شيء مما يقع عليه الشيء من الاجناس التي لا يمكن حصرها
ليدلهم على كمال قدرة صانعها ووحدة مبدعها وعظم شان مالكها ومتولي امرها ليظهر لهم صحة ما يدعوهم اليه
وان عسى ان يكون قد اقترب اجلهم عطف على ملكوت وان مصدرية او مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشان
وكذا اسم يكون والمعنى اولم ينظروا في اقتراب اجالهم وتوقع حلولها فيسارعوا الى طلب الحق والتوجه الى ما ينجيهم قبل مفاجاة الموت
ونزول العذاب فبأي حديث بعده اي بعد القرآن يؤمنون اذا لم يؤمنوا به وهو النهاية في البيان كانه اخبار عنهم
بالطبع والتصميم على الكفر بعد الزام الحجة والارشاد الى النظر وقيل هو متعلق بقوله عسى ان يكون كانه قيل
لعل اجلهم قد اقترب فما بالهم لا يبادرون الايمان بالقرآن وماذا ينتظرون بعد وضوحه فان لم يؤمنوا
فبأي حديث احق منه يريدون ان يؤمنوا به وقوله من يضلل الله فلا هادي له كالتقرير والتعليل
له ونذرهم في طغيانهم بالرفع على الاستئناف وقرأ ابو عمرو وعاصم ويعقوب بالياء لقوله من يضلل الله وحمزة والكسائي
به وبالجزم عطفا على محل فلا هادي له كانه قيل لا يهده احد غيره ويذرهم يعمهون حال من هم يسألونك عن الساعة
اي عن القيامة وهي من الاسماء الغالبة واطلاقها عليها اما لوقوعها بغتة او لسرعة حسابها او لانها على طولها عند الله تعالى كساعة
ايان مرسيها متى ارساؤها اي اثباتها واستقرارها ورسو الشيء ثباته واستقراره ومنه رسا الجبل وارسى السفينة
واشتقاق ايان من اي لان معناه اي وقت وهو من اويت اليه لان البعض آو الى الكل قل انما علمها
عند ربي استأثر به لم يطلع عليه ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا لا يجليها لوقتها لا يظهر امرها في وقتها الا هو والمعنى ان

٣٠٥

الولد اعلاما ان يعيشين فسمّياهم عبد مناف وعبد شمس وعبد قصي وعبد الدار ويكون الضمير في يشركون لهما
ولاعقابهما المقتدين بهما وقرأ نافع وابو بكر شركا اى شركة بان اشركا فيه غيره او ذوى شرك وهم
الشركاء وهم ضمير الاصنام جيء به على تسميتهم اياها آلهة ولا يستطيعون لهم نصرا اى لعبدتهم ولا انفسهم
ينصرون فيدفعون عنها ما يعتريها وان تدعوهم اى المشركين الى الهدى الى الاسلام لا يتبعوكم وقرأ نافع بالتخفيف
وقيل الخطاب للمشركين وهم ضمير الاصنام اى ان تدعوهم الى ان يهدوكم لا يتبعوكم الى مرادكم ولا يجيبوكم كما يجيبكم
الله تعالى سواء عليكم أدعوتموهم ام انتم صامتون وانما لم يقل ام صمتم للمبالغة في عدم افادة الدعاء
من حيث انه مسوّى بالثبات على الصمات او لانهم ما كانوا يدعونها لحوائجهم فكانه قيل سواء عليكم احداثكم دعاءهم
واستمراركم على الصمات عن دعائهم ان الذين تدعون من دون الله اى تعبدونهم وتسمونهم آلهة عباد امثالكم من حيث
انها مملوكة مسخرة فادعوهم فليستجيبوا لكم ان كنتم صادقين انهم آلهة ويحتمل انهم لما نحتوهم بصور الاناسى
قال لهم ان قصارى امرهم ان يكونوا احياء عقلاء امثالكم فلا يستحقون عبادتكم كما لا يستحق بعضكم عبادة بعض ثم عاد
عليه بالنقض فقال الهم ارجل يمشون بها ام لهم ايد يبطشون بها ام لهم اعين يبصرون بها ام لهم آذان يسمعون
بها وقرئ ان الذين بتخفيف ان ونصب عبادا على انها نافية عملت عمل ما الحجازية ولم يثبت مثله ويبطشون بالضم
هنا وفي القصص والدخان قل ادعوا شركاءكم واستعينوا بهم في عداوتي ثم كيدون فبالغوا فيما تقدرون
عليه من مكروهى انتم وشركاؤكم فلا تنظرون فلا تمهلون فانى لا ابالى بكم لوثوقى على ولاية الله تعالى وحفظه ان
وليى الله الذى نزل الكتاب القرآن وهو يتولى الصالحين اى ومن عادته تعالى ان يتولى الصالحين من عباده
فضلا عن انبيائه والذين تدعون من دونه لا يستطيعون نصركم ولا انفسهم ينصرون من تمام التعليل
لعدم مبالاته بهم وان تدعوهم الى الهدى لا يسمعوا وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون يشبهون
الناظرين اليك لانهم صوروا بصورة من ينظر الى من يواجهه خذ العفو اى خذ ما عفا لك من افعال الناس
وتسهل ولا تطلب ما يشق عليهم من العفو الذى هو ضد الجهد او خذ العفو من المذنبين او الفضل وما تسهل
من صدقاتهم وذلك قبل وجوب الزكوة وأمر بالعرف بالمعروف المستحسن من الافعال واعرض عن الجاهلين
فلا تمارهم ولا تكافئهم بمثل افعالهم وهذه الآية جامعة لمكارم الاخلاق آمرة للرسول صلى الله تعالى عليه وسلم باستجماعها
واما ينزغنك من الشيطان نزغ ينخسنك منه نخس وسوسة تحملك على خلاف ما امرت به كاعتراء غضب
وفكرة والنزغ والنسغ والنخس الغرز شبه وسوسته الناس اغراء لهم على المعاصى وازعاجا بغرز السائق
ما يسوقه فاستعذ بالله انه سميع يسمع استعاذتك عليم يعلم ما فيه صلاح امرك فيحملك عليه او سميع باقوال من
آذاك عليم بافعاله فيجازيه عليها مغنيا اياك عن الانتقام ومتابعة الشيطان ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف
من الشيطان لمة منه وهو اسم فاعل من طاف يطوف كانها طافت بهم ودارت حولهم فلم تقدر ان تؤثر فيهم او من طاف به
الخيال يطيف طيفا وقرأ ابن كثير وابو عمرو والكسائى ويعقوب طيف على انه مصدر او تخفيف طيّف كلين

للنسائي رحمه الله تعالى عن سعد بن ابي وقاص قال لما كان يوم بدر قتل اخي عمير وقتلت سعيد بن العاص واخذت
سيفه فاتيت به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم واستوهبته منه فقال ليس هذا لي ولا لك اطرحه في القبض
فطرحته وبي ما لا يعلمه الا الله تعالى من قتل اخي واخذ سلبي فما جاوزت الا قليلا حتى نزلت سورة الانفال فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم سألتني السيف وليس لي وانه قد صار لي فاذهب فخذه وقرئ يسلونك عنفال بحذف الهمزة
والقاء حركتها على اللام وادغام نون عن فيها ويسألونك الانفال اي يسألك الشبان ما شرطت لهم فاتقوا الله في
الاختلاف والمشاجرة واصلحوا ذات بينكم الحال التي بينكم بالمواساة والمساعدة فيما رزقكم الله تعالى وتسليم امره الى
الله تعالى والرسول صلى الله تعالى عليه وسلم واطيعوا الله ورسوله فيه ان كنتم مؤمنين فان الايمان يقتضي ذلك او ان كنتم
كاملي الايمان فان كمال الايمان بهذه الثلثة طاعة الاوامر والاتقاء عن المعاصي واصلاح ذات البين بالعدل
والاحسان انما المؤمنون اي الكاملون في الايمان الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم فزعت لذكره استعظاما
له وتهيبا من جلاله وقيل هو الرجل يهم بمعصية فيقال له اتق الله فينزع عنه خوفا من عقابه وقرئ وجلت
بالفتح وهي لغة وفرقت اي خافت واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا لزيادة المؤمن به او لاطمئنان النفس ورسوخ
اليقين بتظاهر الادلة او بالعمل بموجبها وهو قول من قال الايمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية بناء على ان العمل
داخل فيه وعلى ربهم يتوكلون يفوضون اليه امورهم ولا يخشون ولا يرجون الا اياه الذين يقيمون الصلوة
ومما رزقناهم ينفقون اولئك هم المؤمنون حقا لانهم حققوا ايمانهم بان ضموا اليه مكارم اعمال القلوب من الخشية
والاخلاص والتوكل ومحاسن افعال الجوارح التي هي العيار عليها من الصلوة والصدقة وحقا صفة مصدر محذوف
او مصدر مؤكد كقوله هو عبد الله حقا لهم درجات عند ربهم كرامة وعلو منزلة وقيل درجات الجنة يرتقونها
باعمالهم ومغفرة لما فرط منهم ورزق كريم اعد لهم في الجنة لا ينقطع عدده ولا ينتهي امده كما اخرجك ربك
من بيتك بالحق خبر مبتدأ محذوف تقديره هذه الحال في كراهتهم اياها كحال اخراجك للحرب في كراهتهم له او صفة مصدر
الفعل المقدر في قوله لله والرسول اي الانفال ثبتت لله والرسول مع كراهتهم ثباتا مثل ثبات اخراجك ربك من بيتك
يعني المدينة لانها مهاجره ومسكنه او بيته فيها مع كراهتهم وان فريقا من المؤمنين لكارهون في موضع الحال اي
اخرجك في حال كراهتهم وذلك ان عير قريش اقبلت من الشام وفيها تجارة عظيمة ومعها اربعون راكبا منهم
ابو سفيان وعمرو بن العاص ومخرمة بن نوفل وعمرو بن هشام فاخبر جبريل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فاخبر
المسلمين فاعجبهم تلقيها لكثرة المال وقلة الرجال فلما خرجوا بلغ الخبر اهل مكة فنادى ابو جهل فوق الكعبة يا اهل
مكة النجاء النجاء على كل صعب وذلول عيركم اموالكم ان اصابها محمد لن تفلحوا بعدها ابدا وقد رأت قبل ذلك
بثلث عاتكة بنت عبد المطلب ان ملكا نزل من السماء واخذ صخرة من الجبل ثم حلق بها فلم يبق بيت في مكة
الا اصابه شيء منها فحدثت بها العباس وبلغ ذلك ابا جهل فقال ما يرضى رجالهم ان يتنبؤا حتى تتنبأ نساؤهم
فخرج ابو جهل بجميع اهل مكة ومضى بهم الى بدر وهو ماء كانت العرب تجتمع عليه لسوقهم يوما في السنة وكان

ان لا محيص من القتال اخذوا يقولون اى رب انصرنا على عدوك اغثنا يا غياث المستغيثين وعن عمر رضي الله
تعالى عنه انه عليه السلام نظر الى المشركين وهم الف والى اصحابه وهم ثلثمائة فاستقبل القبلة ومد يديه يدعو
اللهم انجز لي ما وعدتني اللهم ان تهلك هذه العصابة لا تعبد في الارض فما زال كذلك حتى سقط رداؤه فقال
ابو بكر رضي الله تعالى عنه يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك فانه سينجز لك ما وعدك فاستجاب لكم انى ممدكم بانى
ممدكم فحذف الجار وسلط عليه الفعل وقرأ ابو عمرو بالكسر على ارادة القول او اجراء استجاب مجرى قال لان الاستجابة
من القول بالف من الملائكة مردفين متبعين المؤمنين او بعضهم بعضا من اردفته اذا جئت بعده او متبعين
بعضهم بعض المؤمنين او انفسهم المؤمنين من اردفته اياه فردفه وقرأ نافع ويعقوب بفتح الدال اى متبعين
او متبعين بمعنى انهم كانوا مقدمة الجيش او ساقتهم وقرئ مردفين بكسر الراء وضمها واصله مرتدفين بمعنى
مترادفين فادغمت التاء في الدال فالتقى ساكنان فحركت الراء بالكسر على الاصل او بالضم على الاتباع وقرئ بآلاف
ليوافق ما في سورة آل عمران ووجه التوفيق بينه وبين المشهور ان المراد بالالف الذين كانوا على المقدمة او الساقة
او وجوههم واعيانهم او من قاتل منهم واختلف في مقاتلتهم وقد روى اخبار تدل عليها وما جعله الله اى الامداد
الا بشرى الا بشارة لكم بالنصر ولتطمئن به قلوبكم فيزول ما بها من الوجل لقلتكم وذلتكم وما النصر الا من عند الله
ان الله عزيز حكيم وامداد الملائكة وكثرة العدد والاهب ونحوها وسائط لا تاثير لها فلا تحسبوا النصر منها
ولا تياسوا منه بفقدها اذ يغشيكم النعاس بدل ثان من اذ يعدكم لاظهار نعمة ثالثة او متعلق بالنصر او بما في
من عند الله من معنى الفعل او بجعل او باضمار اذكر وقرأ نافع بالتخفيف من اغشيته الشيء اذا غشيته اياه والفاعل على القراءتين
هو الله تعالى وقرأ ابن كثير وابو عمرو يغشاكم النعاس بالرفع امنة منه امنا من الله تعالى وهو مفعول له باعتبار المعنى
فان يغشيكم النعاس متضمن معنى تنعسون ويغشاكم بمعناه والامنة فعل لفاعله ويجوز ان يراد بها الايمان فيكون فعل المغشي وان يجعل على
القراءة الاخيرة فعل النعاس على المجاز لانها لاصحابه او لانه كان من حقه ان لا يغشاهم لشدة الخوف فلما غشيهم فكانه حصلت له امنة من الله
تعالى لولاها لم يغشهم كقوله يهاب النوم ان يغشى عيونا تهابك فهو نفار شرود وقرئ امنة كرحمة وهي
لغة وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به من الحدث والجنابة ويذهب عنكم رجز الشيطان يعني
الجنابة لانها من تخييله او وسوسته وتخويفه اياهم من العطش روى انهم نزلوا في كثيب اعفر تسوخ فيه
الاقدام على غير ماء وناموا فاحتلم اكثرهم وقد غلب المشركون على الماء فوسوس اليهم الشيطان وقال كيف تنصرون
وقد غلبتم على الماء وانتم تصلون محدثين مجنبين وتزعمون انكم اولياء الله تعالى وفيكم رسوله فاشفقوا فانزل الله
تعالى المطر فمطروا ليلا حتى جرى الوادي واتخذوا الحياض على عدوته وسقوا الركاب واغتسلوا وتوضؤوا وتلبد
الرمل الذي بينهم وبين العدو حتى ثبتت عليه الاقدام وزالت وسوسة الشيطان وليربط على قلوبكم بالوثوق
على لطف الله تعالى بهم ويثبت به الاقدام اى بالمطر حتى لا تسوخ في الرمل او بالربط على القلوب حتى تثبت
في المعركة اذ يوحي ربك بدل ثالث او متعلق بيثبت الى الملائكة انى معكم في اعانتهم وتثبيتهم وهو مفعول يوحي وقرئ

نقل من ابن الحاجب فقتلتهم فلم تقتلوهم ولكن الله تعالى قتلهم وما رميت يا محمد رميا توصلها الى اعينهم ولم تقدر
عليه اذ رميت اى اتيت بصورة الرمي ولكن الله رمى اى اتى بما هو غاية الرمي فاوصلها الى اعينهم جميعا حتى
انهزموا وتمكنتم من قطع دابرهم وقد عرفت ان اللفظ يطلق على المسمى وعلى ما هو كماله والمقصود منه وقيل
ما رميت بالرعب اذ رميت بالحصباء ولكن الله تعالى رمى بالرعب في قلوبهم وقيل انه نزل في طعنة طعن بها ابي بن
خلف يوم احد ولم يخرج منه دم فجعل يخور حتى مات او رمية سهم رماه يوم خيبر نحو الحصن فاصاب كنانة بن ابي الحقيق
على فراشه والجمهور على الاول وقرا ابن عامر وحمزة والكسائي ولكن بالتخفيف ورفع ما بعده في الموضعين وليبلي
المؤمنين منه بلاء حسنا ولينعم عليهم نعمة عظيمة بالنصر والغنيمة ومشاهدة الآيات ان الله سميع لاستغاثتهم
ودعائهم عليم بنياتهم واحوالهم ذلكم اشارة الى البلاء الحسن او القتل او الرمي ومحله الرفع اى المقصود والامر ذلكم
وقوله وان الله موهن كيد الكافرين معطوف عليه اى المقصود ابلاء المؤمنين وتوهين كيد الكافرين وابطال حيلهم
وقرا ابن كثير ونافع وابو عمرو موهن بالتشديد وحفص موهن كيد الكافرين بالاضافة والتخفيف ان
تستفتحوا فقد جاءكم الفتح خطاب لاهل مكة على سبيل التهكم وذلك انهم حين ارادوا الخروج تعلقوا باستار
الكعبة وقالوا اللهم انصر اعلى الجندين واهدى الفئتين واكرم الحزبين وان تنتهوا عن الكفر ومعاداة الرسول فهو خير
لكم لتضمنه سلامة الدارين وخير المنزلين وان تعودوا لمحاربته نعد لنصره ولن تغني ولن تدفع عنكم فئتكم
جماعتكم شيئا من الاغناء او المضار ولو كثرت فئتكم وان الله مع المؤمنين بالنصر والمعونة وقرا نافع وابن عامر
وحفص وان بالفتح على ولان الله مع المؤمنين كان ذلك وقيل الآية خطاب للمؤمنين والمعنى ان تستنصروا
فقد جاءكم النصر وان تنتهوا عن التكاسل في القتال والرغبة عما يستأثره الرسول صلى الله عليه وسلم فهو خير لكم وان تعودوا
اليه نعد عليكم بالانكار او تهييج العدو ولن تغني حينئذ كثرتكم اذا لم يكن الله تعالى معكم بالنصر فانه مع الكاملين
في ايمانهم ويؤيد ذلك يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه اى لا تتولوا عن الرسول صلى الله
عليه وسلم فان المراد من الآية الامر بطاعته والنهي عن الاعراض عنه وذكر طاعة الله تعالى للتوطئة والتنبيه على ان طاعة الله
تعالى في طاعة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم لقوله تعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله وقيل الضمير للجهاد او للامر الذي
دل عليه الطاعة وانتم تسمعون القرآن والمواعظ سماع فهم وتصديق ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا كالكفرة
والمنافقين الذين ادعوا السماع وهم لا يسمعون سماعا ينتفعون به فكانهم لا يسمعون راسا ان شر الدواب
عند الله شر ما يدب على الارض او شر البهائم الصم عن الحق البكم الذين لا يعقلون اياه عدهم من البهائم ثم جعلهم شرها
لابطالهم ما ميزوا به وفضلوا لاجله ولو علم الله فيهم خيرا سعادة كتبت لهم او انتفاعا بالآيات لاسمعهم سماع تفهم
ولو اسمعهم وقد علم ان لا خير فيهم لتولوا ولم ينتفعوا به او ارتدوا بعد التصديق والقبول وهم معرضون لعنادهم
وقيل كانوا يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم احي لنا قصيا فانه كان شيخا مباركا حتى يشهد لك ونؤمن بك والمعنى لاسمعهم
كلام قصي يا ايها الذين امنوا استجيبوا لله وللرسول بالطاعة اذا دعاكم وحد الضمير فيه لما سبق ولان دعوة

انی قد خنت الله تعالی ورسوله صلعم فنزلت فشد نفسه علی سارية فی المسجد وقال والله لا اذوق طعاما ولا شرابا
حتی اموت او يتوب الله تعالی علی فمکث سبعة ايام حتی خر مغشيا عليه ثم تاب الله تعالی عليه فقيل له قد تيب عليك
فحل نفسك فقال لا والله لا احلها حتی يکون رسول الله صلی الله عليه وسلم هو الذی يحلنی فجاءه فحله بيده فقال ان
من تمام توبتی ان اهجر دار قومی التی اصبت فيها الذنب وان انخلع من مالی فقال صلی الله عليه وسلم يجزئك الثلث
ان تتصدق به واصل الخون النقص كما ان اصل الوفاء التمام واستعماله فی ضد الامانة لتضمنه اياه وتخونوا
اماناتکم فيما بينکم وهو مجزوم بالعطف علی الاول او منصوب علی الجواب بالواو وانتم تعلمون انکم تخونون او وانتم
علماء تميزون الحسن من القبيح واعلموا انما اموالکم واولادکم فتنة لانهم سبب الوقوع فی الاثم او العقاب او محنة
من الله تعالی ليبلوکم فيهم فلا يحملنکم حبهم علی الخيانة كابی لبابة وان الله عنده اجر عظيم لمن اثر رضی الله
عليهم وراعی حدوده فيهم فانيطوا هممکم بما يؤديکم اليه يا ايها الذين امنوا ان تتقوا الله يجعل لکم فرقانا
هداية فی قلوبکم تفرقون بها بين الحق والباطل او نصرا يفرق بين المحق والمبطل باعزاز المؤمنين واذلال الکافرين او مخرجا
من الشبهات او نجاة عما تحذرون فی الدارين او ظهورا يشهر امرکم ويبث صيتکم من قولهم بت افعل کذا حتی سطع الفرقان
ای الصبح ويکفر عنکم سيئاتکم ويسترها ويغفر لکم ذنوبکم بالتجاوز والعفو عنها وقيل السيئات الصغائر والذنوب
الکبائر وقيل المراد ما تقدم وما تاخر لانها فی اهل بدر وقد غفرهما الله تعالی لهم والله ذو الفضل العظيم تنبيه علی ان ما وعده
لهم علی التقوی تفضل منه واحسان وانه ليس مما يوجبه تقواهم عليه کالسيد اذا وعد عبده انعاما علی عمل واذ يمکر بك
الذين کفروا تذکار لما مکر قريش به صلی الله عليه وسلم حين کان بمکة ليشکر نعمة الله تعالی فی خلاصه من مکرهم واستيلائه
عليهم والمعنی واذکر اذ يمکرون بك ليثبتوك بالوثاق او الحبس او الاثخان بالجرح من قولهم ضربه حتی اثبته
لا حراك به ولا براح وقرئ ليثبتوك بالتشديد وليبيتوك من البيات او يقتلوك بسيوفهم او يخرجوك
من مکة وذلك انهم لما سمعوا باسلام الانصار ومبايعتهم فرقوا واجتمعوا فی دار الندوة متشاورين فی امره صلی الله عليه وسلم فدخل
عليهم ابليس فی صورة شيخ وقال انا من نجد سمعت اجتماعکم فاردت ان احضرکم ولن تعدموا منی رايا ونصحا فقال ابو البختری
رايی ان تحبسوه فی بيت وتسدوا منافذه غير کوة تلقون اليه طعامه وشرابه منها حتی يموت فقال الشيخ
بئس الرای ياتيکم من يقاتلکم من قومه ويخلصه من ايديکم فقال هشام بن عمرو رايی ان تحملوه علی جمل فتخرجوه من
ارضکم فلا يضرکم ما صنع فقال بئس الرای يفسد قوما غيرکم ويقاتلکم بهم فقال ابو جهل انا اری ان تاخذوا من کل
بطن غلاما وتعطوه سيفا فيضربوه ضربة واحدة فيتفرق دمه فی القبائل فلا يقوی بنو هاشم علی حرب قريش کلهم
فاذا طلبوا العقل عقلناه فقال صدق هذا الفتی فتفرقوا علی رايه فاتی جبريل النبی صلی الله عليه وسلم واخبره الخبر
وامره بالهجرة فبيت عليا کرم الله تعالی وجهه علی مضجعه وخرج مع ابی بکر رضی الله تعالی عنه الی الغار ويمکرون ويمکر الله
برد مکرهم عليهم او بمجازاتهم عليه او بمعاملة الماکرين معهم بان اخرجهم الی بدر وقلل المسلمين فی اعينهم حتی حملوا
عليهم فقتلوا والله خير الماکرين اذ لا يؤبه بمکرهم دون مکره واسناد امثال هذا الی الله

٣١٥

اثني عشر رجلا من قريش يطعم كل واحد منهم كل يوم عشرة جزر او في ابي سفيان استاجر ليوم احد الفين من العرب سوى من
استجاش من العرب وانفق عليهم اربعين اوقية او في اصحاب العير فانه لما اصيب قريش ببدر قيل لهم اعينوا بهذا
المال على حرب محمد لعلنا ندرك منه ثارنا ففعلوا والمراد بسبيل الله دينه واتباع رسوله فسينفقونها
بتمامها ولعل الاول اخبار عن انفاقهم في تلك الحال وهو انفاق بدر والثاني اخبار عن انفاقهم
فيما يستقبل وهو انفاق احد ويحتمل ان يراد بهما واحد على ان مساق الاول لبيان غرض الانفاق ومساق الثاني
لبيان عاقبته وانه لم يقع بعد ثم تكون عليهم حسرة ندما وغما لفواتها من غير مقصود جعل ذاتها
تصير حسرة وهي عاقبة انفاقها مبالغة ثم يغلبون آخر الامر وان كان الحرب بينهم سجالا قبل ذلك والذين كفروا
اي الذين ثبتوا على الكفر منهم اذ اسلم بعضهم الى جهنم يحشرون يساقون ليميز الله الخبيث من الطيب الكافر من
المؤمن والفساد من الصلاح واللام متعلقة بيحشرون او يغلبون او ما انفقه المشركون في عداوة رسول الله
صلى الله عليه وسلم مما انفقه المسلمون في نصرته واللام متعلقة بقوله ثم تكون عليهم حسرة وقرأ حمزة والكسائي
ويعقوب ليميز من التمييز وهو ابلغ من الميز ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا فيجمعه ويضم بعضه على بعض
حتى يتراكبوا لفرط ازدحامهم او يضم الى الكافر ما انفقه ليزيد به عذابه كمال الكانزين فيجعله في جهنم كله اولئك
اشارة الى الخبيث لانه مقدر بالفريق الخبيث او الى المنفقين هم الخاسرون الكاملون في الخسران لانهم خسروا
انفسهم واموالهم قل للذين كفروا يعني ابا سفيان واصحابه والمعنى قل لاجلهم ان ينتهوا عن معاداة الرسول صلى الله
عليه وسلم بالدخول في الاسلام يغفر لهم ما قد سلف من ذنوبهم وقرئ بالتاء والكاف على انه خطابهم
ويغفر على البناء للفاعل وهو الله تعالى وان يعودوا الى قتاله فقد مضت سنة الاولين الذين تحزبوا على الانبياء عليهم
السلام بالتدمير كما جرى على اهل بدر فليتوقعوا مثل ذلك وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة لا يوجد فيهم شرك ويكون
الدين كله لله وتضمحل عنهم الاديان الباطلة فان انتهوا عن الكفر فان الله بما يعملون بصير فيجازيهم على انتهائهم
عنه واسلامهم وعن يعقوب بالتاء على معنى فان الله بما تعملون من الجهاد والدعوة الى الاسلام والاخراج من
ظلمة الكفر الى نور الاسلام والايمان بصير يجازيكم ويكون تعليقه بانتهائهم دلالة على انه كما يستدعي اثابتهم للمباشرة
يستدعي اثابة مقاتليهم للتسبب وان تولوا ولم ينتهوا فاعلموا ان الله مولاكم ناصركم فثقوا به ولا تبالوا بمعاداتهم
نعم المولى لا يضيع من تولاه ونعم النصير لا يغلب من نصره **واعلموا انما غنمتم**
اي الذي اخذتموه من الكفار قهرا من شيء مما يقع عليه اسم الشيء حتى الخيط فان لله خمسه مبتدأ خبره
محذوف اي فثابت ان لله خمسه وقرئ فان بالكسر والجمهور على ان ذكر الله تعالى للتعظيم كما في قوله والله
ورسوله احق ان يرضوه وان المراد قسم الخمس على الخمسة المعطوفين وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين
وابن السبيل فكانه قال فان لله خمسه يصرف الى هؤلاء الاخصين به وحكمه بعد باق غير ان سهم
الرسول صلى الله عليه وسلم يصرف الى ما كان يصرفه اليه من مصالح المسلمين كما فعله الشيخان وقيل

وقوله ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حى عن بينة بدل منه او متعلق بقوله مفعولا والمعنى ليموت من يموت
عن بينة عاينها ويعيش من يعيش عن حجة شاهدها لئلا يكون له حجة ومعذرة فان وقعة بدر من الآيات الواضحة
او ليصدر كفر من كفر وايمان من آمن عن وضوح بينة على استعارة الهلاك والحيوة للكفر والاسلام والمراد بمن
هلك ومن حى المشارف للهلاك والحيوة او من هذا حاله فى علم الله تعالى وقضائه وقرئ ليهلك بالفتح وقرأ ابن كثير
البزى ونافع وابو بكر ويعقوب من حيى بفك الادغام للحمل على المستقبل وان الله لسميع عليم بكفر من كفر وعقابه وايمان من
آمن وثوابه ولعل الجمع بين الوصفين لاشتمال الامرين على القول والاعتقاد اذ يريكهم الله فى منامك قليلا مقدر باذكر
او بدل ثان من يوم الفرقان او متعلق بعليم اى يعلم المصالح اذ يقللهم فى عينك فى رؤياك وهو ان تخبر به اصحابك
فيكون تثبيتا لهم وتشجيعا على عدوهم ولو اراكهم كثيرا لفشلتم لجبنتم ولتنازعتم فى الامر امر القتال وتفرقت
آراؤكم بين الثبات والفرار ولكن الله سلم انعم بالسلامة من الفشل والتنازع انه عليم بذات الصدور يعلم ما سيكون فيها
وما يغير احوالها واذ يريكموهم اذ التقيتم فى اعينكم قليلا الضميران مفعولا يرى وقليلا حال من الثانى وانما قللهم
فى اعين المسلمين حتى قال ابن مسعود رضى الله تعالى عنه لمن الى جنبه أتراهم سبعين فقال اراهم مائة تثبيتا لهم
وتصديقا لرؤيا الرسول صلى الله عليه وسلم ويقللكم فى اعينهم حتى قال ابو جهل ان محمدا واصحابه اكلة جزور وقللهم فى
اعينهم قبل التحام القتال ليجترءوا عليهم ولا يستعدوا لهم ثم كثرهم حتى يرونهم مثليهم لتفاجئهم الكثرة
فتبهتهم وتكسر قلوبهم وهذا من عظائم آيات تلك الواقعة فان البصر وان كان قد يرى الكثير قليلا والقليل كثيرا لكن لا على هذا
الوجه ولا الى هذا الحد وانما يتصور ذلك بصد الله تعالى الابصار عن ابصار بعض دون بعض مع التساوى فى الشروط
ليقضى الله امرا كان مفعولا كرره لاختلاف الفعل المعلل به او لان المراد بالامر ثمة الالتقاء على الوجه المحكى وههنا اعزاز
الاسلام واهله واذلال الشرك وحزبه والى الله ترجع الامور يا ايها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة حاربتم جماعة ولم يصفها
لان المؤمنين ما كانوا يلقون الا الكفار واللقاء مما غلب فى القتال فاثبتوا للقائهم واذكروا الله كثيرا فى مواطن
الحرب داعين له مستظهرين بذكره مترقبين لنصره لعلكم تفلحون تظفرون بمرادكم من النصرة والمثوبة وفيه تنبيه
على ان العبد ينبغى ان لا يشغله شئ عن ذكر الله تعالى وان يلتجئ اليه عند الشدائد ويقبل اليه بشراشره فارغ
البال واثقا بان لطفه تعالى لا ينفك عنه فى شئ من الاحوال واطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا باختلاف
الآراء كما فعلتم ببدر واحد فتفشلوا جواب النهى وقيل عطف عليه ولذلك قرئ وتذهب ريحكم بالجزم والريح
مستعارة للدولة من حيث انها فى تمشى امرها ونفاذه مشبهة فى هبوبها ونفوذها وقيل المراد بها الحقيقة
فان النصرة لا تكون الا بريح يبعثها الله تعالى وفى الحديث نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور واصبروا ان الله مع
الصابرين بالكلاءة والنصر ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم يعنى اهل مكة حين خرجوا منها لحماية العير
فخرا واشرا ورئاء الناس ليثنوا عليهم بالشجاعة والسماحة وذلك انهم لما بلغوا جحفة وافاهم رسول ابى
سفيان ان ارجعوا فقد سلمت عيركم فقال ابو جهل لا والله حتى نقدم بدرا ونشرب بها الخمور وتعزف علينا

بما كسبتم من الكفر والمعاصي وهو خبر لذلك وان الله ليس بظلام للعبيد عطف على ما للدلالة على ان سببيته مقيدة
بانضمامه اليه اذ لولاه لامكن ان يعذبهم بغير ذنوبهم لا ان لا يعذبهم بذنوبهم فان ترك التعذيب من مستحقه
ليس بظلم شرعا ولا عقلا حتى ينتهض نفي الظلم سببا للتعذيب وظلام للتكثير لاجل العبيد كداب ال فرعون
اي داب هولاء مثل داب ال فرعون وهو عملهم وطريقهم الذي دابوا فيه اي داوموا عليه والذين
من قبلهم من قبل ال فرعون كفروا بايات الله تفسير لدابهم فاخذهم الله بذنوبهم كما اخذ هولاء ان
الله قوي شديد العقاب لا يغلبه في دفعه شيء ذلك اشارة الى ما حل بهم بان الله بسبب ان الله لم يك
مغيرا نعمة انعمها على قوم مبدلا اياها بالنقمة حتى يغيروا ما بانفسهم يبدلوا ما بهم من الحال الى حال
اسوء كتغير قريش حالهم في صلة الرحم والكف عن تعرض الايات والرسل بمعاداة الرسول ومن تبعه منهم
والسعي في اراقة دمائهم والتكذيب بالايات والاستهزاء بها الى غير ذلك مما احدثوه بعد المبعث وليس السبب
عدم تغيير الله تعالى ما انعم عليهم حتى يغيروا حالهم بل ما هو المفهوم له وهو جري عادته تعالى على تغييره متى يغيروا
حالهم واصل يك يكون فحذفت الحركة للجزم ثم الواو لالتقاء الساكنين ثم النون لشبهه بالحروف اللينة تخفيفا
وان الله سميع لما يقولون عليم بما يفعلون كداب ال فرعون والذين من قبلهم كذبوا بايات ربهم فاهلكناهم
بذنوبهم واغرقنا ال فرعون تكرير للتاكيد ولما نيط به من الدلالة على كفران النعم بقوله بايات ربهم وبيان
ما اخذ به ال فرعون وقيل الاول لتشبيه الكفر والاخذ به والثاني لتشبيه التغيير في النعمة بسبب تغييرهم
ما بانفسهم وكل من الفرق المكذبة او من غرقى القبط وقتلى قريش كانوا ظالمين انفسهم بالكفر والمعاصي ان شر الدواب
عند الله الذين كفروا اصروا على الكفر ورسخوا فيه فهم لا يؤمنون فلا يتوقع منهم ايمانهم ولعله اخبار عن قوم
مطبوعين على الكفر بانهم لا يؤمنون والفاء للعطف والتنبيه على ان تحقق المعطوف عليه يستدعي تحقق
المعطوف وقوله الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة بدل من الذين كفروا بدل البعض للبيان
والتخصيص وهم يهود قريظة عاهدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لا يمالئوا عليه فاعانوا المشركين بالسلاح
وقالوا نسينا ثم عاهدهم فنكثوا ومالؤهم عليه يوم الخندق وركب كعب بن الاشرف الى مكة فحالفهم ومن
لتضمين المعاهدة معنى الاخذ والمراد بالمرة مرة المعاهدة او المحاربة وهم لا يتقون سبة الغدر ومغبته او لا
يتقون الله تعالى فيه او نصره للمؤمنين وتسليطه عليهم فاما تثقفنهم فاما تصادفنهم وتظفرن بهم في الحرب
فشرد بهم ففرق عن مناصبتك ونكل عنها بقتلهم والنكاية فيهم من خلفهم من وراءهم من الكفرة والتشريد
تفريق على اضطراب وقرئ فشرذ بالذال المعجمة وكانه مقلوب شذر ومن خلفهم والمعنى واحد فانه اذا شرد من
وراءهم فقد فعل التشريد في الوراء لعلهم يذكرون لعل المشردين يتعظون واما تخافن من قوم معاهدين خيانة
نقض عهد بامارات تلوح لك فانبذ اليهم فاطرح اليهم عهدهم على سواء على عدل وطريق قصد في العداوة
ولا تناجزهم الحرب فانه يكون خيانة منك او على سواء في الخوف او العلم بنقض العهد وهو في موضع الحال من

٣٢١

الله تعالى ذلك في الذين معهم بالإسلام حتى تصافوا وتعاضدوا يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين إما في محل النصب على المفعول معه كقوله فحسبك والضحاك سيف مهند أو الجر عطفا على المكني عند الكوفيين أو الرفع عطفا على اسم الله أي كفاك الله والمؤمنون والآية نزلت بالبيداء في غزوة بدر وقيل أسلم مع النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة وثلاثون رجلا وست نسوة ثم أسلم عمر رضي الله تعالى عنه فنزلت ولذلك قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما نزلت في إسلامه يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال بالغ في حثهم عليه وأصله الحرض وهو أن ينهكه المرض حتى يشفي على الموت وقرئ حرص من الحرص إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين كفروا شرط في معنى الأمر بمصابرة الواحد للعشرة والوعد بأنهم إن صبروا غلبوا بعون الله تعالى وتأييده وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر تكن بالتاء في الآيتين ووافقهم البصريان في وإن تكن منكم مائة بأنهم قوم لا يفقهون بسبب أنهم جهلة بالله تعالى واليوم الآخر لا يثبتون ثبات المؤمنين رجاء الثواب وعوالي الدرجات قتلوا أو قتلوا ولا يستحقون من الله تعالى إلا الهوان والخذلان الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين بإذن الله لما أوجب الله تعالى على الواحد مقاومة العشرة والثبات لهم وثقل ذلك عليهم خفف عنهم بمقاومة الواحد الاثنين وقيل كان فيهم قلة فأمروا بذلك ثم لما كثروا خفف الله تعالى عنهم وتكرير المعنى الواحد بذكر الأعداد المتناسبة للدلالة على أن حكم القليل والكثير واحد والضعف ضعف البدن وقيل ضعف البصيرة وكانوا متفاوتين فيها وفيه لغتان الفتح وهو قراءة عاصم وحمزة والضم وهو قراءة الباقين والله مع الصابرين بالنصر والمعونة فكيف لا يغلبون ما كان لنبي وقرئ للنبي على العهد أن يكون له أسرى وقرأ البصريان بالتاء حتى يثخن في الأرض يكثر القتل ويبالغ فيه حتى يذل الكفر ويقل حزبه ويعز الإسلام ويستولي أهله من أثخنه المرض إذا أثقله وأصله الثخانة وقرئ يثخن بالتشديد للمبالغة تريدون عرض الدنيا حطامها بأخذكم الفداء والله يريد الآخرة يريد لكم ثواب الآخرة أو سبب نيل الآخرة من إعزاز دينه وقمع أعدائه وقرئ بجر الآخرة على إضمار المضاف كقوله أكل امرئ تحسبين امرأ ونار توقد بالليل نارا والله عزيز يغلب أولياءه على أعدائه حكيم يعلم ما يليق بكل حال ويخصه بها كما أمر بالإثخان ومنع عن الافتداء حين كانت الشوكة للمشركين وخير بينه وبين المن لما تحولت الحال وصارت الغلبة للمؤمنين روي أنه عليه السلام أتي يوم بدر بسبعين أسيرا فيهم العباس وعقيل بن أبي طالب فاستشار فيهم فقال أبو بكر قومك وأهلك استبقهم لعل الله يتوب عليهم وخذ منهم فدية تقوى بها أصحابك وقال عمر رضي الله تعالى عنه اضرب أعناقهم فإنهم أئمة الكفر وإن الله أغناك عن الفداء مكني من فلان لنسيب له ومكن عليا وحمزة من أخويهما فلنضرب أعناقهم فلم يهو ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال إن الله ليلين قلوب رجال حتى تكون ألين من اللبن وإن الله ليشدد قلوب رجال حتى تكون أشد من الحجارة وإن مثلك يا أبا بكر مثل إبراهيم قال فمن تبعني فإنه مني ومن عصاني فإنك غفور رحيم ومثلك يا عمر مثل نوح قال لا تذر على الأرض من الكا

عهد فتم لنصرهم عليهم والله بما تعملون بصير والذين كفروا بعضهم أولياء بعض في الميراث أو المؤازرة وهو بمفهومه يدل على منع التوارث والمؤازرة بينهم وبين المسلمين إلا تفعلوه إلا تفعلوا ما أمرتم به من التواصل بينكم وتولي بعضكم لبعض حتى في التوارث وقطع العلائق بينكم وبين الكفار تكن فتنة في الأرض تحصل فتنة فيها عظيمة وهي ضعف الإيمان وظهور الكفر وفساد كبير في الدين وفساد كبير والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقا لما قسم المؤمنين ثلاثة أقسام بين أن الكاملين في الإيمان منهم هم الذين حققوا إيمانهم بتحصيل مقتضاه من الهجرة والجهاد وبذل المال ونصرة الحق ووعد لهم الموعد الكريم فقال لهم مغفرة ورزق كريم لا تبعة له ولا منة فيه ثم ألحق بهم في الأمرين من سيلحق بهم ويتسم بسمتهم فقال والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك منكم أي من جملتكم أيها المهاجرون والأنصار وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في التوارث من الأجانب في كتاب الله في حكمه أو في اللوح أو القرآن واستدل به على توريث ذوي الأرحام إن الله بكل شيء عليم من المواريث والحكمة في إناطتها بنسبة الإسلام والمظاهرة أولا واعتبار القرابة ثانيا عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الأنفال وبراءة فأنا شفيع له يوم القيامة وشاهد أنه بريء من النفاق وأعطي عشر حسنات بعدد كل منافق ومنافقة وكان العرش وحملته يستغفرون له أيام حياته في الدنيا

سورة براءة مدنية

وقيل إلا آيتين من قوله لقد جاءكم رسول وهي آخر ما نزلت ولها أسماء أخر التوبة والمقشقشة والبحوث والمبعثرة والمنقرة والمثيرة والحافرة والمخزية والفاضحة والمنكلة والمشردة والمدمدمة وسورة العذاب لما فيها من التوبة للمؤمنين والقشقشة من النفاق وهي التبري منه والبحث عن حال المنافقين وإثارتها والحفر عنها وما يخزيهم ويفضحهم وينكلهم ويشردهم ويدمدم عليهم وآيها مائة وثلاثون وقيل تسع وعشرون وإنما تركت التسمية فيها لأنها نزلت لرفع الأمان وبسم الله أمان وقيل كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا نزلت عليه سورة أو آية بين موضعها وتوفي ولم يبين موضعها وكانت قصتها تشابه قصة الأنفال وتناسبها لأن في الأنفال ذكر العهود وفي براءة نبذها فضمت إليها وقيل لما اختلفت الصحابة رضي الله تعالى عنهم في أنهما سورة واحدة هي سابعة السبع الطوال أو سورتان تركت بينهما فرجة ولم يكتب بسم الله براءة من الله ورسوله أي هذه براءة ومن ابتدائية متعلقة بمحذوف تقديره واصلة من الله ورسوله ويجوز أن تكون براءة مبتدأ لتخصصها بصفتها والخبر إلى الذين عاهدتم من المشركين وقرئ بنصبها على اسمعوا براءة والمعنى أن الله ورسوله صلى الله عليه وسلم بريء من العهد الذي عاهدتم به المشركين وإنما علقت البراءة بالله وبرسوله والمعاهدة بالمسلمين للدلالة على أنه يجب عليهم نبذ عهود المشركين إليهم وإن كانت صادرة بإذن الله تعالى واتفاق الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم فإنهما بريئا منها وذلك أنهم عاهدوا مشركي العرب فنكثوا إلا أناسا منهم بني ضمرة وبني كنانة فأمرهم بنبذ العهد إلى الناكثين وأمهل المشركين أربعة أشهر ليسيروا أين شاؤوا فقال فسيحوا في الأرض أربعة أشهر شوال وذي القعدة وذي الحجة والمحرم لأنها نزلت في شوال وقيل هي عشرون من ذي الحجة والمحرم

اذ ليس فيما نزل بعد ما ينسخها فاقتلوا المشركين الناكثين حيث وجدتموهم من حل وحرم وخذوهم واسروهم
والاخيذ الاسير واحصروهم واحبسوهم او حيلوا بينهم وبين المسجد الحرام واقعدوا لهم كل مرصد كل ممر لئلا يتبسطوا
فى البلاد وانتصابه على الظرف فان تابوا عن الشرك بالايمان واقاموا الصلوة وآتوا الزكوة تصديقا لتوبتهم وايمانهم
فخلوا سبيلهم فدعوهم ولا تتعرضوا لهم بشىء من ذلك وفيه دليل على ان تارك الصلوة ومانع الزكوة لا يخلى سبيله ان الله غفور رحيم
تعليل للامر اى فخلوهم لان الله تعالى غفور رحيم غفر لهم ما سلف ووعدهم الثواب بالتوبة وان احد من المشركين المامور
بالتعرض لهم استجارك استامنك وطلب منك جوارك فاجره فامنه حتى يسمع كلام الله ويتدبره ويطلع على حقيقة
الامر ثم ابلغه مامنه موضع امنه ان لم يسلم واحد رفع بفعل يفسره ما بعده لا بالابتداء لان ان من عوامل الفعل
ذلك الامر بانهم قوم لا يعلمون ما الايمان وما حقيقة ما تدعوهم اليه فلا بد من امانهم ريثما يسمعون
ويتدبرون كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله استفهام بمعنى الانكار والاستبعاد لان يكون
لهم عهد ولا ينكثوه مع وغرة صدورهم او لان يفى الله ورسوله بالعهد وهم نكثوه وخبر يكون كيف وقدم
للاستفهام او للمشركين او عند الله وهو على الاولين صفة للعهد او ظرف له او ليكون وكيف على الاخيرين
حال من العهد وللمشركين ان لم يكن خبرا فتبيين الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام هم المستثنون قبل ومحله
النصب على الاستثناء او الجر على البدل او الرفع على ان الاستثناء منقطع اى ولكن الذين عاهدتم منهم عند المسجد الحرام
فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم اى فتربصوا امرهم فان استقاموا على العهد فاستقيموا على الوفاء وهو كقوله تعالى
فاتموا اليهم عهدهم غير انه مطلق وهذا مقيد وما تحتمل الشرطية والمصدرية ان الله يحب المتقين سبق بيانه
كيف تكرار لاستبعاد ثباتهم على العهد او بقاء حكمه مع التنبيه على العلة وحذف الفعل للعلم به كما فى قوله وخبرتمانى
انما الموت بالقرى فكيف وهاتا هضبة وقليب اى فكيف مات وان يظهروا عليكم اى وحالهم انهم ان يظفروا
بكم لا يرقبوا فيكم لا يراعوا فيكم الا حلفا وقيل قرابة قال حسان رضى الله تعالى عنه لعمرك ان الك من قريش
كال السقب من رأل النعام وقيل ربوبية ولعله اشتق للحلف من الال وهو الجؤار لانهم كانوا اذا تحالفوا
رفعوا اصواتهم وشهروه ثم استعير للقرابة لانها تعقد بين الاقارب ما لا يعقده الحلف ثم للربوبية والتربية
وقيل اشتقاقه من ال الشىء اذا حدده او من ال البرق اذا لمع وقيل انه عبرى بمعنى الاله لانه قرئ ايلا كجبرئل
وجبرئيل ولا ذمة عهدا او حقا يعاب على اغفاله يرضونكم بافواههم استئناف لبيان حالهم المنافية لثباتهم على العهد المؤدية
الى عدم مراقبتهم عند الظفر ولا يجوز جعله حالا من فاعل لا يرقبوا فانهم بعد ظهورهم لا يرضون ولان المراد اثبات
ارضائهم المؤمنين بوعد الايمان والطاعة والوفاء بالعهد فى الحال واستبطان الكفر والمعاداة بحيث ان ظفروا لم
يبقوا عليهم والحالة تنافيه وتابى قلوبهم ما تتفوه به افواههم واكثرهم فاسقون متمردون لا عقيدة تزعهم ولا مروة تردعهم
وتخصيص الاكثر لما فى بعض الكفرة من التفادى عن الغدر والتعفف عما يجر الى احدوثة السوء اشتروا بآيات الله استبدلوا
بالقرآن ثمنا قليلا عرضا يسيرا وهو اتباع الاهواء والشهوات فصدوا عن سبيله دينه الموصل اليه

حين كره بعضهم القتال وقيل للمنافقين وام منقطعة ومعنى الهمزة فيها التوبيخ على الحسبان ان تتركوا ولما يعلم
الله الذين جاهدوا منكم ولم يتبين الخلص منكم وهم الذين جاهدوا من غيرهم نفى العلم واراد نفي المعلوم للمبالغة
فانه كالبرهان عليه من حيث ان تعلق العلم به مستلزم لوقوعه ولم يتخذوا عطف على جاهدوا داخل في الصلة
من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة بطانة يوالونهم ويفشون اليهم اسرارهم وما في لما من معنى التوقع
منبه على ان تبين ذلك متوقع والله خبير بما تعملون يعلم غرضكم منه وهو كالمزيل لما يتوهم من ظاهر قوله ولما يعلم
الله ما كان للمشركين ما صح لهم ان يعمروا مساجد الله شيئا من المساجد فضلا عن المسجد الحرام وقيل هو المراد وانما جمع
لانه قبلة المساجد امامها فعامره كعامر الجميع ويدل عليه قراءة ابن كثير وابي عمرو ويعقوب بالتوحيد شاهدين
على انفسهم بالكفر باظهار الشرك وتكذيب الرسول وهو حال من الواو والمعنى ما استقام لهم ان يجمعوا بين امرين متنافيين
عمارة بيت الله تعالى وعبادة غيره روي انه لما اسر العباس عيره المسلمون بالشرك وقطيعة الرحم واغلظ له علي رضي
الله تعالى عنه في القول فقال ما لكم تذكرون مساوينا وتكتمون محاسننا انا لنعمر المسجد الحرام ونحجب الكعبة
ونسقي الحجيج ونفك العاني فنزلت اولئك حبطت اعمالهم التي يفتخرون بها بما قارنها من الشرك وفي النار هم خالدون لاجله
انما يعمر مساجد الله من امن بالله واليوم الاخر واقام الصلوة واتى الزكوة اي انما يستقيم عمارتها لهؤلاء الجامعين
للكمالات العلمية والعملية ومن عمارتها تزيينها بالفرش وتنويرها بالسرج وادامة العبادة والذكر ودرس العلم فيها وصيانتها
مما لم تبن له كحديث الدنيا وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى ان بيوتي في ارضي المساجد وان زواري فيها عمارها فطوبى
لعبد تطهر في بيته ثم زارني في بيتي فحق على المزور ان يكرم زائره وانما لم يذكر الايمان بالرسول لما علم ان الايمان
بالله تعالى قرينته وتمامه الايمان به ولدلالة قوله واقام الصلوة واتى الزكوة عليه ولم يخش الا الله اي في ابواب
الدين فان الخشية عن المحاذير جبلية لا يكاد العاقل يتمالك عنها فعسى اولئك ان يكونوا من
المهتدين ذكره بصيغة التوقع قطعا لاطماع المشركين في الاهتداء والانتفاع باعمالهم وتوبيخا لهم بالقطع
بانهم مهتدون فان هؤلاء مع كمالهم اذا كان اهتداؤهم دائرا بين عسى ولعل فما ظنك باضدادهم ومنعا
للمؤمنين ان يغتروا باحوالهم ويتكلوا عليها اجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن امن بالله واليوم الاخر
وجاهد في سبيل الله السقاية والعمارة مصدرا سقى وعمر فلا يشبهان بالجثث بل لا بد من اضمار تقديره اجعلتم
اهل سقاية الحاج كمن امن او اجعلتم سقاية الحاج كايمان من امن ويؤيد الاول قراءة من قرا سقاة الحاج وعمرة المسجد
والمعنى انكار ان يشبه المشركون واعمالهم المحبطة بالمؤمنين واعمالهم المثبتة ثم قرر ذلك بقوله لا يستوون
عند الله وبين عدم تساويهم بقوله والله لا يهدي القوم الظالمين اي الكفرة ظلمة بالشرك ومعاداة الرسول
صلى الله تعالى عليه وسلم منهمكون في الضلالة فكيف يساوون الذين هداهم الله تعالى ووفقهم للحق والصواب
وقيل المراد بالظالمين الذين يسوون بينهم وبين المؤمنين الذين امنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله باموالهم وانفسهم
اعظم درجة عند الله اعلى رتبة واكثر كرامة ممن لم يستجمع هذه الصفات او من اهل السقاية والعمارة

اوستة عشر على اختلاف الاقوال وعذب الذين كفروا بالقتل والاسر والسبي وذلك جزاء الكافرين اى ما فعل

بهم جزاء كفرهم فى الدنيا ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء منهم بالتوفيق للاسلام والله غفور رحيم يتجاوز عنهم

ويتفضل عليهم روى ان ناسا منهم جاؤا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم واسلموا وقالوا يا رسول الله انت خير الناس وابرهم

وقد سبى اهلونا واولادنا واخذت اموالنا وقد سبي يومئذ ستة الاف نفس واخذ من الابل والغنم ما لا يحصى

فقال صلى الله عليه وسلم اختاروا اما سباياكم واما اموالكم فقالوا ما كنا نعدل بالاحساب شيئا فقام رسول الله صلى الله

تعالى عليه وسلم وقال ان هؤلاء جاؤا مسلمين وانا خيرناهم بين الذرارى والاموال فلم يعدلوا بالاحساب شيئا فمن كان بيده

سبى وطابت نفسه ان يرده فشانه ومن لا فليعطنا وليكن قرضا علينا حتى نصيب شيئا فنعطيه مكانه

فقالوا رضينا وسلمنا فقال انى لا ادرى لعل فيكم من لا يرضى فمروا عرفاءكم فليرفعوا الينا فرفعوا انهم قد رضوا يا ايها

الذين آمنوا انما المشركون نجس لخبث باطنهم او لانه يجب ان يجتنب عنهم كما يجتنب عن الانجاس او لانهم لا يتطهرون و

لا يجتنبون عن النجاسات فهم ملابسون لها غالبا وفيه دليل على ان ما الغالب نجاسته نجس وعن ابن عباس رضى الله

تعالى عنهما ان اعيانهم نجسة كالكلاب وقرئ نجس بالسكون وكسر النون وهو تخفيف نجس ككبد فى كبد واكثر ما جاء

تابعا لرجس فلا يقربوا المسجد الحرام لنجاستهم وانما نهى عن الاقتراب للمبالغة او للمنع عن دخول الحرم وقيل المراد به النهى

عن الحج والعمرة لا عن الدخول مطلقا واليه ذهب ابو حنيفة رحمه الله تعالى وقاس مالك سائر المساجد على المسجد

الحرام فى المنع وفيه دليل على ان الكفار مخاطبون بالفروع بعد عامهم هذا يعنى سنة براءة وهى التاسعة وقيل سنة

حجة الوداع وان خفتم عيلة فقرا بسبب منعهم من الحرم وانقطاع ما كان لكم من قدومهم من المكاسب والارفاق فسوف

يغنيكم الله من فضله من عطائه او تفضله بوجه آخر وقد انجز وعده بان ارسل السماء عليهم مدرارا ووفق اهل

تبالة وجرش فاسلموا وامتاروا لهم ثم فتح عليهم البلاد والغنائم وتوجه اليهم الناس من اقطار الارض وقرئ عائلة

على انها مصدر كالعافية او حال ان شاء قيده بالمشيئة لتنقطع الآمال الى الله تعالى ولينبه على انه متفضل فى

ذلك وان الغنى الموعود يكون لبعض دون بعض وفى عام دون عام ان الله عليم باحوالكم حكيم فيما يعطى

ويمنع قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر اى لا يؤمنون بهما على ما ينبغى كما بيناه فى اول البقرة فان ايمانهم

كلا ايمان ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ما ثبت تحريمه بالكتاب والسنة وقيل رسوله هو الذى يزعمون اتباعه والمعنى

انهم يخالفون اصل دينهم المنسوخ اعتقادا وعملا ولا يدينون دين الحق الثابت الذى هو ناسخ سائر الاديان ومبطلها

من الذين اوتوا الكتاب بيان للذين لا يؤمنون حتى يعطوا الجزية ما تقرر عليهم ان يعطوه مشتق من جزى دينه اذا

قضاه عن يد حال من الضمير اى عن يد مواتية بمعنى منقادين او عن يدهم بمعنى مسلمين بايديهم غير باعثين بايدى

غيرهم ولذلك منع من التوكيل فيه او عن غنى ولذلك قيل لا تؤخذ من الفقير او عن يد قاهرة عليهم بمعنى عاجزين

اذلاء او عن انعام عليهم فان ابقاءهم بالجزية نعمة عظيمة او من الجزية بمعنى نقدا مسلمة عن يد الى يد وهم صاغرون

اذلاء وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما تؤخذ الجزية من الذمى وتوجأ عنقه ومفهوم الآية يقتضى

٣٣١

للا لانه ماقبله عليه هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ كالبيان لقوله ويابى الله الا ان
يتم نوره ولذلك كرر وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ غير انه وضع المشركون موضع الكافرون للدلالة على انهم ضموا
الكفر بالرسول الى الشرك بالله والضمير في ليظهره للدين الحق اوللرسول واللام في الدين للجنس اي على سائر الاديان
فينسخها او على اهلها فيخذلهم يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ
ياخذونها بالرشى في الاحكام سمي اخذ المال اكلا لانه الغرض الاعظم منه وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ دينه وَالَّذِينَ
يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ يجوز ان يراد به الكثير من الاحبار والرهبان فيكون
مبالغة في وصفهم بالحرص على المال والضن بها وان يراد المسلمون الذين يجمعون المال ويقتنونه ولا يؤدون حقه
ويكون اقترانه بالمرتشين من اهل الكتاب للتغليظ ويدل عليه انه لما نزل كبر على المسلمين فذكر عمر رضي الله تعالى
عنه لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال ان الله تعالى لم يفرض الزكوة الا ليطيب بها مابقي من اموالكم وقوله صلى الله
عليه وسلم ما ادي زكوته فليس بكنز اي بكنز اوعد عليه فان الوعيد على الكنز مع عدم الانفاق فيما امر الله تعالى ان
ينفق فيه واما قوله صلى الله تعالى عليه وسلم من ترك صفراء وبيضاء كوي بها ونحوه فالمراد منها مالم يؤد حقها
لقوله عليه السلام فيما اورده الشيخان مرويا عن ابي هريرة مامن صاحب ذهب ولا فضة لايؤدي منها حقها الا اذا
كان يوم القيمة صفحت له صفائح من نار فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ هو الكي بهما يَوْمَ يُحْمَىٰ
عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ اي يوم القيمة توقد النار ذات حمي شديد عليها واصله تحمى بالنار فجعل الاحماء للنار مبالغة
ثم حذف النار واسند الفعل الى الجار والمجرور تنبيها على المقصود فانتقل من صيغة التانيث الى صيغة
التذكير وانما قال عليها والمذكور شيئان لان المراد بهما دراهم ودنانير كثيرة كما قال علي رضي الله تعالى عنه
اربعة الاف فما دونها نفقة ومافوقها كنز وكذا قوله ولا ينفقونها وقيل الضمير فيهما للكنوز او للاموال فان
الحكم عام وتخصيصهما بالذكر لانهما قانون التمول او للفضة وتخصيصها لقربها ودلالة حكمها
على ان الذهب اولى بهذا الحكم فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ لان جمعهم وامساكهم
كان لطلب الوجاهة بالغنى والتنعم بالمطاعم الشهية والملابس البهية او لانهم ازوروا عن السائل واعرضوا عنه
وولوه ظهورهم او لانها اشرف الاعضاء الظاهرة فانها المشتملة على الاعضاء الرئيسة التي هي الدماغ والقلب
والكبد او لانها اصول الجهات الاربع التي هي مقاديم البدن ومآخيره وجنبتاه هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ على ارادة القول
لِأَنفُسِكُمْ لمنفعتها وكان عين مضرتها وسبب تعذيبها فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ اي وبال كنزكم او ماتكنزونه
وقرئ تكنزون بضم النون إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ اي مبلغ عددها عِندَ اللَّهِ معمول عدة لانها مصدر اثْنَا عَشَرَ
شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ في اللوح المحفوظ او في حكمه وهو صفة لاثنا عشر وقوله يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ
متعلق بما فيه من معنى الثبوت او بالكتاب ان جعل مصدرا والمعنى ان هذا امر ثابت في نفس الامر منذ خلق
الله تعالى الاجرام والازمنة مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ واحد فرد وهو رجب وثلثة سرد ذو القعدة وذو الحجة والمحرم

على لغة من يجري المنقوص مجرى المقصور في الاعراب ونصبه على الحال اذ هما في الغار بدل من اذ اخرجه بدل البعض
اذ المراد به زمان متسع والغار ثقب في اعلى ثور وهو جبل في يمنى مكة على مسيرة ساعة مكثا فيه ثلاثا اذ
يقول بدل ثان او ظرف لثاني لصاحبه وهو ابو بكر رضي الله تعالى عنه لا تحزن ان الله معنا بالعصمة والمعونة روي ان المشركين
طلعوا فوق الغار فاشفق ابو بكر رضي الله تعالى عنه على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال عليه السلام ما ظنك باثنين الله
ثالثهما فاعماهم الله تعالى عن الغار فجعلوا يترددون حوله فلم يروه وقيل لما دخلا الغار بعث الله تعالى حمامتين فباضتا
في اسفله والعنكبوت فنسجت عليه فانزل الله سكينته امنته التي تسكن عندها القلوب عليه على النبي او على صاحبه
وهو الاظهر لانه كان منزعجا وايده بجنود لم تروها يعني الملائكة انزلهم ليحرسوه في الغار او ليعينوه على العدو يوم
بدر والاحزاب وحنين فتكون الجملة معطوفة على قوله نصره الله وجعل كلمة الذين كفروا السفلى يعني الشرك او دعوة
الكفر وكلمة الله هي العليا يعني التوحيد او دعوة الاسلام والمعنى وجعل ذلك بتخليص الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم
عن ايدي الكفار الى المدينة فانه المبدأ له او بتأييده اياه بالملائكة في هذه المواطن او بحفظه ونصره له حيث
حضر وقرأ يعقوب وكلمة الله بالنصب عطفا على كلمة الذين والرفع ابلغ لما فيه من الاشعار بان كلمة الله عالية في
نفسها وان فاق غيرها فلا ثبات لتفوقه ولا اعتبار ولذلك وسط الفصل والله عزيز حكيم في امره وتدبيره
انفروا خفافا لنشاطكم له وثقالا عنه لمشقته عليكم او لقلة عيالكم ولكثرتها او ركبانا ومشاة او خفافا وثقالا
من السلاح او صحاحا ومراضا ولذلك لما قال ابن ام مكتوم لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اعلي ان انفر قال نعم حتى نزل
ليس على الاعمى حرج وجاهدوا باموالكم وانفسكم في سبيل الله بما امكن لكم منهما كليهما او احدهما ذلكم خير
لكم من تركه ان كنتم تعلمون الخير علمتم انه خير او ان كنتم تعلمون انه خير اذ اخبار الله تعالى به صدق فبادروا اليه
لو كان عرضا قريبا اي لو كان ما دعوا اليه نفعا دنيويا قريبا سهل المأخذ وسفرا قاصدا متوسطا لاتبعوك لوافقوك
ولكن بعدت عليهم الشقة المسافة التي تقطع بمشقة وقرئ بكسر العين والشين وسيحلفون بالله اي المتخلفون اذا رجعت
من تبوك معتذرين لو استطعنا يقولون لو كان لنا استطاعة العدة او البدن وقرئ لو استطعنا بضم الواو تشبيها لها بواو الضمير في
قوله اشتروا الضلالة لخرجنا معكم ساد مسد جوابي القسم والشرط وهذا من المعجزات لانه اخبار عما وقع قبل وقوعه
يهلكون انفسهم بايقاعها في العذاب وهو بدل من سيحلفون لان الحلف الكاذب ايقاع للنفس في الهلاك او حال من
فاعله والله يعلم انهم لكاذبون في ذلك لانهم كانوا مستطيعين الخروج عفا الله عنك كناية عن خطائه في الاذن
فان العفو من روادفه لم اذنت لهم بيان لما كنى عنه بالعفو ومعاتبة عليه والمعنى لاي شيء اذنت لهم في القعود
حين استأذنوك واعتلوا باكاذيب وهلا توقفت حتى يتبين لك الذين صدقوا في الاعتذار وتعلم
الكاذبين فيه قيل انما فعل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم شيئين لم يؤمر بهما اخذه الفداء واذنه للمنافقين
فعاتبه الله تعالى عليهما لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم اي ليس من
عادة المؤمنين ان يستأذنوك في ان يجاهدوا وان الخلص منهم يبادرون اليه ولا يوقفونه على الاذن فيه فضلا

قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا الا ما اختصنا باثباته وايجابه من النصرة او الشهادة او ما كتب لاجلنا في
اللوح المحفوظ لا يتغير بموافقتكم ومخالفتكم وقرئ هل يصيبنا وهل يصيبنا وهو من فيعل لا من فعل لانه
من بنات الواو لقولهم صاب السهم يصوب واشتقاقه من الصواب لانه وقوع الشيء فيما قصد به وقيل من الصوب
هو مولانا ناصرنا ومتولي امرنا وعلى الله فليتوكل المؤمنون لان حقهم ان لا يتوكلوا على غيره
قل هل تربصون بنا تنتظرون بنا الا احدى الحسنيين الا احدى العاقبتين اللتين كل منهما حسنى العواقب
النصرة والشهادة ونحن نتربص بكم ايضا احدى السوأيين ان يصيبكم الله بعذاب من
عنده بقارعة من السماء او بايدينا او بعذاب بايدينا وهو القتل على الكفر فتربصوا ما هو عاقبتنا
انا معكم متربصون ما هو عاقبتكم قل انفقوا طوعا او كرها لن يتقبل منكم امر في معنى الخبر اي لن يتقبل منكم
نفقاتكم انفقتم طوعا او كرها وفائدته المبالغة في تساوي الامرين في عدم القبول كانهم امروا بان
يمتحنوا فينفقوا وينظروا هل يتقبل منهم وهو جواب قول جد بن قيس اعينك بمالي ونفي التقبل يحتمل امرين
ان لا يؤخذ منهم وان لا يثابوا عليه وقوله انكم كنتم قوما فاسقين تعليل له على سبيل الاستيناف
وما بعده بيان وتقرير له وما منعهم ان تقبل منهم نفقاتهم الا انهم كفروا بالله وبرسوله اي وما منعهم
قبول نفقاتهم الا كفرهم وقرا حمزة والكسائي ان يقبل بالياء لان تانيث النفقات غير حقيقي وقرئ
يقبل نفقاتهم على ان الفعل لله ولا ياتون الصلوة الا وهم كسالى متثاقلين ولا ينفقون الا وهم
كارهون لانهم لا يرجون بهما ثوابا ولا يخافون على تركهما عقابا فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم فان
ذلك استدراج ووبال لهم كما قال انما يريد الله ليعذبهم بها في الحيوة الدنيا بسبب ما يكابدون لجمعها وحفظها من المتاعب
وما يرون فيها من الشدائد والمصائب وتزهق انفسهم وهم كافرون فيموتوا كافرين مشتغلين بالتمتع
عن النظر في العاقبة فيكون ذلك استدراجا لهم واصل الزهوق الخروج بصعوبة ويحلفون بالله انهم
لمنكم لمن جملة المسلمين وما هم منكم لكفر قلوبهم ولكنهم قوم يفرقون يخافون منكم ان تفعلوا بهم
ما تفعلون بالمشركين فيظهرون الاسلام تقية لو يجدون ملجأ حصنا يلجاون اليه او مغارات غيرانا او مدخلا
نفقا ينجحرون فيه مفتعل من الدخول وقرا يعقوب مدخلا من دخل وقرئ مدخلا اي مكانا يدخلون فيه
انفسهم ومتدخلا ومندخلا من تدخل واندخل لولوا اليه لاقبلوا نحوه وهم يجمحون يسرعون اسراعا
لا يردهم شيء كالفرس الجموح وقرئ يجمزون ومنه الجمازة ومنهم من يلمزك يعيبك وقرا يعقوب يلمزك
بالضم وابن كثير يلامزك في الصدقات في قسمها فان اعطوا منها رضوا وان لم يعطوا منها اذا هم
يسخطون قيل انها نزلت في ابي الجواظ المنافق قال الا ترون الى صاحبكم انما يقسم صدقاتكم في رعاة الغنم
ويزعم انه يعدل وقيل في ابن ذي الخويصرة راس الخوارج كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم غنائم
حنين فاستعطف قلوب اهل مكة بتوفير الغنائم عليهم فقال اعدل يا رسول الله فقال ويلك ان لم اعدل

سمي بالجارحة للمبالغة كأنه من فرط استماعه صار جملته آلة السماع كما سمي الجاسوس عيناً لذلك أو اشتق
له فعل من أذن أذناً إذا استمع كأنف وشلل روي أنهم قالوا محمد أذن سامعة نقول ما شئنا ثم نأتيه
فيصدقنا بما نقول قل أذن خير لكم تصديق لهم بأنه أذن ولكن لا على الوجه الذي ذموا به بل من حيث
أنه يسمع الخير ويقبله ثم فسر ذلك بقوله يؤمن بالله يصدق به لما قام عنده من الأدلة ويؤمن
للمؤمنين ويصدقهم لما علم من خلوصهم واللام مزيدة للتفرقة بين إيمان التصديق فإنه بمعنى التسليم
وإيمان الأمان ورحمة أي وهو رحمة للذين آمنوا منكم لمن أظهر الإيمان حيث يقبله ولا يكشف سره
وفيه تنبيه على أنه ليس يقبل قولكم جهلاً بحالكم بل رفقاً بكم وترحماً عليكم وقرأ حمزة ورحمة بالجر عطفاً
على خير وقرئت بالنصب على أنها علة فعل دل عليه أذن خير أي يأذن لكم رحمة وقرأ نافع أذن بالتخفيف
فيهما وقرئ أذن خير على أن خير صفة له أو خبر ثان والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم بإيذائه
يحلفون بالله لكم على معاذيرهم فيما قالوا أو تخلفوا ليرضوكم أي ليرضوا المؤمنين والخطاب للمؤمنين
والله ورسوله أحق أن يرضوه بالطاعة والوفاق وتوحيد الضمير لتلازم الرضاءين
أو لأن الكلام في إيذاء الرسول وإرضائه أو لأن التقدير والله أحق أن يرضوه والرسول كذلك إن كانوا مؤمنين
صدقاً ألم يعلموا أنه أن الشأن وقرئ بالتاء من يحادد الله ورسوله يشاقق مفاعلة من الحد فأن
له نار جهنم خالداً فيها على حذف الخبر أي فحق أن له أو على تكرير أن للتأكيد ويحتمل أن يكون معطوفاً على أنه
ويكون الجواب محذوفاً تقديره من يحادد الله ورسوله يهلك وقرئ فإن بالكسر ذلك الخزي العظيم
يعني الهلاك الدائم يحذر المنافقون أن تنزل عليهم على المؤمنين سورة تنبئهم بما في قلوبهم وتهتك عليهم
أستارهم ويجوز أن تكون الضمائر للمنافقين فإن النازل فيهم كالنازل عليهم من حيث إنه مقروء ومحتج
به عليهم وذلك يدل على ترددهم أيضاً في كفرهم وأنهم لم يكونوا على بت في أمر الرسول بشيء وقيل إنه خبر
في معنى الأمر وقيل إنهم كانوا يقولونه فيما بينهم استهزاء لقوله قل استهزئوا إن الله مخرج مبرز أو مظهر
ما تحذرون أي ما تحذرونه من إنزال السورة فيكم أو ما تحذرون إظهاره من مساويكم ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا
نخوض ونلعب روي أن ركب المنافقين مروا على رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك فقالوا انظروا إلى هذا الرجل يريد
أن يفتح قصور الشام وحصونه هيهات هيهات فأخبر الله به نبيه فدعاهم فقال قلتم كذا وكذا فقالوا لا والله ما كنا
في شيء من أمرك وأمر أصحابك ولكن كنا في شيء مما يخوض فيه الركب ليقصر بعضنا على بعض السفر قل
أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون توبيخاً على استهزائهم بمن لا يصح الاستهزاء به وإلزاماً للحجة
عليهم ولا تعبأ باعتذارهم الكاذب لا تعتذروا لا تشتغلوا باعتذاراتكم فإنها معلومة الكذب قد كفرتم قد
أظهرتم الكفر بإيذاء الرسول والطعن فيه بعد إيمانكم بعد إظهاركم الإيمان إن نعف عن طائفة منكم
لتوبتهم وإخلاصهم أو لتجنبهم عن الإيذاء والاستهزاء نعذب طائفة بأنهم كانوا مجرمين مصرين على الإجرام

لم ترها عين ولم تخطر على قلب بشر لا يسكنها غير ثلثة النبيون والصديقون والشهداء يقول الله تع طوبى
لمن دخلك ومرجع العطف فيها يحتمل ان يكون الى تعدد الموعود لكل واحد او للجميع على سبيل التوزيع او الى تغاير
وصفه فكانه وصفه اولا بانه من جنس ما هو ابهى الاماكن التي يعرفونها لتميل اليه طباعهم اول ما يقرع اسماعهم
ثم وصفه بانه محفوف بطيب العيش معرى عن شوائب الكدورات التي لا تخلو عن شيء منها اماكن الدنيا
وفيها ما تشتهيه الانفس وتلذ الاعين ثم وصفه بانه دار اقامة وثبات في جوار العليين لا يعتريهم فيها
فناء ولا تغير ثم وعدهم بما هو اكبر من ذلك فقال ورضوان من الله اكبر لانه المبدأ لكل سعادة
وكرامة والمودي الى نيل الوصول والفوز باللقاء وعنه عم ان الله تع يقول لاهل الجنة هل رضيتم فيقولون وما لنا لا نرضى
وقد اعطيتنا ما لم تعط احدا من خلقك فيقول انا اعطيكم افضل من ذلك قالوا واي شيء افضل من ذلك فقال
احل عليكم رضواني فلا اسخط عليكم ابدا ذلك اي الرضوان او جميع ما تقدم هو الفوز العظيم الذي يستحقر
دونه الدنيا وما فيها يا ايها النبي جاهد الكفار بالسيف والمنافقين بالزام الحجة واقامة الحدود واغلظ عليهم
في ذلك ولا تحابهم ومأويهم جهنم وبئس المصير مصيرهم يحلفون بالله ما قالوا روي انه عم اقام في غزوة
تبوك شهرين ينزل عليه القرآن ويعيب المتخلفين فقال الجلاس بن سويد لئن كان ما يقول محمد لاخواننا حقا لنحن
شر من الحمير فبلغ رسول الله فاستحضره فحلف بالله ما قاله فنزلت فتاب الجلاس وحسنت توبته ولقد قالوا
كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم واظهروا الكفر بعد اظهار اسلامهم وهموا بما لم ينالوا من قتل الرسول
وهو ان خمسة عشر منهم توافقوا عند مرجعه من تبوك ان يدفعوه عن راحلته الى الوادي اذا تسنم العقبة
بالليل فاخذ عمار بن ياسر بخطام راحلته يقودها وحذيفة خلفها يسوقها فبيناهما كذلك اذ سمع حذيفة
بوقع اخفاف الابل وبقعقعة السلاح فقال اليكم اليكم يا اعداء الله فهربوا او باخراجه واخراج المؤمنين
من المدينة او بان يتوجوا عبد الله بن ابي وان لم يرض رسول الله وما نقموا وما انكروا او وما وجدوا ما يورث
نقمتهم الا ان اغناهم الله ورسوله من فضله فان اكثر اهل المدينة كانوا محاويج في ضنك من العيش فلما
قدمهم رسول الله صلعم اثروا بالغنائم وقتل للجلاس مولى فامر رسول الله بديته اثني عشر الف درهم فاستغنى
والاستثناء مفرغ من اعم المفاعيل او العلل فان يتوبوا يك خيرا لهم هو الذي حمل الجلاس على التوبة والضمير
في يك للتوب وان يتولوا بالاصرار على النفاق يعذبهم الله عذابا اليما في الدنيا والآخرة بالقتل والنار
وما لهم في الارض من ولي ولا نصير فينجيهم من العذاب ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن
ولنكونن من الصالحين نزلت في ثعلبة بن حاطب اتى النبي صلعم وقال ادع الله ان يرزقني مالا فقال عم
يا ثعلبة قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه فراجعه وقال والذي بعثك بالحق لئن رزقني مالا
لاعطين كل ذي حق حقه فدعا له فاتخذ غنما فنمت كما ينمي الدود حتى ضاقت بها المدينة فنزل واديا وانقطع
عن الجماعة والجمعة فسأل عنه رسول الله صلعم فقيل كثر ماله حتى لا يسعه واد فقال يا ويح ثعلبة فبعث رسول الله

به التكثير دون التحديد وقد شاع استعمال السبعة والسبعين والسبعمائة ونحوها في التكثير لاشتمال
السبعة على جملة اقسام العدد فكانه العدد باسره ذلك بانهم كفروا بالله ورسوله اشارة الى ان الياس من
المغفرة وعدم قبول استغفارك ليس لبخل منا ولا قصور فيك بل لعدم قابليتهم بسبب الكفر الصارف عنها
والله لا يهدي القوم الفسقين المتمردين في كفرهم وهو كالدليل على الحكم السابق فان مغفرة الكافر بالاقلاع
عن الكفر والارشاد الى الحق والمنهمك في كفره المطبوع عليه لا ينقلع ولا يهتدي والتنبيه على عذر الرسول
في استغفاره وهو عدم ياسه من ايمانهم ما لم يعلم انهم مطبوعون على الضلالة والممنوع هو الاستغفار بعد العلم
لقوله ما كان للنبي والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا اولي قربى من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب
الجحيم فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله بقعودهم عن الغزو خلفه يقال اقام خلاف
الحي اي بعدهم ويجوز ان يكون بمعنى المخالفة فيكون انتصابه على العلة او الحال وكرهوا ان يجاهدوا باموالهم
وانفسهم في سبيل الله ايثارا للدعة والخفض على طاعة الله وفيه تعريض بالمؤمنين الذين اثروا عليها
تحصيل رضاه ببذل الاموال والمهج وقالوا لا تنفروا في الحر اي قاله بعضهم لبعض او قالوه للمؤمنين تثبيطا
قل نار جهنم اشد حرا وقد اثرتموها بهذه المخالفة لو كانوا يفقهون ان مابهم اليها او انها كيف هي
ما اختاروها بايثار الدعة على الطاعة فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا جزاء بما كانوا يكسبون اخبار
عما يؤول اليه حالهم في الدنيا والاخرة اخرجه على صيغة الامر للدلالة على انه حتم واجب ويجوز ان
يكون الضحك والبكاء كنايتين عن السرور والغم والمراد من القلة العدم فان رجعك الله الى طائفة
منهم فان ردك الى المدينة وفيها طائفة من المتخلفين يعني منافقيهم فان كلهم لم يكونوا منافقين او من
بقي منهم وكان المتخلفون اثني عشر رجلا فاستاذنوك للخروج الى غزوة اخرى بعد تبوك فقل لن تخرجوا معي
ابدا ولن تقاتلوا معي عدوا اخبار في معنى النهي للمبالغة انكم رضيتم بالقعود اول مرة تعليل له
وكان اسقاطهم عن ديوان الغزاة عقوبة لهم على تخلفهم واول مرة هي الخرجة الى غزوة تبوك فاقعدوا مع الخالفين
اي المتخلفين لعدم لياقتهم للجهاد كالنساء والصبيان وقرئ مع الخلفين على قصر الخالفين ولا تصل على احد منهم مات
ابدا روي ان ابن ابي دعا رسول الله في مرضه فلما دخل عليه ساله ان يستغفر له ويكفنه في شعاره الذي
يلي جسده ويصلي عليه فلما مات ارسل قميصه ليكفن فيه وذهب ليصلي عليه فنزلت وقيل صلى عليه ثم
نزلت وانما لم ينه عن التكفين في قميصه ونهي عن الصلوة عليه لان الضنة بالقميص كان مخلا بالكرم
ولانه كان مكافاة لالباسه العباس قميصه حين اسر ببدر والمراد من الصلوة الدعاء للميت والاستغفار
له وهو ممنوع في حق الكافر ولذلك رتب النهي على قوله مات ابدا يعني الموت على الكفر فان احياء الكافر للتعذيب
دون التمتع فكانه لم يحي ولا تقم على قبره ولا تقف عند قبره للدفن او للزيارة انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا
وهم فاسقون تعليل للنهي او لتابيد الموت ولا تعجبك اموالهم واولادهم انما يريد الله

سويد والنعمان وقيل ابو موسى واصحابه قلت لا اجد ما احملكم عليه حال من الكاف في اتوك باضمار قد تولوا
جواب اذا واعينهم تفيض تسيل من الدمع اي دمعا فان من للبيان وهي مع المجرور في محل النصب على التمييز وهو ابلغ من
يفيض دمعها لانه يدل على ان العين صارت دمعا فياضا حزنا نصب على العلة او الحال او المصدر لفعل
دل عليه ما قبله الا يجدوا اي لئلا يجدوا متعلق بحزنا او بتفيض ما ينفقون في مغزاهم انما السبيل
بالمعاتبة على الذين يستأذنونك وهم اغنياء واجدون للاهبة رضوا بان يكونوا مع الخوالف استئناف لبيان
ما هو السبب لاستئذانهم من غير عذر وهو رضاهم بالدناءة والانتظام في جملة الخوالف ايثارا للدعة وطبع
الله على قلوبهم حتى غفلوا عن وخامة العاقبة فهم لا يعلمون مغبته **يعتذرون اليكم**
في التخلف اذا رجعتم اليهم من هذه السفرة قل لا تعتذروا بالمعاذير الكاذبة لانه لن نؤمن لكم لن نصدقكم
لانه قد نبأنا الله من اخباركم اعلمنا بالوحي الى نبيه بعض اخباركم وهو ما في ضمائركم من الشر
والفساد وسيرى الله عملكم ورسوله اتتوبون عن الكفر ام تثبتون عليه وكانه استتابة وامهال للتوبة
ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة اي اليه فوضع الوصف موضع الضمير للدلالة على انه مطلع على سرهم
وعلنهم لا يفوت عن علمه شيء من ضمائرهم واعمالهم فينبئكم بما كنتم تعملون بالتوبيخ والعقاب عليه سيحلفون
بالله لكم اذا انقلبتم اليهم لتعرضوا عنهم فلا تعاتبوهم فاعرضوا عنهم ولا توبخوهم انهم رجس لا ينفع
فيهم التأنيب فان المقصود منه التطهير بالحمل على الانابة وهؤلاء ارجاس لا تقبل التطهير فهو علة
الاعراض وترك المعاتبة ومأواهم جهنم من تمام التعليل وكانه قال انهم ارجاس من اهل النار لا ينفع
فيهم التوبيخ في الدنيا والآخرة او تعليل ثان والمعنى ان النار كفتهم عتابا فلا تتكلفوا عتابهم
جزاء بما كانوا يكسبون يجوز ان يكون مصدرا وان يكون علة يحلفون لكم لترضوا عنهم بحلفهم
فتستديموا عليهم ما كنتم تفعلون بهم فان ترضوا عنهم فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين اي
فان رضاكم لا يستلزم رضا الله ورضاكم وحدكم لا ينفعهم اذا كانوا في سخط الله وبصدد عقابه او ان امكنهم
ان يلبسوا عليكم لا يمكنهم ان يلبسوا على الله تعالى فلا يهتك سترهم ولا ينزل الهوان بهم والمقصود من
الآية النهي عن الرضا عنهم والاغترار بمعاذيرهم بعد الامر بالاعراض وعدم الالتفات نحوهم الاعراب
اهل البدو اشد كفرا ونفاقا من اهل الحضر لتوحشهم وقساوتهم وعدم مخالطتهم لاهل العلم وقلة استماعهم
للكتاب والسنة واجدر الا يعلموا واحق بان لا يعلموا حدود ما انزل الله على رسوله من الشرائع فرائضها و
سننها والله عليم يعلم حال كل احد من اهل الوبر والمدر حكيم فيما يصيب به مسيئهم ومحسنهم عقابا
وثوابا ومن الاعراب من يتخذ يعد ما ينفق يصرفه في سبيل الله ويتصدق به مغرما غرامة وخسرانا اذ
لا يحتسبه عند الله ولا يرجو عليه ثوابه وانما ينفق رياء او تقية ويتربص بكم الدوائر دوائر الزمان ونوبه
لينقلب الامر عليكم فيتخلص من الانفاق عليهم دائرة السوء اعتراض بالدعاء عليهم بنحو ما يتربصونه

ان لا يحلوا انفسهم حتى يحلهم فقال وانا اقسم ان لا احلهم حتى اومر فيهم فنزلت فاطلقهم خلطوا عملا صالحا
وآخر سيئا خلطوا العمل الصالح الذي هو اظهار الندم والاعتراف بالذنب بآخر سيئ هو التخلف و
موافقة اهل النفاق والواو اما بمعنى الباء كما في قولهم بعت الشاء شاة ودرهما او للدلالة على ان
كل واحد منهما مخلوط بالآخر عسى الله ان يتوب عليهم ان يقبل توبتهم وهي مدلول عليها بقوله اعترفوا
بذنوبهم ان الله غفور رحيم يتجاوز عن التائب ويتفضل عليه خذ من اموالهم صدقة روي انهم لما
اطلقوا قالوا يا رسول الله هذه اموالنا التي خلفتنا فتصدق بها وطهرنا فقال ما امرت ان اخذ من اموالكم
شيئا فنزلت تطهرهم عن الذنوب او حب المال المؤدي بهم الى مثله وقرئ تطهرهم من اطهره بمعنى طهره
وتزكيهم بها وتنمي بها حسناتهم وترفعهم الى منازل المخلصين وصل عليهم
واعطف عليهم بالدعاء والاستغفار لهم ان صلوتك سكن لهم تسكن اليها نفوسهم وتطمئن بها
قلوبهم وجمعها لتعدد المدعو لهم وقرأ حمزة والكسائي وحفص بالتوحيد والله سميع باعترافهم عليم
بندامتهم الم يعلموا الضمير اما للمتوب عليهم والمراد ان يمكن في قلوبهم قبول توبتهم والاعتداد بصدقاتهم
او لغيرهم والمراد به التحضيض عليها ان الله هو يقبل التوبة عن عباده اذا صحت وتعديته بعن لتضمنه
معنى التجاوز ويأخذ الصدقات يقبلها قبول من يأخذ شيئا ليؤدي بدله وان الله هو التواب الرحيم
وان من شأنه قبول توبة التائبين والتفضل عليهم وقل اعملوا ما شئتم فسيرى الله عملكم فانه لا يخفى
عليه خيرا كان او شرا ورسوله والمؤمنون فانه تع لا يخفى عنهم كما رأيتم وتبين لكم وستردون الى عالم
الغيب والشهادة بالموت فينبئكم بما كنتم تعملون بالمجازاة عليه وآخرون من المتخلفين مرجون
مؤخرون اي موقوف امرهم من ارجأته اذا اخرته وقرأ نافع وحمزة والكسائي وحفص مرجون بالواو وهما لغتان
لامر الله في شأنهم اما يعذبهم ان اصروا على النفاق واما يتوب عليهم ان تابوا والترديد للعباد وفيه دليل
على ان كلا الامرين بارادة الله تع والله عليم باحوالهم حكيم فيما يفعل بهم وقرئ والله غفور رحيم
والمراد بهؤلاء كعب بن مالك وهلال بن امية ومرارة بن الربيع امر رسول الله عم اصحابه ان لا يسلموا عليهم ولا يكلموهم
فلما رأوا ذلك اخلصوا نياتهم وفوضوا امرهم الى الله فرحمهم الله والذين اتخذوا مسجدا عطف
على وآخرون مرجون او مبتدأ خبره محذوف اي وفيمن وصفنا الذين اتخذوا او منصوب
على الاختصاص وقرأ نافع وابن عامر بغير واو ضرارا مضارة للمؤمنين روي ان بني عمرو بن
عوف لما بنوا مسجد قباء سألوا رسول الله عم ان يأتيهم فأتاهم فصلى فيه فحسدتهم اخوانهم بنو غنم
بن عوف فبنوا مسجدا على قصد ان يؤمهم فيه ابو عامر الراهب اذا قدم من الشام فلما اتموه
أتوا رسول الله عم فقالوا انا قد بنينا مسجدا لذي الحاجة والعلة والليلة المطيرة والشاتية فصل فيه
حتى نتخذه مصلى فاخذ ثوبه ليقوم معهم فنزلت فدعا بمالك بن الدخشم ومعن بن عدي وعامر

بنيانه على الاضافة واُسس واَساس بالكسر وثلثتها جمع اُسّ وتقوى بالتنوين على ان الالف للالحاق
لا للتانيث كتترى وقرأ ابن عامر وحمزة وابوبكر جُرْف بالتخفيف والله لا يهدي القوم الظالمين
الى ما فيه صلاح ونجاة لا يزال بنيانهم الذي بنوا بناءهم الذي بنوه مصدر اريد به المفعول وليس بجمع ولذلك
قد يدخله التاء ووصف بالمفرد واخبر عنه بقوله ريبة في قلوبهم اي شكا ونفاقا والمعنى ان بناءهم هذا
لا يزال سبب شكهم وتزايد نفاقهم فانه حملهم على ذلك ثم لما هدمه الرسول عم رسخ ذلك في قلوبهم
وازداد بحيث لا يزول وسمه عن قلوبهم الا ان تقطع قلوبهم قطعا بحيث لا يبقى لها قابلية الادراك
والاضمار وهو في غاية المبالغة والاستثناء من اعم الازمنة وقيل المراد بالتقطع ما هو كائن بالقتل او في القبر
او في النار وقيل التقطع بالتوبة ندما واسفا وقرأ يعقوب الى بحرف الانتهاء وتقطع بمعنى تتقطع وهو قراءة
ابن عامر وحمزة وحفص وقرئ يقطع بالياء ويقطع بالتخفيف وتقطع قلوبهم على خطاب الرسول عم او كل مخاطب
ولو قطعت على البناء للفاعل والمفعول والله عليم بنياتهم حكيم فيما امر بهدم بنائهم ان الله اشترى من
المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة تمثيل لاثابة الله تع اياهم الجنة على بذل انفسهم واموالهم في سبيله
يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون استئناف ببيان ما لاجله الشرى وقيل يقاتلون في معنى الامر
وقرأ حمزة والكسائي بتقديم المبني للمفعول وقد عرفت ان الواو لا يوجب الترتيب وان فعل البعض قد
يسند الى الكل وعدا عليه حقا مصدر مؤكد لما دل عليه الشرى فانه في معنى الوعد في التورية والانجيل
والقرآن مذكور فيهما كما اثبت في القرآن ومن اوفى بعهده من الله مبالغة في الانجاز وتقرير لكونه حقا
فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به فافرحوا به غاية الفرح فانه اوجب لكم عظائم المطالب كما قال
وذلك هو الفوز العظيم التائبون رفع على المدح اي هم التائبون والمراد بهم المؤمنون المذكورون ويجوز
ان يكون مبتدأ خبره محذوف تقديره التائبون من اهل الجنة وان لم يجاهدوا لقوله وكلا وعد الله الحسنى او خبره ما بعده
اي التائبون عن الكفر على الحقيقة هم الجامعون لهذه الخصال وقرئ بالياء نصبا على المدح او جرا صفة
للمؤمنين العابدون الذين عبدوا الله تع مخلصين له الحامدون لنعمائه او لما نابهم من السراء والضراء
السائحون الصائمون لقوله عليه السلام سياحة امتي الصوم شبه بها من حيث انه يعوق عن الشهوات
او لانه رياضة نفسانية يتوصل بها الى الاطلاع على خفايا الملك والملكوت او السائحون للجهاد او لطلب
العلم الراكعون الساجدون في الصلوة الآمرون بالمعروف بالايمان والطاعة والناهون عن المنكر
عن الشرك والمعاصي والعاطف فيه للدلالة على انه بما عطف عليه في حكم خصلة واحدة كانه قال الجامعون
بين الوصفين وفي قوله والحافظون لحدود الله اي فيما بينه وعينه من الحقائق والشرائع للتنبيه على
ان ما قبله مفصل الفضائل وهذا مجملها وقيل انه للايذان بان التعداد قد تم بالسابع من حيث
ان السبعة هو العدد التام والثامن ابتداء تعداد آخر معطوف عليه ولذلك يسمى واو الثمانية ويبشر

عليهم وقرأ حمزة وحفص يزيغ بالياء لان تأنيث القلوب غير حقيقي وقرئ من بعد ما زاغت قلوب فريق
منهم يعني المتخلفين ثم تاب عليهم تكرير للتاكيد وتنبيه على انه تاب عليهم من اجل ما كابدوا من
العسرة او المراد انه تاب عليهم لكيدودتهم انه بهم رءوف رحيم وعلى الثلاثة وتاب على الثلاثة كعب
بن مالك وهلال بن امية ومرارة بن الربيع الذين خلفوا تخلفوا عن الغزو او خلف امرهم فانهم المرجون
حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت اى برحبها لاعراض الناس عنهم بالكلية وهو مثل لشدة
الحيرة وضاقت عليهم انفسهم قلوبهم من فرط الوحشة والغم بحيث لا يسعها انس وسرور وظنوا ان لا
ملجأ من الله من سخطه الا اليه الا الى استغفاره ثم تاب عليهم بالتوفيق للتوبة ليتوبوا او انزل قبول
توبتهم ليعدوا في جملة التوابين او رجع عليهم بالقبول والرحمة مرة بعد اخرى ليستقيموا على توبتهم ان الله
هو التواب لمن تاب ولو عاد في اليوم مائة مرة الرحيم المتفضل عليهم بالنعم يا ايها الذين امنوا اتقوا الله فيما
لا يرضاه وكونوا مع الصادقين في ايمانهم وعهودهم او في دين الله نية وقولا وعملا وقرئ من الصادقين
اي في توبتهم وانابتهم فيكون المراد به هؤلاء الثلاثة واضرابهم ما كان لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب
ان يتخلفوا عن رسول الله عن حكمه نهي عبر عنه بصيغة النفي للمبالغة ولا يرغبوا بانفسهم عن نفسه لا يصونوا
انفسهم عما لم يصن نفسه عنه ويكابدوا معه ما يكابده من الاهوال روي ان ابا خيثمة بلغ بستانه
وكانت له امرأة حسناء فرشت له في الظل وبسطت له الحصير وقربت اليه الرطب والماء البارد فنظر فقال
ظل ظليل ورطب يانع وماء بارد وامرأة حسناء ورسول الله في الضح والريح ما هذا بخير فقام فرحل ناقته
واخذ سيفه ورمحه ومر كالريح فمد رسول الله عم طرفه الى الطريق فاذا براكب يزهاه السراب فقال كن ابا
خيثمة فكانه ففرح به رسول الله عم واستغفر له وفي لا يرغبوا يجوز النصب والجزم ذلك اشارة الى ما دل عليه قوله ما كان
من النهي عن التخلف او وجوب المشايعة بانهم بسبب انهم لا يصيبهم ظمأ شيء من العطش ولا نصب تعب
ولا مخمصة مجاعة في سبيل الله ولا يطؤن موطئا ولا يدوسون مكانا يغيظ الكفار يغضبهم وطاؤه
ولا ينالون من عدو نيلا كالقتل والاسر والنهب الا كتب لهم به عمل صالح استوجبوا به الثواب
وذلك مما يوجب المشايعة ان الله لا يضيع اجر المحسنين على احسانهم وهو تعليل لكتب وتنبيه على ان الجهاد
احسان اما في حق الكفار فلانه سعي في تكميلهم باقصى ما يمكن كضرب المداوي للمجنون واما في حق المؤمنين فلانه
صيانة لهم عن سطوة الكفار واستيلائهم ولا ينفقون نفقة صغيرة ولو علاقة ولا كبيرة مثل ما انفق
عثمان في جيش العسرة ولا يقطعون واديا في مسيرهم وهو كل منعرج ينفذ فيه السيل اسم فاعل من ودي اذا سال
فشاع بمعنى الارض الا كتب لهم اثبت لهم ذلك ليجزيهم الله به احسن ما كانوا يعملون جزاء احسن
اعمالهم او احسن جزاء اعمالهم وما كان المؤمنون لينفروا كافة وما استقام لهم ان ينفروا جميعا لنحو غزو او
طلب علم كما لا يستقيم لهم ان يتثبطوا جميعا فانه يخل بامر المعاش فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة

شاق عليه عنتكم ولقاؤكم المكروه حريص عليكم أي على إيمانكم وصلاح شأنكم بالمؤمنين منكم ومن غيرهم
رءوف رحيم قدم الأبلغ منهما وهو الرؤوف لأن الرأفة شدة الرحمة محافظة على الفواصل فإن تولوا عن الإيمان بك
فقل حسبي الله فإنه يكفيك معرتهم ويعينك عليهم لا إله إلا هو كالدليل عليه عليه توكلت فلا أرجو ولا أخاف إلا منه وهو رب العرش
العظيم الملك العظيم أو الجسم الأعظم المحيط الذي تنزل منه الأحكام والمقادير وقرئ العظيم بالرفع وعن أبي آخر ما نزل هاتان الآيتان وعن النبي صلى الله عليه وسلم
ما نزل القرآن علي إلا آية آية وحرفا حرفا ما خلا سورة براءة وقل هو الله أحد فإنهما أنزلتا علي ومعهما سبعون ألف صف من الملائكة

سورة يونس مكية وهي مائة وتسع آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

الر فخمها ابن كثير ونافع برواية قالون وحفص وأمالها الباقون إجراء لألف الراء مجرى المنقلبة من الياء تلك آيات الكتاب الحكيم إشارة إلى ما تضمنته السورة أو القرآن
من الآي والمراد من الكتاب أحدهما ووصفه بالحكيم لاشتماله على الحكم أو لأنه كلام حكيم أو محكم آياته لم ينسخ شيء منها أكان للناس عجبا
استفهام إنكار للتعجب وعجبا خبر كان واسمه أن أوحينا وقرئ بالرفع على أن الأمر بالعكس أو على أن كان تامة وأن أوحينا
بدل منه واللام للدلالة على أنهم جعلوه أعجوبة لهم يوجهون نحوه إنكارهم واستهزاءهم إلى رجل منهم من أفناء
رجالهم دون عظيم من عظمائهم قيل كانوا يقولون العجب أن الله لم يجد رسولا يرسله إلى الناس إلا يتيم أبي طالب
وهو من فرط حماقتهم وقصور نظرهم على الأمور العاجلة وجهلهم بحقيقة الوحي والنبوة هذا وإنه عليه السلام لم يكن
يقصر عن عظمائهم فيما يعتبرونه إلا في المال وخفة الحال أعون شيء في هذا الباب ولذلك كان
أكثر الأنبياء قبله كذلك وقيل تعجبوا من أنه بعث بشرا رسولا كما سبق ذكره في سورة الأنعام أن
أنذر الناس أن هي المفسرة أو المخففة من الثقيلة فيكون في موقع مفعول أوحينا وبشر الذين آمنوا عمم الإنذار إذ قلما من أحد
ليس فيه ما ينبغي أن ينذر منه وخصص البشارة إذ ليس للكفار ما يصح أن يبشروا به حقيقة أن لهم بأن لهم قدم صدق
عند ربهم سابقة ومنزلة رفيعة سميت قدما لأن السبق بها كما سميت النعمة يدا لأنها تعطى باليد وإضافتها
إلى الصدق لتحققها والتنبيه على أنهم إنما ينالونها بصدق القول والنية قال الكافرون إن هذا يعنون الكتاب وما جاء به
الرسول لسحر مبين وقرأ ابن كثير والكوفيون لساحر على أن الإشارة إلى الرسول وفيه اعتراف بأنهم صادفوا
من الرسول أمورا خارقة للعادة معجزة إياهم عن المعارضة وقرئ ما هذا إلا سحر مبين إن ربكم الله الذي
خلق السموات والأرض التي هي أصول الممكنات في ستة أيام ثم استوى على العرش يدبر الأمر يقدر أمر الكائنات على ما
اقتضته حكمته وسبقت به كلمته ويهيئ بتحريك أسبابها وتنزيلها منه والتدبير النظر في أدبار الأمور لتجيء محمودة العاقبة
ما من شفيع إلا من بعد إذنه تقرير لعظمته وعز جلاله ورد على من زعم أن آلهتهم تشفع لهم عند الله وفيه إثبات
الشفاعة لمن أذن له ذلكم الله أي الموصوف بتلك الصفات المقتضية للألوهية والربوبية ربكم لا غير إذ لا يشاركه
أحد في شيء من ذلك فاعبدوه وحدوه بالعبادة أفلا تذكرون تتفكرون أدنى تفكر فينبهكم على أنه المستحق
للربوبية والعبادة لا ما تعبدونه إليه مرجعكم جميعا بالموت والنشور لا إلى غيره فاستعدوا للقائه وعد الله مصدر

منطوق قوله بايمانهم على استقلال الايمان بالسببية وان العمل الصالح كالتتمة والرديف له تجري من تحتهم
الانهار استئناف او خبر ثان او حال من الضمير المنصوب على المعنى الاخير وقوله في جنات النعيم خبر او حال اخر منه
او من الانهار او متعلق بتجري او بيهدي دعواهم فيها اي دعاؤهم سبحانك اللهم اللهم انا نسبحك تسبيحا و
تحيتهم ما يحيي به بعضهم بعضا او تحية الملائكة اياهم فيها سلام وآخر دعواهم وآخر دعائهم ان الحمد لله رب
العالمين اي ان يقولوا ذلك ولعل المعنى انهم اذا دخلوا الجنة وعاينوا عظمة الله وكبرياءه مجدوه ونعتوه بنعوت
الجلال ثم حياهم الملائكة بالسلامة عن الآفات والفوز باصناف الكرامات او الله تعالى فحمدوه واثنوا عليه بصفات الاكرام
وان هي المخففة من المثقلة وقد قرئ بها وبنصب الحمد ولو يعجل الله للناس الشر ولو يسرعه اليهم استعجالهم
بالخير وضع موضع تعجيله لهم بالخير اشعارا بسرعة اجابته تعالى لهم في الخير حتى كان استعجالهم به تعجيل لهم
والمراد شر استعجلوه كقولهم فامطر علينا حجارة من السماء وتقدير الكلام ولو يعجل الله للناس الشر تعجيله للخير حين
استعجلوه استعجالا كاستعجالهم بالخير فحذف منه ما حذف لدلالة الباقي عليه لقضي اليهم اجلهم لاميتوا واهلكوا وقرأ
ابن عامر ويعقوب لقضى على البناء للفاعل وهو الله تعالى وقرئ لقضينا فنذر الذين لا يرجون لقاءنا في طغيانهم
يعمهون عطف على فعل محذوف دلت عليه الشرطية كانه قيل ولكن لا نعجل ولا نقضي فنذرهم امهالا لهم واستدراجا
واذا مس الانسان الضر دعانا لازالته مخلصا فيه لجنبه ملقيا لجنبه اي مضطجعا او قاعدا او قائما وفائدة الترديد
تعميم الدعاء لجميع الاحوال او لاصناف المضار فلما كشفنا عنه ضره مر مضى على طريقته واستمر على كفره او مر عن
موقف الدعاء ولا يرجع اليه كان لم يدعنا كانه لم يدعنا فخفف وحذف ضمير الشان كما قال ونحر مشرق اللون كان ثدياه
حقان الى ضر مسه الى كشف ضر كذلك مثل ذلك التزيين زين للمسرفين ما كانوا يعملون من الانهماك في الشهوات
والاعراض عن العبادات ولقد اهلكنا القرون من قبلكم يا اهل مكة لما ظلموا حين ظلموا بالتكذيب واستعمال الجوارح و
القوى لا على ما ينبغي وجاءتهم رسلهم بالبينات بالحجج الدالة على صدقهم وهو حال من الواو باضمار قد وعطف على ظلموا
وما كانوا ليؤمنوا وما استقام لهم ان يؤمنوا لفساد استعدادهم وخذلان الله لهم وعلمه بانهم يموتون على كفرهم واللام
لتاكيد النفي كذلك مثل ذلك الجزاء وهو اهلاكهم بسبب تكذيبهم للرسل واصرارهم عليه بحيث تحقق انه لا فائدة
في امهالهم نجزي القوم المجرمين نجزي كل مجرم او نجزيكم فوضع المظهر موضع المضمر للدلالة على كمال جرمهم وانهم اعلام فيه
ثم جعلناكم خلائف في الارض من بعدهم استخلفناكم فيها بعد القرون التي اهلكناها استخلاف من
يختبر لننظر كيف تعملون اتعملون خيرا او شرا فنعاملكم على مقتضى اعمالكم وكيف معمول تعملون فان معنى
الاستفهام يحجب ان يعمل فيه ما قبله وفائدته الدلالة على ان المعتبر في الجزاء جهات الافعال وكيفياتها لا هي
ذاتها ولذلك يحسن الفعل تارة ويقبح اخرى واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا يعني المشركين
ائت بقرآن غير هذا بكتاب آخر نقرؤه ليس فيه ما نستبعده من البعث والثواب والعقاب بعد الموت او ما نكرهه
من معائب آلهتنا او بدله بان تجعل مكان الآية المشتملة على ذلك آية اخرى ولعلهم سألوا ذلك كي يسعفهم اليه

فانزال الآيات المقترحة من مفاسد تصرف عن انزالها فانتظروا النزول ما اقترحتموه انى معكم من المنتظرين لما يفعل الله تعالى
بكم بجحودكم ما انزل علي من الآيات العظام واقتراحكم غيره واذا اذقنا الناس رحمة صحة وسعة من بعد ضراء مستهم
كقحط ومرض اذا لهم مكر في آياتنا بالطعن فيها والاحتيال في دفعها قيل قحط اهل مكة سبع سنين حتى كادوا يهلكون ثم
رحمهم بالحيا فطفقوا يقدحون في آيات الله ويكيدون رسوله قل الله اسرع مكرا منكم قد دبر عقابكم قبل ان تدبروا كيدكم وانما دل
على سرعتهم المفضل عليها كلمة المفاجأة الواقعة جوابا لاذا الشرطية والمكر اخفاء الكيد وهو من الله تعالى اما الاستدراج
او الجزاء على المكر ان رسلنا يكتبون ما تمكرون تحقيق للانتقام وتنبيه على ان ما دبروا في اخفائه لم يخف على الحفظة
فضلا ان يخفى على الله وعن يعقوب يمكرون بالياء ليوافق ما قبله هو الذي يسيركم يحملكم على السير ويمكنكم منه في البر و
البحر حتى اذا كنتم في الفلك في السفن وجرين بهم بمن فيها عدل عن الخطاب الى الغيبة للمبالغة فانه تذكرة لغيرهم ليتعجب من حالهم
وينكر عليهم بريح طيبة لينة الهبوب وفرحوا بها بتلك الريح جاءتها جواب اذا والضمير للفلك او للريح الطيبة بمعنى تلقتها
ريح عاصف ذات عصف شديدة الهبوب وجاءهم الموج من كل مكان يجيء الموج منه وظنوا انهم احيط بهم اهلكوا
وسدت عليهم مسالك الخلاص كمن احاط به العدو دعوا الله مخلصين له الدين من غير اشراك لتراجع الفطرة وزوال
المعارض من شدة الخوف وهو بدل من ظنوا بدل الاشتمال لان دعاءهم من لوازم ظنهم لئن انجيتنا من هذه لنكونن
من الشاكرين على ارادة القول او مفعول دعوا لانه من جملة القول فلما انجاهم اجابة لدعائهم اذا هم يبغون في الارض
فاجأوا الفساد فيها وسارعوا الى ما كانوا عليه بغير الحق مبطلين فيه وهو احتراز عن تخريب المسلمين ديار الكفرة واحراق
زروعهم وقلع اشجارهم فانها افساد بحق يا ايها الناس انما بغيكم على انفسكم فان وباله عليكم او انه على امثالكم
وابناء جنسكم متاع الحياة الدنيا منفعة الحياة الدنيا لا تبقى ويبقى عقابها ورفعه على انه خبر بغيكم وعلى انفسكم صلته او
خبر محذوف تقديره ذلك متاع الحياة الدنيا وعلى انفسكم خبر بغيكم ونصبه حفص على انه مصدر مؤكد اي تتمتعون
متاع الحياة الدنيا او مفعول البغي لانه بمعنى الطلب فيكون الجار من صلته والخبر محذوف تقديره بغيكم متاع الحياة
الدنيا محذور او ضلال او مفعول فعل دل عليه البغي وعلى انفسكم خبر ثم الينا مرجعكم في القيامة فننبئكم بما كنتم
تعملون بالجزاء عليه انما مثل الحياة الدنيا حالها العجيبة في سرعة تقضيها وذهاب نعيمها بعد اقبالها واغترار
الناس بها كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض فاشتبك بسببه حتى خالط بعضه بعضا مما يأكل الناس
والانعام من الزروع والبقول والحشيش حتى اذا اخذت الارض زخرفها تزينت باصناف النبات واشكالها والوانها
المختلفة كعروس اخذت من الوان الثياب والزين فتزينت بها وازينت اصله تزينت فادغم وقد قرئ على الاصل وازينت
على افعلت من غير اعلال كاغيلت والمعنى صارت ذات زينة وازيانت كابياضت وظن اهلها انهم قادرون
عليها متمكنون من حصدها ورفع غلتها اتاها امرنا ضرب زرعها ما يجتاحه ليلا او نهارا فجعلناها فجعلنا زرعها حصيدا
شبيها بما حصد من اصله كأن لم تغن كأن لم يغن زرعها اي لم يلبث فالمضاف محذوف في الموضعين للمبالغة
وقرئ بالياء على الاصل بالامس فيما قبله وهو مثل في الوقت القريب والممثل به مضمون الحكاية وهو زوال

بالنون ونصب كل نفس بدلا من هنالك والمعنى نختبرها اي نفعل بها فعل المختبر لحالها المتعرف لسعادتها وشقاوتها بتعرف ما
اسلفت من اعمالها ويجوز ان يراد نصيب بالبلاء اي العذاب كل نفس عاصية بسبب ما اسلفت من الشر فيكون ما منصوبة بنزع الخافض
وردوا الى الله الى جزائه اياهم بما اسلفوا مولاهم الحق ربهم ومتولي امرهم على الحقيقة لا ما اتخذوه مولى وقرئ
الحق بالنصب على المدح او المصدر المؤكد وضل عنهم وضاع عنهم ما كانوا يفترون من ان الهتهم تشفع لهم او ما كانوا
يدعون انها الهة قل من يرزقكم من السماء والارض اي منهما جميعا فان الارزاق تحصل باسباب سماوية
ومواد ارضية او من كل واحد منهما توسعة عليهم وقيل من لبيان من على حذف المضاف اي من اهل السماء و
الارض امن يملك السمع والابصار ام من يستطيع خلقهما وتسويتهما او من يحفظهما من الآفات مع كثرتها
وسرعة انفعالهما من ادنى شيء ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يحيي ويميت او من ينشئ الحيوان
من النطفة والنطفة منه ومن يدبر الامر ومن يلي تدبير امر العالم وهو تعميم بعد تخصيص فسيقولون الله
اذ لا يقدرون على المكابرة والعناد في ذلك لفرط وضوحه فقل افلا تتقون انفسكم عقابه باشراككم اياه ما لا يشاركه
في شيء من ذلك فذلكم الله ربكم الحق اي المتولي لهذه الامور المستحق للعبادة هو ربكم الثابت ربوبيته لانه الذي
انشأكم واحياكم ورزقكم ودبر اموركم فماذا بعد الحق الا الضلال استفهام انكار اي ليس بعد الحق الا الضلال فمن
تخطى الحق الذي هو عبادة الله وقع في الضلال فانى تصرفون عن الحق الى الضلال كذلك حقت كلمة ربك اي كما حقت
الربوبية لله او ان الحق بعده الضلال او انهم مصروفون عن الحق حقت كلمة الله وحكمه على الذين فسقوا تمردوا
في كفرهم وخرجوا عن حد الاستصلاح انهم لا يؤمنون بدل من الكلمة او تعليل لحقيتها والمراد بها العدة بالعذاب
قل هل من شركائكم من يبدأ الخلق ثم يعيده جعل الاعادة كالابداء في الالزام بها لظهور برهانها وان لم
يساعد عليها ولذلك امر الرسول ان ينوب عنهم في الجواب فقال قل الله يبدأ الخلق ثم يعيده لان لجاجهم لا يدعهم ان يعترفوا
فانى تؤفكون تصرفون عن قصد السبيل قل هل من شركائكم من يهدي الى الحق بنصب الحجج وارسال الرسل والتوفيق
للنظر والتدبر وهدى كما يعدى بالى لتضمنه معنى الانتهاء يعدى باللام للدلالة على ان المنتهى غاية الهداية وانها
لم تتوجه نحوه على سبيل الاتفاق ولذلك عدى بها ما اسند الى الله قل الله يهدي للحق افمن يهدي الى الحق
احق ان يتبع امن لا يهدي الا ان يهدى ام الذي لا يهتدي الا ان يهديه غيره من قولهم هدى بنفسه اذا اهتدى
او لا يهدي غيره الا ان يهديه الله وهذا حال اشراف شركائهم كالملائكة والمسيح والعزير وقرأ ابن كثير وورش
عن نافع وابن عامر يهدي بفتح الهاء وتشديد الدال ويعقوب وحفص بالكسر والتشديد والاصل يهتدي فادغم
وفتحت الهاء بحركة التاء او كسرت لالتقاء الساكنين وروى ابو بكر يهدي باتباع الياء الهاء وقرأ ابو عمرو بالادغام
المجرد ولم يبال بالتقاء الساكنين لان المدغم في حكم المتحرك وعن نافع برواية قالون مثله وقرئ الا ان يهدى على
المبالغة فما لكم كيف تحكمون بما يقتضي صريح العقل بطلانه وما يتبع اكثرهم فيما يعتقدون الا ظنا مستندا الى خيالات
فارغة واقيسة فاسدة كقياس الغائب على الشاهد والخالق على المخلوق بادنى مشاركة موهومة والمراد بالاكثر الجميع

الا باستعمال العقل السليم في تدبره وعقولهم لما كانت مؤوفة بمعارضة الوهم ومتابعة الالف والتقليد تعذر افهامهم

الحكم والمعاني الدقيقة فلم ينتفعوا بسرد الالفاظ عليهم غير ما ينتفع به البهائم من كلام الناعق ومنهم من ينظر اليك

يعاينون دلائل نبوتك ولكن لا يصدقون أفأنت تهدي العمي تقدر على هدايتهم ولو كانوا لا يبصرون وان انضم

الى عدم البصر عدم البصيرة فان المقصود من الابصار هو الاعتبار والاستبصار والعمدة في ذلك البصيرة ولذلك

يحدس الاعمى المستبصر ويتفطن لما لا يدركه البصير الاحمق والآية كالتعليل للامر بالتبري والاعراض عنهم ان الله لا

يظلم الناس شيئا بسلب حواسهم وعقولهم ولكن الناس انفسهم يظلمون بافسادها وتفويت منافعها عليهم وفيه

دليل على ان للعبد كسبا وانه ليس مسلوب الاختيار بالكلية كما زعمت المجبرة ويجوز ان يكون وعيدا لهم بمعنى ان

ما يحيق بهم يوم القيمة من العذاب عدل من الله لا يظلمهم به ولكنهم ظلموا انفسهم باقتراف اسبابه وقرأ حمزة والكسائي

بالتخفيف ورفع الناس ويوم يحشرهم كأن لم يلبثوا الا ساعة من النهار يستقصرون مدة لبثهم في الدنيا او

القبور لهول ما يرون والجملة التشبيهية في موقع الحال اي يحشرهم مشبهين بمن لم يلبث الا ساعة او صفة ليوم

والعائد محذوف تقديره كأن لم يلبثوا قبله او لمصدر محذوف اي حشرا كأن لم يلبثوا قبله يتعارفون بينهم يعرف بعضهم

بعضا كأنهم لم يتفارقوا الا قليلا وهذا اول ما نشروا ثم ينقطع التعارف لشدة الامر عليهم وهي حال اخرى مقدرة او

بيان لقوله كأن لم يلبثوا او متعلق الظرف والتقدير يتعارفون يوم يحشرهم قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله شهادة

على خسرانهم والتعجب منه ويجوز ان يكون حالا من الضمير في يتعارفون على ارادة القول وما كانوا مهتدين لطرق استعمال

ما منحوا من المعاون في تحصيل المعارف فاستكسبوا بها جهالات ادت بهم الى الردى والعذاب الدائم واما نرينك

نبصرنك بعض الذي نعدهم من العذاب في حيوتك كما اراه يوم بدر او نتوفينك قبل ان نريك فالينا مرجعهم فنريكه

في الآخرة وهو جواب نتوفينك وجواب نرينك محذوف مثل فذاك ثم الله شهيد على ما يفعلون مجاز عليه ذكر

الشهادة واراد نتيجتها ومقتضاها ولذلك رتبها على الرجوع بثم او مؤد شهادته على افعالهم يوم القيمة ولكل امة

من الامم الماضية رسول يبعث اليهم ليدعوهم الى الحق فاذا جاء رسولهم بالبينات فكذبوه قضي بينهم بين الرسول

ومكذبيه بالقسط بالعدل فانجي الرسول واهلك المكذبون وهم لا يظلمون وقيل معناه لكل امة يوم القيمة رسول تنسب

اليه فاذا جاء رسولهم الموقف ليشهد عليهم بالكفر والايمان قضي بينهم بانجاء المؤمن وعقاب الكافر لقوله وجيء بالنبيين

والشهداء وقضي بينهم ويقولون متى هذا الوعد استبعادا له واستهزاء به ان كنتم صادقين خطاب منهم للنبي

والمؤمنين قل لا املك لنفسي ضرا ولا نفعا فكيف املك لكم فاستعجل في جلب العذاب اليكم الا ما شاء الله

ان املكه او لكن ما شاء الله من ذلك كائن لكل امة اجل مضروب لهلاكهم اذا جاء اجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون

لا يتأخرون ولا يتقدمون فلا تستعجلوا فسيحين وقتكم وينجز وعدكم قل أرأيتم ان اتاكم عذابه الذي تستعجلون

بياتا وقت بيات واشتغال بالنوم او نهارا حين كنتم مشتغلين بطلب معاشكم ماذا يستعجل منه المجرمون اي اي شيء من العذاب

يستعجلونه وكله مكروه لا يلائم الاستعجال وهو متعلق بارأيتم لانه بمعنى اخبروني والمجرمون وضع موضع الضمير للدلالة

بما فيها والدلالة على ان مجموع الكتاب الجامع بين هذه الصفات موجب للفرح وتكريرها للتاكيد كقوله واذا هلكت
فعند ذلك فاجزعي وعن يعقوب فلتفرحوا بالتاء على الاصل المرفوض وقد روي مرفوعا ويؤيده انه قرئ فافرحوا هو خير مما يجمعون
من حطام الدنيا فانها الى الزوال وهو ضمير ذلك وقرأ ابن عامر تجمعون على معنى فبذلك فليفرح المؤمنون فهو خير مما
تجمعونه ايها المخاطبون قل ارأيتم ما انزل الله لكم من رزق جعل الرزق منزلا لانه مقدر في السماء محصل
باسباب منها وما في موضع النصب بانزل او بارأيتم فانه بمعنى اخبروني ولكم دل على ان المراد منه ما حل ولذلك
وبخ على التبعيض فقال فجعلتم منه حراما وحلالا مثل هذه انعام وحرث حجر وما في بطون هذه الانعام خالصة
لذكورنا ومحرم على ازواجنا قل الله اذن لكم في التحريم والتحليل فيقولون ذلك بحكمه ام على الله تفترون في نسبة
اليه ويجوز ان يكون المنفصلة متصلة بارأيتم وقل مكرر للتاكيد وان يكون الاستفهام للانكار وام منقطعة ومعنى الهمزة
فيها تقرير لافترائهم على الله وما ظن الذين يفترون على الله الكذب اي شيء ظنهم يوم القيمة ايحسبون ان لا يجازوا
عليه وهو منصوب بالظن ويدل عليه انه قرئ بلفظ الماضي لانه كائن وفي ابهام الوعيد تهديد عظيم ان الله لذو فضل على
الناس حيث انعم عليهم بالعقل وهداهم بارسال الرسل وانزال الكتب ولكن اكثرهم لا يشكرون هذه النعمة وما تكون
في شأن ولا تكون في امر واصله الهمز من شأنت شأنه اذا قصدت قصده والضمير في وما تتلو منه له لان تلاوة
القرآن معظم شأن الرسول او لان القراءة تكون لشأن فيكون التقدير من اجله ومفعول تتلو من قرآن على ان من
تبعيضية او مزيدة لتاكيد النفي او للقرآن واضماره قبل الذكر ثم بيانه تفخيم له او لله ولا تعملون من عمل
تعميم للخطاب بعد تخصيصه بمن هو رأسهم ولذلك ذكر حيث خص ما فيه فخامة وذكر حيث عمم ما يتناول الجليل
والحقير الا كنا عليكم شهودا رقباء مطلعين عليه اذ تفيضون فيه تخوضون فيه وتندفعون وما يعزب عن ربك ولا
يبعد عنه ولا يغيب عن علمه وقرأ الكسائي بكسر الزاء من مثقال ذرة موازن نملة صغيرة او هباء في الارض ولا في السماء اي في الوجود والامكان
فان العامة لا تعرف ممكنا غيرهما ليس فيهما ولا متعلقا بهما وتقديم الارض لان الكلام في حال اهلها والمقصود منه هو البرهان على
احاطة علمه بها ولا اصغر من ذلك ولا اكبر الا في كتاب مبين كلام برأسه مقرر لما قبله ولا نافية واصغر اسمها
وفي كتاب خبرها وقرأ حمزة ويعقوب بالرفع على الابتداء والخبر ومن عطف على لفظ مثقال ذرة وجعل الفتح بدل
الكسر لامتناع الصرف او على محله مع الجار جعل الاستثناء منقطعا والمراد بالكتاب اللوح المحفوظ الا ان اولياء الله الذين
يتولونه بالطاعة ويتولاهم بالكرامة لا خوف عليهم من لحوق مكروه ولا هم يحزنون لفوات مأمول والاية مجمل فسره قوله
الذين آمنوا وكانوا يتقون وقيل الذين آمنوا وكانوا يتقون بيان لتوليهم لهم البشرى في الحيوة الدنيا وهو
ما بشر به المتقين في كتابه وعلى لسان نبيه وما يريهم في الرؤيا الصالحة وما يسنح لهم من المكاشفات وبشرى
الملائكة عند النزع وفي الآخرة بتلقي الملائكة اياهم مسلمين مبشرين بالفوز والكرامة بيان لتوليهم لهم ومحل الذين
النصب او الرفع على المدح او على وصف الاولياء او على الابتداء وخبره لهم البشرى لا تبديل لكلمات الله لا تغيير لاقواله ولا
خلف لمواعيده ذلك اشارة الى كونهم مبشرين في الدارين هو الفوز العظيم هذه الجملة والتي قبلها اعتراض

تصدوا والسعى فى اهلاكه على اى وجه يمكن ثقة بالله وقلة مبالاة بهم ثم لا يكن امركم فى قصدكم عليكم غمة
مستورا واجعلوه ظاهرا مكشوفا من غمه اذا ستره او ثم لا يكن حالكم عليكم غما اذا اهلكتمونى تخلصتم عن ثقل مقامى
وتذكيرى ثم اقضوا الى ادوا الى ذلك الامر الذى تريدون بى وقرئ ثم افضوا بالفاء اى انتهوا الى بشركم او ابرزوا اليّ
من افضى اذا خرج الى الفضاء ولا تنظرون ولا تمهلونى فان توليتم اعرضتم عن تذكيرى فما سألتكم من اجر يوجب توليكم
لثقله عليكم واتهامكم اياى لاجله او يفوتنى لتوليكم ان اجرى ما ثوابى على الدعوة والتذكير الا على الله لا تعلق له بكم يثيبنى
امنتم او توليتم وامرت ان اكون من المسلمين المنقادين لحكمه لا اخالف امره ولا ارجو غيره فكذبوه فاصروا
على تكذيبه وتموا عليه بعد ما الزمهم الحجة وبين ان توليهم ليس الا لعنادهم وتمردهم لا جرم حقت عليهم كلمة العذاب
فنجيناه من الغرق ومن معه فى الفلك وكانوا ثمانين وجعلناهم خلائف من الهالكين به واغرقنا الذين كذبوا باياتنا
بالطوفان فانظر كيف كان عاقبة المنذرين تعظيم لما جرى عليهم وتحذير لمن كذب الرسول وتسلية له ثم بعثنا ارسلنا
من بعده من بعد نوح رسلا الى قومهم كل رسول الى قومه فجاؤهم بالبينات بالمعجزات الواضحة المثبتة لدعواهم
فما كانوا ليؤمنوا فما استقام لهم ان يؤمنوا لشدة شكيمتهم فى الكفر وخذلان الله اياهم بما كذبوا به من قبل اى بسبب تعودهم
تكذيب الحق وتمرنهم عليه قبل بعثة الرسل كذلك نطبع على قلوب المعتدين بخذلانهم لانهماكهم فى الضلال واتباع المألوف
وفى امثال ذلك دليل على ان الافعال واقعة بقدرة الله تعالى وكسب العبد وقد عرفت تحقيق ذلك ثم بعثنا من بعدهم
من بعد هؤلاء الرسل موسى وهرون الى فرعون وملائه باياتنا بالايات التسع فاستكبروا عن اتباعها وكانوا قوما مجرمين
معتادين الاجرام فلذلك تهاونوا برسالة ربهم واجترؤا على ردها فلما جاءهم الحق من عندنا وعرفوه بتظاهر المعجزات
الباهرة المزيحة للشك قالوا من فرط تمردهم ان هذا لسحر مبين ظاهر انه سحر او فائق فى فنه واضح فيما بين اخوانه قال
موسى اتقولون للحق لما جاءكم انه لسحر فحذف المحكى بالقول لدلالة ما قبله عليه ولا يجوز ان يكون اسحر هذا
لا مقول القول بل هو استيناف بانكار ما قالوه اللهم الا ان يكون الاستفهام فيه للتقرير والمحكى مفهوم قولهم ويجوز ان يكون
معنى اتقولون للحق اتعيبونه من قولهم فلان يخاف القالة كقوله سمعنا فتى يذكرهم فيستغنى عن المفعول ولا يفلح
الساحرون من تمام كلام موسى للدلالة على انه ليس بسحر فانه لو كان سحرا لاضمحل ولم يبطل سحر السحرة ولان العالم
بانه لا يفلح الساحر لا يسحر او من تمام قولهم ان جعل اسحر هذا محكيا كانهم قالوا اجئتنا بالسحر تطلب به الفلاح ولا يفلح
الساحرون قالوا اجئتنا لتلفتنا لتصرفنا واللفت والفتل اخوان عما وجدنا عليه اباءنا من عبادة الاصنام وتكون
لكما الكبرياء فى الارض الملك فيها سمى بها لاتصاف الملوك بالكبر او التكبر على الناس باستتباعهم وما نحن لكما بمؤمنين
بمصدقين فيما جئتما به وقال فرعون ائتونى بكل ساحر وقرأ حمزة والكسائى بكل سحار عليم حاذق فيه فلما جاء السحرة
قال لهم موسى القوا ما انتم ملقون فلما القوا قال موسى ما جئتم به السحر اى الذى جئتم به هو السحر لا ما سماه فرعون
وقومه سحرا وقرأ ابو عمرو آلسحر على ان ما استفهامية مرفوعة بالابتداء وجئتم به خبرها والسحر بدل منه او خبر مبتدأ محذوف
تقديره اهو السحر او مبتدأ خبره محذوف اى آلسحر هو ويجوز ان ينتصب ما بفعل يفسره ما بعده تقديره اى

او عدم الوثوق والاطمينان بوعد الله وعن ابن عامر ولا تتبعان بالنون الخفيفة وكسرها لالتقاء الساكنين ولا تتبعان من
تبع ولا تتبعان ايضا وجاوزنا ببني اسرائيل البحر اي جوزناهم في البحر حتى بلغوا الشط حافظين لهم وقرئ جوّزنا وهو
من فعّل المرادف لفاعل كضعّف وضاعف فاتبعهم فادركهم يقال تبعته حتى اتبعته فرعون وجنوده بغيا وعدوا باغين وعادين
او للبغي والعدو وقرئ وعُدُوّا حتى اذا ادركه الغرق لحقه قال آمنت انه اي بانه لا اله الا الذي آمنت به بنو اسرائيل وانا من
المسلمين وقرا حمزة والكسائي انه بالكسر على اضمار القول او الاستيناف بدلا وتفسيرا لآمنت فنكب عن الايمان اوان القبول وبالغ فيه
حين لا يقبل آلآن اتؤمن الآن وقد ايست من نفسك ولم يبق لك اختيار وقد عصيت قبل قبل ذلك مدة عمرك وكنت من
المفسدين الضالين المضلين عن الايمان فاليوم ننجيك نبعدك مما وقع فيه قومك من قعر البحر ونجعلك طافيا او نلقيك على نجوة
من الارض ليراك بنو اسرائيل وقرا يعقوب ننجيك من انجى وقرئ ننحيك بالحاء اي نلقيك بناحية الساحل ببدنك في
موضع الحال اي ببدنك عاريا عن الروح او كاملا سويا او عريانا من غير لباس او بدرعك وكانت له درع من ذهب يعرف بها وقرئ
بابدانك اي باجزاء البدن كلها كقولهم هوى باجرامه او بدروع كانه كان مظاهرا بينها لتكون لمن خلفك آية لمن
وراءك علامة وهم بنو اسرائيل اذ كان في نفوسهم من عظمته ما خيل اليهم انه لا يهلك حتى كذبوا موسى عم حين
اخبرهم بغرقه الى ان عاينوه مطروحا على ممرهم من الساحل او لمن ياتي بعدك من القرون اذا سمعوا مآل امرك ممن شاهدك
عبرة ونكالا عن الطغيان او حجة تدلهم على ان الانسان على ما كان عليه من عظم الشان وكبرياء الملك مملوك مقهور بعيد عن مظان
الربوبية وقرئ لمن خلقك اي لخالقك آية كسائر الآيات فان افراده اياك بالالقاء الى الساحل دليل على انه تعمد
منه لكشف تزويرك واماطة الشبهة في امرك وذلك دليل على كمال قدرته وعلمه وارادته وهذا الوجه ايضا محتمل
على المشهور وان كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون لا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها ولقد بوأنا بني اسرائيل مبوأ
صدق منزلا صالحا مرضيا وهو الشام ومصر ورزقناهم من الطيبات من اللذائذ فما اختلفوا حتى جاءهم العلم فما اختلفوا في
امر دينهم الا من بعد ما قرؤا التورية وعلموا احكامها او في امر محمد صلعم الا من بعد ما علموا صدقه بنعوته وتظاهر معجزاته ان ربك يقضي بينهم
يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون فيميز المحق من المبطل بالانجاء والاهلاك فان كنت في شك مما انزلنا اليك
من القصص على سبيل الفرض والتقدير فاسال الذين يقرؤن الكتاب من قبلك فانه محقق عندهم ثابت في كتبهم على نحو ما
القينا اليك والمراد تحقيق ذلك والاستشهاد بما في الكتب المتقدمة وان القرآن مصدق لما فيها او وصف اهل الكتاب بالرسوخ في
العلم بصحة ما انزل اليه او تهييج الرسول او زيادة تثبيته لا امكان وقوع الشك له ولذلك قال عم لا اشك ولا اسأل
وقيل الخطاب للنبي والمراد به امته او لكل من يسمع اي ان كنت ايها السامع في شك مما نزلنا على لسان نبينا اليك وفيه تنبيه
على ان من خالجته شبهة في الدين ينبغي ان يسارع الى حلها بالرجوع الى اهل العلم لقد جاءك الحق من ربك واضحا انه لا مدخل
للمرية فيه بالآيات القاطعة فلا تكونن من الممترين بالتزلزل عما انت عليه من الجزم واليقين ولا تكونن من الذين
كذبوا بآيات الله فتكون من الخاسرين ايضا من باب التهييج والتثبيت وقطع الاطماع عنه كقوله فلا تكونن ظهيرا
للكافرين ان الذين حقت عليهم ثبتت عليهم كلمة ربك بانهم يموتون على الكفر او يخلدون في العذاب لا يؤمنون اذ لا يكذب كلامه

دينى اعتقادا وعملا فاعرضوها على العقل الصرف وانظروا فيها بعين الانصاف لتعلموا صحتها وهو انى لا اعبد ما تخلقونه
وتعبدونه ولكن اعبد خالقكم الذى هو يوجدكم ويتوفيكم وانما خص التوفى بالذكر للتهديد وامرت ان اكون من المؤمنين بما دل
العقل ونطق به الوحى وحذف الجار من ان يجوز ان يكون من المطرد مع ان وان وان يكون من غيره كقوله امرتك الخير فافعل ما
امرت به وان اقم وجهك للدين عطف على ان اكون غير ان صلة ان محكية بصيغة الامر ولا فرق بينهما فى الغرض لان المقصود
وصلها بما يتضمن معنى المصدر لتدل معه عليه وصيغ الافعال كلها كذلك سواء الخبر منها والطلب والمعنى وامرت
بالاستقامة فى الدين والاستبداد فيه باداء الفرائض والانتهاء عن القبائح او فى الصلوة باستقبال القبلة حنيفا حال من
الدين او الوجه ولا تكونن من المشركين ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك بنفسه ان دعوته او خذلته
فان فعلت فان دعوته فانك اذا من الظالمين جزاء للشرط وجواب لسؤال مقدر عن تبعة الدعاء وان يمسسك الله بضر
فلا كاشف له يرفعه الا هو الا الله وان يردك بخير فلا راد فلا دافع لفضله الذى ارادك به ولعله
ذكر الارادة مع الخير والمس مع الضر مع تلازم الامرين للتنبيه على ان الخير مراد بالذات وان الضر انما مسهم لا بالقصد
الاول ووضع الفضل موضع الضمير للدلالة على انه متفضل بما يريد بهم من الخير لا استحقاق لهم عليه ولم يستثن
لان مراد الله لا يمكن رده يصيب به بالخير من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم فتعرضوا لرحمته بالطاعة ولا تيأسوا
من غفرانه بالمعصية قل يا ايها الناس قد جاءكم الحق من ربكم رسوله او القرآن ولم يبق لكم عذر فمن اهتدى
بالايمان والمتابعة فانما يهتدى لنفسه لان نفعه لها ومن ضل بالكفر بهما فانما يضل عليها لان وبال الضلال عليها
وما انا عليكم بوكيل بحفيظ موكول الى امركم وانما انا بشير ونذير واتبع ما يوحى اليك بالامتثال والتبليغ واصبر على دعوتهم وتحمل اذيتهم
حتى يحكم الله بالنصرة او بالامر بالقتال وهو خير الحاكمين اذ لا يمكن الخطاء فى حكمه لاطلاعه على السرائر اطلاعه على الظواهر عن النبى صلعم من قرأ
سورة يونس اعطى من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بيونس وكذب به وبعدد من غرق مع فرعون والله اعلم

سورة هود مكية وهى مائة وثلث وعشرون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

الر كتاب مبتدأ وخبر او كتاب خبر محذوف احكمت اياته نظمت نظما محكما لا يعتريه اخلال من جهة اللفظ والمعنى او منعت
من الفساد والنسخ فان المراد ايات السورة وليس فيها منسوخ او احكمت بالحجج والدلائل او جعلت حكيمة منقول من حكم بالضم
اذا صار حكيما لانها مشتملة على امهات الحكم النظرية والعملية ثم فصلت بالفوائد من العقائد والاحكام والمواعظ
والاخبار او بجعلها سورا او بالانزال نجما نجما او فصل فيها ولخص ما يحتاج اليه وقرئ ثم فصلت اى فرقت
بين الحق والباطل واحكمت اياته ثم فصلت على البناء للمتكلم وثم للتفاوت فى الحكم او للتراخى فى الاخبار من لدن
حكيم خبير صفة اخرى لكتاب او خبر بعد خبر او صلة لاحكمت وفصلت وهو تقرير لاحكامها وتفصيلها على اكمل ما ينبغى
باعتبار ما ظهر امره وما خفى الا تعبدوا الا الله لان لا تعبدوا او اى لا تعبدوا على ان ان مفسرة لان فى تفصيل الايات معنى القول ويجوز ان يكون كلاما
مبتدأ للاغراء على التوحيد والامر بالتبرى من عبادة الغير كانه قيل ترك عبادة غير الله بمعنى الزموه

والاختبار الشامل لفرق المكلفين باعتبار الحسن والقبح للتحريض على احاسن المحاسن والتحضيض على الترقي دائما في
مراتب العلم والعمل فان المراد بالعمل ما يعم عمل القلب والجوارح ولذلك قال النبي عليه السلام ايكم احسن عقلا واورع عن محارم
الله واسرع في طاعة الله والمعنى ايكم اكمل علما وعملا ولئن قلت انكم مبعوثون من بعد الموت ليقولن الذين كفروا
ان هذا الا سحر مبين اي ما البعث او القول به او القرآن المتضمن لذكره الا كالسحر في الخديعة او البطلان وقرأ حمزة
والكسائي الا ساحر على ان الاشارة الى القائل وقرئ انكم بالفتح على تضمن قلت معنى ذكرت او ان تكون ان بمعنى
علّ اي ولئن قلت علكم مبعوثون بمعنى توقعوا بعثكم ولا تبتوا بانكاره لعدوه من قبيل ما لا حقيقة له مبالغة في
انكاره ولئن اخرنا عنهم العذاب الموعود الى امة معدودة الى جماعة من الاوقات قليلة ليقولن استهزاء ما يحبسه
ما يمنعه من الوقوع الا يوم يأتيهم كيوم بدر ليس مصروفا عنهم ليس العذاب مدفوعا عنهم ويوم منصوب بخبر ليس
مقدم عليه وهو دليل على جواز تقديم خبرها عليها وحاق بهم واحاط بهم وضع الماضي موضع المستقبل تحقيقا و
مبالغة في التهديد ما كانوا به يستهزؤن اي العذاب الذي كانوا به يستعجلون فوضع يستهزؤن موضع يستعجلون
لان استعجالهم كان استهزاء ولئن اذقنا الانسان منا رحمة ولئن اعطيناه نعمة بحيث يجد لذتها ثم نزعناها
منه ثم سلبنا تلك النعمة منه انه ليؤس قطوع رجاءه من فضل الله لقلة صبره وعدم ثقته بالله كفور
مبالغ في كفران ما سلف له من النعمة ولئن اذقناه نعماء بعد ضراء مسته كصحة بعد سقم وغنى بعد عدم وفي اختلاف
الفعلين نكتة لا تخفى ليقولن ذهب السيئات عني اي المصائب التي ساءتني انه لفرح بطر بالنعم مغتر بها فخور على الناس مشغول عن الشكر
والقيام بحقها وفي لفظ الاذاقة والمس تنبيه على ان ما يجده الانسان في الدنيا من النعم والمحن كالانموذج لما يجده في الآخرة وانه
يقع في الكفران والبطر بادنى شيء لان الذوق ادراك الطعم والمس مبتدأ الوصول الا الذين صبروا على الضراء ايمانا بالله
واستسلاما لقضائه وعملوا الصالحات شكرا لآلائه سابقها ولاحقها اولئك لهم مغفرة لذنوبهم واجر كبير
اقله الجنة والاستثناء من الانسان لان المراد به الجنس فاذا كان محلى باللام افاد الاستغراق ومن حمله على الكافر لسبق
ذكرهم جعل الاستثناء منقطعا فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك تترك تبليغ بعض ما يوحى اليك وهو ما يخالف
رأي المشركين مخافة ردهم واستهزائهم به ولا يلزم من توقع الشيء لوجود ما يدعو اليه وقوعه لجواز ان يكون ما يصرف عنه وهو
عصمة الرسل عن الخيانة في الوحي والثقة في التبليغ ها هنا وضائق به صدرك وعارض لك احيانا ضيق صدرك بان
تتلوه عليهم مخافة ان يقولوا لولا انزل عليه كنز ينفقه في الاستتباع كالملوك او جاء معه ملك يصدقه
وقيل الضمير في به مبهم يفسره ان يقولوا انما انت نذير ليس عليك الا الانذار بما اوحي اليك ولا عليك ردوا
او اقترحوا فما بالك يضيق به صدرك والله على كل شيء وكيل فتوكل عليه فانه عالم بحالهم وفاعل بهم جزاء اقوالهم و
افعالهم ام يقولون افتراه ام منقطعة والهاء لما يوحى قل فأتوا بعشر سور مثله في البيان وحسن النظم تحداهم اولا بعشر
سور ثم لما عجزوا عنها سهل الامر عليهم وتحداهم بسورة وتوحيد المثل باعتبار كل واحد مفتريات مختلقات
من عند انفسكم ان صح اني اختلقته من عند نفسي فانكم عرب فصحاء مثلي تقدرون على مثل ما اقدر عليه بل انتم

إماماً كتاباً مؤتماً به في الدين ورحمة على المنزل عليهم لانه الوصلة الى الفوز بخير الدارين اولئك اشارة الى من كان على
بينة يؤمنون به بالقرآن ومن يكفر به من الاحزاب من اهل مكة ومن تحزب منهم على رسول الله صلعم فالنار موعده
يردها لا محالة فلا تك في مرية منه من الموعد او القرآن وقرئ مرية بالضم وهما الشك انه الحق من ربك ولكن
اكثر الناس لا يؤمنون لقلة نظرهم واختلال فكرهم ومن اظلم ممن افترى على الله كذباً كان اسند اليه ما لم ينزله
او نفى عنه ما انزله اولئك يعرضون على ربهم في الموقف بان يحبسوا وتعرض اعمالهم ويقول الاشهاد من الملائكة
والنبيين او من جوارحهم وهو جمع شاهد كاصحاب او شهيد كاشراف هؤلاء الذين كذبوا على ربهم الا لعنة
الله على الظالمين تهويل عظيم مما يحيق بهم حينئذ لظلمهم بالكذب على الله الذين يصدون عن سبيل الله عن
دينه ويبغونها عوجاً ويصفونها بالانحراف عن الحق والصواب او يبغون اهلها ان يعوجوا بالردة وهم بالآخرة هم
كافرون والحال انهم كافرون بالآخرة وتكرير هم لتاكيد كفرهم واختصاصهم به اولئك لم يكونوا معجزين في الارض
اي ما كانوا معجزين الله في الدنيا ان يعاقبهم وما كان لهم من دون الله من اولياء يمنعونهم من العقاب ولكنه اخر عقابهم
الى هذا اليوم ليكون اشد وادوم يضاعف لهم العذاب استئناف وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب يضعف
بالتشديد ما كانوا يستطيعون السمع لتصامهم عن الحق وبغضهم له وما كانوا يبصرون لتعاميهم عن آيات الله
وكانه العلة لمضاعفة العذاب وقيل هو بيان ما نفاه من ولاية الآلهة بقوله وما كان لهم من دون الله من اولياء فان
ما لا يسمع ولا يبصر لا يصلح للولاية وقوله يضاعف لهم العذاب اعتراض اولئك الذين خسروا انفسهم باشتراء عبادة
الآلهة بعبادة الله وضل عنهم ما كانوا يفترون من الآلهة وشفاعتها او خسروا بما بدلوا وضاع عنهم ما حصلوا
فلم يبق لهم سوى الحسرة والندامة لا جرم انهم في الآخرة هم الاخسرون لا احد ابين واكثر خسراناً منهم ان الذين
آمنوا وعملوا الصالحات واخبتوا الى ربهم اطمأنوا اليه وخشعوا له من الخبت وهو الارض المطمئنة اولئك
اصحاب الجنة هم فيها خالدون دائمون مثل الفريقين الكافر والمؤمن كالاعمى والاصم والبصير والسميع يجوز ان يراد
به تشبيه الكافر بالاعمى لتعاميه عن آيات الله وبالاصم لتصامه عن استماع كلام الله وتأبيه عن تدبر معانيه و
المؤمن بالبصير والسميع لان امره بالضد فيكون كل واحد منهما مشبهاً باثنين باعتبار وصفين او تشبيه الكافر بالجامع
بين العمى والصمم والمؤمن بالجامع بين ضديهما والعاطف لعطف الصفة على الصفة كقوله الصابح فالغانم فالآيب وهذا من
اللف والطباق هل يستويان هل يستوي الفريقان مثلاً تمثيلاً او صفة او حالاً افلا تذكرون بضرب الامثال
والتأمل فيها ولقد ارسلنا نوحاً الى قومه اني لكم باني لكم وقرأ نافع وعاصم وابن عامر وحمزة بالكسر على ارادة القول
نذير مبين ابين لكم موجبات العذاب ووجه الخلاص ان لا تعبدوا الا الله بدل من اني لكم او مفعول مبين ويجوز
ان يكون ان مفسرة متعلقة بارسلنا او بنذير اني اخاف عليكم عذاب يوم اليم مؤلم وهو في الحقيقة صفة المعذب
ولكن يوصف به العذاب وزمانه على طريقة جد جده ونهاره صائم للمبالغة فقال الملأ الذين كفروا من قومه
ما نراك الا بشراً مثلنا لا مزية لك علينا تخصك بالنبوة ووجوب الطاعة وما نراك اتبعك الا الذين

مراده محال وقيل ان يغويكم ان يهلككم من غوى الفصيل غوى اذا بشم فهلك هو ربكم خالقكم والمتصرف فيكم وفق
ارادته واليه ترجعون فيجازيكم على اعمالكم ام يقولون افتريه قل ان افتريته فعلي اجرامي وباله وقرئ اجرامي
على الجمع وانا برئ مما تجرمون من اجرامكم في اسناد الافتراء الي واوحي الى نوح انه لن يؤمن من قومك الا من قد امن
فلا تبتئس بما كانوا يفعلون اقنطه الله من ايمانهم ونهاه ان يغتم بما فعلوه من التكذيب والايذاء واصنع الفلك
باعيننا ملتبسا باعيننا عبر بكثرة آلة الحس الذي به يحفظ الشيء ويراعى عن الاختلال والزيغ عن المبالغة في الحفظ
والرعاية على طريقة التمثيل ووحينا اليك كيف تصنعها ولا تخاطبني في الذين ظلموا ولا تراجعني فيهم ولا تدعني
باستدفاع العذاب عنهم انهم مغرقون محكوم عليهم بالاغراق فلا سبيل الى كفه ويصنع الفلك حكاية حال
ماضية وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه استهزؤا به لعمله السفينة فانه كان يعملها في برية بعيدة من
الماء اوان عزته فكانوا يضحكون منه ويقولون له صرت نجارا بعدما كنت نبيا قال ان تسخروا منا فانا نسخر منكم
كما تسخرون اذا اخذكم الغرق في الدنيا والحرق في الاخرة وقيل المراد بالسخرية الاستجهال فسوف تعلمون من يأتيه عذاب
يخزيه يعني به اياهم وبالعذاب الغرق ويحل عليه وينزل ويحل عليه حلول الدين الذي لا انفكاك عنه عذاب مقيم
دائم وهو عذاب النار حتى اذا جاء امرنا غاية لقوله ويصنع الفلك وما بينهما حال من الضمير فيه او حتى هي التي
يبتدأ بعدها الكلام وفار التنور نبع الماء فيه وارتفع كالقدر تفور والتنور تنور الخبز ابتدأ منه النبوع
على خرق العادة وكان في الكوفة في موضع مسجدها او في الهند او بعين وردة من ارض الجزيرة وقيل التنور وجه
الارض او اشرف موضع فيها قلنا احمل فيها في السفينة من كل من كل نوع من الحيوانات المنتفع بها زوجين اثنين ذكرا
وانثى هذا على قراءة حفص والباقون اضافوا على معنى احمل اثنين من كل زوجين اي من كل صنف ذكر وصنف
انثى واهلك عطف على زوجين او اثنين والمراد امرأته وبنوه ونساؤهم الا من سبق عليه القول بانه من المغرقين
يريد ابنه كنعان وامه واعلة فانهما كانا كافرين ومن امن والمؤمنين من غيرهم وما امن معه الا قليل
قيل كانوا تسعة وسبعين زوجته المسلمة وبنوه الثلاثة سام وحام ويافث ونساؤهم واثنان وسبعون
رجلا وامرأة من غيرهم روي انه عم اتخذ السفينة في سنتين من الساج وكان طولها ثلثمائة ذراع وعرضها خمسين
وسمكها ثلثين وجعل لها ثلثة بطون فحمل في اسفلها الدواب والوحش وفي اوسطها الانس وفي اعلاها الطير وقال
اركبوا فيها اي صيروا فيها وجعل ذلك ركوبا لانها في الماء كالمركوب في الارض بسم الله مجريها ومرسيها متصل
باركبوا حال من الواو اي اركبوا فيها مسمين الله او قائلين بسم الله وقت اجرائها وارسائها او مكانهما على ان المجرى والمرسى
للوقت او المكان او المصدر والمضاف محذوف كقولهم اتيك خفوق النجم وانتصابهما بما قدرناه حالا ويجوز رفعهما
بسم الله على ان المراد بهما المصدر او جملة من مبتدأ وخبر اي اجراؤها بسم الله على ان بسم الله خبره او صلته
والخبر محذوف وهي اما جملة مقتضبة لا تعلق لها بما قبلها او حال مقدرة من الواو او الهاء وروي انه كان
اذا اراد ان تجري قال بسم الله فجرت واذا اراد ان ترسو قال بسم الله فرست ويجوز ان يكون الاسم مقحما كقوله ثم اسم

من الدين قال يٰنوح انه ليس من اهلك لقطع الولاية بين المؤمن والكافر واليه اشار بقوله انه عمل غير صالح فانه
تعليل لنفي كونه من اهله واصله انه ذو عمل فاسد فجعل ذاته ذات العمل للمبالغة كقول الخنساء تصفها ترتع
ما رتعت حتى اذا ادكرت فانما هي اقبال وادبار ثم بدل الفاسد بغير الصالح تصريحا بالمناقضة بين وصفيهما و
انتفاء ما اوجب النجاة لمن نجا من اهله عنه وقرأ الكسائي ويعقوب انه عمل اي عمل عملا غير صالح فلا تسئلن ما ليس لك به
علم ما لا تعلم اصواب هو ام ليس كذلك وانما سمى نداءه سؤالا لتضمن ذكر الموعد بنجاة اهله استنجازه في شان
ولده او استفسار المانع للانجاز في حقه وانما سماه جهلا وزجر عنه بقوله اني اعظك ان تكون من الجاهلين لان
استثناء من سبق عليه القول من اهله قد دله على الحال واغناه عن السؤال لكن شغله حب الولد عنه حتى اشتبه الامر عليه
وقرأ ابن كثير بفتح اللام والنون المشددة وكذا نافع وابن عامر غير انهما كسرا النون على ان اصله تسئلنني
فحذفت نون الوقاية لاجتماع النونات وكسرت المشددة للياء ثم حذفت اكتفاء بالكسرة وعن نافع اثباتها
في الوصل قال رب اني اعوذ بك ان اسئلك فيما يستقبل ما ليس لي به علم ما لا علم لي بصحته والا تغفر لي وان لم تغفر
ما فرط مني من السؤال وترحمني بالتوبة والتفضل علي اكن من الخاسرين اعمالا قيل يٰنوح اهبط بسلام منا انزل من السفينة
مسلما من المكاره من جهتنا او مسلما عليك وبركات عليك ومباركا عليك او زيادات في نسلك حتى تصير آدما ثانيا
وقرئ اهبط بالضم وبركة على التوحيد وهي الخير النامي وعلى امم ممن معك وعلى امم هم الذين معك سموا
امما لانهم امم او لتشعب الامم منهم او وعلى امم ناشئة ممن معك والمراد بهم المؤمنون لقوله وامم سنمتعهم اي وممن
معك امم سنمتعهم في الدنيا ثم يمسهم منا عذاب اليم في الآخرة والمراد بهم الكفار من ذرية من معه وقيل هم قوم هود وصالح
ولوط وشعيب والعذاب ما نزل بهم تلك اشارة الى قصة نوح ومحلها الرفع بالابتداء وخبرها من انباء الغيب اي بعضها
نوحيها اليك خبران والضمير لها اي موحاة اليك او حال من الانباء او هو الخبر ومن انباء متعلق به او حال من
الهاء ما كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا خبر آخر اي مجهولة عندك وعند قومك من قبل ايحائنا اليك
او حال من الهاء في نوحيها او الكاف في اليك اي جاهلا انت وقومك بها وفي ذكرهم تنبيه على انه لم يتعلمها اذ لم يخالط
غيرهم وانهم مع كثرتهم لما لم يسمعوها فكيف بواحد منهم فاصبر على مشاق الرسالة واذية القوم كما صبر نوح
ان العاقبة في الدنيا بالظفر وفي الآخرة بالفوز للمتقين عن الشرك والمعاصي والى عاد اخاهم هودا
عطف على قوله نوحا الى قومه وهودا عطف بيان قال يٰقوم اعبدوا الله وحده ما لكم من اله غيره وقرئ
بالجر حملا على المجرور وحده ان انتم الا مفترون على الله باتخاذ الاوثان شركاء وجعلها شفعاء يٰقوم لا اسئلكم
عليه اجرا ان اجري الا على الذي فطرني خاطب به كل رسول قومه ازاحة للتهمة وتمحيضا للنصيحة فانها لا تنجع
ما دامت مشوبة بالمطامع افلا تعقلون افلا تستعملون عقولكم فتعرفوا المحق من المبطل والصواب من الخطأ
ويٰقوم استغفروا ربكم ثم توبوا اليه اطلبوا مغفرة الله بالايمان ثم توسلوا اليها بالتوبة وايضا التبري عن الغير انما
يكون بعد الايمان بالله والرغبة فيما عنده يرسل السماء عليكم مدرارا كثير الدر ويزدكم قوة الى قوتكم ويضاعف

واتبعوا فی هذه الدنیا لعنة ویوم القیمة ای جعلت اللعنة تابعة لهم فی الدارین تکبهم فی العذاب الا ان عادا کفروا ربهم
جحدوه او کفروا نعمه او کفروا به فحذف الجار الا بعدا لعاد دعاء علیهم بالهلاك والمراد به الدلالة علی انهم کانوا مستوجبین
لما نزل علیهم بسبب ما حکی عنهم وانما کرر الا واعاد ذکرهم تفظیعا لامرهم وحثا علی الاعتبار بحالهم قوم هود عطف
بیان لعاد فائدته تمییزهم عن عاد الثانیة عاد ارم والایماء الی ان استحقاقهم للبعد بما جری بینهم وبین هود والی
ثمود اخاهم صالحا قال یا قوم اعبدوا الله ما لکم من اله غیره هو انشاکم من الارض هو کونکم منها لا غیره
فانه خلق آدم ومواد النطف التی خلق نسله منها من التراب واستعمرکم فیها عمرکم فیها واستبقاکم من العمر او
اقدرکم علی عمارتها وامرکم بها وقیل هو من العمری بمعنی اعمرکم فیها دیارکم ویرثها منکم بعد انصرام اعمارکم او جعلکم
معمرین دیارکم تسکنونها مدة عمرکم ثم تترکونها لغیرکم فاستغفروه ثم توبوا الیه ان ربی قریب قریب الرحمة مجیب
لداعیه قالوا یا صالح قد کنت فینا مرجوا قبل هذا لما نری فیك من مخایل الرشد والسداد ان تکون لنا سیدا او مستشارا
فی الامور او ان توافقنا فی الدین فلما سمعنا هذا القول منك انقطع رجاؤنا عنك اتنهانا ان نعبد ما یعبد آباؤنا
علی حکایة الحال الماضیة واننا لفی شك مما تدعونا الیه من التوحید والتبری عن الاوثان مریب موقع فی الریبة
من ارابه او ذی ریبة علی الاسناد المجازی من اراب فی الامر قال یا قوم ارأیتم ان کنت علی بینة من ربی بیان
وبصیرة وحرف الشك باعتبار المخاطبین وآتانی منه رحمة نبوة فمن ینصرنی من الله فمن یمنعنی من عذابه ان عصیته
فی تبلیغ رسالته والمنع عن الاشراك به فما تزیدوننی اذن باستتباعکم ایای غیر تخسیر غیر ان تخسرونی بابطال ما منحنی
الله به والتعرض لعذابه او فما تزیدوننی بما تقولون لی غیر ان انسبکم الی الخسران ویا قوم هذه ناقة الله لکم آیة
نصب علی الحال وعاملها معنی الاشارة ولکم حال منها تقدمت علیها لتنکیرها فذروها تاکل فی ارض الله
ترعی نباتها وتشرب ماءها ولا تمسوها بسوء فیاخذکم عذاب قریب عاجل لا یتراخی عن مسکم لها بالسوء الا یسیرا
وهو ثلاثة ایام فعقروها فقال تمتعوا فی دارکم عیشوا فی منازلکم او فی دارکم الدنیا ثلاثة ایام الاربعاء والخمیس
والجمعة ثم تهلکون ذلك وعد غیر مکذوب ای غیر مکذوب فیه فاتسع فیه باجرائه مجری المفعول به کقوله و
یوم شهدناه سلیما وعامرا او غیر مکذوب علی المجاز وکان الواعد قال له افی بك فان وفی به صدقه والا کذبه
او وعد غیر کذب علی انه مصدر کالمجلود والمعقول فلما جاء امرنا نجینا صالحا والذین آمنوا معه برحمة
منا ومن خزی یومئذ ای ونجیناهم من خزی یومئذ وهو هلاکهم بالصیحة او ذلهم وفضیحتهم یوم القیمة وعن نافع والکسائی
یومئذ بالفتح علی اکتساب المضاف البناء من المضاف الیه ان ربك هو القوی العزیز القادر علی کل شیء والغالب علیه واخذ الذین
ظلموا الصیحة فاصبحوا فی دیارهم جاثمین کان لم یغنوا فیها قد سبق تفسیر ذلك فی سورة الاعراف الا ان ثمود کفروا ربهم
نونه ابو بکر هنا وفی النجم والکسائی فی جمیع القرآن وابن کثیر ونافع وابن عامر وابو عمرو فی قوله الا بعدا لثمود ذهابا
الی الحی او الاب الاکبر ولقد جاءت رسلنا ابراهیم یعنی الملائکة قیل کانوا تسعة وقیل ثلثة جبرئیل ومیکائیل
واسرافیل بالبشری ببشارة الولد وقیل بهلاك قوم لوط قالوا سلاما سلمنا علیك سلاما ویجوز نصبه

على المجادلة وهو رقة قلبه وفرط ترحمه يا ابراهيم على ارادة القول اى قالت الملائكة يا ابراهيم اعرض عن هذا الجدال
انه قد جاء امر ربك قدره بمقتضى قضائه الازلى بعذابهم وهو اعلم بحالهم وانهم آتيهم عذاب غير مردود غير مصروف
بجدال ولا دعاء ولا غير ذلك ولما جاءت رسلنا لوطا سيء بهم ساءه مجيئهم لانهم جاؤا فى صورة غلمان فظن انهم اناس
فخاف عليهم ان يقصدهم قومه فيعجز عن مدافعتهم وضاق بهم ذرعا وضاق بمكانهم صدره وهو كناية عن شدة الانقباض
عن مدافعة المكروه والاحتيال فيه وقال هذا يوم عصيب شديد من عصبه اذا شده وجاءه قومه يهرعون اليه
يسرعون اليه كانهم يدفعون دفعا لطلب الفاحشة من اضيافه ومن قبل ومن قبل ذلك الوقت كانوا يعملون السيئات
الفواحش فتمرنوا بها ولم يستحيوا منها حتى جاؤا يهرعون لها مجاهرين قال يا قوم هؤلاء بناتى فدى بهن اضيافه كرما
وحمية والمعنى هؤلاء بناتى فتزوجوهن وكانوا يطلبونهن قبل فلا يجيبهم لخبثهم وعدم كفاءتهم لا لحرمة المسلمات
على الكفار فانه شرع طارئ او مبالغة فى تناهى خبث ما يرومونه حتى ان ذلك اهون منه او اظهار الشدة
امتعاضه من ذلك كى يرقوا له وقيل المراد بالبنات نساؤهم فان كل نبى ابو امته من حيث الشفقة و
التربية وفى حرف ابن مسعود وازواجه امهاتهم وهو اب لهم هن اطهر لكم انظف فعلا واقل فحشا
كقولك الميتة اطيب من المغصوب واحل منه وقرئ اطهر بالنصب على الحال على ان هن خبر بناتى كقولك هذا اخى هو فان هو
لا يقع بين الحال وصاحبها فاتقوا الله بترك الفواحش او بايثارهن عليهم ولا تخزون ولا تفضحونى من الخزى او
ولا تخجلونى من الخزاية بمعنى الحياء فى ضيفى فى شأنهم فان اخزاء ضيف الرجل اخزاؤه اليس منكم رجل رشيد يهتدى الى الحق
ويرعوى عن القبيح قالوا لقد علمت ما لنا فى بناتك من حق من حاجة وانك لتعلم ما نريد وهو اتيان الذكران قال لو ان
لى بكم قوة لو قويت بنفسى على دفعكم او آوى الى ركن شديد الى قوى اتمنع به عنكم شبهه بركن الجبل فى شدته وعن النبى
عليه السلام رحم الله اخى لوطا كان يأوى الى ركن شديد وقرئ او آوى بالنصب باضمار ان كانه قال لو ان لى بكم قوة او اويا وجواب
لو محذوف تقديره لدفعتكم روى انه اغلق بابه دون اضيافه واخذ يجادلهم من وراء الباب فتسوروا الجدار
فلما رأت الملائكة ما على لوط من الكرب قالوا يا لوط انا رسل ربك لن يصلوا اليك لن يصلوا الى اضرارك باضرارنا فهون عليك
ودعنا واياهم فخلاهم ان يدخلوا فضرب جبريل بجناحه وجوههم فطمس اعينهم واعماهم فخرجوا يقولون النجاء النجاء فان
فى بيت لوط سحرة فأسر باهلك بالقطع من الاسراء وقرأ ابن كثير ونافع بالوصل حيث وقع فى القرآن من السرى بقطع
من الليل بطائفة منه ولا يلتفت منكم احد ولا يتخلف او لا ينظر الى ورائه والنهى فى اللفظ لاحد وفى المعنى للوط
الا امرأتك استثناء من قوله فاسر باهلك ويدل عليه انه قرئ فاسر باهلك بقطع من الليل الا امرأتك وهذا
انما يصح على تأويل الالتفات بالتخلف فانه ان فسر بالنظر الى الوراء فى الذهاب ناقض ذلك قراءة ابن
كثير وابى عمرو بالرفع على البدل من احد ولا يجوز حمل القراءتين على الروايتين فى انه خلفها مع قومها او اخرجها
فلما سمعت صوت العذاب التفتت وقالت يا قوماه فادركها حجر فقتلها لان القواطع لا يصح حملها على المعانى
المتناقضة والاولى جعل الاستثناء فى القراءتين عن قوله ولا يلتفت مثله فى قوله ما فعلوه الا قليل ولا يبعد ان يكون

مصدقين لي في قولي لكم وقيل البقية الطاعة لقوله والباقيات الصالحات وقرئ تقية الله بالتاء وهي تقواه التي

تكف عن المعاصي وما انا عليكم بحفيظ احفظكم عن القبائح او احفظ عليكم اعمالكم واجازيكم عليها وانما انا ناصح مبلغ

وقد اعذرت حين انذرت لكم لست بحافظ عليكم نعم الله لو لم تتركوا سوء صنيعكم قالوا يا شعيب اصلوتك تامرك

ان نترك ما يعبد اباؤنا من الاصنام اجابوا به امرهم بالتوحيد على الاستهزاء به والتهكم بصلوته والاشعار بان مثله

لا يدعو اليه داع عقلي وانما دعاك اليه خطرات ووساوس من جنس ما تواظب عليه وكان كثير الصلوة وكان قومه اذا

رأوه يصلي تغامزوا وضحكوا والذكر وقرأ حمزة والكسائي وحفص على الافراد والمعنى اصلوتك تامرك بتكليف ان نترك

فحذف المضاف لان الرجل لا يؤمر بفعل غيره او ان نفعل في اموالنا ما نشاء عطف على ما اي وان نترك فعلنا

ما نشاء في اموالنا وقرئ بالتاء فيهما على ان العطف على ان نترك وهو جواب النهي عن التطفيف والامر بالايفاء وقيل كان

ينهاهم عن تقطيع الدراهم والدنانير فارادوا به ذلك انك لانت الحليم الرشيد تهكموا به وقصدوا وصفه بضد

ذلك وعللوا انكار ما سمعوا منه واستبعاده بانه موسوم بالحلم والرشد المانعين عن المبادرة الى امثال ذلك قال

يا قوم ارايتم ان كنت على بينة من ربي اشارة الى ما اتاه الله من العلم والنبوة ورزقني منه رزقا حسنا اشارة

الى ما اتاه الله من المال الحلال وجواب الشرط محذوف تقديره فهل يسع لي مع هذا الانعام الجامع للسعادات

الروحانية والجسمانية ان اخون في وحيه واخالفه في امره ونهيه وهو اعتذار عما انكروا عليه من تغيير المألوف

والنهي عن دين الاباء والضمير في منه لله اي من عنده وباعانته بلا كد مني في تحصيله وما اريد ان اخالفكم الى

ما انهاكم عنه اي وما اريد ان اتي ما انهاكم عنه لاستبد به فلو كان صوابا لاثرته ولم اعرض عنه فضلا ان انهاكم عنه

يقال خالفت زيدا الى كذا اذا قصدته وهو مول عنه وخالفته عنه اذا كان الامر بالعكس ان اريد الا الاصلاح ما

استطعت ما ادبدا الا ان اصلحكم بامري بالمعروف ونهيي عن المنكر ما دمت استطيع الاصلاح فلو وجدت الصلاح

فيما انتم عليه لما نهيتكم عنه ولهذه الاجوبة الثلاثة على هذا النسق شان وهو التنبيه على ان العاقل يجب ان يراعي

في كل ما ياتيه ويذره احد حقوق ثلاثة اهمها واعلاها حق الله وثانيها حق النفس وثالثها حق الناس وكل ذلك

يقتضي ان امركم بما امرتكم به وانهاكم عما نهيتكم عنه وما مصدرية واقعة موقع الظرف وقيل خبرية بدل من الاصلاح

اي المقدار الذي استطعته او اصلاح ما استطعته فحذف المضاف وما توفيقي الا بالله وما توفيقي لاصابة الحق و

الصواب الا بهدايته ومعونته عليه توكلت فانه القادر المتمكن من كل شيء وما عداه عاجز في حد ذاته بل معدوم

ساقط عن درجة الاعتبار وفيه اشارة الى محض التوحيد الذي هو اقصى مراتب العلم بالمبدأ واليه انيب

اشارة الى معرفة المعاد وهو ايضا يفيد الحصر بتقديم الصلة على الفعل وفي هذه الكلمات طلب

التوفيق لاصابة الحق فيما ياتي ويذره من الله والاستعانة به في مجامع امره والاقبال عليه بشراشره وحسم اطماع

الكفار واظهار الفراغ عنهم وعدم المبالاة بمعاداتهم وتهديدهم بالرجوع الى الله للجزاء ويا قوم لا يجرمنكم لا يكسبنكم

شقاقي معاداتي ان يصيبكم مثل ما اصاب قوم نوح من الغرق او قوم هود من الريح او قوم صالح من الرجفة

مدين كانت من فوقهم وقرئ بعدت بالضم على الاصل فان الكسر تغيير لتخصيص معنى البعد بما يكون بسبب الهلاك
والبعد مصدر لهما والبعد مصدر المكسور ولقد ارسلنا موسى بآياتنا بالتورية او المعجزات وسلطان مبين هو المعجزات
القاهرة او العصا وافرادها بالذكر لانها ابهرها ويجوز ان يراد بهما واحدا اى ولقد ارسلناه بالجامع بين كونه اياتنا وسلطانا له على نبوته
واضحا فى نفسه او موضحا اياها فان ابان جاء لازما ومتعديا والفرق بينهما ان الاية تعم الامارة والدليل القاطع
والسلطان يخص القاطع والمبين يخص بما فيه جلاء الى فرعون وملايه فاتبعوا امر فرعون فاتبعوا امره
بالكفر بموسى او فما اتبعوا موسى الهادى الى الحق المؤيد بالمعجزات القاهرة الباهرة واتبعوا طريقة فرعون
المنهمك فى الضلال والطغيان الداعى الى ما لا يخفى فساده على من له ادنى مسكة من العقل لفرط جهالتهم وعدم استبصارهم
وما امر فرعون برشيد مرشد او ذى رشد وانما هو غى محض وضلال صريح يقدم قومه يوم القيمة الى النار كما
كان يقدمهم فى الدنيا الى الضلال يقال قدم بمعنى تقدم فاوردهم النار ذكره بلفظ الماضى مبالغة فى تحقيقه
ونزل النار لهم منزلة الماء فسمى اتيانها موردا ثم قال وبئس الورد المورود اى بئس المورد الذى وردوه فانه يراد
لتبريد الاكباد وتسكين العطش والنار بالضد والاية كالدليل على قوله وما امر فرعون برشيد فان من هذا عاقبته
لم يكن فى امره رشد او تفسير له على ان المراد بالرشيد ما يكون مأمون العاقبة حميدها واتبعوا فى هذه الدنيا
لعنة ويوم القيمة اى يلعنون فى الدنيا والاخرة بئس الرفد المرفود بئس العون المعان او العطاء المعطى
واصل الرفد ما يضاف الى غيره ليعمده والمخصوص بالذم محذوف اى رفدهم وهو اللعنة فى الدارين ذلك
اى ذلك النبأ من انباء القرى المهلكة نقصه عليك مقصوص عليك منها من تلك القرى باق كالزرع
القائم وحصيد ومنها عافى الاثر كالزرع المحصود والجملة مستانفة وقيل حال من الهاء فى نقصه وليس بصحيح اذ
لا واو ولا ضمير وما ظلمناهم باهلاكنا اياهم ولكن ظلموا انفسهم بان عرضوها للهلاك بارتكاب ما يوجبه فما اغنت
عنهم فما نفعتهم ولا قدرت ان تدفع عنهم الهتهم التى يدعون من دون الله من شىء لما جاء امر ربك حين جاءهم
عذابه ونقمته وما زادوهم غير تتبيب هلاك او تخسير وكذلك ومثل ذلك الاخذ اخذ ربك وقرئ اخذ ربك
بالفعل وعلى هذا يكون محل الكاف النصب على المصدر اذا اخذ القرى اى اهلها وقرئ اذ لان المعنى على المضى وهى ظالمة
حال من القرى وهى فى الحقيقة لاهلها لكنها لما اقيمت مقامه اجريت عليها وفائدتها الاشعار بانهم اخذوا بظلمهم
وانذار كل ظالم ظلم نفسه او غيره من وخامة العاقبة ان اخذه اليم شديد وجيع غير مرجو الخلاص منه وهو
مبالغة فى التهديد والتحذير ان فى ذلك اى فيما نزل بالامم الهالكة او فيما قصه الله من قصصهم لاية لعبرة
لمن خاف عذاب الاخرة يعتبر به عظة لعلمه بان ما حاق بهم انموذج مما اعد الله للمجرمين فى الاخرة او ينزجر به
عن موجباته لعلمه بانها من اله مختار يعذب من يشاء ويرحم من يشاء فان من انكر الاخرة واحال فناء هذا
العالم لم يقل بالفاعل المختار وجعل تلك الوقائع لاسباب فلكية اتفقت فى تلك الايام لا لذنوب المهلكين بها ذلك اشارة
الى يوم القيمة وعذاب الاخرة دل عليه يوم مجموع له الناس اى يجمع له الناس والتغيير للدلالة على ثبات معنى

٣٨٥

الامر تسهيل للفهم ... من اوقات توقفهم في الموقف للحساب ... ظاهره يقتضي ان يكونوا في النار حين ياتي اليوم او مدة
لبثهم في الدنيا والبرزخ ان كان الحكم مطلقا غير مقيد باليوم وعلى هذا التاويل يحتمل ان يكون الاستثناء من الخلود
على ما عرفت وقيل هو من قوله لهم فيها زفير وشهيق وقيل الا ههنا بمعنى سوى كقولك على الف الا الالفان القديمان
والمعنى سوى ما شاء ربك من الزيادة التي لا اخر لها على مدة بقاء السموات والارض ان ربك فعال لما يريد من
غير اعتراض واما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ
غير مقطوع وهو تصريح بان الثواب لا ينقطع وتنبيه على ان المراد من الاستثناء في الثواب ليس الانقطاع ولاجله
فرق بين الثواب والعقاب في التابيد وقرأ حمزة والكسائي وحفص سعدوا على البناء للمفعول من سعده الله بمعنى
اسعده وعطاء نصب على المصدر المؤكد اي اعطوا عطاء او الحال من الجنة فلا تك في مرية شك بعد ما انزل عليك
من مآل الناس مما يعبد هؤلاء من عبادة هؤلاء المشركين في انها ضلال مؤد الى مثل ما حل بمن قبلهم ممن قصصت
عليك سوء عاقبة عبادتهم او من حال ما يعبدونه في انه يضر ولا ينفع ما يعبدون الا كما يعبد آباؤهم من قبل
استيناف معناه تعليل النهي عن المرية اي هم وآباؤهم سواء في الشرك اي ما يعبدون عبادة الا كعبادة آبائهم او ما
يعبدون شيئا الا مثل ما عبدوه من الاوثان وقد بلغك ما لحق آباءهم من ذلك فسيلحقهم مثله لان التماثل في
الاسباب يقتضي التماثل في المسببات ومعنى كما يعبد كما كان يعبد فحذف لدلالة قبل عليه وانا لموفوهم نصيبهم
حظهم من العذاب كآبائهم او من الرزق فيكون عذرا لتاخير العذاب عنهم مع قيام ما يوجبه غير منقوص حال
من النصيب لتقييد التوفية فانك تقول وفيته حقه وتريد به وفاء بعضه ولو مجازا ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف
فيه فآمن به قوم وكفر به قوم كما اختلف هؤلاء في القرآن ولولا كلمة سبقت من ربك يعني كلمة الانظار الى
يوم القيامة لقضي بينهم بانزال ما يستحقه المبطل ليتميز به عن المحق وانهم وان كفار قومك لفي شك منه
من القرآن مريب موقع للريبة وان كلا وان كل المختلفين المؤمنين منهم والكافرين والتنوين بدل المضاف
اليه وقرأ ابن كثير ونافع وابو بكر بالتخفيف مع الاعمال اعتبارا للاصل لما ليوفينهم ربك اعمالهم اللام الاولى
موطئة للقسم والثانية للتاكيد او بالعكس وما مزيدة بينهما للفصل وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة لما
بالتشديد على ان اصله لمن ما فقلبت النون ميما للادغام فاجتمع ثلث ميمات فحذفت اولاهن والمعنى لمن الذين
يوفينهم ربك جزاء اعمالهم وقرئ لما بالتنوين اي جميعا كقوله اكلا لما وان كل لما على ان نافية ولما بمعنى الا
وقد قرئ به انه بما يعملون خبير فلا يفوته شيء منه وان خفي فاستقم كما امرت لما بين امر المختلفين في التوحيد و
النبوة واطنب في شرح الوعد والوعيد امر رسوله عم بالاستقامة مثل ما امرها وهي شاملة للاستقامة
في العقائد كالتوسط بين التشبيه والتعطيل بحيث يبقى العقل مصونا من الطرفين والاعمال من تبليغ الوحي وبيان
الشرائع كما انزل والقيام بوظائف العبادات من غير تفريط وافراط مفوت للحقوق ونحوها وهي في غاية العسر
ولذلك قال عم شيبتني سورة هود ومن تاب معك اي من تاب من الشرك والكفر وآمن معك وهو عطف على

ليهلك القرى بظلم بشرك واهلها مصلحون فيما بينهم لا يضمون الى شركهم فسادا وتباغيا وذلك لفرط رحمته ومسامحته في حقوقه ومن ذلك قدم الفقهاء عند تزاحم الحقوق حقوق العباد وقيل الملك يبقى مع الكفر ولا يبقى مع الظلم ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة مسلمين كلهم وهو دليل ظاهر على ان الامر غير الارادة وانه تعالى لم يرد الايمان من كل احد وان ما اراده يجب وقوعه ولا يزالون مختلفين بعضهم على الحق وبعضهم على الباطل لا تكاد تجد اثنين يتفقان مطلقا الا من رحم ربك الا ناسا هداهم الله من فضله فاتفقوا على ما هو اصول دين الحق والعمدة فيه ولذلك خلقهم ان كان الضمير للناس فالاشارة الى الاختلاف واللام للعاقبة او اليه والى الرحمة وان كان لمن فالى الرحمة وتمت كلمة ربك وعيده او قوله للملائكة لاملأن جهنم من الجنة والناس من عصاتهما اجمعين او منهما اجمعين لا من احدهما وكلا وكل نبأ نقص عليك من انباء الرسل نخبرك به ما نثبت به فؤادك بيان لكلا او بدل منه وفائدته التنبيه على المقصود من الاقتصاص وهو زيادة يقينه وطمانينة قلبه وثبات نفسه على اداء الرسالة واحتمال اذى الكفار او مفعول وكلا منصوب على المصدر بمعنى كل نوع من انواع الاقتصاص نقص عليك ما نثبت به فؤادك من انباء الرسل وجاءك في هذه السورة او الانباء المقتصة عليك الحق ما هو حق وموعظة وذكرى للمؤمنين اشارة الى سائر فوائده العامة وقل للذين لا يؤمنون اعملوا على مكانتكم على حالكم انا عاملون على حالنا وانتظروا بنا الدوائر انا منتظرون ان ينزل بكم نحو ما نزل على امثالكم ولله غيب السموات والارض خاصة لا يخفى عليه خافية مما فيهما واليه يرجع الامر كله فيرجع لا محالة امرك وامرهم اليه وقرأ نافع وحفص يُرجَع على البناء للمفعول فاعبده وتوكل عليه فانه كافيك وفي تقديم الامر بالعبادة على التوكل تنبيه على انه انما ينفع العابد وما ربك بغافل عما تعملون انت وهم فيجازي كلا ما يستحقه وقرأ نافع وحفص وابن عامر بالتاء هنا وفي آخر النمل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة هود اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بنوح ومن كذب به وهود وصالح وشعيب ولوط وابراهيم وموسى وكان يوم القيمة من السعداء ان شاء الله تعالى

سورة يوسف مكية وآيها مائة واحدى عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الر تلك آيات الكتاب المبين تلك اشارة الى آيات السورة وهي المرادة بالكتاب اي تلك الآيات آيات السورة الظاهر امرها في الاعجاز او الواضحة معانيها او المبينة لمن تدبرها انها من عند الله او لليهود ما سألوا اذ روي ان علماءهم قالوا لكبراء المشركين سلوا محمدا لم انتقل آل يعقوب من الشام الى مصر وعن قصة يوسف فنزلت انا انزلناه اي الكتاب قرآنا عربيا سمي البعض قرآنا لانه في الاصل اسم جنس يقع على الكل والبعض وصار علما للكل بالغلبة ونصبه على الحال وهو في نفسه اما توطئة للحال التي هي عربيا او حال لانه مصدر بمعنى مفعول وعربيا صفة له او حال من الضمير فيه او حال بعد حال وفي كل ذلك خلاف لعلكم تعقلون علة لانزاله بهذه الصفة اي انزلناه مجموعا او مقروءا بلغتكم كي تفهموه وتحيطوا بمعانيه او تستعملوا فيه عقولكم فتعلموا ان اقتصاصه كذلك ممن لم يتعلم القصص معجز لا يتصور الا بالايحاء نحن نقص عليك احسن القصص احسن الاقتصاص لانه اقتص على ابدع الاساليب او احسن ما يقص لاشتماله على العجائب

خارج من التشبيه كانه قيل وهو يعلمك ويعلمك من تاويل الاحاديث من تعبير الرؤيا لانها احاديث الملك ان كانت صادقة

واحاديث النفس او الشيطان ان كانت كاذبة او من تاويل غوامض كتب الله وسنن الانبياء وكلمات الحكماء وهو اسم

جمع للحديث كالاباطيل اسم جمع للباطل ويتم نعمته عليك بالنبوة او بان يصل نعمة الدنيا بنعمة الاخرة وعلى آل

يعقوب يريد به سائر بنيه ولعله استدل على نبوتهم بضوء الكواكب او نسله كما اتمها على ابويك بالرسالة وقيل

على ابراهيم بالخلة والانجاء من النار وعلى اسحاق بانقاذه من الذبح وفدائه بذبح عظيم من قبل من قبلك او من

قبل هذا الوقت ابراهيم واسحاق عطف بيان لابويك ان ربك عليم بمن يستحق الاجتباء حكيم يفعل الاشياء

على ما ينبغي لقد كان في يوسف واخوته اي في قصتهم آيات دلائل قدرة الله وحكمته او علامات نبوتك للسائلين لمن

سأل عن قصتهم والمراد باخوته علاته العشرة وهم يهوذا وروبيل وشمعون ولاوي وزبالون ويشجر ودينة من

بنت خالته ليا تزوجها يعقوب اولا فلما توفيت تزوج اختها راحيل فولدت له بنيامين ويوسف وقيل جمع

ولم يكن الجمع محرما حينئذ واربعة آخرون دان ونفتالي وجاد واشر من سريتين زلفة وبلهة اذ قالوا ليوسف

واخوه بنيامين وتخصيصه بالاضافة لاختصاصه بالاخوة من الطرفين احب الى ابينا منا وحده لان افعل من لا يفرق

فيه بين الواحد وما فوقه والمذكر وما يقابله بخلاف اخويه فان الفرق واجب في المحلى جائز في المضاف ونحن عصبة

والحال انا جماعة اقوياء احق بالمحبة من صغيرين لا كفاية فيهما والعصبة والعصابة العشرة فصاعدا سموا بذلك

لان الامور تعصب بهم ان ابانا لفي ضلال مبين لتفضيله المفضول او لترك التعديل في المحبة روي انه كان احب

اليه لما يرى فيه من المخايل وكان اخوته يحسدونه فلما رأى الرؤيا ضاعف له المحبة بحيث لم يصبر عنه فتبالغ

حسدهم حتى حملهم على التعرض له اقتلوا يوسف من جملة المحكي بعد قوله اذ قالوا كانهم اتفقوا على ذلك الا من قال

لا تقتلوه وقيل انما قاله شمعون او دان ورضي به الآخرون او اطرحوه ارضا منكورة بعيدة من العمران وهو معنى

تنكيرها وابهامها ولذلك نصبت كالظروف المبهمة يخل لكم وجه ابيكم جواب الامر والمعنى يصف لكم وجه ابيكم

فيقبل بكليته عليكم ولا يلتفت عنكم الى غيركم ولا ينازعكم في محبته احد وتكونوا جزم بالعطف على يخل او نصب باضمار ان

من بعده من بعد يوسف او الفراغ من امره او قتله او طرحه قوما صالحين تائبين الى الله عما جنيتم او صالحين مع ابيكم

يصلح ما بينكم وبينه بعذر تمهدونه او صالحين في امر دنياكم فانه ينتظم لكم بعده بخلو وجه ابيكم قال قائل منهم

يعني يهوذا وكان احسنهم فيه رأيا وقيل روبيل لا تقتلوا يوسف فان القتل عظيم والقوه في غيابت الجب في قعره

سمي به لغيبوبته عن عين الناظر وقرأ نافع في غيابات في الموضعين على الجمع كانه لتلك الجب غيابات وقرئ غيبة وغيابات

بالتشديد يلتقطه يأخذه بعض السيارة بعض الذين يسيرون في الارض ان كنتم فاعلين بمشورتي او ان كنتم على

ان تفعلوا ما يفرق بينه وبين ابيه قالوا يا ابانا ما لك لا تأمنا على يوسف لم تخافنا عليه وانا له لناصحون ونحن

نشفق عليه ونريد له الخير ارادوا به استنزاله عن رأيه في حفظه منهم لما تنسم من حسدهم والمشهورة

تأمنا بالادغام بالاشمام وعن نافع بترك الاشمام ومن الشواذ ترك الادغام لانهما من كلمتين وتيمنا بكسر التاء ارسله معنا

من الله ان يجترئوا على الجريرة روي انه لما سمع بخبر يوسف صاح وسأل عن قميصه فأخذه والقاه على وجهه وبكى حتى
خضب وجهه بدم القميص وقال ما رأيت كاليوم ذئبا احلم من هذا اكل ابني ولم يمزق عليه قميصه ولذلك قال
بل سولت لكم انفسكم امرا اي سهلت لكم وهونت في اعينكم امرا عظيما من السول وهو الاسترخاء فصبر جميل اي
فامري صبر جميل او فصبر جميل اجمل وفي الحديث الصبر الجميل الذي لا شكوى فيه الى الخلق والله المستعان على ما تصفون على احتمال
ما تصفونه من هلاك يوسف وهذه الجريمة كانت قبل استنبائهم ان صح وجاءت سيارة رفقة يسيرون من مدين
الى مصر فنزلوا قريبا من الجب وكان ذلك بعد ثلاث من القائه فيه فارسلوا واردهم الذي يرد الماء ويستقي
لهم وكان مالك بن ذعر الخزاعي فادلى دلوه فارسلها في الجب ليملأها فتدلى بها يوسف فلما رآه قال يا بشرى
هذا غلام نادى البشرى بشارة لنفسه او لقومه كانه قال تعالي فهذا اوانك وقيل هو اسم صاحب له ناداه ليعينه على
اخراجه وقرأ غير الكوفيين يا بشراي بالاضافة وامال فتحة الراء حمزة والكسائي وقرأ ورش بين اللفظين وقرئ
يا بشري بالادغام وهو لغة وبشراي بالسكون على قصد الوقف واسروه اي الوارد واصحابه من سائر الرفقة
وقيل اخفوا امره وقالوا لهم دفعه الينا اهل الماء لنبيعه لهم بمصر وقيل الضمير لاخوة يوسف وذلك ان يهوذا كان يأتيه
كل يوم بالطعام فأتاه يومئذ فلم يجده فيها فاخبر اخوته فأتوا الرفقة وقالوا هذا غلامنا ابق منا فاشتروه فسكت
يوسف مخافة ان يقتلوه بضاعة نصب على الحال اي اخفوه متاع التجارة واشتقاقه من البضع فانه ما بضع من
المال للتجارة والله عليم بما يعملون لم يخف عليه اسرارهم او صنيع اخوة يوسف بابيهم واخيهم وشروه وباعوه وفي
رجع الضمير الوجهان او اشتروه من اخوته بثمن بخس مبخوس لزيفه او نقصانه دراهم بدل من الثمن معدودة
قليلة فانهم كانوا يزنون ما بلغ الاوقية ويعدون ما دونها قيل كان عشرين درهما وقيل اثنين وعشرين وكانوا
فيه في يوسف من الزاهدين الراغبين عنه والضمير في وكانوا ان كان للاخوة فظاهر وان كان للرفقة وكانوا بائعين
فزهدهم فيه لانهم التقطوه والملتقط للشيء متهاون به خائف من انتزاعه مستعجل في بيعه وان كانوا مبتاعين فلانهم
اعتقدوا انه آبق وفيه متعلق بالزاهدين ان جعل اللام للتعريف وان جعل بمعنى الذي فهو متعلق بمحذوف يبينه الزاهدين
لان متعلق الصلة لا يتقدم على الموصول وقال الذي اشتراه من مصر وهو العزيز الذي كان على خزائن مصر واسمه قطفير
او اطفير وكان الملك يومئذ ريان بن الوليد العمليقي وقد آمن بيوسف ومات في حيوته وقيل كان فرعون
موسى عاش اربعمائة لقوله تعالى ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات والمشهور انه من اولاد فرعون يوسف والآية من
قبيل خطاب الاولاد باحوال الآباء روي انه اشتراه العزيز وهو ابن سبع عشرة سنة ولبث في منزله ثلاث عشرة
سنة واستوزره الريان وهو ابن ثلث وثلثين سنة وتوفي وهو ابن مائة وعشرين واختلف فيما اشتراه به
من جعل شراه غير الاول فقيل عشرون دينارا وزوجا نعل وثوبان ابيضان وقيل ملؤه فضة وقيل ذهبا لامرأته راعيل
اكرمي مثواه اجعلي مقامه عندنا كريما اي حسنا والمعنى احسني تعهده عسى ان ينفعنا في ضياعنا واموالنا و
نستظهر به في مصالحنا او نتخذه ولدا نتبناه وكان عقيما لما تفرس فيه من الرشد ولذلك قيل افرس الناس ثلثة

فقدّ
مِنْ دُبُرٍ اجتذبته من ورائه فانقد قميصه والقدّ الشق طولاً والقطّ الشق عرضاً وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا وصادفا
زوجها لَدَى الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ايهاماً بانها فرت منه تبرئة لساحتها
عند زوجها وتغييره على يوسف واغراءه به انتقاماً منه وما نافية او استفهامية بمعنى اى شئ جزاءه الا السجن قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي
عَنْ نَفْسِي طالبتني بالمواتاة وانما قال ذلك دفعاً لما عرضته له من السجن او العذاب الاليم ولو لم تكذب عليه لما قاله
وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا قيل ابن عمها وقيل ابن خال لها صبياً فى المهد وعن النبى صلعم تكلم اربعة صغاراً ابن ماشطة
فرعون وشاهد يوسف وصاحب جريج وعيسى وانما القى الله الشهادة على لسان اهلها لتكون الزم عليها إِنْ كَانَ
قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ لانه يدل على انها قدت قميصه من قدامه بالدفع عن نفسها
او انه اسرع خلفها فتعثر بذيله فانقد جيبه وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ لانه يدل على
انها تبعته فاجتذبت ثوبه فقدته والشرطية محكية على ارادة القول او على ان فعل الشهادة من القول وتسميتها
شهادة لانها ادت مؤداها والجمع بين ان وكان على تأويل ان يعلم انه كان ونحوه ونظيره قولك ان احسنت الى
فقد احسنت اليك من قبل فان معناه ان تمنن علىّ باحسانك امنن عليك باحسانى السابق وقرئ من قبل ومن دبر
بالضم لانهما قطعا عن الاضافة كقبل وبعد وبالفتح كانهما جعلا علمين للجهتين فمنعا الصرف وبسكون العين فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ
قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ اى ان قولك ما جزاء من اراد باهلك سوءا او ان هذا الامر مِنْ كَيْدِكُنَّ من
حيلتكن والخطاب لها ولامثالها او لسائر النساء إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ فان كيد النساء الطف واعلق بالقلب واشد
تأثيراً فى النفس ولانهن يواجهن به الرجال والشيطان يوسوس به مسارقة يُوسُفُ حذف منه حرف النداء لقربه وتفطنه
للحديث أَعْرِضْ عَنْ هَذَا اكتمه ولا تذكره وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ يا راعيل إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ من القوم
المذنبين من خطئ اذا اذنب متعمداً والتذكير للتغليب وَقَالَ نِسْوَةٌ هو اسم لجمع امرأة وتأنيثه بهذا الاعتبار غير حقيقى
ولذلك جرد فعله وضم النون لغة فيها فِي الْمَدِينَةِ ظرف لقال اى اشعن الحكاية فى مصر او صفة نسوة وكن خمساً
زوجة الحاجب والساقى والخباز والسجان وصاحب الدواب امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ تطلب مواقعة غلامها اياها
والعزيز بلسان العرب الملك واصل فتى فتى لقولهم فتيان والفتوة شاذة قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا شق شغاف قلبها
وهو حجابه حتى وصل الى فؤادها حباً ونصبه على التمييز لصرف الفعل عنه وقرئ شعفها من شعف البعير
اذا هنأه بالقطران فاحرقه إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ فى ضلال عن الرشد وبعد عن الصواب فَلَمَّا سَمِعَتْ
بِمَكْرِهِنَّ باغتيابهن وانما سماه مكراً لانهن اخفينه كما يخفى الماكر مكره او قلن ذلك لتريهن يوسف او لانها استكتمتهن
سرها فافشينه عليها أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ تدعوهن قيل دعت اربعين امرأة فيهن الخمس وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً ما يتكئن
عليه من الوسائد وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ سِكِّينًا حتى يتكئن والسكاكين بايديهن فاذا خرج عليهن يبهتن و
يشغلن عن انفسهن فتقع ايديهن على ايديهن فيقطعنها فيبكتن بالحجة او يهاب يوسف من مكرها اذا خرج وحده
على اربعين امرأة فى ايديهن الخناجر وقيل متكأ طعاماً او مجلس طعام فانهم كانوا يتكئون للطعام والشراب ترفاً

١٢

كيدهن فثبته بالعصمة حتى وطن نفسه على مشقة السجن وآثرها على اللذة المتضمنة للعصيان انه هو السميع لدعاء
الملتجئين اليه العليم باحوالهم وما يصلحهم ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات ثم ظهر للعزيز واهله من بعد ما رأوا
الشواهد الدالة على براءة يوسف كشهادة الصبي وقد القميص وقطع النساء ايديهن واستعصامه عنهن وفاعل
بدا مضمر يفسره ليسجننه حتى حين وذلك لانها خدعت زوجها وحملته على سجنه زمانا حتى تبصر ما يكون منه او يحسب
الناس انه المجرم فلبث في السجن سبع سنين وقرئ بالتاء على ان بعضهم خاطبه العزيز على التعظيم او العزيز ومن
يليه وعتى بلغة هذيل ودخل معه السجن فتيان اي ادخل يوسف السجن واتفق ان ادخل حينئذ آخران من عبيد
الملك شرابيه وخبازه للاتهام بانهما يريدان ان يسماه قال احدهما يعني الشرابي اني اراني اي في المنام وهي
حكاية حال ماضية اعصر خمرا اي عنبا وسماه بما يؤول اليه وقال الآخر اي الخباز اني اراني احمل فوق رأسي
خبزا تأكل الطير منه تنهش منه نبئنا بتأويله انا نراك من المحسنين من الذين يحسنون تأويل الرؤيا او من
العالمين وانما قالا ذلك لانهما رأياه في السجن يذكر الناس ويعبر رؤياهم او من المحسنين الى اهل السجن
فاحسن الينا بتأويل ما رأينا ان كنت تعرفه قال لا يأتيكما طعام ترزقانه الا نبأتكما بتأويله اي بتأويل ما قصصتما
علي او بتأويل الطعام يعني بيان ماهيته وكيفيته فانه يشبه تفسير المشكل كأنه اراد ان يدعوهما الى التوحيد ويرشدهما
طريق القويم قبل ان يسعف الى ما سألاه منه كما هو طريق الانبياء والنازلين منازلهم من العلماء في الهداية والارشاد
فقدم ما يكون معجزة له من الاخبار بالغيب ليدلهما على صدقه في الدعوة والتعبير قبل ان يأتيكما ذلكما اي ذلك
التأويل مما علمني ربي بالالهام والوحي وليس من قبيل التكهن والتنجيم اني تركت ملة قوم لا يؤمنون
بالله وهم بالآخرة هم كافرون تعليل لما قبله اي علمني ذلك لاني تركت ملة اولئك واتبعت ملة آبائي ابرهيم
واسحق ويعقوب وكلام مبتدأ لتمهيد الدعوة واظهار انه من بيت النبوة ليقوى رغبتهما في الاستماع اليه والوثوق
عليه ولذلك جوز للخامل ان يصف نفسه حتى يعرف فيقتبس منه وتكرير الضمير للدلالة على اختصاصهم وتأكيد كفرهم
بالآخرة ما كان لنا ما صح لنا معشر الانبياء ان نشرك بالله من شيء اي شيء كان ذلك اي التوحيد من فضل الله
علينا بالوحي وعلى الناس وعلى سائر الناس ببعثنا لارشادهم وتثبيتهم عليه ولكن اكثر الناس المبعوث
اليهم لا يشكرون هذا الفضل فيعرضون عنه ولا يتنبهون او من فضل الله علينا وعليهم بنصب الدلائل
وانزال الآيات ولكن اكثرهم لا ينظرون اليها ولا يستدلون بها فيلغونها كمن يكفر النعمة ولا يشكرها يا صاحبي السجن
يا ساكنيه او يا صاحبي فيه فاضافهما اليه على الاتساع كقوله يا سارق الليلة اهل الدار أأرباب متفرقون شتى
متعددة متساوية الاقدام خير ام الله الواحد المتوحد بالالوهية القهار الغالب الذي لا يعادله ولا يقاومه
غيره ما تعبدون من دونه خطاب لهما ولمن على دينهما من اهل مصر الا اسماء سميتموها انتم وآباؤكم ما انزل
الله بها من سلطان اي الا اشياء باعتبار اسام اطلقتم عليها من غير حجة تدل على تحقق مسمياتها فيها فكأنكم لا تعبدون
الا الاسماء المجردة والمعنى انكم سميتم ما لم يدل على استحقاقه الالوهية عقل ولا نقل آلهة ثم اخذتم

٣٩٧

اعتراض ومقول للقول أنا أنبئكم بتأويله فأرسلون أي إلى من عنده علمه أو إلى السجن يوسف أيها الصديق أي فأرسل إلى يوسف فجاءه وقال يا يوسف وإنما وصفه بالصديق وهو المبالغ في الصدق لأنه جرب أحواله وعرف صدقه في تأويل رؤياه ورؤيا صاحبه أفتنا في سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات أي في تأويل رؤيا ذلك لعلي أرجع إلى الناس أعود إلى الملك ومن عنده أو إلى أهل البلد إذ قيل إن السجن لم يكن فيه لعلهم يعلمون تأويلها أو فضلك ومكانك وإنما لم يبت الكلام فيهما لأنه لم يكن جازماً من الرجوع فربما اخترم دونه ولا من علمهم قال تزرعون سبع سنين دأباً أي على عادتكم المستمرة وانتصابه على الحال بمعنى دائبين أو المصدر بإضمار فعله أي تدأبون دأباً وتكون الجملة حالاً وقرأ حفص دأباً بفتح الهمزة وكلاهما مصدر دأب في العمل وقيل تزرعون أمر أخرجه في صورة الخبر مبالغة لقوله فما حصدتم فذروه في سنبله لئلا يأكله السوس وهو على الأول نصيحة خارجة عن العبارة إلا قليلاً مما تأكلون في تلك السنين ثم يأتي من بعد ذلك سبع شداد يأكلن ما قدمتم لهن أي يأكل أهلهن ما ادخرتم لأجلهن فأسند إليهن على المجاز تطبيقاً بين المعبر والمعبر به إلا قليلاً مما تحصنون تحرزون لبذور الزراعة ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس يمطرون من الغيث أو يغاثون من القحط من الغوث وفيه يعصرون ما يعصر كالعنب والزيتون لكثرة الثمار وقيل يحلبون الضروع وقرأ حمزة والكسائي بالتاء على تغليب المستفتي وقرئ على بناء المفعول من عصره إذا أنجاه ويحتمل أن يكون المبني للفاعل منه أي يغيثهم الله ويغيث بعضهم بعضاً أو من أعصرت السحابة عليهم فعدي بنزع الخافض أو بتضمينه معنى المطر وهذه بشارة بشرهم بها بعد أن أول البقرات السمان والسنبلات الخضر بسنين مخصبة والعجاف واليابسات بسنين مجدبة وابتلاع العجاف السمان بأكل ما جمع في السنين المخصبة في السنين المجدبة ولعله علم ذلك بالوحي أو بأن انتهاء الجدب بالخصب أو بأن السنة الإلهية على أن يوسع على عباده بعد ما ضيق عليهم وقال الملك ائتوني به بعد ما جاءه الرسول بالتعبير فلما جاءه الرسول ليخرجه قال ارجع إلى ربك فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن إنما تأنى في الخروج وقدم سؤال النسوة وفحص حالهن لتظهر براءة ساحته ويعلم أنه سجن ظلماً فلا يقدر الحاسد أن يتوسل به إلى تقبيح أمره وفيه دليل على أنه ينبغي أن يجتهد في نفي التهم ويتقي مواقعها وعن النبي صلعم لو كنت مكانه ولبثت في السجن ما لبث لأسرعت الإجابة وإنما قال فاسأله ما بال النسوة ولم يقل فاسأله أن يفتش عن حالهن تهييجاً له على البحث وتحقيق الحال وإنما لم يتعرض لسيدته مع ما صنعت به كرماً ومراعاة للأدب وقرئ النسوة بضم النون إن ربي بكيدهن عليم حين قلن لي أطع مولاتك وفيه تعظيم كيدهن والاستشهاد بعلم الله عليه وعلى أنه بريء مما قذف به والوعيد لهن على كيدهن قال ما خطبكن قال الملك لهن ما شأنكن والخطب أمر يحق أن يخاطب فيه صاحبه إذ راودتن يوسف عن نفسه قلن حاش لله تنزيه له وتعجب من قدرته على خلق عفيف مثله ما علمنا عليه من سوء من ذنب قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق ثبت واستقر من حصحص البعير إذا ألقى مباركه ليناخ قال فحصحص في صم الصفا ثفناته وناء بسلمى نوأة ثم صمما أو ظهر من حص شعره إذا استأصله بحيث ظهرت بشرة رأسه وقرئ على البناء للمفعول أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين في قوله هي راودتني عن نفسي ذلك ليعلم قاله يوسف لما عاد إليه الرسول وأخبره بكلامهن أي

عرفهم يوسف ولم يعرفوه لطول العهد ومفارقتهم اياه في سن الحداثة ونسيانهم اياه وتوهمهم انه هلك وبعد حاله
رأوه عليها من حاله حين فارقوه وقلة تاملهم في حلاه من التهيب والاستعظام ولما جهزهم بجهازهم اصلحهم بعدتهم واوقر
ركائبهم بما جاؤا لاجله والجهاز ما يعد من الامتعة للنقلة كعدد السفر وما يحمل من بلدة الى اخرى وما تزف به
المراة الى زوجها وقرئ بجهازهم بالكسر قال ائتوني باخ لكم من ابيكم روي انهم لما دخلوا عليه قال من انتم وما امركم
لعلكم عيون قالوا معاذ الله انما نحن بنو اب واحد وهو شيخ صديق نبي من الانبياء اسمه يعقوب عم قال كم انتم
قالوا كنا اثني عشر فذهب احدنا الى البرية وهلك قال فكم انتم ههنا قالوا عشرة قال فاين الحادي عشر قالوا عند ابينا
يتسلى به من الهالك قال فمن يشهد لكم قالوا لا يعرفنا ههنا من يشهد لنا قال فدعوا بعضكم عندي رهينة وائتوني
باخيكم من ابيكم حتى اصدقكم فاقترعوا فاصابت شمعون وقيل كان يوسف يعطي لكل نفر حملا فسالوا حملا زائدا لاخ لهم من ابيهم
فاعطاهم وشرط عليهم ان ياتوه به ليعلم صدقهم الا ترون اني اوفي الكيل اتمه وانا خير المنزلين للضيف والمضيفين
لهم وكان احسن انزالهم وضيافتهم فان لم تاتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون اي ولا تقربوني ولا تدخلوا
دياري وهو اما نهي او نفي معطوف على الجزاء قالوا سنراود عنه اباه سنجتهد في طلبه من ابيه وانا لفاعلون ذلك لا نتوانى
فيه وقال لفتيته لغلمانه الكيالين جمع فتى وقرا حمزة والكسائي وحفص لفتيانه على جمع الكثرة ليوافق قوله
اجعلوا بضاعتهم في رحالهم فانه وكل بكل رحل واحدا يعبي فيه بضاعتهم التي شروا بها الطعام وكانت نعالا وادما
وانما فعل ذلك توسيعا وتفضلا عليهم وترفعا من ان ياخذ ثمن الطعام منهم وخوفا من ان لا يكون عند ابيه ما يرجعون
به لعلهم يعرفونها لعلهم يعرفون حق ردها او لكي يعرفوها اذا انقلبوا الى اهلهم وفتحوا اوعيتهم لعلهم يرجعون
لعل معرفتهم ذلك تدعوهم الى الرجوع فلما رجعوا الى ابيهم قالوا يا ابانا منع منا الكيل حكم بمنعه بعد هذا ان لم نذهب ببنيامين
فارسل معنا اخانا نكتل نرفع المانع من الكيل ونكتل ما نحتاج اليه وقرا حمزة والكسائي بالياء على اسناده الى الاخ اي يكتل لنفسه فينضم
اكتياله الى اكتيالنا وانا له لحافظون عن ان يناله مكروه قال هل امنكم عليه الا كما امنتكم على اخيه من قبل وقد قلتم
في يوسف وانا له لحافظون فالله خير حفظا فاتوكل عليه وافوض امري اليه وهو ارحم الراحمين فارجوا ان يرحمني بحفظه ولا
يجمع علي مصيبتين وانتصب حفظا على التمييز وحافظا في قراءة حمزة والكسائي وحفص يحتمله والحال كقولهم لله دره فارسا
وقرئ خير حافظ او خير الحافظين ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت اليهم وقرئ ردت بنقل كسرة الدال المدغمة
الى الراء نقلها في بيع وقيل قالوا يا ابانا ما نبغي ماذا نطلب هل من مزيد على ذلك اكرمنا واحسن مثوانا وباع منا ورد علينا
متاعنا او لا نطلب وراء ذلك احسانا او لا نبغي في القول ولا نتزيد فيما حكينا لك من احسانه وقرئ ما تبغي على
الخطاب اي اي شيء تطلب وراء هذا من الاحسان او من الدليل على صدقنا هذه بضاعتنا ردت الينا استئناف موضح لقوله
ما نبغي ونمير اهلنا معطوف على محذوف اي ردت الينا فنستظهر بها ونمير اهلنا بالرجوع الى الملك ونحفظ اخانا عن
المخاوف في ذهابنا وايابنا ونزداد كيل بعير وسق بعير باستصحاب اخينا هذا اذا كانت ما استفهامية اما اذا كانت
نافية احتمل ذلك واحتمل ان تكون الجمل معطوفة على ما نبغي اي لا نبغي فيما نقول ونمير اهلنا ونحفظ اخانا ذلك كيل يسير

وهو اسم للابل التى عليها الاحمال لانها تعير اى تتردد فقيل لاصحابها كقوله عليه السلام يا خيل الله اركبى وقيل جمع عير
واصله فعل كسقف فعل به ما فعل ببيض تجنبا عن الكسر ثم استعير لكل قافلة قالوا واقبلوا عليهم ماذا
تفقدون اى شىء ضاع منكم والفقد غيبة الشىء عن الحس بحيث لا يعرف مكانه وقرئ تفقدون من افقدته
اذا وجدته فقيدا قالوا نفقد صواع الملك وقرئ صاع وصوع بالفتح والضم والعين والغين وصواغ من الصياغة
ولمن جاء به حمل بعير من الطعام جعلا له وانا به زعيم كفيل اؤديه الى من رده وفيه دليل على جواز الجعالة
وضمان الجعل قبل تمام العمل قالوا تالله قسم فيه معنى التعجب والتاء بدل من الباء مختصة باسم الله لقد علمتم ما جئنا لنفسد فى الارض وما
كنا سارقين استشهدوا بعلمهم على براءة انفسهم لما عرفوا منهم فى كرتى مجيئهم ومداخلتهم للملك مما يدل على فرط امانتهم كرد البضاعة
التى جعلت فى رحالهم وكعم الدواب لئلا تتناول زرعا او طعاما لاحد قالوا فما جزاؤه فما جزاء السارق او السرق او الصواع
على حذف المضاف ان كنتم كاذبين فى ادعاء البراءة قالوا جزاؤه من وجد فى رحله فهو جزاؤه اى جزاء سرقته اخذ
من وجد فى رحله واسترقاقه هكذا كان شرع يعقوب وقوله فهو جزاؤه تقرير للحكم والزام له او خبر من
والفاء لتضمنها معنى الشرط وجواب لها على انها شرطية والجملة كما هى خبر جزاؤه على اقامة الظاهر فيها مقام الضمير
كانه قيل جزاؤه من وجد فى رحله فهو هو كذلك نجزى الظالمين بالسرقة فبدأ باوعيتهم فبدأ المؤذن وقيل يوسف
لانهم ردوا الى مصر قبل وعاء اخيه بنيامين نفيا للتهمة ثم استخرجها اى السقاية او الصواع لانه يذكر ويؤنث من
وعاء اخيه وقرئ بضم الواو وبقلبها همزة كذلك مثل ذلك الكيد كدنا ليوسف بان علمناه اياه واوحينا به اليه
ما كان ليأخذ اخاه فى دين الملك ملك مصر لان دينه الضرب وتغريم ضعف ما اخذ دون الاسترقاق وهو
بيان للكيد الا ان يشاء الله الا ان يجعل ذلك الحكم حكم الملك فالاستثناء من اعم الاحوال ويجوز ان يكون منقطعا اى لكن
اخذه بمشيئة الله واذنه نرفع درجات من نشاء بالعلم كما رفعنا درجته وفوق كل ذى علم عليم ارفع درجة منه واحتج
به من زعم انه تعالى عالم بذاته اذ لو كان ذا علم لكان فوقه من هو اعلم منه والجواب ان المراد كل ذى علم من الخلق
لان الكلام فيهم ولان العليم هو الله تعالى ومعناه الذى له العلم البالغ لغة ولانه لا فرق بينه وبين قولنا فوق كل
العلماء عليم وهو مخصوص قالوا ان يسرق بنيامين فقد سرق اخ له من قبل يعنون يوسف قيل ورثت عمته من ابيها
منطقة ابراهيم وكانت تحضن يوسف وتحبه فلما شب اراد يعقوب انتزاعه منها فشدت المنطقة على وسطه ثم اظهرت
ضياعها فتفحص عنها فوجدت محزومة عليه فصارت احق به فى حكمهم وقيل كان لابى امه صنم فسرقه وكسره والقاه
فى الجيف وقيل كان فى البيت عناق او دجاجة فاعطاها السائل فاسرها يوسف فى نفسه ولم يبدها لهم اكنها فى نفسه
ولم يظهرها لهم والضمير للاجابة او المقالة او نسبة السرقة اليه وقيل انها كناية بشريطة التفسير يفسرها قوله قال انتم
شر مكانا فانه بدل من اسرها والمعنى قال فى نفسه انتم شر مكانا اى منزلة فى السرق لسرقتكم اخاكم او فى سوء الصنيع
مما كنتم عليه وتأنيثها باعتبار الكلمة او الجملة وفيه نظر اذ المفسر بالجملة لا يكون الا ضمير الشان والله اعلم بما تصفون
وهو يعلم ان الامر ليس كما تصفون قالوا يا ايها العزيز ان له ابا شيخا كبيرا فى السن او القدر ذكروا له حاله استعطافا له

حين اصابه ما اصابه واسترجع وقال يا اسفا وابيضت عيناه من الحزن لكثرة بكائه من الحزن كأن العبرة محقت
سوادها وقيل ضعف بصره وقيل عمي وقرئ من الحزن وفيه دليل على جواز التأسف والبكاء عند التفجع ولعل امثال ذلك
لا تدخل تحت التكليف فانه قل من يملك نفسه عند الشدائد ولقد بكى رسول الله صلى الله عليه وسلم على ولده ابراهيم وقال
القلب يجزع والعين تدمع ولا نقول ما يسخط الرب وانا عليك يا ابراهيم لمحزونون فهو كظيم مملوء من الغيظ على اولاده ممسك
له في قلبه لا يظهره فعيل بمعنى مفعول كقوله وهو مكظوم من كظم السقاء اذا شده على ملئه او بمعنى فاعل كقوله والكاظمين
من كظم الغيظ اذا اجترعه واصله كظم البعير جرته اذا ردها في جوفه قالوا تالله تفتؤ تذكر يوسف اي لا تفتؤ ولا تزال
تذكره تفجعا عليه فحذف لا كما في قوله ❊ فقلت يمين الله ابرح قاعدا ❊ ولو قطعوا راسي لديك واوصالي ❊ لانه لا يلتبس
فان القسم اذا لم يكن معه علامة الاثبات كان على النفي حتى تكون حرضا مريضا مشفيا على الهلاك وقيل الحرض الذي
اذابه هم او مرض وهو في الاصل مصدر ولذلك لا يؤنث ولا يجمع والنعت بالكسر كدنف ودنف وقد قرئ به وبضمتين
كجنب او تكون من الهالكين من الميتين قال انما اشكو بثي وحزني همي الذي لا اقدر الصبر عليه من البث بمعنى
النشر الى الله لا الى احد منكم ومن غيركم فخلوني وشكايتي واعلم من الله من صنعه ورحمته وانه لا يخيب داعيه ولا يدع
الملتجئ اليه او من الله بنوع من الالهام ما لا تعلمون من حياة يوسف قيل رأى ملك الموت في المنام فسأله عنه فقال
هو حي وقيل علم من رؤيا يوسف انه لا يموت حتى يخر له اخوته سجدا يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف واخيه فتعرفوا منهما
وتفحصوا عن حالهما والتحسس تطلب الاحساس ولا تيأسوا من روح الله لا تقنطوا من فرجه وتنفيسه وقرئ من روح الله اي
من رحمته التي يحيي بها العباد انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون بالله وصفاته فان العارف لا يقنط من رحمته
في شيء من الاحوال فلما دخلوا عليه قالوا يا ايها العزيز بعد ما رجعوا الى مصر رجعة ثانية مسنا واهلنا الضر
شدة الجوع وجئنا ببضاعة مزجاة رديئة او قليلة ترد وتدفع رغبة عنها من ازجيته اذا دفعته ومنه تزجية الزمان وقيل
كانت دراهم زيوفا وقيل صوفا وسمنا وقيل الصنوبر وحبة الخضراء وقيل الاقط وسويق المقل فاوف لنا الكيل فاتم لنا الكيل
وتصدق علينا برد اخينا او بالمسامحة وقبول المزجاة او بالزيادة على ما يساويها واختلف في ان حرمة الصدقة تعم الانبياء او تختص بنبينا
عليه وعليهم الصلاة والسلام ان الله يجزي المتصدقين احسن الجزاء والتصدق التفضل مطلقا ومنه قوله عليه السلام
في القصر هذه صدقة تصدق الله تعالى بها عليكم فاقبلوا صدقته لكنه اختص عرفا بما يبتغى به ثواب من الله تعالى قال هل
علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه اي هل علمتم قبحه فتبتم عنه وفعلهم باخيه افراده عن يوسف واذلاله حتى كان لا يستطيع ان
يكلمهم الا بعجز وذلة اذ انتم جاهلون قبحه فلذلك اقدمتم عليه وانما قال ذلك تنصيحا لهم وتحريضا على التوبة و
شفقة عليهم لما رأى من عجزهم وتمسكنهم لا معاتبة وتثريبا وقيل اعطوه كتاب يعقوب في تخليص بنيامين وذكروا له ما
هو فيه من الحزن على فقد يوسف واخيه فقال لهم ذلك وانما جهلهم لان فعلهم كان فعل الجهال او لانهم كانوا حينئذ صبيانا طياشين
قالوا ائنك لانت يوسف استفهام تقرير ولذلك حقق بان واللام عليه وقرأ ابن كثير على الايجاب قيل عرفوه بروائه وشمائله
حين كلمهم به وقيل تبسم فعرفوه بثناياه وقيل رفع التاج عن راسه فراوا علامة بقرنه تشبه الشامة البيضاء وكانت لسارة

واعتنقهما نزلها منزلة الام تنزيل العم منزلة الاب في قوله واله آبائك ابراهيم واسماعيل واسحاق وان يعقوب تزوجها بعد
امه والرابة تدعى امًّا وقال ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين من القحط واصناف المكاره والمشية متعلقة بالدخول المكيف بالامن والدخول
الاول كان في موضع خارج البلد حين استقبلهم ورفع ابويه على العرش وخروا له سجدا تحية وتكرمة له فان السجود كان
عندهم يجري مجراها وقيل معناه خروا لاجله سجدا لله شكرا وقيل الضمير لله والواو لابويه واخوته والرفع مؤخر عن الخرور وان
تقدم لفظا للاهتمام بذكره بتعظيمه لهما وقال يا ابت هذا تأويل رؤياي من قبل التي رأيتها ايام الصبي قد جعلها ربي حقا صدقا
وقد احسن بي اذ اخرجني من السجن ولم يذكر الجب لئلا يكون تثريبا عليهم وجاء بكم من البدو من البادية لانهم كانوا اصحاب
المواشي واهل البدو من بعد ان نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي افسد بيننا وحرش من نزغ الرائض الدابة اذا نخسها وحملها
على الجري ان ربي لطيف لما يشاء لطيف التدبير له اذ ما من صعب الا وتنفذ فيه مشيته ويتسهل دونها انه هو العليم بوجوه
المصالح والتدابير الحكيم الذي يفعل كل شيء في وقته وعلى وجه تقتضيه الحكمة روي ان يوسف طاف
بابيه عليهما السلام في خزائنه فلما ادخله خزانة القرطاس قال يا بني ما اعقك عندك هذه القراطيس وما كتبت الي على
ثماني مراحل قال امرني جبريل قال او ما تسأله قال انت ابسط مني اليه فسأله قال جبريل الله امرني بذلك لقولك واخاف
ان ياكله الذئب قال فهلا خفتني رب قد آتيتني من الملك بعض الملك وهو ملك مصر وعلمتني من تأويل الاحاديث
الكتب او الرؤيا ومن ايضا للتبعيض لانه لم يؤت كل التاويل فاطر السموات والارض مبدعهما وانتصابه على انه صفة
المنادى او منادى برأسه انت وليي ناصري او متولي امري في الدنيا والآخرة او الذي يتولاني بالنعمة فيهما توفني
مسلما اقبضني والحقني بالصالحين من آبائي او بعامة الصالحين في الرتبة والكرامة روي ان يعقوب اقام معه في مصر
اربعا وعشرين سنة ثم توفي واوصى ان يدفن بالشام الى جنب ابيه فذهب به ودفنه ثمة وعاد وعاش بعده
ثلاثا وعشرين سنة ثم تاقت نفسه الى الملك المخلد فتمنى الموت فتوفاه الله طيبا طاهرا فتخاصم اهل مصر في مدفنه حتى هموا
بالقتال فرأوا ان يجعلوه في صندوق من مرمر ويدفنوه في النيل بحيث يمر عليه الماء ثم يصل الى مصر ليكونوا شرعا فيه ثم نقله موسى عليه السلام
الى مدفن آبائه وكان عمره مائة وعشرين سنة وقد ولد له من راعيل افرائيم وميشا وهو جد يوشع بن نون ورحمة امرأة ايوب
ذلك اشارة الى ما ذكر من نبأ يوسف والخطاب فيه للرسول صلى الله عليه وسلم وهو مبتدأ من انباء الغيب نوحيه اليك خبران له
وما كنت لديهم اذ اجمعوا امرهم وهم يمكرون كالدليل عليهما والمعنى ان هذا النبأ غيب لم تعرفه الا بالوحي لانك
لم تحضر اخوة يوسف حين عزموا على ما هموا به من ان يجعلوه في غيابت الجب وهم يمكرون به وبابيه ليرسله معهم ومن
المعلوم الذي لا يخفى على مكذبيك انك ما لقيت احدا سمع ذلك فتعلمته منه وانما حذف هذا الشق استغناء بذكره في
غير هذه القصة كقوله ما كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا وما اكثر الناس ولو حرصت على ايمانهم وبالغت في اظهار الآيات
عليهم بمؤمنين لعنادهم وتصميمهم على الكفر وما تسألهم عليه على الانباء او القرآن من اجر جعل كما يفعله حملة الاخبار
ان هو الا ذكر عظة من الله للعالمين عامة وكأين من آية وكم من آية والمعنى وكأي عدد تثبت من الدلائل الدالة على
وجود الصانع وحكمته وكمال قدرته وتوحيده في السموات والارض يمرون عليها على الآيات ويشاهدونها وهم عنها معرضون

وتفصيل كل شيء يحتاج اليه في الدين اذ ما من امر ديني الا وله سند من القران بوسط او بغير وسط وهدى من الضلال ورحمة ينال بها خير الدارين لقوم يؤمنون يصدقونه وعن النبي صلى الله عليه وسلم علموا ارقاءكم سورة يوسف فانه ايما مسلم تلاها وعلمها اهله وما ملكت يمينه هون الله عليه سكرات الموت واعطاه القوة ان لا يحسد مسلما

سورة الرعد مدنية وقيل مكية الا قوله ويقول الذين كفروا الاية وايها خمس واربعون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

المر قيل معناه انا الله اعلم وارى تلك ايت الكتب يعني بالكتاب السورة وتلك اشارة الى اياتها اي تلك الايات ايات السورة الكاملة او القران والذي انزل اليك من ربك هو القران كله ومحله الجر بالعطف على الكتاب عطف العام على الخاص او احدى الصفتين على الاخرى او الرفع بالابتداء وخبره الحق والجملة كالحجة على الجملة الاولى وتعريف الخبر وان دل على اختصاص المنزل بكونه حقا فهو اعم من المنزل صريحا او ضمنا كالمثبت بالقياس وغيره مما نطق المنزل بحسن اتباعه ولكن اكثر الناس لا يؤمنون لاخلالهم بالنظر والتامل فيه الله الذي رفع السموت مبتدأ وخبره ويجوز ان يكون الموصول صفة والخبر يدبر الامر بغير عمد اساطين جمع عماد كاهاب واهب او عمود كاديم وادم وقرئ عمد كرسل ترونها صفة لعمد او استيناف للاستشهاد برؤيتهم السموات كذلك وهو دليل على وجود الصانع الحكيم فان ارتفاعها على سائر الاجسام المساوية لها في حقيقة الجرمية واختصاصها بما يقتضي ذلك لا بد وان يكون لمخصص ليس بجسم ولا جسماني يرجح بعض الممكنات على بعض بارادته وعلى هذا المنهاج سائر ما ذكر من الايات ثم استوى على العرش بالحفظ والتدبير وسخر الشمس والقمر ذللهما لما اراد منهما كالحركة المستمرة على حد من السرعة تنفع في حدوث الكائنات وبقائها كل يجري لاجل مسمى لمدة معينة يتم فيها ادواره او لغاية مضروبة ينقطع دونها سيره وهي اذا الشمس كورت واذا النجوم انكدرت يدبر الامر امر ملكوته من الايجاد والاعدام والاحياء والاماتة وغير ذلك يفصل الايت ينزلها ويبينها مفصلة او يحدث الدلائل واحدا بعد واحد لعلكم بلقاء ربكم توقنون لكي تتفكروا فيها وتتحققوا كمال قدرته فتعلموا ان من قدر على خلق هذه الاشياء المخلوقات وتدبيرها قدر على الاعادة والجزاء وهو الذي مد الارض بسطها طولا وعرضا لتثبت عليها الاقدام ويتقلب عليها الحيوان وجعل فيها روسي جبالا ثوابت من رسا الشيء اذا ثبت جمع راسية والتاء للتانيث على انها صفة اجبل او للمبالغة وانهارا ضمها الى الجبال وعلق بهما فعلا واحدا من حيث ان الجبال اسباب لتولدها ومن كل الثمرت متعلق بقوله جعل فيها زوجين اثنين اي وجعل فيها من جميع انواع الثمرات صنفين اثنين كالحلو والحامض والاسود والابيض والصغير والكبير يغشي اليل النهار يلبسه مكانه فيصير الجو مظلما بعدما كان مضيئا وقرأ حمزة والكسائي وابو بكر يغشي بالتشديد ان في ذلك لايت لقوم يتفكرون فيها فان تكونها وتخصصها بوجه دون وجه دليل على وجود صانع حكيم دبر امرها وهيا اسبابها وفي الارض قطع متجورت بعضها طيبة وبعضها سبخة وبعضها رخوة وبعضها صلبة وبعضها يصلح للزرع دون الشجر وبعضها بالعكس ولولا تخصيص قادر موقع لافعاله على وجه دون وجه لم يكن كذلك لاشتراك تلك القطع في الطبيعة الارضية وما يلزمها ويعرض لها بتوسط ما يعرض من الاسباب السماوية من حيث انها متضامة متشاركة في النسب والاوضاع وجنت من اعنب وزرع ونخيل ويساير فيها انواع الاشجار

ابو حنيفة وقال الشافعي اخبرني شيخ باليمن ان امرأة ولدت بطونا في كل بطن خمسة وقيل المراد نقصان دم الحيض وازدياده وغاض جاء متعديا ولازما وكذا ازداد قال تعالى وازدادوا تسعا فان جعلتهما لازمين تعين ما ان تكون مصدرية واسنادهما الى الارحام على المجاز فانهما لله او لما فيها وكل شيء عنده بمقدار بقدر لا يجاوزه ولا ينقص عنه كقوله تعالى انا كل شيء خلقناه بقدر فانه تعالى خص كل حادث بوقت وحال معينين وهيأ له اسبابا مسوقة اليه تقتضي ذلك عالم الغيب الغائب عن الحس والشهادة الحاضر له الكبير العظيم الشأن الذي لا يخرج عن علمه شيء المتعال المستعلي على كل شيء بقدرته او الذي كبر عن نعت المخلوقين وتعالى عنه سواء منكم من اسر القول في نفسه ومن جهر به لغيره ومن هو مستخف بالليل طالب للخفاء في مختبأ بالليل وسارب بالنهار بارز بالنهار يراه كل احد من سرب سروبا اذا برز وهو عطف على من او مستخف على ان من في معنى الاثنين كقوله * نكن مثل من يا ذئب يصطحبان * كأنه قال سواء منكم اثنان مستخف بالليل وسارب بالنهار والآية متصلة بما قبلها مقررة لكمال علمه وشموله له لمن اسر او جهر او استخفى او سرب معقبات ملائكة تعتقب في حفظه جمع معقبة من عقب مبالغة عقب اذا جاء على عقبه كأن بعضهم يعقب بعضا او لانهم يعقبون اقواله وافعاله فيكتبونه او اعتقب فادغمت التاء في القاف والتاء للمبالغة او لان المراد بالمعقبات جماعات وقرئ معاقيب جمع معقب او معقبة على تعويض الياء من حذف احدى القافين من بين يديه ومن خلفه من جوانبه او من الاعمال ما قدم واخر يحفظونه من امر الله من بأسه متى اذنب بالاستمهال او الاستغفار له او يحفظونه من المضار او يراقبون احواله من اجل امر الله وقد قرئ به وقيل من بمعنى الباء وقيل من امر الله صفة ثانية لمعقبات وقيل المعقبات الحرس والجلاوزة حول السلطان يحفظونه في توهمه من قضاء الله ان الله لا يغير ما بقوم من العافية والنعمة حتى يغيروا ما بانفسهم من الاحوال الجميلة بالاحوال القبيحة واذا اراد الله بقوم سوءا فلا مرد له فلا رد له والعامل في اذا ما دل عليه الجواب وما لهم من دونه من وال ممن يلي امرهم فيدفع عنهم السوء وفيه دليل على ان خلاف مراد الله تعالى محال هو الذي يريكم البرق خوفا من اذاه وطمعا في الغيث وانتصابهما على العلة بتقدير المضاف اي ارادة خوف وطمع او التأويل بالاخافة والاطماع او الحال من البرق او المخاطبين على اضمار ذو او اطلاق المصدر بمعنى المفعول او الفاعل للمبالغة كالزراع وقيل يخاف المطر من يضره ويطمع فيه من ينفعه وينشئ السحاب الغيم المنسحب في الهواء الثقال وهو جمع ثقيلة وانما وصف به السحاب لانه اسم جنس في معنى الجمع ويسبح الرعد ويسبح سامعوه بحمده ملتبسين به فيضجون بسبحان الله والحمد لله او يدل الرعد بنفسه على وحدانية الله تعالى وكمال قدرته ملتبسا بالدلالة على فضله ونزول رحمته وعن ابن عباس سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن الرعد فقال ملك موكل بالسحاب معه مخاريق من نار يسوق بها السحاب والملائكة من خيفته من خوف الله واجلاله وقيل الضمير للرعد ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء فيهلكه وهم يجادلون في الله حيث يكذبون رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يصفه به من كمال العلم والقدرة والتفرد بالالوهية واعادة الناس ومجازاتهم والجدال التشدد في الخصومة

والمعبود المطلع على احوالكم ام هل تستوي الظلمات والنور الشرك والتوحيد وقرأ حمزة والكسائي وابو بكر بالياء ام جعلوا لله
شركاء بل جعلوا والهمزة للانكار وقوله خلقوا كخلقه صفة لشركاء داخلة في حكم الانكار فتشابه الخلق عليهم خلق الله وخلقهم
والمعنى انهم ما اتخذوا لله شركاء خالقين مثله حتى تشابه عليهم الخلق فيقولوا هؤلاء خلقوا كما خلق الله فاستحقوا العبادة كما استحقها
ولكنهم اتخذوا شركاء عاجزين لا يقدرون على ما يقدر عليه الخلق فضلا عما يقدر عليه الخالق قل الله خالق كل شيء لا خالق غيره
فيشاركه في العبادة جعل الخلق موجب العبادة ولازم استحقاقها ثم نفاه عمن سواه ليدل على قوله وهو الواحد اي المتوحد
بالالوهية القهار الغالب على كل شيء انزل من السماء ماء من السحاب او من جانب السماء او من السماء نفسها فان المبادي منها فسالت
اودية انهار جمع واد وهو الموضع الذي يسيل الماء فيه بكثرة فاتسع فيه واستعمل للماء الجاري فيه وتنكيرها لان
المطر ياتي على تناوب بين البقاع بقدرها بمقدارها الذي علم الله تعالى انه نافع غير ضار او بمقدارها في الصغر والكبر
فاحتمل السيل زبدا رابيا رفعه والزبد وضر الغليان رابيا عاليا ومما توقدون عليه في النار يعم الفلزات كالذهب
والفضة والحديد والنحاس على وجه التهاون بها اظهارا لكبريائه ابتغاء حلية اي طلب حلي او متاع كالاواني وآلات الحرب
والحرث والمقصود من ذلك بيان منافعها زبد مثله اي ومما توقدون عليه زبد مثل زبد الماء وهو خبثه ومن
للابتداء او للتبعيض وقرأ حمزة والكسائي وحفص بالياء على ان الضمير للناس واضماره للعلم به كذلك يضرب
الله الحق والباطل مثل الحق والباطل فانه مثل الحق في افادته وثباته بالماء الذي ينزل من السماء فتسيل به الاودية
على قدر الحاجة والمصلحة فينتفع به انواع المنافع ويمكث في الارض بان يثبت بعضه في منابعه ويسلك بعضه في
عروق الارض الى العيون والقني والآبار وبالفلز الذي ينتفع به في صوغ الحلي واتخاذ الامتعة المختلفة ويدوم ذلك
مدة متطاولة والباطل في قلة نفعه وسرعة زواله بزبدهما وبين ذلك بقوله فاما الزبد فيذهب جفاء
يجفأ به اي يرمي به السيل والفلز المذاب وانتصابه على الحال وقرئ جفالا والمعنى واحد واما ما ينفع الناس كالماء وخلاصة
الفلز فيمكث في الارض فينتفع به اهلها كذلك يضرب الله الامثال لايضاح المشتبهات للذين استجابوا للمؤمنين
الذين استجابوا لربهم الحسنى الاستجابة الحسنى والذين لم يستجيبوا له وهم الكفرة واللام متعلقة بيضرب على انه
جعل ضرب المثل لشأن الفريقين ضرب المثل لهما وقيل للذين استجابوا خبر الحسنى وهي المثوبة او الجنة والذين
لم يستجيبوا له مبتدأ خبره لو ان لهم ما في الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به وهو على الاول كلام مبتدأ
لبيان مآل غير المستجيبين اولئك لهم سوء الحساب وهو المناقشة فيه بان يحاسب الرجل بذنبه لا يغفر منه
شيء ومأواهم جهنم مرجعهم وبئس المهاد المستقر والمخصوص بالذم محذوف افمن يعلم انما انزل اليك من ربك
الحق فيستجيب كمن هو اعمى عمي القلب لا يستبصر فيستجيب والهمزة للانكار ان تقع شبهة في تشابههما بعد ما ضرب
من المثل انما يتذكر اولوا الالباب ذوو العقول المبرأة عن مشايعة الالف ومعارضة الوهم الذين يوفون
بعهد الله ما عقدوه على انفسهم من الاعتراف بربوبيته حين قالوا بلى او ما عهد الله عليهم في كتبه ولا ينقضون
الميثاق ما وثقوه من المواثيق بينهم وبين الله وبين العباد وهو تعميم بعد تخصيص والذين يصلون

مثل ذلك يعني ارسال الرسل قبلك ارسلناك في امة قد خلت من قبلها امم تقدمتها امم ارسلوا اليهم فليس ببدع ارسالك اليها
لتتلو عليهم الذي اوحينا اليك لتقرأ عليهم الكتاب الذي اوحيناه اليك وهم يكفرون بالرحمن وحالهم انهم يكفرون بالبليغ
الرحمة الذي احاطت بهم نعمته ووسعت كل شيء رحمته فلم يشكروا نعمه وخصوصا ما انعم عليهم بارسالك اليهم وانزال القرآن
الذي هو مناط المنافع الدينية والدنياوية عليهم وقيل نزلت في مشركي مكة حين قيل لهم اسجدوا للرحمن فقالوا وما
الرحمن قل هو ربي اي الرحمن خالقي ومتولي امري لا اله الا هو لا مستحق للعبادة سواه عليه توكلت في نصرتي عليكم
واليه متاب مرجعي ومرجعكم ولو ان قرآنا سيرت به الجبال شرط حذف جوابه والمراد منه تعظيم شأن القرآن او المبالغة
في عناد الكفرة وتصميمهم اي ولو ان قرآنا زعزعت به الجبال عن مقارها او قطعت به الارض تصدعت من خشية الله
عند قراءته او شققت فجعلت انهارا وعيونا او كلم به الموتى فتقرأه او فتسمع وتجيب عند قراءته لكان هذا القرآن لانه الغاية
في الاعجاز والنهاية في التذكير والانذار او لما آمنوا به كقوله تعالى ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة الاية وقيل ان قريشا قالوا
يا محمد ان سرك ان نتبعك فسير بقرآنك الجبال عن مكة حتى تتسع لنا فنتخذ فيها بساتين وقطائع او سخر لنا به الريح
لنركبها ونتجر الى الشام او ابعث لنا به قصي بن كلاب وغيره من آبائنا ليكلمونا فيك فنزلت وعلى هذا فتقطيع الارض
قطعها بالسير وقيل الجواب مقدم وهو قوله وهم يكفرون بالرحمن وما بينهما اعتراض وتذكير كلم خاصة لاشتمال الموتى على المذكر
الحقيقي بل لله الامر جميعا بل لله القدرة على كل شيء وهو اضراب عما تضمنته لو من معنى النفي اي بل الله قادر على الاتيان
بما اقترحوه من الايات الا ان ارادته لم تتعلق بذلك لعلمه بانه لا تلين له شكيمتهم ويؤيد ذلك قوله افلم ييأس الذين آمنوا
عن ايمانهم مع ما رأوا من احوالهم وذهب اكثرهم الى ان معناه افلم يعلم لما روي ان عليا وابن عباس وجماعة من الصحابة
والتابعين قرأوا افلم يتبين وهو تفسيره وانما استعمل اليأس بمعنى العلم لانه مسبب عن العلم فان الميؤوس عنه
لا يكون الا معلوما ولذلك علقه بقوله ان لو يشاء الله لهدى الناس جميعا فان معناه نفي هدى بعض الناس لعدم
تعلق المشيئة باهتدائهم وهو على الاول متعلق بمحذوف تقديره افلم ييأس الذين آمنوا عن ايمانهم علما منهم ان لو يشاء الله
لهدى الناس جميعا او بآمنوا ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا من الكفر وسوء الاعمال قارعة داهية تقرعهم
وتقلعهم او تحل قريبا من دارهم فيفزعون منها ويتطاير عليهم شررها وقيل الاية في كفار مكة
فانهم لا يزالون مصابين بما صنعوا برسول الله صلى الله عليه وسلم فانه كان عليه السلام لا يزال يبعث السرايا فتغير
حواليهم وتختطف مواشيهم وعلى هذا يجوز ان يكون تحل خطابا للرسول الله فانه حل بجيشه قريبا من دارهم عام الحديبية
حتى يأتي وعد الله الموت او القيامة او فتح مكة ان الله لا يخلف الميعاد لامتناع الكذب في كلامه ولقد استهزئ
برسل من قبلك فامليت للذين كفروا تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ووعيد للمستهزئين به والمقترحين عليه
والاملاء ان يترك ملاوة من الزمان في دعة وامن ثم اخذتهم فكيف كان عقاب اي عقابي اياهم افمن هو قائم على كل نفس
رقيب عليها بما كسبت من خير او شر لا يخفى عليه شيء من اعمالهم ولا يفوت عنده شيء من جزائهم والخبر محذوف تقديره
كمن ليس كذلك وجعلوا لله شركاء استئناف او عطف على كسبت ان جعل ما مصدرية او لم يوحدوه

لكل وقت وامد حكم يكتب على العباد على ما يقتضيه استصلاحهم يمحو الله ما يشاء ينسخ ما يستصوب نسخه ويثبت ما تقتضيه حكمته
وقيل يمحو سيئات التائب ويثبت الحسنات مكانها وقيل يمحو من كتاب الحفظة ما لا يتعلق به جزاء ويترك غيره مثبتا
او يثبت ما رآه وحده في صميم قلبه وقيل يمحو قرنا ويثبت آخرين وقيل يمحو الفاسدات ويثبت الكائنات وقرأ نافع وابن عامر وعاصم
ويثبت بالتشديد وعنده ام الكتاب اصل الكتب وهو اللوح المحفوظ اذ ما من كائن الا وهو مكتوب فيه واما نرينك
بعض الذي نعدهم او نتوفينك وكيفما دارت الحال اريناك بعض ما وعدناهم او توفيناك قبله فانما عليك البلاغ لا غير
وعلينا الحساب للمجازاة لا عليك فلا تحتفل باعراضهم ولا تستعجل بعذابهم فانا فاعلون له وهذا طلائعه اولم يروا
انا نأتي الارض ارض الكفرة ننقصها من اطرافها بما نفتحه على المسلمين منها والله يحكم لا معقب لحكمه لا راد له وحقيقته الذي
يعقب الشيء بالابطال ومنه قيل لصاحب الحق معقب لانه يقفو غريمه بالاقتضاء والمعنى انه حكم للاسلام بالاقبال وعلى
الكفر بالادبار وذلك كائن لا يمكن تغييره ومحل لا مع المنفي النصب على الحال اي يحكم نافذا حكمه وهو سريع الحساب
فيحاسبهم عما قليل في الآخرة بعدما عذبهم بالقتل والاجلاء في الدنيا وقد مكر الذين من قبلهم بانبيائهم والمؤمنين منهم
فلله المكر جميعا اذ لا يؤبه بمكر دون مكره فانه القادر على ما هو المقصود منه دون غيره يعلم ما تكسب كل نفس فيعد جزاءها و
سيعلم الكفار لمن عقبى الدار من الحزبين حينما يأتيهم العذاب المعد لهم وهم في غفلة منه وهذا كالتفسير لمكر الله
واللام تدل على ان المراد بالعقبى العاقبة المحمودة مع ما في الاضافة الى الدار كما عرفت وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو الكافر على
الجنس وقرئ الكافرون والذين كفروا والكفر اي اهله وسيعلم من اعلمه اذا اخبره ويقول الذين كفروا لست مرسلا قيل المراد
رؤساء اليهود قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم فانه اظهر من الادلة على رسالتي ما يغني عن شاهد يشهد عليها ومن عنده علم الكتاب
علم القرآن وما الف عليه من النظم المعجز او علم التوراة وهو ابن سلام واضرابه او علم اللوح المحفوظ وهو الله اي كفى بالذي يستحق العبادة
وبالذي لا يعلم ما في اللوح الا هو شهيدا بيننا فيخزي الكاذب منا ويؤيده قراءة من قرأ ومن عنده بالكسر وعلم الكتاب على الاول مرتفع بالظرف فانه معتمد
على الموصول ويجوز ان يكون مبتدأ والظرف خبره وهو متعين على الثانية وقرئ ومن عنده علم الكتاب على الحرف والبناء للمفعول عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة الرعد اعطي من الاجر عشر حسنات بوزن كل سحاب مضى وكل سحاب يكون الى يوم القيمة وبعث يوم القيمة من الموفين بعهد الله

سورة ابراهيم عليه السلام مكية وهي احدى وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

الر كتاب اي هو كتاب انزلناه اليك لتخرج الناس بدعائك اياهم الى ما تضمنه من الظلمات من انواع
الضلال الى النور الى الهدى باذن ربهم بتوفيقه وتسهيله مستعار من الاذن الذي هو تسهيل الحجاب وهو صلة لتخرج
او حال من فاعله او مفعوله الى صراط العزيز الحميد بدل من قوله الى النور بتكرير العامل او استئناف على انه جواب لمن
يسأل عنه واضافة الصراط الى الله اما لانه مقصده او المظهر له وتخصيص الوصفين للتنبيه على انه لا يذل سالكه ولا يخيب
سابله الله الذي له ما في السموات وما في الارض على قراءة نافع وابن عامر مبتدأ وخبر او الله خبر محذوف والذي صفته
وعلى قراءة الباقين عطف بيان للعزيز لانه كالعلم لاختصاصه بالمعبود على الحق وويل للكافرين من عذاب شديد وعيد

يا بني اسرائيل ما انعمت عليكم من الانجاء وغيره بالايمان والعمل الصالح لازيدنكم نعمة الى نعمة ولئن كفرتم ان عذابي لشديد
فلعلي اعذبكم على الكفران عذابا شديدا ومن عادة اكرم الاكرمين ان يصرح بالوعد ويعرض بالوعيد والجملة مقول قول
مقدر او مفعول تاذن على انه يجري مجرى قال لانه ضرب منه وقال موسى ان تكفروا انتم ومن في الارض جميعا
من الثقلين فان الله لغني عن شكركم حميد مستحق للحمد في ذاته محمود تحمده الملائكة وتنطق بنعمته ذرات المخلوقات فما ضررتم
بالكفران الا انفسكم حيث حرمتموها مزيد الانعام وعرضتموها للعذاب الشديد الم ياتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح
وعاد وثمود من كلام موسى او كلام مبتدأ من الله والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله جملة وقعت اعتراضا او الذين
من بعدهم عطف على ما قبله ولا يعلمهم اعتراض والمعنى انهم لكثرتهم لا يعلم عددهم الا الله ولذلك قال ابن مسعود
كذب النسابون جاءتهم رسلهم بالبينات فردوا ايديهم في افواههم فعضوها غيظا مما جاءت به الرسل كقوله عضوا
عليكم الانامل من الغيظ او وضعوها عليها تعجبا منه او استهزاء عليه كمن غلبه الضحك او اسكاتا للانبياء وامرا
لهم باطباق الافواه او اشاروا بها الى السنتهم وما نطقت به من قولهم انا كفرنا تنبيها على ان لا جواب لهم سواه
او ردوها في افواه الانبياء يمنعونهم من التكلم وعلى هذا يحتمل ان يكون تمثيلا وقيل الايدي بمعنى الايادي اي ردوا
ايادي الانبياء التي هي مواعظهم وما اوحي اليهم من الحكم والشرائع في افواههم لانهم اذا كذبوها ولم يقبلوها فكانهم
ردوها الى حيث جاءت منه وقالوا انا كفرنا بما ارسلتم به على زعمكم وانا لفي شك مما تدعوننا اليه من الايمان
وقرئ تدعونا بالادغام مريب موقع في الريبة او ذي ريبة وهي قلق النفس وان لا تطمئن الى الشيء قالت رسلهم
افي الله شك ادخلت همزة الانكار على الظرف لان الكلام في المشكوك فيه لا في الشك اي انما ندعوكم الى الله
وهو لا يحتمل الشك لكثرة الادلة وظهور دلالتها عليه واشاروا الى ذلك بقوله فاطر السموات والارض وهو صفة او بدل
وشك مرتفع بالظرف يدعوكم الى الايمان ببعثه ايانا ليغفر لكم او يدعوكم الى المغفرة كقولك دعوته لينصرني على اقامة
المفعول له مقام المفعول به من ذنوبكم بعض ذنوبكم وهو ما بينكم وبينه تعالى فان الاسلام يجبه دون المظالم وقيل
جيء بمن في خطاب الكفرة دون المؤمنين في جميع القران تفرقة بين الخطابين ولعل المعنى فيه ان المغفرة حيث جاءت
في خطاب الكفار مرتبة على الايمان وحيث جاءت في خطاب المؤمنين مشفوعة بالطاعة والتجنب عن المعاصي ونحو ذلك
فيتناول الخروج عن المظالم ويؤخركم الى اجل مسمى الى وقت سماه الله تعالى وجعله اخر اعماركم قالوا ان انتم الا بشر
مثلنا لا فضل لكم علينا فلم تخصون بالنبوة دوننا ولو شاء الله ان يبعث الى البشر رسلا لبعث من جنس افضل تريدون
ان تصدونا عما كان يعبد اباؤنا بهذه الدعوى فاتونا بسلطان مبين يدل على فضلكم واستحقاقكم لهذه المزية او على
صحة ادعائكم النبوة كانهم لم يعتبروا ما جاؤا به من البينات والحجج واقترحوا عليهم اية اخرى تعنتا ولجاجا قالت لهم
رسلهم ان نحن الا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده سلموا مشاركتهم في الجنس وجعلوا الموجب لاختصاصهم
بالنبوة فضل الله تعالى ومنه عليهم وفيه دليل على ان النبوة عطائية وان ترجيح بعض الجائزات على بعض بمشية الله تعالى
وما كان لنا ان ناتيكم بسلطان الا باذن الله اي ليس الينا الاتيان بالايات ولا تستبد به استطاعتنا حتى ناتي

وكرماد ذاهبة وقرأ نافع الرياح في يوم عاصف العصف اشتداد الريح وصف به زمانه للمبالغة كقولهم نهاره
صائم وليله قائم شبه صنائعهم من الصدقة وصلة الرحم واغاثة الملهوف وعتق الرقاب ونحو ذلك من مكارمهم في حبوطها
لبنائها على غير اساس من معرفة الله والتوجه بها اليه او اعمالهم للاصنام برماد طيرته الريح العاصفة لا يقدرون يوم القيمة
مما كسبوا من اعمالهم على شيء لحبوطه فلا يرون له اثرا من الثواب وهو فذلكة التمثيل ذلك اشارة الى ضلالهم مع حسبانهم
انهم محسنين هو الضلال البعيد فانه الغاية في البعد عن طريق الحق الم تر خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم
والمراد به امته وقيل لكل واحد من الكفرة على التلوين ان الله خلق السموات والارض بالحق بالحكمة
والوجه الذي يحق ان تخلق عليه وقرأ حمزة والكسائي خالق السموات ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد
يعدمكم ويخلق خلقا اخر مكانكم رتب ذلك على كونه خالقا للسموات والارض استدلالا به عليه فان من خلق اصولهم
وما يتوقف عليه تخليقهم ثم كونهم بتبديل الصور وتغيير الطبائع قدر ان يبدلهم بخلق اخر ولم يمتنع عليه ذلك
كما قال وما ذلك على الله بعزيز بمتعذر او متعسر فانه قادر لذاته لا اختصاص له بمقدور دون مقدور ومن
هذا شانه كان حقيقا بان يؤمن به ويعبد رجاء لثوابه وخوفا من عقابه يوم الجزاء وبرزوا لله جميعا اي يبرزون
من قبورهم يوم القيمة لامر الله تعالى ومحاسبته او لله على ظنهم فانهم كانوا يخفون ارتكاب الفواحش ويظنون انها
تخفى على الله تعالى فاذا كان يوم القيمة انكشفوا لله تعالى عند انفسهم وانما ذكر بلفظ الماضي لتحقق وقوعه فقال الضعفؤا
الاتباع جمع ضعيف يريد به ضعفاء الراي وانما كتب بالواو على لفظ من يفخم الالف قبل الهمزة فيميلها الى الواو للذين
استكبروا لرؤسائهم الذين استتبعوهم واستغووهم انا كنا لكم تبعا في تكذيب الرسل والاعراض عن نصائحهم وهو
جمع تابع كغائب وغيب او مصدر نعت به للمبالغة او على اضمار مضاف فهل انتم مغنون عنا دافعون عنا
من عذاب الله من شيء من الاولى للبيان واقعة موقع الحال والثانية للتبعيض واقعة موقع المفعول اي بعض
الشيء الذي هو عذاب الله ويجوز ان تكونا للتبعيض اي بعض شيء هو بعض عذاب الله والاعراب ما سبق ويحتمل
ان يكون الاولى مفعولا والثانية مصدرا اي فهل انتم مغنون بعض العذاب بعض الاغناء قالوا اي الذين
استكبروا جوابا عن معاتبة الاتباع واعتذارا عما فعلوا بهم لو هدانا الله للايمان ووفقنا له لهديناكم ولكن
ضللنا فاضللناكم اي لاخترنا لكم ما اخترناه لانفسنا او لو هدانا الله تعالى طريق النجاة من العذاب لهديناكم واغنينا
عنكم كما عرضناكم له لكن سد دوننا طريق الخلاص سواء علينا اجزعنا ام صبرنا مستويان علينا الجزع والصبر
ما لنا من محيص منجى ومهرب من العذاب من الحيص وهو العدول على جهة الفرار وهو يحتمل ان يكون مكانا
كالمبيت ومصدرا كالمغيب ويجوز ان يكون قوله سواء علينا من كلام الفريقين ويؤيده ما روي انهم يقولون تعالوا
نجزع فيجزعون خمسمائة عام فلا ينفعهم فيقولون تعالوا نصبر فيصبرون كذلك ثم يقولون سواء علينا وقال
الشيطان لما قضي الامر احكم وفرغ منه ودخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار خطيبا في الاشقياء من
الثقلين ان الله وعدكم وعد الحق وعدا من حقه ان ينجز او وعدا انجزه وهو الوعد بالبعث والجزاء ووعدتكم

وفسرت الشجرة الطيبة بالنخلة وروى ذلك مرفوعا وبشجرة في الجنة والخبيثة بالحنظلة والكشوث ولعل المراد بهما ايضا ما يعم
ذلك يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت الذي ثبت بالحجة عندهم وتمكن في قلوبهم في الحيوة الدنيا فلا يزالون اذا افتتنوا في
دينهم كزكريا ويحيى وجرجيس وشمسون والذين فتنهم اصحاب الاخدود وفي الآخرة فلا يتلعثمون اذا سئلوا عن معتقدهم في
الموقف ولا تدهشهم اهوال القيمة وروى انه عليه الصلوة والسلام ذكر قبض روح المؤمن فقال ثم تعاد روحه في جسده
فياتيه ملكان فيجلسانه في قبره ويقولان له من ربك وما دينك ومن نبيك فيقول ربي الله وديني الاسلام ونبيي
محمد فينادي مناد من السماء ان صدق عبدي فذلك قوله يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت ويضل الله الظالمين الذين
ظلموا انفسهم بالاقتصار على التقليد فلا يهتدون الى الحق ولا يثبتون في مواقف الفتن ويفعل الله ما يشاء من تثبيت
بعض واضلال آخرين من غير اعتراض عليه تعالى الم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا اي شكر نعمته كفرا بان وضعوه
مكانه او بدلوا نفس النعمة كفرا فانهم لما كفروها سلبت منهم وصاروا تاركين لها محصلين الكفر بدلها كاهل مكة خلقهم الله
واسكنهم حرمه وجعلهم قوام بيته ووسع عليهم ابواب رزقه وشرفهم بمحمد صلى الله عليه وسلم فكفروا ذلك فقحطوا سبع
سنين واسروا وقتلوا يوم بدر وصاروا اذلاء فبقوا مسلوبي النعمة موصوفين بالكفر وعن عمر وعلي رضي الله عنهما هم الافجران
من قريش بنو المغيرة وبنو امية فاما بنو المغيرة فكفيتموهم يوم بدر واما بنو امية فمتعوا حتى حين واحلوا قومهم الذين
شايعوهم في الكفر دار البوار دار الهلاك بحملهم على الكفر جهنم عطف بيان لها يصلونها حال منها او من القوم اي داخلين
فيها مقاسين لحرها او مفسر لفعل مقدر ناصب لجهنم وبئس القرار اي وبئس المقر جهنم وجعلوا لله اندادا ليضلوا عن
سبيله الذي هو التوحيد وقرأ ابن كثير وابو عمرو ورويس عن يعقوب بفتح الياء وليس الضلال ولا الاضلال غرضهم في اتخاذ
الانداد لكن لما كان نتيجته جعل كالغرض قل تمتعوا بشهواتكم او بعبادة الاوثان فانها من قبيل الشهوات التي يتمتع بها وفي التهديد
بصيغة الامر ايذان بان المهدد عليه كالمطلوب لافضائه الى المهدد به وان الامرين كائنان لا محالة ولذلك علله
بقوله فان مصيركم الى النار وان المخاطب لانهماكه فيه كالمأمور به من آمر مطاع قل لعبادي الذين آمنوا خصهم بالاضافة
تنويها لهم وتنبيها على انهم المقيمون لحقوق العبودية ومفعول قل محذوف يدل عليه جوابه اي قل لعبادي
الذين آمنوا اقيموا الصلوة وانفقوا يقيموا الصلوة وينفقوا مما رزقناهم فيكون ايذانا بانهم لفرط مطاوعتهم الرسول
بحيث لا ينفك فعلهم عن امره وانه كالسبب الموجب له ويجوز ان يقدر بلام الامر ليصح تعلق القول بهما وانما حسن
ذلك ههنا ولم يحسن في قوله محمد تفد نفسك كل نفس اذا ما خفت من امر تبالا لدلالة قل عليه وقيل هما جوابا اقيموا
وانفقوا مقامين مقامهما وهو ضعيف لانه لا بد من مخالفة ما بين الشرط وجوابه ولان امر المواجهة لا يجاب بلفظ الغيبة اذا كان الفاعل
واحدا سرا وعلانية منتصبان على المصدر اي انفاق سر وعلانية او على الحال اي ذوي سر وعلانية او على الظرف اي وقتي
سر وعلانية والاحب اعلان الواجب واخفاء المتطوع به من قبل ان يأتي يوم لا بيع فيه فيبتاع المقصر ما يتدارك
به تقصيره او يفدي به نفسه ولا خلال ولا مخالة فيشفع لك خليل او من قبل ان يأتي يوم لا انتفاع فيه بمبايعة
ولا مخالة وانما ينتفع فيه بالانفاق لوجه الله تعالى وقرأ ابن كثير وابو عمرو ويعقوب بالفتح فيهما على النفي العام الله الذي

بأسكنت اي ما اسكنتهم بهذا الوادي البلقع من كل مرتفق ومرتزق الا لاقامة الصلوة عند بيتك المحرم وتكرير النداء وتوسيطه للاشعار بانها المقصودة بالذات من اسكانهم ثمة والمقصود من الدعاء توفيقهم لها وقيل لام الامر والمراد هو الدعاء لهم باقامة الصلوة كانه طلب منهم الاقامة وسأل من الله تعالى ان يوفقهم لها فاجعل افئدة من الناس اي افئدة من افئدة الناس ومن للتبعيض ولذلك قيل لو قال افئدة الناس لازدحمت عليهم فارس والروم ولحجت اليهود والنصارى او للابتداء كقولك القلب مني سقيم اي افئدة ناس وقرئ آفدة وهي تحتمل ان تكون مقلوب افئدة كآدر في ادؤر وان تكون اسم فاعل من افدت الرحلة اذا عجلت اي جماعة يعجلون نحوهم وافدة بطرح الهمزة للتخفيف وان كان الوجه فيه اخراجها بين بين ويجوز ان يكون من افد تهوي اليهم تسرع اليهم شوقا ووداداً وقرئ تهوى على البناء للمفعول من اهوى اليه غيره وتهوى من هوى يهوى اذا احب وتعديته بالى لتضمين معنى النزوع وارزقهم من الثمرات مع سكناهم واديا لا نبات فيه لعلهم يشكرون تلك النعمة فاجاب الله تعالى دعوته فجعله حرما آمنا يجبى اليه ثمرات كل شيء حتى يوجد فيه الفواكه الربيعية والصيفية والخريفية في يوم واحد ربنا انك تعلم ما نخفي وما نعلن تعلم سرنا كما تعلم علننا والمعنى انك اعلم باحوالنا ومصالحنا وارحم بنا منا بانفسنا فلا حاجة لنا الى الطلب لكنا ندعوك اظهارا لعبوديتك وافتقارا الى رحمتك واستعجالا لنيل ما عندك وقيل ما نخفي من وجد الفرقة وما نعلن من التضرع اليك والتوكل عليك وتكرير النداء للمبالغة في التضرع واللجأ الى الله تعالى وما يخفى على الله من شيء في الارض ولا في السماء لانه العالم بعلم ذاتي يستوي نسبته الى كل معلوم ومن للاستغراق الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اي وهب لي وانا كبير آيس عن الولد قيد الهبة بحال الكبر استعظاما للنعمة واظهارا لما فيها من الآية اسمعيل واسحاق روي انه ولد له اسمعيل لتسع وتسعين سنة واسحاق لمائة واثنتي عشرة سنة ان ربي لسميع الدعاء اي لمجيبه من قولك سمع الملك كلامي اذا اعتد به وهو من ابنية المبالغة العاملة عمل الفعل اضيف الى مفعوله او فاعله على اسناد السماع الى دعاء الله تعالى على المجاز وفيه اشعار بانه دعا ربه وسأل منه الولد فاجابه ووهب له سؤله حين ما وقع اليأس منه ليكون من اجل النعم واجلاها رب اجعلني مقيم الصلوة معدلا لها مواظبا عليها ومن ذريتي عطف على المنصوب في اجعلني والتبعيض لعلمه باعلام الله تعالى او استقراء عادته في الامم الماضية انه يكون في ذريته كفار ربنا وتقبل دعاء واستجب دعائي او وتقبل عبادتي ربنا اغفر لي ولوالدي وقرئ ولابوي وقد تقدم عذر استغفاره لهما وقيل اراد بهما آدم وحواء وللمؤمنين يوم يقوم الحساب يثبت مستعار من القيام على الرجل كقولهم قامت الحرب على ساق او يقوم اليه اهله فحذف المضاف واسند اليه قيامهم مجازا ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد به تثبيته على ما هو عليه من انه مطلع على احوالهم وافعالهم لا تخفى عليه خافية والوعيد بانه معاقبهم على قليله وكثيره لا محالة او لكل من توهم غفلته جهلا بصفاته واغترارا بامهاله وقيل انه تسلية للمظلوم وتهديد للظالم انما يؤخرهم يؤخر عذابهم وعن ابي عمرو بالنون ليوم تشخص فيه الابصار اي تشخص فيه ابصارهم فلا تقر في اماكنها من هول ما ترى مهطعين مسرعين الى الداعي او مقبلين بابصارهم لا يطرفون هيبة وخوفا واصل الكلمة هو الاقبال على الشيء مقنعي رؤوسهم رافعيها لا يرتد اليهم طرفهم بل بقيت عيونهم شاخصة

والمعنى لا ترى فيها عوجا ولا امتا واعلم انه لا يلزم على الوجه الاول ان يكون الحاصل بالتبديل ارضا وسماء على الحقيقة
ولا يبعد على الثانى ان يجعل الله الارض جهنم والسموات الجنة على ما اشعر به قوله كلا ان كتاب الابرار لفى عليين وكلا ان
كتاب الفجار لفى سجين وبرزوا من اجداثهم لله لمحاسبته ومجازاته الواحد القهار وتوصيفه بالوصفين للدلالة على ان الامر
فى غاية الصعوبة كقوله لمن الملك اليوم لله الواحد القهار فان الامر اذا كان لواحد غلاب لا يغالب فلا مستغاث لاحد الى غيره و
لا مستجار وترى المجرمين يومئذ مقرنين قرن بعضهم مع بعض بحسب مشاركتهم فى العقائد والاعمال كقوله واذا النفوس
زوجت او قرنوا مع الشياطين او مع ما اكتسبوا من العقائد الزائغة والملكات الباطلة او قرنت ايديهم وارجلهم الى
رقابهم بالاغلال وهو يحتمل ان يكون تمثيلا لمؤاخذتهم على ما اقترفته ايديهم وارجلهم فى الاصفاد متعلق بمقرنين
او حال من ضميره والصفد القيد وقيل الغل قال سلامة بن جندل وزيد الخيل قد لاقى صفادا يعض بساعد وبعظم ساق
سرابيلهم قمصانهم من قطران جاء قطران بوزن سكران وهو ما يتحلب من الابهل فيطبخ فيهنأ به الابل
الجربى فيحرق الجرب بحدته وهو اسود منتن يشتعل فيه النار بسرعة تطلى به جلود اهل النار حتى يكون طلاؤه
لهم كالقمص ليجتمع عليهم لذع القطران ووحشة لونه ونتن ريحه مع اسراع النار فى جلودهم على ان التفاوت
بين القطرانين كالتفاوت بين النارين ويحتمل ان يكون تمثيلا لما يحيط بجوهر النفس من الملكات الردية والهيئات
الوحشية فيجلب اليها انواعا من الغموم والآلام وعن يعقوب قطر آن والقطر النحاس او الصفر المذاب والآنى المتناهى
حره والجملة حال ثانية او حال من الضمير فى مقرنين وتغشى وجوههم النار اى تتغشاها لانهم لم يتوجهوا بها الى الحق ولم
يستعملوا فى تدبره مشاعرهم وحواسهم التى خلقت فيها لاجله كما تطلع على افئدتهم لانها فارغة عن المعرفة مملوة بالجهالات
ونظيره قوله تعالى افمن يتقى بوجهه سوء العذاب يوم القيمة وقوله تعالى يسحبون فى النار على وجوههم ليجزى الله كل
نفس اى يفعل بهم ذلك ليجزى كل نفس مجرمة ما كسبت او كل نفس من مجرمة او مطيعة لانه اذا بين ان المجرمين معاقبون
لاجرامهم علم ان المطيعين يثابون لطاعتهم ويتعين ذلك ان علق اللام ببرزوا ان الله سريع الحساب لانه لا يشغله
حساب عن حساب هذا اشارة الى القران او السورة او ما فيه من العظة والتذكير او ما وصفه من قوله ولا تحسبن الله
بلاغ للناس كفاية لهم فى الموعظة ولينذروا به عطف على محذوف اى لينصحوا ولينذروا بهذا البلاغ فيكون اللام
متعلقة بالبلاغ ويجوز ان يتعلق بمحذوف تقديره ولينذروا به انزل او تلى وقرئ بفتح الياء من نذر به اذا علمه
واستعد له وليعلموا انما هو اله واحد بالنظر والتامل فيما فيه من الآيات الدالة عليه او المنبهة على ما يدل
عليه وليذكر اولوا الالباب فيرتدعوا عما يرديهم ويتدرعوا بما يحظيهم واعلم انه تعالى ذكر لهذا البلاغ ثلاث فوائد هى
الغاية والحكمة فى انزال الكتب تكميل الرسل للناس واستكمالهم القوة النظرية التى منتهى كمالها التوحيد و
استصلاح القوة العملية الذى هو التدرع بلباس التقوى جعلنا الله من الفائزين بهما وعن النبى صلى الله عليه وسلم
من قرء سورة ابراهيم اعطى من الاجر عشر حسنات بعدد من عبد الاصنام وعدد من لم يعبد

سورة الحجر مكية وهى تسع وتسعون اية

في شيع الاولين في فرقهم جمع شيعة وهي الفرقة المتفقة على طريق ومذهب من شاعه اذا تبعه واصله الشياع
وهو الحطب الصغار توقد به الكبار والمعنى نبأنا رجالا فيهم وجعلناهم رسلا فيما بينهم وما يأتيهم من رسول الا كانوا به
يستهزءون كما يفعل هؤلاء وهو تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وما للحال لا يدخل الا مضارعا بمعناه او ماضيا قريبا منه وهذا
حكاية الحال الماضية كذلك نسلكه ندخله في قلوب المجرمين والسلك ادخال الشيء في الشيء كالخيط في المخيط والرمح في المطعون
والضمير للاستهزاء وفيه دلالة على انه تعالى يوجد الباطل في قلوبهم وقيل للذكر فان الضمير الآخر في قوله لا يؤمنون
به له وهو حال من هذا الضمير والمعنى مثل ذلك السلك نسلك الذكر في قلوب المجرمين مكذبا غير مؤمن به او بيان للجملة
المتضمنة له وهذا الاحتجاج ضعيف اذ لا يلزم من تعاقب الضمائر توافقها في المرجوع اليه ولا يتعين ان تكون الجملة
حالا من الضمير لجواز ان يكون حالا من المجرمين ولا ينافي كونها مفسرة للمعنى الاول بل يقويه وقد خلت سنة
الاولين اي سنة الله فيهم بان خذلهم وسلك الكفر في قلوبهم او باهلاك من كذب الرسل منهم فيكون وعيدا
لاهل مكة ولو فتحنا عليهم على هؤلاء المقترحين بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون يصعدون اليها ويرون عجائبها
طول نهارهم مستوضحين لما يرون او تصعد الملائكة وهم يشاهدونهم لقالوا من غلوهم في العناد وتشكيكهم
في الحق انما سكرت ابصارنا سدت عن الابصار بالسحر من السكر ويدل عليه قراءة ابن كثير بالتخفيف او حيرت من السكر ويدل
عليه قراءة من قرأ سكرت بل نحن قوم مسحورون قد سحرنا محمد بذلك كما قالوه عند ظهور غيره من الآيات وفي كلمتي الحصر
والاضراب دلالة على البت بان ما يرونه لا حقيقة له بل هو باطل خيل اليهم بنوع من السحر ولقد جعلنا في السماء بروجا
اثني عشر مختلفة الهيئات والخواص على ما دل عليه الرصد والتجربة مع بساطة السماء وزيناها بالاشكال والهيئات
البهية للناظرين المعتبرين المستدلين بها على قدرة مبدعها وتوحيد صانعها وحفظناها من كل شيطان رجيم
فلا يقدر ان يصعد اليها ويوسوس اهلها ويتصرف في امرها ويطلع على احوالها الا من استرق السمع بدل من كل
شيطان واستراق السمع اختلاسه سرا شبه به خطفتهم اليسيرة من قطان السموات لما بينهم من المناسبة في
الجوهر او بالاستدلال من اوضاع الكواكب وحركاتها وعن ابن عباس انهم كانوا لا يحجبون عن السموات فلما ولد عيسى
صلوات الله عليه منعوا من ثلث سموات فلما ولد محمد صلى الله عليه وسلم منعوا من كلها بالشهب ولا يقدح فيه تكونها
قبل المولد لجواز ان يكون لها اسباب اخر وقيل الاستثناء منقطع اي ولكن من استرق السمع فاتبعه فتبعه ولحقه
شهاب مبين ظاهر للمبصرين والشهاب شعلة نار ساطعة وقد يطلق للكوكب والسنان لما فيهما من البريق والارض
مددناها بسطناها والقينا فيها رواسي جبالا ثوابت وانبتنا فيها في الارض او فيها وفي الجبال من كل شيء موزون
مقدر بمقدار معين تقتضيه حكمته او مستحسن متناسب من قولهم كلام موزون او ما يوزن ويقدر او له وزن
في ابواب النعمة والمنفعة وجعلنا لكم فيها معايش تعيشون بها من المطاعم والملابس وقرئ بالهمز على التشبيه
بشمائل ومن لستم له برازقين عطف على معايش او على محل لكم ويريد به العيال والخدم والمماليك وسائرها
يظنون انهم يرزقونهم ظنا كاذبا فان الله تعالى يرزقهم واياهم وفذلكة الآية الاستدلال لـ

خلقناه من قبل من قبل خلق الانسان من نار السموم من نار الحر الشديد النافذ فى المسام ولا يمتنع خلق الحيوة فى الاجرام البسيطة

كما لا يمتنع خلقها فى الجواهر المجردة فضلا عن الاجساد المولفة التى الغالب فيها الجزء النارى فانها اقبل لها من

التى الغالب فيها الجزء الارضى وقوله من نار باعتبار الجزء الغالب كقوله خلقكم من تراب ومساق الاية كما هو

للدلالة على كمال قدرة الله تعالى وبيان بدء خلق الثقلين فهو للتنبيه على بيان المقدمة الثانية التى يتوقف

عليها امكان الحشر وهو قبول المواد للجمع والاحياء واذ قال ربك واذكر وقت قوله للملائكة انى خالق بشرا من صلصال

من حمأ مسنون فاذا سويته عدلت خلقته وهيأته لنفخ الروح فيه ونفخت فيه من روحى حتى جرى آثاره فى تجاويف

اعضائه فحيى واصل النفخ اجراء الريح فى تجويف جسم آخر ولما كان الروح يتعلق اولا بالبخار اللطيف المنبعث من القلب ويفيض

عليه القوة الحيوانية فيسرى حاملا لها فى تجاويف الشرايين الى اعماق البدن جعل تعليقه بالبدن نفخا واضافة الروح

الى نفسه لما مر فى النساء فقعوا له فاسقطوا له ساجدين امر من وقع يقع فسجد الملائكة كلهم اجمعون اكد بتاكيدين للمبالغة

فى التعميم ومنع التخصيص وقيل اكد بالكل للاحاطة وباجمعين للدلالة على انهم سجدوا مجتمعين دفعة وفيه نظر اذ لو كان

الامر كذلك لكان الثانى حالا لا تاكيدا الا ابليس ان جعل منقطعا اتصل به قوله ابى ان يكون مع الساجدين اى ولكن

ابليس ابى وان جعل متصلا كان استينافا على انه جواب سائل قال هلا سجد قال يا ابليس ما لك ألا تكون اى

غرض لك فى ان لا تكون مع الساجدين لآدم قال لم اكن لاسجد اللام لتاكيد النفى اى لا يصح منى وينافى حالى ان

اسجد لبشر جسمانى كثيف وانا ملك روحانى خلقته من صلصال من حمأ مسنون وهو اخس العناصر وخلقتنى

من نار وهى اشرفها استنقص آدم باعتبار النوع والاصل وقد سبق الجواب عنه فى سورة الاعراف قال فاخرج منها

اى من السماء او الجنة او زمر الملائكة فانك رجيم مطرود من رحمة الله تعالى من الخير والكرامة فان من يطرد يرجم بالحجر

او شيطان يرجم بالشهب وهو وعيد يتضمن الجواب عن شبهته وان عليك اللعنة هذا الطرد والابعاد الى يوم الدين فانه

منتهى امد اللعن فانه يناسب ايام التكليف ومنه زمان الجزاء وما فى قوله فاذن مؤذن بينهم ان لعنة الله على الظالمين

بمعنى آخر ينسى عنده هذه وقيل انما حد اللعن به لانه ابعد غاية يضربها الناس او لانه يعذب فيه بما ينسى اللعن معه

فيصير كالزائل قال رب فانظرنى فاخرنى والفاء متعلقة بمحذوف دل عليه فاخرج منها فانك رجيم الى يوم يبعثون

اراد ان يجد فسحة فى الاغواء ونجاة عن الموت اذ لا موت بعد وقت البعث فاجابه الى الاول دون الثانى قال فانك من

المنظرين الى يوم الوقت المعلوم المسمى فيه اجلك عند الله تعالى او انقراض الناس كلهم وهو النفخة الاولى عند الجمهور ويجوز

ان يكون المراد بالايام الثلاثة يوم القيمة واختلاف العبارات لاختلاف الاعتبارات فعبر عنه اولا بيوم الجزاء لما عرفت

وثانيا بيوم البعث اذ به يحصل العلم بانقطاع التكليف واليأس عن التضليل وثالثا بالمعلوم لوقوعه فى الكلامين ولا يلزم

من ذلك ان لا يموت فلعله يموت اول اليوم ويبعث الخلائق فى تضاعيفه وهذه المخاطبة وان لم تكن بواسطة

لم تدل على منصب ابليس لان خطاب الله تعالى له على سبيل الاهانة والاذلال قال رب بما اغويتنى الباء للقسم وما مصدرية وجوابه

لأزينن لهم فى الارض والمعنى اقسم باغوائك اياى لأزينن لهم المعاصى فى الدنيا التى هى دار الغرور كقوله اخلد

لانه بمعنى متصافين وان يكون متقابلين حالا من المستتر في على سرر لا يمسهم فيها نصب استينافا او حال بعد حال او حال من الضمير
في متقابلين وما هم منها بمخرجين فان تمام النعمة بالخلود نبئ عبادي اني انا الغفور الرحيم وان عذابي هو العذاب الاليم فذلكة
ما سبق من الوعد والوعيد وتقرير له وفي ذكر المغفرة دليل على انه لم يرد بالمتقين من يتقي الذنوب باسرها كبيرها وصغيرها
وفي توصيف ذاته تعالى بالغفران والرحمة دون التعذيب ترجيح الوعد وتاكيده وفي عطف ونبئهم عن ضيف ابراهيم
على نبئ عبادي تحقيق لهما بما يعتبرون به اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما اي نسلم عليك سلاما او سلمنا عليك
سلاما قال انا منكم وجلون خائفون وذلك لانهم دخلوا بغير اذن وبغير وقت او لانهم امتنعوا من الاكل والوجل
اضطراب النفس لتوقع ما تكره قالوا لا توجل وقرئ لا تاجل ولا توجل من اوجله ولا تواجل من واجله بمعنى اوجله انا نبشرك استيناف
في معنى التعليل للنهي عن الوجل فان المبشر لا يخاف منه وقرأ حمزة نبشرك من البشر بغلام هو اسحاق لقوله تعالى فبشرناها
باسحاق عليم اذا بلغ قال ابشرتموني على ان مسني الكبر تعجب من ان يولد له مع مس الكبر اياه او انكار لان يبشر به في مثل
هذه الحالة وكذلك قوله فبم تبشرون اي فباي اعجوبة تبشروني او فباي شيء تبشروني فان البشارة بما لا يتصور وقوعه
عادة بشارة بغير شيء وقرأ ابن كثير بكسر النون مشددة في كل القران على ادغام نون الجمع في نون الوقاية ونافع بكسرها مخففة
على حذف نون الجمع استثقالا لاجتماع المثلين ودلالة بابقاء نون الوقاية على الياء قالوا بشرناك بالحق بما يكون لا محالة
او باليقين الذي لا لبس فيه او بطريقة هي حق وهو قول الله تعالى وامره فلا تكن من القانطين من الآيسين من ذلك فانه
تعالى قادر على ان يخلق بشرا من غير ابوين فكيف من شيخ فان وعجوز عاقر وكان استعجاب ابراهيم عليه السلام باعتبار العادة
دون القدرة ولذلك قال ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون اي المخطئون طريق المعرفة فلا يعرفون سعة
رحمة الله وكمال علمه وقدرته كما قال لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون وقرأ ابو عمرو والكسائي يقنط بالكسر وقرئ
بالضم وماضيهما قنط بالفتح قال فما خطبكم ايها المرسلون اي فما شانكم الذي ارسلتم لاجله سوى البشارة ولعله علم
ان كمال المقصود ليس البشارة لانهم كانوا عددا والبشارة لا تحتاج الى العدد ولذلك اكتفى بالواحد في بشارة زكريا
ومريم عليهما السلام او لانهم بشروه في تضاعيف الحال لازالة الوجل ولو كانت تمام المقصود لابتدؤا بها قالوا انا
ارسلنا الى قوم مجرمين يعني قوم لوط الا آل لوط ان كان استثناء من قوم كان منقطعا اذ القوم مقيد بالاجرام وان كان
استثناء من الضمير في مجرمين كان متصلا والقوم والارسال شاملين للمجرمين وآل لوط المؤمنين به وكان المعنى انا
ارسلنا الى قوم اجرم كلهم الا آل لوط منهم لنهلك المجرمين وننجي آل لوط ويدل عليه قوله انا لمنجوهم اجمعين اي مما يعذب
به القوم وهو استيناف اذا اتصل الاستثناء ومتصل بآل لوط جار مجرى خبر لكن اذا انقطع وعلى هذا جاز ان يكون
قوله الا امرأته استثناء من آل لوط او من ضمير منجوهم وعلى الاول لا يكون الا من ضميرهم لاختلاف الحكمين اللهم الا ان يجعل انا
لمنجوهم اعتراضا وقرأ حمزة والكسائي لمنجوهم مخففا قدرنا انها لمن الغابرين الباقين مع الكفرة لتهلك معهم وقرأ
ابو بكر عن عاصم قدرنا هاهنا وفي النمل بالتخفيف وانما علق والتعليق من خواص افعال القلوب لتضمنه معنى العلم ويجوز ان يكون
اجري مجرى قلنا لان التقدير بمعنى القضاء قول واصله جعل الشيء على مقدار غيره واسنادهم اياه الى انفسهم

والامام اسم ما يؤتم به فسمي به اللوح ومطمر البناء والطريق لانها مما يؤتم به ولقد كذب اصحاب الحجر المرسلين يعني ثمود
كذبوا صالحا ومن كذب واحدا من الرسل فكانما كذب الجميع ويجوز ان يراد بالمرسلين صالحا ومن معه من المؤمنين والحجر
واد بين المدينة والشام يسكنونها وآتيناهم آياتنا فكانوا عنها معرضين يعني آيات الكتاب المنزل على نبيهم او معجزاته
كالناقة وسقبها وشربها ودرها او ما نصب لهم من الادلة وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا آمنين من الانهدام
ونقب اللصوص وتخريب الاعداء لوثاقتها او من العذاب لفرط غفلتهم او حسبانا ان الجبال تحميهم منه فاخذتهم
الصيحة مصبحين فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون من بناء البيوت الوثيقة واستكثار الاموال والعدد وما خلقنا
السموات والارض وما بينهما الا بالحق الا خلقا ملتبسا بالحق لا يلائم استمرار الفساد ودوام الشرور فلذلك اقتضت
الحكمة اهلاك امثال هؤلاء وازاحة فسادهم من الارض وان الساعة لآتية فينتقم الله لك فيها ممن كذبك
فاصفح الصفح الجميل ولا تعجل بالانتقام منهم وعاملهم معاملة الصفوح الحليم وقيل هو منسوخ بآية السيف
ان ربك هو الخلاق الذي خلقك وخلقهم وبيده امرك وامرهم العليم بحالك وحالهم فهو حقيق بان تكل اليه ليحكم بينكم
او هو الذي خلقكم وعلم الاصلح لكم وقد علم ان الصفح اليوم اصلح وفي مصحف عثمان وابي هو الخالق وهو يصلح للقليل و
الكثير والخلاق يختص بالكثير ولقد آتيناك سبعا سبع آيات وهي الفاتحة وقيل سبع سور وهي الطوال وسابعتها الانفال
والتوبة فانهما في حكم سورة ولذلك لم يفصل بينهما بالتسمية وقيل التوبة وقيل يونس او الحواميم السبع وقيل سبع
صحائف وهي الاسباع من المثاني بيان للسبع والمثاني من التثنية او الثناء فان كل ذلك مثنى تكرر قراءته والفاظه
او قصصه ومواعظه او مثنى عليه بالبلاغة والاعجاز او مثن على الله بما هو اهله من صفاته العظمى واسمائه الحسنى ويجوز ان
يراد بالمثاني القرآن او كتب الله كلها فتكون من للتبعيض والقرآن العظيم ان اريد بالسبع الآيات او السور فمن
عطف الكل على البعض او العام على الخاص وان اريد به الاسباع فمن عطف احد الوصفين على الآخر لا تمدن
عينيك لا تطمح ببصرك طموح راغب الى ما متعنا به ازواجا منهم اصنافا من الكفار فانه مستحقر بالاضافة الى ما
اوتيته فانه كمال مطلوب بالذات مفض الى دوام اللذات وفي حديث ابي بكر رضي الله عنه من اوتي القرآن فرأى ان
احدا اوتي من الدنيا افضل مما اوتي فقد صغر عظيما وعظم صغيرا وروي انه عليه الصلوة والسلام وافى باذرعات
سبع قوافل ليهود بني قريظة والنضير فيها انواع البز والطيب والجواهر وسائر الامتعة فقال المسلمون لو كانت هذه الاموال
لنا لتقوينا بها ولانفقناها في سبيل الله فقال لهم لقد اعطيتم سبع آيات هي خير من هذه القوافل السبع و
لا تحزن عليهم انهم لم يؤمنوا وقيل انهم المتمتعون به واخفض جناحك للمؤمنين وتواضع لهم وارفق بهم
وقل اني انا النذير المبين انذركم ببيان وبرهان ان عذاب الله نازل بكم ان لم تؤمنوا كما انزلنا على المقتسمين مثل العذاب
الذي انزلنا عليهم فهو وصف لمفعول النذير اقيم مقامه والمقتسمون هم الاثنا عشر الذين اقتسموا مداخل مكة ايام الموسم
لينفروا الناس عن الايمان بالرسول فاهلكهم الله تعالى يوم بدر او الرهط الذين اقتسموا اي تقاسموا على ان يبيتوا صالحا عليه الصلوة
والسلام وقيل هو صفة مصدر محذوف يدل عليه ولقد آتيناك فانه بمعنى انزلنا اليك والمقتسمون

بالوحي او القران فانه يحيي به القلوب الميتة بالجهل او يقوم في الدين مقام الروح في الجسد وذكره عقيب ذلك اشارة الى
الطريق الذي به علم الرسول صلى الله عليه وسلم ما تحتم وقوعه به ودنوه وازاحة لاستبعاد اختصاصه بالعلم
به وقرا ابن كثير وابو عمرو ويُنْزِل من أنزل وعن يعقوب مثله وعنه تَنَزَّلُ بمعنى تتنزل وقرا ابو بكر تُنَزَّلُ على المضارع المبني للمفعول
من التنزيل بامره بامره على من يشاء من عباده ان انذروا بان انذروا اي بان انذروا اي اعلموا من نذرت بكذا
اذا علمته انه لا اله الا انا فاتقون ان الشان لا اله الا انا فاتقون او خوفوا اهل الكفر والمعاصي بانه لا اله الا انا وقوله
فاتقون رجوع الى مخاطبتهم بما هو المقصود وان مفسرة لان الروح بمعنى الوحي الدال على القول او مصدرية في موضع الجر بدلا
من الروح او النصب بنزع الخافض او مخففة من الثقيلة والآية تدل على ان نزول الوحي بواسطة الملائكة وان حاصله
التنبيه على التوحيد الذي هو منتهى كمال القوة العلمية والامر بالتقوى الذي هو اقصى كمال القوة العملية وان النبوة عطائية
والآيات التي بعدها دليل على وحدانيته من حيث انها تدل على انه تعالى هو الموجد لاصول العالم وفروعه على وفق الحكمة والمصلحة
ولو كان له شريك لقدر على ذلك فيلزم التمانع خلق السموات والارض بالحق اوجدهما على مقدار وشكل واوضاع وصفات
مختلفة قدرها وخصصها بحكمته تعالى عما يشركون منهما او مما يفتقر في وجوده او بقائه اليهما ومما لا يقدر على خلقهما
وفيه دليل على انه تعالى ليس من قبيل الاجرام خلق الانسان من نطفة جماد لا حس لها ولا حراك سيالة لا تحفظ الوضع
والشكل فاذا هو خصيم منطيق مناظر مجادل مبين للحجة او خصيم مكافح لخالقه قائل من يحيي العظام وهي رميم
روي ان ابي بن خلف اتى النبي صلى الله عليه وسلم بعظم رميم قال يا محمد اترى الله يحيي هذا بعد ما قد رم فنزلت والانعام
الابل والبقر والغنم وانتصابها بمضمر يفسره خلقها لكم او بالعطف على الانسان وخلقها لكم بيان ما خلق لاجله وما
بعده تفصيل له فيها دفء ما يدفأ به فيقي البرد ومنافع نسلها ودرها وظهورها وانما عبر عنها بالمنافع ليتناول
عوضها ومنها تأكلون اي تأكلون ما يؤكل منها كاللحوم والشحوم والالبان وتقديم الظرف للمحافظة على رؤوس الآي او لان
الاكل منها هو المعتاد المعتمد عليه في المعاش واما الاكل من سائر الحيوانات المأكولة فعلى سبيل التداوي او التفكه
ولكم فيها جمال زينة حين تريحون تردونها من مراعيها الى مراحها بالعشي وحين تسرحون تخرجونها بالغداة الى المراعي
فان الافنية تتزين بها في الوقتين ويجل اهلها في اعين الناظرين اليها وتقديم الاراحة لان الجمال فيها اظهر فانها
تقبل ملأى البطون حافلة الضروع ثم تأوي الى الحظائر حاضرة لاهلها وقرئ حينا على ان تريحون وتسرحون وصف
له بمعنى تريحون فيه وتسرحون فيه وتحمل اثقالكم احمالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه ان لم تكن الانعام ولم تخلق فضلا
عن ان تحملوها على ظهوركم اليه الا بشق الانفس الا بكلفة ومشقة وقرئ بالفتح وهو لغة فيه وقيل المفتوح مصدر شق
الامر عليه واصله الصدع والمكسور بمعنى النصف كانه ذهب نصف قوته بالتعب ان ربكم لرءوف رحيم حيث رحمكم
بخلقها لانتفاعكم وتيسير الامر عليكم والخيل والبغال والحمير عطف على الانعام لتركبوها وزينة اي لتركبوها ولتتزينوا
بها زينة وقيل هي معطوفة على محل لتركبوها وتغيير النظم لان الزينة بفعل الخالق والركوب ليس بفعله ولان المقصود
من خلقها الركوب واما التزين بها فحاصل بالعرض وقرئ بغير واو وعلى هذا يحتمل ان تكون علة لتركبوها

ظاهرة لذوى العقول السليمة غير محوجة الى استيفاء فكر كاحوال النبات وما ذرأ لكم فى الارض عطف على الليل
اى وسخر لكم ما خلق لكم فيها من حيوان ونبات مختلفا الوانه اصنافه فانها تتخالف باللون غالبا ان فى ذلك
لآية لقوم يذكرون ان اختلافها فى الطباع والهيئات والمناظر ليس الا بصنع صانع حكيم وهو الذى سخر لكم
البحر جعله بحيث تتمكنون من الانتفاع به بالركوب والاصطياد والغوص لتأكلوا منه لحما طريا هو السمك و
وصفه بالطراوة لانه ارطب اللحوم فيسرع اليه الفساد فيسارع الى اكله ولاظهار قدرته فى خلقه عذبا طريا فى ماء
زعاق وتمسك به مالك والثورى على ان من حلف لا يأكل لحما حنث باكل السمك واجيب عنه بان مبنى الايمان
على العرف وهو لا يفهم منه عند الاطلاق الا ترى ان الله تعالى سمى الكافر دابة ولا يحنث الحالف على ان لا يركب
دابة بركوبه وتستخرجوا منه حلية تلبسونها كاللؤلؤ والمرجان اى تلبسها نساؤكم فاسند اليهم لانهن من جملتهم
ولانهن يتزين بها لاجلهم وترى الفلك السفن مواخر فيه جوارى فيه تشقه بحيزومها من المخر وهو شق
الماء وقيل صوت جرى الفلك ولتبتغوا من فضله من سعة رزقه بركوبها للتجارة ولعلكم تشكرون اى
تعرفون نعم الله فتقومون بحقها ولعل تخصيصه بتعقيب الشكر لانه اقوى فى باب الانعام من حيث انه جعل
المهالك سببا للانتفاع وتحصيل المعاش والقى فى الارض رواسى جبالا رواسى ان تميد بكم كراهة ان تميد بكم
وتضطرب وذلك لان الارض قبل ان تخلق فيها الجبال كانت كرة خفيفة بسيطة الطبع وكان من حقها ان تتحرك بالاستدارة
كالافلاك او ان تتحرك بادنى سبب للتحريك فلما خلق الجبال على وجهها تفاوتت جوانبها وتوجهت الجبال
بثقلها نحو المركز فصارت كالاوتاد التى تمنعها عن الحركة وقيل لما خلق الله تعالى الارض جعلت تمور فقالت
الملائكة ما هى بمقر احد على ظهرها فاصبحت وقد ارسيت بالجبال وانهارا وجعل فيها انهارا لان القى فيه معناه و
سبلا لعلكم تهتدون لمقاصدكم او الى معرفة الله تعالى وعلامات معالم تستدل بها السابلة من جبل وسهل وريح ونحوها
وبالنجم هم يهتدون بالليل فى البرارى والبحار والمراد بالنجم الجنس ويدل عليه قراءة وبالنجم بضمتين وضمة
وسكون على الجمع وقيل الثريا والفرقدان وبنات النعش والجدى ولعل الضمير لقريش لانهم كانوا كثيرى الاسفار
للتجارة مشهورين بالاهتداء فى مسايرهم بالنجوم واخراج الكلام عن سنن الخطاب وتقديم النجم واقحام الضمير
للتخصيص كانه قيل وبالنجم خصوصا هؤلاء خصوصا يهتدون فالاعتبار بذلك والشكر عليه الزم لهم واوجب عليهم
افمن يخلق كمن لا يخلق انكار بعد اقامة الدلائل المتكاثرة على كمال قدرته وتناهى حكمته والتفرد بخلق ما عدد من
مبدعاته لان يساويه ويستحق مشاركته من لا يقدر على خلق شئ من ذلك بل على ايجاد شئ ما وكان حق الكلام
افمن لا يخلق كمن يخلق لكنه عكس تنبيها على انهم بالاشراك بالله جعلوه من جنس المخلوقات العجزة شبيها بها
والمراد بمن لا يخلق كل ما عبد من دون الله تعالى مغلبا فيه اولوا العلم منهم او الاصنام واجراؤها مجرى اولى العلم لانهم
سموها آلهة ومن حق الاله ان يعلم او للمشاكلة بينه وبين من يخلق او للمبالغة فكانه قيل ان من يخلق ليس كمن لا يخلق
من اولى العلم فكيف بما لا علم عنده افلا تذكرون فتعرفوا فساد ذلك فانه لجلائه كالحاصل للعقل الذى يحضر عنده
بادنى تذكر والتفات وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها لا تضبطوا عددها فضلا من ان تطيقوا القيام بشكرها

الذين كنتم تشاقون فيهم تعادون المومنين في شانهم وقرأ نافع بكسر النون بمعنى تشاقونني فان مشاقة المومنين
كمشاقة الله عز وجل قال الذين اوتوا العلم اي الانبياء والعلماء الذين كانوا يدعونهم الى التوحيد فيشاقونهم ويتكبرون عليهم او الملائكة
ان الخزي اليوم والسوء الذلة والعذاب على الكافرين وفائدة قولهم اظهار الشماتة وزيادة الاهانة وحكايته لان يكون
لطفا لمن سمعه الذين تتوفاهم الملائكة وقرأ حمزة بالياء وقرئ بادغام التاء في التاء وموضع الموصول يحتمل الاوجه
الثلاثة ظالمي انفسهم بان عرضوها للعذاب المخلد فالقوا السلم فسالموا واخبتوا حين عاينوا الموت ما كنا نعمل من
سوء قائلين ما كنا نعمل من سوء كفر وعدوان ويجوز ان يكون تفسيرا للسلم على ان المراد به القول الدال على الاستسلام
بلى اي فتجيبهم الملائكة بلى ان الله عليم بما كنتم تعملون فهو يجازيكم عليه وقيل قوله فالقوا السلم الى اخر الآية استئناف
ورجوع الى شرح حالهم يوم القيامة وعلى هذا اول من لم يجوز الكذب يومئذ ما كنا نعمل من سوء بانا لم نكن في زعمنا
واعتقادنا عاملين سوءا واحتمل ان يكون الراد عليهم هو الله تعالى او اولوا العلم فادخلوا ابواب جهنم كل صنف بابها
المعد له وقيل ابواب جهنم اصناف عذابها خالدين فيها فلبئس مثوى المتكبرين جهنم وقيل للذين اتقوا يعني المومنين ماذا
انزل ربكم قالوا خيرا اي انزل خيرا وفي نصبه دليل على انهم لم يتلعثموا في الجواب واطبقوه على السؤال معترفين بالانزال على
خلاف الكفرة روي ان احياء العرب كانوا يبعثون ايام الموسم من يأتيهم بخبر النبي صلى الله عليه وسلم فاذا جاء الوافد المقتسمين
قالوا له ما قالوا واذا جاء المومنين قالوا له ذلك للذين احسنوا في هذه الدنيا حسنة مكافاة في الدنيا ولدار
الآخرة خير اي ولثوابهم في الآخرة خير منها وهو عدة للذين اتقوا على قولهم ويجوز ان يكون بما بعده حكاية
لقولهم بدلا وتفسيرا لخيرا على انه منتصب بقالوا ولنعم دار المتقين دار الآخرة فحذفت لتقدم ذكرها وقوله جنات
عدن خبر مبتدأ محذوف ويجوز ان تكون المخصوص بالمدح يدخلونها تجري من تحتها الانهار لهم فيها ما يشاؤن
من انواع المشتهيات وفي تقديم الظرف تنبيه على ان الانسان لا يجد جميع ما يريده الا في الجنة كذلك يجزي الله المتقين مثل هذا
الجزاء يجزيهم وهو يؤيد الوجه الاول الذين تتوفاهم الملائكة طيبين طاهرين من ظلم انفسهم بالكفر والمعاصي لانه في مقابلة
ظالمي انفسهم وقيل فرحين ببشارة الملائكة اياهم بالجنة او طيبين بقبض ارواحهم لتوجه نفوسهم بالكلية الى
حضرة القدس يقولون سلام عليكم لا يحيقكم بعد مكروه ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون حين تبعثون فانها معدة
لكم على اعمالكم وقيل هذا التوفي وفاة الحشر لان الامر بالدخول حينئذ هل ينظرون ما ينتظر الكفار المار ذكرهم الا
ان تأتيهم الملائكة لقبض ارواحهم وقرأ حمزة والكسائي بالياء او يأتي امر ربك القيامة او العذاب المستأصل كذلك
مثل ذلك الفعل من الشرك والتكذيب فعل الذين من قبلهم فاصابهم ما اصابهم وما ظلمهم الله بتدميرهم ولكن
كانوا انفسهم يظلمون بكفرهم ومعاصيهم المؤدية اليه فاصابهم سيئات ما عملوا اي جزاء سيئات اعمالهم على حذف
المضاف او تسمية الجزاء باسمها وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون واحاط بهم جزاؤه والحيق لا يستعمل الا في الشر وقال
الذين اشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا اباؤنا ولا حرمنا من دونه من شيء انما قالوا ذلك
استهزاء او منعا للبعثة والتكليف متمسكين بان ما شاء الله يجب وما لم يشأ يمتنع فما الفائدة فيهما او انكارا لقبح

في الدنيا وما ادخر لهم في الآخرة افضل لو كانوا يعلمون الضمير للكفار اي لو علموا ان الله تعالى يجمع لهؤلاء المهاجرين
خير الدارين لوافقوهم او للمهاجرين اي لو علموا ذلك لزادوا في اجتهادهم وصبرهم الذين صبروا على الشدائد كاذى
الكفرة ومفارقة الوطن ومحله النصب او الرفع على المدح وعلى ربهم يتوكلون منقطعين الى الله تعالى مفوضين اليه الامر كله
وما ارسلنا من قبلك الا رجالا نوحي اليهم رد لقول قريش الله اعظم من ان يكون رسوله بشرا اي جرت السنة الالهية بان لا يبعث
للدعوة العامة الا بشرا يوحى اليه على السنة الملائكة والحكمة في ذلك قد ذكرت في سورة الانعام فان شككتم فيه فاسألوا
اهل الذكر اهل الكتاب او علماء الاخبار ليعلموكم ان كنتم لا تعلمون وفي الآية دليل على انه تعالى لم يرسل امرأة ولا ملكا للدعوة
العامة واما قوله جاعل الملائكة رسلا فمعناه رسلا الى الملائكة او الى الانبياء وقيل لم يبعثوا الى الانبياء الا متمثلين بصورة
الرجال ورد بما روي انه عليه السلام رأى جبريل عليه السلام على صورته التي هو عليها مرتين وعلى وجوب المراجعة الى العلماء فيما لا يعلم بالبينات
والزبر اي ارسلناهم بالبينات والزبر اي المعجزات والكتب كانه جواب قائل بم ارسلوا ويجوز ان يتعلق بما ارسلنا داخلا في الاستثناء
مع رجالا اي وما ارسلنا الا رجالا بالبينات كقولك ما ضربت الا زيدا بالسوط او صفة لهم اي رجالا ملتبسين بالبينات
او بيوحي على المفعولية او الحال من القائم مقام فاعله على ان قوله فاسألوا اعتراض او بلا تعلمون على ان الشرط للتبكيت
والالزام وانزلنا اليك الذكر اي القرآن وانما سمي ذكرا لانه موعظة وتنبيه لتبين للناس ما نزل اليهم في الذكر
بتوسط انزاله اليك مما امروا به ونهوا عنه او مما تشابه عليهم والتبيين اعم من ان ينص بالمقصود او يرشد الى ما يدل عليه
كالقياس ودليل العقل ولعلهم يتفكرون وارادة ان يتأملوا فيه فيتنبهوا للحقائق أفأمن الذين مكروا السيئات
اي المكرات السيئات وهم الذين احتالوا لهلاك الانبياء او الذين مكروا رسول الله صلى الله عليه وسلم وراموا صد اصحابه عن
الايمان ان يخسف الله بهم الارض كما خسف بقارون او يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون بغتة من جانب السماء كما
فعل بقوم لوط او يأخذهم في تقلبهم اي متقلبين في مسايرهم ومتاجرهم فما هم بمعجزين او يأخذهم على تخوف على مخافة
بان يهلك قوما قبلهم فيتخوفوا فيأتيهم العذاب وهم متخوفون او على ان ينقصهم شيئا بعد شيء في انفسهم واموالهم حتى يهلكوا
من تخوفته اذا تنقصته روي ان عمر رضي الله عنه قال على المنبر ما تقولون فيها فسكتوا فقام شيخ من هذيل فقال هذه
لغتنا التخوف التنقص فقال هل تعرف العرب ذلك في اشعارها قال نعم قال شاعرنا ابو كبير يصف ناقته تخوف الرحل
منها تامكا قردا كما تخوف عود النبعة السفن فقال عمر عليكم بديوانكم لا تضلوا قالوا وما ديواننا قال شعر الجاهلية
فان فيه تفسير كتابكم ومعاني كلامكم فان ربكم لرؤوف رحيم حيث لا يعاجلكم بالعقوبة أولم يروا الى ما خلق الله من
شيء استفهام انكار اي قد رأوا امثال هذه الصنائع فما بالهم لم يتفكروا فيها ليظهر لهم كمال قدرته وقهره فيخافوا منه وما موصولة
مبهمة بيانها يتفيأ ظلاله اي او لم ينظروا الى المخلوقات التي لها ظلال متفيئة وقرأ حمزة والكسائي تروا بالتاء وقرأ ابو عمرو
تتفيأ بالتاء عن اليمين والشمائل عن ايمانها وشمائلها اي عن جانبي كل واحد منها استعارة من يمين الانسان وشماله ولعل
توحيد اليمين وجمع الشمائل باعتبار اللفظ والمعنى كتوحيد الضمير في ظلاله وجمعه في قوله سجدا لله وهم داخرون وهما حالان
من الضمير في ظلاله والمراد من السجود الاستسلام سواء كان بالطبع او الاختيار يقال سجدت النخلة اذا مالت لكثرة

كونها من الله فتمتعوا امر تهديد فسوف تعلمون اغلظ وعيده وقرئ فيمتعوا مبنيا للمفعول عطفا على ليكفروا وعلى
هذا جاز ان يكون اللام لام الامر الوارد للتهديد والفاء للجواب ويجعلون لما لا يعلمون اى لآلهتهم التى لا علم لها لانها
جماد فيكون الضمير لما او التى لا يعلمونها فيعتقدون فيها جهالات مثل انها تنفعهم وتشفع لهم على ان العائد الى ما محذوف
او لجهلهم على ان ما مصدرية والمجعول له محذوف للعلم به نصيبا مما رزقناهم من الزروع والانعام تالله لتسألن
عما كنتم تفترون من انها آلهة حقيقية بالتقرب اليها وهو وعيد لهم عليه ويجعلون لله البنات كانت خزاعة
وكنانة يقولون الملائكة بنات الله تعالى سبحانه تنزيه له من قولهم او تعجب منه ولهم ما يشتهون يعنى البنين ويجوز
فى ما يشتهون الرفع بالابتداء والنصب بالعطف على البنات على ان الجعل بمعنى الاختيار وهو وان افضى الى ان يكون ضمير
الفاعل والمفعول لشئ واحد لكنه لا يبعد تجويزه فى المعطوف واذا بشر احدهم بالانثى اخبر بولادتها ظل وجهه صار
او دام النهار كله مسودا من الكآبة والحياء من الناس واسوداد الوجه كناية عن الاغتمام والتشوير وهو كظيم مملوء غيظا
من المرأة يتوارى من القوم يستخفى منهم من سوء ما بشر به من سوء المبشر به عرفا ايمسكه محدثا نفسه متفكرا فى ان يتركه على
هون ذل ام يدسه فى التراب ام يخفيه فيه ويئده وتذكير الضمير للفظ ما وقرئ بالتأنيث فيهما الا ساء ما يحكمون
حيث يجعلون لمن تعالى عن الولد ما هذا محله عندهم للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء صفة السوء وهى الحاجة
الى الولد المنادية بالموت واستبقاء الذكور استظهارا بهم وكراهة الاناث ووأدهن خشية الاملاق ولله المثل
الاعلى وهو الوجوب الذاتى والغنى المطلق والجود الفائق والنزاهة عن صفات المخلوقين وهو العزيز الحكيم
المتفرد بكمال القدرة والحكمة ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم بكفرهم ومعاصيهم ما ترك عليها على الارض وانما اضمرها
من غير ذكر لدلالة الناس والدابة عليها من دابة قط بشؤم ظلمهم وعن ابن مسعود كاد الجعل يهلك فى جحره بذنب
ابن آدم او من دابة ظالمة وقيل لو اهلك الآباء بظلمهم لم يكن الابناء ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى سماه لاعمارهم
او لعذابهم كى يتوالدوا فاذا جاء اجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون بل هلكوا او عذبوا حينئذ لا محالة ولا
يلزم من عموم الناس واضافة الظلم اليهم ان يكونوا كلهم ظالمين حتى الانبياء لجواز ان يضاف اليهم ما شاع
فيهم وصدر عن اكثرهم ويجعلون لله ما يكرهون اى ما يكرهونه لانفسهم من البنات والشركاء فى الرياسة
والاستخفاف بالرسل واراذل الاموال وتصف ألسنتهم الكذب مع ذلك وهو ان لهم الحسنى اى عند الله كقوله
ولئن رجعت الى ربى ان لى عنده للحسنى وقرئ الكذب جمع كذوب صفة للألسنة لا جرم ان لهم النار رد
لكلامهم واثبات لضده وانهم مفرطون مقدمون الى النار من افرطته فى طلب الماء اذا قدمته وقرأ نافع بكسر الراء على
انه من الافراط فى المعاصى وقرئ بالتشديد مفتوحا من فرطته فى طلب الماء ومكسورا من التفريط فى الطاعات تالله لقد
ارسلنا الى امم من قبلك فزين لهم الشيطان اعمالهم فاصروا على قبائحها وكفروا بالمرسلين فهو وليهم اليوم اى فى الدنيا وعبر
باليوم عن زمانها او فهو وليهم حين كان يزين لهم او يوم القيامة على انه حكاية حال ماضية او آتية ويجوز ان يكون الضمير
لقريش اى زين الشيطان للكفرة المتقدمين اعمالهم وهو ولى هؤلاء اليوم يغريهم ويغويهم وان بعد

عقولهم بالنظر والتامل في الايات واوحى ربك الى النحل الهمها وقذف في قلوبها وقرئ الى النحل بفتحتين ان اتخذى
بان اتخذى ويجوز ان يكون ان مفسرة لان في الايحاء معنى القول وتانيث الضمير على المعنى فان النحل مذكر من الجبال بيوتا
ومن الشجر ومما يعرشون ذكر بحرف التبعيض لانها لا تبنى في كل جبل وكل شجر وكل ما يعرش من كرم او سقف ولا في كل مكان منها
وانما سمى ما تبنيه لتتعسل فيه بيتا تشبيها ببيت الانسان لما فيه من حسن الصنعة وصحة القسمة التي لا يقوى عليها حذاق
المهندسين الا بالات وانظار دقيقة ولعل ذكره للتنبيه على ذلك وقرئ بيوتا بكسر الباء والياء وقرا ابن عامر وابو بكر يعرشون
بكسر الراء ثم كلى من كل الثمرات من كل ثمرة تشتهينها مرها وحلوها فاسلكى ما اكلت سبل ربك في مسالكه التي يحيل فيها
بقدرته النور المر عسلا من اجوافك او فاسلكى الطرق التي الهمك في عمل العسل او فاسلكى راجعة الى بيوتك سبل
ربك لا تتوعر عليك ولا تلتبس ذللا جمع ذلول وهى حال من السبل اى مذللة ذللها الله تعالى وسهلها او من الضمير في
اسلكى اى وانت ذلل منقادة لما امرت به يخرج من بطونها كانه عدل به عن خطاب النحل الى خطاب الناس لانه محل
الانعام عليهم والمقصود من خلق النحل والهامه لاجلهم شراب يعنى العسل لانه مما يشرب واحتج به من زعم ان النحل
تاكل الازهار والاوراق العطرة فتستحيل في بطنها عسلا ثم تقئ ادخارا للشتاء ومن زعم انها تلتقط بافواهها اجزاء طلية
حلوة صغيرة متفرقة على الاوراق والازهار وتضعها في بيوتها ادخارا فاذا اجتمع في بيوتها شئ كثير منها كان العسل
فسر البطون بالافواه مختلف الوانه ابيض واصفر واحمر واسود بسبب اختلاف سن النحل والفصل فيه شفاء للناس اما بنفسه
كما في الامراض البلغمية او مع غيره كما في سائر الامراض اذ قلما يكون معجون الا والعسل جزء منه مع ان التنكير فيه
مشعر بالتبعيض ويجوز ان يكون للتعظيم وعن قتادة ان رجلا جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان اخى
يشتكى بطنه فقال عليه السلام اسقه عسلا فذهب ثم رجع فقال قد سقيته فما نفع فقال اذهب واسقه عسلا فقد
صدق الله وكذب بطن اخيك فسقاه فشفاه الله تعالى فبرأ فكانما انشط من عقال قيل الضمير للقران او لما بين الله من
احوال النحل ان في ذلك لاية لقوم يتفكرون فان من تدبر اختصاص النحل بتلك العلوم الدقيقة والافعال
العجيبة حق التدبر علم قطعا انه لا بد له من قادر حكيم يلهمها ذلك ويحملها عليه والله خلقكم ثم يتوفاكم باجال مختلفة
ومنكم من يرد الى ارذل العمر اخسه يعنى الهرم الذى يشابه الطفولية في نقصان القوة والعقل وقيل هو خمس وتسعون
سنة وقيل خمس وسبعون لكى لا يعلم بعد علم شيئا ليصير الى حالة شبيهة بحال الطفولية في النسيان وسوء الفهم
ان الله عليم بمقادير اعماركم قدير يميت الشاب النشيط ويبقى الهرم الفانى وفيه تنبيه على ان تفاوت اجال الناس
ليس الا بتقدير قادر حكيم ركب ابنيتهم وعدل امزجتهم على قدر معلوم ولو كان ذلك مقتضى الطباع لم يبلغ التفاوت
هذا المبلغ والله فضل بعضكم على بعض في الرزق فمنكم غنى ومنكم فقير ومنكم موالى يتولون رزقهم ورزق
غيرهم ومنكم مماليك حالهم على خلاف ذلك فما الذين فضلوا برادى رزقهم بمعطى رزقهم على ما ملكت ايمانهم على مماليكهم
فان ما يردون عليهم رزقهم الذى جعله الله في ايديهم فهم فيه سواء فالموالى والمماليك سواء في ان الله تعالى رزقهم فالجملة
لازمة للجملة المنفية او مقررة لها ويجوز ان تكون واقعة موقع الجواب كانه قيل فما الذين

يرسله مولاه في امر وقرئ يُوَجَّهْ على البناء للمفعول ويُوَجِّهُ بمعنى يتوجه كقوله اينما اوجّه ألقَ سعدا وتوجّهْ بلفظ الماضي
لا يأت بخير بنجح وكفاية مهم هل يستوي هو ومن يأمر بالعدل ومن هو فَهِمٌ منطيق ذو كفاية ورشد ينفع الناس يحثهم على العدل
الشامل لمجامع الفضائل وهو على صراط مستقيم وهو في نفسه على طريق مستقيم لا يتوجه الى مطلب الا ويبلغه باقرب سعي وانما
قابل تلك الصفات بهذين الوصفين لانهما كمال ما يقابلها وهذا تمثيل ثان ضربه الله تعالى لنفسه وللاصنام لابطال المشاركة
بينه تعالى وبينها او للمؤمن والكافر ولله غيب السموات والارض يختص به علمه لا يعلمه غيره تعالى وهو ما غاب فيهما عن العباد بان لم
يكن محسوسا ولم يدل عليه محسوس وقيل يوم القيمة فان علمه غائب عن اهل السموات والارض وما امر الساعة وما امر قيام الساعة
في سرعته وسهولته الا كلمح البصر الا كرجع الطرف من اعلى الحدقة الى اسفلها او هو اقرب او امرها اقرب
منه بان يكون في زمان نصف تلك الحركة بل في الآن الذي تبتدأ فيه فانه تعالى يحيي الخلائق دفعة وما يوجد
دفعة كان في آن واو للتخيير او بمعنى بل وقيل معناه ان قيام الساعة وان تراخى فهو عند الله كالشيء الذي تقولون فيه هو كلمح
البصر او هو اقرب مبالغة في استقرابه ان الله على كل شيء قدير فيقدر ان يحيي الخلائق دفعة كما قدر ان احياهم
متدرجا ثم دل على قدرته فقال والله اخرجكم من بطون امهاتكم وقرأ الكسائي بكسر الهمزة على انه لغة او اتباع
لما قبلها وحمزة بكسرها وكسر الميم والهاء مزيدة مثلها في اهراق لا تعلمون شيئا جاهلين مستصحبين جهل الجمادية وجعل لكم
السمع والابصار والافئدة اداة تتعلمون بها فتحسون بمشاعركم جزئيات الاشياء فتدركونها ثم تتنبهون بقلوبكم
لمشاركات ومباينات بينها بتكرر الاحساس حتى يتحصل لكم العلوم البديهية وتتمكنوا من تحصيل العلوم الكسبية بالنظر
فيها لعلكم تشكرون كي تعرفوا ما انعم عليكم طورا بعد طور فتشكروه الم يروا الى الطير وقرأه ابن عامر وحمزة ويعقوب بالتاء على
انه خطاب للعامة مسخرات مذللات للطيران بما خلق لها من الاجنحة والاسباب المواتية له في جو السماء في الهواء المتباعد
من الارض ما يمسكهن فيه الا الله فان ثقل جسدها يقتضي سقوطها ولا علاقة فوقها ولا دعامة تحتها تمسكها
ان في ذلك لآيات تسخير الطير للطيران بان خلقها خلقة يمكن معها الطيران وخلق الجو بحيث يمكن الطيران
فيه وامساكها في الهواء على خلاف طبعها لقوم يؤمنون لانهم هم المنتفعون بها والله جعل لكم من بيوتكم سكنا
موضعا تسكنون فيه وقت اقامتكم كالبيوت المتخذة من الحجر والمدر فعل بمعنى مفعول وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا هي
القباب المتخذة من الادم ويجوز ان يتناول المتخذة من الوبر والصوف والشعر فانها من حيث انها نابتة على جلودها يصدق
عليها انها من جلودها تستخفونها تجدونها خفيفة يخف عليكم حملها ونقلها يوم ظعنكم وقت ترحالكم ويوم
اقامتكم وضعها او ضربها وقت الحضر او النزول وقرأ الحجازيان والبصريان يوم ظعَنكم بالفتح وهو لغة ومن
اصوافها واوبارها واشعارها الصوف للضائنة والوبر للابل والشعر للمعز واضافتها الى ضمير الانعام لانها من
جملتها اثاثا ما يلبس ويفرش ومتاعا ما يتجر به الى حين الى مدة من الزمان فانها لصلابتها تبقى مدة مديدة
او الى حين مماتكم او الى ان تقضوا منه اوطاركم والله جعل لكم مما خلق من الشجر والجبل والابنية وغيرها ظلالا
تتقون بها حر الشمس وجعل لكم من الجبال اكنانا مواضع تسكنون بها من الكهوف والبيوت المنحوتة فيها جمع كِنّ وجعل

والقول بالكسب المتوسط بين محض الجبر والقدر وعملا كالتعبد باداء الواجبات المتوسط بين البطالة والترهب وخلقا كالجود
المتوسط بين البخل والتبذير والاحسان احسان الطاعات وهو اما بحسب الكمية كالتطوع بالنوافل او بحسب الكيفية كما قال عليه السلام
الاحسان ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك وايتاء ذي القربى واعطاء الاقارب ما يحتاجون
اليه وهو تخصيص بعد تعميم للمبالغة وينهى عن الفحشاء عن الافراط في متابعة القوة الشهوية كالزنا فانه اقبح احوال
الانسان واشنعها والمنكر ما ينكر على متعاطيه في اثارة القوة الغضبية والبغي والاستعلاء والاستيلاء على الناس والتجبر
عليهم فانها الشيطنة التي هي مقتضى القوة الوهمية ولا يوجد من الانسان شر الا وهو مندرج في هذه الاقسام صادر
بتوسط احدى هذه القوى الثلاث ولذلك قال ابن مسعود رضي الله عنه هي اجمع اية في القران للخير والشر وصارت سبب
اسلام عثمان بن مظعون ولو لم يكن في القران غير هذه الاية لصدق عليه انه تبيان لكل شيء وهدى ورحمة للعالمين
ولعل ايرادها عقيب قوله ونزلنا عليك الكتاب للتنبيه عليه يعظكم بالامر والنهي والميز بين الخير والشر لعلكم تذكرون تتعظون واوفوا بعهد الله يعني
البيعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم على الاسلام لقوله ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله وقيل كل امر يجب الوفاء به ولا يلائمه قوله
اذا عاهدتم وقيل النذور وقيل الايمان بالله ولا تنقضوا الايمان اى ايمان البيعة او مطلق الايمان بعد توكيدها بعد توثيقها بذكر الله تعالى
ومنه اكد واكد بقلب الواو همزة وقد جعلتم الله عليكم كفيلا شاهدا بتلك البيعة فان الكفيل مراع لحال المكفول به
رقيب عليه ان الله يعلم ما تفعلون في نقض الايمان والعهود ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها ما غزلته مصدر بمعنى المفعول
من بعد قوة متعلق بنقضت اى نقضت غزلها من بعد ابرام واحكام انكاثا طاقات نكثت فتلها جمع نكث
وانتصابه على الحال من غزلها او المفعول الثاني لنقضت فانه بمعنى صيرت والمراد به تشبيه الناقض بمن هذا شانه
وقيل التي نقضت غزلها رايطة بنت سعد بن تيم القرشية فانها كانت خرقاء تفعل ذلك تتخذون ايمانكم دخلا بينكم
حال من الضمير في ولا تكونوا او في الجار الواقع موقع الخبر اى ولا تكونوا متشبهين بامراة هذا شانها متخذي ايمانكم مفسدة
ودخلا بينكم واصل الدخل ما يدخل الشيء ولم يكن منه ان تكون امة هي اربى من امة بان تكون جماعة ازيد عددا
واوفر مالا من جماعة والمعنى لا تغدروا بقوم لكثرتكم وقلتهم او لكثرة منابذيهم وقوتهم كقريش فانهم كانوا اذا راوا
شوكة في اعادي حلفائهم نقضوا عهدهم وحالفوا اعداءهم انما يبلوكم الله به الضمير لان تكون امة لانه بمعنى المصدر
اى يختبركم بكونهم اربى لينظر اتتمسكون بحبل الوفاء بعهد الله وبيعة رسوله ام تغترون بكثرة قريش وشوكتهم وقلة
المؤمنين وضعفهم وقيل الضمير للربا وقيل للامر بالوفاء وليبينن لكم يوم القيمة ما كنتم فيه تختلفون اذا جازاكم على اعمالكم
بالثواب والعقاب ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة متفقة على الاسلام ولكن يضل من يشاء بالخذلان ويهدي
من يشاء بالتوفيق ولتسألن عما كنتم تعملون سؤال تبكيت ومجازاة ولا تتخذوا ايمانكم دخلا بينكم تصريح بالنهي عنه بعد التضمين
تاكيدا ومبالغة في قبح المنهي فتزل قدم عن محجة الاسلام بعد ثبوتها عليها والمراد اقدامهم وانما وحد ونكر للدلالة على
ان زلل قدم واحدة عظيم فكيف باقدام كثيرة وتذوقوا السوء العذاب في الدنيا بما صددتم عن سبيل الله بصدودكم
عن الوفاء او صدكم غيركم عنه فان من نقض البيعة وارتد جعل ذلك سنة لغيره ولكم عذاب عظيم في الاخرة

بعرض بحصول اصل ذلك لغيرهم وتوزع ليثبت بالتخفيف ولقد نعلم انهم يقولون انما يعلمه بشر يعنون جبرا
الرومي غلام عامر بن الحضرمي وقيل جبرا ويسارا كانا يصنعان السيف بمكة ويقرآن التورية والانجيل وكان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يمر عليهما ويسمع ما يقرآنه وقيل عائشا غلام حويطب بن عبد العزى قد اسلم وكان صاحب كتب
وقيل سلمان الفارسي لسان الذي يلحدون اليه اعجمي لغة الرجل الذي يميلون قولهم عن الاستقامة اليه
مأخوذ من لحد القبر وقرأ حمزة والكسائي يلحدون بفتح الياء والحاء لسان اعجمي غير بين وهذا القرآن لسان عربي مبين
ذو بيان وفصاحة والجملتان مستأنفتان لابطال طعنهم وتقريره يحتمل وجهين احدهما ان ما يسمعه منه كلام اعجمي
لا يفهمه هو ولا انتم والقرآن عربي تفهمونه بادنى تامل فكيف يكون ما تلقفه منه وثانيهما هب انه تعلم منه المعنى باستماع
كلامه ولكن لم يتلقف منه اللفظ لان ذلك اعجمي وهذا عربي والقرآن كما هو معجز باعتبار المعنى فهو معجز من حيث اللفظ
مع ان العلوم الكثيرة التي في القرآن لا يمكن تعلمها الا بملازمة معلم فائق في تلك العلوم مدة متطاولة فكيف تعلم جميع
ذلك من غلام سوقي سمع منه بعض اوقات مروره عليه كلمات اعجمية لعلهما لم يعرفا معناها فطعنهم
في القرآن بامثال هذه الكلمات الركيكة دليل على غاية عجزهم ان الذين لا يؤمنون بآيات الله لا يصدقون انها من عند الله
لا يهديهم الله الى الحق او الى سبيل النجاة وقيل الى الجنة ولهم عذاب اليم في الآخرة هددهم على كفرهم بالقرآن بعد ما
اماط شبهتهم ورد طعنهم فيه ثم قلب الامر عليهم فقال انما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله لانهم لا يخافون
عقابا يردعهم عنه واولئك اشارة الى الذين كفروا او الى قريش هم الكاذبون اي الكاذبون على الحقيقة او الكاملون في الكذب
لان تكذيب آيات الله تعالى والطعن فيها بهذه الخرافات اعظم الكذب او الذين عادتهم الكذب لا يصرفهم عنه دين
ولا مروءة او الكاذبون في قولهم انما انت مفتر انما يعلمه بشر من كفر بالله من بعد ايمانه بدل من الذين لا يؤمنون
وما بينهما اعتراض او من اولئك او من الكاذبون او مبتدأ خبره محذوف دل عليه قوله فعليهم غضب
ويجوز ان ينتصب بالذم وان تكون من شرطية محذوفة الجواب الا من اكره على الافتراء او كلمة
الكفر استثناء متصل لان الكفر لغة يعم القول والعقد كالايمان وقلبه مطمئن بالايمان لم تتغير
عقيدته وفيه دليل على ان الايمان هو التصديق بالقلب ولكن من شرح بالكفر صدرا اعتقده
وطاب به نفسا فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم اذ لا اعظم من جرمه روي ان قريشا اكرهوا عمارا
وابويه ياسرا وسمية على الارتداد فربطوا سمية بين بعيرين ووجئ بحربة في قبلها وقالوا انك اسلمت
من اجل الرجال فقتلت وقتلوا ياسرا وهما اول قتيلين في الاسلام واعطاهم عمار بلسانه ما ارادوا مكرها
فقيل يا رسول الله ان عمارا كفر فقال كلا ان عمارا ملئ ايمانا من قرنه الى قدمه واختلط الايمان
بلحمه ودمه فأتى عمار رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبكي فجعل رسول الله صلى الله عليه
وسلم يمسح عينيه وقال ما لك ان عادوا لك فعد لهم بما قلت وهو دليل على جواز التكلم بالكفر عند الاكراه وان
كان الافضل ان يتجنب عنه اعزازا للدين كما فعله ابواه لما روي ان مسيلمة اخذ رجلين فقال لاحدهما ما تقول
في محمد فقال رسول الله قال فما تقول في فقال انت ايضا فخلاه وقال للآخر ما تقول في محمد قال رسول الله قال فما تقول

٣٥٣

الكذب بدل تقولوا وهذا حلال وهذا حرام بدل منه او متعلق بتصف على ارادة القول ولا تقولوا الكذب لما تصفه
السنتكم فيقول هذا حلال وهذا حرام او معمول لا تقولوا والكذب منتصب بتصف وما مصدرية
اى ولا تقولوا هذا حلال وهذا حرام لوصف السنتكم الكذب اى لا تحرموا ولا تحللوا بمجرد قول ينطق به
السنتكم من غير دليل ووصف السنتكم الكذب مبالغة فى وصف كلامهم بالكذب كان حقيقة
الكذب كانت مجهولة والسنتهم كانت تصفها وتعرفها بكلامهم هذا ولذلك عد من فصيح الكلام كقولهم
وجهها يصف الجمال وعينها تصف السحر وقرئ الكذب بالجر بدلا من ما والكذب جمع كذوب او كذاب بالرفع صفة
للالسنة وبالنصب على الذم او بمعنى الكلم الكواذب لتفتروا على الله الكذب تعليل لا يتضمن الغرض ان
الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون لما كان المفترى يفترى لتحصيل مطلوب نفى عنهم الفلاح وبينه
بقوله متاع قليل اى ما يفترون لاجله او ما هم فيه منفعة قليلة تنقطع عن قريب ولهم عذاب اليم اى فى الاخرة
وعلى الذين هادوا حرمنا ما قصصنا عليك اى فى سورة الانعام فى قوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى
ظفر من قبل متعلق بقصصنا او بحرمنا وما ظلمناهم بالتحريم ولكن كانوا انفسهم يظلمون حيث فعلوا ما عوقبوا
به عليه وفيه تنبيه على الفرق بينهم وبين غيرهم فى التحريم وانه كما يكون للمضرة يكون للعقوبة ثم ان ربك للذين عملوا
السوء بجهالة بسببها او ملتبسين بها ليعم الجهل بالله تعالى وبعقابه وعدم التدبر فى العواقب لغلبة الشهوة والسوء يعم
الافتراء على الله تعالى وغيره ثم تابوا من بعد ذلك واصلحوا ان ربك من بعدها من بعد التوبة لغفور لذلك السوء رحيم يثيب
على الانابة ان ابراهيم كان امة لكماله واستجماعه فضائل لا تكاد توجد الا مفرقة فى اشخاص كثيرة كقوله وليس من الله
بمستنكر ان يجمع العالم فى واحد وهو عليه السلام رئيس الموحدين وقدوة المحققين الذى جادل فرق المشركين
وابطل مذاهبهم الزائغة بالحجج الدامغة ولذلك عقب ذكره بتزييف مذاهب المشركين من الشرك والطعن فى النبوة
وتحريم ما احله او لانه كان وحده مؤمنا وكان سائر الناس كفارا وقيل هى فعلة بمعنى مفعول كالرحلة والنخبة من امه
اذا قصده او اقتدى به فان الناس كانوا يؤمونه للاستفادة ويقتدون بسيرته لقوله انى جاعلك للناس اماما قانتا
لله مطيعا له تعالى قائما باوامره تعالى حنيفا مائلا عن الباطل ولم يك من المشركين كما زعموا فان قريشا كانوا يزعمون انهم كانوا
على ملة ابراهيم شاكرا لانعمه ذكر بلفظ القلة للتنبيه على انه كان لا يخل بشكر النعم القليلة فكيف بالكثيرة اجتباه
للنبوة وهداه الى صراط مستقيم فى الدعوة الى الله تعالى وآتيناه فى الدنيا حسنة بان حببه الى الناس حتى ان ارباب الملل يتولونه
ويثنون عليه ورزقه اولادا طيبة وعمرا طويلا فى السعة والطاعة وانه فى الآخرة لمن الصالحين لمن اهل الجنة كما ساله بقوله و
الحقنى بالصالحين ثم اوحينا اليك يا محمد وثم اما لتعظيمه والتنبيه على ان اجل ما اوتى ابراهيم اتباع الرسول ملته
او لتراخى ايامه ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا فى التوحيد والدعوة اليه بالرفق وايراد الدلائل مرة بعد اخرى والمجادلة مع كل
احد على حسبه وما كان من المشركين بل كان قدوة الموحدين انما جعل السبت تعظيم السبت والتخلى فيه للعبادة
على الذين اختلفوا فيه اى على نبيهم وهم اليهود امرهم موسى عليه السلام ان يتفرغوا للعبادة يوم الجمعة فابوا الا طائفة منهم
وقالوا نريد يوم السبت لانه تعالى فرغ فيه من خلق السموات والارض فالزمهم الله تعالى السبت وشدد عليهم

صلوة العشاء وبرهة من ليلته وقص القصة عليها وقال مثل لي النبيون فصليت بهم ثم خرج الى المسجد واخبر
قريشا فتعجبوا منه استحالة وارتد ناس ممن آمن به وسعى رجال الى ابي بكر رضي الله عنه فقال ان كان قال ذلك لقد
صدق فقالوا اتصدقه على ذلك قال اني لاصدقه على ابعد من ذلك فسمي الصديق واستنعته طائفة سافروا الى بيت
المقدس فجلي له فطفق ينظر اليه وينعته لهم فقالوا اما النعت فقد اصاب فقالوا اخبرنا عن عيرنا فاخبرهم بعدد جمالها واحوالها
وقال تقدم يوم كذا مع طلوع الشمس يقدمها جمل اورق فخرجوا يشتدون الى الثنية فصادفوا العير كما اخبر ثم
لم يؤمنوا وقالوا ما هذا الا سحر مبين وكان ذلك قبل الهجرة بسنة واختلف في انه كان مناما او في اليقظة بروحه
او بجسده والاكثر على انه اسري بجسده الى بيت المقدس ثم عرج به الى السموات حتى انتهى الى سدرة المنتهى ولذلك تعجب
قريش واستحالوه والاستحالة مدفوعة بما ثبت في الهندسة ان ما بين طرفي قرص الشمس ضعف ما بين طرفي
كرة الارض مائة ونيفا وستين مرة ثم ان طرفها الاسفل يصل موضع طرفها الاعلى في اقل من ثانية وقد برهن في الكلام
ان الاجسام متساوية في قبول الاعراض وان الله تعالى قادر على كل الممكنات فيقدر ان يخلق مثل هذه الحركة السريعة
في بدن النبي صلى الله عليه وسلم او فيما يحمله والتعجب من لوازم المعجزات وظهورها الى المسجد الاقصى بيت المقدس
لانه لم يكن حينئذ وراءه مسجد الذي باركنا حوله ببركات الدين والدنيا لانه مهبط الوحي ومتعبد الانبياء
من لدن موسى ومحفوف بالانهار والاشجار لنريه من آياتنا كذهابه في برهة من الليل مسيرة شهر ومشاهدة
بيت المقدس وتمثل الانبياء له ووقوفه على مقاماتهم وصرف الكلام من الغيبة الى التكلم لتعظيم تلك
البركات والآيات وقرئ ليريه بالياء انه هو السميع لاقوال محمد صلى الله عليه وسلم البصير بافعاله فيكرمه ويقربه
على حسب ذلك وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبني اسرائيل الا تتخذوا اي لان لا تتخذوا وكقولك كتبت اليه ان افعل
وقرأ ابو عمرو بالياء على ان لا يتخذوا من دوني وكيلا ربا تكلون اليه اموركم غيري ذرية من حملنا مع نوح نصب على
الاختصاص او النداء ان قرئ ان لا تتخذوا بالتاء او على انه احد مفعولي لا تتخذوا ومن دوني حال من وكيلا فيكون كقوله
ولا يأمركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا وقرئ بالرفع على انه خبر محذوف او بدل من واو يتخذوا وذرية بكسر
الذال وفيه تذكير بانعام الله تعالى عليهم في انجاء آبائهم من الغرق بحملهم مع نوح في السفينة انه ان نوحا عليه السلام
كان عبدا شكورا يحمد الله تعالى على مجامع حالاته وفيه ايماء بان انجاءه ومن معه كان ببركة شكره وحث للذرية
على الاقتداء به وقيل الضمير لموسى عليه السلام وقضينا الى بني اسرائيل واوحينا اليهم وحيا مقضيا مبتوتا في الكتاب
في التوراة لتفسدن في الارض جواب قسم محذوف او قضينا على اجراء القضاء المبتوت مجرى القسم مرتين افسادتين اولاهما
مخالفة احكام التوراة وقتل شعيا وقيل ارمياء وثانيتهما قتل زكريا ويحيى وقصد قتل عيسى عليه السلام ولتعلن
علوا كبيرا ولتستكبرن عن طاعة الله تعالى او لتظلمن الناس فاذا جاء وعد اولاهما وعد عقاب اولاهما بعثنا عليكم عبادا
لنا بختنصر عامل لهراسف على بابل وجنوده وقيل جالوت الجزري وقيل سنحاريب من اهل نينوى اولي بأس شديد
ذوي قوة وبطش في الحرب شديد فجاسوا فترددوا لطلبكم وقرئ بالحاء وهما اخوان خلال الديار وسطها

نهار مبصرة مضيئة او مبصرة للناس من ابصره فبصر او مبصرا اهله كقولهم اجبن الرجل اذا كان اهله جبناء وقيل الايتان
الشمس والقمر وتقدير الكلام وجعلنا نيري الليل والنهار ايتين او جعلنا الليل والنهار ذوي ايتين ومحو اية الليل التي هي القمر جعلها
مظلمة في نفسها مطموسة النور او نقص نورها شيئا فشيئا الى المحاق وجعل اية النهار التي هي الشمس مبصرة جعلها ذات شعاع تبصر
الاشياء بضوءها لتبتغوا فضلا من ربكم لتطلبوا في بياض النهار اسباب معاشكم وتتوصلوا به الى استبانة اعمالكم ولتعلموا
باختلافهما او بحركاتهما عدد السنين والحساب وجنس الحساب وكل شيء تفتقرون اليه في امر الدين والدنيا فصلناه تفصيلا بيناه بيانا
غير ملتبس وكل انسان الزمناه طائره عمله وما قدر له كانه طير اليه من عش الغيب ووكر القدر لما كانوا يتيمنون
ويتشاءمون بسنوح الطائر وبروحه استعير لما هو سبب الخير والشر من قدر الله وعمل العبد في عنقه لزوم الطوق في
عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابا هي صحيفة عمله او نفسه المنتقشة باثار اعماله فان الافعال الاختيارية تحدث في النفس
احوالا ولذلك يفيد تكريرها لها ملكات ونصبه بانه مفعول او حال من مفعول محذوف وهو ضمير الطائر ويعضده قراءة
يعقوب ويخرج من خرج يخرج وقرئ ويخرج اي الله عز وجل يلقاه منشورا لكشف الغطاء وهما صفتان للكتاب او يلقاه
صفة ومنشورا حال من مفعوله وقرا ابن عامر يلقاه على البناء للمفعول من لقيته كذا اقرا كتابك على ارادة القول كفى بنفسك ال
يوم عليك حسيبا اي كفى نفسك والباء مزيدة وحسيبا تمييز وعلى صلته لانه اما بمعنى الحاسب كالصريم بمعنى الصارم
وضريب القداح بمعنى ضاربها من حسب عليه كذا او بمعنى الكافي فوضع موضع الشهيد لانه يكفي المدعي ما اهمه وتذكيره
على ان الحساب والشهادة مما يتولاه الرجال او على تاويل النفس بالشخص من اهتدى فانما يهتدي لنفسه ومن
ضل فانما يضل عليها لا ينجي اهتداؤه غيره ولا يردي ضلاله سواه ولا تزر وازرة وزر اخرى ولا تحمل نفس حاملة وزر
نفس اخرى بل انما تحمل وزرها وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا يبين الحجج ويمهد الشرائع فيلزمهم الحجة وفيه دليل على ان لا وجوب قبل
الشرع واذا اردنا ان نهلك قرية واذا تعلقت ارادتنا باهلاك قوم لانفاذ قضائنا السابق او دنا وقته المقدر كقولهم
اذا اراد المريض ان يموت ازداد مرضه شدة امرنا مترفيها منعميها بالطاعة على لسان رسول بعثناه اليهم ويدل على ذلك ما قبله
وما بعده فان الفسق هو الخروج عن الطاعة والتمرد في العصيان فيدل على الطاعة من طريق المقابلة وقيل امرناهم بالفسق
لقوله ففسقوا فيها كقولك امرته فقرا فانه لا يفهم منه الا الامر بالقراءة على ان الامر مجاز من الحمل عليها او التسبب لها بان صب
عليهم من النعم ما ابطرهم وافضى بهم الى الفسوق ويحتمل ان لا يكون له مفعول منوي كقولهم امرته فعصاني وقيل معناه كثرنا يقال
امرت الشيء وامرته فامر اذا كثرته وفي الحديث خير المال سكة مابورة ومهرة مامورة اي كثيرة النتاج وهو ايضا مجاز
من معنى الطلب ويؤيده ايضا قراءة يعقوب امرنا ورواية امرنا عن ابي عمرو ويحتمل ان يكون منقولا من امر بالضم امارة اي
جعلناهم امراء وتخصيص المترفين بان غيرهم يتبعهم ولانهم اسرع الى الحماقة واقدر على الفجور فحق عليها القول يعني
كلمة العذاب السابقة بحلوله او بظهور معاصيهم او بانهماكهم في المعاصي فدمرناها تدميرا اهلكناها باهلاك اهلها
وتخريب ديارها وكم اهلكنا وكثيرا اهلكنا من القرون بيان لكم وتمييز له من بعد نوح كعاد وثمود وكفى بربك بذنوب
عباده خبيرا بصيرا يدرك بواطنها وظواهرها فيعاقب عليها وتقديم الخبير لتقدم متعلقه من كان يريد العاجلة

جناحك للمؤمنين واضافته الى الذل للبيان والمبالغة كما اضيف حاتم الى الجود والمعنى واخفض لهما جناحك الذليل وقرئ
الذل بالكسر وهو الانقياد والنعت منه ذلول من الرحمة من فرط رحمتك عليهما لافتقارهما الى من كان افقر خلق الله
اليهما وقل رب ارحمهما وادع الله تعالى ان يرحمهما برحمته الباقية ولا تكتف برحمتك الفانية وان كانا كافرين لان من الرحمة
ان يهديهما كما ربياني صغيرا رحمة مثل رحمتهما علي وتربيتهما وارشادهما لي في صغري وفاء بوعدك للراحمين روي
ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان ابوي بلغا من الكبر اني الي منهما ما وليا مني في الصغر فهل قضيتهما قال
لا فانهما كانا يفعلان ذلك وهما يحبان بقاءك وانت تفعل ذلك وانت تريد موتهما ربكم اعلم بما في نفوسكم من قصد
البر اليهما واعتقاد ما يجب لهما من التوقير وكأنه تهديد على ان يضمر لهما كراهة واستثقالا ان تكونوا صالحين قاصدين
للصلاح فانه كان للاوابين للتوابين غفورا ما فرط منهم عند حرج الصدر من اذية او تقصير وفيه تشديد
عظيم ويجوز ان يكون عاما لكل تائب ويندرج فيه الجاني على ابويه التائب من جنايته اوليا لوروده على اثره وآت ذا القربى
حقه من صلة الرحم وحسن المعاشرة والبر عليهم وقال ابو حنيفة حقهم اذا كانوا محارم فقراء ان ينفق عليهم وقيل
المراد بذي القربى اقارب الرسول صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنهم والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا بصرف
المال فيما لا ينبغي وانفاقه على وجه الاسراف واصل التبذير التفريق وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لسعد وهو
يتوضأ ما هذا السرف قال افي الوضوء سرف قال نعم وان كنت على نهر جار ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين امثالهم
في الشرارة فان التضييع والاتلاف شر او اصدقاءهم واتباعهم لانهم يطيعونهم في الاسراف والصرف في المعاصي
روي انهم كانوا ينحرون الابل ويتياسرون عليها ويبذرون اموالهم في السمعة فنهاهم الله تعالى عن ذلك وامرهم
بالانفاق في القربات وكان الشيطان لربه كفورا مبالغا في الكفر به فينبغي ان لا يطاع واما تعرضن عنهم وان اعرضت
عن ذي القربى والمسكين وابن السبيل حياء من الرد ويجوز ان يراد بالاعراض عنهم ان لا ينفعهم على سبيل الكناية ابتغاء
رحمة من ربك ترجوها لانتظار رزق من الله تعالى ترجوه ان ياتيك فتعطيه او منتظرين له وقيل معناه لفقد رزق
من ربك ترجوه ان يفتح لك فوضع الابتغاء موضعه لانه مسبب عنه ويجوز ان يتعلق بالجواب الذي هو قوله فقل لهم
قولا ميسورا اي فقل لهم قولا لينا ابتغاء رحمة الله برحمتك عليهم باجمال القول لهم والميسور من يسر الامر مثل سعد
الرجل ونحس وقيل القول الميسور الدعاء لهم بالميسور وهو اليسر مثل اغناكم الله ورزقنا واياكم ولا تجعل يدك مغلولة
الى عنقك ولا تبسطها كل البسط تمثيلان لمنع الشحيح واسراف المبذر نهى عنهما امرا بالاقتصاد بينهما الذي هو الكرم فتقعد
ملوما فتصير ملوما عند الله تعالى وعند الناس بالاسراف وسوء التدبير محسورا نادما او منقطعا بك لا شيء عندك
من حسره السفر اذا بلغ منه وعن جابر رضي الله عنه بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم اتاه صبي فقال ان امي
تستكسيك درعا فقال من ساعة الى ساعة فعد الينا فذهب الى امه فقالت له قل له ان امي تستكسيك
الدرع الذي عليك فدخل داره ونزع قميصه واعطاه اياه وقعد عريانا واذن بلال وانتظروا للصلوة فلم يخرج
فانزل الله ذلك ثم سلاه بقوله ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر يوسعه ويضيقه بمشيته التابعة للحكمة فليس

وشهادة الزور ويؤيده قوله عليه السلام من قفا مؤمنا بما ليس فيه حبسه الله تعالى في ردغة الخبال حتى يأتي بالمخرج وقول الكميت ولا ارمي البري بغير ذنب ولا اقفو الحواصن ان قفينا ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك اي كل هذه الاعضاء فاجراها مجرى العقلاء لما كانت مسؤلة عن احوالها شاهدة على صاحبها هذا وان اولاء وان غلب في العقلاء لكنه من حيث انه اسم جمع لذا وهو يعم القبيلين جاء لغيرهم كقوله والعيش بعد اولئك الايام كان عنه مسؤلا في ثلاثتها ضمير كل اي كان كل واحد منها مسؤلا عن نفسه يعني عما فعل به صاحبه ويجوز ان يكون الضمير في عنه لمصدر لا تقف او لصاحب السمع والبصر وقيل مسؤلا مسند الى عنه كقوله غير المغضوب عليهم والمعنى يسأل صاحبه عنه وهو خطأ لان الفاعل وما يقوم مقامه لا يتقدم وفيه دليل على ان العبد مؤاخذ بعزمه على المعصية وقرئ والفواد بقلب الهمزة واوا بعد الضمة ثم ابدالها واوا ولا تمش في الارض مرحا اي ذا مرح وهو الاختيال وقرئ مرحا وهو باعتبار الحكم وان كان المصدر آكد من صريح النعت انك لن تخرق الارض لن تجعل فيها خرقا بشدة وطأتك ولن تبلغ الجبال طولا بتطاولك وهو تهكم بالمختال وتعليل للنهي بان الاختيال حماقة مجردة لا تعود بجدوى ليست في التذلل كل ذلك اشارة الى الخصال الخمس والعشرين المذكورة من قوله لا تجعل مع الله الها آخر وعن ابن عباس رضي الله عنهما انها المكتوبة في الواح موسى كان سيئه يعني المنهي فان المذكورة مامورات به ومناه وقرأ الحجازيان والبصريان سيئة على انها خبر كان والاسم ضمير كل وذلك اشارة الى ما نهي عنه خاصة وعلى هذا قوله عند ربك مكروها بدل من سيئة او صفة لها محمولة على المعنى فانه بمعنى سيئا وقد قرئ به ويجوز ان ينتصب مكروها على الحال من المستكن في كان او في الظرف على انه صفة سيئة والمراد به المبغوض المقابل للمرضي لا ما يقابل المراد لقيام القاطع على ان الحوادث كلها واقعة بارادته تعالى ذلك اشارة الى الاحكام المتقدمة مما اوحى اليك ربك من الحكمة التي هي معرفة الحق لذاته والخير للعمل به ولا تجعل مع الله الها آخر كرره للتنبيه على ان التوحيد مبدأ الامر ومنتهاه فان من لا قصد له بطل عمله ومن قصد بفعله او تركه غيره ضاع سعيه وانه راس الحكمة وملاكها ورتب عليه اولا ما هو عائدة الشرك في الدنيا وثانيا ما هو نتيجته في العقبى فقال فتلقى في جهنم ملوما تلوم نفسك مدحورا مبعدا من رحمة الله تعالى افاصفاكم ربكم بالبنين خطاب لمن قالوا الملائكة بنات الله تعالى والهمزة للانكار والمعنى افخصكم ربكم بافضل الاولاد وهم البنون واتخذ من الملائكة اناثا لنفسه تعالى هذا خلاف ما عليه عقولكم وعادتكم انكم لتقولون قولا عظيما باضافة الاولاد اليه وهي خاصة بعض الاجسام لسرعة زوالها وبتفضيل انفسكم عليه حيث تجعلون له ما تكرهون ثم تجعلون الملائكة الذين هم من اشرف خلق الله تعالى دونكم ولقد صرفنا كررنا هذا المعنى بوجوه من التقرير في هذا القرآن في مواضع منه ويجوز ان يراد بهذا القرآن ابطال اضافة البنات اليه تعالى على تقدير ولقد صرفنا القول في هذا المعنى او اوقعنا التصريف فيه وقرئ صرفنا بالتخفيف ليذكروا ليتذكروا وقرأ حمزة والكسائي هنا وفي الفرقان ليذكروا من الذكر الذي هو بمعنى التذكر وما يزيدهم الا نفورا عن الحق وقلة طمانينة اليه قل لو كان معه آلهة كما يقولون ايها المشركون وقرأ ابن كثير وحفص بالياء فيه وفيما بعده على ان الكلام مع الرسول ووافقهما نافع وابن عامر وابو عمرو

أو حديداً أو خلقاً مما يكبر في صدوركم أي مما يكبر عندكم عن قبول الحيوة لكونه أبعد شيء منها فإن قدرته تعالى لا تقصر عن
إحيائكم لاشتراك الأجسام في قبول الأعراض فكيف إذا كانت عظاماً مرفوتة وقد كانت غضة موصوفة بالحيوة قبل والشيء
أقبل لما عهد فيه مما لم يعهد فسيقولون من يعيدنا قل الذي فطركم أول مرة وكنتم تراباً وما هو أبعد منه من الحيوة
فسينغضون إليك رؤسهم فسيحركونها نحوك تعجباً واستهزاء ويقولون متى هو قل عسى أن يكون قريباً فإن كل
ما هو آت قريب وانتصابه على الخبر أو الظرف أي يكون في زمان قريب وأن يكون اسم عسى أو خبره والاسم مضمر يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده
أي يوم يبعثكم فتنبعثون استعار لهما الدعاء والاستجابة للتنبيه على سرعتهما وتيسر أمرهما وأن المقصود منهما
الإحضار للمحاسبة والجزاء بحمده حال منهم أي حامدين الله تعالى على كمال قدرته كما قيل إنهم ينفضون التراب عن رؤسهم ويقولون سبحانك
اللهم وبحمدك أو منقادين لبعثه انقياد الحامدين له وتظنون إن لبثتم إلا قليلاً وتستقصرون مدة لبثكم
في القبور كالذي مر على قرية أو مدة حيوتكم لما ترون من الهول وقل لعبادي يعني المؤمنين يقولوا التي هي أحسن
الكلمة التي هي أحسن ولا يخاشنوا المشركين إن الشيطان ينزغ بينهم يهيج بينهم المراء والشر فلعل المخاشنة بهم تفضي
إلى العناد وازدياد الفساد إن الشيطان كان للإنسان عدواً مبيناً ظاهر العداوة ربكم أعلم بكم إن يشأ يرحمكم
أو إن يشأ يعذبكم تفسير للتي هي أحسن وما بينهما اعتراض أي قولوا لهم هذه الكلمة ونحوها ولا تصرحوا بأنهم من أهل
النار فإن ذلك يهيجهم على الشر مع أن ختام أمرهم غيب لا يعلمه إلا الله وما أرسلناك عليهم وكيلاً موكولاً إليك
أمرهم تقسرهم على الإيمان وإنما أرسلناك مبشراً ونذيراً فدارهم ومر أصحابك بالاحتمال منهم روي أن المشركين أفرطوا
في إيذائهم فشكوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت وقيل شتم عمر رجل فهم به فأمره الله تعالى بالعفو وربك أعلم بمن في السموات
والأرض وبأحوالهم فيختار منهم لنبوته وولايته من يشاء وهو رد لاستبعاد قريش أن يكون يتيم أبي طالب نبياً وأن يكون
العراة الجوع أصحابه ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض بالفضائل النفسانية والتبري عن العلائق الجسمانية
لا بكثرة الأموال والأتباع حتى داود عليه السلام فإن شرفه بما أوحي إليه من الكتاب لا بما أوتيه من الملك قيل هو إشارة إلى
تفضيل رسول الله عليه السلام وقوله وآتينا داود زبوراً تنبيه على وجه تفضيله وهو أنه خاتم الأنبياء وأمته خير
الأمم المدلول عليه بما كتب في الزبور من أن الأرض يرثها عبادي الصالحون وتنكيره ههنا وتعريفه في قوله تعالى ولقد كتبنا في
الزبور لأنه في الأصل فعول للمفعول كالحلوب أو المصدر كالقبول ويؤيده قراءة حمزة بالضم فهو كالعباس والفضل أو لأن
المراد وآتينا داود بعض الزبر أو بعضاً من الزبور فيه ذكر الرسول عليه السلام قل ادعوا الذين زعمتم أنها آلهة
من دونه كالملائكة والمسيح وعزير فلا يملكون كشف الضر عنكم كالمرض والفقر والقحط ولا تحويلاً ولا
تحويل ذلك منكم إلى غيركم أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة هؤلاء الآلهة يبتغون إلى الله القربة
بالطاعة أيهم أقرب بدل من واو يبتغون أي يبتغي من هو أقرب منهم إلى الله الوسيلة فكيف بغير الأقرب ويرجون رحمته
ويخافون عذابه كسائر العباد فكيف يزعمون أنهم آلهة إن عذاب ربك كان محذوراً حقيقاً بأن يحذره كل أحد
حتى الملائكة والرسل وإن من قرية إلا نحن مهلكوها قبل يوم القيمة بالموت والاستيصال أو معذبوها عذاباً شديداً بالقتل

من قول الملائكة اتجعل فيها من يفسد فيها مع التقرير او تقريباً من خلقه ذو يهم واهوو واخضب قال اذهب امض لما قصدته وهو طرد وتخلية بينه وبين ما سولت له نفسه فمن تبعك منهم فان جهنم جزاؤكم جزاؤك وجزاؤهم فغلب المخاطب على الغائب ويجوز ان يكون الخطاب للتابعين على الالتفات جزاء موفورا مكملا من قولهم فر لصاحبك عرضه وفرة وانتصاب جزاء على المصدر باضمار فعله او بما في جزاؤكم من معنى تجازون او حال موطئة لقوله موفورا واستفزز واستخف من استطعت منهم ان تستفزه والفز الخفيف بصوتك بدعائك الى الفساد واجلب عليهم وصح عليهم من الجلبة وهي الصياح بخيلك ورجلك باعوانك من راكب وراجل والخيل الخيالة ومنه قوله عليه السلام يا خيل الله اركبي والرجل اسم جمع للراجل كالصحب والركب ويجوز ان يكون تمثيلا لتسلطه على من يغويه بمغوار صوت على قوم فاستفزهم من اماكنهم واجلب عليهم بجنده حتى استاصلهم وقرا حفص ورجلك بالكسر وغيره بالضم وهما لغتان كندس وندس ومعناه وجمعك الرجل وقرئ ورجالك ورجالك وشاركهم في الاموال بحملهم على كسبها وجمعها من الحرام والتصرف فيها على ما لا ينبغي والاولاد بالحث على التوصل الى الولد بالسبب المحرم والاشراك فيه بتسميته عبد العزى والتضليل بالحمل على الاديان الزائغة والحرف الذميمة والافعال القبيحة وعدهم المواعيد الباطلة كشفاعة الالهة والاتكال على كرامة الاباء وتاخير التوبة لطول الامل وما يعدهم الشيطان الا غرورا اعتراض لبيان مواعيده والغرور تزيين الخطا بما يوهم انه صواب ان عبادي يعني المخلصين وتعظيم الاضافة والتقييد في قوله الا عبادك منهم المخلصين يخصصهم ليس لك عليهم سلطان اي على اغوائهم قدرة وكفى بربك وكيلا يتوكلون به في الاستعاذة منك على الحقيقة ربكم الذي يزجي هو الذي يجري لكم الفلك في البحر لتبتغوا من فضله الربح وانواع الامتعة التي لا تكون عندكم انه كان بكم رحيما حيث هيا لكم ما تحتاجون اليه وسهل عليكم ما يعسر من اسبابه واذا مسكم الضر في البحر خوف الغرق ضل من تدعون ذهب عن خواطركم كل من تدعونه في حوادثكم الا اياه وحده فانكم حينئذ لا يخطر ببالكم سواه ولا تدعون لكشفه الا اياه او ضل كل من تعبدونه عن اغاثتكم الا الله فلما نجاكم من الغرق الى البر اعرضتم عن التوحيد وقيل اتسعتم في كفران النعمة كقول ذي الرمة عطاء فتى تمكن في المعالي فاعرض في المكارم واستطالا وكان الانسان كفورا كالتعليل للاعراض افامنتم الهمزة للانكار والفاء للعطف على محذوف تقديره انجوتم فامنتم فحملكم ذلك على الاعراض فان من قدر ان يهلككم في البحر بالغرق قادر ان يهلككم في البر بالخسف وغيره ان يخسف بكم جانب البر ان يقلبه الله وانتم عليه او يقلبه بسببكم فبكم حال او صلة ليخسف وقرا ابن كثير وابو عمرو بالنون فيه وفي الاربعة التي بعده وفي ذكر الجانب تنبيه على انهم لما وصلوا الساحل كفروا واعرضوا وان الجوانب والجهات في قدرته سواء لا معقل يؤمن فيه من اسباب الهلاك او يرسل عليكم حاصبا ريحا تحصب اي ترمي بالحصباء ثم لا تجدوا لكم وكيلا يحفظكم من ذلك فانه لا راد لفعله ام امنتم ان يعيدكم فيه في البحر تارة اخرى بخلق دواعي تلجئكم الى ان ترجعوا فتركبوه فيرسل عليكم قاصفا من الريح لا تمر بشيء الا قصفته اي كسرته فيغرقكم وعن يعقوب بالتاء على اسناده الى الريح بما كفرتم بسبب اشراككم او كفرانكم نعمة الانجاء ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا مطالبا يتبعنا بانتصار او صرف ولقد كرمنا بني ادم بحسن الصورة والمزاج الاعدل واعتدال القامة والتمييز بالعقل والافهام بالنطق والاشارة والخط والتهديد

عـــه الباء في يرجع الى الخسف اولاغراق اولارسال اوق

ان تميل الى اتباع مرادهم والمعنى انك كنت على صدد الركون اليهم لقوة خدعهم وشدة احتيالهم لكن ادركتك عصمتنا
فمنعت ان تقرب من الركون فضلا من ان تركن اليه وهو صريح في انه عليه السلام ما هم باجابتهم مع قوة الدواعي اليها ودليل
على ان العصمة بتوفيق الله تعالى وحفظه اذا لاذقناك اي لو قاربت لاذقناك ضعف الحيوة وضعف الممات اي عذاب الدنيا وعذاب
الآخرة ضعف ما نعذب به في الدارين بمثل هذا الفعل غيرك لان خطأ الخطير اخطر وكان اصل الكلام عذابا ضعفا
في الحيوة وعذابا ضعفا في الممات يعني مضاعفا ثم حذف الموصوف واقيمت الصفة مقامه ثم اضيفت كما يضاف
موصوفها وقيل الضعف من اسماء العذاب وقيل المراد بضعف الحيوة عذاب الآخرة وبضعف الممات عذاب القبر ثم
لا تجد لك علينا نصيرا يدفع العذاب عنك وان كادوا وان كاد اهل مكة ليستفزونك ليزعجونك بمعاداتهم من
الارض ارض مكة ليخرجوك منها واذا لا يلبثون خلافك ولو خرجت لا يبقون بعدك الا قليلا الا زمانا قليلا وقد كان
كذلك فانهم اهلكوا ببدر بعد هجرته بسنة وقيل الآية نزلت في اليهود حسدوا مقام النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة
فقالوا الشام مقام الانبياء فان كنت نبيا فالحق بها حتى نؤمن بك فوقع ذلك في قلبه فخرج مرحلة فنزلت فرجع ثم قتل
منهم بنو قريظة واجلي بنو النضير بقليل وقرئ لا يلبثوا منصوبا باذن على انه معطوف على جملة قوله وان كادوا ليستفزونك لا على خبر كاد
فان اذن لا تعمل اذا كان معتمدا ما بعدها على ما قبلها وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي ويعقوب وحفص خلافك وهو لغة فيه
قال عفت الديار خلافهم فكانما بسط الشواطب بينهن حصيرا سنة من قد ارسلنا قبلك من رسلنا نصب على المصدر
اي سن الله ذلك سنة وهو ان يهلك كل امة اخرجوا رسولهم من بين اظهرهم فالسنة لله تعالى واضافتها الى الرسل لانها من اجلهم
ويدل عليه ولا تجد لسنتنا تحويلا اي تغييرا اقم الصلوة لدلوك الشمس لزوالها ويدل عليه قوله عليه السلام اتاني جبرئيل
لدلوك الشمس حين زالت فصلى بي الظهر وقيل لغروبها واصل التركيب للانتقال ومنه الدلك فان الدالك لا يستقر
يده وكذا كل ما تركب من الدال واللام كدلج ودلح ودلع ودلف ودله وقيل الدلوك من الدلك لان الناظر اليها يدلك
عينيه ليدفع شعاعها واللام للتأقيت مثلها في لثلث خلون الى غسق الليل الى ظلمته وهو وقت صلوة العشاء الآخرة
وقرآن الفجر وصلوة الصبح سميت قرآنا لانه ركنها كما سميت ركوعا وسجودا واستدل به على وجوب القراءة فيها ولا دليل
فيه لجواز ان يكون التجوز لكونها مندوبة فيها نعم لو فسر بالقراءة في صلوة الفجر دل الامر باقامتها على الوجوب فيها نصا
وعليها قياسا ان قرآن الفجر كان مشهودا تشهده ملائكة الليل وملائكة النهار او شواهد القدرة من تبدل الظلمة
بالضياء والنوم الذي هو اخو الموت بالانتباه او كثير من المصلين او من حقه ان يشهده الجم الغفير والآية جامعة للصلوات
الخمس ان فسر الدلوك بالزوال ولصلوات الليل وحدها ان فسر بالغروب وقيل المراد بالصلوة صلوة المغرب
وقوله لدلوك الشمس الى غسق الليل بيان لمبدأ الوقت ومنتهاه واستدل به على ان الوقت يمتد الى غروب الشفق ومن الليل
فتهجد به وبعض الليل فاترك الهجود للصلوة والضمير للقرآن نافلة لك فريضة زائدة لك على الصلوات المفروضة
او فضيلة لك لاختصاص وجوبه بك عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا مقاما يحمده القائم فيه وكل من عرفه وهو
مطلق في كل مقام يتضمن كرامة والمشهور انه مقام الشفاعة لما روى ابو هريرة انه عليه السلام قال هو المقام الذي

ما أعجب شأنك ساعة تقول ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وساعة تقول هذا فنزلت ولو أن ما في الأرض
من شجرة أقلام وما قالوه لسوء فهمهم لأن الحكمة الإنسانية أن يعلم من الحق والخير ما تسعه القوة البشرية بل ما ينتظم
به معاشه ومعاده وهو بالإضافة إلى معلومات الله تعالى التي لا نهاية لها قليل ينال به خير الدارين وهو بالإضافة إليه
كثير ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا إليك اللام الأولى موطئة للقسم لنذهبن جوابه النائب مناب جزاء الشرط
والمعنى إن شئنا ذهبنا بالقرآن ومحوناه عن المصاحف والصدور ثم لا تجد لك به علينا وكيلاً من يتوكل علينا استرداده
مسطوراً محفوظاً إلا رحمة من ربك فإنها إن نالتك فلعلها تسترده عليك ويجوز أن يكون استثناء منقطعاً بمعنى ولكن رحمة
من ربك تركته غير مذهوب به فيكون امتناناً بإبقائه بعد المنة في تنزيله إن فضله كان عليك كبيراً كإرساله وإنزال
الكتاب عليك وإبقائه في حفظه قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن في البلاغة وحسن النظم و
كمال المعنى لا يأتون بمثله وفيهم العرب العرباء أرباب البيان وأهل التحقيق وهو جواب قسم محذوف دل عليه اللام الموطئة
ولولا هي لكان جواب الشرط بلا جزم لكون الشرط ماضياً كقول زهير وإن أتاه خليل يوم مسغبة * يقول لا غائب
مالي ولا حرم ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً ولو تظاهروا على الإتيان به ولعله لم يذكر الملائكة لأن إتيانهم بمثله لا يخرجه
عن كونه معجزة ولأنهم كانوا وسائط في إتيانه ويجوز أن يكون الآية تقريراً لقوله ثم لا تجد لك به علينا وكيلاً ولقد صرفنا كررنا
بوجوه مختلفة زيادة في التقرير والبيان للناس في هذا القرآن من كل مثل من كل معنى هو كالمثل في غرابته ووقعه في الأنفس
فأبى أكثر الناس إلا كفوراً إلا جحوداً وإنما جاز ذلك ولم يجز ضربت إلا زيداً لأنه متأول بالنفي وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا
من الأرض ينبوعاً تعنتاً واقتراحاً بعدما لزمتهم الحجة ببيان إعجاز القرآن وانضمام غيره من المعجزات إليه وقرأ الكوفيون ويعقوب
تفجر بالتخفيف والأرض أرض مكة والينبوع عين لا ينضب ماؤها يفعول من نبع الماء كيعبوب من عب الماء إذا زخر
أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيراً أي تكون لك بستان يشتمل على ذلك أو تسقط السماء كما زعمت
علينا كسفاً يعنون قوله تعالى إن نشأ نخسف بهم الأرض أو نسقط عليهم كسفاً من السماء وهو كقطع لفظاً ومعنى وقد سكنه ابن كثير
وأبو عمرو وحمزة والكسائي ويعقوب في جميع القرآن إلا في الروم وابن عامر إلا في هذه السورة ونافع وأبو بكر في غيرهما
وحفص فيما عدا الطور وهو إما مخفف من المفتوح كسدر وسدر أو فعل بمعنى مفعول كالطحن أو تأتي بالله والملائكة قبيلاً
كفيلاً بما تدعيه أي شاهداً على صحته ضامناً لدركه أو مقابلاً كالعشير بمعنى المعاشر وهو حال من الله وحال الملائكة محذوفة
لدلالتها عليها كما حذف الخبر في قوله فإني وقيار بها لغريب أو جماعة فيكون حالاً من الملائكة أو يكون لك بيت من زخرف
من ذهب وقد قرئ به وأصله الزينة أو ترقى في السماء في معارجها ولن نؤمن لرقيك وحده حتى تنزل علينا كتاباً نقرؤه
وكان فيه تصديقك قل سبحان ربي تعجباً من اقتراحاتهم وتنزيهاً لله من أن يأتي أو يتحكم عليه أو يشاركه أحد
في القدرة هل كنت إلا بشراً كسائر الناس رسولاً كسائر الرسل وكانوا لا يأتون قومهم إلا بما يظهره الله عليهم على ما يلائم
حال قومهم ولم يكن أمر الآيات إليهم ولا لهم أن يتحكموا على الله حتى يتخيروها علي هذا هو الجواب المجمل وأما التفصيل
فقد ذكر في آيات أخر كقوله ولو نزلنا عليك كتاباً في قرطاس ولو فتحنا عليهم باباً وما منع الناس أن يؤمنوا

ج

من يتعاطى متعلقها في الآخرة من السعادة والشقاوة وقوله وعليكم خاصة اليهود ان لا تعدوا ولكم مستانف ذكره للاخبار
ولذلك غير فيه سياق الكلام فاسأل بني اسرائيل اذ جاءهم فقلنا له سلهم من فرعون ليرسلهم معك او سلهم عن حال
دينهم ويؤيده قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم فسال على لفظ الماضي بغير همزة وهو لغة قريش واذ متعلق بقلنا او سال
على القراءة او فسل يا محمد بني اسرائيل عما جرى بين موسى وفرعون اذ جاءهم او عن الآيات ليظهر للمشركين صدقك او لتتسلى
نفسك او لتعلم انه تعالى لو اتى بما اقترحوا لاصروا على العناد والمكابرة كمن قبلهم او ليزداد يقينك لان تظاهر الادلة
يوجب قوة اليقين وطمانينة القلب وعلى هذا كان اذ نصبا بآتينا او باضمار يخبروك على انه جواب الامر او باضمار
اذكر على الاستيناف فقال له فرعون اني لاظنك يا موسى مسحورا سحرت فتخبط عقلك قال لقد علمت يا فرعون وقرأ الكسائي
بالضم على اخباره عن نفسه ما انزل هؤلاء يعني الآيات الا رب السموات والارض بصائر بينات تبصرك صدقي
ولكنك تعاند وانتصابه على الحال واني لاظنك يا فرعون مثبورا مصروفا عن الخير مطبوعا على الشر من قولهم ما ثبرك
عن هذا اي ما صرفك او هالكا قارع ظنه بظنه وشتان ما بين الظنين فان ظن فرعون كذب بحت وظن موسى عليه السلام
يحوم حول اليقين من تظاهر اماراته وقرئ وان اخالك يا فرعون لمثبورا على ان المخففة واللام هي الفارقة فاراد فرعون ان
يستفزهم ان يستخف موسى وقومه وينفيهم من الارض ارض مصر او الارض مطلقا بالقتل والاستئصال فاغرقناه
ومن معه جميعا فعكسنا عليه مكره فاستفززناه وقومه بالاغراق وقلنا من بعده من بعد فرعون واغراقه لبني اسرائيل
اسكنوا الارض التي اراد ان يستفزكم منها فاذا جاء وعد الآخرة الكرة او الحياة او الساعة او الدار الآخرة يعني قيام القيامة
جئنا بكم لفيفا مختلطين اياكم واياهم ثم نحكم بينكم ونميز سعداءكم من اشقيائكم واللفيف الجماعات من قبائل
شتى وبالحق انزلناه وبالحق نزل وما انزلنا القرآن الا ملتبسا بالحق المقتضي لانزاله وما نزل الا ملتبسا بالحق الذي اشتمل عليه
وقيل وما انزلناه من السماء الا محفوظا بالرصد من الملائكة وما نزل على الرسول الا محفوظا بهم من تخليط الشياطين ولعله
اراد به نفي اعتراء البطلان له اول الامر وآخره وما ارسلناك الا مبشرا للمطيع بالثواب ونذيرا للعاصي من العقاب
فلا عليك الا التبشير والانذار وقرآنا فرقناه نزلناه مفرقا منجما وقيل فرقنا فيه الحق من الباطل فحذف الجار كما في قوله ويوم
شهدناه وقرئ بالتشديد لكثرة نجومه فانه نزل في تضاعيف عشرين سنة لتقرأه على الناس على مكث على مهل وتؤدة
فانه ايسر للحفظ واعون في الفهم وقرئ بالفتح وهو لغة فيه ونزلناه تنزيلا على حسب الحوادث قل آمنوا به او لا تؤمنوا
فان ايمانكم بالقرآن لا يزيده كمالا وامتناعكم عنه لا يورثه نقصانا وقوله ان الذين اوتوا العلم من قبله تعليل له اي
ان لم تؤمنوا به فقد آمن به من هو خير منكم وهم العلماء الذين قرأوا الكتب السابقة وعرفوا حقيقة الوحي وامارات النبوة
وتمكنوا من الميز بين المحق والمبطل او رأوا نعتك وصفة ما انزل عليك في تلك الكتب ويجوز ان يكون تعليلا لقل على
سبيل التسلية كانه قيل تسل بايمان العلماء عن ايمان الجهلة ولا تكترث بايمانهم واعراضهم اذا يتلى عليهم يخرون
للاذقان سجدا يسقطون على وجوههم تعظيما لامر الله او شكرا لانجازه ما وعده في تلك الكتب ببعثة محمد صلى الله عليه وسلم
على فترة من الرسل وانزال القرآن عليه ويقولون سبحان ربنا عن خلف الوعد ان كان وعد ربنا لمفعولا انه كان وعده

من يتعاطى تعلمها في الآخرة من السماء ... وقوله وعليكم خاصة اليهود ان لا تعدوا في السبت ...

ولا تلقوا ... فيه سر ... فاسألهم فقلنا له سلهم من فرعون ليرسلهم معك او سلهم

عن حال دينهم ويؤيده قراءة رسول الله فسأل على لفظ الماضي بغير همزة وهو لغة قريش واذ متعلق بقلنا

او سأل على هذه القراءة او فاسأل يا محمد بني اسرائيل عما جرى بين موسى وفرعون اذ جاءهم او عن الآيات ليظهر للمشركين صدقك او لتتسلى

نفسك او لتعلم انه تعالى لو اتى بما اقترحوا لاصروا على العناد والمكابرة كمن قبلهم او ليزداد يقينك لان تظاهر الادلة

يوجب قوة اليقين وطمأنينة القلب وعلى هذا كان اذ نصبا بآتينا او باضمار يخبروك على انه جواب الامر او باضمار

اذكر على الاستئناف فقال له فرعون اني لاظنك يا موسى مسحورا سحرت فتخبط عقلك قال لقد علمت يا فرعون وقرأ الكسائي

بالضم على اخباره عن نفسه ما انزل هؤلاء يعني الآيات الا رب السموات والارض بصائر بينات تبصرك صدقي

ولكنك تعاند وانتصابه على الحال واني لاظنك يا فرعون مثبورا مصروفا عن الخير مطبوعا على الشر من قولهم ما ثبرك

عن هذا اي ما صرفك او هالكا قارع ظنه بظنه وشتان ما بين الظنين فان ظن فرعون كذب بحت وظن موسى عليه السلام

يحوم حول اليقين من تظاهر اماراته وقرئ وان اخالك يا فرعون لمثبورا على ان المخففة واللام هي الفارقة فاراد فرعون ان

يستفزهم ان يستخف موسى وقومه وينفيهم من الارض ارض مصر او الارض مطلقا بالقتل والاستئصال فاغرقناه

ومن معه جميعا فعكسنا عليه مكره فاستفززناه وقومه بالاغراق وقلنا من بعده من بعد فرعون واغراقه لبني اسرائيل

اسكنوا الارض التي اراد ان يستفزكم منها فاذا جاء وعد الآخرة الكرة او الحياة او الساعة او الدار الآخرة يعني قيام القيامة

جئنا بكم لفيفا مختلطين اياكم واياهم ثم نحكم بينكم ونميز سعداءكم من اشقيائكم واللفيف الجماعات من قبائل

شتى وبالحق انزلناه وبالحق نزل وما انزلنا القرآن الا ملتبسا بالحق المقتضي لانزاله وما نزل الا ملتبسا بالحق الذي اشتمل عليه

او ما انزلناه من السماء الا محفوظا بالرصد من الملائكة وما نزل على الرسول الا محفوظا بهم من تخليط الشياطين ولعله

اراد به نفي اعتراء البطلان له اول الامر وآخره وما ارسلناك الا مبشرا للمطيع بالثواب ونذيرا للعاصي من العقاب

فلا عليك الا التبشير والانذار وقرآنا فرقناه نزلناه مفرقا منجما وقيل فرقنا فيه الحق من الباطل فحذف الجار كما في قوله ويوم

شهدناه وقرئ بالتشديد لكثرة نجومه فانه نزل في تضاعيف عشرين سنة لتقرأه على الناس على مكث على مهل وتؤدة

فانه ايسر للحفظ واعون في الفهم وقرئ بالفتح وهو لغة فيه ونزلناه تنزيلا على حسب الحوادث قل آمنوا به او لا تؤمنوا

فان ايمانكم بالقرآن لا يزيده كمالا وامتناعكم عنه لا يورثه نقصانا وقوله ان الذين اوتوا العلم من قبله تعليل له اي

ان لم تؤمنوا به فقد آمن به من هو خير منكم وهم العلماء الذين قرأوا الكتب السابقة وعرفوا حقيقة الوحي وامارات النبوة

وتمكنوا من الميز بين المحق والمبطل او رأوا نعتك وصفة ما انزل عليك في تلك الكتب ويجوز ان يكون تعليلا لقل على

سبيل التسلية كأنه قيل تسل بايمان العلماء عن ايمان الجهلة ولا تكترث بايمانهم واعراضهم اذا يتلى عليهم القرآن يخرون

للاذقان سجدا يسقطون على وجوههم تعظيما لامر الله او شكرا لانجاز وعده في تلك الكتب ببعثة محمد صلى الله عليه وسلم

على فترة من الرسل وانزال القرآن عليه ويقولون سبحان ربنا عن خلف الوعد ان كان وعد ربنا لمفعولا انه كان وعده

للحال دون العطف اذ لو كان للعطف كان المعطوف داخلا في حيز الصلة فيفصل بينه وبين المعطوف عليه ببعض الصلة ليُنذر
بأساً شديدا اي لينذر الذين كفروا عذابا شديدا فحذف المفعول الاول اكتفاء بدلالة القرينة واقتصارا
على الغرض المسوق اليه من لدنه صادرا من عنده وقرأ ابو بكر باسكان الدال اسكان الباء من سبع مع الاشمام ليدل على
اصله وكسر النون لالتقاء الساكنين وكسر الهاء للاتباع ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا حسنا هو
الجنة ماكثين فيه في الاجر ابدا بلا انقطاع وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا خصهم بالذكر وكرر الانذار متعلقا بهم
استعظاما لكفرهم وانما لم يذكر المنذر به استغناء بتقدم ذكره ما لهم به من علم اي بالولد او باتخاذه او بالقول والمعنى انهم
يقولونه عن جهل مفرط وتوهم كاذب او تقليد لما سمعوه من اوائلهم من غير علم بالمعنى الذي ارادوا به فانهم كانوا يطلقون
الاب والابن بمعنى المؤثر والاثر او بالله اذ لو علموه لما جوزوا نسبة الاتخاذ اليه تعالى ولا لابائهم الذين تقولوه بمعنى التبني كبرت
كلمة عظمت مقالتهم هذه في الكفر لما فيها من التشبيه والتشريك وايهام احتياجه تعالى الى ولد يعينه ويخلفه الى غير ذلك
من الزيغ وكلمة نصب على التمييز وقرئ بالرفع على الفاعلية والاول ابلغ وادل على المقصود تخرج من افواههم صفة لها تفيد استعظام اجترائهم
على اخراجها من افواههم والخارج بالذات هو الهواء الحامل لها وقيل صفة محذوف هو المخصوص بالذم لان كبر ههنا بمعنى بئس وقرئ كبرت
بالسكون مع الاشمام ان يقولون الا كذبا فلعلك باخع نفسك قاتلها على آثارهم اذا ولوا عن الايمان شبهه لما داخله من
الوجد على توليهم بمن فارقته احبته فهو يتحسر على آثارهم ويبخع نفسه وجدا عليهم وقرئ باخع نفسك على الاضافة ان لم يؤمنوا
بهذا الحديث بهذا القرآن اسفا للتأسف عليهم او متأسفا عليهم والاسف فرط الحزن والغضب وقرئ ان بالفتح
على لان فلا يجوز اعمال باخع الا اذا جعل حكاية حال ماضية انا جعلنا ما على الارض من الحيوان والنبات والمعادن زينة لها
ولاهلها لنبلوهم ايهم احسن عملا في تعاطيه وهو من زهد فيه ولم يغتر به وقنع منه بما يزجي به ايامه وصرفه على ما ينبغي
وفيه تسكين لرسول الله صلى الله عليه وسلم وانا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا تزهيد فيه والجرز الارض التي قطع
نباتها من الجرز وهو القطع والمعنى انا لنعيد ما عليها من الزينة ترابا مستويا بالارض ونجعله كصعيد املس لا نبات فيه
ام حسبت بل احسبت ان اصحاب الكهف والرقيم في ابقاء حياتهم مدة مديدة كانوا من آياتنا عجبا وقصتهم بالاضافة
الى خلق ما على الارض من الاجناس والانواع الفائتة للحصر على طبائع متباعدة وهيئات متخالفة تعجب الناظرين من
مادة واحدة ثم ردها اليها ليس بعجيب مع انه من آيات الله تعالى كالنزر الحقير والكهف الغار الواسع في الجبل والرقيم اسم الجبل او الوادي الذي
كهفهم فيه او اسم قريتهم او كلبهم قال امية بن ابي الصلت وليس بها الا الرقيم مجاورا وصيدهم والقوم في الكهف همد او لوح رصاصي
او حجري رقمت فيه اسماؤهم وجعلت على باب الكهف وقيل اصحاب الرقيم قوم آخرون كانوا ثلاثة خرجوا يرتادون لاهلهم
فاخذتهم السماء فأووا الى الكهف فانحطت صخرة وسدت بابه فقال احدهم اذكروا ايكم عمل حسنة لعل الله تعالى يرحمنا ببركته
فقال احدهم استعملت اجراء ذات يوم فجاء رجل وسط النهار وعمل في بقيته مثل عملهم فاعطيته مثل اجرهم فغضب احدهم وترك
اجره فوضعته في جانب البيت ثم مر بي بقر فاشتريت به فصيلة فبلغت ما شاء الله تعالى فرجع الي بعد حين شيخا ضعيفا
لا اعرفه وقال ان لي عندك حقا وذكره حتى عرفته فدفعتها اليه جميعا اللهم ان كنت فعلت ذلك لوجهك فافرج عنا

بفضل الله وقرأ نافع وابن عامر مرفقا بفتح الميم وكسر الفاء وهو مصدر جاء شاذا كالمرجع والمحيض فان قياسه الفتح
وترى الشمس لو رأيتهم والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل احد اذا طلعت تزاور تميل عنه ولا يقع شعاعها عليهم
فيؤذيهم لان الكهف كان جنوبيا او لان الله تعالى زورها عنهم واصله تتزاور فادغمت التاء في الزاي وقرأ الكوفيون بحذفها وابن
عامر ويعقوب تزور كتحمر وقرئ تزوار كتحمار وكلها من الزور بمعنى الميل ذات اليمين جهة اليمين وحقيقتها الجهة ذات اسم اليمين واذا
غربت تقرضهم تقطعهم وتصرم عنهم ذات الشمال يعني يمين الكهف وشماله لقوله وهم في فجوة منه اي وهم في متسع من الكهف
يعني في وسطه بحيث ينالهم روح الهواء ولا يؤذيهم كرب الغار ولا حر الشمس وذلك لان باب الكهف في مقابلة بنات
النعش واقرب المشارق والمغارب الى محاذاته مشرق رأس السرطان ومغربه والشمس اذا كان مدارها مداره تطلع مائلة
عنه مقابلة لجانبه الايمن وهو الذي يلي المغرب وتغرب محاذية لجانبه الايسر فيقع شعاعها على جنبيه ويحلل عفونته
ويعدل هواءه ولا يقع عليهم فيؤذي اجسادهم ويبلي ثيابهم ذلك من آيات الله اي شأنهم وايواؤهم الى كهف كذلك او اخباره قصتهم او
ازورار الشمس وقرضها طالعة وغاربة من آيات الله من يهد الله بالتوفيق فهو المهتد الذي اصاب الفلاح والمراد به اما الثناء
عليهم او التنبيه على ان امثال هذه الآيات كثيرة ولكن المنتفع بها من وفقه الله تعالى للتأمل فيها والاستبصار بها
ومن يضلل ومن يخذله فلن تجد له وليا مرشدا من يليه ويرشده وتحسبهم ايقاظا لانفتاح عيونهم او لكثرة تقلبهم
وهم رقود نيام ونقلبهم في رقدتهم ذات اليمين وذات الشمال كيلا تأكل الارض ما يليها من ابدانهم على طول الزمان وقرئ
ويقلبهم بالياء والضمير لله تعالى وتقلبهم على المصدر منصوبا بفعل يدل عليه وتحسبهم اي وترى تقلبهم وكلبهم هو
كلب مروا به فتبعهم فطردوه فانطقه الله تعالى فقال انا احب احباء الله تعالى فناموا وانا احرسكم او كلب راع مروا به فتبعهم وتبعه
كلبه ويؤيده قراءة من قرأ وكالبهم اي وصاحب كلبهم باسط ذراعيه حكاية حال ماضية ولذلك اعمل اسم الفاعل بالوصيد
بفناء الكهف وقيل الوصيد الباب وقيل العتبة لو اطلعت عليهم فنظرت اليهم وقرئ لو اطلعت بضم الواو لوليت منهم
فرارا هربت منهم وفرارا يحتمل المصدر لانه نوع من التولية والعلة والحال ولملئت منهم رعبا خوفا يملأ صدرك
بما ألبسهم الله تعالى من الهيبة او لعظم اجرامهم وانفتاح عيونهم وقيل لوحشة مكانهم وعن معوية انه غزا الروم فمر بالكهف فقال
لو كشف لنا عن هؤلاء فنظرنا اليهم فقال له ابن عباس رضي الله عنهما ليس لك ذلك قد منع الله تعالى من هو خير منك فقال
لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا فلم يسمع وبعث ناسا فلما دخلوا جاءت ريح فاحرقتهم وقرأ الحجازيان لملئت بالتشديد
للمبالغة وابن عامر والكسائي ويعقوب رعبا بالتثقيل وكذلك بعثناهم وكما انمناهم آية بعثناهم آية على كمال قدرتنا
ليتساءلوا بينهم ليسأل بعضهم بعضا فيتعرفوا حالهم وما صنع الله تعالى بهم فيزدادوا يقينا على كمال قدرة الله تعالى
ويستبصروا به امر البعث ويشكروا ما انعم به عليهم قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوما او بعض يوم بناء
على غالب ظنهم لان النائم لا يحصي مدة نومه ولذلك احالوا العلم الى الله تعالى قالوا ربكم اعلم بما لبثتم ويجوز ان يكون
ذلك قول بعضهم وهذا انكار الآخرين عليهم وقيل انهم دخلوا الكهف غدوة وانتبهوا ظهيرة وظنوا انهم في يومهم
او اليوم الذي بعده قالوا ذلك فلما نظروا الى طول اظفارهم واشعارهم قالوا هذا ثم لما علموا ان الامر ملتبس

وثامنهم كلبهم انما قاله المسلمون باخبار الرسول لهم عن جبريل عليهما السلام وايماء الله تعالى اليه بان اتبعه قوله قل ربي
اعلم بعدتهم ما يعلمهم الا قليل واتبع الاولين قوله رجما بالغيب بان اثبت العلم بهم لطائفة بعد ما حصر اقوال الطوائف
والثلثة المذكورة فان عدم ايراد رابع في نحو هذا المحل دليل العدم مع ان الاصل نفيه ثم رد الاولين بان اتبعهما قوله
رجما بالغيب ليتعين الثالث وبان ادخل فيها الواو على الجملة الواقعة صفة للنكرة تشبيها لها بالواقعة حالا عن المعرفة لتاكيد
لصوق الصفة بالموصوف والدلالة على ان اتصافه بها امر ثابت وعن علي رضي الله عنه هم سبعة وثامنهم كلبهم اسماؤهم
يمليخا ومكشلينيا ومشلينيا هؤلاء اصحاب يمين الملك ومرنوش ودبرنوش وشاذنوش اصحاب يساره وكان يستشيرهم
والسابع الراعي الذي وافقهم واسم كلبهم قطمير واسم مدينتهم افسوس وقيل الاقوال الثلثة لاهل الكتاب والقليل منهم
فلا تمار فيهم فلا تجادل في شان الفتية الا مراء ظاهرا الا جدالا ظاهرا غير متعمق فيه وهو ان تقص عليهم ما في القرآن
من غير تجهيل لهم والرد عليهم ولا تستفت فيهم منهم احدا ولا تسأل احدا منهم عن قصتهم سؤال مسترشد فان فيما
اوحي اليك لمندوحة عن غيره مع انه لا علم لهم بها ولا سؤال متعنت يريد فضيح المسئول عنه وتزييف ما عنده فانه
يخل بمكارم الاخلاق ولا تقولن لشايء اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله نهي تاديب من الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم
حين قالت اليهود لقريش سلوه عن الروح واصحاب الكهف وذي القرنين فسألوه فقال ائتوني غدا اخبركم ولم يستثن
فابطأ عليه الوحي بضعة عشر يوما حتى شق عليه وكذبته قريش والاستثناء من النهي اي ولا تقولن لاجل شيء تعزم عليه اني فاعله
فيما يستقبل الا بان يشاء الله اي الا متلبسا بمشيته قائلا ان شاء الله او الا وقت ان يشاء الله ان تقوله بمعنى ان
ياذن لك فيه ولا يجوز تعليقه بفاعل لان استثناء اقتران المشية بالفعل غير سديد واستثناء اعتراضها دونه
لا يناسب النهي واذكر ربك مشية ربك وقل ان شاء الله كما روي انه لما نزل قال عليه السلام ان شاء الله اذا نسيت اذا فرط
منك نسيان لذلك ثم تذكرته وعن ابن عباس رضي الله عنه ولو بعد سنة ما لم يحنث ولذلك جوز تاخير الاستثناء
وعامة الفقهاء على خلافه اذ لو صح ذلك لم يتقرر اقرار ولا طلاق ولا عتاق ولم يعلم صدق ولا كذب ولعل تاويل الخبر ان الاستثناء
المتدارك به من القول السابق بل هو مقبل لو اتى به عليه ويجوز ان يكون المعنى واذكر ربك بالتسبيح والاستغفار اذا نسيت
الاستثناء مبالغة في الحث عليه او اذكر ربك وعقابه اذا تركت بعض ما امرك به ليبعثك على التدارك او اذكره اذا
اعتراك النسيان ليذكرك المنسي وقل عسى ان يهدين ربي لاقرب من هذا رشدا لاقرب رشدا واظهر دلالة على
اني نبي من نبأ اصحاب الكهف وقد هداه لاعظم من ذلك كقصص الانبياء المتباعدة عنه ايامهم والاخبار بالغيوب والحوادث النازلة في الاعصار
المستقبلة الى قيام الساعة او لاقرب رشدا وادنى خيرا من المنسي ولبثوا في كهفهم ثلث مائة سنين وازدادوا تسعا يعني لبثهم
فيه احياء مضروبا على اذانهم وهو بيان لما اجمل قبل وقيل انه حكاية كلام اهل الكتاب فانهم اختلفوا في مدة لبثهم كما
اختلفوا في عدتهم فقال بعضهم ثلثمائة وقال بعضهم ثلثمائة وتسع سنين وقرأ حمزة والكسائي ثلثمائة سنين بالاضافة
على وضع الجمع موضع الواحد ويحسنه ههنا ان علامة الجمع فيه جبر لما حذف من الواحد وان الاصل في العدد اضافته
الى الجمع ومن لم يضف ابدل السنين من ثلث قل الله اعلم بما لبثوا له غيب السموات والارض له ما غاب فيهما وخفي

بئس الشراب المهل وساءت النار مرتفقا متكأ واصل الارتفاق نصب المرفق تحت الخد وهو لمقابلة قوله وحسنت
مرتفقا والا فلا ارتفاق لاهل النار ان الذين امنوا وعملوا الصالحات انا لا نضيع اجر من احسن عملا خبر ان الاولى هي الثانية
بما في حيزها والراجع محذوف تقديره من احسن عملا منهم او مستغنى عنه بعموم من احسن عملا كما هو مستغنى عنه في قولك
نعم الرجل زيد او واقع موقعه الظاهر فان من احسن عملا على الحقيقة لا يحسن اطلاقه على الذين امنوا وعملوا الصالحات
اولئك لهم جنات عدن تجري من تحتهم الانهار وما بينهما اعتراض وعلى الاول استيناف لبيان الاجر او خبر
ثان يحلون فيها من اساور من ذهب من الاولى للابتداء والثانية للبيان صفة لاساور وتنكيرها لتعظيم حسنها من
الاحاطة به وهو جمع اسورة او اسوار في جمع سوار ويلبسون ثيابا خضرا لان الخضرة احسن الالوان واكثرها
طراوة من سندس واستبرق مما رق من الديباج وما غلظ منه جمع بين النوعين للدلالة على ان فيها ما تشتهي
الانفس وتلذ الاعين متكئين فيها على الارائك على السرر كما هو هيئة المتنعمين نعم الثواب الجنة ونعيمها و
الارائك مرتفقا متكأ واضرب لهم مثلا للكافر والمؤمن رجلين حال رجلين مقدرين او موجودين قيل هما اخوان
من بني اسرائيل كافر اسمه قطروس ومؤمن اسمه يهوذا ورثا من ابيهما ثمانية الاف دينار فتشاطرا فاشترى الكافر بها ضياعا
وعقارا وصرفها المؤمن في وجوه الخير وال امرهما الى ما حكاه الله تعالى وقيل الممثل بهما اخوان من بني مخزوم كافر
وهو الاسود بن عبد الاسد ومؤمن وهو ابو سلمة عبد الله زوج ام سلمة قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم
جعلنا لاحدهما جنتين بستانين من اعناب من الكروم والجملة بتمامها بيان للتمثيل او صفة للرجلين وحففنا
هما بنخل وجعلنا النخل محيطة بهما وهو مما يقال حفه القوم اذا طافوا به وحففته بهم اذا جعلتهم حافين حوله
فتزيده الباء مفعولا ثانيا كقولك غشيته به وجعلنا بينهما زرعا وسطهما ليكون كل منهما جامعا للاقوات والفواكه
متواصل العمارة على الشكل الحسن والترتيب الانيق كلتا الجنتين اتت اكلها ثمرها وافراد الضمير لافراد كلتا وقرئ
كل الجنتين اتى اكله ولم تظلم منه ولم تنقص من اكلها شيئا يعهد في سائر البساتين فان الثمار تتم في عام وتنقص في
عام غالبا وفجرنا خلالهما نهرا ليدوم شربهما فانه الاصل ويزيد بهاؤهما وعن يعقوب وفجرنا بالتخفيف وكان له
ثمر انواع من المال سوى الجنتين من ثمر ماله اذا كثره وقرا عاصم بفتح الثاء والميم وابو عمرو بضم الثاء واسكان الميم والبا
بضمهما وكذلك في قوله تعالى واحيط بثمره فقال لصاحبه وهو يحاوره يراجعه في الكلام من حار اذا رجع انا اكثر منك
مالا واعز نفرا حشما واعوانا وقيل اولادا ذكورا لانهم الذين ينفرون معه ودخل جنته بصاحبه يطوف به فيها
ويفاخره بها وافراد الجنة لان المراد ما هو جنته وما متع به من الدنيا تنبيها على انه لا جنة له غيرها ولا حظ
في الجنة التي وعد المتقون او لاتصال كل واحدة من جنتيه بالاخرى او لان الدخول يكون في واحدة واحدة و
هو ظالم لنفسه ضار لها بعجبه وكفره قال ما اظن ان تبيد ان تفنى هذه الجنة ابدا لطول امله وتمادي
غفلته واغتراره بمهلته وما اظن الساعة قائمة كائنة ولئن رددت الى ربي بالبعث كما زعمت لاجدن خيرا منها
من جنته وقرا الحجازيان والشامي منهما اي من الجنتين منقلبا مرجعا وعاقبة لانها فانية وتلك باقية وانما اقسم على ذلك

او لاوليائه وقرا حمزة والكسائي بالكسر ومعناها السلطان والملك اى هنالك السلطان له لا يغلب ولا يمنع منه

او لا يعبد غيره كقوله واذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فيكون تنبيها على ان قوله يا ليتني لم اشرك كان

عن اضطرار وجزع عما دهاه وقيل هنالك اشارة الى الآخرة وقرا ابو عمرو والكسائي الحق بالرفع صفة للولاية وقرئ

بالنصب على المصدر المؤكد وقرا عاصم وحمزة عقبا بالسكون وقرئ عقبى وكلها بمعنى العاقبة واضرب لهم مثل الحيوة

الدنيا اذكر لهم ما تشبه به الحيوة الدنيا في زهرتها وسرعة زوالها او صفتها الغريبة كماء هو كماء ويجوز ان يكون مفعولا

ثانيا لاضرب على انه بمعنى صير انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض فالتف بسببه وخالط بعضه بعضا من

كثرته وتكاثفه او نجع الماء في النبات حتى روى ورف وعلى هذا كان حقه فاختلط بنبات الارض لكن لما كان كل من المختلطين

موصوفا بصفة صاحبه عكس للمبالغة في كثرته فاصبح هشيما مهشوما مكسورا تذروه الرياح تفرقه وقرئ تذريه من اذرى و

ليس المشبه به نفس الماء بل الكيفية المنتزعة من الجملة وهي حال النبات المنبت بالماء يكون اخضر وارقا ثم هشيما تطيره الرياح

فيصير كان لم يكن وكان الله على كل شيء من الانشاء والافناء مقتدرا قادرا المال والبنون زينة الحيوة الدنيا يتزين

بها الانسان في دنياه وتفنى عنه عما قريب والباقيات الصالحات واعمال الخيرات التي تبقى له ثمرتها ابد الآباد ويندرج فيها

ما فسرت به من الصلوات الخمس واعمال الحج وصيام رمضان وسبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر والكلام الطيب

خير عند ربك من المال والبنين ثوابا عائدة وخير املا لان صاحبها ينال بها في الآخرة ما كان يامل بها في الدنيا ويوم

نسير الجبال واذكر يوم نقلعها ونسيرها في الجو او نذهب بها فنجعلها هباء منبثا ويجوز عطفه على عند ربك اى الباقيات

الصالحات خير عند الله تعالى ويوم القيمة وقرا ابن كثير وابو عمرو وابن عامر تسير بالتاء والبناء للمفعول وقرئ تسير من

سارت وترى الارض بارزة بادية برزت من تحت الجبال ليس عليها ما يسترها وقرئ ترى على بناء المفعول وحشرناهم

وجمعناهم الى الموقف ومجيئه ماضيا بعد نسير وترى لتحقق الحشر او للدلالة على ان حشرهم قبل التسيير ليعاينوا ويشاهدوا

ما وعد لهم وعلى هذا تكون الواو للحال باضمار قد فلم نغادر منهم احدا فلم نترك يقال غادره واغدره اذا تركه ومنه

الغدير لترك الماء والغدر لترك الوفاء وقرئ بالياء وعرضوا على ربك صفا شبه حالهم بحال الجند المعروضين على

السلطان لا ليعرفهم بل ليامر فيهم صفا مصطفين لا يحجب احد احدا لقد جئتمونا على اضمار القول على وجه يكون حالا

او عاملا في يوم نسير كما خلقناكم اول مرة عراة لا شيء معكم من المال والولد لقوله ولقد جئتمونا فرادى او احياء كخلقتكم

الاولى لقوله بل زعمتم ان لن نجعل لكم موعدا وقتا لانجاز الوعد بالبعث والنشور وان الانبياء كذبوكم وبل للخروج من

قصة الى اخرى ووضع الكتاب صحائف الاعمال في الايمان والشمائل او في الميزان وقيل هو كناية عن وضع الحساب فترى المجرمين مشفقين

خائفين مما فيه من الذنوب ويقولون يا ويلتنا ينادون هلكتهم التي هلكوا من بين الهلكات مال هذا الكتاب تعجبا

من شانه لا يغادر صغيرة هنة صغيرة ولا كبيرة الا احصاها الا عدها واحاط بها ووجدوا ما عملوا حاضرا مكتوبا

في الصحف ولا يظلم ربك احدا فيكتب عليه ما لم يفعل او يزيد في عقابه الملائم لعمله واذ قلنا للملائكة اسجدوا

لآدم فسجدوا الا ابليس كرره في مواضع لكونه مقدمة للامور المقصود بيانها في تلك المحال وههنا لما شنع على المفتخرين

بالباطل ليدحضوا به الحق بعد ظهور المعجزات والسؤال عن قصة أصحاب الكهف ونحوها تعنتاً ليدحضوا به ليزيلوا بالجدال
الحق عن مقره ويبطلوه من إدحاض القدم وهو إزلاقها وذلك قولهم للرسل ما أنتم إلا بشر مثلنا ولو شاء الله لأنزل
ملائكة ونحو ذلك واتخذوا آياتي يعني القرآن وما أنذروا وإنذارهم أو والذي أنذروا به من العقاب هزوا
استهزاء وقرئ هزؤا بالسكون وهو ما يستهزأ به ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه بالقرآن فأعرض عنها
ولم يتدبرها ولم يتذكر بها ونسي ما قدمت يداه من الكفر والمعاصي ولم يتفكر في عاقبتها إنا جعلنا على قلوبهم أكنة تعليل لإعراضهم
ونسيانهم بأنهم مطبوع على قلوبهم أن يفقهوه كراهة أن يفقهوه وتذكير الضمير وإفراده للمعنى وفي آذانهم وقرا يمنعهم أن
يستمعوه حق استماعه وإن تدعهم إلى الهدى فلن يهتدوا إذا أبدا تحقيقا ولا تقليدا لأنهم لا يفقهون ولا يسمعون
وإذا كما عرفت جزاء وجواب للرسول عليه السلام على تقدير قوله ما لي لا أدعوهم فإن حرصه عليه السلام على إسلامهم
يدل عليه وربك الغفور البليغ المغفرة ذو الرحمة الموصوف بالرحمة لو يؤاخذهم بما كسبوا لعجل لهم العذاب
استشهاد على ذلك بإمهال قريش مع إفراطهم في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم بل لهم موعد وهو يوم بدر أو يوم
القيامة لن يجدوا من دونه موئلا منجا ولا ملجأ يقال وأل إذا نجا ووأل إليه إذا لجأ إليه وتلك القرى يعني قرى عاد
وثمود وأضرابهم وتلك مبتدأ خبره أهلكناهم أو مفعول مضمر يفسره والقرى صفته ولا بد من تقدير مضاف
في أحدهما ليكون مرجع الضمير لما ظلموا كقريش بالتكذيب والمراء وأنواع المعاصي وجعلنا لمهلكهم موعدا لإهلاكهم
وقتا معلوما لا يستأخرون عنه ساعة ولا يستقدمون فليعتبروا بهم ولا يغتروا بتأخير العذاب عنهم وقرأ
أبو بكر لمهلكهم بفتح الميم واللام أي لهلاكهم وحفص بكسر اللام حملا على ما شذ من مصادر يفعل كالمرجع والمحيض
وإذ قال موسى مقدر باذكر لفتاه يوشع بن نون بن أفرائيم بن يوسف عليهم السلام فإنه كان يخدمه ويتبعه ولذلك
سماه فتاه وقيل لعبده لا أبرح لا أزال أسير فحذف الخبر لدلالة حاله وهو السفر وقوله حتى أبلغ مجمع البحرين
من حيث إنها تستدعي ذا غاية عليه ويجوز أن يكون أصله لا يبرح مسيري حتى أبلغ على أن حتى أبلغ هو الخبر فحذف المضاف
وأقيم المضاف إليه مقامه فانقلب الضمير والفعل وأن يكون لا أبرح بمعنى لا أزول عما أنا عليه من السير والطلب
ولا أفارقه فلا يستدعي الخبر ومجمع البحرين ملتقى بحري فارس والروم مما يلي المشرق وعد لقاء الخضر فيه وقيل
البحران موسى وخضر عليهما السلام فإن موسى كان بحر علم الظاهر وخضر كان بحر علم الباطن وقرئ مجمع بكسر الميم
على الشذوذ من يفعل كالمشرق والمطلع أو أمضي حقبا أو أسير زمانا طويلا والمعنى حتى يقع إما بلوغ المجمع أو مضي الحقب
أو حتى أبلغ إلا أن أمضي زمانا أتيقن معه فوات المجمع والحقب الدهر وقيل ثمانون سنة وقيل سبعون روي أن موسى
خطب الناس بعد هلاك القبط ودخوله مصر خطبة بليغة فأعجب بها فقيل له هل تعلم أحدا أعلم منك قال لا فأوحى
الله تعالى إليه بل عبدنا خضر وهو بمجمع البحرين وكان الخضر في أيام أفريدون وكان على مقدمة ذي القرنين الأكبر و
بقي إلى أيام موسى وقيل إن موسى سأل ربه أي عبادك أحب إليك قال الذي يذكرني ولا ينساني قال فأي عبادك
أقضى قال الذي يقضي بالحق ولا يتبع الهوى قال فأي عبادك أعلم قال الذي يبتغي علم الناس

بان يرشده وينعم عليه بتعليم بعض ما انعم الله عليه قال انك لن تستطيع معي صبرا نفى عنه استطاعة الصبر معه على وجه
التأكيد كانها مما لا يصح ولا يستقيم وعلل ذلك واعتذر عنه بقوله وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا اى وكيف تصبر
وانت نبي على ما اتولى من امور ظواهرها مناكير وبواطنها لم يحط بها خبرك وخبرا تمييز او مصدر لان لم تحط به بمعنى
لم تخبره قال ستجدني ان شاء الله صابرا معك غير منكر عليك ولا اعصي لك امرا عطف على صابرا اى ستجدني صابرا
وغير عاص او على ستجدني وتعليق الوعد بالمشية اما للتيمن واما لعلمه بصعوبة الامر فان مشاهدة الفساد والصبر على خلافه
شديد فلا خلف فيه وفيه دليل على ان افعال العباد واقعة بمشية الله تعالى قال فان اتبعتني فلا تسألني
عن شيء فلا تفاتحني بالسؤال عن شيء انكرته مني ولم تعلم وجه صحته حتى احدث لك منه ذكرا حتى ابتدئك ببيانه
وقرأ نافع وابن عامر فلا تسألني بالنون الثقيلة فانطلقا على الساحل يطلبان السفينة حتى اذا ركبا في السفينة خرقها
اخذ الخضر فأسا فخرق السفينة بان قلع لوحين من الواحها قال اخرقتها لتغرق اهلها فان خرقها سبب لدخول
الماء فيها المفضي الى غرق اهلها وقرئ لتغرق بالتشديد للتكثير وقرأ حمزة والكسائي ليغرق اهلها على اسناده الى الاهل لقد
جئت شيئا امرا اتيت امرا عظيما من امر الامر اذا عظم قال الم اقل انك لن تستطيع معي صبرا تذكير لما ذكره قبل
قال لا تؤاخذني بما نسيت بالذي نسيته او بشيء نسيته يعني وصيته بان لا يعترض عليه او بنسياني اياها وهو
اعتذار بالنسيان اخرجه في معرض النهي عن المؤاخذة مع قيام المانع لها وقيل اراد بالنسيان الترك اى لا تؤاخذني
بما تركت من وصيتك اول مرة وقيل انه من معاريض الكلام والمراد شيء آخر نسيه ولا ترهقني من امري عسرا
ولا تغشني عسرا من امري بالمضايقة والمؤاخذة على المنسي فان ذلك يعسر علي متابعتك وعسرا مفعول ثان
لترهق فانه يقال رهقه اذا غشيه وارهقه اياه وقرئ عسرا بضمتين فانطلقا اى بعدما خرجا من السفينة حتى
اذا لقيا غلاما فقتله قيل فتل عنقه وقيل ضرب برأسه الحائط وقيل اضجعه فذبحه والفاء للدلالة على انه لما لقيه
قتله من غير ترو واستكشاف حال ولذلك قال اقتلت نفسا زكية بغير نفس اى طاهرة من الذنوب وقرأ ابن كثير و
نافع وابو عمرو ورويس عن يعقوب زاكية والاول ابلغ وقال ابو عمرو الزكية التي لم تذنب قط والزاكية التي اذنبت ثم غفرت
ولعله اختار الاول لذلك فانها كانت صغيرة لم تبلغ الحلم او انه لم يرها قد اذنبت ذنبا يقتضي قتلها او قتلت
نفسا فتقاد بها نبه به على ان القتل انما يباح حدا او قصاصا وكلا الامرين منتف ولعل تغيير النظم بان جعل خرقها جزاء
واعتراض موسى مستأنفا وفي الثانية قتله من جملة الشرط واعتراضه جزاء لان القتل اقبح والاعتراض عليه ادخل فكان
جديرا بان يجعل عمدة الكلام ولذلك فصله بقوله لقد جئت شيئا نكرا اى منكرا وقرأ نافع في رواية قالون وورش
وابن عامر ويعقوب وابو بكر نكرا بضمتين **قال الم اقل لك انك لن تستطيع معي صبرا**
زاد فيه لك مكافحة بالعتاب على رفض الوصية ووسما بقلة الثبات والصبر لما تكرر منه
الاشمئزاز والاستنكار ولم يرعو بالتذكير اول مرة حتى زاد في الاستنكار ثاني مرة
قال ان سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني وان سألت صحبتك وعن يعقوب فلا تصحبني اى فلا تجعلني

فاردنا ان يبدلهما ربهما خيرا منه ان يرزقهما بدله ولدا خيرا منه زكوة طهارة من الذنوب والاخلاق الردية واقرب
رحما رحمة وعطفا على والديه قيل ولدت لهما جارية فتزوجها نبي فولدت نبيا هدى الله تعالى به امة من الامم وقرأ نافع
وابو عمرو يبدلهما بالتشديد وابن عامر ويعقوب رحما بضم الحاء بالتثقيل وانتصابه على التمييز والعامل اسم التفضيل وكذلك
زكوة واما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة قيل اسمهما اصرم وصريم واسم المقتول حيسون وكان تحته كنز لهما
من ذهب وفضة روي ذلك مرفوعا والذم على كنزهما في قوله والذين يكنزون الذهب والفضة لمن لا يؤدي زكوتهما
وما تعلق بهما من الحقوق وقيل من كتب العلم وقيل كان لوحا من ذهب مكتوبا فيه عجبت
لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن وعجبت لمن يؤمن بالرزق كيف يتعب وعجبت لمن يؤمن بالموت كيف يفرح وعجبت لمن يؤمن
بالحساب كيف يغفل وعجبت لمن يعرف الدنيا وتقلبها باهلها كيف يطمئن اليها لا اله الا الله محمد رسول الله وكان ابوهما صالحا
تنبيه على ان سعيه ذلك كان لصلاحه قيل كان بينهما وبين الاب الذي حفظا فيه سبعة اباء وكان سياحا واسمه كاشح
فاراد ربك ان يبلغا اشدهما اي الحلم وكمال الرأي ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك مرحومين من ربك ويجوز ان يكون
علة او مصدرا لاراد فان ارادة الخير رحمة وقيل متعلق بمحذوف تقديره فعلت ما فعلت رحمة من ربك ولعل اسناد
الارادة اولا الى نفسه لانه المباشر للتعييب وثانيا الى الله تعالى والى نفسه لان التبديل باهلاك الغلام وايجاد الله تعالى
بدله وثالثا الى الله تعالى وحده لانه لا مدخل له في بلوغ الغلامين او لان الاول في نفسه شر والثالث خير والثاني
ممتزج او لاختلاف حال العارف في الالتفات الى الوسائط وما فعلته وما فعلت ما رأيته عن امري عن رأيي وانما
فعلته بامر الله عز وجل ومبنى ذلك على انه متى تعارض ضرران يجب تحمل اهونهما لدفع اعظمهما وهو اصل
ممهد غير ان الشرائع في تفاصيله مختلفة ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبرا اي ما لم تستطع فحذف التاء تخفيفا ومن
فوائد هذه القصة ان لا يعجب المرء بعلمه ولا يبادر الى انكار ما لا يستحسنه فلعل فيه سرا لا يعرفه وان يداوم على التعلم
ويتذلل للمعلم ويراعي الادب في المقال وان ينبه المجرم على جرمه ويعفو عنه حتى يتحقق اصراره ثم يهاجر عنه ويسألونك
عن ذي القرنين يعني اسكندر الرومي ملك فارس والروم وقيل المشرق والمغرب ولذلك سمي ذا القرنين او لانه طاف
قرني الدنيا شرقها وغربها وقيل لانه انقرض في ايامه قرنان من الناس وقيل كان له قرنان اي ضفيرتان وقيل كان
لتاجه قرنان ويحتمل انه لقب بذلك لشجاعته كما يقال الكبش للشجاع كانه ينطح اقرانه واختلف في نبوته مع الاتفاق
على ايمانه وصلاحه والسائلون هم اليهود سألوه امتحانا او مشركو مكة قل سأتلو عليكم منه ذكرا خطاب للسائلين
والهاء لذي القرنين وقيل لله تعالى انا مكنا له في الارض اي مكنا له امره من التصرف فيها كيف شاء فحذف المفعول و
آتيناه من كل شيء اراده وتوجه اليه سببا وصلة توصله اليه من العلم والقدرة والآلة فاتبع سببا اي فاراد بلوغ
المغرب فاتبع سببا يوصله اليه وقرأ الكوفيون وابن عامر بقطع الالف مخففة التاء حتى اذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين
حمئة ذات حمأة من حمئت البئر اذا صارت ذات حمأة وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وابو بكر حامية اي حارة ولا تنافي بينهما
لجواز ان تكون العين جامعة للوصفين او حمية على انها مقلوبة من الهمزة لكسر ما قبلها ولعله بلغ ساحل

اسمان اعجميان بدليل منع الصرف وقيل عربيان من اج الظليم اذا اسرع واصلهما الهمزة كما قرأ عاصم ومنع صرفهما للتعريف
والتانيث مفسدون في الارض اي في ارضنا بالقتل والتخريب واتلاف الزروع وقيل كانوا يخرجون ايام الربيع فلا يتركون
اخضر الا اكلوه ولا يابسا الا احتملوه وقيل كانوا ياكلون الناس فهل نجعل لك خرجا جعلا نخرجه من اموالنا وقرأ
حمزة والكسائي خراجا وكلاهما واحد كالنول والنوال وقيل الخراج على الارض والذمة والخرج المصدر على ان تجعل بيننا وبينهم
سدا يحجز دون خروجهم علينا وقد ضمه من ضم السدين غير حمزة والكسائي قال ما مكني فيه ربي خير ما جعلني
فيه مكينا من المال والملك خير مما تبذلون لي من الخراج ولا حاجة بي اليه وقرأ ابن كثير مكنني على الاصل فاعينوني
بقوة اي بقوة فعلة او بما اتقوى به من الآلات اجعل بينكم وبينهم ردما حاجزا حصينا وهو اكبر من السد من قولهم
ثوب مردم اذا كان رقاع فوق رقاع آتوني زبر الحديد قطعه والزبرة القطعة الكبيرة وهو لا ينافي رد الخراج
والاقتصار على المعونة لان الايتاء بمعنى المناولة ويدل عليه قراءة ابي بكر ردما ايتوني بكسر التنوين موصولة الهمزة
على معنى جيئوني بزبر الحديد والباء محذوفة حذفها في امرتك الخير ولان اعطاء الآلة من الاعانة بالقوة دون
الخراج على العمل حتى اذا ساوى بين الصدفين بين جانبي الجبلين بتنضيدها وقرأ ابن كثير وابن عامر والبصريان
بضمتين وابو بكر بضم الصاد وسكون الدال وقرئ بفتح الصاد وضم الدال وكلها لغات من الصدف وهو الميل
لان كلا منهما منعزل عن الآخر ومنه التصادف للتقابل قال انفخوا اي قال للعملة انفخوا في الاكوار والحديد حتى
اذا جعله جعل المنفوخ فيه نارا كالنار بالاحماء قال آتوني افرغ عليه قطرا اي آتوني قطرا اي نحاسا مذابا افرغ
عليه قطرا فحذف الاول لدلالة الثاني عليه وبه تمسك البصريون على ان اعمال الثاني من العاملين المتوجهين
نحو معمول واحد اولى اذ لو كان قطرا مفعول آتوني لاضمر مفعول افرغ حذرا من الالباس وقرأ حمزة
وابو بكر قال ايتوني موصولة الالف فما اسطاعوا بحذف التاء حذرا من تلاقي متقاربين وقرأ حمزة بالادغام
جامعا بين ساكنين على غير حده وقرئ بقلب السين صادا ان يظهروه ان يعلوه بالصعود لارتفاعه وانملاسه
وما استطاعوا له نقبا لثخنه وصلابته وقيل حفر للاساس حتى بلغ الماء وجعله من الصخر والنحاس المذاب
والبنيان من زبر الحديد بينها الحطب والفحم حتى ساوى اعلى الجبلين ثم وضع المنافيخ حتى صارت كالنار فصب النحاس
المذاب عليها فاختلط والتصق بعضه ببعض وصار جبلا صلدا وقيل بناه من الصخور مرتبطا بعضها ببعض
بكلاليب من حديد ونحاس مذاب في تجاويفها قال هذا هذا السد او الاقدار على تسويته رحمة من ربي على عباده فاذا جاء
وعد ربي وقت وعده بخروج ياجوج وماجوج او بقيام الساعة بان شارف يوم القيمة جعله دكا مدكوكا مبسوطا مسوى
بالارض مصدر بمعنى مفعول ومنه جمل ادك لمنبسط السنام وقرأ الكوفيون دكاء بالمد اي ارضا مستوية وكان وعد
ربي حقا كائنا لا محالة وهو آخر حكاية قول ذي القرنين وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض وجعلنا بعض
ياجوج وماجوج حين يخرجون مما وراء السد يموجون في بعض مزدحمين في البلاد او يموج بعض الخلق في بعض
فيضطربون ويختلطون انسهم وجنهم حيارى ويؤيده ونفخ في الصور لقيام الساعة فجمعناهم جمعا للحساب

الرياء والآية جامعة لخلاصتي العلم والعمل وهما التوحيد والاخلاص في الطاعة وعن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأها عند مضجعه كان له نوراً في مضجعه يتلألأ الى مكة حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يقوم فان كان مضجعه بمكة كان له نوراً يتلألأ من مضجعه الى البيت المعمور حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يستيقظ وعنه عليه السلام من قرأ سورة الكهف من آخرها كانت له نوراً من قرنه الى قدمه ومن قرأها كلها كانت له نوراً من الارض الى السماء

فت

طبع المجلد الاول من التفسير المعروف بالبيضاوي المسمى كاسمه انوار التنزيل واسرار التاويل

ويتلوه المجلد الثاني بعون الملك الجليل